جلاء العيون

١ - ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

جلاء العيون

سيرة رسول الله (ص) وإبنته الزهراء (ع) والأئمة الإثني عشر (ع)

تأليف العلامة الكبير والمحدث الشهير
السيد عبد الله شبر

١ - ٣

الجزء الأول

دار المرتضى
بيروت

دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت
ص ب : ١٥٥/٢٥ الغبيري
هاتف وفاكس : ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
نقال : ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢

Dar Al-Mortada
Printing – Publishing – Distributing
Lebanon – Bierut
P.O.Box : 155/25 Ghobiery
Tel – Fax : 009611840392
Mobile : 0096170950412
E – mail : mortada14@hotmail.com
Printed in Lebanon

جميع الحقوق محفوظة
ولا يحق لاي شخص او مؤسسة
طباعة او ترجمة الكتاب او جزء
منه الا باذن خطي
من المؤلف والناشر

الطبعة الاولى
١٤٢٨ هجرية
٢٠٠٧ ميلادية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الديباجة

الحمد الله الذي جعل الدنيا جَنة لأعدائه وخصمائه، واختار الدار الآخرة لأوليائه وأحبّائه، الذين استخلصهم لتبليغ شرائع الأحكام إلى عباده، وجعلهم أعلاماً ومناراً في بلاده، وابتلاهم بالمصائب بمقدار ما لهم من المراتب، وجعل لهم من الأجر بمقدار ما لهم من الصبر، فقد شجّ جبين محمّد المصطفى، وكسرت رباعيته في شدّة الأذى، وشُقّ رأس عليّ المرتضى، وسمّ الحسن السبط المذجتبى، وأصيب الحسين الشهيد ومن معه بكربلا، وابتلي أهل البيت بأنواع البلاء، فهم ما بين صريع في المحراب قد فلقت بالسيف هامته، وسميم قد شكّت بالسهام جنازته، وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة منه الرأس، وصريع قد سكنت على يد أعدائه منه الأنفاس، ومكبّل في السجن قد رضّضت بالحديد أعضاؤه، ومسموم قد قطّعت بجرع السم أمعاؤه، فله الحمد على ما جرى به قضاؤه في أوليائه، وله الشكر على أقداره النازلة بأصفيائه.

والصلاة على ذي الرسالة الصادعة، والمقالة الناصعة، محمّد المنعوت في القرآن الكريم بـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وأهل بيته الطاهرين، أئمّة المؤمنين، وسادة المتّقين، وأمراء الصالحين، وقادة المحسنين، وأعلام المهتدين، وأنوار العارفين.

أما بعد: فيقول العبد المذنب، العاصي، والغريق في بحار الآثام والمعاصي، أحوج الخلق إلى ربّه الغنيّ، عبد الله بن محمّد رضا الحسيني، ختم الله لهما بالحسنى، ورزقهما خير الآخرة والأولى: إنّ من أفضل الأعمال وأعلاها، وأزكى الأفعال وأغلاها، النظر والتفكّر فيما جرى على شموس الأتقياء، وبدور الخلفاء، وشركاء القرآن، ومناهج الإيمان، ومعادن الحقائق، وشفعاء الخلائق من المصائب والمحن، والبلايا والإحن، فقد غدر بهم أعداء الدين، وانتهكوا فيهم حرمة سيّد المرسلين، وخلعوا ربقة طاعتهم، وهجروا أسباب مودّتهم، وهتكوا منهم الستور، وابتاعوا الفجور والخمور، ونقضوا عهد المصطفى في أخيه علم الهدى، وجرحوا كبد خير الورى في ظلم ابنته، واضطهاد حبيبته التي هي بضعة لحمه، وفلذة كبده، وقتل ريحانتيه، وإبادة نسله، واستئصال شأفته، وسبي حَرَمه، وقتل أنصاره، وطالما كنت متعطّشاً إلى فرغة من الزمان، وبرهة من الأوان، استفرغ فيها الوسع، واستسعد

فيها الطبع لجمع كتاب متكفّل بزبدة ما وقع إليَّ ممَّا يتعلّق بهم من أمر الولادة والمناقب، وافٍ بما ابتلي به آل الله من أصناف المصائب، علماً بما في ذلك من الثواب الجزيل، والثناء الجميل، ولم أظفر في كتب أصحابنا بكتابٍ وافٍ، وتأليف شافٍ، حاوٍ لذلك، محيط بما هنالك، فإنّ منها ما لم يحط بالمطلوب، ومنها ما فيه إطناب غير محبوب، قد اشتمل على الغثّ والسمين، والرخيص والثمين، حتى وقفت على كتاب (جلاء العيون) للعالم العلاّمة، والإمام الفهّامة، خاتمة المجتهدين، وزبدة المحدّثين، وقدوة المحقّقين، وصفوة المدقّقين، وخلاصة الحكماء والمتكلّمين، خادم أخبار الأئمّة الأطهار، وغوّاص بحار الأنوار، ومستخرج لئالئ جواهر الأسرار، ذي الفضائل والفواضل، والمآثر والمفاخر، مولانا العلاّمة المجلسي محمّد باقر، قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه، وإذا هو كتاب وافٍ، وتأليف شافٍ، بلا إيجاز مخلّ، ولا إطناب مملّ، على طرز غريب، وأسلوب عجيب، ونظم لطيف، ونمط شريف، تهشّ إليه الطباع المستقيمة، وتميل إليه النفوس السليمة، قد ألّفه من كتب متعدّدة، وجمعه من مواضع متبدّدة، إلاّ أنّه لمّا كان بالفارسيّة، ولا ينتفع به من لا يعلمها، خطر في فكري الفاتر، ونظري القاصر، أن أؤلّف كتاباً محيطاً بذلك، جامعاً لما هنالك، على ذلك النمط اللطيف، والطرز الشريف، والترتيب المنيف، لا أنّي أترجم الأحاديث التي أوردها رحمه الله، بل الأحاديث التي ترجمها بالفارسيّة أتيت بها بألفاظها وأسانيدها، وأشرت إلى مآخذها ورواتها، مع بيانات وجيزة شافية، وتنبيهات لطيفة وافية، مراعياً الترتيب الذي رتّبه، والتبويب الذي بوّبه، ناقلاً لتحقيقاته الشافية، وتنبيهاته اللطيفة الوافية، لعلّ الله يجعلني من حزبه وأتباعه، ومحاذي طريقته وأشياعه، راجياً من الله أن يحشرني وإيّاه وسائر المؤمنين مع نبيّنا وأئمّتنا الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين، وأن يوفّقنا لطاعته ومراضيه، ويجعل مستقبل حالنا خيراً من ماضيه، وعلى الله التوكّل والاعتماد، في المبدأ والمعاد، والكتاب مرتّب على مقدّمة وأربعة عشر باباً بعدد مقرّبي ربّ الأرباب.

أما المقدّمة

في ثواب البكاء والحزن على سيّد المرسلين، والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

روى الصدوق في (الأمالي) و(العيون) وغيره بأسانيد موثّقة ومعتبرة عن الرضا عليه السلام، قال: «مَن تذكّر مصابنا، وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومَن ذكر مصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومَن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره بإسناد حسن عن الصادق عليه السلام، قال: «مَن ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينيه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر».

وروى الشيخ في (الأمالي) والمفيد في (المجالس) بإسناده معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «نَفَسُ المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عباده، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله، (ثمّ) قال أبو عبد الله عليه السلام: يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب».

وروى الشيخ أيضاً في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام قال: «مَن دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك لنا، أو حقّ لنا نقصناه، أو عِرض انتُهك لنا، أو لأحد من شيعتنا بوّأه الله تعالى بها في الجنّة حقباً».

وروى المفيد والشيخ، عن أحمد بن يحيى الأزدي، عن مخوّل بن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: «ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة، إلاّ بوّأه الله بها في الجنّة حقباً».

قال أحمد بن يحيى الأزدي: «فرأيت الحسين بن عليّ عليه السلام في المنام، فقلت: حدّثني مخوّل بن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه أنّك قلت كذا وكذا؟

قال: نعم، قلت: سقط الإسناد بيني وبينك».

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره، وابن قولوية في (الكامل)، وابن بابوية في (ثواب الأعمال)، والسيّد ابن طاووس، بأسانيد معتبرة عن الباقر عليه السلام، قال: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليّ عليه السلام دمعة حتى تسيل على خدّه، بوّأه الله تعالى بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه دمعاً

حتى يسيل على خدّه لأذيّ مسّنا من عدوّنا في الدنيا، بوّأه الله مبوّأ صدق في الجنّة، وأيّما مؤمن مسّه أذىً فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خدّيه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنّار» .

وروى الحميري في (قرب الإسناد) في الصحيح عن الصادق عليه السلام أنّه قال لفضيل بن يسار: «تجلسون وتتحدّثون؟ قال: نعم، جعلت فداك.

قال: إنَّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيى أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر».

ورواه البرقي أيضاً وابن قولويه بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام .

وروى ابن قولويه أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «مَن ذُكرنا عنده ففاضت عيناه حرّم الله وجهه على النّار».

وروى ابن بابويه في (الأمالي) و(العيون) بإسناد حسن عن الرضا عليه السلام أنّه قال لابن شبيب: «يا بن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله تعالى معه يوم القيامة» .

وروى الصدوق في (الخصال) في حديث الأربعمائة عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا».

وقال السيّد ابن طاووس رحمه الله يروي عن آل الرسول عليهم السلام أنّهم قالوا: «مَن بكى وأبكى فينا مائة فله الجنّة، ومَن بكى أو أبكى خمسين فله الجنّة، ومن بكى أو أبكى ثلاثين فله الجنّة، ومَن بكى أو أبكى عشرين فله الجنّة، ومَن بكى أو أبكى عشرة فله الجنّة، ومَن بكى أو أبكى واحداً فله الجنّة، ومَن تباكى فله الجنّة».

الباب الأول

في بيان ولادة ووفاة خاتم الأنبياء،
وسيّد الأصفياء، سيّد الأبرار،
ونخبة الأخيار، وإمام المرسلين، وفخر العالمين

أبي القاسم محمد بن عبد الله

سيّد الأوّلين والآخرين، صلوات الله عليه وعلى أهل
بيته الطاهرين، وبيان بعض مناقبه الكريمة،
ومعجزاته العظيمة

وهو مشتمل على ستة فصول

الفصل الأوّل

في بيان نسبة الشريف، وأسمائه، وألقابه، وكناه

المشهور في نسبه ﷺ أنّه: محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام بن تارخ بن ناخور بن شروغ بن أرغو بن قالع بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح بن مالك بن متوشلخ بن خنوخ بن البارز بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

وفي نسبه ﷺ أقوال أخر، وما ذكرناه هو الأشهر.

والأشهر أنّ اسم عبد المطّلب: شيبة الحمد، واسم هاشم: عمرو، وسمّي هاشماً لأنّه هشم الثريد لقومه في الغلاء، واسم عبد مناف: المغيرة، وسمّي بعبد مناف لأنّه علا وأناف، واسم قصي: زيد، أقصي عن دار قومه لأنّه حُمل من مكّة في صغره إلى بلاد ازدشنوءة فسمّي قصيّاً، ويلقّب المجمّع؛ لأنّه جمع قبائل قريش بعدما كانوا في الجبال والشّعاب، وقسّم بينهم المنازل بالبطحاء، والنضر هو قريش، وسمّي النضر لأنّ الله تعالى اختاره، وخزيمة لأنّه خزم نور آبائه، وسمّي مدركة لأنّهم أدركوا الشرف في أيّامه، وإلياس هو نبيّ، وسمّي بذلك لأنّه جاء على يأس وانقطاع، وسمّي مضر بذلك لأخذه بالقلوب ولم يكن يراه أحد إلاّ أحبّه، ونزار اسمه عمرو، وسمّي بذلك لأنّ معدّ نظر إلى نور النبيّ ﷺ في وجهه فقرّب له قرباناً عظيماً، وقال: لقد استقللت هذا القربان، وإنّه لقليل نزر، وسمّي معدّ بذلك لأنّه كان صاحب حروب وغارات على اليهود، وكان منصوراً، وسمّي عدنان بذلك لأنّ أعين الحيّ كلّها كانت تنظر إليه، وشروغ - بالشين والغين المعجمتين - وارغو قيل: إنّه اسم هود عليه السلام. وقيل: إنّ عابر اسم هود وأخنوخ هو إدريس عليه السلام، ومتوشلخ - بكسر اللام. وأمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، إلى آخر ما تقدّم.

وروى الصدوق في (العلل) و(الأمالي) و(معاني الأخبار) بإسناد معتبر عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أشبه النّاس بآدم، وإبراهيم أشبه النّاس بي خلقه، وسمّاني الله من فوق عرشه عشرة أسماء، وبيّن الله وصفي وبشّرني على لسان كلّ رسول بعثه إلى قومه وسمّاني، ونشر في التوراة اسمي، وبثّ ذكري في أهل التوراة والإنجيل، وعلّمني

كلامه، ورفعني في سمائه، وشقّ اسمي من أسمائه، فسمّاني محمّداً وهو محمود، وأخرجني في خير قرن من أمّتي، وجعل اسمي في التوراة اجبدح، فبالتوحيد حرّم أجساد أمّتي على النّار، وسمّاني في الإنجيل أحمد، فأنا محمود في أهل السماء، وجعل أمّتي الحامدين، وجعل اسمي في الزبور ماح، محا الله عزّوجلّ بي من الأرض عبادة الأوثان، وجعل اسمي في القرآن محمّداً، وأنا محمود في جمع القيامة في فصل القضاء، لا يشفع أحد غيري، وسمّاني في القيامة حاشراً، يحشر النّاس على قدمي، يعني أنّ زمان أمّتي متّصل بالحشر، وسمّاني الموقف أوقف النّاس بين يدي الله جلّ جلاله، وسمّاني العاقب، أنا عقب النبيّين ليس بعدي رسول، وجعلني رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم، والمقفّي قفّيت النبيّين جماعة، وأنا القيّم الكامل الجامع، ومَنّ عليّ ربّي وقال لي: يا محمّد، صلّى الله عليك فقد أرسلت كلّ رسول إلى أمّته بلسانها، وأرسلتك إلى كلّ أحمر وأسود من خلقي، ونصرتك بالرعب الذي لم أنصر به أحداً، وأحللت لك الغنيمة ولم تحلّ لأحد قبلك، وأعطيتك وأمّتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة، وجعلت لك ولأمّتك الأرض كلّها مسجداً وترابها طهوراً، وأعطيت لك ولأمّتك التكبير، وقرنت ذكرك بذكري حتى لا يذكرني أحد من أمّتك إلاّ ذكرك مع ذكري، فطوبى لك يا محمّد ولأمّتك».

وفي (الخصال) و(العلل) و(معاني الأخبار) بإسناد معتبر عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: «جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فسأله أعلمهم فيما سأله فقال له: لأيّ شيء سمّيتَ محمّداً، وأبا القاسم، وبشيراً، ونذيراً، وداعياً؟ فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: أمّا محمّد؛ فإنّي محمود في الأرض، وأمّا أحمد فإنّي محمود في السماء، وأمّا أبو القاسم فإنّ الله عزّوجلّ يقسم يوم القيامة قسمة النّار، فمن كفر بي من الأوّلين والآخرين ففي النّار، ويقسم قسمة الجنّة فمن آمن بي وأقرّ بنبوّتي ففي الجنّة.

وأمّا الداعي: فإنّي أدعو النّاس إلى دين ربّي عزّوجلّ، وأمّا النذير: فإنّي أنذر بالنّار من عصاني، وأمّا البشير: فإنّي أبشّر بالجنّة من أطاعني».

وفي (العلل) و(معاني الأخبار)، وغيرهما: بإسناد موثّق عن الحسن بن فضّال، عن أبيه، قال: «سألت الرضا عليه السلام فقلت له: لِمَ كنّي النبيّ صلّى الله عليه وآله بأبي القاسم؟ فقال: لأنّه كان له ابن يقال له القاسم فكنّي به، قال: فقلت: يا بن رسول الله، فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال: نعم، أما علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أب لجميع أمّته ؟ قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ عليّاً عليه السلام قاسم الجنّة والنّار؟ قلت: بلى، قال: فقيل له أبو القاسم لأنّه أبو قاسم الجنّة والنّار، فقلت له: وما معنى ذلك؟

فقال: إنّ شفقة الرسول ﷺ على أمّته شفقة الآباء على الأولاد، وأفضل أمّته عليّ عليه السلام، ومن بعده شفقة عليّ عليه السلام عليهم كشفقته ﷺ؛ لأنّه وصيّه وخليفته والإمام بعده، فلذلك قال ﷺ: أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة، وصعد النبيّ ﷺ المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً، فعليّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، وصار بذلك أوْلى بهم منهم بأنفسهم، فكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده، جرى له مثل ما جرى لرسول الله ﷺ».

وفي (الخصال): عن محمّد بن مسلم في الموثّق عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ لرسول الله ﷺ عشرة أسماء، خمسة منها في القرآن، وخمسة ليست في القرآن، فأمّا التي في القرآن: فمحمّد، وأحمد، وعبد الله، ويس، ونون، وأمّا التي ليست في القرآن: فالفاتح، والخاتم، والكاف، والمقفي، والحاشر».

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١]، قال: «هو النبيّ ﷺ، كان يتزمّل بثوبه وينام، وفي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، قال: تدثّر الرسول ﷺ».

وفي رواية أخرى معتبرة عن النبيّ ﷺ، قال: «إن الله خلقني وعليّاً من نور واحد، وشقّ لنا اسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد، والله الأعلى وهو العليّ».

وروى الصدوق في (الأمالي) في الصحيح عن الباقر عليه السلام، قال: «إنّ اسم رسول الله ﷺ في صحف إبراهيم عليه السلام: الماحي، وفي توراة موسى عليه السلام: الحادّ، وفي إنجيل عيسى عليه السلام: أحمد، وفي القرآن: [illegible]

قيل: فما تأويل الماحي؟ فقال: الماحي صورة الأصنام، ماحي الأوثان والأزلام، وكلّ معبود دون الرحمن، قيل: فما تأويل الحادّ؟ قال: يحادّ من حادّ الله ودينه، قريباً كان أو بعيداً، قيل: فما تأويل أحمد؟ قال: حسن ثناء الله عزّ وجلّ عليه في الكتب بما حمد من أفعاله، قيل: فما تأويل محمّد؟ قال: إنّ الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمدونه ويصلّون عليه، وإنّ اسمه لمكتوب على العرش: محمّد رسول الله» الحديث.

وروى الصفّار في (البصائر) بإسناد معتبر عن الكلبيّ، عن الصادق عليه السلام، قال: «كم لمحمّد اسم في القرآن؟، قال: قلت: اسمان أو ثلاث، فقال لي: يا كلبيّ، له عشرة أسماء: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١ - ٢]، ﴿يس ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس: ١-٤]، ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم: ١ - ٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾

[الطلاق: ١٠ - ١١]، فالذِّكر: اسم من أسماء محمّد ﷺ، ونحن أهل الذِّكر، فسل يا كلبيّ عمّا بدا لك، قال: فأنسيت والله القرآن كلّه فما حفظت منه حرفاً أسأله عنه».

استنبط ابن شهرآشوب في (المناقب) أربعمائة اسم للنبيّ ﷺ من القرآن واستشهد على ذلك بآيات قرآنية.

والمشهور أنّ اسمه في التوراة: مودمود، وفي الإنجيل: طاب طاب، وقيل: إنّ اسمه في الإنجيل: الفارقليطا، وهو الذي رأيناه في الإنجيل في هذا الزمان.

وأمّا الأسماء والألقاب التي استخرجها أكثر العلماء من القرآن غير ما ذكر سابقاً، فمثل: الشاهد، والشهيد، والمبشّر، والبشير، والنذير، والداعي، وسراج، ومنير، ورحمة للعالمين، ورسول الله، وخاتم النبيّين، ونبيّ، وأمّيّ، ونور ونعمة، ورؤوف، ورحيم، ومنذر، ومذكّر، وشمس، ونجم، وحم، وسماوتين.

أبو عبدالله الأنصاري

الفصل الثاني

في ابتداء نوره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم

روى الصدوق في (معاني الأخبار) بإسناده معتبر عن أبي ذرّ رحمه الله، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: خُلقت أنا وعليّ بن أبي طالب عليه السلام من نور واحد نسبّح الله يمنة العرش قبل أن خلق آدم بألفي عام، فلمّا أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنّة ونحن في صلبه، ولقد همّ بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النّار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزّ وجلّ من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطّلب، فقسمنا بنصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل عليّاً في صلب أبي طالب، وجعل فيَّ النبوّة والبركة، وجعل في عليّ الفصاحة والفروسيّة، وشقّ لنا اسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد، والله الأعلى وهذا عليّ».

(وفي رواية أخرى): «فأنا للنبوّة والرسالة، وعليّ للوصيّة والقضية».

وفي (معاني الأخيار) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: إنّ محمّداً وعليّاً كانا نوراً بين يدي الله جلّ جلاله قبل خلق الخلق بألفي عام، وإنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً وقد انشعب منه شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيّدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: هذا نور من نوري، أصله نبوّة، وفرعه إمامة، فأما النبوّة فلمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عبدي ورسولي. وأمّا الإمامة فلعليّ حجّتي ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي» الحديث.

وفي (الكافي): عن الصادق عليه السلام، قال: «قال الله تبارك وتعالى: «يا محمد إني خلقتك وعلياً نوراً» يعني روحاً بلا بدن - قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمّتها ثنتين، وقسّمت الثنتين ثنتين، فصارت أربعة: محمّد واحد، وعليّ واحد، والحسن والحسين اثنان، ثمّ خلق الله فاطمة من نورٍ ابتدأها روحاً بلا بدن، ثمّ سبّحنا بيمينه فأفضى نوره فينا».

وعن محمّد بن سنان بإسناد معتبر عن أبي جعفر الثاني الجواد عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته، ثمّ خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فلم يحلّوا ما يشاءون، ولم يحرّموا ما يشاءون، ولم يشاءوا إلاّ أن يشاء الله تبارك وتعالى».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر: عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في الفردوس لَعيناً أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، وأطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله عز وجل منها، وخلق شيعتنا منها، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا».

وعنه عليه السلام، قال: «سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خُلقت من نور الله عز وجل، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبّيهم من نورهم، وسائر الخلق في النار».

وفي كتاب (فضائل الشيعة) بإسناد معتبر عن أبي سعيد الخدري، قال: «كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلا من الملائكة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم إلاّ إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، أي من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش».

وفي (البصائر) بإسناد معتبر عن الباقر والصادق عليهما السلام قالا: «إنّ الله خلق محمّداً صلى الله عليه وآله من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنّه كان لطينته نضح، فجعل طينة أمير المؤمنين من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح، فجعل طينتنا من نضح طينة أمير المؤمنين، وكان لطينتنا نضح، فجعل طينة شيعتنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم، وهم خير لنا ورسول الله صلى الله عليه وآله لنا خير، ونحن له خير».

وروى الصدوق في (الإكمال) بإسناد معتبر عن الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «إنّ الله عز وجل خلق محمّداً وعليّاً والأئمّة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله عز وجل ويقدّسونه، وهم الأئمّة الهادية من آل محمّد أجمعين».

وعن المفضّل بإسناد معتبر، قال: قال الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا، فقيل له: يا بن رسول الله، ومَن الأربعة عشر؟ فقال: محمّد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمّة من ولد الحسين، آخرهم القائم عجّل الله فرجه، الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجّال ويطهّر الأرض من كلّ ظلم وجور».

وفي (العلل) و(البصائر) و(تفسير العيّاشي) بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأيّ شيء سبقت الأنبياء وفضّلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إنّي كنت أوّل من أقرّ بربّي جلّ جلاله، وأوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيّين ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فكنتُ أوّل نبيّ قال: بلى، فسبقتهم إلى الإقرار بالله عزّ وجلّ».

وفي (العلل) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه ثمّ قال لهم: من ربكم؟ فأوّل من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهو المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية، فقالوا: نعم ربّنا أقررنا، فقال الله جلّ جلاله للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]. ثمّ قال عليه السلام لداود الرقّي: يا داود، الأنبياء، مؤكّدة عليهم في الميثاق».

وروى الشيخ أبو الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني في كتابه المسمّى (كتاب الأنوار) في تأريخ ولادة سيّد الأنبياء الأبرار، بإسناده عن ابن عبّاس وغيره، قالوا: «لما أراد الله أن يخلق محمّداً ﷺ قال لملائكته: إنّي أريد أن أخلق خلقاً أفضّله وأشرّفه على الخلائق أجمعين، وأجعله سيّد الأوّلين والآخرين، وأشفّعه فيهم يوم الدين، فلولاه ما زخرفت الجنان، ولا سعّرت النيران، فاعرفوا محلّه وأكرموه لكرامتي وعظّموه لعظمتي.

فقالت الملائكة: إلهنا وسيّدنا، وما اعتراض العبيد على مولاهم، سمعنا وأطعنا، فعند ذلك أمر الله تعالى جبرئيل وملائكة الصفيح الأعلى وحملة العرش، فقبضوا تربة رسول الله ﷺ من موضع ضريحه وقضى أن يخلقه من التراب ويميته في التراب ويحشره على التراب، فقبضوا من تربة نفسه الطاهرة قبضة طاهرة لم تمش عليها قدم مشت إلى المعاصي، فعرج بها الأمين جبرئيل فغمسها في عين السلسبيل حتى نقيت كالدرّة البيضاء، فكانت تغمس كلّ يوم في نهر من أنهار الجنّة وتعرض على الملائكة فتشرق أنوارها فتستقبلها الملائكة بالتحيّة والإكرام، وكان يطوف بها جبرئيل عليه السلام في صفوف الملائكة، فإذا نظروا إليها قالوا: إلهنا وسيّدنا، إن أمرتنا بالسجود سجدنا، فقد اعترفت الملائكة بفضله وشرفه قبل خلق آدم عليه السلام».

وروي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «كان الله ولا شيء معه، فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد ﷺ قبل خلق الماء والعرش والكرسيّ والسماوات والأرض واللوح

والقلم والجنّة والنّار والملائكة وآدم وحوّاء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، فلمّا خلق الله تعالى نور نبيّنا محمّد ﷺ بقي ألف عام بين يدي الله عزّ وجلّ واقفاً يسبّحه ويحمده، والحقّ تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي، أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزّتي وجلالي، لولاك ما خلقت الأفلاك، مَن أحبّك أحببته، ومن أبغضك أبغضته، فتلألأ نوره، وارتفع شعاعه، فخلق الله منه اثني عشر حجاباً، أوّلها حجاب القدرة، ثم حجاب العظمة، ثم حجاب العزّة، ثم حجاب الهيبة، ثم حجاب الجبروت، ثم حجاب الرحمة، ثم حجاب النبوّة، ثم حجاب الكبرياء، ثمّ حجاب المنزلة، ثمّ حجاب الرفعة، ثمّ حجاب السعادة، ثمّ حجاب الشفاعة.

ثمّ إنّ الله تعالى أمر نور رسول الله ﷺ أن يدخل في حجاب القدرة، فدخل وهو يقول: سبحان العليّ الأعلى، وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام، ثمّ أمره أن يدخل في حجاب العظمة، فدخل وهو يقول: سبحان عالم السرّ وأخفى، أحد عشر ألف سنة، ثمّ دخل في حجاب العزّة وهو يقول: سبحان الملك المنّان، عشرة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الهيبة وهو يقول: سبحان من هو غنيٌّ لا يفتقر، تسعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الجبروت وهو يقول: سبحان الكريم الأكرم، ثمانية آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرحمة وهو يقول: سبحان ربّ العرش العظيم، سبعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب النبوّة وهو يقول: سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، ستّة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الكرامة وهو يقول: سبحان العظيم الأعظم، خمسة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب المنزلة وهو يقول: سبحان العظيم الكريم، أربعة آلاف عام، ثمّ دخل في حجاب الرفعة وهو يقول: سبحان ذي الملك والملكوت، ثلاثة آلاف عام، ثم دخل في حجاب السعادة وهو يقول: سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول، ألفي عام، ثمّ دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، ألف عام.

قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ثم إنّ الله تعالى خلق من نور محمّد ﷺ عشرين بحراً من نور، في كلّ بحر علوم لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ثمّ قال لنور محمّد ﷺ: انزل في بحر العزّ، فنزل، ثمّ في بحر الصبر، ثم في بحر الخشوع، ثم في بحر التواضع، ثم في بحر الرضا، ثم في بحر الوفاء، ثم في بحر الحلم، ثم في بحر التقى، ثم في بحر الخشية، ثم في بحر الإنابة، ثم في بحر العمل، ثم في بحر المزيد، ثم في بحر الهدى، ثم في بحر الصيانة، ثم في بحر الحياء حتى تقلّب في عشرين بحراً، فلمّا خرج من آخر الأبحر، قال الله تعالى: يا حبيبي، ويا سيّد رسلي، ويا أوّل مخلوقاتي، ويا آخر رسلي، أنت الشفيع يوم المحشر، فخرّ النور ساجداً، ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة،

فخلق الله تعالى من كلّ قطرة من نوره نبيّاً من الأنبياء، فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمّد ﷺ كما تطوف الحجّاج حول بيت الله الحرام، وهم يسبّحون الله ويحمدونه ويقولون: سبحان من هو عالم لا يجهل، سبحان من هو حليم لا يعجل، سبحان من هو غنيّ لا يفتقر، فناداهم الله تعالى: تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمّد ﷺ قبل الأنوار ونادى: أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك، ربّ الأرباب، وملك الملوك، فإذا بالنداء من قِبل الحقّ: أنت صفيّي، وأنت حبيبي وخير خلقي، أمّتك خير أمّة أخرجت للنّاس.

ثمّ خلق من نور محمّد ﷺ جوهرة وقسّمها قسمين، فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماءً عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسيّ من نور العرش، وخلق من نور الكرسيّ نور اللوح، وخلق من اللوح القلم، وقال له: اكتب توحيدي، فبقي القلم ألف عام سكران من كلام الله تعالى، فلمّا أفاق قال: اكتب، قال: يا ربّ، وما أكتب؟ قال: أكتب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، فلمّا سمع القلم اسم محمّد ﷺ خرّ ساجداً وقال: سبحان الواحد القهّار، سبحان العظيم الأعظم، ثمّ رفع رأسه من السجود وكتب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، ثم قال: يا ربّ، ومن محمّد الذي قرنت اسمه باسمك وذكره بذكرك؟ قال الله تعالى: يا قلم فلولاه ما خلقتك ولا خلقت خلقي إلا لأجله فهو بشير ونذير وسراج منير وشفيع وحبيب فعند ذلك انشقّ القلم من حلاوة ذكر محمّد ﷺ، ثم قال القلم: السلام عليك يا رسول الله، فقال الله تعالى: وعليك السلام منّي ورحمة الله وبركاته، فلأجل هذا صار السلام سنّة والردّ فريضة، ثم قال الله تعالى: اكتب قضائي وقدري وما أنا خالقه إلى يوم القيامة ثم خلق الله ملائكة يصلون على محمد وآل محمد ويستغفرون لأمته إلى يوم القيامة.

ثم خلق الله تعالى من نور محمّد ﷺ الجنّة وزيّنها بأربعة أشياء: التعظيم، والجلالة، والسخاء، والأمانة، وجعلها لأوليائه وأهل طاعته، ثم نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت، فخلق من دخّانها السماوات، ومن زبدها الأرضين، فلمّا خلق الله تبارك وتعالى الأرض صارت تموج بأهلها كالسفينة، فخلق الله الجبال فأرساها بها، ثم خلق ملكاً من أعظم ما يكون في القوة فدخل تحت الأرض ثم لم يكن لقدمي الملك قرار، فخلق الله صخرة عظيمة وجعلها تحت قدمي الملك، ثم لم يكن للصخرة قرار، فخلق لها ثوراً عظيماً لم يقدر أحد أن ينظر إليه لعظم خلقه وبريق عيونه حتى لو وضعت البحار كلّها في أحد منخريه ما كانت إلاّ كخردلة ملقاة في أرض فلاة، فدخل الثور تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه، واسم ذلك الثور: لهونا، ثم لم يكن لذلك الثور قرار، فخلق الله له حوتاً عظيماً، واسم ذلك الحوت: بهموت، فدخل الحوت تحت قدمي الثور، فاستقرّ الثور على ظهر الحوت،

فالأرض كلّها على كاهل الملك، والملك على الصخرة، والصخرة على الثور، والثور على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الهواء، والهواء على الظلمة.

ثم انقطع علم الخلائق بما تحت الظلمة، ثم خلق الله العرش من ضياءين: أحدهما الفضل، والثاني العدل، ثم أمر الضياءين فتنفّسا بنفسين، فخلق منهما أربعة أشياء: العقل، والحلم، والعلم، والسخاء، ثم خلق من العقل الخوف، وخلق من العلم الرضا، ومن الحلم المودّة، ومن السخاء المحبّة، ثم عجن هذه الأشياء في طينة محمّد ﷺ، ثم خلق من بعدهم أرواح المؤمنين من أمّة محمّد ﷺ، ثم خلق الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والضياء والظلام وسائر الملائمة من نور محمّد ﷺ فلمّا تكاملت الأنوار، سكن نور محمّد تحت العرش ثلاثة وسبعين ألف عام، ثم انتقل إلى الجنّة وبقي سبعين ألف عام، ثم انتقل إلى سدرة المنتهى فبقي سبعين ألف عام، ثم انتقل نوره إلى السماء السابعة، ثم إلى السماء السادسة، ثم إلى السماء الخامسة، ثم إلى السماء الرابعة، ثم إلى السماء الثالثة، ثم إلى السماء الثانية، ثم إلى السماء الدنيا، فبقي نوره في السماء الدنيا إلى أن أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أمر جبرئيل أن ينزل إلى الأرض، ويقبض منها قبضة، فنزل جبرئيل فسبقه اللعين إبليس فقال للأرض: إنّ الله تعالى يريد أن يخلق منك خلقاً ويعذّبه بالنّار، فإذا أتتك ملائكته فقولي: أعوذ بالله منكم أن تأخذوا منّي شيئاً يكون للنّار فيه نصيب، فجاءها جبرئيل عليه السلام فقالت: إنّي أعوذ بالذي أرسلك أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع جبرئيل ولم يأخذ منها شيئاً، يا ربّ، قد استعاذت بك منّي فرحمتها.

فبعث ميكائيل، فعاد كذلك، ثمّ أمر إسرافيل، فرجع كذلك، فبعث عزرائيل فقال: وأنا أعوذ بعزّة الله أن أعصي له أمراً، فقبض قبضة من أعلاها وأدونها، وأبيضها وأسودها وأحمرها، وأخشنها وأنعمها، فلذلك اختلفت أخلاقهم وألوانهم، فمنهم الأبيض والأسود والأصفر.

فقال له الله تعالى: ألم تتعوذ منك الأرض بي؟ فقال: نعم، لكن لم ألتفت له فيها، وطاعتك يا مولاي أوْلى من رحمتي لها، فقال له الله تعالى: لم لا رحمتها كما رحمها أصحابك؟ قال: طاعتك أوْلى، فقال: اعلم إني أريد أن أخلق منه خلقاً أنبياء وصالحين وغير ذلك وأجعلك القابض لأرواحهم فبكى عزرائيل، فقال له الحقّ تعالى: ما يبكيك؟ قال: إذا كنت كذلك كرهوني هؤلاء الخلائق، فقال: لا تخف إني أخلق لهم عللاً فينسبون الموت إلى تلك العلل.

ثم بعد ذلك أمر الله تعالى جبرئيل أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي كانت أصلاً، فأقبل جبرئيل ومعه الملائكة الكرّوبيّون والصافّون والمسبّحون فقبضوها من موضع ضريحه وهي البقعة

المضيئة المختارة من بقاع الأرض، فأخذها جبرئيل من ذلك المكان فعجنها بماء التسنيم، وماء التعظيم، وماء التكريم، وماء التكوين، وماء الرحمة، وماء الرضا، وماء العفو، فخلق من الهداية رأسه، ومن الشفقة صدره، ومن السخاء كفّيه، ومن الصبر فؤاده، ومن العفّة فرجه، ومن الشرف قدميه، ومن اليقين قلبه، ومن الطيب أنفاسه، ثم خلطها بطينة آدم عليه السلام، فلمّا خلق الله تعالى آدم، أوحى إلى الملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]، فحملت الملائكة جسد آدم عليه السلام ووضعوه على باب الجنّة، وهو جسد لا روح فيه، والملائكة ينتظرون متى يؤمرون بالسجود، وكان ذلك يوم الجمعة بعد الظهر.

ثم إنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلاّ إبليس (لعنه الله)، ثم خلق الله بعد ذلك الروح، فقال لها: ادخلي في هذا الجسم، فرأت الروح مدخلاً ضيّقاً فوقفت، فقال لها: ادخلي كرهاً واخرجي كرهاً، قال: فدخلت الروح في اليافوخ إلى العينين، فجعل ينظر إلى نفسه، فسمع تسبيح الملائكة.

فلمّا وصلت إلى الخياشيم عطس آدم عليه السلام، فأنطقه الله تعالى بالحمد، فقال: الحمد لله، وهي أوّل كلمة قالها آدم، فقال الحقّ تعالى: رحمك الله يا آدم، لهذا خلقتك، وهذا لك ولولدك إن قالوا مثل ما قلت، فلذلك صار تسميت العاطس سنّة، ولم يكن على إبليس أشدّ من تسميت العاطس.

ثم إنّ آدم عليه السلام فتح عينيه فرأى مكتوباً على العرش: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، فلمّا وصلت الروح إلى ساقه قبل أن تصل إلى قدميه، أراد أن يقوم، فلم يطق، فلذلك قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢].

وقال الصادق عليه السلام: «كانت الروح في رأس آدم عليه السلام مائة عام، وفي صدره مائة عام، وفي ظهره مائة عام، وفي فخذيه مائة عام، وفي ساقيه وقدميه مائة عام، فلمّا استوى آدم قائماً أمر الله الملائكة بالسجود، وكان ذلك بعد الظهر يوم الجمعة، فلم تزل في سجودها إلى العصر، فسمع آدم عليه السلام من ظهره نشيشاً كنشيش الطير، وتسبيحاً وتقديساً، فقال آدم عليه السلام: يا ربّ وما هذا؟ قال: يا آدم، هذا تسبيح محمّد العربيّ سيّد الأوّلين والآخرين.

ثم إنّ الله تبارك وتعالى خلق من ضلعه الأعوج حوّاء وقد أنامه الله تعالى، فلمّا انتبه رآها عند رأسه، فقال: من أنت؟ قالت: أنا حوّاء خلقني الله لك، قال: ما أحسن خلقتك، فأوحى الله إليه: هذه أمتي حوّاء، وأنت عبدي آدم، خلقتكما لدارٍ اسمها جنّتي، فسبّحاني واحمداني، يا آدم اخطب حوّاء منّي وادفع مهرها إليّ؟ فقال آدم: وما مهرها يا ربّ؟ قال: تصلّي على حبيبي محمّد وآله عشر مرّات، فقال آدم عليه السلام: جزاؤك يا ربّ على ذلك الحمد

والشكر ما بقيت، فتزوّجها على ذلك، وكان القاضي الحقّ، والعاقد جبرئيل، والزوجة حوّاء، والشهود الملائكة، فواصلها، وكانت الملائكة يقفون من وراء آدم، قال آدم: لأيّ شيء يا ربّ تقف الملائكة من ورائي؟ فقال له: لينظروا إلى نور ولدك محمّد ﷺ، قال: يا ربّ، اجعله أمامي حتى تستقبلني الملائكة، فجعله في جبهته، فكانت الملائكة تقف قدّامه صفوفاً، ثم سأل آدم عليه السلام ربّه أن يجعله في مكان يراه آدم، فجعله في الإصبع السبّابة، فكان نور محمّد ﷺ فيها، ونور عليّ في الإصبع الوسطى، وفاطمة عليها السلام في التي تليها، والحسن عليه السلام في الخنصر، والحسين عليه السلام في الإبهام، وكانت أنوارهم كغرة الشمس في قبة الفلك أو كالقمر في ليلة البدر. وكان آدم عليه السلام إذا أراد أن يغشى حوّاء يأمرها أن تتطيّب وتتطهّر، ويقول لها: يا حوّاء، الله يرزقك هذا النور، ويخصّك به، فهو وديعة الله وميثاقه، فلم يزل نور رسول الله ﷺ في غرّة آدم حتى حملت حوّاء بشيث، وكانت الملائكة يأتون حوّاء يهنّونها.

فلمّا وضعته نظرت بين عينيه إلى نور رسول الله ﷺ يشتعل اشتعالاً، ففرحت بذلك، وضرب جبرئيل بينها وبينه حجاباً من نور غلظه مقدار خمسمائة عام، فلم يزل محجوباً محبوساً حتى بلغ شيث مبالغ الرجال والنور يشرق في غرّته.

فلمّا علم آدم عليه السلام أنّ ولده شيث بلغ مبالغ الرجال قال له: يا بنيّ، إنّي مفارقك عن قريب فادن منّي حتى آخذ عليك العهد والميثاق كما أخذه الله عليَّ من قبلك، ثم رفع آدم رأسه نحو السَّماء، وقد علم الله ما أراد، فأمر الله الملائكة أن يمسكوا عن التسبيح ولفّت أجنحتها وأشرفت سكّان الجنان من غرفاتها، وسكن صرير أبوابها، وجريان أنهارها، وتصفيق أوراق أشجارها، وتطاولت لسماع ما يقول آدم عليه السلام، ونودي: يا آدم، قل ما أنت قائل.

فقال آدم: اللّهمّ ربّ القدم قبل النفس، ومنير القمر والشمس، خلقتني كيف شئت، وقد أودعتني هذا النور الذي أرى منه هذا الشرف والكرامة، وقد صار لولدي شيث، وإنّي أريد أن آخذ عليه العهد والميثاق كما أخذته عليَّ، اللّهمّ وأنت الشاهد عليه، وإذا بالنداء من قبل الله تعالى: يا آدم، خذ على ولدك شيث العهد، واشهد عليه جبرئيل وميكائيل والملائكة أجمعين.

قال: فأمر الله تعالى جبرئيل أن يهبط إلى الأرض في سبعين ألفاً من الملائكة بأيديهم ألوية الحمد وبيده حريرة بيضاء وقلم مكوّن من مشيّة الله ربّ العالمين، فأقبل جبرئيل على آدم عليه السلام وقال له: يا آدم، ربّك يقرئك السلام ويقول لك: اكتب على ولدك شيث كتاباً وأشهد عليه جبرئيل وميكائيل والملائكة أجمعين، فكتب الكتاب وأشهد عليه، وختمه جبرئيل بخاتمه ودفعه إلى شيث، وكسي عليه السلام قبل انصرافه حلّتين حمراوين أضوأ من نور الشمس

وأروق[١] من السماء لم يقطعا ولم يفصّلا، بل قال لهما الجليل: كونا، فكانتا، ثم تفرّقا، وقبل شيث العهد وألزمه نفسه، ولم يزل ذلك النور بين عينيه، حتى تزوّج المحاولة البيضاء، وكانت بطول حوّاء، واقترن إليها بخطبة جبرئيل عليه السلام، فلمّا وطئها حملت بأنوش.

فلمّا حملت به سمعت منادياً ينادي: هنيئاً لك يا بيضاء، لقد استودعك الله نور سيّد المرسلين، سيّد الأوّلين والآخرين، فلمّا ولدته أخذ عليه شيث العهد كما أخذ عليه، وانتقل إلى ولده، قينان، ومنه إلى مهلائيل، ومنه إلى أدَد، ومنه إلى خُنوخ، وهو إدريس عليه السلام، ثم أودعه إدريس ولده متوشلخ، وأخذ عليه العهد، ثم انتقل إلى مالك، ثم إلى نوح عليه السلام، ومن نوح إلى سام، ومن سام إلى ولده أرفخشذ، ثم إلى ولده عابر، ثم إلى قالع، ثم إلى أرغو، ومنه إلى شارغ، ومنه إلى ناخور، ثم انتقل إلى تارخ، ومنه إلى إبراهيم عليه السلام، ثم إلى إسماعيل، ثم إلى قيدار، ومنه إلى الهميسع، ثم انتقل إلى نبت، ثم إلى يشجب، ومنه إلى أدَد، ومنه إلى عدنان، ومنه إلى معد، ومنه إلى نزار، ومنه إلى مضر، ومن مضر إلى إلياس، ومن إلياس إلى مدركة، ومنه إلى خزيمة، ومنه إلى كنانة، ومن كنانة إلى قصيّ، ومن قصيّ إلى لُؤيّ، ومن لؤي إلى غالب، ومنه إلى فهر، ومن فهر إلى عبد مناف، ومن عبد مناف إلى هاشم، وإنّما سمّي هاشماً لأنّه هشم الثريد لقوم، وكان اسمه عمرو العلا.

كان نور رسول الله ﷺ في وجهه، إذا أقبل تضيء منه الكعبة، وتكتسي من نوره نوراً شعشعانيّاً، ويرتفع من وجهه نور إلى السماء، وخرج من بطن أمّه عاتكة بنت مرّة بن فالج بن ذكوان، وله ظفيرنان كظفيرتي إسماعيل، يتوقّد نورهما إلى السماء، فعجب أهل مكّة من ذلك، وسارت إليه قبائل العرب من كلّ جانب، ومجات منه الكهّان، ونطقت الأصنام بفضل النبيّ المختار، وكان هاشم لا يمرّ بحجر ولا مدر إلاّ ويناديه: أبشر يا هاشم، فإنّه سيظهر من ذرّيّتك أكرم الخلق على الله تعالى، وأشرف العالمين، محمّد خاتم النبيّين، وكان هاشم إذا مشى في الظلام أنارت منه الحنادس، ويرى من حوله كما يرى من ضوء المصباح.

فلمّا حضرت عبد مناف الوفاة أخذ العهد على هاشم أن يودع نور رسول الله ﷺ في الأرحام الزكيّة من النساء، فقبل هاشم العهد، وألزمه نفسه، وجعلت الملوك تتطاول إلى هاشم ليتزوّج منهم، ويبذلون له الأموال الجزيلة، وهو يأبى عليهم، وكان كلّ يوم يأتي الكعبة ويطوف بها سبعاً ويتعلّق بأستارها، وكان هاشم إذا قصده قاصد أكرمه، وكان يكسو العريان، ويطعم الجائع، ويفرّج عن المعسر، ويوفي عن المديون، ومن أصيب بدم رفع عنه، وكان بابه لا يغلق عن صادر ولا وارد، وإذا أولم وليمة أو اصطنع طعاماً لأحد وفضل منه شيء يأمر به

---

(١) أروق: أصفى وأنقى.

أن يلقى إلى الوحوش والطيور، حتى تحدّثوا به وبجوده في الآفاق، وسوّده أهل مكّة بأجمعهم وشرّفوه وعظّموه وسلّموا إليه مفاتيح الكعبة والسقاية والحجابة والرفادة ومصادر أمور النّاس ومواردها، وسلّموا إليه لواء نزار وقوس إسماعيل عليه السلام وقميص إبراهيم عليه السلام ونعل شيث وخاتم نوح.

فلمّا احتوى على ذلك كلّه ظهر فخره ومجده، وكان يقوم بالحاجّ ويرعاهم، ويتولّى أمورهم، ويكرمهم، ولا ينصرفون إلاّ شاكرين، وكان هاشم إذا أهلّ هلال ذي الحجّة يأمر النّاس بالاجتماع إلى الكعبة، فإذا اجتمعوا قام خطيباً ويقول:

معاشر النّاس، أنتم جيران الله وجيران بيته، وإنّه سيأتيكم في هذا الموسم زوّار بيت الله، وهم أضياف الله، والأضياف هم أوْلى بالكرامة، وقد خصّكم الله تعالى بهم وأكرمكم، وإنّه سيأتونكم شعثاً غبراً من كلّ فجّ عميق، ويقصدونكم من كلّ مكان سحيق، فاقروهم واحموهم وأكرموهم يكرمكم الله تعالى بهم، وكانت قريش تخرج المال الكثير من أموالهم، وكان هاشم ينصب أحواض الأديم، ويجعل فيها ماء من ماء زمزم، وعلى باقي الحياض من سائر الآبار بحيث يشرب الحاجّ، وكان من عادته أنّه يطعمهم قبل التروية بيوم، وكان يحمل لهم الطعام إلى منى وعرفة، وكان يثرد لهم اللحم والسمن والتمر ويسقيهم اللبن إلى حيث يصدر النّاس من منى، ثمّ يقطع عنهم الضيافة.

وبلغنا أنّه كان بأهل مكّة ضيق وجدب وغلاء، ولم يكن عندهم ما يزوّدون به الحاجّ، فبعث هاشم إلى نحو الشام أباعر فباعها واشترى بأثمانها كعكاً وزيتاً، ولم يترك عنده من ذلك قوت يوم واحد، بل بذل ذلك كلّه للحاجّ، فكفاهم جميعهم، وصدر النّاس يشكرونه في الآفاق، فبلغ خبره إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى قيصر ملك الروم فكاتبوه وراسلوه أن يهدوا له بناتهم رغبه في النور الذي في وجهه، وهو نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ رهبانهم وكهّانهم أعلموهم بأنّ ذلك النور نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيأبى هاشم عن ذلك، فتزوّج من نساء قومه ورزق منهنّ أولاداً، وكان أولاده الذكور: أسد ومضر وعمرو وصيفي. وأمّا البنات: فصفيّة ورقيّة وخلاّدة والشعثاء، فهذه جملة الذكور والإناث، ونور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غرّته لم يزل، فعظم ذلك عليه وكبر لديه، فلمّا كان في بعض الليالي، وقد طاف بالبيت سأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يكون فيه نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذه النعاس، فمال عن البيت ثمّ اضطجع، فأتاه آتٍ في منامه يقول: عليك بسلمى بنت عمرو، فإنّها طاهرة مطهّرة الأذيال، فخذها وادفع لها المهر الجزيل، فلن تجد لها مشبهاً من النساء، فإنّك ترزق منها ولداً يكون منه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فصاحبها ترشد واسع إلى أخذ الكريمة عاجلاً.

قال: فانتبه هاشم فزعاً مرعوباً، وأحضر بني عمّه وأخاه المطّلب، وأخبرهم بما رآه في

منامه، وبما قاله الهاتف، فقال له أخوه المطّلب: يا بن أمّ، إنّ المرأة لمعروفة في قومها، كبيرة في نفسها، قد كملت عفّةً واعتدالاً، وهي سلمى بنت عمرو بن لبيد بن حداث بن زيد بن عامر بن غنم بن مازن بن النجّار، وهم أقل الأضياف والعفاف، وأنت أشرف منهم حسباً، وأكرم منهم نسباً، قد تطاوت إليك الملوك والجبابرة، وإن شئت فنحن لك خطّاب، فقال لهم: الحاجة لا تقضى إلاّ بصاحبها، وقد جمعت فضلات وتجارة، وأريد أن أخرج إلى الشام للتجارة ولوصال هذه المرأة، فقال له أصحابه: نحن نفرح لفرحك، ونسرّ لسرورك، وننظر ما يكون من أمرك.

ثمّ إنّ هاشماً خرج للسفر وخرج معه أصحابه بأسلحتهم، وخرج معه العبيد يقودون الخيل والجمال، وعليها أحمال الأديم، وعند خروجه نادى في أهل مكّة، فخرجت معه السادات والأكابر، وخرج معه العبيد والنساء لتوديعه، فأمرهم بالرجوع، وسار هو وبنو عمّه وأخوه المطّلب إلى يثرب كالأسود، طالبين بني النجّار، فلمّا وصلوا المدينة أشرق بنور رسول الله ﷺ ذلك الوادي من غرّة هاشم حتى دخل جملة البيوت، فلمّا رآهم أهل يثرب بادروا إليهم مسرعين، وقالوا: من أنتم أيّها النّاس، فما رأينا أحسن منكم جمالاً، ولا سيّما صاحب هذا النور الساطع والضياء اللامع؟

قال لهم المطّلب: نحن أهل بيت الله، وسكّان حرم الله، نحن بني لؤي بن غالب، وهذا أخونا هاشم بن عبد مناف، وقد جئناكم خاطبين، وفيكم راغبين، وقد علمتم أنّ أخانا هذا خطبته الملوك والأكابر فما رغب إلاّ فيكم، ونحبّ أن ترشدونا إلى سلمى، وكان أبوها يسمع الخطّاب، فقال لهم: مرحباً بكم، أنتم أرباب الشرف والمفاخر، والعزّ والمآثر، والسادات الكرام، المطعمون الطعام، ونهاية الجود والإكرام، ولكم عندنا ما تطلبون، غير أنّ المرأة التي خرجتم لأجلها، وجئتم لها طالبين هي ابنتي وقرّة عيني، وهي مالكة نفسها، ومع ذلك أنّها خرجت بالأمس إلى سوق من أسواقنا مع نساء من قومها يقال له سوق بني قينقاع، فإن أقمتم عندنا فأنتم في العناية والكلاءة، وإن أردتم أن تسيروا إليها ففي الرعاية، ومن الخاطب لها والراغب فيها؟

قالوا: صاحب هذا النور الساطع والضياء اللامع، سراج بيت الله الحرام، ومصباح الظلام، الموصوف بالجود والإكرام، هاشم بن عبد مناف، صاحب رحلة الإيلاف، وذروة الأحقاف، فقال أبوها: بخٍ بخٍ، لقد علونا وفخرنا بخطبتكم، اعلموا يا من حضر أنّي قد رغبت في هذا الرجل أكثر من رغبته فينا، غير أنّي أخبركم أنّ أمري دون أمرها، وها أنا أسير معكم إليها، فانزلوا يا خير زوّار، ويا فخر بني نزار.

قال: فنزل هاشم وأخوه وأصحابه وحطّوا رحالهم ومتاعهم، وسبق أبوها عمرو إلى قومه،

ونحر لهم النحائر، وعقر لهم العقائر، وأصلح لهم الطعام، وخرجت لهم العبيد بالجفان، فأكل القوم منه حسب الحاجة، ولم يبق من أهل يثرب أحد إلاّ خرج ينظر إلى هاشم ونور وجهه، وخرج الأوس والخزرج والنّاس متعجّبين من ذلك النور، وخرج اليهود، فلمّا نظروا إليه عرفوه بالصفة التي وجدوها في التوراة والعلامات، فعظم ذلك عليهم، وبكوا بكاءً شديداً.

فقال بعض اليهود لحبر من أحبارهم: ما بكاؤكم؟ قال: من هذا الرجل الذي يظهر منه سفك الدماء، وقد جاءكم السفّاك الفتّاك الذي تقاتل معه الأملاك، المعروف في كتبكم بالماحي، وهذه أنواره قد ابتدرت. قال: فبكى اليهود من قوله وقالوا له: يا أبانا، فهل هذا الذي ذكرت نصل إلى قتله ونُكفى شرّه؟

فقال لهم: هيهات، حيل بينكم وبين ما تشتهون، وعجزتم عمّا تأملون، إنّ هذا هو المولود الذي ذكرت لكم، يقاتل معه الأملاك من الهواء، ويخاطب من السماء، ويقول: قال جبرئيل عن ربّ السماء، فقالوا: هذا تكون له هذه المنزلة؟ قال: أعزّ من الولد عند الوالد، فإنّه أكرم أهل الأرض على الله تعالى، وأكرم أهل السماوات، فقالوا: أيّها السيّد الكريم، نحن نسعى في إطفاء ضوء هذا المصباح قبل أن يتمكّن ويحدث علينا منه كلّ مكروه.

وأضمر القوم لهاشم العداوة، وكان بدو عداوة اليهود من ذلك اليوم لرسول الله ﷺ، فلمّا أصبح هاشم أمر أصحابه أن يلبسوا أفخر أثوابهم، وأن يظهروا زينتهم، فلبسوا ما كان عندهم من الثياب، وما قد أعدّوا للزينة والجمال، وأظهروا التيجان والجواشنوالدروع والبيض، فأقبلوا يريدون سوق بني قينقاع، وقد شدّوا لواء نزار على قناة، وأحاطوا بهاشم عن يمينه وعن شماله، ومشى قدّامه العبيد، وأبو سلمى معهم وأكابر قومه ومعهم جماعة من اليهود.

فلمّا أشرفوا على السوق، وكان يجتمع إليه النّاس من أقاصي البلاد وأقطارها وأهل الحضر وسكّانها، فنظر القوم إلى هاشم وأصحابه وتركوا معاشهم، وأقبلوا ينظرون إلى هاشم، ويتعجّبون من حسنه وكماله وجماله، وكان هاشم بين أصحابه كالبدر المنير بين الكواكب، وعليه السكينة والوقار، فأذهل بجماله أهل السوق، وجعلوا ينظرون إلى النور الذي بين عينيه، وكانت سلمى بنت عمرو واقفةً مع النّاس تنظر إلى هاشم وحسنه وجماله، وما عليه من الهيبة والوقار؛ إذ أقبل عليها أبوها وقال لها: يا سلمى، أبشّرك بما يسرّك ولا يضرّك، وكانت معجبة بنفسها من حسنها وجمالها.

فلمّا نظرت إلى هاشم وجماله نسيت حسنها وجمالها، وقالت: يا أبتِ، بما تبشّرني؟ قال: إنّ هذا الرجل إليك خاطب، وفيك راغب، وهو - يا سلمى - من أهل الكفاف والعفاف، والجود والأضياف، هاشم بن عبد مناف، وإنّه لم يخرج من الحرم لغير ذلك.

فلمّا سمعت سلمى كلام أبيها أعرضت عنه بوجهها، وأدركها الحياء، فأمسكت عن الكلام، ثمّ قالت: يا أبتِ، إنّ النساء يفتخرن على الرجال بالحسن والجمال، والقدر والكمال، فإذا كان زوج المرأة سيّداً من سادات العرب، وكان مليح المنظر والمخبر، فما أقول لك، وقد عرفت ما جرى بيني وبين أَحيحَة بن الجلاّح الأوسي وحيلتي عليه حتى خلعت نفسي منه لمّا علمت أنّه لم يكن من الكرام، وإنّ هذا الرجل يدلّ عظمته ونور وجهه على مروّته، وإحسانه يدلّ على فخره، فإن يكن القوم - كما ذكرت - قد خطبونا ورغبوا فينا، فإنّي فيهم راغبة، ولكن لا بدّ أن أطلب منهم المهر، ولا أصغّر نفسي، وسيكون لنا ولهم خطاب وجواب، وكان القول منها لحال أبيها؛ لأنّها لم تصدّق بذلك حتى نزل هاشم قريباً من السوق، واعتزل ناحية منه، فأقبل أهل السوق إليه مسرعين ينظرون إلى نوره حتى ضاع كثير من متاعهم ومعاشهم من نظرهم إليه، وقد نصبت له خيمة من الحرير الأحمر، ووضعت له سرادقات.

فلمّا دخل هاشم وأصحابه الخيمة تفرّق أهل السوق عنهم، وجعل يسأل بعضهم بعضاً عن أمر هاشم وقومه، وما أقدمهم عليهم من مكّة، فقيل: إنّه جاء خاطباً لسلمى، فحسدوها عليه، وكانت أجمل أهل زمانها، وأكملهم حسناً وجمالاً، وكانت جارية تامّة معتدلة، لها منظر ومخبر، كاملة الأوصاف، معتدلة الأطراف، سريعة الجواب، حسنة الآداب، عاقلة، ظريفة، عفيفة، لبيبة، طاهرة من الأدناس، فحسدوها كلّهم على هاشم حتى حسدها إبليس (لعنه الله)، وكان قد تصوّر لها في صورة شيخ كبير، وقال: يا سلمى، أنا من أصحاب هاشم، قد جئتك ناصحاً لك، اعلمي أنّ لصاحبنا هذا من الحسن والجمال ما رأيت، إلاّ أنّه رجل ملول للنساء، لا تقيم المرأة عنده أكثر من شهرين إذا أراد، وإلاّ فعشرة أيّام، وقد تزوّج نساء كثيرة، ومع ذلك إنّه جبان في الحروب، فقالت سلمى: إليك عنّي، فوالله! لو ملأ لي حصناً من المال ما قبلته، ولو ملأ لي حصون خيبر ذهباً وفضّة ما رغبت فيه لهذه الخصال التي ذكرت، ولقد كنت أحببته ورغبت فيه، وقد قلّت رغبتي فيه لهذه الخصال، اذهب عنّي، فانصرف عنها وتركها في همّها وغمّها.

ثمّ إنّ إبليس (لعنه الله) تصوّر لها بصورة أخرى، وزعم أنّه من أصحاب هاشم، وذكر لها مثل الأوّل، فقالت: أوَلست الذي أرسلت إليك أن لا يرسل إليَّ رسولاً بعد ذلك.

فسكت إبليس (لعنه الله) فقالت: إن أرسل رسولاً بعدك أمرت بضرب عنقه، فخرج إبليس فرحاً مسروراً، وقد ألقى في قلبها البغضة لهاشم، وظنّ أنّ هاشماً يرجع خائباً، فعند ذلك دخل عليها أبوها فوجدها في سكرتها وحيرتها، فقال: يا سلمى، ما الذي حلّ بك هذا اليوم، وهذا يوم سرورك!؟

فقالت: يا أبتِ، لا تزدني كلاماً، فقد فضحتني، وشهرت أمري، أردتَ أن تزوّجني رجلاً ملولاً للنساء، كثير الطلاق، جباناً في الحروب، فضحك أبوها وقال: يا سلمى، والله! ما لهذا الرجل شيءٌ من هذه الخصال الثلاث، وإنّ إلى كرمه الغاية، وإلى جوده النهاية، وإنّما سمّي هاشماً لأنّه أوّل من هشم الثريد لقومه، وأمّا قولك: كثير الطلاق، فإنّه ما طلّق امرأة قطّ، وأمّا قولك: جبان، فهو واحد أهل زمانه في الشجاعة، وإنّه لمعروف عند النّاس بالجواب والخطاب والصواب، فقالت: يا أبتِ، لو أنّه ما جاءني عنه إلاّ واحد كذّبته وقلت إنّه عدوٌّ له، وقد جاءني ثلاثة نفر كلّ واحد منهم يقول مثل مقالة الآخر فقال أبوها: ما رأينا منه رسولاً: ولا جاءنا منه خبر، وكان الشيطان يظهر لهم في ذلك الزمان ويأمرهم وينهاهم، وقد صحّ عندها ما قاله الرجيم، وهي تظنّ أنّه من بني آدم، وهاشم لا يعلم شيئاً من ذلك، وكان قد عوّل على خطبتها في غدٍ في جمع من قومه.

ثمّ إنّ سلمى خرجت في بعض حوائجها، وهي تحبّ أن تنظر إلى هاشم، فجمع الله بينهما في الطريق، فوقع في قلبها أمر عظيم من محبّته، وكان في ذلك الزمان لا تستحي النساء من الرجال، ولا يضرب بينهنّ حجاب، إلى أن بعث الله محمّداً ﷺ.

ونزل طائفة من اليهود من جهة خيمة هاشم، ولمّا اجتمعت سلمى بهاشم عرفته بالنور الذي في وجهه، وعرفها أيضاً هو، فقالت: يا هاشم، قد أحببتك وأردتك، فإذا كان غد فاخطبني من أبي، ولا يعزُّ عليك ما يطلب أبي منك، فإن لم تصله يدك ساعدتك عليه.

فلمّا أصبح تأهّب هاشم للقاء القوم فتزيّنوا بزينتهم، وإذا أهل سلمى قد قدموا، فقام من كان في الخيمة إجلالاً لهم، وجلس هاشم وأخوه وبنو عمّه في صدر الخيمة، فتطاولت القوم إلى هاشم فابتدأهم المطّلب بالكلام، وقال: يا أهل الشرف والإكرام، والفضل والإنعام، نحن وفد بيت الله الحرام، والمشاعر العظام، وإلينا سعت الأقدام، وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا، وما قد خصّنا الله به من النور الساطع، والضياء اللامع، ونحن بنو لؤيّ بن غالب، قد انتقل هذا النور إلى عبد مناف، ثمّ إلى أخينا هاشم، وهو معنا من آدم، إلى أن صار إلى هاشم، وقد ساقه الله إليكم، وأقدمه عليكم، فنحن لكريمتكم خاطبون، وفيكم راغبون. ثمّ أمسك عن الكلام، فقال عمرو أبو سلمى: لكم التحيّة والإكرام، والإجابة والإعظام، وقد قبلنا خطبتكم، وأجبنا دعوتكم، وأنتم تعرفون علّتنا، ولا يخفى عليكم أحوالنا، ولا بدّ من تقديم المهر كما كان سلفنا وآباؤنا، ولولا ذلك ما واجهناكم بشيء من ذلك. ولا قابلناكم به أبداً، فعند ذلك قال المطّلب: لكم عندي مائة ناقة سود الحدق، حمر الوبر، لم يعلها جمل، فبكى إبليس (لعنه الله)، وكان من جملة من حضر، وجلس عند أبي سلمى، وأشار إليه أن أطلب الزيادة، فقال أبو سلمى: معاشر السادات، ما هذا قدر ابنتنا عندكم.

فقال عبد المطّلب: ولكم ألف مثقال من الذهب الأحمر، فغمز إبليس (لعنه الله) أبا سلمى، وأشار إليه أن أطلب الزيادة، فقال: يا فتى، قصّرت في حقّنا فيما قلت، وأقللت فيما بذلت، فقال: ولكم عندنا حمل عنبر، وعشرة أثواب من قباطي مصر، وعشرة من أرض العراق، فقد أنصفناكم، فغمز إبليس (لعنه الله) أبا سلمى وأشار إليه أن أطلب الزيادة، فقال: يا فتى، قد قاربت وأجملت.

قال له المطّلب: ولكم خمس وصائف برسم الخدمة، فهل تريدون أكثر من ذلك؟ فأشار إليه إبليس (لعنه الله) أن أطلب الزيادة، فقال أبو سلمى: يا فتى، إنّ الذي بذلتموه لنا إليكم راجع، فقال المطّلب: ولكم عشر أواقٍ من المسك الأذفر، وخمسة أقداح من الكافور، فهل رضيتم أم لا؟ فهمّ إبليس أن يغمز أبا سلمى، فصاح به أبو سلمى وقال له: يا شيخ السوء، اخرج لقد جئت شيئاً نكراً، فوالله! لقد أخجلتني، فقال له المطّلب: اخرج يا شيخ السوء، فقام الشيطان وخرج وخرج اليهود معه.

ثمّ قال ارمون بن قيطون رئيس اليهود: يا قوم، إنّ هذا الشيخ - يعني إبليس (لعنه الله) - أحكم الحكماء، وهو معروف في بلادنا بالحكمة، وفي الشام والعراق، وبعد ذلك إنّنا ما نزوّج ابنتنا برجل غريب من غير بلدنا، فقامت اليهود وهم أربعمائة يهوديّ، وأهل الحرم أربعون سيّداً وجرّدوا سيوفهم، وقال هاشم لأصحابه: دونكم القوم، فهذا تأويل رؤياي، فقامت الصيحة فيهم، فوثب المطّلب على أرمون بن قيطون، ووثب هاشم على إبليس (لعنه الله)، فانحاز يريد الهرب، فأدركه هاشم وقبضه ورفعه وجلد به الأرض، فصرخ صرخة عظيمة لمّا غشاه نور رسول الله ﷺ وصار ريحاً، فالتفت هاشم إلى أخيه المطّلب فوجده قد قتل أرمون بن قيطون وقسمه نصفين، وقتل هاشم وأصحابه جمعاً كثيراً من اليهود، ووقعت الرجفة في المدينة، وخرج الرجال والنساء، وانهزم اليهود على وجوههم، ورجع أبو سلمى وقال لقومه: مزجتم الفرح بالترح، وما كان سبب الفتنة إلاّ من إبليس (لعنه الله)، فوضع السيف عن اليهود بعد أن قتل منهم اثنين وسبعين رجلاً، وكانت عداوة اليهود لرسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

ثمّ إنّ هاشماً قال لأصحابه: هذا تأويل رؤياي. فقال هاشم: يا معاشر اليهود، إنّما أغواكم الشيطان الرجيم، فانظروا إلى صاحبكم، فإن وجدتموه فاعلموا أنّه كما زعمتم حكيم من حكمائكم، وإن لم تجدوه فقد حيل بينكم وبينه، وظننتم أنّه من أحباركم، ما هو إلاّ الشيطان أغواكم.

ثمّ إنّ أبا سلمى عمد إلى إصلاح شأنه، ورجع القوم إلى أماكنهم وقد امتلأوا غيظاً على اليهود، فأقبل هاشم إلى منزله وأصلح الولائم، وأمر العبيد أن يحملوا الجفان المترعة باللبن

ولحوم الضأن والإبل، ثمّ إنّ عمراً مضى إلى ابنته وقال لها: إنّ الرجل الذي يقول لك إنّ هاشماً لجبان قد نطق بالمحال، والله! لولا أن أمسكه وأُلحف عليه[1] ما ترك من القوم واحداً، فقال: يا أبتِ، امض معهم على كلّ حال ولا ملامة للائم.

قال: فلمّا أكلوا ورفعوا أيديهم، قال لهم أبو سلمى: يا معاشر السادات، اصرفوا عن قلوبكم الغيظ وكلّ همّ، فنحن لكم وابنتنا هديّة، فقال المطّلب: لك ما ذكرناه وزيادة، ثمّ قال: يا أخي هاشم، أرضيت بما تكلّمت به عنك؟ قال: نعم، فعند ذلك تصافحوا، ومضى أبو سلمى وأخرج من كمّه دنانير ودراهم فنثر الدنانير على هاشم وأخيه المطّلب، ونثر الدراهم على أصحابه، ونثر عليهم ذرير المسك الأذفر والكافور والعنبر حتى غمر أطمارهم، ثمّ قال: يا هاشم، تحبّ الدخول على زوجتك هذه الليلة، أو تصبر لها حتى نصلح لها شأنها؟ قال: بل أصبر حتى تصلح شأنها، فعند ذلك أمر بتقديم مطاياهم، فركبوا وخرجوا.

ثمّ إنّ هاشماً دفع إلى أخيه المطّلب ما حضره من المال، وأمره أن يدفعه إلى سلمى، فلمّا جاءها المطّلب فرحت به وبذلك المال وقبلته، وقال: يا سيّد الحرم، وخير من مشى على قدم، سلّم على أخيك وقل له: ما الرغبة إلاّ فيك، فاحفظ منّا ما حفظنا منك - إلى أن قال: ثمّ أقام هاشم أيّاماً ودخل على زوجته سلمى في مدينة يثرب، وحضر عرسها الحاضر والبادي من جميع الآفاق، فلمّا دخل بها رأى ما يسّره من الحسن والجمال والهيبة والكمال.

ثمّ إنّ سلمى دفعت إليه جميع المال الذي دفعه إليها وزادته أضعافاً فلمّا واقعها حملت منه في ليلتها بعبد المطّلب جدّ رسول الله ﷺ، ولمّا انتقل النور الذي كان في وجهه إلى سلمى زادها حسناً وجمالاً وبهجةً وكمالاً، حتى شاع حسنها في الآفاق، وكان يناديها الشجر والحجر والمدر بالتحيّة والإكرام، وتسمع قائلاً يقول عن يمينها: السلام عليك يا خير البشر، ولم تزل تحدّث بما ترى حتى حذّرها هاشم، فكانت تكتم أمرها عن قومها حتى إذا كان ذات ليلة سمعت قائلاً يقول: لك البشر إذا أوتيتِ أكرم من مشى وخير النّاس من حضر وبدا، فلمّا سمعت ذلك لم تدع هاشماً يلامسها بعد ذلك.

ثمّ إنّ هاشماً أقام في المدينة أيّاماً حتى اشتهر حمل سلمى، فقال لها: يا سلمى، إنّي أودعتك الوديعة التي أودعها الله تعالى آدم، وأودعها آدم ولده شيئاً، ولم يزالوا يتوارثونها من واحد إلى واحد إلى أن وصلت إلينا، وشرّفنا الله بهذا النور، وقد أودعته إيّاك، وها أنا آخذ عليك العهد والميثاق بأن تقيه وتحفظيه، وإن أتيت به وأنا غائب عنك فليكن عندك بمنزلة الحدقة من العين، والروح بين الجنبين، وإن قدرت على أن لا تراه العيون فافعلي، فإنّ له

---

(١) الالحاف: هو الالحاح، أي لولا ما ألحَّ عليه.

حسّاداً وأضداداً، وأشدّ النّاس عليه اليهود، وقد رأيتِ ما جرى بيننا وبينهم يوم خطبتك، وإن لم أرجع من سفري هذا، أو سمعت أنّي قد هلكت، فليكن عندك محفوظاً مكرّماً إلى أن يترعرع، واحمليه إلى الحرم إلى عمومته في دار عزّه ونصرته، ثمّ قال لها: اسمعي واحفظي ما قلت لك، قالت: نعم قد سمعت وأطعت، ولقد أوجعتني بكلامك، فأنا أسأل الله العظيم أن يردّك سالماً.

ثمّ خرج هاشم وأخوه المطّلب وأصحابه، وأقبل عليهم وقال: يا بني أبي وعشيرتي من بني لؤيّ، إنّ الموت سبيل لا بدّ منه، وأنا غائب عنكم ولا أدري أنّي أرجع إليكم أم لا، وأنا أوصيكم: إيّاكم والتفرّق والشتات فتذهب حمّيتكم، وتقلّ قيمتكم، ويهون قدركم عند الملوك، ويطمع فيكم الطامع، فهل أنت يا أخي لما أقول لك سامع؟ وإنّي مخلّف فيكم، ومقدّم عليكم أخي المطّلب دون إخوتي، لأنّه من أبي وأمّي، وأعزّ الخلق عندي، وإن سمعتم وصيّتي وقدّمتوه وسلّمتم إليه مفاتيح الكعبة وسقاية الحاجّ ولواء نزار وكلّ ما كان من مكارم الأنبياء؛ سعدتم، وإنّي أوصيكم بولدي الذي اشتملت عليه سلمى، فإنّه سيكون له شأن عظيم، ولا تخالفوا قولي، قالوا: سمعنا واطعنا، غير أنّك كسرت قلوبنا بوصيّتك، وأزعجت أفئدتنا بقولك.

قال: ثمّ إنّ هاشماً سافر إلى غزّة الشام، فحضر موسمها، وباع أمتعته، واشترى ما كان يصلح له، واشترى لسلمى طرفاً وتحفاً، ثمّ إنّه تجهّز للسفر، فلمّا كانت الليلة التي عزم فيها على الرحيل طرقته حوادث الزمان، وأتته العلّة، فأصبح مثقلاً، وارتحل رفقاؤه وبقي هاشم وعبيده وأصحابه.

فقال لهم: إلحقوا بأصحابكم، فإنّي هالك لا محالة، فارجعوا إلى مكّة، وإن مررتم على يثرب فاقرؤوا زوجتي سلمى عنّي السلام، وأخبروها بخبري، وعزّوها شخصي، وأوصوها بولدي، فهو أكبر همّي، ولولاه ما نلت أمري، فبكى القوم بكاءً شديداً، وقالوا: ما نبرح عنك حتى ننظر ما يكون من أمرك، وأقاموا يومهم، فلمّا أصبحوا ترادفت عليه الأمراض، فقالوا له: كيف تجد نفسك؟ فقال: لا مقام لي معكم أكثر من يومي هذا، وغداً توسّدوني التراب، فبكى القوم بكاءً شديداً، وعلموا أنّه مفارق الدنيا، ولم يزالوا يشاهدونه حتى طلع الفجر الأوّل، فاشتدّ به الأمر، فقال لهم: أقعدوني وسنّدوني وآتوني بدواة وقرطاس، فأتوه بما طلب، وجعل يكتب وأصابعه ترتعد، فكتب:

باسمك اللّهمّ، هذا كتاب كتبه عبد ذليل جاءه أمر مولاه بالرحيل، أمّا بعد، فإنّي كتبت إليكم هذا الكتاب وروحي بالموت تجاذب؛ لأنّه لا لأحد من الموت مهرب، وإنّي قد أنفذت إليكم أموالي فتقاسموها بينكم بالسويّة، ولا تنسوا البعيدة عنكم التي أخذت نوركم، وحوت عزّكم، سلمى.

وأوصيكم بولدي الذي منها، وقولوا لخلاّدة وصفيّة ورقيّة يبكين عليّ ويندبنني ندب الثاكلات، ثمّ بلّغوا سلمى عنّي السلام، وقولوا لها: آه، ثمّ آه، إذ لم أتزوّد من قربها، والنظر إليها وإلى ولدها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته إلى يوم النشور.

ثمّ طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى أصحابه، وقال: أضجعوني، فأضجعوه، فشخص ببصره نحو السماء، ثمّ قال: رفقاً رفقاً أيّها الرسول بحقّ ما حمّلت من نور المصطفى، فكأنّه كان مصباحاً فانطفى. ثمّ لمّا مات جهّزوه ودفنوه، وقبره معروف هناك.

ثمّ عزم عبيده وغلمانه على الرحيل بأمواله، وسار القوم حتى أشرفوا على يثرب، فبكوا بكاءً شديداً ونادوا: واهشاماه، وأعزّاه، فخرج النّاس وخرجت سلمى وأبوها وعشيرتها، فنظروا وإذا بخيل هاشم قد جزّت نواصيها وشعورها وعبيده يبكون.

فلمّا سمعت سلمى بموت هاشم مزّقت أثوابها، ولطمت خدّها، وقالت: واهاشماه، مات والله لفقدك الكرم والعزّ من بعدك، يا هاشماه، يا نور عيني، مَن لولدك الذي لم تره عيناك! قال: فضجّ النّاس بالبكاء والنحيب، ثمّ إنّ سلمى أخذت سيفاً من سيوف هاشم وعطفت به على ركائبه وعقرتها عن آخرها، وحسبت ثمنها على نفسها، وقالت لوصيّ هاشم: اقرأ المطّلب عنّي السلام وقل له: إنّي على عهد أخيك، وإنّ الرجال بعده عليَّ حرام.

ثمّ إنّ العبيد والغلمان ساروا إلى مكّة، وقد سبقهم الناعي إلى أولاده، وعياله، فأكثر أهل مكّة البكاء والنحيب، وخرج الرجال، وخرجت نساء قريش منشّرات الشعور، مشقّقات الجيوب، وخرجت نساء بني عبد مناف، فبكى القوم عند ذلك، وفكّوا كتابه وقرأوه، فجدّدوا حزنهم، ثمّ قدّموا أخاه المطّلب وسوّدوه عليهم، فقال: إنّ أخي عبد شمس أكبر منّي وأحقّ بهذا الأمر، فقال عبد شمس: وأيم الله! إنّك خليفة أخي هاشم.

قال: فرضي أهل مكّة بذلك وسلّموا إليه لواء نزار، ومفاتيح الكعبة، والسقاية، والرفادة وقوس إسماعيل، ونعل شيث، وقميص إبراهيم، وخاتم نوح، وما كان في أيديهم من مكارم الأنبياء. وأقام المطّلب أيّاماً، فلمّا اشتدّ بسلمى الحمل وجاءها المخاض، وهي لا تجد ألماً سمعت هاتفاً يقول:

يا زينة النساء من بني النجّارِ ... بالله اسدلي عليه بالأستارِ
واحجبيه عن أعين النظّارِ ... كي تسعدي في جملة الأقطارِ

قال: فلمّا سمعت شعر الهاتف أغلقت بابها، وأسدلت سترها، وكتمت أمرها، فبينما هي تعالج نفسها إذ نظرت إلى حجاب من نور قد ضرب عليها من البيت إلى عنان السماء، وحبس الله عنها الشيطان الرجيم، فولدت شيبة الحمد، وقامت وتولّت أمرها، ولمّا وضعته سطع منه

نور شعشعاني، وكان ذلك النور نور رسول الله ﷺ، فضحك وتبسّم، فتعجّبت أمّه من ذلك، ثمّ نظرت إليه فإذا هي بشعرة بيضاء تلوح في رأسه، فقالت: نعم أنت شيبة كما سمّيت.

ثمّ إنّ سلمى أدرجته في ثوب من صوف وقمّطته وهيّأته ولم تعلم به أحداً من قومها حتى مضت له أيّام، وصارت تلاعبه ويهشّ إليها، فلمّا كمل له شهر علم النّاس، فأقبلت القوابل إليها فوجدوها تلاعبه، فلمّا صار له شهران مشى، ولم يكن على اليهود أشدّ منه وأكثر ضرراً، وكانوا إذا نظروا إليه امتلأوا غيظاً وحنقاً لما يعلمون ممّا سيظهر منه من تدميرهم، وخراب أوطانهم وديارهم، وقطع آثارهم، وكانت أمّه إذا ركبت ركب معها أبطال الأوس والخزرج، وكانت مطاعة بينهم، وكان إذا خرج يلعب، يقف النّاس حوله فرحين به دون أولادهم، وكانت أمّه لا تأمن عليه أحداً، فلمّا تمّ له سبع سنين اشتدّ حبله، وقوي بأسه، وتبيّن للناس فضله، وكان يحمل الشيء الثقيل ويأخذ الصبيّ ويصرعه ويهشم عظامه.

ثمّ إنّ رجلاً من بني الحارث دخل يثرب في حاجة له، فإذا هو بابن هاشم يلعب مع الصبيان قد غمرهم بنوره، فوقف الرجل ينظر إلى الصبيّ وهو يقول: ما أسعد من أنت في ديارهم ساكن، وكان يلعب وهو يقول:

أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن هاشم وكفى

فناداه الرجل: يا فتى، فأجاب وقال: ما تريد يا عمّ، قال: ما اسمك؟ قال: شيبة بن هاشم بن عبد مناف، مات أبي وجفاني عمومتي، وبقيت مع أمّي وأخوالي، فمن أين أقبلت يا عمّ؟ قال: من مكّة، قال: وهل أنت متحمّل لي رسالة ومتقلّد لي أمانة؟ قال الحارثي: وحقّ أبي وأبيك إنّي فاعل ما تأمرني به، قال: يا عمّ، إذا رجعت إلى بلدك سالماً ورأيت بني عبد مناف، فأقرئهم منّي السلام وقل لهم: إنّ معي رسالة غلام يتيم مات أبوه وجفاه عمومته، يا بني عبد مناف، ما أسرع ما نسيتم وصيّة هاشم، وضيّعتم نسله، وإذا هبّت الريح؛ تحمل روائحكم إليَّ.

قال: فبكى الرجل واستوى على مطيّته، وأرسل زمانها حتى قدم مكّة، فلم يكن له همّة إلاّ رسالة الغلام، ثمّ أتى مجلس بني عبد مناف، فوجدهم جلوساً، فأنعمهم صباحاً، وقال: يا أهل الفضل والأشراف، يا بني عبد مناف، أراكم قد غفلتكم عن عزّكم، وتركتم مصباحكم يستضيء به غيركم. قالوا: وما ذاك؟ فأخبرهم بوصيّة ابن أخيهم، فقالوا: وأيم الله! ما ظننا أنّه صار إلى هذا الأمر، فقال لهم الحارثي: وإنّه لتعجز الفصحاء عن فصاحته، ويعجز اللبيب عن خطابه، وإنّه لفصيح اللسان جري الجنان، يتحيّر في كلامه اللبيب، فائق على العلماء عاقل أديب، إلى عقله الكفاية، وإلى جماله النهاية، فقال عمّه المطّلب بن عبد مناف شعراً:

أقسمتُ بالسّلف الماضين من مضر وهاشمِ الفاضلِ المشهور في الأممِ
لأمضينّ إليه الآنَ مجتهِداً وأقطعَنّ إليه البيد في الظُّلَمِ

السيّد الماجد المشهور من مضرِ نور الأنام وأهل البيت والحرمِ

قال: وكان المطّلب أشدّ أهل زمانه بأساً في الشجاعة، فقال له أخوته: نخشى عليك إن علمت أمّه لم تدعه يخرج معك؛ لأنّها شرطت على أخيك ذلك، فقال: يا قوم، إنّ لي في ذلك أمراً أدبّره.

ثمّ إنّه تهيّأ للخروج، وأفرغ على نفسه لامة حربه، وركب مطيّته، وخرج وقد أخفى نفسه خوفاً أن يشعر به أحد، ثمّ أقبل يجدّ السير حتى أقبل على مدينة يثرب وقد ضيّق لثامه ودخل المدينة، فوجد شيبة يلعب مع صبيان، وعرفه بالنور الذي أودعه الله فيه، وكان قد رفع صخرة عظيمة وقال: أنا ابن هاشم المعروف بالعظائم.

فلمّا سمع عمّه كلامه أناخ مطيّته وناداه: ادن منّي يا بن أخي، فأسرع إليه شيبة وقال له: مَن أنت يا هذا، فقد مال قلبي إليك وأظنّك أحد عمومتي؟ فقال له: أنا عمّك المطّلب، وأسبل عبرته وجعل يقبّله، وقال: يا بن أخي، أحبّ أن تمضي معي إلى بلد أبيك وعمومتك وتكون في دار عزّك، فقال: نعم، فركب المطّلب وركب شيبة معه وسارا، فقال له شيبة: يا عمّ، أسرع بنا لأنّي أخشى أن تعلم بنا أمّي وعشيرتها فيلحقوا بنا فيأخذوني قهراً، أما علمت أنّه يركب لركوبها أبطال الأوس والخزرج! فقال له: يا بن أخي، في الله الكفاية، ثمّ سارا وركبا الجادة الكبرى حتى أدركهما المساء بذي الحليفة فنزلا وسقيا مطيّتهما، ثمّ إنّ المطّلب ركب مطيّته وأخذ ابن أخيه شبية قدّامه، وأرسل زمامها وسارا، فبينما هما كذلك إذ سمعا صهيل الخيل وقعقعة اللجم وهمهمة الرجال في جوف الليل.

فقال المطّلب: يا بن أخي، رؤينا وربّ الكعبة، فما نصنع؟ قال شيبة: ألم أقل لك أنّ القوم يلحقون بنا، فانحرف بنا عن الجادّة إلى الطريق السفلى.

قال المطّلب: وكيف يخفى أمرنا عليهم ونورك يدلّ علينا؟! قال: استر وجهي، فعسى أن يخفى أمرنا، قال: فأخذ المطّلب ثوباً وطواه ثلاث طيّات وستر به وجهه، وإذا بالنور علا من وجهه كما كان، فقال: يا بن أخي، إنّ لك شأناً عظيماً عند الله، فإنّ الذي أعطاك هذا النور يصرف عنّا كلّ محذور، قال: فبينا هو يخاطب ابن أخيه إذ أدركتهما الخيل، وكانوا من اليهود، فلمّا رأوا شيبة علموا أنّه هو الذي يخرج من ذرّيته من يسومهم سوء العذاب، ويكون خراب ديارهم على يديه، وقد بلغهم في ذلك اليوم أنّ شيبة قد خرج هو وعمّه ولا ثالث لهما، فأدركهم الطمع في قتله، فخرجوا وخرج معهم سيّد من سادات اليهود يقال له دحية، وكان له ولد يقال له لاطية، فخرج يوماً يلعب مع الصبيان، فأخذ شيبة عظم بعير وضرب به ابن دحية فهشم رأسه وشجّه شجّة موضحة وقال له: يا بن اليهوديّة، قد قرب أجلك، ودنا خراب دياركم، فبلغ الخبر إلى أبيه دحية فامتلأ غيظاً، فلمّا علم أنّه قد خرج مع عمّه نادى: يا معشر

اليهود، هذا الغلام الذي تخشونه قد خرج مع عمّه وما لهما ثالث، فأسرعوا إليه واقتلوه، فخرجوا وكان عددهم سبعين فارساً، فلحقوا بشيبة وعمّه.

فقال شيبة لعمّه: يا عمّ، أنزلني حتى أريك قدرة الله تعالى، فأنزله عمّه فقصده القوم، فجثا على الطريق وجعل يمرّغ وجهه في التراب ويدعو ويقول في دعائه: يا ربّ الظلام الغامر، والفلك الدائر، يا ربّ السبع الطباق، يا مقسّم الأرزاق، أسألك بحقّ الشفيع المشفّع، والنور المستودع، أن تردّ عنّا كيد أعدائنا، فما استتمّ دعاءه حتى كادت الخيل تهجم عليه، فوقفت الخيل.

فقال ابن دحية لاطية: يا بن هاشم، اصرف عنّا هذا الخطاب، وكثرة الجواب، فنحن لا نشكّ فيك يا بن عبد مناف، فأنتم السادات، اعلموا أنّا ما خرجنا طالبين كيدكم، ولكن خرجنا كي نردّك إلى أمّك، فلقد كنت مصباح بلدتنا، فقال شيبة: أراكم تنظرون إليَّ بعين مغضب، فكيف تكون في قلوبكم المحبّة لي، لكن لمّا رأيتم قدرة الله تعالى قلتم هذا الكلام، وتركهم وسار إلى عمّه، فقال له المطّلب: يا بن أخي، إنّ لك عند الله شأناً، ثمّ جعل يقبّله، وساروا وسار القوم راجعين، فقال لهم لاطية: ألم تعلموا أنّ هؤلاء معدن السحر؟ قالوا: بلى، قال: يا بني إسرائيل، يا أمّة الكليم، قد سحركم هذا الغلام وعمّه، فدعونا نترجّل، فأتبعوهم من ورائهم شاهرين سيوفهم وقصدوا شيبة، فلمّا قربوا قال له المطّلب: الآن قد حقّت الحقائق، وأخذ المطّلب قوسه، وكان قوس إسماعيل عليه السلام، وجعل فيها سهماً ورمى بها اليهود، فقتل بها عبد لاطية، فأتاه سيّده وقد مات، وقد أخذ أخرى ورمى بها فأصاب رجلاً آخر فقتله، فصاحوا بأجمعهم وهمّوا بالرجوع، فقال له لاطية: عار عليكم الرجوع عن اثنين، فإلى متى يصيبون منّا بنبلهم، فلا بدّ أن يفرغ نبلهم فنقتلهم، ولم يكن في القوم أشجع منه، وكان من خيبر، فعند ذلك حملوا عليهما حملة رجل واحد، وجاء لاطية إلى المطّلب، وقال له: قف لي أكلّمك بما فيه المصلحة ونرجع عنكم، قال شيبة: يا عمّ إنّ القوم قد عزموا علينا.

فقال المطّلب: يا معاشر اليهود، ليس فيكم شفيق ولا حبيب، والمقام له بين عمومته خير له، فانصرفوا راجعين، فقال لهم لاطية: كيف يرجع هذا الجمع خائباً ونحن قد خرجنا ومرادنا أن نردّه إلى أمّه، فقال لهم المطّلب: أنتم قوم ضالّون، لقد أكثرتم الكلام وأطلتم الملام، ثمّ قال المطّلب لشيبة: إنّما غرضي أن تمضي إلى عمومتك، فإن كنت تعرف من القوم الصدق فارجع معهم حتى تكبر وتبلغ مبلغ الرجال، ثمّ تعود إلى بلد عمومتك، قال: يا عمّ، لا يغرّنك كلامهم إنّهم أعداؤنا، قال عمّه: صدقت.

قال: ثمّ إنّ المطّلب قال لهم: يا حزب الشيطان، بنا تمكرون، وعلينا تحتالون، إنّما ساقكم إلينا آجالكم، فمن شاء منكم أن يبرز إلى القتال فليبرز، فلمّا سمعوا كلام المطّلب قال

لهم لاطية: أما تعلمون أنّ هذا فارس بني عبد مناف الذي يفرّق العرب، من يبرز إليه فله عندي مائة نخلة حاملة ليس فيها ذكر، فقال له رجل يقال له جميع، من بني قريظة، وكان للاطية عليه دين: أنت أبرز إليه واترك دينك عنّي، قال: نعم، ولك مثل ذلك، فاشهدوا يا من حضر، ثمّ خرج جميع إلى المطّلب وهو لا يعلم به حتى قرب منه، فقال له المطّلب: لا أشكّ بأنّه قد ساقك قصر أجلك، ثمّ ضربه بالسيف، فقال: خذها وأنا المطّلب بن عبد مناف، فمات من ساعته، فأقبل اليهود وأحاطوا به، فلمّا رأى لاطية ما حلّ بأصحابه غضب غضباً شديداً وقال: من يبرز إليه فله عندي ما يريد؟ فقال له غلام: ما لهذا البطل إلاّ بطل مثله، أبرز إليه أنت، قال: نعم، أنا أبرز إليه، وجرّد سيفه ودنا من المطّلب فتقاتلا من أوّل الليل حتى مضى من الليل أكثره، واليهود فرحون إذ برز لاطية للمطّلب، هذا وعينا شيبة تهملان دموعاً خوفاً على عمّه المطّلب، فبينما هم كذلك وإذا بغبرة قد ثارت كأنّها قطع الليل المظلم، وقد سدّت الأفق، وإذا بصهيل الخيل وقعقعة اللجم، واصطكاك الأسنّة، وإذا هم أربعمائة، وهم فرسان الأوس والخزرج قد أقبلوا من المدينة مع سلمى وأبيها، فلمّا نظرت إلى اليهود مجتمعين على حرب المطّلب صاحت بهم صيحة عظيمة، وقالت: يا ويلكم، ما هذا الفعال؟ فهمّ لاطية بالهزيمة.

فقال له المطّلب: إلى أين يا عدوّ الله، الفرار من الموت؟ ثمّ ضربه بالسيف على عاتقه فقسمه نصفين وعجّل الله بروحه إلى النّار وبئس القرار، وجالت الفرسان على اليهود، فما كان إلاّ قليلاً حتى باد جميع اليهود، فعند ذلك عطفوا على المطّلب والسيف مشهور في يده، وقد دفع الفرس إلى ابن أخيه، فلمّا جالت الكتائب خافت سلمى على والدها، فأومت إلى القوم - وكانت مطاعة فيهم - فأمسكوا عن القتال، فتقدّمت سلمى إلى المطّلب وقالت: من الهاجم على مرابط الأسد، والخاطف من اللبوة شبلها؟

قال المطّلب: هو من يزيده شرفاً على شرفه، وعزّاً إلى عزّه، وهو أشفق عليه منكم، وأنا أرجو أن يكون صاحب الحرم، والمتولّي على الأمم، وأنا عمّه المطّلب.

فلمّا سمعت كلامه قالت: مرحباً وأهلاً وسهلاً، ولِمَ لا تستأذنني في حملك ولدنا من بلدنا وأنا قد شرطت على أبيه إن رزقت منه ولداً يكون عندي ولا يفارقني؟ فقال لها المطّلب: كان ذلك.

ثمّ أقبلت على ولدها، وقالت: يا ولدي، خرجت مع عمّك وتركتني، والآن إن أردت أن ترجع معي فارجع، وإن اخترت عمّك فامض راشداً، فلمّا سمع كلام أمّه أطرق إلى الأرض، فقالت له أمّه: يا بنيّ، لِمَ تسكت وأنت طلق اللسان، وجريّ الجنان؟ فوحقّ أبيك، إنّي لا أمنعك عن شهوتك، وإن عزّ عليَّ فراقك يا ولدي، فرفع رأسه وقد سبقته العبرة فقال: يا أمّاه،

أخشى مخالفتك لأنّه محرّم عليَّ عصيانك، ولكن أحبّ مجاورة بيت ربّي، وأنظر إلى عمومتي وعشيرتي، فإن أمرتيني بالمسير سرت، وإلاّ رجعت، فعند ذلك بكت وقالت له: إذا كان كذلك فقد سمحت لك برضىً منّي، وقد كنت مستأنسة بغرّتك فلا تنسني ولا تقطع أخبارك عنّي، ثمّ قبّلته وودّعته، وقالت: يا بن عبد مناف، قد سلّمت إليك الوديعة التي قد استودعنيها أخوك هاشم بالعهد والميثاق، فاحتفظ بها، فإذا بلغ ولدي مبالغ الرجال، ولم أكن حاضرة، فانظروا بمن تزوّجونه.

فقال لها المطّلب: تكرّمت بما فعلت، وأجملت فيما وصفت، ونحن لا ننسى حقّك ما حيينا، ثمّ عطف عليها يودّعها، فقالت سلمى: خذوا من هذه الثياب والخيل ما تريدون، فشكرها المطّلب وأردف ابن أخيه وسارا حتى قربا من مكّة، فأضاءت شعابها، وأنارت الكعبة، فأقبل النّاس ينظرون إليه، وإذا هم بالمطّلب يحمل ابن أخيه، فسألوه عنه وقالوا: من هذا يا بن عبد مناف الذي قد أضاءت به البلاد؟ فقال لهم المطّلب: هذا عبد لي، فقالوا: ما أجمل هذا العبد، فسمّاه النّاس من ذلك اليوم عبد المطّلب. وأقبل إلى منزله، وكتم أمره، وقد عجب النّاس منه ومن نوره وهو لا يعلمون أنّه جدّ رسول الله ﷺ، ثمّ إنّه ظهرت له آيات ومعجزات ومناقب ودلالات تدلّ على النبوّة، وكانت قريش تتبرّك به، فإذا أصابتهم مصيبة، أو نزلت بهم نازلة، أو دهمهم طارق، أو نزل بهم قحط، توسّلوا بنور رسول الله ﷺ فيكشف الله عنهم ما نزل بهم، وقد ظهر من هذا النور المعجزات الباهرات والآيات الواضحات».

الفصل الثالث

في بيان تأريخ ولادة خاتم النبيّين وسيّد المرسلين صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين

قال المجلسي رحمه الله: «إعلم أنّه قد اتّفقت الإماميّة، إلاّ من شذّ منهم، على أنّ ولادته صلى الله عليه وآله كانت في سابع عشر شهر ربيع الأوّل، وذهب اكثر المخالفين إلى أنّها كانت في الثاني عشر منه، وذهب شاذّ من المخالفين إلى أنّه ولد في شهر رمضان؛ لأنّهم اتّفقوا على أنّ بدو الحمل به صلى الله عليه وآله كان في عشيّة عرفة، أو أواسط أيّام التشريق، واشتهر بينهم أنّ مدّة الحمل كانت تسعة أشهر، فيلزم أن تكون الولادة في شهر رمضان، وذهب شرذمة منهم إلى أنّ الولادة كانت في ثامن ربيع الأول».

وقال محمّد بن يعقوب الكليني في (الكافي): «ولد النبيّ صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل، يوم الجمعة مع الزوال».

وروي أيضاً: «عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أمّه في أيّام التشريق عند الجمرة الوسطى، وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطّلب، وولدته في شعب أبي طالب في دار محمّد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل، وقد أخرجت الخيزران[1] ذلك البيت فصيّرته مسجداً يصلّي النّاس فيه» ، انتهى كلامه رحمه الله.

وعليه إشكال مشهور أورده الشهيد الثاني رحمه الله وغيره، وهو: «إنّه يلزم على ما ذكره رحمه الله من كون الحمل في أيّام التشريق وولادته في ربيع الأوّل أن يكون مدّة حمله صلى الله عليه وآله، إمّا ثلاثة أشهر، أو سنة وثلاثة أشهر، مع أنّه قد اتّفق الأصحاب أنّه لا يكون الحمل أقلّ من ستّة أشهر ولا أكثر من سنة، ولم يذكر أحد من العلماء أنّ ذلك من خصائصه صلى الله عليه وآله».

والجواب: إنّ ذلك مبنيٌّ على النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهليّة، وقد نهى الله عنه، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، وقد أوضحنا الجواب مفصّلاً في كتابنا (مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار).

وفي كتاب (العدد القويّة)، قال: «الصحيح أنّه ولد صلى الله عليه وآله عند طلوع الفجر من يوم الجمعة

---

(١) الخيزران: زوجة المهدي العباسي، ووالدة الهادي والرشيد.

السابع عشر من ربيع الأوّل بعد خمسة وخمسين يوماً من هلاك أصحاب الفيل، أو بعد خمسة وأربعين يوماً، أو بعد ثلاثين يوماً.

وقيل: في اليوم الذي هلك فيه أصحاب الفيل، والأشهر أنّه في ذلك العام لا في ذلك اليوم.

وقال العامّة: يوم الاثنين الثامن أو العاشر من ربيع الأوّل لسبع بقين من ملك أنوشروان، ويقال: في ملك هرمز بن أنوشروان».

وذكر الطبري أنّ مولده كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان، وهو الصحيح، لما اشتهر عنه في قوله ﷺ: «ولدت في زمن الملك العادل».

وقيل: إنّه وافق من أشهر الروم العشرين من شباط.

وذكر جماعة من المؤرّخين وأرباب السير: إنّه كان في ساعة الولادة غفرة من منازل القمر طالعاً، وكان اليوم موافقاً للعشرين، أو للثامن والعشرين، أو للغرّة من نيسان الرومي، والسابع عشر ديماه بحساب الفرس.

وذكر أبو معشر البلخي من المنجّمين: إنّه كان طالع ولادته ﷺ الدرجة العشرين من الجدي، وكان زحل والمشتري في العقرب والمرّيخ في بيته في الحمل والشمس في الحمل في الشرف، والزهرة في الحوت في الشرف، وعطارد أيضاً في الحوت، والقمر في أوّل الميزان، والرأس في الجوزاء، والذنب في القوس، وكانت في الدار المعروفة بدار محمّد بن يوسف، وكانت للنبيّ ﷺ فوهبها لعقيل بن أبي طالب فباعها أولاده لمحمّد بن يوسف أخي الحجّاج، فأدخلها في داره، فلمّا كان زمن هارون أخذتها الخيزران أمّه فأخرجتها فجعلتها مسجداً، وهي الآن معروفة، تزار ويُصلّى فيها.

وقال ابن بابويه في كتاب النبوّة: إنّ الحمل بسيّدنا رسول الله ﷺ كان ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادي الآخرة.

وروى الصدوق في (الإكمال) و(الأمالي) بإسناد معتبر عن أبي طالب حدّث عن عبد المطّلب، قال: «بينما أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتني، فأتيت كاهنة قريش وعليَّ مطرف خز وجمّتي[1] تضرب منكبي، فلمّا نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغيّر فاستوت وأنا يومئذٍ سيّد قومي، فقالت: ما شأن سيّد العرب متغيّر اللون هل رابه من حدثان الدهر ريب؟

فقلت لها: بلى إنّي رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأنّ شجرة قد نبتت على ظهري قد نال

---

(١) الجمة: مجتمع شعر الرأس.

رأسها السماء، وضربت بأغصانها الشرق والغرب، ورأيت نوراً يزهر منها، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها، وهي كلّ يوم تزداد عظماً ونوراً، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شابّ من أحسن النّاس وجهاً، وأنظفهم ثياباً، فيأخذهم ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشاب وقال: مهلاً ليس لك منها نصيب، فقلت: لمن النصيب والشجرة منّي؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين قد تعلّقوا بها وسيعودون إليها، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغيّر اللون، فرأيت لون الكاهنة قد تغيّر. ثمّ قالت: لئن صدقت ليخرجنّ من صلبك ولد يملك الشرق والغرب، وينبّأ في النّاس، فتسرّى عنّي غمّي، فانظر أبا طالب لعلّك تكون أنت، وكان أبو طالب يحدّث بهذا الحديث والنبيّ ﷺ قد خرج ويقول: كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين».

أقول: وتعبير ذلك الشابّ أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب)، قال: قال المأمون للحكيم ايزدخواه ما شاء الله، لمّا صحّح عنده أحكاماً: لِمَ لا تؤمن بنبيّنا وأنت بهذا المحلّ من العلم والكياسة؟ فقال: كيف أؤمن وأصدّق كاذباً وأنا أعلن كذبه والنبيّ لا يكذب؟ فقال المأمون: كيف؟

قال: لقوله: أنا آخر نبيّ وخاتم الأنبياء، ولا يكون بعدي نبيّاً أحد، وهذا الذي قال في علمي كذب لا محالة؛ لأنّه ولد بالطالع الذي لو ولد فيه مولود لا ينبغي أن يكون نبيّاً، فظهر لي بهذا كذبه؛ إذ قال: «لا نبيّ بعدي»، فكيف أؤمن به وأصدّقه؟ فخجل المأمون من ذلك وتحيّر الفقهاء، فقال متكلّم حاضر: من هاهنا قلنا إنّه صادق وإنّه خاتم الأنبياء؛ لأنّ الحكماء كلّهم اجتمعوا على أنّ نجمه ﷺ كان المشتري وعطارد والزهرة والمرّيخ، ولا يولد بها ولد إلاّ ويموت من ساعته، وإن عاش فيموت لا محالة ولا يجاوز اليوم السابع، وهو قد عاش وبقي ثلاثاً وستّين سنة، فصحّ أنّه آية وقد أتى من المعجزات الباهرة بما لم يأت مثله أحد قبله ولا بعده، فأقرّ ايزدخواه وأسلم، فسُمّي: ما شاء الله الحكيم.

فمن نظر المشتري له العلم والحكمة والفطنة والرئاسة والسياسة، ومن نظر عطارد له اللطافة والظرافة والملاحة والفصاحة والحلاوة، ومن نظر الزهرة له الصباحة والهشاشة والبشاشة والحسن والطيب والجمال والبهاء، والغنج والدلال، ومن نظر المرّيخ له السيف والجلادة والقتال والقهر والغلبة والمحاربة، فجمع الله فيه جميع المدائح».

وقال بعض المنجّمين: «موالد الأنبياء السنبلة والميزان، وكان طالع النبي ﷺ الميزان».

وعنه ﷺ، قال: «ولدت بالسّماك» وفي حساب المنجّمين أنّه السّماك الرامح».

وروى الصدوق في (الإكمال) بإسناد معتبر عن ابن عبّاس، قال: «سمعت أبي العبّاس يحدّث، قال: ولد لعبد المطّلب عبد الله، فرأينا في وجهه نوراً يزهر كنور الشمس. فقال أبي: إنّ لهذا الغلام شأناً عظيماً، قال: فرأيت في منامي أنّه خرج من منخره طائر أبيض فطار فبلغ المشرق والمغرب، ثمّ رجع راجعاً حتى سقط على بيت الكعبة فسجدت له قريش كلّها، فبينما النّاس يتأمّلونه إذ صار نوراً بين السماء والأرض، وامتدّ حتى بلغ المغرب والمشرق، فلمّا انتبهت سألت كاهنة بني مخزوم فقالت: يا عبّاس، لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له، قال أبي: فأهمّني أمر عبد الله إلى أن تزوّج بآمنة، وكانت من أجمل نساء قريش، وأتمّهنّ خلقاً.

فلمّا مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله ﷺ أتيته فرأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته وتفرّست في وجهه فوجدت منه ريح المسك، وصرت وكأنّي قطعة مسك من شدّة ريحي، فحدّثتني آمنة وقالت لي: إنّه لما أخذني الطلق، واشتدّ بي الأمر سمعت جلبة - أي أصواتاً عظيمة - وكلاماً لا يشبه كلام الآدميّين، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنّها شعلة من نار نوراً، ورأيت حولي من القطا أمراً عظيماً وقد نشرت أجنحتها حولي، ورأيت شعيرة الأسديّة قد مرّت وهي تقول: آمنة ما لقيت الكهّان والأصنام من ولدك؟ ورأيت رجلاً شاباً من أتمّ النّاس طولاً، وأشدّهم بياضاً، وأحسنهم ثياباً، ما ظننته إلاّ عبد المطّلب، قد دنا منّي، فأخذ المولود فتفل في فيه، ومعه طشت من ذهب مضروب بالزمرّد، ومشط من ذهب، فشقّ بطنه شقّاً ثمّ أخرج قلبه فشقّه، فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها، ثمّ أخرج صرّة من حريرة خضراء ففتحتها، فإذا فيها كالذريرة البيضاء، فحشّاه، ثمّ ردّه إلى ما كان، ومسح على بطنه واستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال، إلاّ أنّه قال: في أمان الله وحفظه وكلاءته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً وحلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعةً، أنت خير البشر. طوبى لمن اتّبعك، وويل لمن تخلّف عنك، ثمّ أخرج صرّة أخرى من حريرة بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم، فضرب على كتفيه، ثمّ قال: أمرني ربّي أن أنفخ فيك من روح القدس، فنفخ فيه وألبسه قميصاً، وقال: هذا أمانك من آفات الدنيا، فهذا ما رأيت يا عبّاس بعيني.

قال العبّاس: وأنا يومئذٍ أقرأ، فكشفت عن ثوبه فإذا خاتم النبوّة بين كتفيه، فلم أزل أكتم شأنه، وأُنسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامي حتى ذكّرني رسول الله ﷺ.

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «كان إبليس (لعنه الله) يخترق السماوات السبع كلّها ويسترق السمع، فلمّا ولد عيسى بن مريم عليه السلام منع من ثلاث سماوات وصار يصل إلى أربعة منها، ولمّا ولد النبيّ ﷺ منع من الجميع ورميت

الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنّا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أميّة - وكان آخر من أزجر[١] أهل الجاهليّة -: انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رُمي بها فهو هلاك كلّ شيء، وإن كانت ثبتت ورُمي بغيرها فهو أمر حدث».

وأصبحت الأصنام كلّها صبيحة ولد النبيّ ﷺ ليس منها صنم إلاّ وهو منكبٌّ على وجهه، وارتجس[٢] في تلك الليلة ايوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشرة شرفة، وغاضت[٣] بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة[٤]، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبذان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء[٥]، وانتشر في تلك الليلة نور من قِبل الحجاز، ثمّ استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلاّ أصبح منكوساً، والملك مخرسًّا لا يتكلّم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلاّ حجبت عن صاحبتها، وعظمت قريش في العرب وسمّوا آل الله عزّ وجلّ.

قال الصادق عليه السلام: إنّما سمّوا آل الله لأنّهم في بيت الله الحرام.

وقالت آمنة: إنّ ابني - والله - سقط فاتّقى الأرض بيده، ثمّ رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثمّ خرج منّي نور أضاء كلّ شي، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنّك قد ولدت سيّد النّاس فسمّيه محمّداً، وأتي به عبد المطّلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه فوضعه في حجره، ثمّ قال:

الحمد الله الذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان

ثمّ عوّذه بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً.

قال: وصاح إبليس (لعنه الله) في أبالسته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفزعك يا

---

(١) الزجر: القيافة والكهانة.
(٢) ارتجس: اضطرب وتزلزل.
(٣) غاضت: قلّت مياها ونضبت.
(٤) السماوة: موضع بين الكوفة والشام.
(٥) قيل: إن كسرى كان سكر بعض دجلة وبنى عليها بناءً، فلعله لذلك وصفوا دجلة بالعوراء؛ لأنه عوَّر وطمَّ بعضها فانخرقت عليه وانهدم بنيانه.

سيّدنا؟ فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم عليه السلام، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثمّ اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس (لعنه الله): أنا لهذا الأمر، ثمّ انغمس في الدنيا فجالها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع، ثمّ صار مثل الصُّرّ - وهو العصفور - فدخل من قِبل حرّى - وهو جبل بمكّة معروف - فقال له جبرئيل: وراءك لعنك الله. فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: وُلد مُحمّد صلى الله عليه وآله، فقال له: هل لنا فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمّته؟ قال: نعم، قال: رضيت».

وروي أيضاً في (الإكمال) في حديثٍ قال فيه: عن آمنة أنّها قالت: «لمّا حملت برسول الله صلى الله عليه وآله لم أشعر بالحمل، ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، ورأيت في نومي كأنّ آتياً أتاني وقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلمّا حان وقت الولادة خفّ ذلك عليَّ حتى وضعته صلى الله عليه وآله وهو يتّقي الأرض بيده، وسمعت قائلاً يقول: وضعت خير البشر فعوّذيه بالواحد الصمد، من شرّ كلّ باغ وحاسد».

وفي رواية أخرى (في الخرائج) قال: قولي:

أعيذه بالواحد ... من شرّ كلّ حاسد
وكلّ خلقٍ مارد ... يأخذ بالمراصد
في طرق الموارد ... من قائم وقاعد

ونشأ رسول الله صلى الله عليه وآله في اليوم كما ينشأ غيره في الجمعة، وينشأ في الجمعة كما ينشأ غيره في الشهر.

وروى الصدوق في (الأمالي) عن ليث بن سعد، قال: «قلت لكعب، وهو عند معاوية: كيف تجدون صفة مولد النبيّ صلى الله عليه وآله، وهل تجدون لعترته فضلاً؟ فالتفت كعب إلى معاوية لينظر كيف هواه، فأجرى الله عزّ وجلّ على لسانه فقال: هات أبا إسحاق - رحمك الله - ما عندك.

فقال كعب: إنّي قد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلّها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال كلّها، ووجدت في كلّها ذكر مولده ومولد عترته، وإنّ اسمه لمعروف، وإنّه لم يولد نبيّ قطّ فنزلت عليه الملائكة ما خلا أحمد وعيسى، وما ضرب على آدميّة حجب الجنّة غير مريم وآمنة أمّ أحمد، وما وكّلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم أمّ المسيح وآمنة أمّ أحمد، وكان من علامة حمله أنّه لمّا كانت الليلة التي حملت آمنة به صلى الله عليه وآله نادى منادٍ في السماوات السبع: أبشروا، فقد حمل الليلة بأحمد، وفي الأرضين كذلك، حتى في البحور، وما بقي يومئذٍ في

الأرض دابّة تدبّ، ولا طائر يطير إلاّ علم بمولده، ولقد بني في الجنّة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوت أحمر، وسبعون ألف قصر من لؤلؤ رطب، فقيل: هذه قصور الولادة، ونجدّت[1] الجنان، وقيل لها: اهتزّي وتزيّني، فإنّ نبيّ أوليائك قد وُلد، فضحكت الجنّة يومئذٍ، فهي ضاحكة إلى يوم القيامة.

وبلغني أنّ حوتاً من حيتان البحر يقال له طموساً، وهو سيّد الحيتان، له سبعمائة ألف ذنب، يمشي على ظهره سبعمائة ألف ثور، الواحد منها أكبر من الدنيا، لكلّ ثور سبعمائة ألف قرن من زمرّد أخضر، لا يشعر بهنّ، اضطرب فرحاً بمولده ﷺ، ولولا أنّ الله تبارك وتعالى ثبّته لجعل عاليها سافلها، ولقد بلغني أنّه يومئذٍ ما بقي جبل إلاّ نادى صاحبه بالبشارة ويقول: لا إله إلاّ الله، ولقد خضعت الجبال كلّها لأبي قبيس كرامة لمحمّد ﷺ، ولقد قدّست الأشجار أربعين يوماً بأنواع أفنانها وثمارها فرحاً بمولده ﷺ، ولقد ضرب بين السماء والأرض سبعون عموداً من أنواع الأنوار، لا يشبه كلّ واحدٍ صاحبه، وقد بشّر آدم بمولده، فزاد في حسنه سبعين ضعفاً وكان قد وجد مرارة الموت، وكان قد مسّه ذلك فسرّي ذلك عنه.

ولقد بلغني أنّ الكوثر اضطرب في الجنّة واهتزّ ورمى بسبعمائة ألف قصر من قصور الدرّ والياقوت نثاراً لمولد محمّد ﷺ، ولقد زمّل إبليس وكبّل، وألقي في الحصن أربعين يوماً، وغرق عرشه أربعين يوماً، ولقد نكّست الأصنام كلّها وصاحت وولولت، ولقد سمعوا صوتاً من الكعبة: يا آل قريش، قد جاءكم البشير، قد جاءكم النذير معه عزّ الأبد، والربح الأكبر، وهو خاتم الأنبياء.

ونجد في الكتب أنّ عترته خير النّاس بعده، وأنّه لا يزال النّاس في أمان من العقاب ما دام من عترته في دار الدنيا خلق يمشي.

فقال معاوية: يا أبا إسحاق، ومن عترته؟ قال كعب: ولد فاطمة، فعبّس وجهه، وعضّ على شفتيه، وأخذ يعبث بلحيته، فقال كعب: وإنّا نجد صفة الفرخين المستشهدَين، وهما فرخا فاطمة، يقتلهما شرّ البريّة، قال: فمن يقتلهما؟ قال: رجل من قريش، فقام معاوية وقال: قوموا إن شئتم، فقمنا».

وفي معاني (الأخبار) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ فاطمة بنت أسد (رحمها الله) جاءت إلى أبي طالب رحمه الله تبشّره بمولد النبيّ ﷺ، فقال لها أبو طالب: اصبري لي سبتاً آتيك بمثله، إلاّ النبوّة، وقال: السبت ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله ﷺ وبين أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة».

---

(١) أي زُيّنت.

وروى الشيخ والكليني بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى وضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: ما لكما، من أي شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشّرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنّك ستلدين غلاماً يكون وصيّ هذا المولود».

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: «عقّ أبو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم السابع، ودعا آل أبي طالب، فقالوا: ما هذه؟ فقال: هذه عقيقة أحمد، قالوا: لأيّ شيء سمّيته أحمد؟ قال: سمّيته أحمد لمحمدة أهل السماء والأرض».

وروى الكليني والشيخ بأسانيد معتبرة عن الباقر والصادق عليهما السلام، قال: «لمّا ولد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جاء رجل من أهل الكتاب إلى ملأ من قريش فيهم هاشم بن المغيرة والوليد بن المغيرة والعاص بن هشام وأبو وجزة بن أبي عمرو بن أميّة وعتبة بن ربيعة، فقال: أولد فيكم مولود الليلة؟ فقالوا: لا، قال: فولد إذاً بفلسطين غلام اسمه أحمد، به شامة كلون الخزّ الأدكن، ويكون هلاك أهل الكتاب واليهود على يديه، قد أخطأكم - والله- يا معشر قريش، فتفرّقوا وسألوا فأخبروا أنّه قد ولد لعبد الله بن عبد المطّلب غلام، فطلبوا الرجل فلقوه، فقالوا: إنّه قد ولد فينا - والله - غلام؟ قال: قبل أن أقول لكم أو بعد ما قلت لكم؟ قالوا: قبل أن تقول لنا، قال: فانطلقوا بنا إليه حتى ننظر إليه، فجاءوا إلى أمّه.

فقالت: إنّ ابني - والله - لقد سقط وما سقط كما يسقط الصبيان، لقد اتّقى الأرض بيديه، ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثمّ خرج منه نور حتى نظرت إلى قصور بصرى، وسمعت هاتفاً في الجوّ يقول: لقد ولدتيه سيّد الأمّة، فإذا وضعتيه قولي:

أعيذه بالواحد من شرّ كلّ حاسد

وسمّيه محمّداً، قال الرجل: فأخرجه فنظر إليه، ثمّ قلّبه ونظر إلى الشامة بين كتفيه، فخرّ مغشيّاً عليه، فأخذوا الغلام فادخلوه إلى أمّه، وقالوا: بارك الله لك فيه، فلمّا خرجوا أفاق، فقالوا له: ما لَك ويلك؟ قال: ذهبت نبوّة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا - والله - من يبيرهم، ففرحت قريش بذلك، فلمّا رآهم قد فرحوا قال: فرحتم أما والله ليسطونّ بكم سطوة يتحدّث بها أهل المشرق والمغرب».

وروى ابن شهرآشوب وصاحب كتاب (الأنوار) وغيرهما عن آمنة رضي الله عنها **أنّها قالت**: «لمّا قربت ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أصابتني دهشة عظيمة، ففزعت من ذلك، فإذا قد دخل عليَّ طير أبيض ومسح بجناحه على بطني، فزال عنّي ما كنت أجده من الخوف، فبينما أنا كذلك إذ دخل

علَيَّ نسوان طوال يفوح منهنّ رائحة المسك والعنبر، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام الآدميّين، وبأيديهنّ أكواب من البلّور الأبيض، قالت آمنة: فقلن لي: اشربي يا آمنة من هذا الشراب، فلمّا شربت أضاء نور وجهي، وعلاه نور ساطع وضياء لامع، ثمّ قلن: يا آمنة، اشربي من هذا الشراب وابشري بسيّد الأوّلين والآخرين محمّد المصطفى.

ثمّ قمن النسوة وخرجن، فإذا بأثواب من الديباج قد نشرت بين السماء والأرض، وقائل يقول: خذوه من أعزّ النّاس، ورأيت رجالاً وقوفاً في الهواء بأيديهم أباريق، ورأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوتة قد ضرب بين السماء والأرض في ظهر الكعبة، فخرج رسول الله ﷺ.

فلمّا سقط إلى الأرض سجد تلقاء الكعبة رافعاً يديه إلى السماء كالمتضرّع إلى ربّه، ورأيت سحابة بيضاء تنزل من السماء حتى غشيته، فسمعت نداءً: طوفوا بمحمّد شرق الأرض وغربها، والبحار لتعرفوه باسمه ونعته وصورته، ثمّ انجلت عنه الغمامة، فإذا أنا به في ثوب أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب، وقائل يقول: قبض محمّد ﷺ على مفاتيح النصرة والربح والنبوّة، ثمّ أقبلت سحابة أخرى فغيّبته عن وجهي أطول من المرّة الأولى، وسمعت نداءً: طوفوا بمحمّد الشرق والغرب، واعرضوه على روحاني الجنّ والإنس والطير والسباع، وأعطوه صفاء آدم، ورقّة نوح، وخلّة إبراهيم، ولسان إسماعيل، وجمال يوسف، وبشرى يعقوب، وصوت داود، وزهد يحيى، وكرم عيسى، ثمّ انكشفت عنه فإذا أنا به وبيده حريرة بيضاء قد طويت طيّاً شديداً، وقد قبض عليها وقائل يقول: قد قبض محمّد ﷺ على الدنيا كلّها، لم يبق شيء إلاّ دخل في قبضته.

ثمّ رأيت ثلاثة نفر كأنّ الشمس تطلع من وجوههم في يد أحدهم إبريق فضّة ونافجة مسك، وفي يد الثاني طشت من زمردة خضراء لها أربعة جوانب، من كلّ جانب لؤلؤة بيضاء، وقائل يقول: هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله، فقبض على وسطها، وقائل يقول: قبض الكعبة، وفي يد الثالث حريرة بيضاء مطويّة، فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين فيه، فغسل بذلك الماء من الإبريق سبع مرّات، ثمّ ضرب الخاتم على كتفيه، وتفل في فيه، فاستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال، إلاّ أنّه قال: في أمان الله وحفظه وكلاءته قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً ويقيناً وعقلاً وشجاعة. أنت خير البشر، طوبى لمن أتّبعك، وويل لمن تخلّف عنك، ثمّ أدخل بين أجنحتهم ساعة، وكان الذي فعل هذا به رضوان، ثمّ انصرف وجعل يلتفت إليه ويقول: ابشر يا عزّ الدنيا والآخرة، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنّها شعلة نار، ورأيت حولي من القطا أمراً عظيماً قد نشرت أجنحتها».

وفي (المناقب) أيضاً بإسناد معتبر عن عبد المطّلب، قال: «لمّا انتصف تلك الليلة إذا أنا ببيت الله قد اشتمل بجوانبه الأربعة وخرّ ساجداً في مقام إبراهيم، ثمّ استوى البيت منادياً: الله أكبر، ربّ محمّد المصطفى، الآن قد طهّرني ربّي من أنجاس المشركين وأرجاس الكافرين، ثمّ انتقضت الأصنام وخرّت على وجوهها، وإذا أنا بطير الأرض حاشرة إليها، وإذا جبال مكّة مشرفة عليها، وإذا بسحابة بيضاء بإزاء حجرتها.

فأتيت آمنة وقلت: أنا نائم أو يقظان؟ قالت: بل يقظان، قلت: فأين نور جبهتك؟ قالت: قد وضعته وهذه الطير تنازعني أن أدفعه إليها فتحمله إلى أعشاشها، وهذه السحاب تظلّني، لذلك قلت: فهاتيه أنظر إليه؟ قالت: حيل بينك وبينه إلى ثلاثة أيّام، فسللت سيفي وقلت: لتخرجيه أو لأقتلنّك؟

قالت: شأنك وإيّاه، فلمّا هممت أن ألج البيت بدر إليَّ من داخل البيت رجل وقال لي: ارجع وراءك فلا سبيل لأحد من ولد آدم إلى رؤيته أو أن تنقضي زيارة الملائكة، فارتعدت وخرجت».

وروى أيضاً، قال: «ولد النبيّ ﷺ مختوناً مسروراً، فحكى ذلك عند جدّه عبد المطّلب فقال: ليكوننّ لابني هذا شأن».

وروى أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «لمّا ولد رسول الله ﷺ ألقيت الأصنام في الكعبة على وجوهها، فلمّا أمسى سمع صيحة من السماء: جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً».

وورد أنّه أضاءت تلك الليلة جميع الدنيا، وضحك كلّ حجر ومدر وشجر، وسبّح كلّ شيء في السماوات والأرض لله عزّ وجلّ، وانهزم الشيطان وهو يقول: خير الأمم، وخير الخلق، وأكرم العبيد، وأعظم العالم محمّد ﷺ.

وروى الطبرسي رحمه الله في (الاحتجاج) عن موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث - قال: «سقط النبيّ ﷺ من بطن أمّه واضعاً يده اليسرى على الأرض ورافعاً يده اليمنى إلى السماء ويحرّك شفتيه بالتوحيد، وبدا من فيه نور رأى أهل مكّة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطخر وما يليها، وقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبيّ ﷺ حتى فزعت الجنّ والإنس والشياطين، وقالوا: يحدث في الأرض حدث.

ولقد رؤيت الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل وتسبّح وتقدّس، وتضطرب النجوم، وتتساقط علامات لميلاده ﷺ. ولقد همّ إبليس بالطعن في السماء لمّا رأى من الأعاجيب في تلك

الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة والشياطين يسترقون السمع، فلمّا رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلّها ورموا بالشهب دلالة لنبوّته ﷺ».

وروى الصدوق في (الإكمال) وغيره، قال: «لمّا كانت ليلة وُلد رسول الله ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك ألف سنة، ورأى الموبذان - وهم أعلم علماء الفرس - إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها.

فلمّا أصبح كسرى هاله ما رأى، فتصبّر عليها تشجّعاً، ثمّ رأى أن يُسِرَّ ذلك إلى بعض وزرائه، فلبس تاجه وجلس على سريره وجمعهم فأخبرهم بما رأى، فبينما هم كذلك، إذ ورد عليهم كتاب بخمود النّار، فازدادوا غمّاً، فقال الموبذان: وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت في هذه الليلة، ثمّ قصّ عليه رؤياه في الإبل والخيل، فقال: أي شيء يكون هذا يا موبذان - وكان أعلمهم في أنفسهم - ؟ قال: حادث يكون في ناحية العرب، فكتب عند ذلك: من كسرى الملك إلى النعمان بن المنذر: أمّا بعد.. فوجّه إليَّ برجل عالم بما أريد أن أساله عنه، فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بقيلة الغسّاني، فلمّا قدم عليه قال: عندك علم ما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليسألني الملك ويَخبرني، فإن كان عندي علم منه وإلاّ أخبرته بمن يعلمه، فأخبره بما رأى، فقال: علم ذلك كلّه عند خال لي يسكن بمشارف الشأم يقال له سطيح، قال: فأته فاسأله وأخبرني بما يرد عليك، فخرج عبد المسيح حتى ورد على سطيح وقد أشرف على الموت، فسلّم عليه وحيّاه، فلم يردّ عليه سطيح جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف[1] اليمن ... أم فاز فأزلم[2] به شأو[3] العنن
يا فاصل[4] الخطّة أعيت من ومن[5] ... وكاشف الكربة في الوجه الغضن[6]
أتاك شيخ الحيّ من آل سنن ... وأمّه من آل ذئب بن حجن
أزرق ضخم الناب صرّار الأذن ... أبيض فضفاض الرداء[7] والبدن

---

(١) الغطريف: السيد.
(٢) فاز: أي مات. ازلم: أي ذهب مسرعاً.
(٣) الشأو: السبق والغلبة.
(٤) فاصل الخطة: أي مبين الخطب والحال منه.
(٥) من ومن: أي جماعة كبيرة.
(٦) الوجه الغضن: الذي فيه تكسر من شدة الهم والكرب.
(٧) الفضفاض: الواسع.

رسول قَيل العجم[١] يسري للوسن[٢] لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرض علنداة شجن[٣] ترفعني طوراً وتهوى بي دجن[٤]
حتى أتى عاري الجئاجي والقطن[٥] تلفّه في الريح بوغاءالدمن[٦]

فلمّا سمع سطيح شعره فتح عينه فقال: عبد المسيح على جمل يسيح إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح[٧] بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، وغاضت بحيرة ساوة، فقل يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة[٨]، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكلّ ما هو آت آت، ثمّ قضى سطيح مكانه فنهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

شمّر فإنّك ماضي العزم شمّير لا يفزعنّك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم فإنّ ذا الدهر أطوار دهارير
وربّما كان قد أضحوا بمنزلة تهاب صولهم الأسد المهاصير
فيهم أخو الصرح بهرام وإخوته والهرمزان وسابور وسابور
والنّاس أولاد علاّت فمن علموا إن قد أقلّ فمحقور ومهجور
وهم بنو الأمّ أم أن رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشرّ مقرونان في قرن والخير متّبع والشرّ محذور

قال: فلمّا قدم على كسرى أخبره بما قال سطيح، فقال: إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور، قال: فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون إلى إمارة عثمان، وكان سطيح ولد في سيل العرم، فعاش إلى ملك ذي نواس وذلك أكثر من ثلاثين قرناً.

وفي (الخرائج) أنّه سئل ابن عبّاس: أنّك تذكر سطيحاً، وتزعم أنّ الله خلقه ولم يخلق من ولد آدم شيئاً يشبهه، قال: نعم، إنّ الله خلق سطيحاً الغسّاني لحماً على وضم، وكان يحمل

---

(١) القيل: - بالفتح -: الملك.
(٢) للوسن: أي لأجل الرؤية التي رآها الملك.
(٣) العلنداة: الناقة الصلبة القوية. الشجن: الناقة المتداخلة الخلق.
(٤) الدجنة: الظلمة.
(٥) الجئاجي: جمع جؤجؤ الصدر. القطن: ما بين الوركين.
(٦) البوغاء: التراب الناعم. الدمن: ما تجمع وتلبّد من التراب.
(٧) الضريح: القبر.
(٨) أي تلاوة القرآن الكريم.

على وضم ويؤتي به حيث يشاء ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلاّ الجمجمة والعنق، وكان يطوي من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب، ولم يكن يتحرّك منه شيء سوى لسانه، فلمّا أراد الخروج إلى مكّة حمل على وضمة فأتي به مكّة فخرج إليه أربعة من قريش فقالوا: أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك، فأخبرنا عمّا يكون في زماننا، وما يكون من بعد؟

قال: يا معشر العرب، لا علم عندكم ولا فهم، ولينشأنّ من بعدكم قوم يطلبون أنواع العلم، يكسرون الصنم ويقتلون العجم ويطلبون الغنم، قالوا: يا سطيح، مَن يكونون أولئك؟ قال: والبيت ذي الأركان لينشأنّ من عقبكم ولدان يوحّدون الرحمن، ويتركون عبادة الشيطان، قالوا: فمن نسل مَن يكونون أولئك؟ قال: أشرف الأشراف من عبد مناف، قالوا: من أي بلدة يخرج؟ قال: والباقي في الأبد ليخرجنّ من ذي البلد يهدي إلى الرشد يعبد ربّاً انفرد».

وروى السيّد ابن طاووس رحمه الله في نجم بإسناده، عن وهب بن منبّه، قال: «كان من حديث كسرى أنّه سكّر دجلة العوراء، وأنفق عليها من الأموال ما لا يدرى ما هو، وكان طاق مجلسه قد بُنيَ بنياناً لم يرَ مثله، وكان يعلّق به تاجه، ويجلس فيه إذا جلس للنّاس، وكان عنده ستّون وثلثمائة رجل من العلماء بين كاهن وساحر ومنجّم، قال: وكان فيهم رجل من العرب يقال له السايب، يقتاف اقتياف العرب قلّ ما يخطئ، بعثه إليه باذان حاكم اليمن من اليمن، وكان كسرى إذا أحزنه أمر جمع كهّانه وسحرته ومنجّميه وقال: انظروا في هذا الأمر ما هو، فلمّا أن بعث الله نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أصبح كسرى ذات غداة، وقد انقضّت طاق ملكه من وسطها، وانخرقت عليه دجلة العوراء، فلمّا رأى ذلك حزنه، وقال: انقضّت طاق ملكي من وسطها من غير ثقل، وانخرقت دجلة العوراء (شاه بشكست) يعني ملكي انكسر وانقضى، ثمّ دعا بكهّانه وسحّاره ومنجّميه ودعا السايب معهم، وقال: انقضّت طاق ملكي من غير ثقل، وانخرقت دجلة العوراء (شاه شكست) انظروا في هذا الأمر ما هو؟ فخرجوا من عنده فنظروا في أمره، فاخذ عليهم بأقطار السماء، وأظلمت عليهم الأرض، وتسكّعوا[1] في علمهم فلا يمضي لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا يستقيم لمنجّم علم نجومه، وبات السايب في ليلته ظلّ على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل الحجاز، ثمّ استطار حتى بلغ المشرق، فلمّا أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه، فإذا روضة خضراء فقال فيما يقتاف: لئن صدق ليخرجنّ من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله، فلمّا خلص الكهّان والمنجّمون بعضهم إلى بعض، ورأوا ما قد أصابهم، ورأى السايب ما قد رأى، قال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما حيل بينكم وبين علمكم، إلاّ لأمر جاء من السماء،

---

(١) أي تحيّروا.

وأنّه لنبيّ قد بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره، ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنّكم، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه حتى تؤخّروه عنكم إلى أمد ما شاع.

فجاءوا إلى كسرى وقالوا: قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسابك الذي وضعت به طاق ملكك وسكّرت دجلة العوراء وضعوه على النحوس، فلمّا اختلف عليهم الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها، فذلك كلّ وضع عليها، وإنّا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول، قال: فاحسبوا، فحسبوا له، ثمّ قالوا له: ابنِ، فبنى، فعمل في دجلة ثمانية أشهر، وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو، حتى إذا فرغ قال لهم: اجلس على سورها؟ قالوا: نعم، فأمر بالبسط والفرش والرياحين فوضعت عليها، وأمر بالمرازبة[١]، فجمعوا إليه النقابين، ثمّ خرج حتى جلس عليها، فبينا هو هناك إذا انتسفت دجلة بالبنيان من تحته، فلم يخرج إلاّ بآخر رمق، فلمّا أخرجوه جمع كهّانه وسحرته ومنجّميه فقتل منهم قريباً من مائة، وقال نمّيتكم[٢] وأدنيتكم دون النّاس، فأجريت عليكم أرزاقي وتلعبون بي؟! فقالوا: أيّها الملك، أخطأنا كما أخطأ من قبلنا، ولكنّا سنحسب حساباً فنبيّنه حتى تضعها على الوفاق من السعود، قال: انظروا ما تقولون؟ قالوا: فإنّا نفعل، قال: فاحسبوا، فحسبوا ثمّ قالوا له: ابنِ، فبنى، فأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو، ثمانية أشهر، فلما فرغوا قال: إذن أخرج وأقعد عليها؟ قالوا: نعم، فهاب الجلوس عليها وركب برذونه، وخرج يسير عليها، فبينا هو يسير إذ انتسفت دجلة بالبنيان، فلم يدرك إلاّ بآخر رمق، فدعاهم، فقال: والله! لآتينّ على آخركم، ولأنزعنّ أكتافكم، ولأرمينّكم تحت أيدي الفيلة، أو لتصدقّني ما هذا الأمر، تلفقّون عليَّ؟! فقالوا: لا نكذبنّك أيّها الملك، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة، وانقضّت عليك طاق مجلسك من غير ثقل أن ننظر في علمنا، فأظلمت علينا أقطار السماء، فتردّد علمنا في أيدينا فلا يستقيم لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا لمنجّم علم نجومه، فعرفنا أنّ هذا الأمر حدث من السماء، وأنّه قد بعث نبيّ أو هو مبعوث، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا، فحسبنا إن نعينا إليك ملكك أن تقتلنا، فكرهنا من الموت ما يكره النّاس فعلّلناك عن أنفسنا بما رأيت، قال: ويحكم فهلاّ يكون بيّنتم لي هذا، فأرى فيه رأيي؟ قالوا: منعنا من ذلك ما تخوّفنا منك، فتركهم ولها عن دجلة حين غلبته».

---

(١) المرازبة: قادة الجيش والرؤوساء.

(٢) أي رفعتكم.

الفصل الرابع

في بيان وصيّة النبي ﷺ وسائر الوقائع التي اتّفقت قبيل ارتحاله إلى عالم البقاء

روى الشيخ المفيد في (الإرشاد)، والشيخ الطبرسي في (إعلام الورى) قالا: «ثمّ كان ممّا أكّد النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام من الفضل وتخصيصه منه بجليل رتبته ما تلا حجّة الوداع من الأمور المجدّدة لرسول الله ﷺ، والأحداث التي اتّفقت بقضاء الله وقدره؛ وذلك أنّه ﷺ تحقّق من دنوّ أجله ما كان قدّم الذكر به لأمّته، فجعل عليه السلام يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده، والخلاف عليه، ويؤكّد وصايتهم بالتمسّك بسنّته والإجماع عليها، والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته، والطاعة لهم، والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد، وكان فيما ذكره عليه السلام من ذلك ما جاءت به الرواية على اتّفاق واجتماع قوله: يا أيّها النّاس، إنّي فرطكم، وأنتم واردون عليَّ الحوض، ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألته في ذلك فأعطانيه، ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ولا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم.

أيّها النّاس، لا ألفينّكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كبحر السيل الجرّار، ألا وإنَّ عليّ بن أبي طالب أخي، ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، وكان ﷺ يقوم مجلساً بعد مجلس بهذا الكلام ونحوه، ثمّ إنّه عقد لأسامة بن زيد بن الحارثة الإمرة وأمّره وندبه أن يخرج بجمهور الأمّة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه عليه السلام على إخراج جماعة من مقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته ﷺ من يختلف في الرئاسة، ويطمع في التقدّم على النّاس بالإمارة ويستتبّ الأمر لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقّه منازع، فعقد له الإمرة على ما ذكرناه، وجدّ ﷺ في إخراجهم، وأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف، وحثّ النّاس على الخروج معه والمسير، وحذّرهم من التلوّم والإبطاء عنه، فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفّي فيها، فلمّا أحسّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيد عليّ عليه السلام وأتبعه جماعة من النّاس، وتوجّه إلى البقيع، فقال للذي أتبعه: إنّني قد

أمرت بالاستغفار لأهل البقيع، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم، وقال: السلام عليكم أهل القبور، ليهنكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه النّاس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أوّلها آخرها، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً، وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام كان يعرض عليَّ القرآن في كلّ سنة مرّة، وقد عرضه عليَّ العام مرّتين، ولا أراه إلاّ لحضور أجلي.

ثمّ قال: يا عليّ إنّي خيّرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها والجنّة، فاخترت لقاء ربّي والجنّة، فإذا أنا متُّ فاستر عورتي، فإنّه لا يراها أحد إلاّ أكمه، ثمّ عاد إلى منزله، فمكث ثلاثة أيّام موعوكاً، ثمّ خرج إلى المسجد معصوب الرأس، معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام بيمنى يديه، وعلى الفضل بن العبّاس باليد الأخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه.

ثمّ قال: معاشر النّاس، قد حان منّي خفوق من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إيّاها، ومن كان له عليَّ دين فليخبرني به.

معاشر النّاس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف عنه به شرّاً إلاّ العمل. أيّها النّاس، لا يدّع مدعٍ، ولا يتمنّ، متمنّ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا ينجي إلاّ عمل مع رحمة ربّي، ولو عصيت لهويت. اللهمّ هل بلّغت، ثمّ نزل فصلّى بالنّاس صلاة خفيفة، ثمّ دخل بيته، وكان إذا ذاك بيت أمّ سلمة رضي الله عنها، فأقام به يوماً أو يومين، فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله، وسألت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك، فأذن لها، فانتقل إلى البيت الذي تسكنه عائشة، واستمرّ المرض به أيّاماً وثقل، فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله صلى الله عليه وآله مغمور بالمرض، فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأوذن رسول صلى الله عليه وآله بندائه.

فقال: يصلّي بالنّاس بعضهم، فإنّي مشغول بنفسي، فقالت عائشة: مروا أبا بكر، وقالت حفصة: مروا عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين سمع كلامهما، ورأى حرص كلّ واحدة منهما على التنويه بأبيها، وافتتانهما بذلك ورسول الله حيّ: اكففن، فإنّكنّ صويحبات يوسف.

ثمّ قام صلى الله عليه وآله مبادراً خوفاً من تقدّم أحد الرجلين، وقد كان أمرهما بالخروج مع أسامة، ولم يكن عنده أنّهما قد تخلّفا، فلمّا سمع من عائشة، وحفصة ما سمع علم أنّهما متأخّران عن أمره، فبدر صلى الله عليه وآله لكفّ الفتنة، وإزالة الشبهة، فقام صلى الله عليه وآله، وأنّه لا يستقلّ على الأرض من الضعف، فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن العبّاس، فاعتمد عليهما ورجلاه يخطّان الأرض من الضعف، فلمّا خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب، فأومأ إليه بيده أن تأخر عنه، فتأخّر أبو بكر وقام رسول الله صلى الله عليه وآله مقامه، فقام وكبّر وابتدأ بالصلاة التي كان ابتدأها أبو بكر ولم يبن على ما مضى من فعاله، فلمّا سلّم انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة من حضر المسجد من المسلمين.

ثمّ قال: ألم آمر أن تنفذوا جيش أسامة؟ فقالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: فلِمَ تأخّرتم عن أمري؟

قال أبو بكر: إنّي خرجت ثمّ رجعت لأجدّد بك عهداً، وقال عمر: يا رسول الله، إنّي لم أخرج لأنّني لم أحبّ أن أسأل عنك الركب.

فقال النبيّ ﷺ: نفذوا جيش أسامة، نفذوا جيش أسامة، يكرّرها ثلاث مرّات، ثمّ أغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف، فمكث هنيئة مغمىً عليه وبكى المسلمون، وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر، فأفاق رسول الله ﷺ، فنظر إليهم، ثمّ قال: ائتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، ثمّ أغمي عليه.

فقام من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال له عمر: ارجع، فإنّه يهجر، فرجع وندم من حضر على ما كان منهم من التضجيع[1] في إحضار الدواة والكتف، وتلاوموا بينهم، وقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ، فلمّا أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله؟

فقال: أبعد الذي قلتم! لا ولكنّي أوصيكم بأهل بيتي خيراً، وأعرض بوجهه عن القوم، فنهضوا».

أقول: خبر طلب رسول الله ﷺ الدواة والكتف، ومنع عمر من ذلك مع اختلاف ألفاظه، متواتر بالمعنى، وقد رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، وابن بطّة والطبري وغيرهم.

ورووا عن ابن عبّاس أنّه كان يقول: «يوم الخميس وما يوم الخميس، ثمّ بكى حتى بلّ دمعه الحصى، فسُئل، فقال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: هجر رسول الله».

وفي رواية مسلم والطبري، قالوا: «إنّ رسول الله يهجر».

وفي وراية البخاري ومسلم أنّه قال عمر: «النبيّ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل ذلك البيت، واختصموا، منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول: القول ما قال عمر، فلمّا كثر اللغط والاختلاف عند النبيّ ﷺ قال: قوموا، فكان ابن عبّاس يقول: الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم».

---

(١) التضجيع في الأمر: التقصير فيه.

أقول: فانظر أيّها العاقل إلى هذا الحديث الذي روته العامّة في صحاحهم، فكفى به كفراً وعناداً، وكفى به لمن اتّخذه خليفة وإماماً ضلالاً وجهلاً، فإنّ رسول الله ﷺ إذا أرد أن يوصي بوصيّة وكتاب فيه صلاح جميع الأمّة، وعدم هلاكها باختلافها، كيف يجوز نقض ذلك، والمنع منه، ونسبته إلى الهذيان والهجر، وتسميته بالرجل مع أنّ الله تعالى لم يسمّه في القرآن إلاّ بأحسن أسمائه وألقابه، كطه ويس والبشير والنذير والمدثّر والمزمّل ونحو ذلك، ويقول في شأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، ففي ذلك عبرة لمن اعتبر، وتبصرة لمن تبصّر.

وروى السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب (الطرائف) عن موسى بن جعفر عليه السلام: «إنّ النبيّ ﷺ لمّا ثقل في مرضه دعا عليّاً عليه السلام، فوضع رأسه في حجره وأغمي عليه، وحضرت الصلاة، فأوذن بها، فخرجت عائشة فقالت: يا عمر، اخرج فصلِّ بالنّاس، فقال: أبوك أوْلى بها، فقالت: صدقت، ولكنّه رجل ليّن وأكره أن يواثبه القوم، فصلِّ أنت، فقال لها عمر: بل يصلّي هو وأنا أكفيه إن وثب واثب، أو تحرّك متحرّك مع أنّ محمّداً مغمى عليه لا أراه يفيق منها، والرجل مشغول به لا يقدر يفارقه - يريد عليّاً - فليبادر بالصلاة قبل أن يفيق، فإنّه إن أفاق خفت أن يأمر عليّاً بالصلاة، وقد سمعت مناجاته منذ الليلة، وفي آخر كلامه يقول: الصلاة الصلاة.

قال: ثمّ خرج أبو بكر ليصلّي بالنّاس، فأنكر القوم ذلك وظنّوا أنّه بأمر من رسول الله ﷺ، فلم يكبّر حتى أفاق رسول الله ﷺ، ثمّ قال: ادعوا لي العبّاس.

وفي رواية أخرى: الفضل بن العبّاس، فخرج يتهادى بين عليّ والفضل ورجلاه يخطّان الأرض، فتقدّم إلى المحراب، ونحّى أبا بكر عنه، وصلّى بالنّاس من قعود، ثمّ حمل فوضع على منبره، ولم يجلس ﷺ بعد ذلك على المنبر حتى ارتحل إلى لقاء ربّه، فاجتمع إليه جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى برزت العواتق من خدورهنّ، فبين باك وصائح وصارخ ومسترجع، والنبيّ يخطب ساعة، ويسكت ساعة، وكان ممّا ذكر في خطبته أن قال:

يا معاشر المهاجرين والأنصار، ومن حضرني في يومي هذا وساعتي هذه، فليبلّغ شاهدكم غائبكم، ألا إنّي قد خلّفت فيكم كتاب الله، فيه الهدى والبيان، ما فرّط الله فيه من شيء، حجّة الله عليكم، وخلّفت فيكم العلم الأكبر، علم الدين، ونور الهدى، وصيّي عليّ بن أبي طالب، ألا هو حبل الله فاعتصموا به، ولا تفرّقوا عنه، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.

يا أيّها النّاس، هذا عليّ بن أبي طالب كنز الله اليوم وما بعد اليوم، من أحبّه وتولاّه اليوم

وما بعد اليوم، فقد أوفى بما عاهد عليه الله، وأدّى ما وجب عليه، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم، جاء يوم القيامة أعمى لا حجّة له عند الله.

أيّها النّاس، لا تأتوني غداً بالدنيا تزفونها زفافاً، ويأتي أهل بيتي غبراً مقهورين مظلومين تسيل دماؤهم عليكم. إيّاكم وبيعات الضلالة والشورى للجهالة، ألا وإنّ هذا الأمر له أصحاب، وإنّ الله سمّاهم في كتابه، وعرّفتكم وأبلغتكم ما أرسلت به إليكم، ولكنّي أراكم قوماً تجهلون، ولترجعنّ بعدي كفّاراً مرتدّين متأوّلين للكتاب على غير معرفة، وتدّعون السنة بالهوى، ألا إنّ كلّ سنّة وحديث وكلام خالف القرآن فهو زور وباطل، القرآن إمام هدىً، له قائد يهدى إليه ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو وليُّ الأمر بعدي، ووارث علمي وحكمتي وسرّي وعلانيتي، وما ورثه النبيّون قبلي، وأنا وارث ومورّث، فلا تكذّبنّكم أنفسكم.

أيّها النّاس، الله الله في أهل بيتي، فإنّهم أركان الدين، ومصابيح الظلم، ومعدن العلم، عليٌّ أخي ووارثي ووزيري وأميني والقائم بعدي، والوافي بعهدي على بيّنتي، ويقتل على سنّتي، وأوّل النّاس إيماناً، وآخرهم عهداً عند الموت، وأوسطهم لي لقاءً يوم القيامة، فليبلّغ شاهدكم غائبكم الأمر، ألا ومَن أمّ قوماً وفي الأمّة من هو أعلم منه فقد كفر.

أيّها النّاس، مَن كانت له قِبلي تبعة فها أنا ذا، ومَن كانت له عندي عداة فليأت فيها عليّ بن أبي طالب، فإنّه ضامن لذلك كلّه حتى لا يبقى لأحد عندي عدة، ثمّ التفت ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا عليّ سيكفر أكثر هؤلاء ويرتدّون عن الدين، ويجرّدون السيوف بعضهم على بعض، وإذا ارتحلت من الدنيا فسيظهر لك سرّ ما قلته. يا عليّ، من نازعك من نسائي وأصحابي فقد عصاني، ومَن عصاني فقد عصى الله، وأنا بريءٌ منهم، فتبرّأ منهم.

فقال عليّ: وأنا بريءٌ منهم يا رسول الله، ثمّ قال ﷺ: اللّهمّ كن الشاهد يا ربّ عليهم. يا عليّ، إنّهم قد تعاقدوا وتعاهدوا وتماهدوا ليظلمنّك حقّك بعدي وأنا بريءٌ من كلّ من كان ذلك في قلبه، وقد نزلت هذه الآية في حقّ هؤلاء، وإذ: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ٨١].

وروى السيّد عليّ بن طاووس رحمه الله في كتاب (الطرف) نقلاً عن كتاب الوصيّة، عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: «لمّا حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا الأنصار وقال: يا معاشر الأنصار، قد حان الفراق، وقد دعيت وأنا مجيب الداعي، وقد جاورتم فأحسنتم الجوار، ونصرتم فأحسنتم النصرة، وواسيتم في الأموال ووسّعتم في المسلمين، وبذلتم لله مهج النفوس، والله يجزيكم بما فعلتم الجزاء الأوفى، وقد بقيت واحدة، وهي تمام الأمر وخاتمة العمل، العمل معها مقرون، إنّي أرى ألاّ أفرّق بينها جميعاً، لو قيس بينهما بشعرة ما

انقاست، من أتى بواحدة وترك الأخرى كان جاحداً للأولى، ولا يقبل الله منه صَرفاً ولا عدلاً.

قالوا: يا رسول الله، فأين لنا بمعرفتهما فلا نمسك عنهما فنضلّ ونرتدّ عن الإسلام والنعمة من الله ومن رسوله عليها، فقد أنقذنا الله بك من الهلكة يا رسول الله، وقد بلّغت ونصحت وأدّيت وكنت بنا رؤوفاً رحيماً شفيقاً.

فقال رسول الله ﷺ لهم: كتاب الله وأهل بيتي، فإنّ الكتاب هو القرآن، وفيه الحجّة والنور والبرهان، كلام الله جديد غَضٌّ طريٌّ شاهد ومحكم عادل، ولنا قائد بحلاله وحرامه وأحكامه، يقوم غداً فيحاجّ أقواماً، فيزلّ الله به أقدامهم عن الصراط واحفظوني معاشر الأنصار في أهل بيتي، فإنّ اللطيف الخبير خبّرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وإنّ الإسلام سقف تحته دعامة لا يقوم السقف إلاّ بها، فلو أنّ أحدكم أتى بذلك السقف ممدوداً لا دعامة تحته فأوشك أن يخرّ عليه سقفه فيهوي في النّار.

أيّها النّاس، الدعامة دعامة الإسلام، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، فالعمل الصالح طاعة الإمام وليّ الأمر، والتمسّك بحبله.

أيّها النّاس، أَفهمتهم؟! الله الله في أهل بيتي: مصابيح الظلم، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ومستقرّ الملائكة، منهم وصيّي وأميني ووارثي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، ألا هل بلّغت معاشر الأنصار؟! ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إنَّ باب فاطمة بابي، وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله.

قال الراوي: فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلاً وقطع بقيّة كلامه، وقال: هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله، يا أمّاه، صلوات الله عليها، ثمّ قال عليه السلام: أخبرني أبي عن جدّي محمّد بن عليّ، قال: قد جمع رسول الله ﷺ المهاجرين فقال لهم:

أيّها النّاس، إنّي قد دعيت، وإنّي مجيب دعوة الداعي قد اشتقت إلى لقاء ربّي واللحوق بإخواني من الأنبياء، وإنّي أعلمكم أنّي قد أوصيت إلى وصيّي ولم أهملكم إهمال البهائم، ولم أترك من أموركم شيئاً.

فقام إليه عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله، أوصيت بما أوصى به الأنبياء من قبلك؟ قال: نعم، فقال له: فبأمر من الله أوصيت أم بأمرك؟ قال له: اجلس يا عمر، أوصيت بأمر الله وأمره طاعته، وأوصيت بأمري وأمري طاعة الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى وصيّي فقد عصاني، ومن أطاع وصيّي فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ألا ما تريد أنت وصاحبك؟ ثمّ التفت إلى النّاس وهو مغضب، فقال:

أيّها النّاس، اسمعوا وصيّتي، مَن آمن بي وصدّقني بالنبوّة، وإنّي رسول الله فأوصيه بولاية عليّ بن أبي طالب وطاعته والتصديق له، فإنّ ولايته ولايتي وولاية ربّي، قد أبلغتكم، فليبلّغ الشاهد الغائب أنّ عليّ بن أبي طالب هو العلم، فمن قصر دون العلم فقد ضلّ، ومن تقدّمه تقدّم إلى النّار، ومن تأخّر عن العلم يميناً هلك، ومن أخذ يساراً غوى، وما توفيقي إلاّ بالله، فهل سمعتم؟! قالوا: بلى».

وروى الكليني وابن طاووس، بالإسناد المزبور عن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين كاتب الوصيّة ورسول الله صلى الله عليه وآله المملي عليه، وجبرئيل والملائكة المقرّبون عليهم السلام شهوداً؟

قال: فأطرق طويلاً ثمّ قال: يا أبا الحسن، قد كان ما قلت، ولكن حينما نزل برسول الله الأمر نزلت الوصيّة من عند الله كتاباً مسجّلاً، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمّد، مر بإخراج من عندك إلاّ وصيّك ليقبضها منك، وتُشهدنا بدفعك إيّاها له ضامناً لها، يعني عليّاً عليه السلام، فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بإخراج من كان في البيت ما خلا عليّاً، وفاطمة فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمّد، ربّك يقرئك السلام ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك وأشهدت به عليك ملائكتي، وكفى بي يا محمّد شهيداً، قال: فارتعدت مفاصل النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا جبرئيل، ربّي هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، صدق عزّ وجلّ وبرّ، هات الكتاب، فدفعه إليه، وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: اقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: يا عليّ، هذا عهد ربّي تبارك وتعالى إليّ، وشرطه عليّ، وأمانته، وقد بلّغت ونصحت وأدّيت.

فقال عليّ عليه السلام: وأنا أشهد لك - بأبي أنت وأمّي - بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي. فقال جبرئيل: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، أخذت وصيّتي وعرفتها، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها؟ فقال عليّ عليه السلام: نعم بأبي أنت وأمّي، عليَّ ضمانها، وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّي أريد أن أُشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة، فقال عليّ عليه السلام: نعم، أشهد، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن، وهما حاضران معهما الملائكة المقرّبون لأشهدهم عليك، فقال: نعم، ليشهدوا وأنا- بأبي وأمّي - أُشهدهم، فأشهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان فيما اشترط عليه النبيّ صلى الله عليه وآله بأمر جبرئيل فيما أمره الله عزّ وجلّ أن قال له: يا عليّ، تفي بما فيها من موالاة وليّ الله ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، والبراءة منهم، على الصبر منك وعلى كظم الغيظ،

وعلى ذهاب حقّك، وغصب خمسك، وانتهاك حرمتك؟ فقال: نعم، يا رسول الله.

فقال أمير المؤمنين: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل يقول للنبيّ: يا محمّد، عرّفه إنّه منتهك الحرمة، وهي حرمة الله وحرمة رسول الله، وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل، حتى سقطت على وجهي، وقلت: نعم، قبلت ورضيت وإن انتهكت الحرمة، وعطّلت السنن، ومزّق الكتاب، وهدّمت الكعبة، وخضّبت لحيتي من رأسي بدم عبيط، صابراً محتسباً أبداً، حتى أقدم عليك. ثمّ دعا رسول الله ﷺ فاطمة والحسن والحسين: وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين، فقالوا مثل قوله، فختمت الوصيّة بخواتيم من ذهب لم تمسّه النّار، ودفعت إلى أمير المؤمنين.

فقلت لأبي الحسن: بأبي أنت وأمّي، ألا تذكر ما كان في الوصيّة؟ فقال: سنن الله وسنن رسوله، - وفي بعض النسخ - سرّ الله وسرّ رسوله.

فقلت: أكان في الوصيّة توثّبهم وخلافهم على أمير المؤمنين؟ فقال: نعم والله شيئاً شيئاً وحرفاً حرفاً، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، والله! لقد قال رسول الله لأمير المؤمنين وفاطمة: أليس قد فهمتما ما تقدّمت به إليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى، وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا».

وروى السيّد ابن طاووس رحمه الله بإسناده عن موسى الكاظم، عن أبيه عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: دعاني رسول الله ﷺ عند موته وأخرج من كان عنده في البيت غيري، والبيت فيه جبرئيل وميكائيل، أسمع الحسّ، ولا أرى شيئاً، فأخذ رسول الله كتاب الوصيّة من يد جبرئيل مختومة فدفعها إليّ وأمرني أن أفضّها، ففعلت، وأمرني أن أقرأها فقرأتها، فقال: إنّ جبرئيل عندي أتاني بها الساعة من عند ربّي، فقرأتها فإذا فيها كلّ ما كان رسول الله يوصي به، شيئاً شيئاً، ما يغادر حرفاً».

وبالإسناد المتقدّم عنه، عن أبيه، عن جدّه الباقر عليه السلام، قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت مسنداً النبيّ ﷺ إلى صدري ليلة من الليالي في مرضه وقد فرغ من وصيّته وعنده فاطمة ابنته، وقد أمر أزواجه والنساء أن يخرجن من عنده، ففعلن، فقال: يا أبا الحسن، تحوّل من موضعك وكن أمامي، قال: ففعلت، وأسنده جبرئيل إلى صدره، وجلس ميكائيل على يمينه، فقال: يا عليّ، ضمّ كفّيك بعضها إلى بعض، ففعلت، فقال لي: قد عهدت إليك، أُحدث العهد لك بمحضر أمينَي ربّ العاملين: جبرئيل وميكائيل.

يا عليّ، بحقّهما عليك إلاّ أنفذت وصيّتي على ما فيها، وعلى قبولك إيّاها بالصبر والورع على منهاجي وطريقي، لا طريق فلان وفلان، وخذ ما آتاك الله بقوة، وأدخل يده فيما بين كفّي، وكفّاي مضمومتان، فكأنّه أفرغ بينهما شيئاً، فقال: يا عليّ، قد أفرغت بين يديك الحكمة وقضاء ما يرد عليك وما هو وارد، لا يعزب عنك من أمرك شيء، وإذا حضرتك الوفاة فأوص وصيّتك إلى من بعدك على ما أوصيتك، واصنع هكذا بلا كتاب ولا صحيفة».

وروى السيّد عليّ بن طاووس رحمه الله في (الطرف) عن الكاظم عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «وكان في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله في أوّلها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد محمّد بن عبد الله وأوصى به، وأسنده بأمر الله إلى وصيّه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان في آخر الوصية: شهد جبرئيل وميكائيل وإسرافيل على ما أوصى به محمّد صلى الله عليه وآله إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقبّضه وصيّته، وضمانه على ما فيها على ما ضمن يوشع بن نون لموسى بن عمران عليه السلام، وعلى ما ضمن وأدّى وصيّ عيسى بن مريم، وعلى ما ضمن الأوصياء قبلهم، على أنّ محمّداً أفضل النبيّين، وعليّاً أفضل الوصيّين، وأوصى محمّد وسلّم إلى عليّ، وأقرّ عليّ وقبض الوصيّة على ما أوصى به الأنبياء، وسلّم محمّد الأمر إلى عليّ بن أبي طالب، وهذا أمر الله وطاعته، وولاّه الأمر على أن لا نبوّة لعليّ ولا لغيره بعد محمّد، وكفى بالله شهيداً».

وعن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام حين دفع إليه الوصيّة: اتّخذ لها جواباً غداً بين يدي الله تبارك وتعالى ربّ العرش، فإنّي محاجّك يوم القيامة بكتاب الله، حلاله وحرامه، ومحكمه ومتشابهه، على ما أنزل الله، وعلى ما أمرتك، وعلى فرائض الله كما أنزلت، وعلى الأحكام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتنابه، مع إقامة حدود الله وشروطه، والأمور كلّها، وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة لأهلها، وحجّ البيت، والجهاد في سبيل الله، فما أنت قائل يا عليّ؟

فقال عليّ عليه السلام: بأبي أنت وأمّي، أرجو بكرامة الله لك، ومنزلتك عنده، ونعمته عليك أن يعينني ربّي ويثبّتني، فلا ألقاك بين يدي الله مقصّراً ولا متوانياً ولا مفرّطاً ولا أمعّرُ وجهك[1] وقاه وجهي ووجوه آبائي وأمّهاتي، بل تجدني بأبي أنت وأُمي مستمراً متّبعاً لوصيّتك ومنهاجك وطريقك ما دمت حيّاً حتى أقدم بها عليك، ثمّ الأوّل فالأوّل من وُلدي لا مقصّرين ولا مفرّطين.

قال عليّ عليه السلام: ثمّ انكببت على وجهه وعلى صدره وأنا أقول: واوحشتاه بعدك بأبي أنت

---

(١) انمعر: تغير الوجه عند الغضب.

وأمّي ووحشة ابنتك وابنيك، بل وأطول غمّي بعدك. يا أخي، انقطع عن منزلي أخبار السماء، وفقدت بعدك جبرئيل وميكائيل، فلا أحسّ أثراً ولا أسمع حسّاً.

فأغمي عليه طويلاً، ثمّ أفاق ﷺ، فدخل عليه النساء يبكين، وارتفعت الأصوات، وضجّ النّاس بالباب من المهاجرين والأنصار، فبينما هم كذلك إذ نودي: أين عليّ، فأقبل حتى دخل عليه.

قال علي عليه السلام: فانكببت عليه، فقال: يا أخي، إفهم فهّمك الله، وسدّدك، وأرشدك، ووفّقك، وأعانك، وغفر ذنبك، ورفع ذكرك. إعلم يا أخي، أنّ القوم سيشغلهم عنّي ما يشغلهم، فإنّما مثلك في الأمّة مثل الكعبة، نصبها الله للناس عَلماً، وإنّما تؤتى من كلّ فجّ عميق، ونأيٍ سحيق ولا تأتي، وإنّما أنت علم الهدى، ونور الدين، وهو نور الله.

يا أخي، والذي بعثني بالحقّ، لقد قدّمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم رجلاً رجلاً ما افترض الله عليهم من حقّك، وألزمهم من طاعتك، وكلٌّ أجاب وسلّم إليك الأمر، وإنّي لأعلم خلاف قوله، فإذا قبضت وفرغت من جميع ما أوصيتك به وغيّبتني في قبري، فالزم بيتك، واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيله، ثمّ امض على غير لائمة على ما أمرتك به، وعليك بالصبر على ما ينزل بك وبها، حتى تقدموا عليَّ.

ثمّ دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين وقال لمن في بيته: اخرجوا عنّي، وقال لأمّ سلمة: كوني على الباب فلا يقربه أحد، ففعلت.

ثمّ قال: يا عليّ ادنُ منّي، فدنا منه، فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً، وأخذ بيد عليّ بيده الأخرى.

فلمّا أراد رسول الله ﷺ الكلام غلبته عبرته فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة عليها السلام بكاءً شديداً وعليّ والحسن والحسين لبكاء رسول الله ﷺ، فقالت فاطمة: يا رسول الله، قد قطّعت قلبي، وأحرقت كبدي لبكائك يا سيّد النبيين من الأوّلين والآخرين، ويا أمين ربّه ورسوله، ويا حبيبه ونبيّه، مَن لولدي بعدك؟ ولذلّ ينزل بي بعدك؟ مَن لعليّ أخيك وناصر الدين؟ مَن لوحي الله وأمره، ثمّ أكبّت على وجهه فقبّلته، وأكبّ عليه عليّ والحسن والحسين، فرفع ﷺ رأسه إليهم ويدها في يده، فوضعها في يد عليّ عليه السلام وقال له:

يا أبا الحسن، هذه وديعة الله ووديعة رسوله محمّد عندك، فاحفظ الله واحفظني فيها، وإنّك لفاعله. يا عليّ، هذه والله! سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين، هذه والله! مريم الكبرى. أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني ما سألته، يا عليّ انفذ لما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل، واعلم يا عليّ إنّي راض

عمّن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربّي وملائكته يا عليّ، ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزّها حقّها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقّها وبارزها. اللّهمّ إنّي منهم بريءٌ، وهم منّي براء، ثمّ سمّاهم رسول الله ﷺ، وضمّ فاطمة إليه وعليّاً والحسن والحسين وقال: اللّهمّ إنّي لهم ولمن شايعهم سلم وزعيم[1] بأنّهم يدخلون الجنّة، ثمّ قال: والله يا فاطمة لا أرضى حتى ترضي، ثمّ لا والله لا أرضى حتى ترضي».

قال الصادق عليه السلام: «وقال رسول الله ﷺ في وصيّته لعليّ: إنّ فلانة وفلانة ستشاقّانك وتبغضانك بعدي، وتخرج فلانة عليك في عساكر الحديد، وتخلّف الأخرى تجمع إليها الجموع، هما في الأمر سواء، فما أنت صانع يا عليّ؟

قال: يا رسول الله، إن فعلتا ذلك تلوت عليهما كتاب الله، وهو الحجّة فيما بيني وبينهما، فإن قبلتا وإلا خبّرتهما بالسنّة، وما يجب عليهما من طاعتي، وحقّي المفروض عليهما، فإن قبلتاه وإلاّ أشهدت الله وأشهدتك عليهما، ورأيت قتالهما على ضلالتهما، قال: وتعقر الجمل وإن وقع في النّار؟ قلت: نعم، اللّهمّ اشهد، ثمّ قال: يا عليّ، إذا فعلتا ما شهد عليهما القرآن فأبنهما منّي، فإنّهما بائنتان، وأبواهما شريكان لهما فيما عملتا وفعلتا.

قال: وكان في وصيّته: يا عليّ، اصبر على ظلم الظالمين، فإنّ الكفر مقبل والردّة والنفاق والإفك مع الأوّل منهم، ثمّ الثاني، وهو شرٌّ منه وأظلم، ثمّ الثالث، ثمّ يجتمع لك شيعة تقاتل بهم الناكثين والقاسطين والمتّبعين المضلّين وأقنت عليهم هم الأحزاب وشيعتهم أي أحزاب الكفر والنفاق».

وعن الكاظم عليه السلام، قال: «لما كانت الليلة التي قبض النبيّ ﷺ في صبيحتها دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، وأغلق عليه وعليهم الباب، وقال: يا فاطمة، وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً، فلمّا طال ذلك خرج عليّ ومعه الحسن والحسين وأقاموا بالباب، والنّاس خلف الباب، ونساء النبيّ ﷺ ينظرن إلى عليّ ومعه ابناه، فقالت عائشة: لأمر ما أخرجك منه رسول الله وخلا بابنته دونك في هذه الساعة؟ فقال لها عليّ عليه السلام: قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له، وهو بعض ما كنت فيه وأبوك وصاحباه ممّا قدّمتماه، فوجمت أن تردّ عليه كلمة. قال عليّ: فما لبثت أن نادتني فاطمة، فدخلت على النبيّ وهو يجود بنفسه، فبكيت ولم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال يجود بنفسه، فقال لي: ما يبكيك يا عليّ، ليس هذا أوان البكاء، فقد حان الفراق بيني وبينك، فأستودعك الله يا أخي فقد اختار لي ربّي ما عنده، وإنّما

---

(١) أي كفيل.

بكائي وغمّي وحزني عليك، وعلى هذه أن تضيع بعدي، فقد أجمع القوم على ظلمكم، وقد استودعتكم الله وقبلكم منّي وديعة.

يا عليّ، إنّي قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء، وأمرتها أن تلقيها إليك، فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة.

ثمّ ضمّها إليه، وقبّل رأسها، وقال: فداك أبوك يا فاطمة، فعلا صوتها بالبكاء، ثمّ ضمّها إليه، وقال: أما والله لينتقمنّ الله ربّي، وليغضبنّ لغضبك، فالويل ثمّ الويل ثمّ الويل للظالمين، ثمّ بكى رسول الله ﷺ.

قال عليّ: فوالله لقد حسبت بضعة منّي قد ذهبت لبكائه حتى هملت عيناه مثل المطر حتى بلّت دموعه لحيته ومُلاءةً كانت عليه، وهو يلتزم فاطمة لا يفارقها ورأسه على صدري، وأنا مسنده، والحسن والحسين عليهما السلام يقبّلان قدميه ويبكيان بأعلى أصواتهما.

قال علي عليه السلام: فلو قلت: جبرئيل في البيت، لصدقت لأنّي كنت أسمع بكاءً ونغمة لا أعرفها، وكنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا أشكّ فيها؛ لأنّ جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبيّ، ولقد رأيت بكاءً منها أحسب أنّ السماوات والأرضين قد بكت لها، ثمّ قال لها: يا بنيّة، الله خليفتي عليكم، وهو خير خليفة، والذي بعثني بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة والسماوات والأرضون وما فيهما.

يا فاطمة، والذي بعثني بالحقّ، لقد حرمت الجنّة على الخلائق حتى أدخلها، وإنّك لأوّل خلق الله يدخلها بعدي كاسية حالية ناعمة. يا فاطمة، هنيئاً لك، والذي بعثني بالحقّ، إنّك لسيّدة مَن يدخلها من النساء، والذي بعثني بالحقّ، إنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلاّ صعق، فينادي إليها أن يا جهنّم، يقول لك الجبّار اسكني بعزّتي، واستقرّي حتى تجوز فاطمة بنت محمّد إلى الجنان، لا يغشاها قتر ولا ذلّة، والذي بعثني بالحقّ، ليدخلنّ حسن وحسين، حسن عن يمينك، وحسين عن يسارك، ولتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدي الله في المقام الشريف ولواء الحمد مع عليّ بن أبي طالب، يكسى إذا كسيت، ويحيى إذا حييت، والذي بعثني بالحقّ لأقومنّ بخصومة أعدائك، وليندمنّ قوم أخذوا حقّك، وقطعوا مودّتك، وكذبوا عليّ، وليختلجنّ دوني، فأقول: أمّتي أمّتي، فيقال: إنّهم بدّلوا بعدك، وصاروا إلى السعير».

ثمّ قال الكاظم عليه السلام: «فقال النبيّ ﷺ: يا عليّ ويا فاطمة، هذا حنوطي من الجنّة دفعه إليَّ جبرئيل، وهو يقرئكما السلام، ويقول لكما: قسّماه واعزلا منه لي ولكم، قالت عليها السلام: لك ثلثه، وليكن الناظر في الباقي عليّ بن أبي طالب، فبكى رسول الله ﷺ، وضمّها إليه، وقال: موفّقة رشيدة مهديّة ملهمة.

يا عليّ، قل في الباقي، قال: نصف ما بقي لها، ونصف لمن ترى يا رسول الله، قال: هو لك فاقبضه، قال عليه السلام: ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا عليّ، أضمنت ديني تقضيه عنّي؟ قال: نعم، قال: اللّهمّ فاشهد، ثمّ قال: يا عليّ، تغسّلني ولا يغسّلني غيرك فيعمى بصره، قال عليّ عليه السلام: ولِمَ يا رسول لله؟ قال: كذلك قال جبرئيل عن ربّي أنّه لا يرى عورتي غيرك إلاّ عمي بصره، قال عليّ: فكيف أقوى عليك وحدي؟ قال: يعينك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وإسماعيل صاحب سماء الدنيا، قلت: فمن يناولني الماء؟ قال: الفضل بن العبّاس من غير أن ينظر إلى شيء منّي، فإنّه لا يحلّ له ولا لغيره من الرجال والنساء النظر إلى عورتي، وهي حرام عليهم، فإذا فرغت من غسلي، فضعني على لوح وأفرغ عليَّ من بئري بئر غرس أربعين دلواً مفتّحة الأفواه».

قال الراوي: أو قال: أربعين قربة، شككت أنا في ذلك، قال: «ثمّ ضع يدك - يا علي - على صدري، وأحضر معك فاطمة والحسن والحسين من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي، ثمّ تفهم، عند ذلك، تفهم ما كان وما هو كائن إن شاء الله تعالى، أقَبِلْتَ يا عليّ؟ قال: نعم، قال: اللهمّ اشهد.

وقال صلى الله عليه وآله: يا عليّ، ما أنت صانع لو قد تأمّر القوم عليك بعدي، وتقدّموا عليك، وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة، ثمّ لبِّبت بثوبك تقاد كما يقاد الشارد من الإبل، مذموماً مخذولاً محزوناً مهموماً، وبعد ذلك ينزل بهذه - يعني فاطمة - الذلّ؟ قال: فلمّا سمعت فاطمة ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله صرخت وبكت، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها، وقال: يا بنيّة، لا تبكين ولا تؤذين جلساءك من الملائكة، هذا جبرئيل بكى لبكائك، وميكائيل وصاحب سرّ الله إسرافيل. يا بنيّة لا تبكين فقد بكت السماوات والأرض لبكائك، فقال عليّ: يا رسول الله، أنقاد للقوم وأصبر على ما أصابني من غير بيعة لهم، ما لم أصب أعواناً لم أناجز القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ اشهد.

فقال: يا عليّ، ما أنت صانع بالقرآن والعزائم والفرائض؟ فقال: يا رسول الله، أجمعه ثمّ آتيهم به، فإن قبلوه وإلاّ أشهدت الله عزّ وجلّ وأشهدتك عليه، قال: أشهد.

قال: وكان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدفن في بيته الذي قبض فيه، ويكفّن بثلاثة أثواب: إحداها يمان، ولا يدخل قبره غير عليّ عليه السلام، ثمّ قال: يا عليّ، كن أنت وابنتي فاطمة والحسن والحسين، وكبّروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبّر خمساً وانصرف، وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة، قال عليّ: بأبي أنت وأمّي، مَن يأذن غداً؟ قال: جبرئيل يؤذنك، قال: ثمّ مَن جاء من أهل بيتي يصلّون عليّ فوجاً فوجاً، ثمّ نساؤهم، ثمّ النّاس بعد ذلك.

قال عليّ عليه السلام وقال عليّ: يا رسول الله، أمرتني أن أصيّرك في بيتك إن حدث بك حدث؟

قال: نعم يا عليّ، بيتي قبري. قال عليّ عليه السلام: فقلت: بأبي أنت وأمّي، فحدّ لي أيّ النواحي أصيّرك فيه؟ قال ﷺ: إنّه ستُخبر بالموضع وتراه.

قالت له عائشة: يا رسول الله، فأين أسكن؟ قال: اسكني أنت بيتاً من البيوت، إنّما هو بيتي ليس لك فيه من الحقّ إلاّ ما لغيرك، فقرّي في بيتك، ولا تبرّجي تبرّج الجاهلية الأولى، ولا تقاتلي مولاك ووليّك ظالمة شاقّة وإنّك لفاعلة، فبلغ قوله ﷺ عمر، فقال لابنته حفصة: مري عائشة لا تفاتحه في ذكر عليّ ولا ترادّه، فإنّه قد استهيم فيه في حياته وعند موته، إنّما البيت بيتك لا ينازعك فيه أحد، فإذا قضت المرأة عدّتها من زوجها كانت أوْلى ببيتها، تسلك إلى أيّ المسالك شاءت.

قال عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بينما نحن عند النبيّ ﷺ وهو يجود بنفسه، وهو مسجّى بثوب ملاءة خفيفة على وجهه، فمكث ما شاء الله أن يمكث ونحن حوله بين باكٍ ومسترجع إذ تكلّم وقال: ابيضّت وجوه واسودّت وجوه، وسعد أقوام وشقي آخرون، أصحاب الكساء خمسة أنا سيّدهم ولا فخر، عترتي أهل بيتي السابقون المقرّبون يسعد من اتّبعهم وشايعهم على ديني ودين آبائي، أنجزت موعدك يا ربّ إلى يوم القيامة في أهل بيتي، اسودّت وجوه أقوام وردّوا ظماء مظمئين إلى جهنّم، مزّقوا الثقل الأوّل الأعظم، وأخّروا الثقل الأصغر، حسابهم على الله، كلّ امرئ بما كسب رهين، وثالث ورابع غلقت الرهون، واسودّت الوجوه، أصحاب الأموال، هلكت الأحزاب، قادت الأمّة بعضها بعضاً إلى النّار، كتاب دارس، وباب مهجور وحكم بغير علم، مبغض عليّ وآل عليّ في النّار، ومحبّ عليّ وآل عليّ في الجنّة، ثمّ سكت».

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر عن سدير الصيرفي، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نُعيت إلى النبيّ ﷺ نفسه، وهو صحيح ليس به وجع، قال: نزل به الروح الأمين، قال: فنادى الصلاة جامعة، وأمر المهاجرين والأنصار بالسلاح، فاجتمع النّاس، وصعد النبيّ ﷺ فنعى إليهم نفسه، ثمّ قال: اذكّر الله الوالي من بعدي على أمّتي ألاّ يرحم على جماعة المسلمين، فاجلّ كبيرهم، ورحم صغيرهم، ووقّر عالمهم، ولم يضرّ بهم فيذلّهم، ولم يفقرهم فيكفرهم، ولم يغلق بابه دونهم فيأكل قويّهم ضعيفهم، ولم يخبزهم في بعوثهم فيقطع نسل أمّتي، ثمّ قال: قد بلّغت ونصحت فاشهدوا.

قال الصادق عليه السلام: هذا آخر كلام تكلّم به رسول الله ﷺ على منبره».

توضيح: الاّ: إمّا تحضيضيّة أو زائدة، أي: اذكّره الرحم، وقوله: «ولم يخبزهم في بعوثهم»، الخَبز: السَّوق الشديد، والبعوث: الجيوش.

وفي (قرب الإسناد): «ولم يجمرهم في ثغورهم»، وهو أظهر.

قال الجزري: «تجمير الجيش جمعهم في الثغور، وحبسهم على العود إلى أهلهم».

وروى الكليني والصدوق في (العلل)، والمفيد والشيخ في (الأمالي)، وغيرهم، وأكثر محدّثي الخاصّة والعامّة بأسانيد عديدة معتبرة عن عليّ بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام وغيرهم: «أنّه لمّا قربت وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وثقل مرضه استدعى أمير المؤمنين والعبّاس، وكان رأسه في حجر عليّ عليه السلام، والبيت مملوٌّ من أصحابه من المهاجرين والأنصار، والعبّاس بين يديه يذبّ عنه بطرف ردائه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يغمى عليه ساعة ويفيق ساعة، ثمّ وجد خفّة فأقبل على العبّاس فقال: يا عبّاس يا عمّ النبيّ، إقبل وصيّتي في أهلي وفي أزواجي، واقض ديني، وأنجز عداتي، وأبرئ ذمّتي، فقال العبّاس: يا نبيّ الله، أنا شيخ ذو عيال كثير غير ذي مال ممدود، وأنت أجود من السحاب الهاطل والريح المرسلة، وليس في مالي وفاء لدينك وعداتك، فلو صرفت ذلك عنّي إلى من هو أطوق له منّي، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك ثلاثاً يعيده عليه، والعبّاس يجيبه في كلّ ذلك بما قال أوّل مرّة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنّي سأعطيها من يأخذها بحقّها، ومن لا يقول مثل ما تقول. يا عليّ هاكها خالصة لا يحاقّك أحد. يا عليّ، اقبل وصيّتي، وأنجز مواعيدي، وأدِّ ديني.

يا عليّ، اخلفني في أهلي، وبلّغ عنّي من بعدي.

قال عليه السلام: فخنقتني العبرة، وارتجّ جسدي، ونظرت إلى رأس رسول الله صلى الله عليه وآله يذهب ويجيء في حجري، فقطرت دموعي على وجهه، ولم أقدر أن أجيبه، ثمّ عاد لقوله، فقال: يا عليّ، أوَ تقبل وصيّتي؟ قال: فقلت - وقد خنقتني العبرة، ولم أكد أن أبين -: نعم يا رسول الله، بأبي وأمّي.

فقال صلى الله عليه وآله: أجلسني، فأجلسته، فكان ظهره في صدري، فقال: يا عليّ، أنت أخي في الدنيا والآخرة، ووصيّي، وخليفتي في أهلي، فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بلال، عليَّ بالمغفر، وهو المسمّى ذات الجبين، ودرعي ذات الفضول، ورايتي العقاب، وسيفي ذي الفقار، وعمامتي السحاب، والبرد والأبرقة والقضيب.

قال العبّاس: فوالله ما رأيتها قبل ساعتي تيك يعني الأبرقة[1] كادت تخطف الأبصار، فإذا هي من أبرق الجنّة، فقال: يا عليّ: إنّ جبرئيل أتاني بها فقال: يا محمّد، اجعلها في حلقة الدرع، واستوفر بها مكان المنطقة، ثمّ دعا بزوجي نعال عربيّتين إحداهما مخصوفة والأخرى غير مخصوفة، والقميص الذي أسري به فيه، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلانس

---

(١) شقة يستوفى بها مكان المنطقة كادت تخطف الأبصار، من أبرق الجنة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله، فأوصى بها لعلي عليه السلام.

الثلاث: قلنسوة السفر، وقلنسوة العيدين، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا بلال، علَيَّ بالبغلتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والصهباء، والفرسين: الجناح، الذي كان يوقف بباب مسجد رسول الله ﷺ لحوائج النّاس، يبعث رسول الله الرجل في الحاجة فيركبه، وحيزوم، وهو الذي كان ﷺ راكبه يوم أحد، وجبرئيل عليه السلام يقول له بين الهواء: أقدم حيزوم، والحمار اليعفور، فقال: يا عليّ، قم فاقبض.

قال: فقمت، وقام العبّاس فجلس مكاني، والبيت غاصّ يومئذٍ بمن فيه من المهاجرين والأنصار، ثمّ قال: يا عليّ، قم فاقبض هذا، ومدّ إصبعه وقال: في حياة منّي وشهادة مَن في البيت لكي لا ينازعك أحد من بعدي، قال عليّ عليه السلام، قمت وما أكاد أمشي على قدم حتى استودعت ذلك جميعاً منزلي، ثمّ جئت فقمت بين يدي رسول الله ﷺ قائماً، فنظر إليَّ ثم عمد إلى خاتمه فنزعه ثمّ دفعه إليَّ، فقال: هاك يا عليّ، هذا لك في الدنيا والآخرة، والبيت غاصّ من بني هاشم والمسلمين.

قال عليه السلام: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وإنّ رأسه ليثقل ضعفاً، وهو يقول يسمع أقصى أهل البيت وأدناهم، فقال: يا بني هاشم، يا معشر المسلمين، ولا تخالفوا عليّاً فتضلّوا، ولا تحسدوه فتكفروا».

وفي رواية (الأمالي) قال لهم: «لا تبغضوا عليّاً، ولا تخالفوا عن أمره فتضلّوا، ولا تحسدوه وترغبوا عنه فتكفروا.

ثمّ قال ﷺ: يا عبّاس، قم من مكان عليّ، فقال: تقيم الشيخ وتجلس الغلام! فأعادها عليه ثلاث مرّات، فقام العبّاس: فنهض مغضباً، وجلس عليه السلام مكانه، فقال رسول الله: يا عبّاس، يا عمّ رسول الله، لا أخرج من الدنيا وأنا ساخط عليك فيدخلك سخطي عليك النّار، فرجع وجلس.

قال عليّ عليه السلام: ثمّ قال: أضجعني يا عليّ، فأضجعته، فقال: يا بلال، ائتني بولديّ الحسن الحسين، فانطلق فجاء بهما، فأسندهما إلى صدره فجعل ﷺ يشمّهما.

قال عليّ عليه السلام: فظننت أنّهما قد غمّاه، يعني أكرباه، فذهبت لاخذهما عنه، فقال: دعهما يا عليّ يشمّاني وأشمّهما، ويتزوّدا منّي وأتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدي زلزالاً وأمراً عضالاً، فلعن الله من يخيفهما، اللّهمّ إنّي أستودعكهما وصالح المؤمنين».

روى المفيد في (الإرشاد): «إنّ القوم نهضوا وبقي عنده العبّاس والفضل بن العبّاس وعليّ بن أبي طالب وأهل بيته خاصّة، فقال له العبّاس: يا رسول الله، إن يكن هذا الأمر فينا مستقرّاً

من بعدك فبشرنا، وإن كنت تعلم إنّا نغلب عليه فأوص بنا؟ فقال: أنتم المستضعفون من بعدي، واصمت فنهض القوم وهم يبكون قد يئسوا من النبيّ ﷺ، وكان أمير المؤمنين لا يفارقه إلاّ لضرورة».

وروى المفيد في (الإرشاد)، والصدوق في (الخصال)، والشيخ في (الأمالي)، والطبرسي في (إعلام الورى)، وابن شهر آشوب في (المناقب) وغيرهم بأسانيد متواترة عن أمير المؤمنين والباقر والصادق عليهم السلام وأمّ سلمة وعائشة وغيرهم: «أنّه لمّا ثقل مرض النبيّ ﷺ كان عليّ عليه السلام لا يفارقه إلاّ لضرورة، فقام في بعض شؤونه، فأفاق رسول الله ﷺ، فقال: ادعو لي أخي وصاحبي، فأرسلت عائشة وحفصة إلى أبويهما، فلمّا جاءا غطّى رسول الله وجهه.

وفي رواية: فلمّا رآهما أعرض بوجهه عنهما، فانصرفا، فكشف رسول الله ﷺ رأسه فقال: ادعوا لي خليلي وحبيبي وأخي، فأرسلت حفصة إلى أبيها، وعائشة إلى أبيها، فلمّا جاءا غطّى رسول الله ﷺ رأسه، فانطلقا، وقالا: ما نرى رسول الله أرادنا، فأرسلت فاطمة عليها السلام إلى عليّ، فلمّا جاء جلّل رسول الله عليّاً بثوبه، وأكبّ عليه، وألزق رسول الله صدره بصدره، وأومى إلى أذنه، وسال عرق كلّ منهما على الآخر، والأوّل والثاني وسائر النّاس محتوشون، وراء الباب، فلمّا خرج لقياه، فقالا له: ما حدّثك؟ فقال: حدّثني بألف باب، كلّ باب يفتح له ألف باب».

وفي بعض الروايات: «إنّ الخضر عليه السلام كان في دهليز البيت، فقال له عليه السلام: أسرّ إليك نبيّ الله شيئاً؟ قال: نعم أسرّ لي ألف باب، في كلّ باب ألف باب.

فقال: وعيته؟ قال: نعم وعقلته، قال: فما السواد الذي في القمر؟

قال: إنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، فقال له: عقلت يا عليّ».

وفي رواية الطبري والدارقطني والسمعاني وغيرهم، عن عائشة أنّها قالت: «قال رسول الله ﷺ لمّا حضره الموت: ادعوا لي حبيبي، فدعوت له أبا بكر، فنظر إليه ثمّ وضع رأسه، ثمّ قال: ادعوا لي حبيبي، فدعوا له عمر، فلمّا نظر إليه قال: ادعوا لي حبيبي.

فقلت: ويلكم ادعو له عليّ بن أبي طالب، فوالله! ما يريد غيره، فلمّا رآه أفرج الثوب الذي كان عليه، ثمّ أدخله فيه، ولم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه».

وروى الصدوق في (الخصال) بإسناد معتبر عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «لمّا حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعاني، فلمّا دخلت عليه قال لي: يا عليّ، أنت وصيّي وخليفتي على

أهلي وأمّتي في حياتي وبعد موتي، وليّك وليّي، ووليّي وليّ الله، وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله. يا عليّ، المنكر لإمامتك بعدي كالمنكر لرسالتي في حياتي؛ لأنّك منّي وأنا منك، ثمّ أدناني فأسرّ لي ألف باب من العلم، كلّ باب يفتح ألف باب».

وفي رواية (الاختصاص): «علّمني ألف باب من الحلال والحرام، وممّا كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، كلّ باب منها يفتح ألف ألف باب، حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب».

وروى الصفّار في (البصائر) بإسناد معتبر عن حنظلة، عن الصادق عليه السلام، قال: «خطب رسول الله ﷺ يوماً بعد أن صلّى الفجر في المسجد وعليه خميصة سوداء[1]، فأمر فيه ونهى ووعظ فيه وذكّر، ثمّ قال: يا فاطمة، اعملي، فإنّي لا أملك من الله شيئاً، وسمع صوته وتسارّوا برؤية رسول الله ﷺ وسمعهم نساؤه من رواء الجدار، واكتحلن وامتشطن، وقلن: قد برئ رسول الله - أي من مرضه -.

فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: توفّي ذلك اليوم. قال: نعم، قلت: فأين ما يرويه النّاس أنّه علّم عليّاً ألف باب، كلّ باب فتح له ألف باب؟ قال: كان ذلك قبل يومئذٍ».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في (المجالس) بإسناد معتبر عن عبد الله بن عبّاس، قال: «إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والعبّاس بن عبد المطّلب والفضل بن عبّاس دخلوا على رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه، فقالوا: يا رسول الله، هذه الأنصار في المسجد تبكي، رجالها ونساؤها عليك، فقال: وما يبكيهم؟ قالوا: يخافون أن تموت، فقال: أعطوني أيديكم، فخرج في ملحفه وعصابة حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد أيّها النّاس، فما تنكرون من موت نبيّكم، ألم أُنع إليكم وتنع إليكم أنفسكم، لو خلد أحد قبلي ثمّ بعث إليه لخلدت فيكم، ألا إني لاحق بربّي، وقد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم تقرءونه صباحاً ومساءً، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله، وقد خلّفت فيكم عترتي أهل بيتي، وأنا موصيكم بهم، ثمّ أوصيكم بهذا الحيّ من الأنصار، فقد عرفتم بلاءهم عند الله عزّ وجلّ وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسّعوا في الديار، ويشاطروا الثمار، ويؤثروا وبهم الخصاصة! فمن ولي منكم أمراً يضرّ فيه أحداً أو ينفعه، فليقبل من محسن الأنصار، وليتجاوز عن مسيئهم، وكان آخر مجلس جلسه حتى لقي الله عزّ وجلّ.

وروى المفيد أيضاً في الكتاب المذكور بإسناد معتبر عن أبي بصير، عن الباقر عليه السلام،

---

(١) الخميصة: كساء أسود مربّع له علمان.

قال: «لمّا حضرت النبيّ ﷺ الوفاة نزل جبرئيل، فقال له جبرئيل: يا رسول الله، هل لك في الرجوع؟ قال: لا، قد بلّغت رسالات ربّي، ثمّ قال له: أتريد الرجوع إلى الدنيا؟ قال: لا، بل الرفيق الأعلى.

ثمّ قال رسول الله ﷺ للمسلمين وهو مجتمعون حوله: أيّها النّاس، لا نبيّ بعدي، ولا سنّة بعد سنّتي، فمن ادّعى ذلك فدعواه وبدعته في النار، ومَن ادّعى ذلك فاقتلوه، ومن اتّبعه فإنّهم في النار.

أيّها النّاس، أحيوا القصاص، وأحيوا الحقّ، ولا تفرّقوا، وأسلموا، وسلّموا تسلموا ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾» [المجادلة: ٢١].

وروى المفيد أيضاً في الكتاب المذكور بإسناد معتبر عن عبيد الله بن العبّاس يحدّث أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام، قال: «سمعت أبا سعيد الخدري، قال:

«إنّ آخر خطبة خطبنا بها رسول الله ﷺ لخطبة خطبنا في مرضه الذي توفّي فيه، خرج متوكّئاً على عليّ بن أبي طالب وميمونة مولاته، فجلس على المنبر، ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّي تارك فيكم الثقلين، وسكت فقام رجل فقال: يا رسول الله، ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمرّ وجهه، ثمّ سكن وقال: ما ذكرتهما إلاّ وأنا أريد أن أخبركم بهما، ولكن ربوت فلم أستطع، سبب طرفه بيد الله، وطرف بأيديكم تعملون فيه كذا، ألا وهو القرآن والثقل الأصغر أهل بيتي.

ثمّ قال: وأيم الله، إنّي لأقول هذا ورجال في أصلاب أهل الشرك أرجى عندي من كثير منكم.

ثمّ قال: والله، ما يحبّهم عبد إلاّ أعطاه الله نوراً يوم القيامة حتى يرد عليَّ الحوض، ولا يبغضهم عبد إلاّ احتجب الله عنه يوم القيامة، فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ أبا عبد الله يأتينا بما نعرف».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن سلمان الفارسي رحمه الله، قال: «دخلت على رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه، فجلست بين يديه وسألته عمّا يجد، وقمت لأخرج، فقال لي: اجلس يا سلمان، فسيشهدك الله عزّ وجلّ أمراً إنّه لمن خير الأمور، فجلست، فبينا أنا كذلك، إذ دخل رجال من أهل بيته ورجال من أصحابه، ودخلت فاطمة ابنته فيمن دخل، فلمّا رأت ما برسول الله ﷺ من الضعف خنقتها العبرة حتى فاض دمعها على خدّها، فأبصر ذلك رسول الله، فقال: ما يبكيك يا بنيّة، أقرّ الله عينك ولا أبكاها؟ قالت: وكيف لا أبكي وأنا أرى ما بك من الضعف.

قال لها: يا فاطمة، توكّلي على الله واصبري كما صبر آباؤك من الأنبياء وأمّهاتك أزواجهم. ألا أبشّرك يا فاطمة؟ قالت: بلى يا نبيّ الله - أو قالت: يا أبتِ.

قال: «أما علمتي أنّ الله تعالى اختار أباك فجعله نبيّاً، وبعثه إلى كافّة الخلق رسولاً، ثمّ اختار عليّاً فأمرني فزوّجتك إيّاه، واتّخذته بأمر ربّي وزيراً ووصيّاً.

يا فاطمة، إنّ عليّاً أعظم المسلمين على المسلمين بعدي حقّاً، وأقدمهم سلماً، وأعلمهم علماً، وأحلمهم حلماً، وأثبتهم في الميزان قدراً، فاستبشرت فاطمة عليها السلام، فأقبل عليها رسول الله ﷺ فقال لها: هل سررتك يا فاطمة؟ قالت: نعم يا أبتِ.

قال: أفلا أزيدك في بعلك وابن عمّك من مزيد الخير وفواضله؟ قالت: بلى يا نبيّ الله.

قال: إنّ عليّاً أوّل من آمن بالله عزّ وجلّ ورسوله من هذه الأمّة هو وخديجة أمّك، وأوّل من وازرني على ما جئت به.

يا فاطمة، إنّ عليّاً أخي وصفيّي وأبو ولدي، وإنّ عليّاً أُعطي خصالاً من الخير لم يعطها أحد قبله، ولا يعطاها أحد بعده، فأحسني عزاك، واعلمي أنّ أباك لاحق بالله عزّ وجلّ، قالت: يا أبتِ، قد سررتني وأحزنتني؟

قال: كذلك - يا بنيّة - أمور الدنيا يشوب سرورها حزنها، وصفوها كدرها، ألا أزيدك يا بنيّة؟ قالت: بلى يا رسول الله.

قال: إنّ الله تعالى خلق الخلق فجعلهم قسمين، فجعلني وعليّاً في خيرهما قسماً؛ وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

ثمّ جعل القسمين قبائل، فجعلنا في خيرها قبيلة؛ وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثمّ جعل القبائل بيوتاً فجعلنا في خيرها بيتاً في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الاحزاب: ٣٣].

ثمّ إنّ الله تعالى واختارني من أهل بيتي، واختار عليّاً والحسن والحسين واختارك، فأنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيّد العرب، وأنت سيّدة النساء، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ومن ذرّيّتك المهدي، يملأ الله عزّ وجلّ به الأرض عدلاً كما ملئت بمن قبله جوراً».

وروى فرات بن إبراهيم في تفسيره بإسناد معتبر، عن جابر، قال: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة عليها السلام: بأبي وأمّي أنت، أرسلي إلى بعلك فادعيه لي، فقالت فاطمة للحسن: انطلق إلى أبيك فقل: يدعوك جدّي.

قال: فانطلق إليه الحسن عليه السلام، فدعاه، فأقبل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب حتى

دخل على رسول الله وفاطمة عنده، وهي تقول: واكرباه لكربك يا أبتاه.

فقال لها رسول الله: لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة، إنّ النبيّ لا يشقّ عليه الجيب، ولا يخمش عليه الوجه، ولا يدعى عليه بالويل، ولكن قولي كما قال أبوك على إبراهيم: تدمع العينان، وقد يوجع القلب، ولا نقول ما يسخط الربّ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، ولو عاش إبراهيم لكان نبيّاً.

ثمّ قال: يا عليّ: ادن منّي، فدنا منه، فقال: أدخل أذنك في فيَّ، ففعل، وقال: يا أخي، ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، قال: بلى يا رسول الله، قال: هم أنت وشيعتك غرّاً محجّلين، شباعاً مرويّين، أوَلم تسمع قول الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] قال: بلى يا رسول الله، قال: هم عدوّك وشيعتهم، يجوزون يوم القيامة ظماء مظمئين، أشقياء معذّبين، كفّاراً منافقين، ذلك لك ولشيعتك، وهذا لعدوّك ولشيعتهم».

وهذا الحديث مروي في (كتاب سليم بن قيس)، عن أمير المؤمنين عليه السلام، ورواه الحسن بن سليمان في كتاب (المحتضر) عن تفسير محمّد بن العبّاس، عن الباقر عليه السلام.

وروى الصدوق في (معاني الأخبار) بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام، قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: إذا أنا متّ فلا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا ترخي عليَّ شعراً، ولا تنادي بالويل، ولا تقيمي عليَّ نائحة».

وفي كتاب (بشارة المصطفى)، عن أنس، قال: «جاءت فاطمة عليها السلام ومعها الحسن والحسين عليهما السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في المرض الذي قبض فيه، فانكبّت عليه فاطمة وألصقت صدرها بصدره، وجعلت تبكي، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، ونهاها عن البكاء، فانطلقت إلى البيت، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يستعبر الدموع: اللّهمّ أهل بيتي، وأنا مستودعهم كلّ مؤمن، ثلاث مرّات».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في (الإرشاد): «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ثقل وحضره الموت، وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده، فلمّا قرب خروج نفسه قال له: ضع يا عليّ رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وامسح بها وجهك، ثمّ وجّهني إلى القبلة، وتولّ أمري، وصلّ عليَّ أوّل النّاس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى، فأخذ عليّ عليه السلام رأسه فوضعه في حجره، فأُغمي عليه، فاكبّت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنيّة، هذا قول عمّك أبي طالب لا تقوليه، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فبكت طويلاً، وأومى إليها بالدنوّ، فدنت منه، فأسرّ إليها شيئاً تهلّل وجهها له، ثمّ قبض ﷺ ويد أمير المؤمنين عليه السلام تحت حنكه الشريف، ففاضت نفسه ﷺ فيها، فرفعها إلى وجهه، فمسحه بها، ثمّ وجّهه وغمّضه ومدّ عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره.

فجاءت الراوية أنّه قيل لفاطمة عليها السلام: ما الذي أسرَّ إليك رسول الله ﷺ فسرّى عنك ما كنت عليه من الحزن والقلق بوفاته؟

قالت: إنّه أخبرني إنّي أوّل أهل بيته لحوقاً به، وإنّه لن تطول المدّة بي بعده حتى أُدركه، فسرّى ذلك عنّي».

الفصل الخامس

في بيان وقوع المصيبة الكبرى، والداهية العظمى، أعني وفاة سيّد الأنبياء، وخاتم الرُّسل الأصفياء، وكيفية تغسيله، وتكفينه، ودفنه، والصلاة عليه، وبيان سائر الوقائع المقارنة لوفاته والواقعة بعدها

إعلم: أنّ أكثر علماء الخاصّة والعامّة ذهبوا إلى أنّ وفاته ﷺ كانت في يوم الاثنين، وأكثر الخاصّة أن يوم وفاته الثامن والعشرون من صفر، وأكثر العامّة على أنّه الثاني عشر من ربيع الأوّل.

وذهب بعضهم: إلى أنّه أوّل ربيع،

وبعضهم: أنّه الثامن عشر منه،

وبعضهم: أنّه العاشر منه،

وبعضهم: أنّه الثامن منه، ولا خلاف في أنّ عمره ﷺ كان حينئذٍ ثلاثاً وستين سنة، وأنّه بعد مضيِّ عشر سنين من الهجرة.

وروى عليّ بن عيسى في (كشف الغمّة) من تأريخ أحمد بن الخشّاب، عن الباقر عليه السلام، قال: «قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستّين في سنة عشر من الهجرة، فكان مقامه بمكّة أربعين سنة، ثمّ نزل عليه الوحي في تمام الأربعين، وكان بمكّة ثلاث عشر سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فأقام بالمدينة عشر سنين، وقبض في شهر ربيع الأوّل، يوم الاثنين لليلتين خلتا منه».

قال المجلسي رحمه الله: «لم يقل بهذا القول أحد من الشيعة، ولعلّه محمول على التقيّة».

وفي (كشف الغمّة) أيضاً: «إنّه عاش ثلاثاً وستّين سنة، منها مع أبيه سنتان وأربعة أشهر، ومع جدّه عبد المطّلب ثماني سنين، ثمّ كفله عمّه أبو طالب بعد وفاة عبد المطّلب، فكان يكرمه ويحميه وينصره بيده ولسانه أيّام حياته.

وقيل: إنّ أباه مات وهو حمل.

وقيل: مات وعمره سبعة أشهر، وماتت أمّه وعمره ستّ سنين، وتوفّي عمّه أبو طالب وعمره ستّ وأربعون سنة وثمانية أشهر، وتوفّيت خديجة بعده بثلاثة أيّام، فسمّي ذلك عام الحزن، وأقام بمكّة بعد البعثة ثلاثة عشر سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيّام.

وقيل: ستّة أيّام، ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأوّل وبقي بها عشر سنين، ثمّ قبض لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر للهجرة».

وروى القطب الراوندي بإسناده عن ابن عبّاس، قال: «دخل أبو سفيان على النبيّ ﷺ يوماً فقال: يا رسول الله، أريد أن أسألك عن شيء.

فقال ﷺ: إن شئت أخبرتك قبل أن تسألني، قال: إفعل، قال: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري، فقال: نعم يا رسول الله، فقال: إنّي أعيش ثلاثاً وستّين سنة، فقال: أشهد أنّك صادق، فقال ﷺ: بلسانك دون قلبك - الخبر.

وروى الصدوق في (الخصال) بإسناد معتبر عن الثمالي، قال: «جئت إلى الباقر عليه السلام يوم الاثنين، فقال: كُل، فقلت: إنّي صائم.

فقال: وكيف صمت؟ قال: قلت: لأنّ رسول الله ﷺ ولد فيه.

فقال: أمّا ما ولد فيه فلا يعلمون، وأمّا ما قبض فيه فنعم، ثمّ قال: لا تصم ولا تسافر فيه».

والأخبار كثيرة في أنّ وفاته ﷺ كانت يوم الاثنين.

وروى الشيخ في (الأمالي) وغيره بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله، فإنّ النّاس لن يصابوا بمثله ولم يصابوا بمثله أبداً».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب)، قال: «قال النبيّ ﷺ: يا عليّ، مَن أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنّها من أعظم المصائب».

وروى الصدوق في (العلل): «إنّ جبرئيل نزل على رسول الله ﷺ بحنوط، وكان وزنه أربعين درهماً، فقسّمه رسول الله ثلاثة أجزاء: جزءاً له، وجزءاً لعليّ عليه السلام، وجزءاً لفاطمة عليها السلام».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «دخلت على نبيّ الله وهو مريض، فإذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق، والنبيّ ﷺ نائم، فلمّا دخلت عليه قال الرجل: ادن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي، فدنوت منهما، فقام الرجل وجلست مكانه، ووضعت رأس النبيّ في حجري، كما كان في حجر الرجل، فمكثت ساعة، ثمّ إنّ النبيّ استيقظ فقال: أين الرجل الذي كان رأسي في حجره؟ فقلت: لمّا دخلت عليك دعاني إليك، ثمّ قال: ادن إلى ابن عمّك فأنت أحقّ به منّي، ثمّ قام، فجلست مكانه، فقال النبيّ ﷺ: فهل تدري من الرجل؟ قلت: لا بأبي وأمّي، فقال النبي: ذاك جبرئيل كان يحدّثني حتى خفّ عنّي وجعي ونمت ورأسي في حجره».

وروى الصدوق في (الإكمال) عن عبد الله بن مسعود، قال: «قلت للنبيّ ﷺ: يا رسول

الله، مَن يغسّلك إذا متّ؟ قال: يغسّل كلّ نبيّ وصيّه، فقلت: مَن وصيّك يا رسول الله؟ قال: عليّ بن أبي طالب، فقلت: كم يعيش بعدك يا رسول الله؟ قال: ثلاثين سنة، فإنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عاش من بعده ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى، فقال: أنا أحقّ بالأمر منك، فقاتلها، فقتل مقاتلتها وأسرها، فأحسن أسرها، وأنّ ابنة أبي بكر ستخرج على عليّ في كذا وكذا ألفاً من أمّتي فيقاتلها، فيقتل مقاتلتها، ويأسرها، فيحسن أسرها، وفيها أنزل الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وروى الكليني في (الكافي) والصفّار في (البصائر)، والشيخ والصدوق والراوندي وغيرهم بأسانيد عديدة معتبرة، عن أمير المؤمنين والباقر والصادق عليهم السلام «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليّاً فقال له: يا عليّ، إذا أنا متّ فاستق ستّ قرب من ماء بئر غرس، فإذا استقيت فانق غسلي وكفّني وحنّطني، فإذا كفّنتني وحنّطتني فخذ بي وأجلسني، ثمّ سلني عمّا شئت، فوالله! لا تسألني عن شيء إلاّ أجبتك».

وفي بعض الروايات: «إنّ عليّاً فعل ذلك وقال في هذا الموضع أيضاً: «انفتح لي ألف باب من العلم، ينفتح من كلّ باب منها ألف باب».

وفي رواية الراوندي في (الخرائج والجرائح)، قال عليّ عليه السلام: «ففعلت ذلك فأنبأني بما يكون إلى أن تقوم الساعة، وما من فئة تكون إلاّ وأنا أعرف أهل ضلالها من أهل حقّها».

وفي رواية: «إنّه عليه السلام كتب ما أملى عليه النبيّ صلى الله عليه وآله حينئذٍ».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد صحيح عن الصادق عليه السلام في حديث قال فيه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إذا أنا متّ فغسّلني، فإنّه لا يرى أحد عورتي غيرك إلاّ انفقأت عيناه، قال: فقال له عليّ: يا رسول الله، إنّك رجل ثقيل، ولا بدّ لي ممّن يعينني! قال: فقال له: إنّ جبرئيل معك يعينك وليُناولك الفضل بن العبّاس الماء ومره فليعصب عينه، فإنّه لا يرى أحد عورتي غيرك إلاّ انفقأت عيناه».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليهم السلام: «أنّه دخل عليه رجلان من قريش فقال: ألا أحدّثكما عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالا: بلى حدّثنا عن أبي القاسم، قال: سمعت أبي يقول: لمّا كان قبل وفاة رسول الله بثلاثة أيّام هبط عليه جبرئيل فقال: يا أحمد، إنّ الله أرسلني إليك إكراماً وتفضيلاً لك وخاصّة يسألك عمّا هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك يا محمّد؟

قال النبي: أجدني يا جبرئيل مغموماً، وأجدني يا جبرئيل مكروباً، فلمّا كان اليوم الثالث

هبط جبرئيل وملك الموت ومعهما ملك يقال له إسماعيل، في الهواء على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبرئيل، فقال: يا أحمد، إنّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصّة يسألك عمّا هو أعلم به منك؟ فقال: كيف تجدك يا محمّد.

قال: أجدني يا جبرئيل مغموماً، وأجدني يا جبرئيل مكروباً، فاستأذن ملك الموت، فقال جبرئيل: يا أحمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك لم يستأذن على أحد قبلك، ولا يستأذن على أحد بعدك، فقال: ائذن له، فأذن له جبرئيل، فأقبل حتى وقف بين يديه، فقال: يا أحمد، إنّ الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني، إن أمرتني بقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها، فقال النبيّ: أتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال: نعم، بذلك أمرت أن أطيعك فيما تأمرني، فقال له جبرئيل: يا أحمد إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا ملك الموت، امضِ لما أُمرت به، فقال جبرئيل: هذا آخر وطئي الأرض، إنّما كنت حاجتي من الدنيا.

فلمّا توفّي رسول الله صلّى الله على روحه الطيّب وعلى آله الطاهرين جاءت التعزية، وجاءهم آتٍ يسمعون حسّه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥] إنّ في الله عزاءً من كلّ مصيبة، وخلفاً من كلّ هالك، ودركاً من كلّ ما فات، فبالله فثقوا، وإيّاه فارجوا، فإنّ المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله.

قال عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر».

وروى الصدوق في (الأمالي) عن ابن عبّاس، قال: «لمّا مرض رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعنده أصحابه قام إليه عمّار بن ياسر فقال له: فداك أبي وأمّي يا رسول الله، مَن يغسّلك منّا إذا كان ذلك منك؟

قال: ذلك عليّ بن أبي طالب؛ لأنّه لا يهمّ بعضو من أعضائي إلاّ أعانته الملائكة على ذلك، فقال له: فداك أبي وأمي، يا رسول الله، فمن يصلّي عليك منّا إذا كان ذلك منك؟ قال: مَه رحمك الله.

ثمّ قال لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا بن أبي طالب، إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني وأنق غسلي، وكفّني في طمريَّ هذين، أو في بياض مصر، وبرد يماني، ولا تغال في كفني، واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري، فأوّل من يصلّي عليَّ الجبّار جلّ جلاله، من فوق عرشه، ثمّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنوده من الملائكة لا يحصي عددهم إلاّ الله جلّ وعزّ، ثمّ الحافّون بالعرش، ثمّ سكّان أهل سماء فسماء، ثمّ جلّ أهل بيتي ونسائي الأقربون فالأقربون، يومون إيماءً، ويسلّمون تسليماً، لا يؤذنوني بصوت نادبة ولا مرنّة.

ثمّ قال: يا بلال، هلمّ عليَّ بالنّاس، فاجتمع النّاس، وخرج رسول الله ﷺ متعصّباً بعمامته، متوكّئاً على قوسه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: معاشر أصحابي، أي نبيّ كنتم لكم، ألم أُجاهد بين أظهركم؟ ألم تكسر رباعيتي؟ ألم يعفّر جبيني؟ ألم تسل الدماء على حُرّ وجهي حتى كنفت لحيتي؟ ألم أُكابد الشدّة والجهد مع جهّال قومي؟ ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟.

قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابراً، وعن منكر بلاء الله ناهياً، فجزاك الله عنّا أفضل الجزاء.

قال: وأنتم فجزاكم الله، ثمّ قال: إنّ ربّي عزّ وجلّ حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أيّ رجل منكم كانت له قِبَلَ محمّد مظلمة إلاّ قام فليقتصّ منه، فالقصاص في دار الدنيا أحبّ إليَّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء.

فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس، فقال له: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله، إنّك لمّا أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء، وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة، فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأً؟

فقال: معاذ الله أن أكون تعمّدت، ثمّ قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فآتني بالقضيب الممشوق، فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر النّاس، مَن ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، فهذا محمّد يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة، وطرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام وهو يقول: يا فاطمة، قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق، فأقبلت فاطمة وهي تقول: يا بلال، وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب؟

فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر وهو يودّع أهل الدين والدنيا، فصاحت فاطمة وقالت: واغمّاه لغمّك يا أبتاه من للفقراء والمساكين وابن السبيل، يا حبيب الله وحبيب القلوب، ثمّ ناولت بلالاً القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي، فقال: تعال فاقتصّ منّي حتى ترضى؟ فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف ﷺ عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك، فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النّار يوم النّار، فقال رسول الله: يا سوادة بن قيس، أتعفو أم تقتصّ؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله، فقال ﷺ: اللّهمّ اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيّك محمّد.

ثمّ قام رسول الله فدخل بيت أمّ سلمة وهو يقول: ربّ سلّم أمّة محمّد من النّار، ويسّر عليهم الحساب، فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله، ما لي أراك مغموماً متغيّر اللون؟ فقال: نُعيت إليَّ نفسي هذه الساعة، فسلام لك في الدنيا، فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمّد أبداً، فقالت أمّ سلمة: واحزناه حزناً لا تدركه الندامة عليك يا محمّداه.

ثمّ قال ﷺ: ادع لي حبيبة قلبي، وقرّة عيني فاطمة تجيئني، ثمّ أُغمي عليه، فجاءت فاطمة وهي تقول: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء يا أبتاه، ألا تكلّمني كلمة فإنّي أنظر أراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً؟ فقال لها: يا بنيّة، إنّي مفارقك، فسلام عليك منّي، قالت: يا أبتاه، فأين الملتقى، يوم القيامة؟ قال: عند الحساب، قالت: فإن لم ألقك عند الحساب؟ قال: عند الشفاعة لأمّتي، قالت: فإن لم ألقك عند الشفاعة لأمّتك؟ فقال: عند الصراط، جبرئيل عن يميني، وميكائيل عن يساري، والملائكة من خلفي وقدّامي ينادون: ربّ سلّم أمّة محمّد من النّار، ويسّر عليهم الحساب، قالت فاطمة: فأين والدتي خديجة؟ قال: في قصر له أربعة أبواب إلى الجنّة، ثمّ أُغمي على رسول الله ﷺ، فدخل بلال وهو يقول: الصلاة رحمك الله، فخرج رسول الله وصلّى بالنّاس، وخفّف الصلاة.

ثمّ قال: ادعوا لي عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فجاءا، فوضع ﷺ يده على عاتق عليّ والأُخرى على أُسامة، ثمّ قال: انطلقا بي إلى فاطمة، فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها، فإذا الحسن والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء.

فقال رسول الله ﷺ: مَن هذان يا عليّ؟ قال: هذان ابناك الحسن والحسين، فعانقهما وقبّلهما، وكان الحسن عليه السلام أشدّ بكاءً. فقال: ﷺ له: كفّ يا حسن، فقد شققت على رسول الله، فنزل ملك الموت وقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك السلام يا ملك الموت، فقال له: لي إليك حاجة؟ قال: ما حاجتك يا نبيّ الله، قال: حاجتي أن لا تقبض روحي حتى يجيئني جبرئيل فيسلّم عليَّ وأُسلّم عليه، فخرج ملك الموت وهو يقول: يا محمّداه، فاستقبله جبرئيل في الهواء، فقال: يا ملك الموت، قبضت روح محمّد؟ قال: لا يا جبرئيل، سألني أن لا أقبضه حتى يلقاك فتسلّم عليه ويسلّم عليك، فقال جبرئيل: يا ملك الموت، أما ترى أبواب السماء مفتّحة لروح محمّد؟ أما ترى الحور العين قد تزيّنّ لروح محمّد؟ ثمّ نزل جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم.

فقال: وعليك السلام يا جبرئيل، أُدن منّي حبيبي، فدنا منه، فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت، احفظ وصيّة الله في روح محمّد، وكان جبرئيل عن يمينه، وميكائيل

عن يساره، وملك الموت آخذ بروحه ﷺ، فكلّما كشف الثوب عن وجه رسول الله نظر إلى جبرئيل فقال له: عند الشدائد لا تخذلني، فقال: يا محمّد، إنّك ميّت وإنّهم ميّتون، كلّ نفس ذائقة الموت.

فروي عن ابن عبّاس: أنّ رسول الله ﷺ في ذلك المرض كان يقول: ادعوا لي حبيبي، فجعل يدعى له رجل بعد رجل فيعرض عنه، فقيل لفاطمة عليها السلام: امضِ إلى عليّ، فما نرى رسول الله ﷺ يريد غير عليّ، فبعثت فاطمة إلى عليّ، فلمّا دخل فتح رسول الله ﷺ عينيه، وتهلّل وجهه، ثمّ قال: إليَّ يا عليّ، إليَّ يا عليّ، فما زال يدنيه حتى أخذ بيده، وأجلسه عند رأسه، ثمّ أُغمي عليه، فجاء الحسن والحسين يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله، فأراد عليّ عليه السلام أن ينحّيهما عنه، فأفاق رسول الله، ثمّ قال: يا عليّ، دعني أشمّهما ويشمّاني، وأتزوّد منهما ويتزوّدان منّي، أما إنّهما سيُظلمان بعدي، ويُقتلان ظلماً، فلعنة الله على مَن يظلمهما، يقول ذلك ثلاثاً.

ثمّ مدّ يده إلى عليّ عليه السلام فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه، ووضع فاه على فيه، وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيّبة ﷺ، فانسلَّ عليّ عليه السلام من تحت ثيابه، وقال: أعظم أجوركم في نبيّكم، فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالصيحة والبكاء.

فقيل لأمير المؤمنين: ما الذي ناجاك به رسول الله حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علّمني ألف باب، يفتح لي كلّ باب ألف باب».

وروى الصدوق في (الخصال) بإسناد معتبر عن عليّ عليه السلام فيما أجاب به اليهودي الذي سأله عمّا ابتلي به عليه السلام وهو من علامات الأوصياء.

فقال عليه السلام: «أمّا أوّلهن يا أخا اليهود فإنّه لم يكن بي حاصة، دون المسلمين عامّة أحد آنس به، أو أعتمد عليه، أو أستنيم[1] إليه، أو أ[illegible]ب به، غير رسول الله، وهو ربّاني صغيراً، وبوّأني كبيراً، وكفاني العيلة، وجبرني [illegible]، وأغناني عن الطلب، ووقاني المكسب، وعال لي النفس والأهل والولد، هذا [illegible] أمر الدين مع ما خصّني به من الدرجات التي قادتني إلى معالي الحظوة[2] عند الله عزّ وجلّ، فنزل بي من وفاة رسول الله ما لم أكن أظنّ الجبال لو حمّلته عنوة كانت تنهض به، فرأيت النّاس من أهل بيتي ما بين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله،

---

(١) استنام: أي سكن.

(٢) الحظوة - بالضم والكسر - المكانة.

وحان بينه وبين الفهم والإفهام، والقول والاستماع، وسائر النّاس، من غير بني عبد المطّلب بين معزّ يأمر بالصبر، وبين مساعد باك لبكائهم، جازع لجزعهم، وحملت نفسي على الصبر عند وفاته بلزوم الصمت والاشتغال بما أمرني به من تجهيزه وتغسيله وتحنيطه وتكفينه والصلاة عليه ووضعه في حفرته، وجمع كتاب الله، وعهده إلى خلقه، ولا يشغلني عن ذلك بادر دمعة، ولا هايج زفرة[١]، ولا لاذع[٢] حرقة، ولا جزيل مصيبة، حتى أدّيت في ذلك الحقّ الواجب لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله علَيَّ، وبلغت منه الذي أمرني به، واحتملته صابراً محتسباً.

ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) عن ابن عبّاس: «أنّه أُغمي على النبيّ صلى الله عليه وآله في مرضه، فدُقّ بابه، فقالت فاطمة عليها السلام: مَن ذا؟، قال: أنا رجل غريب أتيت أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذنون لي في الدخول إليه؟ فأجابت عليها السلام: إمض رحمك الله لحاجتك، فرسول الله عنك مشغول، فمضى ثم رجع، فدقّ الباب وقال: غريب يستأذن على رسول الله أتأذنون للغرباء، فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله من غشيته وقال: يا فاطمة، أتدرين من هذا؟ قالت: لا يا رسول الله، قال: هذا مفرّق الجماعات، ومنغّص اللّذات، هذا ملك الموت، ما استأذن والله على أحد قبلي، ولا يستأذن على أحد بعدي، استأذن عليَّ لكرامتي على الله، ائذني له، فقالت: ادخل رحمك الله، فدخل كريح هفّافة، وقال: السلام على أهل بيت رسول الله، فأوصى النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام بالصبر عن الدنيا، وبحفظ فاطمة، وبجمع القرآن، وبقضاء دينه، وبغسله، وأن يعمل حول قبره حائطاً، ويحفظ الحسن والحسين».

وروى عليّ بن عيسى في (كشف الغمّة) عن الباقر، قال: «لمّا حضرت النبيّ صلى الله عليه وآله الوفاة استأذن عليه رجل، فخرج إليه عليّ عليه السلام فقال: حاجتك؟ قال: أردت الدخول إلى رسول الله، فقال عليّ عليه السلام: لست تصل إليه، فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنّه لا بدّ من الدخول عليه، فدخل عليّ عليه السلام واستأذن النبيّ، فأذن له، فدخل وجلس عند رأس رسول الله، ثمّ قال: يا نبيّ الله، إنّي رسول الله إليك، قال: وأيّ رسل الله أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني إليك يخيّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: فأمهلني حتى ينزل جبرئيل فأستشيره، فنزل جبرئيل فقال: يا رسول الله، الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربّك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال صلى الله عليه وآله: لقاء ربّي خير لي، فامضِ لما أُمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجّل حتى أعرج إلى ربّي وأهبط، فقال ملك الموت: لقد

---

(١) الزفرة: التنفّس الشديد.

(٢) يقال: لذعت النار الشيء، أي أحرقته.

صارت نفسه في موضع لا أقدر على تأخيرها، فعند ذلك قال جبرئيل: يا محمّد، هذا آخر هبوطي إلى الدنيا، إنّما كنت أنت حاجتي فيها».

وروي عن كتاب أبي إسحاق الثعلبي، قال: «دخل أبو بكر على النبيّ وقد ثقل، فقال: يا رسول الله، متى الأجل؟ قال: قد حضر، قال أبو بكر: الله المستعان على ذلك، فإلامَ المنقلب؟ قال: إلى سدرة المنتهى، وجنّة المأوى، وإلى الرفيق الأعلى، والكأس الأوفى، والعيش المهنّى.

قال أبو بكر: فمن يلي غسلك قال: رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى، قال: ففيم نكفّنك؟ قال: في ثيابي هذه التي عليَّ أو في حلّة يمانيّة أو في بياض مصر. قال: كيف الصلاة عليك، فارتجّت الأرض بالبكاء، فقال لهم النبيّ ﷺ: مهلاً عفا الله عنكم، إذا غسّلت وكفّنت فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثمّ اخرجوا عنّي ساعة، فإنّ الله تبارك وتعالى أوّل من يصلي عليّ، ثمّ يأذن للملائكة في الصلاة عليَّ، فأوّل من ينزل جبرئيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ ميكائيل، ثمّ ملك الموت في جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها، ثمّ ادخلوا عليَّ زمرة زمرة، فصلّوا عليَّ وسلّموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا مرنّة، وليبدأ بالصلاة عليَّ الأدنى فالأدنى من أهل بيتي، ثمّ النساء، ثمّ الصبيان زمراً.

قال أبو بكر: فمن يُدخلك قبرك؟ قال: الأدنى فالأدنى من أهل بيتي مع ملائكة لا ترونهم، قوموا فأدّوا عنّي إلى من ورائكم».

وروى أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «كان جبرئيل ينزل على النبيّ في مرضه الذي قُبض فيه، في كلّ يوم وفي كلّ ليلة، فيقول: السلام عليك، إنّ ربّك يقرئك السلام فيقول: كيف تجدك، وهو أعلم بك، ولكنّه أراد أن يزيدك كرامةً وشرفاً إلى ما أعطاك على الخلق، وأراد أن يكون عيادة المريض سنّة في أمّتك، فيقول له النبيّ ﷺ: إن كان وجعاً يا جبرئيل أجدني وجعاً، فقال له جبرئيل: إعلم يا محمّد إنّ الله لم يشدّد عليك، وما من أحد من خلقه أكرم عليه منك، ولكنّه أحبّ أن يسمع صوتك ودعاءك حتى تلقّاه مستوجباً للدرجة والثواب الذي أُعدّ لك، والكرامة والفضيلة على الخلق.

وإن قال له النبيّ: أجدني مريحاً في عافية، قال له: فاحمد الله على ذلك، فإنّه يحبّ أن تحمده وتشكره ليزيدك إلى ما أعطاك خيراً، فإنّه يحبّ أن يحمد ويزيد من شكر.

قال عليه السلام: وإنّه نزل عليه في الوقت الذي كان ينزل فيه فعرفنا حسّه، فقال عليٌّ عليه السلام، فيخرج مَن كان في البيت غيري، فقال له جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السلام، ويسألك وهو أعلم بك، كيف تجدك؟

فقال له النبيّ ﷺ: أجدني ميّتاً، قال له جبرئيل: يا محمّد، أبشر فإنّ الله إنّما أراد أن يبلّغك بما تجد ما أعدّ لك من الكرامة، قال له النبيّ ﷺ: إنّ ملك الموت استأذن عليَّ فأذنت له، فدخل واستنظرته مجيئك، فقال له: يا محمّد، إنّ ربّك إليك مشتاق، فما استأذن ملك الموت على أحد قبلك، ولا يستأذن على أحد بعدك، فقال النبيّ ﷺ: لا تبرح يا جبرئيل حتى يعود، ثمّ أذن للنساء فدخلن عليه، فقال لابنته: ادن منّي يا فاطمة، فأكبّ عليها فناجاها، فرفعت رأسها وعيناها تهملان دموعاً، فقال لها: ادني منّي، فدنت منه، فأكبّت عليه فناجاها، فرفعت رأسها وهي تضحك، فتعجّبنا لما رأينا، فسألناها فأخبرتنا أنّه نعى إليها نفسه، فبكت، فقال لها: يا بنيّة، لا تجزعي فإنّي سألت ربّي أن يجعلك أوّل أهل بيتي لحاقاً بي، فأخبرني أنّه قد استجاب لي، فضحكت، قال: ثمّ دعا النبيّ الحسن والحسين فقبّلهما وشمّهما وجعل يترشّفهما وعيناه تهملان».

وروى الشيخ في (التهذيب) بإسناد معتبر عن الحرث بن يعلى بن مرّة، عن جدّه، قال: «قبض رسول الله ﷺ، فستر بثوب ورسول الله خلف الثوب، وعليّ عليه السلام عند طرف ثوبه، وقد وضع خدّيه على راحته، قال: والريح يضرب طرفي الثوب على وجه عليّ عليه السلام، قال: والنّاس على الباب وفي المسجد ينتحبون ويبكون، وإذا سمعنا صوتاً في البيت: إنّ نبيّكم طاهر مطهّر فادفنوه ولا تغسّلوه، قال: فرأيت عليّاً عليه السلام حين رفع رأسه فزعاً، فقال: اخسأ عدوّ الله، فإنّه أمرني بغسله وكفنه ودفنه وذاك سنّة، قال: ثمّ نادى منادٍ آخر غير النغمة: يا عليّ بن أبي طالب، استر عورة نبيّك، ولا تنزع القميص».

وروى الشيخ المفيد في (المجالس)، والسيّد ابن طاووس رحمه الله، وغيرهما بأسانيد معتبرة، عن ابن عبّاس وغيره، قال: «لمّا توفّي رسول الله ﷺ تولّى غسله عليّ بن أبي طالب والعبّاس معه، والفضل بن العبّاس يناوله الماء.

لمّا فرغ عليّ من غسله كشف الإزاء عن وجهه، ثمّ قال: بأبي أنت وأمّي، طبت حيّاً وطبت ميّتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوّة والأنباء وأخبار السماء، خصّصت حتى صارت مسلياً عمّن سواك، وعمّمت حتى صار النّاس فيك سواء، ولولا أنّك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشؤن[1]، ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً، وقلاّ لك، ولكنّه ما لا يملك ردّه ولا يستطاع دفعه، بأبي أنت وأمّي اذكرنا عند ربّك، واجعلنا من همّك، ثمّ أكبّ عليه فقبّل وجهه، ومدّ الإزار عليه».

وروى الصفّار في (البصائر) بإسناد عن أبي رافع، قال: «إنّ الله تعالى ناجى عليّاً يوم غسّل رسول الله ﷺ».

---

(١) الشؤن: جمع شأن، وهو مجرى الدمع من الرأس إلى العين.

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله هبط جبرئيل ومعه الملائكة والروح الذين كانوا يهبطون في ليلة القدر، قال: ففتح لأمير المؤمنين بصره، فرآهم في منتهى السماوات إلى الأرض يغسلون النبيّ معه، ويصلّون معه عليه، ويحفرون له والله ما حفر له غيرهم، حتى إذا وضع في قبره نزل معه من نزل، فوضعوه، فتكلّم صلى الله عليه وآله فسمعه عليه السلام يوصيهم به، فبكى عليه السلام، وسمعهم يقولون: لا نألوه جهداً، وإنّما هو صاحبنا بعدك، إلاّ أنّه ليس يعايننا ببصره بعد مرّتنا. حتى إذا مات أمير المؤمنين عليه السلام رأى الحسن والحسين مثل ذلك الذي رأى عليه السلام، ورأيا النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً يعين الملائكة مثل الذي صنعوه بالنبيّ صلى الله عليه وآله، حتى إذا مات الحسن رأى منه الحسين عليه السلام مثل ذلك، ورأى النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً يعينان الملائكة، حتى إذا مات الحسين عليه السلام رأى عليّ بن الحسين منه مثل ذلك، ورأى النبيّ وعليّاً والحسن يعينون الملائكة، حتى إذا مات عليّ بن الحسين عليه السلام رأى محمّد بن عليّ مثل ذلك، ورأى النبيّ وعليّاً والحسن والحسين يعينون الملائكة حتى إذا مات محمّد بن عليّ رأى جعفر مثل ذلك، ورأى النبيّ وعليّاً والحسن والحسين وعليّ بن الحسين يعينون الملائكة، حتى إذا مات جعفر رأى منه موسى مثل ذلك، وهكذا يجري إلى آخرنا».

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «لعلّ المراد بقول جبرئيل - في بعض الأخبار السابقة -: هذا آخر هبوطي إلى الدنيا، أنّه آخر هبوطه لأجل الوحي حتى يرتفع التنافي بينه وبين مثل هذه الأخبار، ويحتمل أنّه لم ينزل بعد النبيّ إلى الأرض وهذه الأمور اتّفقت في الهواء، والله العالم».

وروى الكليني والشيخ وغيرهما بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام وغيره قال: «كفّن رسول الله بثلاثة أثواب ثوبين صحاريّين[1] برد وحبرة».

وروى في (الكافي) بإسناد صحيح أو حسن، عن الصادق عليه السلام، قال: «أتى العبّاس أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا عليّ، إنّ النّاس قد اجتمعوا أن يدفنوا رسول الله في بقيع الصّلى وأن يؤمّهم رجل منهم، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى النّاس فقال: يا أيّها النّاس، إنّ رسول الله إمامنا حيّاً وميّتاً، وقال: إنّي أُدفن في البقعة التي أُقبض فيها، ثمّ قام على الباب، فصلّى عليه، ثمّ أمر النّاس عشرة عشرة يصلّون عليه ثمّ يخرجون».

وروى أيضاً عن أبي مريم، عن الباقر عليه السلام، قال: «قلت له: كيف كانت الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله؟ قال: لمّا غسّله أمير المؤمنين وكفّنه، سجّاه، ثمّ أدخل عليه عشرة عشرة فداروا

---

(١) صحار: قرية باليمن ينسب إليها الثياب.

حوله، ثمّ وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فيقول القوم كما يقول، حتى صلّى أهل المدينة وأهل العوالي».

وروى الطبرسي في (إعلام الورى) عن الباقر عليه السلام، قال: «قال النّاس: كيف الصلاة عليه؟ فقال عليّ عليه السلام: إنّ رسول الله إمامنا حيّاً وميّتاً، فدخل عشرة عشرة فصلّوا عليه يوم الاثنين وليلة الثلاثاء حتى الصباح، ويوم الثلاثاء، حتى صلّى عليه كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم، وضواحي المدينة بغير إمام».

وروى الكليني أيضاً بإسناد معتبر عن جابر، عن الباقر عليه السلام، قال: «لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلّت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجاً فوجاً»، قال: «وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله يقول في صحّته وسلامته: إنّما أُنزلت هذه الآية علَيَّ في الصلاة بعد قبض الله لي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾الآية» [الأحزاب: ٥٦].

وروى الشيخ في (التهذيب) بإسناد معتبر عن أبي مريم الأنصاري، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كفّن رسول الله في ثلاث أثواب برد أحمر حبرة وثوبين أبيضين صحاريّين، قلت له: وكيف صلّي عليه؟ قال: سجّي بثوب وجعل وسط البيت، فإذا دخل قوم داروا به وصلّوا عليه ودعوا له، ثمّ يخرجون ويدخل آخرون، ثمّ دخل عليّ عليه السلام القبر، فوضعه على يديه، وأدخل معه الفضل بن العبّاس، فقال رجل من الأنصار من بني الخيلاء يقال له الأوس بن الخولي: أُنشدكم الله أن تقطعوا حقّنا، فقال له عليّ عليه السلام: ادخل، فدخل معهما، فسألته: أين وضع السرير؟ فقال: عند رجل القبر وسلّ سلاً».

وفي (احتجاج الطبرسي) و(كتاب سليم بن قيس الهلالي) عن سلمان الفارسي أنّه قال: «أتيت عليّاً عليه السلام وهو يغسّل رسول الله، وقد كان أوصى أن لا يغسّله غير عليّ، وأخبر عنه أنّه لا يريد أن يقلب منه عضواً إلاّ قلب له، وقد قال أمير المؤمنين لرسول الله: مَن يعينني على غسلك يا رسول الله؟

قال: جبرئيل، فلمّا غسّله وكفّنه أدخلني وأدخل أبا ذرّ والمقداد وفاطمة وحسناً وحسيناً، فتقدّم وصففنا خلفه، وصلّى عليه، وعائشة في الحجرة لا تعلم، قد أخذ جبرئيل ببصرها، ثمّ أدخل عشرة من المهاجرين وعشرة من الأنصار فيصلّون ويخرجون حتى لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ صلّى عليه».

وفي كتاب (كفاية الأثر) عن عمّار، قال: «لمّا حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة دعا بعليّ عليه السلام فسارّه طويلاً، ثمّ قال: يا عليّ، أنت وصيّي، ووارثي، قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا متّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم، وغصبت على حقّك، فبكت فاطمة،

وبكى الحسن والحسين، فقال لفاطمة: يا سيّدة النسوان، ممّ بكاؤك؟

قالت: يا أبت، أخشى الضيعة بعدك، قال: أبشري يا فاطمة، فإنّك أوّل من يلحقني من أهل بيتي، لا تبكي ولا تحزني، فإنّك سيّدة نساء أهل الجنّة، وأباك سيّد الأنبياء، وابن عمّك خير الأوصياء، وابناك سيّدا شباب أهل الجنّة، ومن صلب الحسين يُخرج الله الأئمّة التسعة مطهّرون معصومون، ومنّا مهديّ هذه الأمّة.

ثمّ التفت إلى عليّ فقال: يا عليّ، لا يلي غسلي وتكفيني غيرك.

فقال له عليّ عليه السلام: يا رسول الله، مَن يناولني الماء، فإنّك رجل ثقيل لا أستطيع أن أقلّبك؟

فقال له: إنّ جبرئيل معك ويناولك الفضل الماء».

وفي (الفقه الرضوي): «إنّ عليّاً عليه السلام لمّا أن غسّل رسول الله صلى الله عليه وآله وفرغ من غسله نظر في عينه فرأى فيها شيئاً، فانكبّ عليه، فأدخل لسانه فمسح ما مكان فيها، فقال: بأبي وأمّي يا رسول الله، صلّى الله عليك، طبت حيّاً وطبت ميّتاً.

وفي (نهج البلاغة): أنّه عليه السلام قال عند وفاة الزهراء مخاطباً للنبيّ صلى الله عليه وآله: «إلاّ إنَّ لي في التأسّي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعزّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

وقال عليه السلام في خطبة أخرى: «ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ رأسه لَعَلى صدري، وقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي، ولقد ولّيت غسله والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة[1] يصلّون عليه حتى وارياه في ضريحه، فمن ذا أحقُّ به منّي حيّاً وميّتاً».

وروى الكليني في الحسن عن الصادق عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لحّد له أبو طلحة الأنصاري».

أقول: يمكن أن يكون أبو طلحة لحّد له ظاهراً، والملائكة باطناً، حتى يرتفع التنافي بينه وبين ما تقدّم.

وروى في (الكافي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «ألقى شقران مولى رسول الله في قبره القطيفة».

وروى في الصحيح عن الصادق عليه السلام، قال: «جعل عليّ عليه السلام على قبر النبيّ لبناً».

---

(١) الهينمة: الصوت الخفي.

وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام، قال: «قبر رسول الله محصّب حصاة حمراء».

وروى الكليني والحميري وغيرهما عن الباقر عليه السلام، قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، ادفنيّ في هذا المكان وارفع قبري من الأرض أربع أصابع، ورشّ عليه الماء».

وروى الشيخ في (التهذيب) عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، «إنّ قبر رسول الله رفع شبراً من الأرض».

توضيح: قال المجلسي رحمه الله: «أحاديث الأربع أصابع أكثر، ويحتمل كونه محمولاً على كون الأربع أصابع مفرّجات، فإنّها قريبة من بعض الأشبار؛ لأنّها تختلف، ويحتمل أنّه كان أوّلاً أربع أصابع ثمّ جعل شبراً، ويحتمل حمل هذا الحديث على التقيّة».

وروى الشيخ عن أمّ سلمة رضي الله عنها، قالت: «وضعت يدي على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم مات فمرّ بي جُمَعٌ، آكل وأتوضّأ ما تذهب ريح المسك من يدي».

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام، قال: «لمّا قبض رسول الله بات آل محمّد بأطول ليلة حتى ظنّوا أن لا سماء تظلّهم، ولا أرض تقلّهم، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله، فبينما هم كذلك إذا أتاهم آتٍ لا يرونه ويسمعون كلامه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزاءً من كلّ مصيبة، ونجاة من كلّ هلكة، ودركاً لما فات، كلّ نفس ذائقة الموت، وإنّما توفّون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور. إنّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم وجعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت عمله، وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فتعزّوا بعزاء الله، فإنّ الله لن ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عزّ وجلّ الذين بهم تمّت النعمة، واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياؤه، فمن تولاّكم فاز، ومن ظلم حقّكم زهق، مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثمّ الله على نصركم إذا يشاء قدير، فاصبروا لعواقب الأمور، فإنّها إلى الله تصير، قد قبلكم الله من نبيّه وديعة، واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه، فأنتم الأمانة المستودعة، ولكم المودّة الواجبة والطاعة المفروضة، وقد قبض رسول الله، وقد أكمل لكم الدين، وبيّن لكم سبيل المخرج، فلم يترك لجاهل حجّة، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى، فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، وأستودعكم الله، والسلام عليكم»، فسألت أبا جعفر عليه السلام: ممّن أتاهم التعزية؟ فقال: «من الله تبارك وتعالى».

وقد وردت أحاديث معتبرة أنّ النبيّ ﷺ مات شهيداً مسموماً، كما روى الصفّار في (البصائر) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «سمّ رسول الله يوم خيبر، فتكلّم اللحم فقال: يا رسول الله، إنّي مسموم، فقال النبيّ عند موته: اليوم قطعت مطاياي الأكلة التي أكلت بخيبر، وما من نبيّ ولا وصيّ إلاّ شهيد».

بيان: الأصوب مطاي، كما في بعض النسخ، وكأنّه استعير هنا للأعضاء التي يقوم بها الإنسان.

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «سمّت اليهوديّة النبيّ في ذراع، قال: وكان رسول الله ﷺ يحب الذراع والكتف، ويكره الورك لقربها من المبال، - قال -: لمّا أُتي بالشواء أكل من الذراع، وكان يحبّها، فأكل ما شاء الله، ثمّ قال الذراع: يا رسول الله، إنّي مسموم، فتركه ومازال ينتقض به سمّه حتى مات ﷺ».

وروى العيّاشي رحمه الله في تفسيره بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «تدرون مات النبيّ أو قتل، إنّ الله يقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فسمّ قبل الموت، إنّهما سقتاه، فقلنا: إنّهما وأبوهما شرّ من خلق الله».

بيان: يمكن أن يكون كلّ من السمّين لهما مدخل في شهادته ﷺ، فلا تعارض.

وروى المفيد والشيخ والطبرسي وسائر محدّثي الخاصّة والعامّة: «أنّه لمّا توفّي رسول الله ﷺ لم يحضر دفن رسول الله منافقو المهاجرين والأنصار، كالأوّل والثاني وعبد الرحمن بن عوف وأضرابهم، وفاتهم الصلاة عليه اشتغالاً بأمر الخلافة، فأرسل إليهم عليّ عليه السلام بريدة يستدعيهم لحضور الصلاة، فلم يحضروا إلى أن تمّت بيعتهم، وأصبحت فاطمة عليها السلام تنادي: واسوء صباحاه، فسمعها أبو بكر فقال: إنّ صباحك سوء، واغتنم القوم الفرصة لشغل عليّ بن أبي طالب برسول الله ﷺ، وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم برسول الله، فتبادروا إلى ولاية الأمر، واتّفق لأبي بكر ما اتّفق لاختلاف الأنصار فيما بينهم، وكراهية الطلقاء والمؤلّفة قلوبهم من تأخّر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم، وأراد منافقو الأنصار أن تستقرّ الخلافة لسعد بن عبادة، ولم يكن لهم مقاومة من حضر من المهاجرين، فتمّ الأمر لأبي بكر».

قال المفيد: «وقد جاءت الراوية أنّه لمّا تمّ لأبي بكر ما تمّ وبايعه من بايع، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوّي قبر رسول الله بمسحاة في يده، فقال له: إنّ القوم قد بايعوا أبا بكر ووقعت الخذلة للأنصار لاختلافهم، وبَدَر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر، فوضع طرف المسحاة على الأرض ويده عليها، ثمّ قال: «بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيم ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ

ﭐللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ [العنكبوت: ١ - ٤].

وسيجيء تفصيل هذه القصّة في المجلّد الثاني إن شاء الله.

وروى الشيخ في (التهذيب) بإسناد معتبر عن الصيقل، قال: «كتبت إليه: جعلت فداك، هل اغتسل أمير المؤمنين عليه السلام حين غسّل رسول الله عند موته، فأجابه عليه السلام: النبيّ طاهر مطهّر، ولكنّ أمير المؤمنين فعل، وجرت به السنّة».

وروى الشيخ في (الأمالي) والطبرسي وغيرهما من محدّثي الخاصّة والعامّة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال يوم الشورى: «هل فيكم أحد غسّل رسول الله مع الملائكة المقرّبين بالروح والريحان، تقلّبه لي الملائكة وأنا أسمع قولهم وهم يقولون: استروا عورة نبيّكم ستركم الله، غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم من كفّن رسول الله ووضعه في حفرته غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد يبعث الله عزّ وجلّ إليه بالتعزية حيث قبض رسول الله وفاطمة عليهما السلام تبكيه؛ إذ سمعنا حسّاً على الباب وقائلاً يقول، نسمع صوته ولا نرى شخصه وهو يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ربّكم عزّ وجلّ يقرئكم السلام ويقول لكم: إنّ في الله خلفاً من كلّ مصيبة، وعزاءً من كلّ هالك، ودركاً من كلّ فوت، فتعزّوا بعزاء الله، واعلموا أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، والسلام عليكم ورحمة لله وبركاته. وأنا في البيت وفاطمة والحسن والحسين أربعة لا خامس لها إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مسجّى بيننا، غيري؟ قالوا: لا.

ثمّ قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله صلّى الله عليه وآله حنوطاً من حنوط الجنّة؟ فقال صلّى الله عليه وآله: اقسم هذا ثلاثاً، ثلثاً حنّطني به، وثلثاً لابنتي، وثلثاً لك غيري، قالوا: لا.

وفي رواية أخرى: أنّه عليه السلام قال أيضاً: «هل فيكم أحد أقرب عهداً برسول الله منّي؟ قالوا: اللّهمّ لا».

وفي رواية أنّه عليه السلام قال أيضاً: «هل فيكم أحد علّمه رسول الله ألف كلمة، كلّ كلمة مفتاح ألف كلمة، غيري؟ قالوا: لا».

وروى ثقة الإسلام في (الكافي) وغيره بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الله لمّا قبض نبيّه صلّى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعمله إلاّ الله عزّ وجلّ، فأرسل إليها ملكاً يسلّي غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين، فقال لها: إذا

أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته ذلك، وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً.

قال: ثمّ قال: أما أنّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون».

وفي (الكافي) أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذُريّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام».

الفصل السادس

في غرائب أحواله ﷺ بعد وفاته، وما ظهر عند ضريحه، وغرائب أحوال روحه ﷺ

روى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن أبي الجارود، قال: «حفر عند قبر النبيّ ﷺ عند رأسه وعند رجليه أوّل ما حفر، فخرج مسك أذفر لم يشكّوا فيه».

وروى ثقة الإسلام في (الكافي) بإسناد معتبر عن جعفر بن مثنّى الخطيب، قال: «كنت بالمدينة وسقف المسجد الذي يشرف على القبر قد سقط، والفعلة يصعدون وينزلون، ونحن جماعة، فقلت لأصحابنا: من منكم له موعد يدخل على أبي عبد الله عليه السلام الليلة؟

فقال مهران بن أبي نصير: أنا، وقال إسماعيل بن مهران الصيرفي: أنا، فقلنا لهما: سلاه لنا عن الصعود لنشرف على قبر النبيّ ﷺ، فلمّا كان من الغد لقيناهما، فاجتمعنا جميعاً، فقال إسماعيل: قد سألناه لكم عمّا ذكرتم، فقال عليه السلام:

ما أحبّ لأحد منهم أن يعلو فوقه، ولا آمنه أن يرى شيئاً يذهب عنه بصره أو يراه قائماً يصلّي أو يراه مع بعض أزواجه ﷺ».

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن معاوية بن وهب، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا كان سنة إحدى وأربعين، أراد معاوية الحجّ، فأرسل نجّاراً وأرسل بالآلة، وكتب إلى صاحب المدينة أن يقلع منبر رسول الله ويجعلوه على قدر منبره بالشام، فلمّا نهضوا ليقلعوه، انكسفت الشمس وزلزلت الأرض، فكفّوا وكتبوا بذلك إلى معاوية، فكتب إليهم يعزم عليهم لما فعلوه، ففعلوا ذلك، فمنبر رسول الله ﷺ المدخل الذي رأيت».

وروى الصفّار في (البصائر) وغيره بأسانيد صحيحة ومعتبرة: «إنّ رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم.

فقالوا: يا رسول الله، أمّا حياتك فنعم، فكيف مماتك؟.

وفي رواية أخرى: أنّه ﷺ قال: فأمّا حياتي فإنّ الله هداكم بي من الضلالة وأنقذكم من شفا حفرة من النّار، وأمّا مماتي فإنّ أعمالكم تعرض عليّ، فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم، فقال له رجل من المنافقين: وكيف ذاك يا رسول الله، وقد رممت؟ يعني صرت رميماً، فقال له رسول الله ﷺ: كلاّ، إنّ الله حرّم لحومنا على الأرض، فلا تطعم منها شيئاً».

وروي أيضاً بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «ما من نبيّ ولا وصيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتى يرفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنّما يؤتى مواضع آثارهم ويبلّغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم على آثارهم من قريب».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن أبي سعيد المكاري، عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى أبا بكر فقال له: أما أمرك رسول الله أن تطيعني؟ فقال: لا، ولو أمرني لفعلت، قال: فانطلق بنا إلى مسجد قبا، فإذا رسول الله يصلّي، فلمّا انصرف قال عليّ عليه السلام: يا رسول الله، إنّي قلت لأبي بكر: أمرك الله ورسوله أن تطيعني؟ فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أمرتك فأطعه، فخرج فلقي عمر وهو ذَعِر، فقال له: ما لِكَ؟ فقال له: قال لي رسول الله كذا وكذا، فقال: تبّاً لأمّة ولّوك أمرهم، أما تعرف سحر بني هاشم».

وروى الصفّار في (البصائر) وغيره بأسانيد معتبرة عن سماعة، عن الصادق عليه السلام، قال: «سمعته يقول: ما لكم تسوءون رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال له رجل: جعلت فداك، وكيف نسوء رسول الله؟ فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية لله ساءه، فلا تسوءوا رسول الله، وسرّوه».

وروى الكليني والصفّار وغيرهما بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام والعبارة للكليني - قال عليه السلام: «إنّ لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن، قال: قلت: جعلت فداك، وما ذاك الشأن؟ قال عليه السلام: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربّها فتطوف به أسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ إلى الأبدان التي كانت فيها، فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سروراً، ويصبح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ الغفير».

وروي بأسانيد معتبرة عن سليمان الديلمي وغيره، قال: سألنا أبا عبد الله عليه السلام فقلت: «جعلت فداك، سمعتك وأنت تقول غير مرّة: لولا أنّا نزاد لأنفدنا.

قال: أمّا الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على النبيّ بكماله، وما يزاد الإمام في حلال ولا حرام.

قال: قلت: فما هذه الزيادة؟

قال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام، قلت: فتزادون شيئاً يخفى على رسول الله، فقال: لا، إنّما يخرج الأمر من عند الله فيأتي الملك رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: يا محمّد، ربّك يأمرك بكذا وكذا، فيقول: انطلق به إلى عليّ، فيأتي عليّاً فيقول: انطلق به إلى الحسن،

فيقول: انطلق به إلى الحسين، فلم يزل هكذا ينطلق إلى واحد بعد واحد حتى يخرج إلينا».

وروى الحميري والصفّار بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام، قال: «رأيت البارحة رسول الله ﷺ في هذا الموضع والتزمته».

الباب الثاني

في بيان تاريخ

سيدة نساء العالمين

وبضعة سيّد المرسلين، ووفاتها،
وبيان أحوالها الشريفة،
ومناقبها المنيفة

ويشتمل ذلك على فصول

الفصل الأول

في بيان ولادتها عليها السلام

روى ثقة الإسلام في (الكافي) في الصحيح عن حبيب السجستاني، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «وُلدت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله بخمس سنين، وتوفّيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً».

وفي (كشف الغمّة) عن الصادق عليه السلام مثل ذلك، وذكر الشيخ في (المصباح) وغيره وعليه أكثر المحقّقين أنّ ولادتها عليها السلام كانت في اليوم العشرين من جماد الآخرة سنة اثنتين من البعثة، وكان ذلك يوم الجمعة.

قال الشيخ في (المصباح): «وفي رواية أخرى: سنة خمس من المبعث، والعامّة تروي أنّ مولدها قبل المبعث بخمس سنين»، انتهى.

والقول الأوّل أقوى وأشهر.

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر عن ابن عبّاس، قال: «دخلت عائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقبّل فاطمة عليها السلام، فقالت له: أتحبّها يا رسول الله؟ قال: أما والله لو علمت حبّي لها لازددت لها حبّاً، إنّه لمّا عرج بي إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيل وأقام ميكائيل، ثمّ قال لي جبرئيل: أدن يا محمّد، فقلت: أتقدّم وأنت تحضرني يا جبرئيل؟ قال: نعم، إنّ الله عزّ وجلّ فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلك أنت خاصّة، فدنوت فصلّيت بأهل السماء الرابعة، ثمّ التفتّ عن يميني فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام في روضة من رياض الجنّة، وقد اكتنفها جماعة من الملائكة، ثمّ إنّي صرت إلى السماء الخامسة، ومنها إلى السادسة، فنوديت: يا محمّد، نِعْمَ الأب أبوك إبراهيم، ونِعْمَ الأخ أخوك عليّ، فلمّا صرت إلى الحجب أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنّة، فإذا أنا بشجرة من نور، في أصلها ملكان يطويان الحلل والحليّ، فقلت: حبيبي جبرئيل، لمن هذه الشجرة؟

فقال: هذه لأخيك عليّ بن أبي طالب، وهذان الملكان يطويان له الحليّ والحلل إلى يوم القيامة، ثمّ تقدّمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد، وأطيب من المسك، وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها فتحوّلت الرطبة نطفة في صلبي، فلمّا أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيّة، فإذا اشتقت إلى الجنّة شممت رائحة فاطمة عليها السلام».

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره، وغيره بأسانيد معتبرة، عن أبي عبيدة، عن الصادق عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله: يا عائشة، إنّي لمّا أسري بي إلى السماء، دخلت الجنّة، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى، وناولني من ثمارها، فأكلت، فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قطّ إلاّ وجدت رائحة شجرة طوبى منها».

وفي (معاني الأخبار) بإسناد معتبر عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله صلى الله عليه وآله، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق الله تعالى نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء، فقال بعض النّاس: يا نبيّ الله، فليست هي إنسيّة؟ فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء إنسيّة قالوا: يا نبيّ الله، وكيف هي حوراء إنسيّة؟ قال: خلقها الله عزّ وجلّ من نوره قبل أن يخلق آدم؛ إذ كانت الأرواح، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم عرضت على آدم، قيل: يا نبيّ الله، وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقّة تحت ساق العرش. قالوا: يا نبيّ الله، فما كان طعامها؟ قال: التسبيح والتهليل والتحميد.

فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم وأخرجني من صلبه وأحبّ الله أن يخرجها من صلبي جعلها تفّاحة في الجنّة، وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك رحمة الله وبركاته يا محمّد، قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل، قال: يا محمّد، إنّ هذه تفّاحة أهداها الله عزّ وجلّ إليك من الجنّة، فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: يا محمّد، يقول الله جلّ جلاله: كلها، ففلقتها، فرأيت نوراً ساطعاً، وفزعت منه، فقال: يا محمّد، ما لك لا تأكل، كلها ولا تخف، فإنّ ذلك النور منصورة في السماء، وهي في الأرض فاطمة، قلت: حبيبي جبرئيل، وَلِمَ سمّيت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة، قال: لأنّها فطمت شيعتها من النّار، وفطم أعداؤها عن حبّها، وهي في السماء المنصورة، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤ - ٥]، يعني نصر فاطمة عليها السلام لمحبيّها».

وفي كتاب (عيون المعجزات): عن جارية بن قدامة، قال: حدّثني سلمان، قال: حدّثني عمّار وقال: «أخبرك عجباً؟ قلت: حدّثني يا عمّار، قال: نعم، شهدت عليّ بن أبي طالب وقد ولج على فاطمة، فلمّا أبصرت به نادت: أُدن لأحدّثك بما كان وبما هو كائن، وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة، قال عمّار: فرأيت أمير المؤمنين يرجع القهقرى، فرجعت برجوعه؛ إذ دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: أُدن يا أبا الحسن، فدنا، فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له: تحدّثني أو أحدّثك؟ قال: الحديث منك أحسن يا رسول الله، فقال: كأنّي

بك وقد دخلت على فاطمة وقالت لك: كيت وكيت، فرجعت، فقال عليّ عليه السلام: نور فاطمة من نورنا، فقال صلى الله عليه وآله: أوَ لا تعلم، فسجد عليّ عليه السلام شكراً لله تعالى، قال عمّار: فخرج أمير المؤمنين وخرجت بخروجه، فولج على فاطمة وولجت معه، فقالت: كأنّك رجعت إلى أبي فأخبرته بما قلته لك»، قال: كان كذلك يا فاطمة، فقالت: إعلم يا أبا الحسن إن الله تعالى خلق نوري وكان يسبّح الله جلّ جلاله، ثمّ أودعه شجرة من شجر الجنّة فأضاءت، فلمّا دخل أبي الجنّة أومأ الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي، ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد، فوضعتني وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن. يا أبا الحسن، المؤمن ينظر بنور الله تعالى».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن المفضّل بن عمر، قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة؟

فقال: نعم، إنّ خديجة لمّا تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكّة، فكنّ لا يدخلن إليها ولا يسلّمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك، وكان جزعها وغمّها حذراً عليه صلى الله عليه وآله، فلمّا حملت بفاطمة عليها السلام كانت فاطمة تحدّثها من بطنها وتصبّرها، وكانت تكتم ذلك عن رسول الله، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة، فقال لها: يا خديجة، من تحدّثين؟ قالت: إنّ الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني، قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنّها أنثى، وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمّة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه، فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجّهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتينا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً، فاغتمّت خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنّهنّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنّ لمّا رأتهنّ، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإنّا رُسُل ربّك إليك، ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة، فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكّة ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلاّ وأشرق فيه ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين كلّ واحدة منهنّ معها طشت من الجنّة وإبريق من الجنّة وفي الإبريق ماء من

الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدّ بياضاً من اللبن، وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثانية، ثمّ استنطقتها فنطقت فاطمة بالشهادتين، وقالت: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ أبي رسول الله سيّد الأنبياء، وأنّ بعلي سيّد الأوصياء، وولدَيَّ سادة الأسباط، ثمّ سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين وبشّر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها - يا خديجة - طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها، فدرّ عليها، فكانت فاطمة تنمو في اليوم كما ينمو الصبيّ في الشهر، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبيّ في السنة».

الفصل الثاني

في بيان أسمائها، وبعض فضائلها صلوات الله عليها

روى الصدوق في (الأمالي) و(العلل) و(الخصال) بإسناد معتبر، عن يونس بن ظبيان، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزاكية، والراضية، والمرضية، والمحدّثة، والزهراء.

ثمّ قال عليه السلام: أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيّدي؟

قال: فطمت من الشرك.

قال: ثمّ قال: «لولا أنّ أمير المؤمنين تزوّجها لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه».

بيان: الصدّيقة هي المعصومة والمباركة، أي ذات بركة في العلوم الربّانية والفضائل النفسانيّة، والكمالات الشريفة، والمعجزات المنيفة، وراضية: أي بقضاء الله تعالى، ومرضيّة: أي لربّ العالمين، ومحدّثة - بفتح الدال - اسم مفعول، يعني أنّ ملكاً يحدّثها، والزهراء يأتي بيان معناها في الأخبار الآتية إن شاء الله، وفي هذا الحديث الشريف دلالة على كون أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء والأوصياء سوى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

لا يقال: ليس فيه دلالة على أفضليته على نوح وإبراهيم عليهما السلام لاحتمال عدم كونهما كفؤين لكونهما من أجدادها.

لأنّا نقول: ذكر آدم عليه السلام يدلّ على أنّ المراد عدم كونهم أكفاءها مع قطع النظر عن الموانع الأُخر، على أنّه يمكن أن يقال: إنّه لا قائل بالفصل، ويمكن أن يستدلّ بالحديث على أفضليّة فاطمة على أمير المؤمنين عليه السلام، كما هو ظاهر الحديث، إلاّ أنّه يمكن أن يناقش في ذلك بأنّه يمكن أن يشترط في الكفاءة كون الزوج أفضل، ولا يبعد ذلك من متفاهم العرف.

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر عن أبان بن تغلب، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله، لِمَ سمّيت الزهراء زهراء؟ فقال: لأنّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرّات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والنّاس في فرشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيّض حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيأتون منزلها فيرونها قاعدة

في محرابها تصلّي والنور يسطع من محرابها من وجهها فيعلمون أنّ الذي رأوه كان من نور فاطمة عليها السلام.

فإذا انتصف النهار وترتبت[1] للصلاة زهر وجهها بالصفرة، فتدخل الصفرة في حجرات النّاس، فتصفّر ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها بالصفرة، فيعلمون أنّ الذي رأوا كان من نور وجهها.

فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمرّ وجه فاطمة عليها السلام، فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عزّ وجلّ، فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم فتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبيّ صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام، فيرونها جالسة تسبّح الله وتمجّده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنّ الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام، فهو يتقلّب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمّة منّا أهل البيت إمام بعد إمام».

وروى الصدوق في (العلل) أيضاً بإسناد معتبر عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت: لِمَ سمّيت فاطمة الزهراء زهراء؟

قال: لأنّ الله عزّ وجلّ خلقها من نور عظمته، فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة، وخرّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري أسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أُخرجه من صلب نبيّ من أنبيائي، أُفضّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمري، يهدون إلى حقّي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي».

وفي (العلل) و(معاني الأخبار) بإسناد معتبر عن عمارة، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة عليها السلام لِمَ سمّيت زهراء؟ فقال: لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض».

وفي (العلل) بإسناد معتبر عن عبد الله بن الحسن بن الحسن، قال: «قال أبو الحسن عليه السلام: لِمَ سمّيت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقاً بينه وبين الأسماء؟ قال: إنّ ذلك لمن الأسماء، ولكنّ الاسم الذي سمّيت به أنّ الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوّج في الأحياء، وأنّهم يطمعون في وراثة هذا الأمر من قِبَله، فلمّا ولدت

---

(١) أي ثبتت في محرابها، كما في اللغة، أو تهيّأت من الترتيب العرفي بمعنى جعل كل شيء في مرتبته.

فاطمة عليها السلام سمّاها الله تبارك وتعالى فاطمة لما أخرج منها، وجعل في ولدها فقطعهم عمّا طمعوا، فبهذا سمّيت فاطمة لأنّها فطمت طمعهم، ومعنى فطمت قطعت».

وبإسناده عن الباقر والصادق عليهما السلام، قال: «لمّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملك فانطق به لسان محمّد صلى الله عليه وآله فسمّاها فاطمة، ثمّ قال: إنّي فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم، وعن الطمث، في الميثاق».

وقد وردت أحاديث متكاثرة وروايات متواترة من طرق الخاصّة، والعامّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ السبب في تسميتها عليها السلام فاطمة أنّها فطمت هي وشيعتها من النّار، وفي بعضها: لأنّ الله عزّ وجلّ فطمها وفطم من أحبّها من النّار.

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر عن محمّد بن مسلم، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل مؤمن أو كافر فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النّار، فتقرأ فاطمة عليها السلام بين عينيه محبّاً، فتقول: إلهي وسيّدي، سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاّني وتولّى ذرّيتي من النّار، ووعدك الحقّ، وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت يا فاطمة، إنّي سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولاّك وأحبّ ذرّيتك وتولاّهم، من النّار، ووعدي الحقّ، وأنا لا أُخلف الميعاد، إنّما أمرت بعبدي هذا إلى النّار، لتشفعي فيه، فأُشفّعك، وليتبيّن ملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف، موقفك منّي ومكانك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فخذي بيده وأدخليه الجنّة».

وفي (العلل) و(معاني الأخبار) بإسناد معتبر عن عليّ عليه السلام: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سُئل ما البتول، فإنّا سمعناك يا رسول الله تقول: إنّ مريم بتول، وفاطمة بتول؟

فقال صلى الله عليه وآله: البتول التي لم ترَ حمرة قطّ، أي لم تحض، فإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء»، وفي رواية أخرى عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعائشة: يا حميرا، إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميّين لا تعتلّ كما تعتلّنّ».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) عن أبي هاشم، قال: «سألت صاحب العسكر عليه السلام: لِمَ سمّيت فاطمة الزهراء؟

فقال: كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عليه السلام من أوّل النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند الغروب غروب الشمس كالكوكب الدّريّ».

وبإسناده عن الحسن بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لِمَ سمّيت فاطمة الزهراء؟ قال: لأنّ لها في الجنّة قبّة من ياقوتة حمراء، ارتفاعها في الهواء مسيرة سنة معلّقة بقدرة الجبّار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مائة ألف باب، على كلّ باب ألف من الملائكة، يراها أهل الجنّة كما يرى أحدكم الكوكب الدّريّ الزاهر في أُفق السماء، فيقولون: هذه الزهراء، لفاطمة عليها السلام».

وروى الديلمي في (إرشاد القلوب) مرفوعاً إلى سلمان الفارسي رحمه الله قال: «كنت جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله في المسجد إذ دخل العبّاس بن عبد المطّلب، فسلّم، فردّ النبيّ ورحّب به، فقال: يا رسول الله، بِمَ فضّل علينا عليّ بن أبي طالب أهل البيت والمعادن واحدة؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذاً أُخبرك يا عمّ، إنّ الله خلقني وخلق عليّاً ولا سماء ولا أرض، ولا جنّة ولا نار، ولا لوح ولا قلم، فلمّا أراد الله عزّ وجلّ بدء خلقنا تكلّم بكلمة فكانت نوراً، ثمّ تكلّم كلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما واعتدلا فخلقني وعليّاً منهما، ثمّ فتق من نوري نور العرش، فأنا أجلّ من العرش، ثمّ فتق من نور عليّ نور السماوات، فعليّ أجلّ من السماوات، ثمّ فتق من نور الحسن نور الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجلّ من الشمس، وكانت الملائكة تسبّح الله تعالى وتقول في تسبيحها: سبّوح قدّوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى.

فلمّا أرد الله تعالى ان يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة، وكانت الملائكة لا تنظر أوّلها من آخرها ولا آخرها من أوّلها، فقالت الملائكة: إلهنا وسيّدنا، منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الأنوار إلاّ ما كشفت عنّا، فقال الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي، لأفعلنّ، فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذٍ كالقنديل وعلّقه في قرطاء[1] العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سمّيت فاطمة الزهراء، وكانت الملائكة تسبّح الله وتقدّسه، فقال الله: وعزّتي وجلالي، لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها.

قال سلمان: فخرج العبّاس فلقيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فضمّه إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، وقال: بأبي عترة المصطفى من أهل بيت ما أكرمكم على الله تعالى.

وذكر ابن شهر آشوب في (المناقب): إنّ كُناها: أمّ الحسن، وأمّ الحسين، وأمّ المحسن، وأمّ الأئمّة، وأمّ أبيها.

وأسماؤها - على ما ذكره أبو جعفر القمّي: - فاطمة، البتول، الحصان، الحرّة، السيّدة،

---

(١) القرطاء: هو الذي يعلّق في شحمة الأذن.

العذراء، الزهراء، الحوراء، المباركة، الطاهرة، الزكيّة، الراضية، المرضيّة، المحدّثة، مريم الكبرى، الصدّيقة الكبرى. ويقال لها في السماء: النوريّة، السماويّة، الحانية».

بيان: الحانية: هي المشفقة على أولادها أو على زوجها.

الفصل الثالث

في بيان مناقبها الشريفة، وفضائلها المنيفة، وبعض أحوالها العجيبة، ومعجزاتها الغريبة صلوات الله عليها

روى الشيخ المفيد والصدوق وغيرهما بأسانيد معتبرة عن الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله يغضب لغضب فاطمة عليها السلام، ويرضى لرضاها.

وروى الصدوق في (الخصال) بإسناد معتبر عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام، قال:

«**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى اختار من النساء أربعاً: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة - الخبر».

وفي (العيون) بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين عليهما السلام خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما، وأمّهما أفضل نساء أهل الأرض».

وفي (الأمالي) بإسناد في طرقه مخالفون، عن أنس بن مالك، عن أمّه، قالت: «ما رأت فاطمة دماً في حيض ولا نفاس».

وفي (الأمالي) أيضاً بإسناده الصحيح عن الحسن بن زياد العطّار، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول رسول الله: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، أسيّدة نساء عالمها؟ قال: تلك مريم، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين، فقلت: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنّة؟ قال: هما والله سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين».

وفي (الأمالي) أيضاً بإسناد معتبر عن محمّد بن قيس، قال: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة عليها السلام، فدخل عليها فأطال عندها المكث، فخرج مرّة في سفر فصنعت فاطمة مسكتين[1] من ورق وقلادة، وقرطين، وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام،

---

(١) المسكة: هو السوار والخلخال من القرون.

فلمّا قدم رسول الله ﷺ دخل عليها، فوقف أصحابه على الباب لا يدرون يقفون أو ينصرفون، لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقد عُرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فظنّت فاطمة عليها السلام أنّه إنّما فعل ذلك رسول الله ﷺ لمّا رأى المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله ﷺ وقالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله، فلمّا أتاه قال: فعلت فداها أبوها - ثلاث مرّات - ليست الدنيا من محمّد ولا من آل محمّد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء، ثمّ قام ﷺ فدخل عليها».

وروي في (الأمالي) بإسناد معتبر عن جابر، عن عليّ عليه السلام، قال: «قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله ﷺ: يا أبتاه، أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟ قال: يا فاطمة، عند باب الجنّة ومعي لواء الحمد، وأنا الشفيع لأمّتي إلى ربّي.

قالت: يا أبتاه، فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الحوض، وأنا أسقي أمّتي.

قالت: يا أبتاه، إن لم ألقَكَ هناك؟ قال: القيني على الصراط وأنا قائم أقول: ربّ سلّم أمّتي.

قالت: إن لم ألقَكَ هناك؟ قال: القيني وأنا عند الميزان، أقول: ربّ سلّم أمّتي.

قالت: فإن لم ألقَكَ هناك؟ قال: القيني على شفير جهنّم، أمنع شررها ولهبها عن أمّتي، فاستبشرت فاطمة عليها السلام بذلك، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها».

وفي (الأمالي) أيضاً بإسناد معتبر عن موسى بن جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال عليّ عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ دخل على ابنته فاطمة عليها السلام وإذا في عنقها قلادة، فاعرض عنها، فقطعتها ورمت بها.

فقال لها رسول الله ﷺ: أنت منّي يا فاطمة، ثمّ جاء سائل فناولته القلادة، ثمّ قال رسول الله ﷺ: اشتدّ غضب الله وغضبي على من أهرق دمي، وآذاني في عترتي».

وروى الشيخان: المفيد والطوسي رحمهما الله من طرق المخالفين، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: فاطمة بضعة منّي، من سرّها فقد سرّني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعزّ النّاس عليَّ».

ورويا عن جميع بن عمير، قال: «قالت عمّتي لعائشة - وأنا أسمع -: مسيرك إلى عليّ عليه السلام ما كان؟ قلت: دعينا منك، إنّه ما كان من الرجال أحبّ إلى رسول الله ﷺ من عليّ ولا من النساء أحبّ إليه من فاطمة عليها السلام».

وروى أيضاً عن عائشة، قالت: «أقبلت فاطمة عليها السلام تمشي - لا والله الذي لا إله إلاّ هو - ما مشيها يخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا رآها قال: مرحباً بابنتي، مرّتين، قالت فاطمة عليها السلام: فقال لي: ما ترضين أن تأتي يوم القيامة سيّدة نساء المؤمنين، أو سيّدة نساء هذه الأمّة».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناده عن ابن عبّاس، قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: اللّهمّ إنّك تعلم إنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم النّاس عليَّ، فأحبّ من أحبّهم، وأبغض من أبغضهم، ووالِ من والاهم، وعادِ من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهّرين من كلّ رجس معصومين من كلّ ذنب، وأيّدهم بروح القدس منك.

ثمّ قال: يا عليّ، أنت إمام أمّتي، وخليفتي عليها بعدي، وأنت قائد المؤمنين إلى الجنّة، وكأنّي أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، ومن خلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤمنات أمّتي إلى الجنّة، فأيّما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجّت بيت الله الحرام، وزكّت مالها وأطاعت زوجها، ووالت عليّاً بعدي، دخلت الجنّة بشفاعة ابنتي فاطمة، وإنّها لسيّدة نساء العالمين.

فقيل: يا رسول لله، أهي سيّدة نساء عالمها؟ فقال عليه السلام: تلك مريم بنت عمران، فأمّا ابنتي فهي فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وإنّها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقرّبين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين. ثمّ التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: يا عليّ، إنّ فاطمة بضعة منّي، وهي نور عيني، وثمرة فؤادي، يسوؤني ما ساءها، ويسرّني ما سرّها، وإنّها أوّل من يلحقني من أهل بيتي، فأحسن إليها بعدي. وأمّا الحسن والحسين فهما ابناي، وريحانتاي، وهما سيّدا شباب أهل الجنّة فليكرما عليك كسمعك وبصرك.

ثمّ رفع صلى الله عليه وآله وسلم يده إلى السماء فقال: اللّهمّ إنّي أُشهدك أنّي محبّ لمن أحبّهم، ومبغض لمن أبغضهم، وسلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم، وعدوّ لمن عاداهم، ووليّ لمن والاهم».

وروى الشيخ الطوسي في (أماليه) بإسناده عن جماعة من المخالفين، عن عائشة، قالت: «ما رأيت من النّاس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه رحّب بها، وقبّل يديها، وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به،

وقبّلت يديه، ودخلت عليه في مرضه، فسارّها، فبكت ثمّ سارّها فضحكت، فقلت: كنت أرى لهذه فضلاً عن النساء، فإذا هي امرأة من النساء، بينما هي تبكي إذ ضحكت، فسألتها فقالت: إذن إنّي لبذرة، فلمّا توفّي رسول الله ﷺ سألتها، فقالت: إنّه أخبرني أنّه يموت، فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت».

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن النبيّ ﷺ في فاطمة عليها السلام، قال: «من آذاها في حياتي كمن آذاها بعد موتي، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وهو قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وروى الصدوق في (الخصال) وغيره بأسانيد معتبرة: فيما أوصى به النبيّ ﷺ إلى عليّ عليه السلام: «يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثمّ اطّلع ثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثمّ اطّلع الثالثة فاختار الأئمّة من ولدك على رجال العالمين بعدكم، ثمّ اطّلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين».

وفي (معاني الأخبار) وغيره بأسانيد معتبرة عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ فاطمة عليها السلام شجنة[1] منّي، يؤذيني ما آذاها، ويسرّني ما سرّها، وأنّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها».

وفي (صحيفة الرضا)، عنه عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «حدّثتني أسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدّتك إذ دخل رسول الله ﷺ وفي عنقها قلادة من ذهب كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام اشتراها لها من فيء له، فقال النبيّ ﷺ: لا يغرّنّك النّاس أن يقولوا: بنت محمّد، وعليك لباس الجبابرة، فقطتها وباعتها واشترت بها رقبة، فاعتقتها، فسرّ رسول الله ﷺ بذلك».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج والجرائح) عن عمران بن الحصين، قال: «كنت عند النبيّ ﷺ جالساً إذ أقبلت فاطمة عليها السلام وقد تغيّر وجهها من الجوع، فقال ﷺ لها: ادني، فدنت منه، فرفع يده حتى وضعها على صدرها في موضع القلادة، وهي صغيرة، ثمّ قال: اللّهمّ مشبع الجاعة، ورافع الوضعة، لا تجع فاطمة، قال: فرأيت الدم على وجهها كما كانت الصفرة، فقالت: ما جعت بعد ذلك».

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن جابر بن عبد الله، قال: «إنّ رسول الله ﷺ أقام أيّاماً ولم

---

(١) الشجنة: كالغصن يكون من الشجرة.

يطعم طعاماً، حتى شقّ ذلك عليه، فطاف في ديار أزواجه فلم يصب عند أحدهنّ شيئاً، فأتى فاطمة عليها السلام فقال: يا بنيّة، هل عند شيء نأكله فإنّي جائع؟

قالت: لا والله! بنفسي وأمّي، فلمّا خرج عنها بعثت جارة لها رغيفين وبضعة لحم، فأخذته ووضعته تحت جفنة وغطّت عليها، وقالت: والله! لأُوثرنّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسي وغيري، وكانوا محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فرجع إليها، فقالت: قد أتانا الله بشيء فخبّأته لك، فقال: «هلمّي يا بنيّة، فكشفت الجفنة فإذا هي مملوّة خبزاً ولحماً.

فلمّا نظرت إليه بهتت وعرفت أنّه من عند الله، فحمدت الله وصلّت على نبيّه صلى الله عليه وآله أبيها، وقدّمته إليه، فلمّا رآه حمد الله وقال: من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام فأحضره، وأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين: وجميع أزواج النبيّ حتى شبعوا، قالت فاطمة: وبقيت الجفنة كما هي، فأوسعت منها على جميع جيراني، وجعل الله فيها بركةً وخيراً كثيراً».

وروى أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ خديجة لمّا توفّيت جعلت فاطمة عليها السلام تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتدور حوله، وتسأله: يا رسول الله، أين أمّي، فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله لا يجيبها، فجعلت تدور على أن تسأله ورسول الله لا يدري ما يقول: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: أمّك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ الله هو السلام ومنه السلام، وإليه يعود السلام».

وروى أيضاً أنّ أمّ أيمن خادمة الزهراء عليها السلام: «لمّا توفّيت فاطمة حلفت أن لا تكون بالمدينة؛ إذ لا تطيق أن تنظر إلى مواضع كانت بها، فخرجت إلى مكّة، فلمّا كانت في بعض الطريق عطشت عطشاً شديداً، فرفعت يديها، قالت: يا ربّ، أنا خادمة فاطمة عليها السلام تقتلني عطشاً، فأنزل الله عليها دلواً من السماء، فشربت فلم تحتج إلى الطعام والشراب سبع سنين، وكان النّاس يبعثونها في اليوم الشديد الحرّ فما يصيبها عطش».

وروى أيضاً بإسناد معتبر أنّ سلمان قال: «كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السلام في ناحية الدار يتضوّر من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفّاك وهذه فضّة، فقالت: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها، قال سلمان: قلت إنّي مولى عتاقة[1]، أمّا أن

---

(١) مولى العتاقة: هو من له وارث من مواليه المعتقين له.

أطحن الشعير أو اسكّت الحسين لك، فقالت: أنا بتسكينه أرفق، وأنت تطحن الشعير، فطحنت شيئاً من الشعير فإذا أنا بالإقامة، فمضيت وصلّيت مع رسول الله ﷺ، فلمّا فرغت قلت لعليّ ما رأيت؟ فبكى وخرج، ثمّ عاد فتبسّم، فسأله عن ذلك رسول الله ﷺ، قال: دخلت على فاطمة وهي مستلقية لقفاها، والحسين نائم على صدرها، وقدّامها رحى تدور من غير يد، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: يا عليّ، أما علمت أنّ لله ملائكة سيّارة في الأرض يخدمون محمّداً وآل محمّد إلى أن تقوم الساعة».

وفي كتاب (كشف الغمّة)، و(أمالي الشيخ الطوسي) رحمه الله، و(تفسير فرات بن إبراهيم) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «أصبح عليّ بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغباً، فقال: يا فاطمة، هل عندك شي تغذينيه؟ قالت: لا والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة، ما أصبح الغداة عندي شيء ما كان شيء أُطعمناه مذ يومين إلاّ شيء كنت أوثرك به على نفسي وعلى ابنيَّ هذين الحسن والحسين، فقال عليّ عليه السلام: يا فاطمة، ألا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئاً، فقالت: يا أبا الحسن، إنّي لأستحي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه.

فخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام من عند فاطمة واثقاً بالله بحسن الظنّ، فاستقرض ديناراً، فبينا الدينار في يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام يريد أن يبتاع لعياله ما يصلحهم، فتعرّض له المقداد بن الأسود في يوم شديد الحرّ قد لوّحته الشمس من فوق، آذته من تحته، فلمّا رآه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنكر شأنه، فقال: يا مقداد، ما أزعجك هذه الساعة من روحك؟ قال: يا أبا الحسن، خلّ سبيلي ولا تسألني عمّا ورائي.

فقال: يا أخي، إنّه لا يسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك، فقال: يا أبا الحسن، رغبةً إلى الله وإليك أن تخلّي سبيلي ولا تكشفني عن حالي.

فقال له: يا أخي، إنّه لا يسعك أن تكتمني حالك، فقال: يا أبا الحسن، أمّا إذا أبيت فوالذي أكرم محمّداً بالنبوّة، وأكرمك بالوصيّة ما أزعجني من رحلي إلاّ الجهد، وقد تركت عيالي يتضاغون من الجوع، فلمّا سمعت بكاء العيال لم تحملني الأرض، فخرجت مهموماً وراكباً رأسي، هذه حالي وقصّتي، فانهملت عينا عليّ عليه السلام بالبكاء حتى بلّت دمعته لحيته، فقال له: أحلف بالذي حلفت، ما أزعجني إلاّ الذي أزعجك من رحلك، فقد استقرضت ديناراً وقد آثرتك على نفسي، فدفع الدينار إليه ورجع حتى دخل مسجد النبيّ ﷺ، فصلّى فيه الظهر والعصر والمغرب.

فلمّا قضى رسول الله ﷺ المغرب مرّ بعليّ بن أبي طالب، وهو في الصفّ الأوّل، فغمزه برجله، فقام عليّ عليه السلام معتقباً خلف رسول الله ﷺ حتى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسلّم عليه فردّ رسول الله عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن، هل عندك شيء نتعشّاه

فنميل معك، فمكث مطرقاً لا يحير جواباً حياءً من رسول الله ﷺ وهو يعلم ما كان من أمر الدينار، ومن أين أخذه، وأين وجّهه، وقد كان أوحى الله تعالى إلى نبيّه محمّد ﷺ أن يتعشّى الليلة عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا نظر رسول الله ﷺ إلى سكوته، فقال: يا أبا الحسن، مالك لا تقول: لا، فأنصرف، أو تقول: نعم، فأمضي معك، فقال حياءً وتكرّماً: فاذهب بنا.

فأخذ رسول الله ﷺ يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانطلقا حتى دخلا على فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في مصلاّها قد قضت صلواتها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فلمّا سمعت كلام رسول الله ﷺ في رحلها خرجت من مصلاّها عليه، وكانت أعزّ النّاس عليه، فردّ عليها السلام ومسح بيده على رأسها، وقال لها: يا بنتاه، كيف أمسيت رحمك الله تعالى، عشّينا غفر الله لك، وقد فعل.

فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي النبيّ ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا نظر عليّ وشمّ ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شحيحاً، قالت له فاطمة: سبحان الله ما أشحّ نظرك وأشدّه، هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً استوجبت به السخط؟ قال: وأيّ ذنب أعظم من ذنب أصبته، أليس عهدي إليك اليوم الماضي وأنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمت طعاماً مذ يومين؟ قال: فنظرت إلى السماء فقالت: إلهي يعلم في سمائه ويعلم في أرضه أنّي لم أقل إلاّ حقّاً أنّى فقال لها: يا فاطمة، لك هذا الطعام الذي لم أرَ مثل لونه قطّ، ولم أشمّ مثل ريحه قطّ، وما أكلت أطيب منه قطّ؟ قال: فوضع رسول الله ﷺ كفّه الطيّبة المباركة بين كتفي عليّ عليه السلام فغمزها، ثمّ قال: يا عليّ، هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثمّ استعبر النبيّ ﷺ باكياً، ثمّ قال: الحمد الله الذي أبى لكما أن تخرجا من الدنيا حتى يجريكما مجرى زكريا، ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران، كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً».

وروى العياشي في تفسيره عن الباقر عليه السلام حديثاً مثل هذه القصّة، وقال رسول الله ﷺ في آخره: «ألا أحدّثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريا إذ دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقاً، قال: يا مريم، أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، فأكلوا منها شهراً، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام، وهي عندنا».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب)، والقطب الراوندي في (الخرائج والحرائج): «إنّ عليّاً عليه السلام استقرض من يهوديّ شعيراً فاسترهنه شيئاً، فدفع إليه ملاءة فاطمة عليها السلام (١)

(١) الملاءة - بالضم والمد -: الإزار.

رهناً، وكانت من الصوف، فأدخلها اليهودي إلى داره ووضعها في بيت، فلمّا كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة بشغل، فرأت نوراً ساطعاً في البيت أضاء به كلّه، فانصرفت إلى زوجها فأخبرته بأنّها رأت في ذلك البيت ضوءاً عظيماً، فتعجّب اليهودي زوجها وقد نسي أنّ في بيته ملاءة فاطمة، فنهض مسرعاً ودخل البيت، فإذا ضياء الملاءة ينتشر شعاعه كأنّه يشتعل من بدر منير يلمع، فتعجّب من ذلك، فأنعم النظر في موضع الملاءة فعلم أنّ ذلك النور من ملاءة فاطمة، فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدو إلى أقربائها، فاجتمع ثمانون من اليهود، فرأوا ذلك، فأسلموا كلّهم».

وفي رواية ابن شهر آشوب: «إنّ ذلك اليهودي كان اسمه زيداً، وأنّ تلك الملاءة كانت من صوف».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج والجرائح): «إنّ اليهود كان لهم عرس، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: لنا حقّ الجوار، فنسألك أن تبعث فاطمة بنتك إلى دارنا حتى يزداد عرسنا بها عزّاً ومكرمة، وألحّوا عليه، فقال: إنّها زوجة عليّ بن أبي طالب، وهي بحكمه، فسألوه أن يشفع إلى عليّ في ذلك، وقد جمع اليهود الطمّ والرمّ[1] من الحليّ والحلل، وظنّ اليهود أنّ فاطمة عليها السلام تدخل في بذلتها، وأرادوا استهانة بها، فجاء جبرئيل عليه السلام بثياب من الجنّة وحلل لم يروا مثلها، فلبستها فاطمة فتحلّت بها، فتعجّب النّاس من زينتها وألوانها وطيبها، فلمّا دخلت فاطمة عليها السلام دار اليهود سجد لها نساؤهم يقبّلن الأرض بيد يديها، وأسلم بسبب ما رأوا خلق كثير من اليهود».

وقد ذكرت هذه القصّة مبسوطة في كتب أُخرى، إلاّ أنّها في الكتب المعتبرة كما ذكرنا.

وقد ورد في أحاديث معتبرة من طرق العامّة والخاصّة عن الصادق عليه السلام وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قال: عليّ وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ رسول الله ﷺ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٢] الحسن والحسين عليهما السلام».

وقد روى العامّة بأسانيد عديدة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد ﷺ، وآسية امرأة فرعون، وأفضلهنّ فاطمة».

وبأسانيد أخر عن النبيّ ﷺ قال: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم».

---

(١) الطم والرم: يضرب مثلاً للمال الكثير.

وفي روايات متواترة من طرق الخاصّة والعامّة عنه ﷺ قال: «فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين».

وروى المخالفون عن عائشة وغيرها، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «يا فاطمة، ابشري فإنّ الله تعالى اصطفاك على نساء العالمين وعلى نساء الإسلام، وهو خير دين».

وروي أيضاً: «أنّ آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة يمشين أمام فاطمة كالحجّاب لها إلى الجنّة».

وروي أيضاً عن النبيّ ﷺ: «إنّه إذا كان أراد سفراً كان آخر النّاس عهداً بفاطمة، وإذا قدم كان أوّل النّاس عهداً بفاطمة».

ورووا أيضاً عن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله تعالى لمّا أمرني أن أزوّج فاطمة عليها السلام من عليّ ففعلت، فقال لي جبرئيل: إنّ الله تعالى بنى جنة من لؤلؤة بين كلّ قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوتة مشذّرة بالذهب، وجعل سقوفها زبرجداً أخضر، وجعل فيها طاقات من لؤلؤة مكلّلة بالياقوت، ثمّ جعل غرفاً لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، ولبنة من درّ ولبنة من ياقوت، ولبنة من زبرجد، ثمّ جعل فيها عيوناً تنبع من نواحيها، وحفّها بالأنهار، وجعل على الأنهار قباباً من درّ قد شعّبت بسلاسل الذهب، وحفّت بأنواع الشجر، وبنى في كلّ غضنٍ قبّة، وجعل في كلّ قبة أريكة من درّة بيضاء غشاؤها السندس والاستبرق، وفرش أرضها بالزعفران، وفتق بالمسك والعنبر، وجعل في كلّ قبّة حوراء، والقبّة لها مائة باب، على كلّ باب جاريتان وشجرتان، في كلّ قبّة مفرش وكتاب مكتوب حول القباب آية الكرسي، فقلت: يا جبرئيل، لمن بنى الله هذه الجنّة؟ قال: بناها لعليّ بن أبي طالب وفاطمة ابنتك، سوى جنانهما، تحفة أتحفهما الله، ولتقرّ بذلك عينك يا رسول الله».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) عن الباقر والصادق عليهما السلام: «إنّه كان النبيّ ﷺ لا ينام حتى يقبّل عرض وجنة فاطمة عليها السلام».

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يضع وجهه بين ثديي فاطمة ويدعو لها».

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن معنى: حيّ على خير العمل، فقال: «خير العمل برّ فاطمة وولدها».

وروى الثعلبي وغيره عن مفسّري العامّة في معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣] أنّه قال ابن عبّاس: بينا أهل الجنّة في الجنّة بعدما سكنوا رأوا نوراً أضاء الجنان، فيقول أهل الجنّة: يا ربّ، إنّك قد قلت في كتابك المنزل على نبيّك المرسل: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا

شَمْسًا﴾، فينادي منادٍ: ليس هذا نور الشمس ولا نور القمر، وإنّ عليّاً وفاطمة تعجّبا من شيء فضحكا، فأشرقت الجنان من نورهما».

ورووا أيضاً بطرق عديدة: «إنّها عليها السلام ربّما اشتغلت بعبادتها وصلواتها، فربّما بكى ولدها فرؤي المهد يتحرّك، وكان ملك يحرّكه إلى أن تفرغ عليها السلام من عبادتها».

وروي في (كشف الغمّة) بإسناد معتبر إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام عن آبائه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا خلق الله آدم وحواء تبخترا في الجنّة، فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله إلى جبرئيل: أئت بعبدي الفردوس الأعلى، فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنّة وعلى رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور، وقد أشرقت الجنان من حسن وجهها، فقال آدم: حبيبي جبرئيل، من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله نبيّ من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فما القرطان اللذان في أذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين عليهما السلام، قال آدم: حبيبي جبرئيل، أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة».

وروي في الكتاب المذكور عن العامّة عن عائشة أنّها قالت: «أحبّ النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام، وأحبّ الرجال إليها زوجها».

وعن عائشة أيضاً وقد ذكرت فاطمة عليها السلام فقالت: «ما رأيت أصدق منها غير أبيها».

وروى الصدوق في كتاب (مولد فاطمة عليها السلام) بإسناد معتبر: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: اشتاقت الجنّة إلى أربع من النساء: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون، وهي زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله في الجنّة، وخديجة بنت خويلد زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله».

وروى في (كشف الغمّة) بطرق المخالفين عن مجاهد، قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيد فاطمة وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله».

وروي من طرقهم عن أمّ سلمة رضي الله عنها، قالت: «كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أشبه النّاس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله».

ومن طرقهم أيضاً: عن عليّ، عن فاطمة، قالت: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة من صلّى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت في الجنّة».

وفي كتاب (بشارة المصطفى) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن جابر، قال: «صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر، فلمّا انفتل جلس في قبلته والنّاس حوله، فبينا هو كذلك، إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل[١] قد تهلّل[٢]، وأخلق، وهو لا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله يستحثّه الخبر[٣]، فقال الشيخ: يا نبيّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأنعشني؟

فقال: ما أجد لك شيئاً، لكنّ الدالّ على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ويؤثر رضاء الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة عليها السلام، وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه، وقال: يا بلال، قم فقف به على منزل فاطمة عليها السلام، فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمة عليها السلام نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين.

فقالت فاطمة: وعليك السلام، فمن أنت يا هذا؟ قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيّد البشر مهاجراً من شقّة[٤]، وأنا - يا بنت محمّد - عاري الجسد، جائع الكبد، فواسيني يرحمك الله، وكان لفاطمة وعليّ في تلك الحال ورسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ[٥] كان ينام عليه الحسن والحسين عليهما السلام فقالت: خذ هذا أيّها الطارق، فعسى الله أن يرتاح[٦] لك ما هو خير منه.

فقال الأعرابي: يا بنت محمّد، شكوت إليك الجوع فناولتيني جلد كبش! ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب[٧]! قال: فعمدت - لمّا سمعت هذا من قوله - إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطّلب فقطّعته من عنقها، ونبذته إلى الأعرابي، فقالت: خذه وبعه، فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه.

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله والنبيّ صلى الله عليه وآله جالس في أصحابه،

---

(١) السمل - بالتحريك -: الثوب الخَلِق والبالي.
(٢) كناية عن تمزقه وانخراقه.
(٣) أي يسأله الخبر ويحثه على الإخبار بحاله.
(٤) الشقة: السفر البعيد.
(٥) القرظ: ورق السلم يدبغ به.
(٦) يرتاح: ارتاح الله لفلان، أي رحمه.
(٧) السغب: الجوع.

فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة بنت محمّد هذا العقد، فقالت: بعه، فعسى الله أن يصنع لك، قال: فبكى النبيّ ﷺ وقال: وكيف لا يصنع الله لك وقد أعطتكه فاطمة بنت محمّد سيّدة بنات آدم عليها السلام، فقام عمّار بن ياسر رحمة الله عليه فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: اشتره - يا عمّار - فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنّار، فقال عمّار: بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانيّة أستر بها عورتي، وأُصلّي فيها لربّي، ودينار يبلغني إلى أهلي، وكان عمّار قد باع سهمه الذي نفله رسول الله ﷺ من خيبر ولم يبق منه شيئاً، فقال لك: عشرون ديناراً أو مئتا درهم هجريّة، وبردة يمانية، وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم، فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال أيّها الرجل.

وانطلق به عمّار فوفّاه ما ضمن له، وعاد الأعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: أشبعت واكتسيت؟ قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأمّي، قال ﷺ: فاجز فاطمة بصنيعها، فقال الأعرابي: اللّهمّ إنّك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كلّ الجهات.؟ اللّهمّ أعطِ فاطمة ما لا عين رأيت، ولا أذن سمعت، فأمّن النبيّ ﷺ على دعائه، وأقبل على أصحابه فقال: إنّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعليّ بعلها، ولولا عليّ ما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين عليهما السلام وما للعالمين مثلهما، سيّدا شباب أَسباط الأنبياء، وسيّدا شباب أهل الجنّة، وكان بإزائه مقداد وعمّار، وسلمان رضي الله عنهما، فقال: وأزيدكم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: أتاني الروح - يعني جبرئيل عليه السلام - أنّها إذا هي قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربّك؟ فتقول: الله ربّي، فيقولان: فمن نبيّك؟ فتقول: أبي، فيقولان: فمن وليّك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ألا وأزيدكم من فضلها: إنّ الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها، وعند قبرها عند موتها، يكثرون الصلاة عليها، وعلى أبيها وبعلها وبنيها، فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنّما زارني، ومن زار عليّ بن أبي طالب فكأنّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار عليّاً، ومن زار ذرّيّتهما فكأنّما زارهما.

فعمد عمّار إلى العقد فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله ﷺ وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله ﷺ وأخبره بقول عمّار، فقال النبيّ ﷺ: انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فأخذت فاطمة عليها السلام العقد وأعتقت المملوك، فضحك

الغلام، فقالت عليها السلام: ما يضحكك يا غلام؟ فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربّه».

وروى الكليني بإسناد معتبر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة: يا فاطمة، قومي فأخرجي تلك الصحيفة، فقامت فأخرجت صحيفة فيها ثريد وعراق[1] يفور، فأكل النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثلاث عشر يوماً.

ثمّ إنّ أمّ أيمن رأت الحسين عليه السلام معه شيء، فقالت له: من أين لك هذا؟ قال: إنّا لنأكله منذ أيّام، فأتت أمّ أيمن فاطمة عليها السلام فقالت: يا فاطمة، إذا كان عند أمّ أيمن شيء فإنّما هو لفاطمة وولدها، وإذا كان عند فاطمة شيء فليس لأمّ أيمن منه شيء! فأخرجت لها منه، فأكلت منه أمّ أيمن ونفدت الصحيفة، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: أما لولا أنّك أطعمتها لأكلت منها أنت وذرّيّتك إلى أن تقوم الساعة، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: «والصحيفة عندنا يخرج بها قائمنا في زمانه».

وفي (الكافي) بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام، قال: «ما عبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام».

وروى فرات بن إبراهيم في تفسيره بإسناده عن الصادق عليه السلام، قال: «قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله، حدّثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة عليها السلام إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك، قال أبو جعفر عليه السلام: حدّثني أبي، عن جدّي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرُّسل منابر من نور، فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة، ثمّ يقول الله: يا محمّد، اخطب، فأخطب خطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرُّسل بمثلها.

ثمّ ينصب للأوصياء منابر من نور، وينصب لوصيّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام في أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره أعلى منابرهم، ثمّ يقول الله: يا عليّ، اخطب فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها، ثمّ ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لابنيّ وسبطيّ وريحانتيّ أيّام حياتي منبر من نور، ثمّ يقال لهما: اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء بمثلهما.

ثمّ ينادي المنادي - وهو جبرئيل عليه السلام -: أين فاطمة بنت محمّد، أين خديجة بنت خويلد، أين مريم بنت عمران، أين آسية بنت مزاحم، أين أمّ كلثوم أمّ يحيى بن زكريا؟ فيقمن.

---

(١) العرق: هو العظم الذي أُخذ عنه اللحم، ويُطلق أيضاً على العظم بلحمه.

فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع، لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمّد وعليّ والحسن والحسين: عليهم السلام لله الواحد القهّار.

فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام.

يا أهل الجمع، طأطئوا الرؤوس، وغضّوا الأبصار، فإنّ هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنّة مدبّجة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ المحقّق الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها، فيبعث إليها مائة ألف ملك فيصيرون على يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك فيصيرون على يسارها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيّروها على باب الجنّة، فإذا صارت عند باب الجنّة تلفّتت، فيقول الله: يا بنت حبيبي، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنّتي؟ فتقول: يا ربّ، أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم.

فيقول الله: يا بنت حبيبي، ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحد من ذرّيّتك خذي بيده فأدخليه الجنّة.

قال أبو جعفر: والله يا جابر، إنّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا فيقول الله: يا أحبّائي، ما التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا ربّ، أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبّائي، ارجعوا وانظروا من أحبّكم لحبّ فاطمة، انظروا من أطعمكم لحبّ فاطمة، انظروا من كساكم لحبّ فاطمة، انظروا من سقاكم في حبّ فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنّة.

قال أبو جعفر: والله! لا يبقى في النّاس إلاّ شاكّ، أو كافر، أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، فيقولون: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠ - ١٠٣].

قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات، منعوا ما طلبوا، ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وروى السيّد ابن طاووس في كتابه (سعد السعود) بإسناد معتبر عن أبي سعيد الخدري، قال: «أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطيفة منسوجة بالذهب، أهداها له ملك من الحبشة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لأعطينّها رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، فمدّ أصحاب رسول

الله ﷺ أعناقهم إليها، فقال رسول الله: أين عليّ؟ قال عمّار: فلمّا سمعت ذلك وثبت حتى أتيت عليّاً عليه السلام فأخبرته، فجاء، فدفع رسول الله ﷺ القطيفة إليه، فقال: أنت لها، فخرج بها إلى سوق المدينة فنقضها سلكاً سلكاً، فقسّمها في المهاجرين والأنصار، ثمّ رجع إلى منزله وما معه منها دينار، فلمّا كان من غد استقبله رسول الله ﷺ فقال: يا أبا الحسن، أخذت أمس ثلاثة آلاف مثقالاً من ذهب، فأنا والمهاجرون والأنصار نتغدّى عندك غداً، فقال عليّ عليه السلام: نعم يا رسول الله، فلمّا كان الغد أقبل رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار حتى قرعوا الباب، فخرج إليهم وقد عرق من الحياء؛ لأنّه ليس في منزله قليل ولا كثير، فدخل رسول الله ﷺ ودخل المهاجرون والأنصار حتى جلسوا، ودخل عليّ عليه السلام وفاطمة، فإذا هو بجفنة مملوّة ثريداً عليها عراق، يفوح منها ريح المسك الأذفر، فضرب عليّ عليه السلام بيده عليها فلم يقدر على حملها، فعاونته فاطمة عليها السلام على حملها حتى أخرجها فوضعها بين يدي رسول الله، فدخل ﷺ على فاطمة فقال لها: يا بُنيّة؟ أنّى لك هذا؟ قالت: يا أبتِ، هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب.

فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى رأيت في ابنتي ما رأى زكريا في مريم بنت عمران».

وروى ابن بابويه في (العلل) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّما سمّيت فاطمة محدّثة؛ لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين.

يا فاطمة، اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران، فقالوا: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وأنّ الله عزّ وجلّ جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها، وسيّدة نساء الأوّلين والآخرين».

الفصل الرابع

في بيان بعض سيرها ومكارم أخلاقها عليها السلام

روي في (قرب الإسناد) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: «تقاضى عليّ وفاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمة ما دون الباب، وقضى على عليّ عليه السلام بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلاّ الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمّل[1] رقاب الرجال».

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: «رأيت أمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه، لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ، الجارّ ثمّ الدار».

وروي في (العلل) بإسناد معتبر عن عليّ عليه السلام أنّه قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة عليها السلام، إنّها كانت عندي، وكانت من أحبّ أهله إليه صلى الله عليه وآله، وإنّها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت[2] يداها، وكسحت البيت حتى اغبّرت ثيابها، وأوقدت النّار تحت القدر حتى دكنت ثيابها[3]، فأصابها من ذلك ضرر شديد.

فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حدّاثاً[4]، فاستحت فانصرفت، قال: فعلم النبيّ صلى الله عليه وآله أنّها جاءت لحاجة.

قال: فغدا علينا ونحن في لفاعنا[5] فقال: السلام عليكم، فسكتنا واستحيينا لمكاننا، ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا، ثمّ قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نردّ عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك، يسلّم ثلاثاً فإن أذن له وإلاّ انصرف.

---

(١) تحمل رقاب الرجال: أي تحمل أمور تحملها رقابهم، كحمل القرب والخطب ونحوهما.
(٢) مجلت: أي ثخن جلدها في العمل بالأشياء الصلبة.
(٣) دكن الثوب: إذا اغبّر لونه.
(٤) أي جماعة تحدّثون، وجمعه على غير القياس حملاً على نظيره من سامر وسمّار.
(٥) اللفاع: ثوب يجلّل به الجسد كله، كساءً كان أو غيره، كاللحاف وشبهه.

فقلت: وعليك السلام يا رسول الله، ادخل، فلم يَعد[١] أن جلس عند رؤوسنا.

فقال: يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند محمّد؟

قال: فخشيت إن لم تجبه أن يقوم، قال: فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتى أثّر في صدرها، وجرّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، قال: أفلا أعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم! إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين، قال: فأخرجت عليها السلام رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله».

وروي في (مكارم الأخلاق) بإسناد معتبر عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد السفر سلّم على من أراد التسليم عليه من أهله، ثمّ يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة عليها السلام، فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها، فسافر مرّة وقد أصاب عليّ عليه السلام شيئاً من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة عليها السلام، فخرج فأخذت سوارين من فضّة وعلّقت على بابها ستراً، فلمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المسجد، فتوجّه نحو فاطمة عليها السلام كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقاً إليه، فنظر فإذا في يدها سواران من فضّة، وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة عليها السلام وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها، فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها، وخلعت السوارين من يدها، ثمّ دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر، ثمّ قالت لهما: انطلقا إلى أبي فاقرآه السلام، وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا، فشأنك به، فجاءا فأبلغا ذلك عن أمّهما، فقبّلهما رسول الله صلى الله عليه وآله والتزمهما، وأقعد كلّ واحد منهما على فخذه، ثمّ أمر بذينك السوارين فكسرا، فجعلهما قطعاً، ثمّ دعا أهل الصفّة قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال فقسّمه بينهم قطعاً، ثمّ جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستر بشيء، وكان ذلك الستر طويلاً ليس له عرض، فجعل يؤزر الرجل، فإذا التقى عليه قطعة حتى قسّمه بينهم أزراً، ثمّ أمر النساء لا يرفعن رؤوسهنّ من الركوع والسجود حتى يرفع الرجل رؤوسهم؛ وذلك أنّهم كانوا من صغر إزارهم إذا ركعوا وسجدوا بدت عورتهم من خلفهم، ثمّ جرت به سنّة أن لا يرفع النساء رؤوسهنّ من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله فاطمة، ليكسونّها الله بهذا الستر من كسوة الجنّة، وليحلّينّها بهذين السوارين من حلية الجنّة».

---

(١) أي فلم يتجاوز عن الجلوس.

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) وغيره من طرق المخالفين: «أنّ الحسن البصري كان يقول: ما كان في هذه الأمّة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورّم قدماها».

وروى أيضاً بأسانيد معتبرة عن جابر الأنصاري: «أنّه صلى الله عليه وآله دخل يوماً بيت فاطمة فرأى فاطمة عليها السلام وعليها كساء من جِلّة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

وروى الشيخ في (التهذيب) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ فاطمة كانت تأتي قبور الشهداء في كلّ غداة سبت، فتأتي قبر حمزة عليه السلام وتترحّم عليه، وتستغفر له».

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، والسند صحيح أو حسن، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [المجادلة: ١٠]، قال عليه السلام: «كان سبب نزول هذه الآية أنّ فاطمة عليها السلام رأت في منامها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله همّ أن يخرج هو وفاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة، فخرجوا حتى جاوزوا من حيطان المدينة، فعرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بذات اليمين، حتى انتهى بهم إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله صلى الله عليه وآله شاة كبراء، وهي التي في إحدى أذنيها نقط بيض، فأمر بذبحها، فلمّا أكلوا ماتوا في مكانهم، فانتبهت فاطمة عليها السلام باكية ذعرة، فلم تخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك.

فلمّا أصبحت جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بحمار معه فأركب عليه فاطمة عليها السلام، وأمر أن يخرج أمير المؤمنين والحسن والحسين من المدينة، كما رأت فاطمة في نومها، فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض لهم طريقان، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين، كما رأت فاطمة عليها السلام، حتى انتبهوا إلى موضع فيه نخل وماء، فاشترى رسول الله صلى الله عليه وآله شاة، كما رأت فاطمة، فأمر بذبحها، فذبحت وشويت، فلمّا أرادوا أكلها قامت فاطمة عليها السلام وتنحّت ناحية منهم تبكي مخافة أن يموتوا، فطلبها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقع عليها وهي تبكي، فقال: ما شأنك يا بنيّة؟

قالت: يا رسول الله، رأيت كذا وكذا في نومي، وقد فعلت أنت كما رأيته، فتنحّيت عنكم فلا أراكم تموتون، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى ركعتين، ثمّ ناجى ربّه، فنزل جبرئيل فقال: يا محمّد، هذا شيطان يقال له الدهّار، وهو الذي أرى فاطمة عليها السلام هذه الرؤيا، ويُري المؤمنين في نومهم ما يغتمّون به، فأمر جبرئيل عليه السلام فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: أنت أريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال: نعم، يا محمّد، فبصق عليه ثلاث بصقات فشجّه في ثلاثة مواضع.

ثمّ قال جبرئيل لمحمّد ﷺ : قل يا محمّد، إذا رأيت في منامك شيئاً تكرهه، أو رأى أحد من المؤمنين، فليقل: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقرّبون، وأنبياء الله المرسلون، وعباده الصالحون من شرّ ما رأيت من رؤياي، ويقرأ الحمد والمعوذتين وقل هو الله أحد، ويتفل عن يساره ثلاث تفلات، فإنّه لا يضرّه ما رأى، وأنزل الله على رسوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

الفصل الخامس

في بيان تزويجها عليها السلام

قد ذكر الشيخ المفيد وابن طاووس وأكثر علمائنا أنّ تزويجها عليها السلام كان في ليلة الخميس، ليلة إحدى وعشرين من المحرّم سنة ثلاث من الهجرة.

وروى الشيخ الطوسي في (الأمالي): «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل بفاطمة بعد وفاة أختها رقيّة زوجة عثمان بستّة عشر يوماً، وذلك بعد رجوعه من بدر، وذلك لأيّام خلت من شوّال»، وقال بعضهم: «إنّ ذلك كان في شهر صفر بعد الهجرة بسنة، وقال بعضهم: إنّ ذلك بعد الرجوع من وقعة بدر».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ عليه السلام، قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوّجت عليّاً، فقلت: والله ما أنا منعتكم وزوّجته، بل الله منعكم وزوّجه.

فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، إنّ الله جلّ جلاله يقول: لو لم أخلق عليّاً لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض، آدم فمن دونه».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «سمعته يقول: لولا أنّ الله خلق أمير المؤمنين لفاطمة ما كان لها كفؤ على الأرض»، وبهذا المضمون أخبار عديدة معتبرة الإسناد من طرق الخاصّة والعامّة.

وروى الصدوق في (العيون) بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما زوّجت فاطمة إلاّ لمّا أمرني الله عزّ وجلّ بتزويجها عليها السلام».

وبأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد زوّجت فاطمة من عليّ، فزوّجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدرّ والياقوت والمرجان، وأنّ أهل السماء فرحوا بذلك، وسيولد منها ولدان سيّدا شباب أهل الجنّة، وبهما يزيّن أهل الجنّة، فأبشر يا محمّد، فإنّك خير الأوّلين والآخرين».

وروى الصدوق أيضاً في (الخصال) و(الأمالي) و(معاني الأخبار) بأسانيد معتبرة عن عليّ

ابن جعفر قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: حبيبي جبرئيل، لم أرَك في مثل هذه الصورة؟ فقال الملك: لست بجبرئيل، أنا محمود، بعثني الله عز وجل أنّ أزوّج النور من النور.

قال صلى الله عليه وآله: ممّن؟ فقال: فاطمة من عليّ عليه السلام، قال: فلمّا ولّى الملك إذا بين كتفيه: محمّد رسول الله، عليّ وصيّه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟

فقال: هذا من قبل أن يخلق الله تعالى آدم باثنين وعشرين ألف عام».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) نحوه، إلاّ أنّه قال: «أربعة وعشرون ألف عام».

وروت العامّة هذه الراوية بطرق عديدة، وفي رواياتهم أنّ اسم ذلك الملك كان صرصائيل، وكان له عشرون رأساً، في كلّ رأس ألف لسان، وأنّ يداه أكبر من السبع السماوات والأرضين، ومكتوب بين كتفيه بعد الشهادتين: عليّ بن أبي طالب مقيم الحجّة.

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الضحّاك بن مزاحم، قال: «سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت له فاطمة، قال: فأتيته، فلمّا رآني رسول الله ضحك، ثمّ قال: ما جاء بك يا أبا الحسن، وما حاجتك؟

قال: فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي، فقال: يا عليّ، صدقت، وأنت أفضل ممّا تذكر، فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوّجنيها؟ فقال: يا عليّ، إنّه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل عليها، فقامت فأخذت رداءه، ونزعت نعليه، وأتته بالوضوء فوضّأته بيدها، وغسلت رجليه، ثمّ قعدت فقال لها: يا فاطمة، فقالت: لبيّك لبيّك، حاجتك يا رسول الله، قال: إنّ عليّ بن أبي طالب مَن قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه، وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، زوّجها عليّ بن أبي طالب، فإنّ الله قد رضيها له ورضيه لها. قال عليّ عليه السلام: فزوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله» - الحديث.

وفي كتاب (المناقب) للخوارزمي، وغيره من الكتب المعتبرة للخاصّة والعامّة رووا عن أمير المؤمنين عليه السلام وأمّ سلمة وسلمان، وكلّ قالوا: «إنّه لمّا أدركت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال، وكان كلّما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنه رسول الله

بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظنّ في نفسه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساخط عليه، أو قد نزل على رسول الله فيه وحي من السماء، ولقد خطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرها إلى ربّها، وخطبها بعد أبي بكر عمر بن الخطّاب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كمقالته لأبي بكر، قال: وإنّ أبا بكر وعمر كانا ذات يوم جالسين في مسجد رسول الله ومعهما سعد بن معاذ الأنصاري ثمّ الأوسي، فتذاكروا من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: قد خطبها الأشراف من رسول الله، فقال: إنّ أمرها إلى ربّها، إن شاء الله أن يزوّجها زوّجها، وأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يخطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يذكرها له، ولا أراه يمنعه من ذلك إلاّ قلّة ذات اليد، وأنّه ليقع في نفسي أنّ الله عزّ وجلّ ورسوله إنّما يحبسانها عليه.

قال: ثمّ أقبل أبو بكر على عمر بن الخطّاب وعلى سعد بن معاذ، فقال: هل لكما في القيام إلى عليّ بن أبي طالب حتى نذكر له هذا، فإن منعه قلّة ذات اليد واسيناه وأسعفناه، فقال له سعد بن معاذ: وفّقك الله يا أبا بكر، فما زلت موفّقاً، قوموا بنا على بركة الله ويمنه.

قال سلمان الفارسي: فخرجوا من المسجد والتمسوا عليّاً في منزله، فلم يجدوه، وكان ينضح ببعير كان له، الماء على نخل رجل من الأنصار بأجرة، فانطلقوا نحوه، فلمّا نظر إليهم عليّ عليه السلام قال: ما وراءكم، وما الذي جئتم له؟ فقال له أبا بكر: يا أبا الحسن، إنّه لم يبق خصلة من خصال الخير إلاّ ولك فيها سابقة وفضل، وأنت من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكان الذي قد عرفت من القرابة والصحبة والسابقة، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة، فردّهم وقال: إنّ أمرها إلى ربّها، إن شاء أن يزوّجها زوّجها، فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله وتخطبها منه، فإنّي أرجو أن يكون الله عزّ وجلّ ورسوله إنّما يحبسانها عليك، قال: تغرغرت عينا عليّ عليه السلام بالدموع، وقال: يا أبا بكر، لقد هيّجت منّي ساكناً، وأيقظتني لأمرٍ كنت عنه غافلاً، والله! إنّ فاطمة لموضع رغبة، وما مثلي قعد عن مثلها، غير أنّه يمنعني من ذلك قلّة ذات اليد، فقال أبو بكر: لا تقل هذا يا أبا الحسن، فإنّ الدنيا وما فيها عند الله تعالى ورسوله كهباء منثور.

قال: ثمّ إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام حلّ عن ناضحه وأقبل يقوده إلى منزله، فشدّه فيه، ولبس نعله، وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان رسول الله في منزل زوجته أمّ سلمة ابنة أبي أميّة بن المغيرة المخزومي، فدقّ عليّ الباب، فقالت أمّ سلمة: مَن بالباب؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل أن يقول عليّ: أنا، عليّ، قومي يا أمّ سلمة فافتحي له الباب، ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبّه الله ورسوله، ويحبّهما، فقالت أمّ سلمة: فداك أبي وأمّي، ومن هذا الرجل الذي تذكر فيه وأنت لم تره؟ فقال: مَه يا أمّ سلمة، فهذا رجل ليس بالخرق ولا

بالنزق[١]، هذا أخي، وابن عمّي، وأحبّ الخلق إليَّ، قالت أمّ سلمة: فقمت مبادرة أكاد أن أعثر بمرطي، ففتحت الباب، فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب، ووالله! ما دخل حين فتحت الباب حتى علم أنّي قد رجعت إلى خدري، ثمّ إنّه دخل على رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له النبيّ: وعليك السلام يا أبا الحسن، اجلس.

قالت أمّ سلمة: فجلس عليّ عليه السلام بين يدي رسول الله ﷺ، وجعل ينظر إلى الأرض كأنّه قصد الحاجة وهو يستحي أن يبديها، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله ﷺ، فقالت أمّ سلمة: فكأنّ النبيّ علم ما في نفس عليّ عليه السلام فقال له: يا أبا الحسن، إنّي أرى أنّك أتيت لحاجة، فقل ما حاجتك وأبدِ ما في نفسك، فكلّ حاجة لك عندي مقضيّة.

قال عليّ عليه السلام: فقلت: فداك أبي وأمّي، إنّك لتعلم أنّك أخذتني من عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبيّ لا عقل لي، فغذّيتني بغذائك، وأدّبتني بأدبك، فكنت إليَّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة، وأنّ الله تعالى هداني بك وعلى يديك، واستنقذني ممّا كان عليه آبائي وأعمامي من الحيرة والشكّ، وإنّك - والله- يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة. يا رسول الله، فقد أحببت مع ما شدّ الله من عضدي بك أن يكون لي بيت، وأن يكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوّجي، يا رسول الله؟

قالت أمّ سلمة: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل فرحاً وسروراً، ثمّ تبسّم في وجه عليّ عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن، فهل معك شيء أزوّجك به؟

فقال عليّ عليه السلام: فداك أبي وأمّي، ما يخفى عليك من أمري شيء، وأملك سيفي ودرعي وناضحي، وما أملك شيئاً غير هذا.

فقال له رسول الله ﷺ: يا عليّ، أمّا سيفك فلا غناء بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنّي قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، يا أبا الحسن، أبشّرك؟

قال عليّ عليه السلام: فقلت: نعم، فداك أبي وأمّي بشّرني، فإنّك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلّى الله عليك.

فقال لي رسول الله ﷺ: أبشر يا أبا الحسن، فإنّ الله عزّ وجلّ قد زوّجكما في السماء من قبل أن أزوّجك في الأرض، ولقد هبط عليَّ في موضعي من قبل أن تأتيني ملك من السماء له

---

(١) الخرق: الدهش من الخوف أو الحياء. النزق: الخفّة: والطيش.

وجوه شتّى، وأجنحة شتّى، لم أرَ قبله من الملائكة مثله، فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أبشر يا محمّد باجتماع الشمل، وطهارة النسل، فقلت: وما ذاك أيّها الملك؟ فقال لي: يا محمّد، أنا سبطائيل الملك الموكّل بإحدى قوائم العرش، سألت ربّي عزّ وجلّ أن يأذن لي في بشارتك، وهذا جبرئيل في أثري يخبرك عن ربّك عزّ وجلّ بكرامة الله عزّ وجلّ.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: فما استتمّ كلامه حتى هبط عليَّ جبرئيل، فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا نبيّ الله، ثمّ إنّه وضع في يدي حريرة بيضاء من حرير الجنّة، وفيها سطران مكتوبان بالنور، فقلت: حبيبي جبرئيل، ما هذه الحريرة، وما هذه الخطوط؟

فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى الأرض اطلاعة، فاختارك من خلقه، فابتعثك برسالته، ثم اطّلع إلى الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً، فزوّجه ابنتك فاطمة، فقلت: حبيبي جبرئيل، ومَن هذا الرجل؟ فقال لي: يا محمّد؟ أخوك في الدنيا، وابن عمّك في النسب، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ الله أوحى إلى الجنان أن تزخرفي، فتزخرفت الجنان، وإلى شجرة طوبى: احملي الحليّ والحلل وتزيّنت الحور العين، وأمر الله الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور، فهبط من فوقها إليها، وصعد من تحتها إليها، وأمر الله عزّ وجلّ رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور، وهو الذي خطب عليه آدم يوم عرض الأسماء على الملائكة، وهو منبر من نور، فأوحى إلى ملك من ملائكة حجبه يقال له راحيل أن يعلو ذلك المنبر وأن يحمده بمحامده ويمجّده بتمجيده، وأن يثني عليه بما هو أهله، وليس في الملائكة أحسن منطقاً، ولا أحلى لغةً من راحيل الملك، فعلا المنبر وحمد ربّه ومجّده وقدّسه وأثنى عليه بما هو أهله، فارتجّت السماوات فرحاً وسروراً.

وفي رواية أخرى: أنّه خطب راحيل في البيت المعمور في جمعٍ من أهل السماوات السبع بهذه الخطبة، فقال:

الحمد لله الأوّل قبل أوّلية الأوّلين، الباقي بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيّين، وبربوبيّته مذعنين، وله على ما أنعم علينا شاكرين، حجبنا من الذنوب، وسترنا من العيوب، وأسكننا في السماوات وقرّبنا إلى السرادقات، وحجب عنّا النهم للشهوات، وجعل نهمتنا وشهوتنا في تقديسه وتسبيحه، الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين، وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين.

ثمّ قال بعد كلام: اختار الملك الجبّار صفوة كرمه، وعبيد عظمته لأمته سيّدة النساء بنت خير النبيّين، وسيّد المرسلين، وإمام المتّقين، فوصل حبله بحبل رجل من أهله، صاحبه المصدّق دعوته، المبادر إلى كلمته، عليّ الوصول بفاطمة البتول، ابنة الرسول.

وفي الراوية الأولى: قال جبرئيل عليه السلام: ثمّ أوحى الله إليَّ أن أعقد عقدة النكاح، فإنّي قد زوّجت أمتي فاطمة بنت حبيبي محمّد صلى الله عليه وآله عبدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فعقدت عقدة النكاح، وأشهدت على ذلك الملائكة أجمعين، وكتب شهادتهم في هذه الحريرة، وقد أمرني ربّي عزّ وجلّ أن أعرضها عليك، وأن أختمها بخاتم مسك، وأن أدفعها إلى رضوان، وأنّ الله عزّ وجلّ لمّا أشهد الملائكة على تزويج عليّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام أمر شجرة طوبى أن تنثر حملها من الحليّ والحلل، فنثرت ما فيها، فالتقطته الملائكة والحور العين، وأنّ الحور العين ليتهادينه ويفخرن به إلى يوم القيامة.

يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن آمرك أن تزوّج عليّاً في الأرض فاطمة، وتبشّرهما بغلامين زكيّين نجيبين طاهرين طيّبين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة.

يا أبا الحسن، فوالله! ما عرج الملك من عندي حتى دققت الباب، ألا وإنّي منفذ فيك أمر ربّي عزّ وجلّ. امضِ يا أبا الحسن أمامي، فإنّي خارج إلى المسجد ومزوّجك على رؤوس النّاس، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عينك وأعين محبّيك في الدنيا والآخرة.

قال عليّ عليه السلام: فخرجت من عند رسول الله عليه السلام مسرعاً وأنا لا أعقل فرحاً وسروراً، فاستقبلني أبو بكر وعمر فقالا: ما وراءك؟

فقلت: زوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة عليها السلام، وأخبرني أنّ الله عزّ وجلّ زوّجنيها من السماء، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله خارج في أثري ليظهر ذلك بحضرة النّاس، ففرحا بذلك فرحاً شديداً، ورجعا معي إلى المسجد، فما توسّطناه حتى لحق بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ وجهه ليتهلّل سروراً وفرحاً، فقال: يا بلال، فأجابه فقال: لبيّك يا رسول الله.

قال: اجمع إليَّ المهاجرين والأنصار، فجمعهم ثم رقى درجة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: معاشر المسلمين، إنّ جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربّي عزّ وجلّ أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوج أمته فاطمة ابنة رسول الله من عبده عليّ بن أبي طالب، وأمرني أن أزوّجه في الأرض، وأشهدكم على ذلك، ثمّ جلس وقال لعليّ عليه السلام: قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك.

قال: فقام وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: ألحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلاّ الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلّى الله على محمّد صلاة تزلفه وتحظيه، والنكاح ممّا أمر الله عزّ وجلّ به ورضيه، ومجلسنا هذا ممّا قضاه الله وأذن فيه، وقد زوّجني رسول الله ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذا، وقد رضيت بذلك، فاسألوه واشهدوا، فقال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله: زوّجته يا رسول الله؟ فقال: نعم، فقالوا: بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أزواجه» - الحديث.

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً فاطمة عليها السلام دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك، فوالله! لو كان في أهل بيتي خير منه زوّجتك، وما أنا زوّجتك، ولكنّ الله زوّجك، وأصدق عنك الخُمس ما دامت السماوات والأرض.

قال عليّ عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قم فبع الدرع، فقمت فبعته وأخذت الثمن ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فسكبت الدراهم في حجره، فلم يسألني كم هي، ولا أنا أخبرته، ثمّ قبض قبضة ودعا بلالاً فأعطاه، وقال: ابتع لفاطمة طيباً، ثمّ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الدراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر، وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت، وأردفه بعمّار بن ياسر وبعدّة من أصحابه، فحضروا السوق، وكانوا يعترضون الشيء ممّا يصلح فلا يشرونه حتى يعرضوه على أبي بكر، فإن استصلحه اشتروه، فكان ممّا اشتروه قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبريّة، وسرير مزمّل بشريط، وفراشين من خيش مصر، حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جزّ الغنم، وأربع مرافق من أدم الطائف حشوها أذخر، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحا لليد، ومخضب من نحاس، وسقي من أدم، وقعب للبن، وشنّ للماء، ومطهرة مزفّتة، وجرّة خضراء، وكيزان خزف، حتى إذا استكمل الشراء حمل أبو بكر بعض المتاع وحمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين كانوا معه الباقي.

فلمّا عرض المتاع على رسول الله صلى الله عليه وآله جعل يقلّبه بيده، ويقول: بارك الله لأهل البيت».

وفي رواية أخرى: «فلمّا نظر صلى الله عليه وآله إليه بكى وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف.

ثمّ قال عليّ عليه السلام: فأقمت بعد ذلك شهراً أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأرجع إلى منزلي ولا أذكر شيئاً من أمر فاطمة عليها السلام، ثمّ قلن أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا نطلب لك من رسول الله دخول فاطمة عليها السلام عليك؟ فقلت: افعلن، فدخلن عليه، فقالت أمّ أيمن: يا رسول الله، لو أنّ خديجة باقية لقرّت عيناً بزفاف فاطمة عليها السلام، وأنّ عليّاً يريد أهله، فقرّ عين فاطمة ببعلها، واجمع شملهما، وقرّ عيوننا بذلك.

فقال صلى الله عليه وآله: فما بال عليّ لا يطلب منّي زوجته، فقد كنّا نتوقّع ذلك منه؟

قال عليّ عليه السلام: فقلت: الحياء يمنعني يا رسول الله، فالتفت إلى النساء فقال: من هٰهنا؟

فقالت أمّ سلمة: أنا أمّ سلمة، وهذه زينب، وهذه فلانة وفلانة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هيّئوا لابنتي وابن عمّي في حُجَري بيتاً.

فقالت أمّ سلمة: في أيّ حجرة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: في حجرتك، وأمر نساءه، أن يزيّنّ ويصلحن من شأنها.

قالت أمّ سلمة: فسألت فاطمة: هل عندك طيب ادّخرتيه لنفسك؟ قالت: نعم، فأتت بقارورة، فسكبت منها في راحتي فشممت منها رائحة ما شممت بمثلها قطّ، فقلت: ما هذا؟ فقالت: كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله ﷺ فيقول لي: يا فاطمة، هات الوسادة فاطرحيها لعمّك، فأطرح له الوسادة، فيجلس عليه، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء، فيأمرني بجمعه، فسأل عليّ عليه السلام رسول الله عن ذلك، فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل عليه السلام».

وفي رواية أخرى: «أنّها صلوات الله عليها أتت أيضاً بماء ورد فسألت أمّ سلمة عنه، فقالت: هذا عرق رسول الله ﷺ كنت آخذه عند قيلولة النبيّ عندي وأجعله في قارورة. قال عليّ عليه السلام: ثمّ قال لي رسول الله: يا عليّ، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثمّ قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتّخذه حيساً، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح، وخبز لنا خبزاً كثيراً.

ثمّ قال لي رسول الله ﷺ: ادع من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة، فأحببت أن أُشخّص قوماً وأدع قوماً، ثمّ صعدت على ربوة هناك وناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل النّاس ارسالاً، فاستحييت من كثرة النّاس وقلّة الطعام، فعلم رسول الله ﷺ ما تداخلني، فقال: يا عليّ إليَّ، سأدعو الله بالبركة.

قال علي عليه السلام: فأكل القوم عن آخرهم طعامي، وشربوا شرابي، ودعوا لي بالبركة، وصدروا وهم أكثر من أربعة الآف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء، ثمّ دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت، ووجّه بها إلى منازل أزواجه، ثمّ أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً وقال: هذا لفاطمة وبعلها، حتى إذا انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله ﷺ: يا أمّ سلمة، هلمّي فاطمة، فانطلقت فأتت بها، وهي تسحب أذيالها، وقد تصبّبت عرقاً حياءً من رسول الله ﷺ، فعثرت.

فقال رسول الله ﷺ: أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة، فلمّا وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها عليّ عليه السلام، ثمّ أخذ يدها فوضعها في يد عليّ وقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله. يا عليّ، نِعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة، نِعم البعل عليّ، انطلقا إلى منزلكما، ولا تحدثا أمراً حتى آتيكما.

قال عليّ عليه السلام: فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتى جلست في جانب الصفّة وجلست

في جانبها، وهي مطرقة إلى الأرض حياءً منّي، وأنا مطرق إلى الأرض حياءً منها، ثمّ جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: مَن هٰهنا؟ فقلنا: ادخل يا رسول الله، مرحباً بك زائراً وداخلاً، فدخل فاجلس فاطمة من جانبه، ثمّ قال: يا فاطمة، آتيني بماء، فقامت إلى قعب في البيت فملأته ماء، ثمّ أتته به، فاخذ جرعة فتمضمض بها، ثمّ مجّها في القعب، ثمّ صب منها على رأسها، ثمّ قال: أقبلي، فلمّا أقبلت نضح منه بين ثدييها، ثمّ قال: أدبري، فأدبرت، فنضح منه بين كتفيها، ثمّ قال: اللّهمّ هذه ابنتي، وأحبّ الخلق إليَّ، اللّهمّ وهذا أخي وأحبّ الخلق إليَّ، اللّهمّ اجعله لك وليّاً، وبك حفيّاً، وبارك له في أهله، ثمّ قال: يا عليّ، ادخل بأهلك، بارك الله لك ورحمة لله وبركاته عليكم إنّه حميد مجيد».

وفي رواية معتبرة أخرى: «قال عليّ عليه السلام: فأتاني صلى الله عليه وآله في ليلة التزويج، فأخذ بيدي فقال: قم بسم الله، وقل: على بركة الله، وما شاء الله، لا قوّة إلاّ بالله، توكّلت على الله، ثم جاء بي حتى أقعدني عندها عليها السلام، ثمّ قال: اللّهمّ إنّهما أحبّ خلقك إليَّ، فأحبّهما، وبارك في ذرّيّتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّي أعيذهما بك وذرّيّتهما من الشيطان الرجيم».

وفي الكتب المعتبرة بين العامّة والخاصّة رووا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لمّا زوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام بحضور جميع الصحابة مكثت بعد ذلك شهراً لا أُعاود رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة بشيء استحياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أنّي كنت إذا خلوت برسول الله يقول لي: يا أبا الحسن،ما أحسن زوجتك، وأجملها، أبشر يا أبا الحسن، فقد زوّجتك سيّدة نساء العالمين.

قال عليّ عليه السلام: فلمّا كان بعد شهر دخل عليَّ أخي عقيل بن أبي طالب فقال: يا أخي، ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، يا أخي، فما بالك لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله يدخلها عليك فتقرّ عيننا باجتماع شملكما!

قال عليّ عليه السلام: والله! يا أخي إنّي لأُحبّ ذلك، وما يمنعني من مسألته إلاّ الحياء منه، فقال: أقسمت عليك إلاّ قمت معي.

فقمنا نريد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلقينا في طريقنا أمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل، ودعنا نحن نكلّمه، فإنّ كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال، ثمّ انثنت راجعة، فدخلت إلى أمّ سلمة فأعلمتها بذلك، وأعلمت نساء النبيّ صلى الله عليه وآله، فاجتمعن عند رسول الله، وكان في بيت عائشة، فأحدقن به، وقلن: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله، قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عينها.

قالت أمّ سلمة: فلمّا ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ قال: خديجة، وأين مثل خديجة، صدّقتني حين كذّبني النّاس، وآزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها، إنّ

الله عَزَّوَجَلَّ أمرني أن أُبشر خديجة ببيت في الجنّة من قصب الزمرّد، لا صخب فيه ولا نصب.

قالت أمّ سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله، إنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلاّ وقد كانت كذلك، غير أنّها قد مضت إلى ربّها، فهنّاها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في درجات جنّته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله، وهذا أخوك في الدنيا وابن عمّك في النسب عليّ بن أبي طالب يحبّ أن تُدخل عليه زوجته فاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ، وتجمع بها شمله، فقال يا أمّ سلمة، فما بال عليّ لا يسألني ذلك؟ فقلت: يمنعه الحياء منك يا رسول الله، قالت أمّ أيمن: فقال: لي رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: انطلقي إلى عليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ فآتيني به، فخرجت من عند رسول الله، فإذا عليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، فلمّا رآني قال: ما وراك يا أمّ أيمن؟ قلت: أجب رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، قال: فدخلت عليه وقمن أزواجه، فدخلن البيت، وجلست بين يديه مطرقاً نحو الأرض حياءً منه، فقال: أتحبّ أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت - وأنا مطرق -: أجل فداك أبي وأمّي، فقال: نعم، وكرامة يا أبا الحسن، أُدخلها عليك في ليلتنا هذه، أو في ليلة غد إن شاء الله، فقمت فرحاً مسروراً.

وأمر صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ أزواجه أن يزيّنّ فاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ ويطيّبنها، ويفرشن لها بيتاً ليدخلها على بعلها، ففعلن ذلك، وأخذ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ من الدراهم التي سلّمها إلى أمّ سلمة عشرة دراهم، فدفعها إلى عليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ وقال: اشتر سمناً وتمراً وأقطاً، فاشتريت وأقبلت به إلى رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، فحسر عن ذراعيه، ودعا بسفرة من أدم وجعل يشدخ التمر والسمن ويخلطهما بالأقطّ حتى اتّخذه حيساً، ثمّ قال: يا عليّ: ادع من أحببت، فخرجت إلى المسجد وأصحاب رسول الله متوافرون، فقلت: أجيبوا رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، فقاموا جميعاً وأقبلوا نحو النبيّ صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، وأخبرته أنّ القوم كثير، فجلّل السفرة بمنديل وقال: أدخل علَيَّ عشرة بعد عشرة، ففعلت، وجعلوا يأكلون ويخرجون ولا ينقص الطعام، حتى لقد أكل من ذلك الحيس سبعمائة رجل وامرأة ببركة النبيّ صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ».

وفي رواية أخرى: «أنّه أمر النبيّ صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ أن ينادي على رأس داره: أجيبوا رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ؛ وذلك كقوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج:٢٧]، فأجابوا من النخلات والزورع، فبسط النطوع في المسجد، وصدر النّاس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، وسائر نساء المدينة، ورفعوا منها ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء، ثمّ عادوا في اليوم الثاني وأكلوا، وفي اليوم الثالث أكلوا.

قالت أمّ سلمة: ثمّ دعا بابنته فاطمة عَلَيْهَاالسَّلَامُ، ودعا بعليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ، فأخذ عليّاً بيمينه، وفاطمة بشماله، وجمّعهما إلى صدره، فقبّل بين أعينهما، ودفع فاطمة إلى عليّ عَلَيْهِالسَّلَامُ، وقال: يا عليّ، نِعم الزوجة زوجتك، ثمّ أقبل على فاطمة، وقال: يا فاطمة، نِعم البعل بعلك، ثمّ قام

يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هيّئ لهما، ثمّ خرج من عندهما، فاخذ بعضادتي الباب فقال: طهّركما الله، وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، حرب لمن حاربكما، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما».

وروي: أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مرحباً ببحرين يلتقيان، ونجمين يقترنان».

قال عليّ عليه السلام: «ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلمّا كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعمية، فقال لها: ما يقفك هٰهنا وفي الحجرة رجل؟

فقالت: فداك أبي وأمّي، إنّ الفتاة إذا زفّت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحوائجها، فأقمت هٰهنا لأقضي حوائج فاطمة عليها السلام.

قال: يا أسماء، قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة، قال عليّ عليه السلام: وكانت غداة قرّة[1]، وكنت أنا وفاطمة تحت العباء، فلمّا سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأسماء ذهبنا لنقوم فقال: بحقّي عليكما لا تفترقا حتى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا، ودخل صلى الله عليه وآله وسلم وجلس عند رؤوسنا وأدخل رجليه فيما بيننا، وأخذت رجله اليمنى فضممتها إلى صدري، وأخذت فاطمة عليها السلام رجله اليسرى فضمّتها إلى صدرها، وجعلنا ندفّئ رجليه من القرّ، حتى إذا دفينا قال: يا عليّ، ائتني بكوز من ماء، فأتيته، فتفل فيه ثلاثاً، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى، ثمّ قال: يا عليّ، اشربه واترك فيه قليلاً، ففعلت ذلك فرشّ باقي الماء على رأسي وصدري، وقال: اذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهّرك تطهيراً، وقال: ائتني بماء جديد، فأتيته به، ففعل كما فعل، وسلّمه إلى ابنته عليها السلام، وقال لها: اشربي واتركي منه قليلاً، ففعلت فرشّه على رأسها وصدرها، وقال: أذهب الله عنك الرجس وطهّرك تطهيراً، وأمرني بالخروج من البيت، وخلا بابنته وقال: كيف أنت يا بنيّة، وكيف رأيت زوجك؟

قالت: يا أبتِ، خير زوج، إلاّ أنّه دخل عليَّ نساء من قريش وقلن لي: زوّجك رسول الله من فقير لا مال له، فقال لها: يا بنيّة، ما أبوك بفقير، ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت عليَّ خزائن الأرض من الذهب والفضّة واخترت ما عند ربّي عزّ وجلّ. يا بنيّة، لو تعلمين ما علم أبوك لسمجت الدنيا في عينك.

والله! - يا بنيّة - ما ألوتك نصحاً أن زوّجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، يا بنيّة، إنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى الأرض اطلاعة فاختار من أهلها رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك.

---

(١) قرة: أي باردة.

يا بنيّة، نِعم الزوج زوجك، لا تعصي له أمراً، ثمّ صاح بي رسول الله ﷺ: يا عليّ، فقلت: لبيّك يا رسول الله، قال: ادخل بيتك، والطف بزوجتك، وارفق بها، فإنّ فاطمة بضعة منّي، يؤلمني ما يؤلمها، ويسرّني ما يسرّها، استودعكما الله واستخلفه عليكما، قال عليّ عليه السلام: فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجلّ إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عنّي الهموم والأحزان.

قال عليّ عليه السلام: «ثمّ قام رسول الله ﷺ لينصرف، فقالت له فاطمة عليها السلام: يا أبتِ، لا طاقة لي بخدمة البيت، فاخدمني خادماً تخدمني وتعينني على أمر البيت، فقال لها: يا فاطمة، أولا ترين خيراً من الخادم؟ فقال عليّ: قولي: بلى، قالت: يا أبتِ، خيراً من الخادم، فقال: تسبّحين الله عزّ وجلّ في كلّ يوم ثلاثاً وثلاثين مرّة، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرّة، وتكبّرينه أربعاً وثلاثين مرّة، فذلك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان.

يا فاطمة، إنّك إن قلتيها في صبيحة كلّ يوم كفاك الله ما أهمّك من أمر الدنيا والآخرة».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى آخى بيني وبين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وزوّجه ابنتي من فوق سبع سماواته، وأشهد على ذلك مقرّبي ملائكته، وجعله لي وصيّاً وخليفة، فعليّ منّي وأنا منه، محبّه محبّي، ومبغضه مبغضي، وإنّ الملائكة لتتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بمحبّته».

وروي في (الأمالي) أيضاً بإسناد صحيح عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، «قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: دخلت أمّ أيمن على النبيّ ﷺ وفي ملحفتها شيء، فقال لها رسول الله ﷺ: ما معك يا أمّ أيمن؟

فقالت: إنّ فلانة أملكوها فنثروا عليها، فأخذت من نثارها، ثمّ بكت أمّ أيمن، وقالت: يا رسول الله، فاطمة زوّجتها ولم تنثر عليها شيئاً.

فقال رسول الله ﷺ: يا أمّ أيمن، لِمَ تكذبين، فإنّ الله تبارك وتعالى لمّا زوّجت فاطمة عليّاً أمر أشجار الجنّة أن تنثر عليهم من حليّها وحللها وياقوتها ودرّها وزمرّدها واستبرقها، فأخذوا منها ما لا يعلمون، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة فجعلها في منزل عليّ عليه السلام».

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن بعض أصحابه رفعه، قال: «كانت فاطمة لا يذكرها أحد لرسول الله ﷺ إلاّ أعرض عنه، حتى أيس النّاس منها، فلمّا أراد أن يزوّجها من عليّ عليه السلام أسرّ إليها، فقالت: يا رسول الله، أنت أوْلى بما ترى، غير أنّ نساء قريش تحدّثني عنه أنّه رجل دحداح البطن، طويل الذراعين، ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين، ضاحك السنّ، لا مال له. فقال لها رسول الله ﷺ:

يا فاطمة، أما علمت إنّ الله أشرف على الدنيا فاختارني على رجال العالمين، ثمّ اطّلع فاختار عليّاً على رجال العالمين، ثمّ اطّلع فاختارك على نساء العالمين.

يا فاطمة، إنّه لمّا أُسري بي إلى السماء وجدت مكتوباً على صخرة بيت المقدس: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، أيّدته بوزيره، ونصرته بوزيره، فقلت لجبرئيل: ومن وزيري؟ فقال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فلمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت مكتوباً عليها: أنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي، محمّد صفوتي من خلقي، أيّدته بوزيره، ونصرته بوزيره، فقلت لجبرئيل: ومن وزيري؟ قال: عليّ بن أبي طالب.

فلمّا جاوزت السدرة انتهيت إلى عرش ربّ العالمين، فوجدت مكتوباً على قائمة من قوائم العرش: أنا الله لا إله إلاّ أنا، محمّد حبيبي، أيّدته بوزيره، ونصرته بوزيره.

فلمّا دخلت الجنّة رأيت في الجنّة شجرة طوبى، أصلها في دار عليّ، وما في الجنّة قصر ولا منزل إلاّ وفيها فتر منها، وأعلاها أسفاط حلل من سندس واستبرق، يكون للعبد المؤمن ألف ألف سفط، في كلّ سفط مائة ألف حلّة، ما فيها حلّة تشبه الأخرى، على ألوان مختلفة، وهي ثياب أهل الجنة، وسطها ظلّ ممدود عرض الجنّة، كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله، يسير الراكب في ذلك الظلّ مسيرة مائة عام فلا يقطعه؛ وذلك قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وأسفلها ثمار أهل الجنّة وطعامهم متدلّ في بيوتهم يكون في القضيب منها مائة لون من الفاكهة ممّا رأيتم في دار الدنيا وما لم تروه، وما سمعتم به وما لم تسمعوا مثلها، وكلّما يجتني منها شيء نبت مكانها أخرى، لا مقطوعة ولا ممنوعة، ويجري نهر في أصل تلك الشجرة تتفجّر منها الأنهار الأربعة: أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وأنهار من خمرة لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفّى.

يا فاطمة، إنّ الله أعطاني في عليّ سبع خصال: هو أوّل من ينشقّ عنه القبر معي، وأوّل من يقف معي على الصراط فيقول للنّار: خذي ذا وذري ذا، وأوّل من يكسى إذا كسيت، وأوّل من يقف معي على يمين العرش، وأوّل من يقرع معي باب الجنّة، وأوّل من يسكن معي علّيّين، وأوّل من يشرب معي من الرحيق المختوم، ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

يا فاطمة، هذا ما أعطاه الله عليّاً في الآخرة، وأعدّ له في الجنّة إذا كان في الدنيا لا مال له، فأمّا ما قلت إنّه بطين، فإنّه مملوّ من علم خصّه الله به وأكرمه من بين أُمّتي. فأمّا ما قلت: إنّه أنزع، عظيم العينين، فإنّ الله خلقه بصفة آدم عليه السلام. وأمّا طول يديه، فإنّ الله طوّلهما يقتل بهما أعداءه وأعداء رسوله، وبه يظهر الدين ولو كره المشركون، وبه يفتح الله الفتوح، ويقاتل

المشركين على تنزيل القرآن، والمنافقين من أهل البغي والنكث والفسوق على تأويله، ويخرج الله من صلبه سيّدي شباب أهل الجنّة، ويزيّن بهما عرشه.

يا فاطمة، ما بعث الله نبيّاً إلاّ جعل له ذرّيّة من صلبه، وجعل ذرّيّتي من صلب عليّ، ولولا عليّ ما كانت لي ذرّيّة.

فقالت فاطمة: يا رسول الله، ما اختار عليه أحداً من أهل الأرض، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وروى الصدوق في (الأمالي) وغيره بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام والرضا عليه السلام، عن عليّ عليه السلام، قال: «لقد هممت بتزويج فاطمة عليها السلام ابنة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم أتجرّأ أن أذكر ذلك للنبيّ، وأنّ ذلك ليختلج في صدري، ليلي ونهاري، حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا عليّ، قلت: لبيّك يا رسول الله، قال: هل لك في التزويج حاجة؟ قلت: رسول الله أعلم، وإذا هو يريد أن يزوّجني بعض نساء قريش، وإنّي لخائف على فوت فاطمة عليها السلام، فما شعرت بشيء إذ أتاني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لي: أجب النبيّ وأسرع، فما رأينا رسول الله أشدّ فرحاً منه اليوم، قال: فأتيته مسرعاً، فإذا هو في حجرة أمّ سلمة، فلمّا نظر إليَّ تهلّل وجهه فرحاً وتبسّم حتى نظرت إلى بياض أسنانه يبرق، فقال: أبشر يا عليّ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد كفاني ما قد كان أهمَّني من أمر تزويجك.

فقلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنّة وقرنفلها فناولنيهما، فأخذتهما وشممتهما وقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر سكّان الجنان من الملائكة ومن فيها أن يزيّنوا الجنان كلّها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها، وأمر ريحها فهبّت بأنواع العطر والطيب وأمر حور عينها بالقراءة فيها بسورة طه وطواسين ويسَ وحمعسق، ثمّ نادى منادٍ من تحت العرش: إلا إنّ اليوم يوم وليمة عليّ بن أبي طالب، ألا إنّي أشهدكم أنّي قد زوّجت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من عليّ بن أبي طالب عليه السلام رضى منّي بعضهما لبعض، ثمّ بعث الله تعالى سحابة بيضاء فقطرت عليهم من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها، فقامت الملائكة فنثرت من سنبل الجنّة وقرنفلها، وهذا ممّا نثرت الملائكة، ثمّ أمر الله تبارك وتعالى ملكاً من ملائكة الجنّة يقال له راحيل، وليس في الملائكة أبلغ منه، فقال: اخطب يا راحيل، فخطب بخطبة لم يسمع بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض.

ثمّ نادى منادٍ: ألا يا ملائكتي وسكّان جنّتي، باركوا على عليّ بن أبي طالب حبيب محمّد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد باركت عليهما، ألا إنّي قد زوّجت أحبّ النساء إليَّ من أحبّ الرجال إليَّ بعد النبيّين والمرسلين، فقال راحيل الملك: يا ربّ، وما بركتك فيهما بأكثر ممّا رأينا لهما في جنانك ودارك؟

فقال عز وجل : يا راحيل، من بركتي عليهما أن أجمعهما على محبّتي، وأجعلهما حجّةً على خلقي. وعزّتي وجلالي، لأخلقنّ منهما خلقاً ولأُنشِئنّ منهما ذرّيّة أجعلهم خزّاني في أرضي، ومعادن لعلمي، ودعاة إلى ديني، بهم أحتجّ على خلقي بعد النبيّين والمرسلين، فأبشر يا عليّ، فإنّ الله عز وجل أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً، وقد زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زَوَّجك الرحمن، وقد رضيت لها بما رضي الله لها، فدونك أهلك، فإنّك أحقّ بها منّي، ولقد أخبرني جبرئيل عليه السلام : أنّ الجنّة مشتاقة إليكما، ولولا أنّ الله عز وجل قدّر أن يخرج منكما ما يتّخذه على الخلق حجّة لأجاب فيكم الجنّة وأهلها، فنِعم الأخ أنت، ونِعم الختن أنت، ونِعم الصاحب أنت، وكفاك برضى الله رضاً.

قال عليّ عليه السلام : فقلت: يا رسول لله، بلغ من قدري حتى أنّي ذكرت في الجنّة، وزوّجني الله في ملائكته؟

فقال: إنّ الله عز وجل إذا أكرم وليّه وأحبّه أكرمه بما لا عين رأيت ولا أذن سمعت، فحباها الله لك يا عليّ.

قال عليّ عليه السلام : ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : آمين».

وروى في (قرب الإسناد) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام ، عن أبيه عليه السلام ، قال: «كان فراش عليّ وفاطمة حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما عليه قلباه فناما على صوفه»، قال: «وكانت وسادتهما أدماً[1] حشوها ليف»، قال: «وكان صداقها درعاً من حديد».

وروى الشيخ الطوسي في (الأمالي) بإسناد معتبر عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن جابر بن عبد الله رحمه الله ، قال: «لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة من عليّ عليه السلام أتاه أناسٌ من قريش فقالوا: إنّك زوّجت عليّاً بمهر خسيس.

فقال: ما أنا زوّجت عليّاً، ولكنّ الله عز وجل ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله إلى السدرة أن انثري ما عليك، فنثرت الدرّ والجوهر والمرجان، فابتدر الحور العين فالتقطن، فهنّ يتهادينه ويتفاخرن ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمّد عليها السلام .

فلمّا كان ليلة الزفاف أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: اركبي وأمر سلمان أن يقودها، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يسوقها.

---

(١) أدم: جمع أديم الجلد، أو الأحمر منه، أو المدبوغ.

فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبيّ ﷺ وجبة[١] فإذا هو بجبرئيل في سبعين ألفاً، وميكائيل في سبعين ألفاً.

فقال النبيّ ﷺ: ما أهبطكم إلى الأرض؟

قالوا: جئنا نزفّ فاطمة عليها السلام إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكبّر جبرئيل، وكبّر ميكائيل، وكبّرت الملائكة، وكبّر محمّد ﷺ، فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة».

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن إسحاق بن عمّار وأبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الله أمهر فاطمة عليها السلام ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنّة والنّار تُدخل أعداءها النّار، وتُدخل أولياءها الجنّة، وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى».

وفي (قرب الإسناد) بإسناد موثّق عن ابن بكير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: زوّج رسول الله ﷺ عليّاً فاطمة عليها السلام على درع حطميّة[٢] تسوى ثلاثين درهماً».

أقول: الأشهر أنّ مهرها كان خمسمائة درهم، وقد دلّت عليه أخبار كثيرة، ويمكن الجمع بينه وبين تلك الروايات بوجوه:

الأوّل: أن يكون المراد أنّ الدرع جزء للمهر.

الثاني: أن يكون المعنى أنّه لو كان في اليوم لكان يسوى ثلاثين درهماً، وإن كان قيمته في ذلك الزمان أكثر.

الثالث: أن يقال: إنّه كان يسوى ثلاثين درهماً، ولكنّه بيع بخمسمائة.

الرابع: أن يكون محمولاً على التقيّة.

وروى القطب الراوندي في (الخرائج والجرائح): «أنّ جبرئيل عليه السلام هبط في وليمة فاطمة عليها السلام في زمرة من الملائكة بهديّة في سلّة من السماء، وفيها كعك وموز وزبيب، فقال: هذا هدية جبرئيل، ثمّ أقلب من يده سفرجلة فشقّها نصفين، وأعطى عليّاً نصفاً وقال: هذه هدية من الجنّة إليكما، ونصفاً لفاطمة».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب): «أنّ جبرئيل عليه السلام أتى بحلّة من السماء إلى فاطمة قيمتها الدنيا، فلمّا لبستها تحيّر نسوة قريش منها، وقلن: من أين لك هذا؟ قالت: من عند الله».

---

(١) الوجبة: السقطة مع الهدَّة، أو صوت الساقط.

(٢) الحطمية: المنسوبة إلى حطمة بن محارب الذي كان يعملها؛ أو أنها الدرع التي تكسر السيف فلا يؤثر فيها.

وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام: «إنّ الله أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله: قل لفاطمة عليها السلام: لا تعصي عليّاً عليه السلام، فإنّه إن غضب غضبت لغضبه».

وروي عن الباقر عليه السلام: «إنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله: إنّي جعلت نحلتها من عليّ خُمس الدنيا وثلث الجنّة، وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ، فزوّجها أنت يا محمّد بخمسمائة درهم تكون سنّة لأمّتك».

وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام: «أنّه قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ: زوّجت فاطمة ابنتي منك بأمر الله تعالى على صداق خُمس الأرض وأربعمائة وثمانين درهماً، الآجل خمس الأرض، والعاجل أربعمائة وثمانون درهماً».

وروي أيضاً عن جابر الأنصاري وابن عبّاس: «إنّه لمّا كانت الليلة التي زفّت فاطمة إلى عليّ كان النبيّ صلى الله عليه وآله أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من خلفها يسبّحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر».

وفي رواية أخرى رواها عن ابن بابويه: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بنات عبد المطّلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضي الله، قال جابر: فأركبها على ناقة».

وفي رواية: «على بغلته الشهباء، وأخذ سلمان زمامها، وحولها سبعون حوراء، والنبيّ صلى الله عليه وآله وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبيّ قدّامها يرجزن، فأنشأت أمّ سلمة رضي الله عنها.

سرن بعون الله جاراتي ... واشكرنه في كلّ حالات
واذكرن ما أنعم ربّ العلى ... من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد ... أنعشنا ربّ السماوات
وسرن مع خير نساء الورى ... تفدى بعمّات وخالاتِ
يا بنت من فضّله ذو العلى ... بالوحي منه والرسالاتِ

ثمّ قالت عائشة:

يا نسوة استرن بالمعاجر ... واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن ربّ النّاس إذ خصّنا ... بدينه مع كلّ عبد شاكر
والحمد لله على إفضاله ... والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعلا ذكرها ... وخصّها منه بطهر طاهر

ثمّ قالت حفصة:

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر
فضّلك الله على كلّ الورى بفضل من خصّ بآي الزمر
زوّجك الله فتىً فاضلاً أعني عليّاً خير مَن في الحضر
فسرن جاراتي بها أنّها كريمة بنت عظيم الخطر

ثمّ قالت معاذة أمّ سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه وأذكر الخير وأبديه
محمّد خير بني آدم ما فيه من كبر ولا تيه
بفضله عرفنا رشدنا فالله بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبيّ الهدى ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أوّل بيت من كلّ رجز ثمّ يكبّرن، ودخلن الدار، ثمّ أنفذ رسول الله ﷺ إلى عليّ عليه السلام ودعاه إلى المسجد، ثمّ دعا فاطمة عليها السلام، فأخذ يدها ووضعها في يده وقال: بارك الله في ابنة رسول الله».

وفي رواية أخرى قال: «لمّا كانت صبيحة عرس فاطمة عليها السلام جاء النبيّ ﷺ بعسّ فيه لبن، فقال ﷺ لفاطمة: اشربي فداك أبوك، وقال لعليّ عليه السلام: اشرب فداك ابن عمّك».

وروي في كتاب (كشف الغمّة) بإسناده عن أسماء بنت عميس، قالت: «سمعت سيّدتي فاطمة عليها السلام تقول: ليلة دخل بي عليّ بن أبي طالب عليه السلام أفزعني في فراشي»، فقلت: أفزعت يا سيّدة النساء؟ قالت: «سمعت الأرض تحدّثه ويحدّثها، فأصبحت وأنا فزعة، فأخبرت والدي ﷺ فسجد سجدة طويلة ثمّ رفع رأسه وقال: يا فاطمة، أبشري بطيب النسل، فإنّ الله تعالى فضّل بعلك على سائر خلقه، وأمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها، وما يجري على وجهها من شرق الأرض وغربها».

وروى القطب الراوندي وابن شهر آشوب وغيرهما، عن بلال بن حمامة، قال: «طلع علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف، فقال: يا رسول الله، ما هذا النور؟ قال: بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي، وأنّ الله تعالى زوّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاقاً، يعني صكاكاً، بعدد محبّي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور، ودفع إلى كلّ ملك صكّاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محبّ لأهل البيت إلاّ دفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النّار، بأخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب ونساء من أمّتي من النّار».

وروي في (كشف الغمّة) بأسانيد كثيرة من طرق المخالفين عن جابر بن سمرة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّها النّاس، هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأنتم تزعمون إنّي أنا زوّجته ابنتي فاطمة، ولقد خطبها إليَّ أشراف قريش فلم أجب، كلّ ذلك أتوقّع الخبر من السماء، حتى جاءني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان، فقال: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيّين والكرّوبيّين في وادٍ يقال له: الأفيح تحت شجرة طوبى وزوّج فاطمة عليّاً فأمرني فكنت الخاطب والله تعالى الولي، وأمر شجرة طوبى فحملت الحليّ والحلل والدرّ والياقوت، ثمّ نثرته، وأمر الحور العين فاجتمعن فلقطن، فهنّ يتهادينه إلى يوم القيامة، ويقلن: هذا نثار فاطمة عليها السلام».

قال: وروي: «إنّه لمّا زفّت فاطمة إلى عليّ عليه السلام نزل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ومعهم سبعون ألف ملك، وقدّمت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الدلدل وعليها فاطمة عليها السلام مشتملة، قال: فأمسك جبرئيل باللجام، وأمسك إسرافيل بالركاب، وأمسك ميكائيل بالثفر[1] ورسول الله صلى الله عليه وآله يسوّي عليها الثياب، فكبّر جبرئيل، وكبّر إسرافيل، وكبّر ميكائيل، وكبّرت الملائكة وجرت السنّة بالتكبير في الزفاف إلى يوم القيامة».

وروى صاحب كتاب (فردوس الأخبار)، وهو من مشاهير المخالفين، عن ابن عبّاس: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّ الله تعالى عزّ وجلّ زوّجك فاطمة، وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى عليها حراماً».

وفي (كشف الغمة) عن الباقر عليه السلام، قال: «شكت فاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام، فقالت: يا رسول الله، ما يدع شيئاً من رزقه إلاّ وزّعه بين المساكين، فقال لها: يا فاطمة، أتسخطيني في أخي وابن عمّي، وإنّ سخطه سخطي، وإنّ سخطي لسخط الله، فقالت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله».

وروى الكليني في (الكافي) بأسانيد معتبرة عن الباقر عليه السلام، قال: «كان صداق فاطمة عليها السلام جرد[2] برد حبرة، ودرع حطميّة، وكان فراشها أهاب كبش يلقيانه ويفرشانه وينامان عليه».

وروي أيضاً عن يعقوب بن شعيب، قال: «لمّا زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً فاطمة دخل عليها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك، فوالله! لو كان في أهل بيتي خير منه ما زوّجتكه، وما أنا زوّجتكه، ولكنّ الله زوّجك وأصدق عنك الخُمس ما دامت السماوات والأرض».

---

(١) ثفر الدابة الذي يجعل تحت ذنبها.

(٢) الجرد: الثوب المنسحق اللين.

وروي أيضاً بإسناد حسن عن جميل، عن الصادق عليه السلام، قال: «لا غيرة في الحلال بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تحدثا شيئاً حتى أرجع إليكما، فلمّا أتاهما أدخل رجليه بينهما في الفراش».

وروي أيضاً عن البرقي رفعه، قال: «لمّا زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام قالوا: بالرفاء[1] والبنين، قال: لا بل على الخير والبركة».

وروى ابن شهر آشوب عن الصادق عليه السلام، قال: «حرّم الله عز وجل على عليّ النساء ما دامت فاطمة عليها السلام حيّة، قلت: وكيف؟ قال: لأنّها طاهرة لا تحيض».

بيان: لعلّ المراد أنّها عليها السلام لمّا لم تحض لم يكن له عليه السلام عذر في التزويج بغيرها.

وقال بعض المحقّقين: «إنّ الله تعالى قد أنزل: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ [الإنسان: ١] في أهل البيت وليس شيء من نعيم الجنّة إلاّ وذكر فيها إلاّ الحور العين، ولعلّ ذلك إجلالاً لفاطمة عليها السلام ورعاية لحرمتها».

---

(١) الرفاء: الالتئام والاتفاق.

الفصل السادس

في بيان شهادتها، وما جرى عليها من الظلم، وبكائها وحزنها وشكايتها في مرضها صلوات الله عليها

روى الصدوق بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «البكّاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد، وعليّ بن الحسين عليه السلام.

فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتى صار في خدّيه أمثال الأودية.

وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٦].

وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذّى به أهل السجن، فقالوا له: إمَّا أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، وإمَّا أن تبكي بالنهار، وتسكت بالليل، فصالحهم على واحدة منهما.

وأمّا فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذّى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتينا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثمّ تنصرف.

وأمّا عليّ بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني لذلك العبرة».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن عبد الله بن عبّاس، قال: «لمّا حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلّت دموعه لحيته، فقيل: يا رسول لله، ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذرّيتي وما يصنع بهم شرار أمّتي من بعدي، كأنّي بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي، وهي تنادي: يا أبتاه، يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمّتي.

فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تبكين يا بنيّة، فقالت عليها السلام: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك، ولكنّي أبكي لفراقك يا رسول الله، فقال لها: أبشري يا بنت محمّد بسرعة اللحاق بي، فإنّك أوّل من يلحق بي من أهل بيتي».

وروى القطب الراوندي عن ابن عبّاس، قال: «دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفّي فيه فقال: «نعيت إليَّ نفسي، فبكت فاطمة، فقال لها: لا تبكين، فإنّك لا

تمكثين من بعدي، إلاّ اثنين وسبعين يوماً ونصف يوم حتى تلحقي بي، ولا تلحقي بي حتى تتحفي بثمار الجنّة، فضحكت فاطمة عليها السلام».

وروى الكليني وغيره في الصحيح عن الصادق عليه السلام في حديث قال فيه: «إنّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبهيا، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام».

وفي (الكافي) في الصحيح عن الصادق عليه السلام، قال: «عاشت فاطمة بعد محمّد صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً لم ترَ كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرّة بين الاثنين والخميس، فتقول: هٰهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله، وهٰهنا كان المشركون».

وفي رواية أبان، عمّن أخبره، عن الصادق عليه السلام: «إنّها كانت تصلّي هناك وتدعو حتى ماتت عليها السلام».

وفي بعض كتب المناقب المعتبرة مسنداً عن عليّ عليه السلام، قال: «غسّلت النبيّ صلى الله عليه وآله في قميصه، فكانت فاطمة عليها السلام تقول: أرني القميص، فإذا شمّته غُشي عليها، فلمّا رأيت ذلك غيّبته».

وروى الصدوق، قال: «لمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله امتنع بلال من الأذان، وقال: لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ فاطمة عليها السلام قالت ذات يوم: إنّي أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي بالأذان، فبلغ ذلك بلالاً، فأخذ في الأذان، فلمّا قال: الله أكبر، الله أكبر ذكرت أباها صلى الله عليه وآله وأيّامه، فلم تتمالك من البكاء، فلمّا بلغ إلى قوله: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، شهقت فاطمة عليها السلام وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال النّاس: أمسك يا بلال، فقد فارقت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا، وظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمّه، فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتمّ الأذان، فلم يفعل، وقال لها: يا سيّدة النسوان، إنّي أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لمّا أسري بالنبيّ صلى الله عليه وآله قيل له: إنّ الله مختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك، قال: أسلّم لأمرك يا ربّ، ولا قوّة لي على الصبر إلاّ بك، فما هُنّ؟ قيل: أوّلهنّ: الجوع والأثرة على نفسك وعلى أهلك لأهل الحاجة، قال: قبلت يا ربّ ورضيت وسلّمت، ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثانية: فالتكذيب والخوف الشديد وبذلك مهجتك فيَّ ومحاربة أهل الكفر بمالك ونفسك، والصبر على ما يصيبك منهم من الأذى ومن أهل النفاق، والألم في الحرب والجراح، قال: يا ربّ، قبلت ورضيت وسلّمت، ومنك التوفيق والصبر.

وأما الثالثة: فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل، أمّا أخوك فيلقى من أمّتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجهد والظلم، وآخر ذلك القتل، فقال: يا ربّ، سلّمت وقبلت، ومنك التوفيق والصبر.

وأمّا ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقّها غصباً الذي تجعله لها، وتضرب وهي حامل، ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن، ثمّ يمسّها هوان وذلّ، ثمّ لا تجد مانعاً، وتطرح ما في بطنها من الضرب، وتموت من ذلك الضرب، قلت: إنّا الله وإنّا إليه راجعون، قبلت يا ربّ وسلّمت، ومنك التوفيق والصبر.

ويكون لها من أخيك ابنان يقتل أحدهما غدراً ويسلب ويطعن، يفعل به ذلك أمّتك. قلت: قبلت يا ربّ وسلّمت، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومنك التوفيق والصبر، وأمّا ابنها الآخر فتدعوه أمّتك إلى الجهاد، ثمّ يقتلونه صبراً ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته، ثمّ يسلبون حرمه فيستعين بي وقد مضى القضاء منّي فيه بالشهادة له ولمن معه، ويكون قتله حجّة على مَن بين قطريها، فيبكيه أهل السماوات وأهل الأرض جزعاً عليه، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرته. ثمّ أخرج من صلبه ذكراً انتصر له به، وإنّ شبحه عندي تحت العرش، يملأ الأرض بالعدل ويطبقها بالقسط، يسير معه الرعب، يقتُل حتى يُشَكّ فيه.

قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فقيل: ارفع رأسك، فنظرت إلى رجل من أحسن النّاس صورة وأطيبهم ريحاً، والنور يسطع من فوقه ومن تحته، فدعوته، فأقبل إليَّ وعليه ثياب النور وسيماء كلّ خير حتى قبّل بين عينيّ، ونظرت إلى ملائكة قد حفّوا به لا يحصيهم إلاّ الله عزّ وجلّ، فقلت: يا ربّ، لمن يغضب هذا، ولمن أعددت هؤلاء وقد وعدتني بالنصر فيهم، فأنا أنتظره منك، وهؤلاء أهلي وأهل بيتي، وقد أخبرتني بما يلقون من بعدي، ولو شئت لأعطيتني النصر فيهم على مَن بغى عليهم، وقد سلّمت وقبلت ورضيت، ومنك التوفيق والرضا والعون على الصبر؟

فقيل لي: أمّا أخوك فجزاؤه عندي جنّة المأوى نزلاً بصبره، أُفلج حجّته على الخلائق يوم البعث، وأولّيه حوضك يسقي منه أولياءكم، ويمنع منه أعداءكم، واجعل عليه جهنّم برداً وسلاماً، يدخلها فيخرج مَن كان في قلبه مثقال ذرّة من المودّة له، وأجعل منزلتكم في درجة واحدة من الجنّة.

وأمّا ابنك المقتول المخذول، وابنك المغدور المقتول صبراً، فإنّهما ممّا أزيّن بهما عرشي، ولهما من الكرامة سوى ذلك ما لا يخطر على قلب بشر لما أصابهما من البلاء فعليّ فتوكّل ولكلّ من أتى قبره من الخلق من الكرامة؛ لأنّ زوّاره زوّارك، وزوّارك زوّاري، وعليّ كرامة زائري، وأنا أعطيه ما سأل، وأجزيه جزاءً يغبطه من نظر إلى تعظيمي له وما أعددت له من كرامتي.

وأمّا ابنتك فإنّي أُوقفها عند عرشي، فيقال لها: إنّ الله قد حكّمك في خلقه، فمن ظلمك وظلم ولدك فاحكمي فيه بما أحببت، فإنّي أجيز حكومتك فيهم، فتشهد العرض، فإذا وقف من ظلمها أمرت به إلى النّار، فيقول الظالم: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ويتمنّى الكرّة، و﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٨].

قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٨ - ٣٩].

فيقول الظالم: ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]، أو الحكم لغيرك؟

فيقال لهما: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [هود: ١٨ - ١٩].

وأوّل من يحكّم محسن بن عليّ عليه السلام في قاتله، ثمّ في قنفذ، فيؤتيان هو وصاحبه فيضربان بسياط من نار، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت حتى تصير رماداً، فيضربان بها، ثمّ يجثو أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الله للخصومة مع الرابع، وتدخل الثلاثة في جُبّ فيطبق عليهم لا يراهم أحد ولا يرون أحداً، فيقول الذين كانوا في ولايتهم: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]، فعند ذلك ينادون بالويل والثبور، ويأتيان الحوض يسألان عن أمير المؤمنين عليه السلام، ومعه حفظة فيقولان: اعف عنّا واسقنا وخلّصنا، فيقال لهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، بإمرة المؤمنين، ارجعوا ظماء مظمئين إلى النّار، فما شرابكم إلاّ الحميم والغسلين، وما تنفعكم شفاعة الشافعين».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن ابن عبّاس، قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان

جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلمّا رآه بكى، ثمّ قال: إليَّ، إليَّ، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، ثمّ أقبل الحسين عليه السلام، فلمّا رآه صلى الله عليه وآله بكى، ثمّ قال: إليَّ، إليَّ يا بنيّ، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليسرى، ثمّ أقبلت فاطمة عليها السلام، فلمّا رآها بكى، ثمّ قال: إليَّ، إليَّ يا بنيّة، فأجلسها بين يديه، ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا رآه بكى.

ثمّ قال: إليَّ، إليَّ يا أخي، فما زال يدنيه حتى أجلسه إلى جنبه الأَيمن.

فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما ترى واحداً من هؤلاء إلاّ بكيت، أو ما فيهم من تسرّ برؤيته؟

فقال صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالنبوّة واصطفاني على جميع البريّة، إنّي وإيّاهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليَّ منهم.

أمّا عليّ بن أبي طالب، فإنّه أخي، وشقيقي، وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كلّ مسلم وإمام كلّ مؤمن، وقائد كلّ تقيّ، وهو وصيّي وخليفتي على أهلي وأمّتي في حياتي وبدوتي، محبّه محبّي، ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمّتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة، وإنّي بكيت حين أقبل لأنّي ذكرت غدر الأمّة له بعدي، حتى أنّه ليزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثمّ لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان.

وأمّا ابنتي فاطمة، فإنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي، انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنّي قد آمنت شيعتها من النّار، وإنّي لمّا رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأنّي بها وقد دخل الذلّ بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصب حقّها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها وهي تنادي: يا محمّداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها، مرّة، وتتذكّر فراقي أخرى، وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثمّ ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيّام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة، فنادتها بما نادت به مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين.

يا فاطمة، اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين، ثمّ يبتدئ بها الوجع فتمرض،

فيبعث الله عَزَّوَجَلَّ إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتؤنسها في علّتها، فتقول عند ذلك: ياربّ، إنّي قد سئمت الحياة، تبرّمت بأهل الدنيا، فألحقني بأبي، فيلحقها الله عَزَّوَجَلَّ بي فتكون أوّل من يلحقني من أهل بيتي فتقدم عليَّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللّهمّ العن مَن ظلمها، وعاقب من غصبها، وذلّ من أذلّها، وخلّد من نارك في ضرب جنبيها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.

وأمّا الحسن فإنّه ابني، وولدي، ومنّي، وقرّة عيني، وضياء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيّد شباب أهل الجنّة، وحجّة الله على الأمّة، أمره أمري، وقوله قولي، مَن تبعه فإنّه منّي، ومَن عصاه فليس منّي، وإنّي لمّا نظرت إليه، تذكّرت ما يجري عليه من الذلّ بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسمّ ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كلّ شيء حتى الطير في جوّ السماء، والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومَن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومَن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام.

وأمّا الحسين، فإنّه منّي، وهو ابني وولدي، وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين، ومولى المؤمنين، وخليفة ربّ العالمين، وغياث المستغيثين، وكهف المستجيرين، وحجّة الله على خلقه أجمعين، وهو سيّد شباب أهل الجنّة، وباب نجاة الأمّة، أمره أمري، وطاعته طاعتي، مَن تبعه فإنّه منّي، ومَن عصاه فليس منّي، وإنّي لمّا رأيته تذكّرت ما يصنع به بعدي، كأنّي به وقد استجار بحرمي قربي فلا يجار، فأضمّه في منامه إلى صدري، وآمره بالرحلة عن دار هجرتي، وأبشّره بالشهادة، فيرتحل عنها إلى أرض مقتله، وموضع مصرعه، أرض كرب وبلاء، وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادة شهداء أمّتي يوم القيامة، كأنّي أنظر إليه وقد رُمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً، ثمّ يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً.

ثمّ بكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبكى مَن حوله، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثمّ قام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي، ثمّ دخل منزله».

بيان: البضعة - بالفتح -: القطعة من اللحم. وفي (القاموس): التمريض: حسن القيام على المريض، والصرع: الطرح على الأرض.

وروي أيضاً في (الأمالي) بإسناد معتبر عن محمّد بن عبد الرحمن، عند أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذ التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي ممّا يصنع بكم بعدي، فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها، وطعنة الحسن في الفخذ، والسم الذي يسقى، وقتل الحسين، قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول

الله، ما خلقنا ربّنا إلاّ للبلاء، قال: أبشر يا عليّ، فإنّ الله عزّوجلّ قد عهد إليَّ أنّه لا يحبّك إلاّ مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافق».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) عن جماعة من العامّة منهم ابن مردويه، والزمخشري في (الفائق)، عن جابر، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام قبل موته: السلام عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركنان عليك، قال: فلمّا قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله قال عليّ عليه السلام: هذا أحد الركنين، فلمّا ماتت فاطمة قال عليّ عليه السلام: هذا هو الركن الثاني».

وروي عن جماعة من العامّة كالبخاري ومسلم وغيرهم بأسانيد عديدة وطرق مختلفة، وألفاظ متقاربة، عن أمّ سلمة وعائشة: «إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيها فسارّها، فبكت، ثمّ دعاها، فضحكت، فسألتها عن ذلك، فقالت: ما أفشي سرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، حتى إذا قبض سألتها، فقالت: إنّه أسرّ إليَّ فقال: إنّ جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كلّ سنة، وإنّه عارضني به العام مرّتين، ولا أراني إلاّ وقد حضر أجلي، وإنّ بنيّ سيصيبهم بعدي شدّة، فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به، فضحكت».

وفي رواية أخرى قالت عليها السلام: «ثمّ قال لي: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين، فضحكت لذلك».

قال في (المناقب) وروي: «إنّها ما زالت بعد أبيها معصّبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرّة بعد مرّة؟ أين أبوكما الذي كان أشدّ النّاس شفقةً عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض، ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما.

ثمّ مرضت ومكثت أربعين ليلة».

وروي بأسانيد معتبرة عن سليم بن قيس الهلالي وغيره، عن سلمان والعبّاس قالا: «لمّا اشتدّ مرض رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكان عنده جماعة من المهاجرين والأنصار، وكان قد علم أنّ أمّته لا يفون ببيعة عليّ عليه السلام، قال صلّى الله عليه وآله: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.

فقال الثاني: إنّ نبيّكم ليهجر، وعندنا كتاب الله، لا نحتاج إلى كتاب غيره، فوافقه بعض مَن كان حاضراً، وقالوا: يكفينا كتاب الله، وقال آخرون: إنّ طاعة رسول الله واجبة، وكثرت الغوغاء بينهم.

فقال النبيّ ﷺ: قوموا عنّي، ثمّ إنّه ﷺ لمّا قبضه الله إليه واختار له لقاءه، وقد كان رسول الله ﷺ أوصى عليّاً أن لا يلي غسله غيره.

فقال: يا رسول الله، مَن يعينني على ذلك؟ فقال: جبرئيل، فاشتغل عليّ عليه السلام بتجهيزه وتغسيله وتكفينه، فاغتنم الأوّل والثاني الفرصة، فتركا جنازته ﷺ وتوجّها إلى سقيفة بني ساعدة لتمهيد الخلافة.

ثمّ استقرّ أمر الخلافة لأبي بكر بعد وقوع النزاع والجدال بين المهاجرين والأنصار، ولمّا فرغ عليّ عليه السلام من دفن النبيّ ﷺ ورأى نقضهم للبيعة ووثوبهم على مخالفة الله ورسوله، اغتمّ لذلك، فلمّا أن كان الليل حمل عليّ عليه السلام فاطمة على حمار، وأخذ بيد ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلاّ أتاه في منزله، فذكّرهم حقّه، ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلاّ أربعة وعشرون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلّقين رؤوسهم، معهم سلاحهم ليبايعوه على الموت، فأصبحوا فلم يوافِ أحد منهم إلاّ أربعة: سلمان، وأبو ذرّ، والمقداد، والزبير بن العوّام.

وفي رواية: ثلاثة، ثمّ أتاهم عليّ عليه السلام في الليلة المقبلة فناشدهم، فقالوا: نصبحك بكرةً، فما منهم أحد أتاه غير الأربعة، ثمّ أتاهم الليلة الثالثة، فما أتاه غيرهم، فلمّا رأى عليّ عليه السلام غدرهم، وقلّة وفائهم، خرج إلى المسجد وأقام عليهم الحجج الشافية والبراهين الوافية، وما أنزل عليه من الآيات القرآنية، وما خصّه النبيّ ﷺ من الفضائل والفواضل، فصدّقوا كلّهم بذلك، واعترفوا وقالوا: صدقت يا عليّ، فلمّا رأى عمر ميل النّاس إليه عليه السلام وخاف أن يبايعه النّاس فرّق النّاس وأمرهم بالذهاب إلى منازلهم، فرجع عليّ عليه السلام إلى بيته وأقبل على القرآن يؤلّفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه، وكان في الصحف والشظاظ والأكتاف والرقاع، فلمّا جمعه كلّه وكتبه بيده، تأويله وتنزيله، والنّاسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر: أُخرج فبايع.

فبعث إليه علي عليه السلام: إنّي مشغول، وقد آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي برداء إلاّ للصلاة حتى أُؤلف القرآن وأجمعه، فسكتوا عنه أيّاماً، فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثمّ خرج إلى النّاس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ، فنادى عليّ عليه السلام بأعلى صوته:

أيّها النّاس، إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله، ثمّ بالقرآن حتى جمعته كلّه في هذا الثوب، فلم ينزل الله على رسوله آية منه إلاّ وقد جمعتها، وليست منه آية وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ، وعلّمني تأويلها.

ثمّ قال عليّ عليه السلام: لئلاّ تقولوا غداً: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ثمّ قال لهم عليّ عليه السلام: لا تقولوا يوم القيامة، إنّي لم أدعكم إلى نصرتي، ولم أذكّركم حقّي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته.

فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه، ثمّ دخل عليّ عليه السلام بيته وقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى عليّ عليه السلام فليبايع، فإنّا لسنا في شيء حتى يبايع، ولو قد بايع أمنّاه، فأرسل إليه أبو بكر رسولاً: أن أجب خليفة رسول الله، فأتاه الرسول، فقال له ذلك، فقال له عليّ عليه السلام:

ما أسرع ما افتريتم على رسول الله صلى الله عليه وآله وجميع المهاجرين والأنصار، القريب منهم والبعيد، يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يجعل خليفة بينكم غيري.

فلمّا أخبرهم الرسول بذلك، قال أبو بكر: صدق عليّ عليه السلام، لم يجعلني رسول الله صلى الله عليه وآله خليفة، فغضب عمر ووثب من مكانه، فقال له أبو بكر: اجلس، ثمّ أرسل إليه مرّة ثانية: إنّ أمير المؤمنين أبا بكر يدعوك، فقال عليّ عليه السلام:

سبحان الله، والله ما طال العهد فينسى، والله! إنّه ليعلم أنّ هذا الاسم لا يصلح إلاّ لي، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسلّم عليّ بإمرة المؤمنين، أما سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: عليّ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وصاحب لواء الغرّ المحجّلين، يقعده الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط، فيدخل أولياءه الجنّة، وأعداءه النّار.

فانطلق الرسول فأخبره بما قال عليّ عليه السلام، فقام عمر من مكانه وقال: أنا أعلم أنّه لا يستقيم أمرنا حتى تقتله، دعني يا أبا بكر أذهب وآتيك برأسه، ثمّ أرسل أبو بكر إلى عليّ مرّة أخرى، فأجابه عليّ عليه السلام: بأنّي مشغول بإنفاذ وصايا حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلمّا أيسوا من بيعته اختياراً أرسلوا إليه قنفذاً عتيق عمر، وكان رجلاً فظّاً غليظاً جافياً من الطلقاء، وأرسل معه خالد بن الوليد وأعواناً آخرين، وقال لهم: أخرجوا عليّاً من بيته حتى نأخذ منه البيعة في المسجد، فلمّا وصلوا إلى بيت عليّ عليه السلام لم يتجرّأوا على دخول بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بغير إذن، ولم يأذن لهم عليّ عليه السلام، فرجعوا إلى عمر وقالوا: لم يأذن لنا عليّ، وليس لنا أن ندخل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بغير إذن. فصاح بهم عمر وقال: لا حاجة لكم بإجازته، وقام عمر معهم، ثمّ أقبل حتى انتهى إلى باب عليّ عليه السلام وفاطمة قاعدة خلف الباب قد عصّبت رأسها، ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثمّ نادى: يا بن أبي طالب، افتح الباب.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك، أما تدعنا وما نحن فيه!

قال: افتحي الباب وإلاّ أحرقنا عليكم الباب.

فقالت: يا عمر، أما تتّقي الله عزّوجلّ، تدخل على أهل بيتي وتهجم على داري! فأبى أن ينصرف، فلم يبالِ عمر بقولها عليها السلام، فاستدعى بحطب وأحرق الباب ودفعها، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه، يا رسول الله، فرفع السيف وهو في غمده، فوجأ به جنبها، فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها، فصاحت: يا أبتاه، فوثب عليّ بن أبي طالب وأخذ بتلابيب عمر، ثمّ هزّه فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وما أوصى به من الصبر والطاعة، فقال: والذي أكرم محمّداً بالنبوّة - يا بن صهاك - لولا كتاب من الله سبق، لعلمت أنّك لا تدخل بيتي، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل النّاس حتى دخلوا الدار، وسلّ خالد بن الوليد السيف ليضرب به عليّاً عليه السلام، فحمل عليه عليه السلام بسيفه، فأقسم على عليّ فكفّ، وأقبل المقداد وسلمان وأبو ذرّ وعمّار وبريدة الأسلمي حتى دخلوا الدار أعواناً لعليّ عليه السلام حتى كادت تقع فتنة، فمنعهم عليّ عليه السلام وقال: دعوهم وإيّاي، فإنّ الله أمرني أن لا أجاهدهم في هذا الوقت، فألقوا في عنقه حبلاً ليخرجوه إلى المسجد، فحالت بينه وبينهم فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون.

وفي رواية أخرى: ضربها عمر بالسوط، فماتت حين ماتت وأنّ في عضدها مثل الدملج، من ضربته لعنه لله، ومع ذلك فهي عليها السلام لم تدعهم يذهبوا بعليّ عليه السلام حتى عصروها وراء الباب، فألقت ما في بطنها من سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله محسناً حتى ماتت عليها السلام ممّا أصابها».

وفي رواية أخرى: «أنّ المغيرة بن شعبة (لعنه الله) بأمر عمر دفع الباب على بطنها حتى ألقت محسناً، فأخرج عليّ عليه السلام إلى المسجد وتبعه النّاس، وأتّبعه سلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار وبريدة، وهم يقولون: ما أسرع ما خنتم رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخرجتم الضغائن التي في صدوركم».

وقال بريدة بن الحصيب الأسلمي: يا عمر، أتيت على أخي رسول الله ووصيّه وعلى ابنته فتضربها، وأنت الذي تعرفك قريش بما تعرفك به، فرفع خالد بن الوليد السيف ليضرب بريدة وهو في غمده، فتعلّق به عمر ومنعه من ذلك، فانتهوا بعليّ إلى أبي بكر مُلببًا، فلمّا نظر إليه أبو بكر صاح: خلّوا سبيله.

فقال عليه السلام: ما أسرع ما توثّبتم على أهل بيت نبيّكم يا أبا بكر؟ بأيّ حقّ، وبأيّ ميراث، وبأيّ سابقة تجذب النّاس إلى بيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله؟!

فقال عمر: دع هذا عنك يا عليّ، فوالله إن لم تبايع لنقتلنّك

فقال علي عليه السلام: إذاً والله أكون عبد الله وأخا رسول الله المقتول.

فقال عمر: أمّا عبد الله المقتول فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا.

فقال عليّ عليه السلام: أما والله لولا قضاء من الله سبق وعهد عهده إليَّ خليلي لست أجوزه لعلمت أيّنا أضعف ناصراً، وأقلّ عدداً، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقام بريدة فقال: يا عمر، ألستما اللذين قال لكما رسول الله صلى الله عليه وآله: انطلقا إلى عليّ فسلّما عليه بإمرة أمير المؤمنين، فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ فقال: نعم، فقال أبو بكر: قد كان ذلك يا بريدة، ولكنّك غبت وشهدنا، والأمر يحدث بعده الأمر، فقال عمر: ما أنت وهذا يا بريدة، وما يدخلك في هذا؟ قال بريدة: والله! لا سكنت في بلدة أنتم فيها أمراء، فأمر به عمر فضرب وأُخرج، ثمّ قام سلمان فقال: يا أبا بكر، اتّق الله وقم عن هذا المجلس، ودعه لأهله يأكلوا به رغداً إلى يوم القيامة، لا يختلف على هذه الأُمّة سيفان، فلم يجبه أبو بكر، فأعاد سلمان فقال مثلها، فانتهره عمر، وقال: ما لك ولهذا الأمر وما يدخلك فيما هٰهنا، فقال: مهلاً يا عمر، قم يا أبا بكر عن هذا المجلس ودعه لأهله يأكلوا به - والله - خضراً إلى يوم القيامة، وإن أبيتم لتجلبنّ به دماً، وليطمعنّ فيها الطلقاء والطرداء والمنافقون، والله! إنّي لو أعلم أنّي أدفع ضيماً أو أُعزّ الله ديناً لوضعت سيفي على عاتقي، ثمّ ضربت به قدماً، أتثبون على وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فابشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء.

ثمّ قام أبو ذرّ والمقداد وعمّار فقالوا لعليّ عليه السلام: ما تأمر، والله! إن أمرتنا لنضربنّ بالسيف حتى نُقتل.

فقال علي عليه السلام: كفّوا رحمكم الله، واذكروا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاكم به، فكفّوا.

فقال عمر لأبي بكر وهو جالس فوق المنبر: ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك، أو تأمر به فنضرب عنقه، والحسن والحسين قائمان على رأس عليّ عليه السلام، فلمّا سمعا مقالة عمر بكيا ورفعا أصواتهما: يا جدّاه، يا رسول الله، فضمّهما عليّ عليه السلام إلى صدره وقال: لا تبكيا، فوالله لا يقدران على قتل أبيكما، هما أذلّ وأقلّ وأدخر[1] من ذلك، وأقبلت أمّ أيمن النوبيّة حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّ سلمة فقالتا: يا عتيق، ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمّد، فأمر بهما عمر أن تُخرجا من المسجد، وقال: ما لنا وللنساء، ثمّ قال: يا عليّ، قم بايع، فقال عليّ عليه السلام: إن لم أفعل، قال: إذاً والله يضرب عنقك، قال: كذبت والله يا بن صهّاك لا تقدر على ذلك، أنت ألأم وأضعف من ذلك، فوثب خالد بن الوليد واخترط سيفه، وقال: والله لئن لم تفعل لأقتلنّك، فقام إليه عليّ عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه، ثمّ دفعه حتى ألقاه على قفاه، ووقع السيف من يده، فقال عمر: قم يا عليّ بن أبي طالب

---

(١) الداخر: هو الصاغر الذليل.

فبايع، قال: فإن لم أفعل، قال: إذاً والله نقتلك، واحتجّ عليهم عليّ ثلاث مرّات ثمّ مدّ يده من غير أن يفتح كفّه، فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك، ثمّ توجّه إلى منزله وتبعه النّاس».

وفي كتاب (الاختصاص) و(بصائر الدرجات) مسنداً عن الصادق عليه السلام: «إنّه لمّا أُخرج عليّ عليه السلام ملبّباً وقف عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال:

يا بن أمّي، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، قال: فخرجت يد من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله يعرفون أنّها يده صلى الله عليه وآله، وصوت يعرفونه أنّه صوته، نحو أبي بكر: يا هذا، ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

وقد روي بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّه لمّا أُتي بعليّ عليه السلام إلى المسجد خرجت فاطمة عليها السلام حزينة مهمومة مغمومة ومعها نسوة من مخدّرات بني هاشم، فأقبلت إلى مسجد أبيها، حتى انتهت قريباً من القبر، فقالت: خلّوا عن ابن عمّي، فوالذي بعث محمّداً بالحقّ، لئن لم تخلّوا عنه لأنشرنّ شعري، ولأضعنّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي، ولأصرخنّ إلى الله تبارك وتعالى، فما ناقة صالح بأكرم على الله منّي، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولديّ، قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريباً منها، فرأيت والله أساس حيطان المسجد، مسجد رسول الله، تقلّعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيّدتي ومولاتي، إنّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا» كذا في (الاحتجاج).

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «والله! لو نشرت شعرها ماتوا طرّاً».

وفي (الكافي) أيضاً عن أبي هاشم، قال: «لمّا أُخرج بعليّ عليه السلام خرجت فاطمة عليها السلام واضعة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسها، آخذة بيد ابنيها، فقالت: مالي ولك يا أبا بكر، تريد أن تؤتم ابنيّ وترمّلني من زوجي، والله! لولا أن تكون سيّئة[1] لنشرت شعري، ولصرخت إلى ربّي.

فقال رجل من القوم: ما تريد إلى هذا[2]، ثمّ أخذت بيده فانطلقت به».

---

(١) قولها عليها السلام: «أن تكون سيئة»؛ يحتمل أن يراد بها المعصية، أي إني نهيت عن ذلك، ولا يجوز لي فعله، أو المراد: مكافأة السيئة بالسيئة التي ليست من عادة الكرام، أو مطلق الإضرار.

(٢) قوله: «ما تريد إلى هذا»، أي قال الرجل مخاطباً لأبي بكر: ما تريد بقصدك إلى هذا الفعل، أو تريد أن تنزل العذاب على هذه الأمة.

وروى سليم بن قيس في كتابه في حديث طويل عن سلمان: «إنّ الزبير لمّا بايع أبا بكر مكرهاً قال: يابن صهّاك، أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذي أعانوك، لما كنت تقدم عليّ ومعي سيفي لما أعرف من جبنك ولؤمك، ولكن وجدت طغاة تقوى بهم وتصول، فغضب عمر وقال: أتذكر صهّاكاً؟

فقال: ومن صهّاك، وما يمنعني من ذكرها، قد كانت صهّاك زانية، أو تذكر ذلك، أو ليس قد كانت أمة حبشيّة لجديّ عبد المطّلب، فزنى بها جدّك نفيل، فولدت أباك الخطّاب، فوهبها عبد المطّلب لجدّك بعدما زنى بها فولدته، وإنّه لعبد لجدّي، ولد زنا، فأصلح بينهما أبو بكر، وكفّ كلّ واحد منهما عن صاحبه.

قال سليم: فقلت لسلمان: فبايعت أبا بكر يا سلمان ولم تقل شيئاً؟ قال: قد قلت بعدما بايعت: تبّاً لكم سائر الدهر، أوَ تدرون ما صنعتم بأنفسكم، أصبتم وأخطأتم، أصبتم سنّة مَن كان قبلكم من الفرقة والاختلاف، وأخطأتم سنّة نبيّكم حتى أخرجتموها من معدنها وأهلها، فقال عمر: يا سلمان، أمّا إذ بايع صاحبك، وبايعت فقل ما شئت، وافعل ما بدا لك، وليقل صاحبك ما بدا له.

قال سلمان: فقلت: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب أمّته إلى يوم القيامة، ومثل عذابهم جميعاً.

فقال: قل ما شئت، أليس قد بايعت ولم يقرّ الله عينك بأن يليها صاحبك، فقلت: أشهد أنّي قد قرأت في بعض كتب الله المنزلة أنّه باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنّم، فقال لي: قل ما شئت، أليس قد أزالها الله عن أهل هذا البيت الذين اتّخذتموهم أرباباً من دون الله، فقلت: أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول وسألته عن هذه الآية: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥ - ٢٦]، فأخبرني أنّك أنت هو، فقال لي عمر: اسكت، اسكت الله نامتك أيّها العبد ابن اللخناء، فقال لي عليّ عليه السلام: أقسمت عليك يا سلمان لما سكتّ، فقال سلمان: والله! لو لم يأمرني عليّ بالسكوت لخبّرته بكلّ شيء أنزل فيه، وكلّ شيء سمعته من رسول الله ﷺ فيه وفي صاحبه، وساق الحديث إلى أن قال:

فقال علي عليه السلام: لست بقائل غير شيء واحد: أُذكركم الله أيّها الأربعة - يعني سلمان وأبا ذرّ والزبير والمقداد - أسمعتم رسول الله ﷺ يقول: إنّ في النّار لتابوتاً من نار فيه اثني عشر رجلاً، ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين في جبّ في قعر جهنّم في تابوت مقفل، على ذلك الجُبّ صخرة، فإذا أراد الله أن يسعّر جهنّم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ فأسعرت جهنّم من وهج ذلك الجُبّ ومن حرّه!.

قال عليّ عليه السلام: فسألت رسول الله ﷺ عنهم وأنتم شهود، فقال: أمّا الأوّلان: فابن

آدم الذي قتل أخاه، وفرعون الفراعنة، والذي حاجّ إبراهيم في ربّه، ورجلان من بني إسرائيل: بدّلا كتابهم، وغيّرا سنّتهم، أمّا أحدهما فهوّد اليهود، والآخر نصّر النصارى، وإبليس سادسهم، والدجّال في الآخرين، وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا أخي، وتظاهروا عليك بعدي، هذا وهذا، حتى سمّاهم وعدّهم، قال سلمان: فقلنا: صدقت، نشهد أنّا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ.

فقال عثمان: يا أبا الحسن، أما عندك وعند أصحابك حديث فيَّ؟ فقال له عليّ عليه السلام: بلى سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ثمّ لم يستغفر الله لك بعدما لعنك، فغضب عثمان، ثمّ قال: ما لي ولك لا تدعني على حالي على عهد النبيّ ﷺ ولا بعده، فقال الزبير: نعم، فأرغم الله أنفك، فقال عثمان: فوالله! لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الزبير يقتل مرتدّاً عن الإسلام، قال سلمان: فقال عليّ عليه السلام بيني وبينه: صدق عثمان؛ وذلك أنّ الزبير يبايعني بعد قتل عثمان فينكث بيعتي» - الحديث.

وفي (كتاب سليم بن قيس) أيضاً بعد إيراد حديث طويل، قال: «ثمّ إنّ فاطمة عليها السلام بلغها أنّ أبا بكر قبض فدكاً، فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، تريد أن تأخذ منّي أرضاً جعلها لي رسول الله ﷺ، وتصدّق بها عليَّ في الوجيف الذي لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أما كان رسول الله ﷺ يقول: المرء يحفظ في ولده، وقد علمت أنّه لم يترك لولده شيئاً غيرها.

فلمّا سمع أبو بكر مقالتها والنسوة معها دعا بدواة ليكتب به لها، فدخل عمر فقال: يا خليفة رسول الله، لا تكتب لها حتى تقيم البيّنة بما تدّعي.

فقالت فاطمة عليها السلام: نعم، أقيم البيّنة، قال: من؟ قالت: عليّ وأمّ أيمن، فقال عمر: لا تقبل شهادة امرأة عجمية لا تفصح، وأمّا عليّ فيجرّ النّار إلى قرصه، فرجعت فاطمة عليها السلام وقد دخلها من الغيظ ما لا يوصف.

في بعض الروايات: أنّها أتت بالحسنين أيضاً شاهدين، فقال عمر: إنّهما صغيران.

وفي رواية أخرى: «إنّ أبا بكر كتب لها كتاباً فرآها عمر في الطريق وبصق في كتابها ومزّقه، فقالت: بقر الله بطنك كما بقرت كتابي».

وقد ورد في روايات كثيرة: «إنّها عليها السلام لمّا بلغها عزم أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خمارها وأقبلت في لمّة من حفدتها ونسائها حتى دخلت على أبي بكر وهو في جمعٍ من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ إنّها عليها السلام أتت بخطبة في غاية الفصاحة والبلاغة، وأقامت الحجج والبراهين، وصدّقها جميع المهاجرين والأنصار، ثمّ قالت:

أُنشدكم الله! هل سمعتم رسول الله ﷺ يقول: فاطمة بضعة منّي، مَن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني آذى الله، فقالوا كلّهم: نعم، فقالت عليها السلام: أشهدكم الله! إنّ أبا بكر وعمر قد آذياني فاستحقّا اللعنة، ثمّ تلت عليها السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ورجعت عليها السلام إلى دارها، وبقيت مريضة إلى أن توفّيت، وكان عليّ عليه السلام يصلّي في المسجد الصلوات الخمس، وكان أبو بكر وعمر يسألان أحوالها من عليّ عليه السلام، إلى أن اشتدّ مرضها عليها السلام، وكلّما طلبا الإذن في الدخول عليها امتنعت من ذلك، وقالت: اللّهمّ إنّهما قد آذياني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك ﷺ. لا والله! لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما».

وفي كتاب سليم بن قيس: «إنّها عليها السلام بقيت بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ أربعين ليلة، فلمّا اشتدّ بها الأمر دعت عليّاً عليه السلام وقالت:

يا بن عمّ، ما أراني إلّا لما بي، وأنا أوصيك أن تتزوّج أُمامة بنت أختي زينب تكون لولدي مثلي، واتّخذ لي نعشاً، فإنّي رأيت الملائكة يصفونه لي، وأن لا تُشهد أحداً من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليَّ، فارتجّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش النّاس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر يعزّيان عليّاً عليه السلام ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله ﷺ، فلمّا كان الليل دعا عليّ عليه السلام العبّاس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذرّ وعمّاراً، فقدّم العبّاس فصلّى عليها ودفنوها، فلمّا أصبح النّاس أقبل أبو بكر وعمر والنّاس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام.

فقال المقداد: قد دفنّا فاطمة البارحة، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنّهم سيفعلون. قال العبّاس: إنّها أوصت أن لا تصلّيا عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبداً، إنّ هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب، والله! لقد هممت أن أنبشها فأُصلّي عليها.

فقال عليّ عليه السلام: والله! لو رمت ذاك يابن صهّاك لأرجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفي لا غمدته دون إزهاق نفسك فرم ذلك، فانكسر عمر وسكت، وعلم أنّ عليّاً عليه السلام إذا حلف صدق.

ثمّ قال عليّ عليه السلام: يا عمر، ألست الذي همّ بك رسول الله ﷺ وأرسل إليَّ فجئت متقلّداً بسيفي، ثمّ أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾» [مريم: ٨٤].

ثمّ إنّهم تآمروا وتذاكروا، فقالوا: لا يستقيم لنا أمر ما دام هذا الرجل حيّاً، فقال أبو بكر: من لنا بقتله، فقال عمر: خالد بن الوليد، فأرسلا إليه، فقالا: يا خالد، ما رأيك في أمر

نحملك عليه؟ قال: احملاني على ما شئتما، فوالله! إن حملتماني على قتل عليّ بن أبي طالب لفعلت، فقالا: والله! ما نريد غيره، قال: فإنّي لها، فقال أبو بكر: إذا قمتما في الصلاة صلاة الفجر، فقم إلى جانبه ومعك السيف، فإذا سلّمت فاضرب عنقه، قال: نعم، فافترقوا على ذلك».

في وراية أخرى في (الاحتجاج و(العلل) وغيرهما: «إنّ أسماء بنت عميس كان تسمع ذلك، وكانت تحت أبي بكر، فتلت لجاريتها: اذهبي إلى منزل عليّ وفاطمة وأقريهما السلام، وقولي عند الباب: إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، فاخرج فإنّي لك من الناصحين.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام قولي لسيّدتك: يرحمك الله، إنّهم لا يقدرون على ذلك إذا قتلوني فمن يقتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

ثمّ قام عليه السلام وتهيّأ للصلاة، وحضر المسجد وصلّى خلف أبي بكر وخالد بن الوليد بجنبه ومعه السيف، فلمّا جلس أبو بكر للتشهّد ندم على ما قال، وخاف الفتنة، وعرف شدة عليّ وبأسه، فلم يزل متفكّراً لا يجسر أن يسلّم حتى كادت الشمس تطلع، ثمّ التفت إلى خالد وقال: يا خالد، لا تفعلنّ ما أمرتك، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد، ما الذي أمرك به؟ قال: أمرني بضرب عنقك، قال: أوَ كنت فاعلاً؟ قال: إي والله! لولا أنّه قال لي: لا تفعله قبل التسليم لقتلتك، قال: فأخذه عليّ عليه السلام فضرب به إلى الأرض، وجلس عليه السلام على صدره، وانتزع سيفه ليضرب عنقه، فقال عمر: يقتله وربّ الكعبة، ولم يقدر جميع أهل المسجد على خلاصه من يده».

وفي رواية (الاحتجاج): «إنّه عليه السلام أخذ خالداً بإصبعيه السبّابة والوسطى في ذلك الوقت، فعصره، فصاح خالد صيحة منكرة، ففزع النّاس وهمّتهم أنفسهم، وأحدث خالد في ثيابه، وجعل يضرب برجليه ولا يتكلّم.

فقال أبو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة، وكلّما دنا أحد ليخلّصه من يده لحظه عليه السلام لحظة تنحّى عنه راجعاً، فبعث أبو بكر عمر إلى العبّاس، فجاء وتشفّع إليه، وأقسم عليه بحقّ القبر ومَن فيه، وبحقّ ولديه وأُمّهما إلاّ تركته، ففعل ذلك، وقبّل العبّاس بين عينيه».

وفي رواية أخرى: «إنّه عليه السلام التفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه، فقال: يا بن صهاك، والله! لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله سبق، لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً، ودخل عليه السلام منزله».

وروى العامّة والخاصّة بأسانيد عديدة عنها عليها السلام: أنّها خطبت هذه الخطبة العظيمة في ملأ من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

ورواها من العامّة: أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وابن أبي الحديد، وغيرهما.

ومن الخاصّة: عليّ بن عيسى الإربلي، والسيّد المرتضى رحمه الله في (الشافي) عن جماعة من العامّة، والسيّد ابن طاووس، والطبرسي في (الاحتجاج) وعلى اختلاف في ألفاظها، ولنذكرها هنا برواية (الاحتجاج) قال رحمه الله:

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام: «إنّه لمّا أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها، ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثمّ أنّت أنّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثمّ أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نِعم ابتدأها، وسوابغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها بإجزالها واستحمد إلى الخلائق، وثنّى بالندب، إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتنع عن الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذراها بمشيّته من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلاّ تثبيتاً لدعوته، ثمّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زياةً لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنّته.

وأشهد أنّ أبي محمّداً صلّى الله عليه وآله عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمايل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله تعالى مع عرفانها، فأنار الله تعالى بمحمّد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلّى عن الأبصار غممها، وقام في النّاس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية،

وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثمّ قبضه الله تعالى إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار.

فمحمّد ﷺ عن تعب هذه الدار في راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، صلّى الله على أبي نبيّه، وأمينه على الوحي وصفيّه، وخيرته من الخلق ورضيّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثمّ التفتت عليها السلام إلى أهل المجلس وقالت:

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعمتم حقّ له فيكم، وعهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلّية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتباعه، مؤدٍ إلى النجاة استماعه، بن تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المخدّرة، وبيّانته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه المرهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة، فاتّقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به، ونهاكم عنه، فإنّه يخشى الله من عباده العلماء.

ثمّ قالت: أيّها النّاس، اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد ﷺ، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزّروه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنِعم المعزى إليه ﷺ، فبلّغ ﷺ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم[1]، آخذاً بأكظامهم[2]، داعياً إلى سبيل ربّه

---

(١) الثبج: وسط الشيء ومعظمه.

(٢) الكظم: مخرج النفس من الحلق.

بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسّر الأصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، وحتى تغرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ[١] النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص[٢]، وكنتم على شفا حفرة من النّار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع[٣]، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق[٤]، وتقتاتون القد[٥]، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم النّاس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد ﷺ بعد اللّتيّا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان وفغرت فاغرة[٦] من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله ﷺ سيّد أولياء الله، مشمّراً ناصحاً كادحاً، وأنتم في رفاهية في العيش وادعون، فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون[٧] الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون عند القتال.

فلمّا اختار الله تعالى لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة[٨] النفاق، وسمل جلباب الدين[٩]، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، واحمشكم فألفاكم غظاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لم يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين.

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة،

---

(١) الوشيظ: لفيف من الناس.
(٢) الخماص: جمع خميص، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس، أي عفيف عنها.
(٣) نهزة الطامع: أي كنتم قليلين أذلاّء يتخطفكم الناس بسهولة.
(٤) الطرق: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر.
(٥) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ. والمراد: وصفهم بخباثة المشرب وجشوبة المأكل.
(٦) فغر فاه: أي فتحه. الفاغرة: الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحية.
(٧) التوكف: التوقع.
(٨) حسيكة: العداوة.
(٩) سمل: خلق وبلي. الجلباب: الازار والرداء.

وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون! بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثمّ أخذتم تورون وقدتها، وتهيّجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهماد سنن النبيّ الصفيّ، تسرّون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضرّاء، ونصبر منكم على مثل حزّ المدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حُكماً لقوم يوقنون، أفلا تعلمون، بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنّي ابنته.

أيّها المسلمون، أأغلب على إرثه؟! يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؛ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦].

وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٥ - ٦].

وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وزعمتم أن لا حظوة[١] لي، ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله تعالى بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أوَ لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟ فدونكها مخطومة مرحولة[٢]، تلقاك يوم حشرك، فنِعم الحكم الله والزعيم محمّد ﷺ، والموعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

يا معشر الفتية، وأعضاد الملّة، وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة[٣] في حقّي، والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم،

---

(١) الحظوة: المكانة والمنزلة.

(٢) الخطام: كل ما يُوضع في أنف البعير ليقاد به. المرحولة: إذا شُدّ على ظهر البعير الرحل.

(٣) الغميزة: الطعن والضعف.

وعجلان ذا إهالة؟ ولكم طاقة بما أُحاول وقوة، على ما أطلب وأزوال، أتقولون مات محمد؟ فخطب جليل استوسع وهيه واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، التي لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلّ ثناءه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله تعالى ورسله حكم فصل، وقضاء حتم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

إيها بني قيلة، أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأىً منّي ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تعينون، وأنتم موصوفون بالكفاح، قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ جلب الأيام، وخضت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّي حُرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدءوكم أوّل مرّة، أتخشونهم؟! فالله أحقّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم من الدعة، ونجوتم من الضيق بالسعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم[1]، فإن ﴿تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثّة الصدر، وتقدمة الحجّة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعلموا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون.

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان فقال: يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً وعقاباً عظيماً، فإن عزوناه[2] وجدناه أباك

---

(١) الدسع: الدفع والقيء. تسوّغه: شربه بسهولةٍ.
(٢) عزوناه: نسبناه.

دون النساء، وأخاً لبعلك دون الأخلاّء، آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمر جسيم، لا يحبّكم إلاّ كلّ سعيد، ولا يبغضكم إلاّ كلّ شقيّ، فأنتم عترة رسول الله ﷺ الطيّبون، والخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك، ووالله! ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلاّ بإذنه، وإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّي أشهد الله وكفى به شهيداً أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضّة ولا داراً ولا عقاراً، وإنّما نورّث الكتب والحكمة والعلم والنبوّة، وما كان لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه، وقد جلعنا ما حاولتيه في الكراع والسلاح، يقاتل به المسلمون ويجاهدون الكفّار، ويجالدون المردة الفجّار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم أتفرّد به وحدي ولم أستبدّ بما كان فيه الرأي عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك لا تزوى عنك ولا تدّخر دونك، وأنتِ سيّدة أمّة أبيك، والشجرة الطيّبة لبنيك، لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك؟

فقالت عليها السلام: سبحان الله، ما كان رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً[1]، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه[2] بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، فبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع عليه من الأقساط[3]، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والإناث، وأزاح علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلاّ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

فقال أبو بكر: صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت ابنته، أنتِ معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، فهؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلّدوني ما تقلّدت، باتّفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبدّ ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى النّاس وقالت: معاشر النّاس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية

---

(١) صادفاً: مُعرضاً عنه.

(٢) اعتلالاً: ابداء العلة والاعتذار.

(٣) القسط: الحصة والنصيب.

على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها، كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اغتصبتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضرّاء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون.

ثمّ عطفت على قبر النبيّ ﷺ وقالت شعراً:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا
وكلّ أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لمّا مضيت وحالت دونك الترب
تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا ... لمّا فقدت وكلّ الأرض مغتصب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزّة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فقد فقدت وكلّ الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لمّا مضيت وحالت دونك الكتب
إنّا رزينا بما لم يرز ذو شجن ... من البرية لا عجم ولا عرب

ثمّ انكفأت عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام يتوقّع رجوعها، ويتطلّع طلوعها عليه، فلمّا استقرّت بها الدار، قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: يا بن أبي طالب، عليك السلام، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين[1]، نقضت قادمة الأجدل[2]، فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحيلة أبي وبليغة ابنيّ[3]، لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألدّ في كلامي، حتى حبستني قيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت خدّك يوم أضعت جدّك، افترست الذئاب، وافترشت التراب ما كففت قائلاً، ولا أغنيت طائلاً، ولا خيار لي، ليتني متُّ قبل هنيئتي، ودون ذلّتي، عذيري اللهُ منه عادياً، ومنك حامياً. ويلاي في كلّ شارق مات العمد، ووهن العضد، شكواي إلى أبي، وعدواي إلى ربّي: اللّهمَّ أنت أشدّ قوّة وحولاً، وأحدّ بأساً وتنكيلاً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل عليك، الويل لشانئك، نهنهي عن وجدك يا ابنة

---

(١) الظنين: المتّهم.
(٢) القادمة: مقاديم ريش الطائر. الأجدل الصقر.
(٣) يبتزني: يسلبني. النحيلة: الهبة والعطية. البلغة: ما يتبلغ به من العيش ويُكتفى به.

الصفوة، وبقيّة النبوّة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعدّ لك أفضل ممّا قطع عنك، فاحتسبي الله.

فقال عليها السلام: حسبي الله، وأمسكت صلوات الله عليها».

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر عن عمرو بن أبي المقدام وزياد بن عبيد الله، قالا: «أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال له: يرحمك الله هل تشيّع الجنازة بنار ويمشي معها بمجمرة وقنديل أو غير ذلك ممّا يضاء به؟ قال: فتغيّر لون أبي عبد الله عليه السلام من ذلك واستوى جالساً ثمّ قال: إنّه جاء شقيّ من الأشقياء إلى فاطمة عليها السلام بنت محمّد صلى الله عليه وآله فقال لها: أما علمت أنّ عليّاً عليه السلام قد خطب بنت أبي جهل، فقالت: حقّاً ما تقول؟ فقال: حقّاً ما أقول، ثلاث مرّات، فدخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها؛ وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة، وكتب على الرجال جهاداً، وجعل للصابرة المحتسبة منهنّ من الأجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله.

قال: فاشتدّ غمّ فاطمة عليها السلام من ذلك وبقيت متفكّرة هي حتى أمست، وجاء الليل حملت الحسن على عاتقها الأيمن، والحسين على عاتقها الأيسر، وأخذت بيد أمّ كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثمّ تحوّلت إلى حجرة أبيها، فجاء عليّ عليه السلام فدخل حجرته فلم يرَ فاطمة عليها السلام، فاشتدّ لذلك غمّه وعظم عليه، ولم يعلم القصّة ما هي، فاستحى أن يدعوها من منزل أبيها، فخرج إلى المسجد يصلّي فيه ما شاء الله، ثمّ جمع شيئاً من كثيب المسجد واتّكأ عليه، فلمّا رأى النبي صلى الله عليه وآله ما بفاطمة من الحزن أفاض عليها الماء ثمّ لبس ثوبه ودخل المسجد، فلم يزل يصلّي بين راكع وساجد، وكلّما صلّى ركعتين دعا الله أن يذهب ما بفاطمة من الحزن والغمّ؛ وذلك أنّه خرج من عندها وهي تتقلّب وتتنفّس الصعداء، فلمّا رآها النبيّ صلى الله عليه وآله أنّها لا يهنيها النوم وليس لها قرار قال لها: قومي يا بنيّة، فقامت، فحمل النبيّ صلى الله عليه وآله الحسن، وحملت فاطمة الحسين عليه السلام، وأخذت بيد أمّ كلثوم، فانتهى إلى علي عليه السلام وهو نائم، فوضع النبيّ صلى الله عليه وآله رجله على رجل عليّ عليه السلام فغمزه وقال: قم يا أبا تراب، فكم ساكن أزعجته، ادع لي أبا بكر من داره وعمر من مجلسه وطلحة، فخرج علي عليه السلام فاستخرجهما من منزلهما واجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال رسول الله: يا عليّ، أما علمت أنّ فاطمة بضعة منّي وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟

قال: **فقال عليّ**: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله: فما دعاك إلى ما صنعت؟

فقال عليّ عليه السلام: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما كان منّي ممّا بلغها شيء، ولا حدّثت به

نفسي، فقال النبيّ ﷺ: صدقت وصدقت، ففرحت فاطمة بذلك وتبسّمت حتى رأى ثغرها، فقال أحدهما لصاحبه: إنّه لعجب لحينه، ما دعاه إلى ما دعانا هذه الساعة؟

قال: ثمّ أخذ النبيّ ﷺ بيد عليّ فشبك أصابعه بأصابعه، فحمل النبيّ ﷺ الحسن، وحمل الحسين عليّ عليه السلام وحملت فاطمة أمّ كلثوم وأدخلهم النبيّ ﷺ بيتهم، ووضع عليهم قطيفة واستودعهم الله تعالى، ثمّ خرج وصلّى بقيّة الليلة، فلمّا مرضت فاطمة عليها السلام مرضها الذي ماتت فيه أتياها عائدين، واستأذنا عليها، فأبت أن تأذن لهما، فلمّا رأى ذلك أبو بكر أعطى الله عهداً لا يظلّه سقف بيت حتى يدخل على فاطمة ويتراضاها، فبات ليلة في الصقيع[1] ما أظلّه شيء، ثمّ إنّ عمر أتى عليّاً عليه السلام فقال له: إنّ أبا بكر شيخ رقيق القلب، وقد كان مع رسول الله ﷺ في الغار فله صحبة، وقد أتيناها غير هذه المرّة مراراً نريد الإذن عليها وهي تأبى أن تأذن لنا حتى ندخل عليها، فإن رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل، قال: نعم.

فدخل عليّ عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: يا بنت رسول الله، قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت وقد تردّدا مراراً كثيرة، ورددتهما ولم تأذني لهما، وقد سألاني أن أستأذن لهما عليك، فقالت: والله! لا آذن لهما ولا أُكلّمهما كلمة من رأسي حتى ألقى أبي فأشكوهما إليه بما صنعاه وارتكباه منّي.

قال عليّ عليه السلام: فأنّى لهما ذلك؟

قالت: إن كنت قد ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتك، والنساء تتبع الرجال، لا أُخالف عليك بشيء، فأذن لمن أحببت.

فخرج عليّ عليه السلام فأذن لهما، فلمّا وقع بصرهما على فاطمة سلّما عليها، فلم ترد عليهما، وحوّلت وجهها عنهما، فتحوّلا واستقبلا وجهها حتى فعلت ذلك مراراً، وقالت: يا عليّ، جاف الثوب[2]، وقالت لنسوة حولها: حوّلن وجهي، فلمّا حوّلن وجهها حوّلا إليها، فقال أبو بكر: يا بنت رسول الله، إنّما أتيناك ابتغاء مرضاتك، واجتناب سخطك، نسألك أن تغفري لنا وتصفحي عمّا كان منّا إليك.

قالت: لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى أبي وأشكوكما إليه، وأشكو صنيعكما وفعالكما وما ارتكبتما منّي.

---

(١) الصقيع: الذي يسقط من السماء في الليل شبيه الثلج.

(٢) جافاه عنه: أي أبعده، وأجفيت السرج عن ظهر الفرس: إذا رفعته عنه، ولعلّ المعنى: ارفع الثوب قليلاً حتى أتحوّل من جانب إلى جانب.

قالا: إنّا جئنا معتذرين مبتغين مرضاتك، فاغفري واصفحي عنّا، ولا تؤاخذينا بما كان منّا.

فالتفتت إلى عليّ وقالت: إنّي لا أكلمهما من رأسي كلمة حتى أسألهما عن شيء سمعاه من رسول الله ﷺ، فإن صدّقاني رأيت رأيي، قالا: اللّهمّ ذلك لها، وإنّا لا نقول إلاّ حقّاً ولا نشهد إلاّ صدقاً، فقالت: أنشدكما بالله، أتذكران أنّ رسول الله ﷺ استخرجكما في جوف الليل بشيء كان حدث من أمر عليّ عليه السلام؟ فقالا: اللّهمّ نعم، فقلت: أنشدكما الله، هل سمعتما النبيّ ﷺ يقول: فاطمة بضعة منّي وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي، قالا: اللّهمّ نعم.؟ فقالت: الحمد لله، ثمّ قالت: اللّهمّ إنّي أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنّهما قد آذياني في حياتي وعند موتي، والله لا أكلّمهما من رأسي كلمة حتى ألقى ربّي فأشكوكما إليه بما صنعتما به وبي، وارتكبتما منّي، فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال: ليت أمّي لم تلدني، فقال عمر: عجباً للنّاس كيف ولّوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت، تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها، وما لمن أغضب امرأة، وقاما وخرجا.

قال: فلمّا نعي إلى فاطمة عليها السلام نفسها، أرسلت إلى أمّ أيمن وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها، فقالت: يا أمّ أيمن، إنّ نفسي نعيت إليَّ فادعي لي عليّاً، فدعته لها، فلمّا دخل عليها قالت له: يا بن العمّ، أريد أن أوصيك بأشياء فاحفظها علَيَّ، فقال لها: قولي ما أحببت، قالت له: تزوّج فلانة تكون لولدي مربِّية من بعدي مثلي، واعمل لي نعشاً مثل ما رأيت الملائكة قد صوّرته لي، فقال لها عليّ عليه السلام: أريني كيف صورته، فأرته ذلك، فاتّخذه لها كما وصفت له، وكلّما أمرت به، ثمّ قالت: فإذا أنا قضيت نحبي فأخرجني من ساعتك أيّ ساعة كانت من ليل أو نهار، ولا يحضرنّ من أعداء الله وأعداء رسوله للصلاة علَيَّ. قال عليّ عليه السلام: افعل.

فلمّا قضت نحبها عليها السلام وهم في جوف الليل أخذ عليّ عليه السلام في جهازها من ساعته، كما أوصته، فلمّا فرغ من جهازها أخرج عليّ عليه السلام الجنازة وأشعل النار في جريد النخل ومشى مع الجنازة بالنّار حتى صلّى عليها ودفنها ليلاً.

فلمّا أصبح أبو بكر وعمر عاودا عائدَين لفاطمة عليها السلام فلقيا رجلاً من قريش فقالا له: من أين أقبلت؟ قال: عزّيت عليّاً بفاطمة عليها السلام، قالا: وقد ماتت؟ قال: نعم، ودفنت في جوف الليل، فجزعا جزعاً شديداً، ثمّ أقبلا إلى عليّ عليه السلام فلقياه فقالا له: والله! ما تركت شيئاً من غوائلنا ومساءتنا، وما هذا إلاّ من شيء في صدرك علينا، هل هذا إلاّ كما غسّلت رسول الله ﷺ دوننا ولم تدخلنا معك، وكما علمّت ابنك أن يصيح بأبي بكر: انزل عن منبر أبي.

فقال لهما عليّ عليه السلام: أتصدقاني إن حلفت لكما؟ قالا: نعم، فاحلف، فأدخلهما عليّ المسجد فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقد أو تقدّم إليَّ أنّه لا يطلع على عورته أحد إلاّ ابن عمّه، فكنت أغسّله والملائكة تقلّبه والفضل بن العبّاس يناولني الماء وهو مربوط العينين بالخرقة، ولقد أردت أن أنزع القميص فصاح بي صائح من البيت سمعت الصوت ولم أرَ الصورة: لا تنزع قميص رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد سمعت الصوت يكرّره علَيَّ، فأدخلت يدي من بين القميص فغسّلته ثمّ قدّم إليَّ الكفن فكفّنته، ثمّ نزعت القميص بعدما كفّنته، وأمّا الحسن ابني فقد تعلمان ويعلم أهل المدينة أنّه كان يتخطّى الصفوف حتى يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ساجد، فيركب ظهره، فيقوم النبيّ صلى الله عليه وآله ويده على ظهر الحسن والأخرى على ركبتيه، حتى يتمّ الصلاة. قالا: نعم، قد علمنا ذلك، ثم قال: تعلمان ويعلم أهل المدينة أنّ الحسن كان يسعى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ويركب على رقبته ويدلي الحسن رجليه على صدر النبيّ صلى الله عليه وآله حتى يرى بريق خلخاله من أقصى المسجد والنبيّ يخطب ولا يزال على رقبته حتى يفرغ النبيّ صلى الله عليه وآله من خطبته والحسن على رقبته، فلمّا رأى الصبيّ على منبر أبيه غيره شقّ عليه ذلك، والله ما أمرته بذلك ولا فعله عن أمري.

وأمّا فاطمة عليها السلام، فهي المرأة التي استأذنت لكما عليها، فقد رأيتما ما كان من كلامها لكما، والله! لقد أوصتني أن لا تحضرا جنازتها، ولا الصلاة عليها، وما كنت الذي أخالف أمرها ووصيّتها إليَّ فيكما، فقال عمر: دع عنك هذه الهمهمة[1] أنا أمضي إلى المقابر فأنبشها حتى أصلّي عليها.

فقال له عليّ عليه السلام: والله! لو ذهبت تروم من ذلك شيئاً علمت أنّك لا تصل إلى ذلك حتى يبدر[2] عنك الذي فيه عيناك، فإنّي كنت لا أعاملك إلاّ بالسيف قبل أن تصل إلى شيء من ذلك، فوقع بين عليّ عليه السلام وعمر كلام حتى تلاحيا[3] واستبسلا[4]، واجتمع المهاجرون والأنصار، فقالوا: والله! ما نرضى بهذا أن يقال في ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه ووصيّه، فكادت أن تقع فتنة فتفرّقا».

---

(١) الهمهمة: تنويم المرأة الطفل بصوتها.

(٢) بدر الشيء: سقط.

(٣) الملاحاة: المنازعة.

(٤) المباسلة: المصاولة في الحرب، والمستبسل الذي يوطّن نفسه على الموت. واستبسل: أي طرح نفسه في الحرب وهو يريد أن يقتل لا محالة. ولا يخفى ما في هذا الحديث الشريف من الحكمة الواضحة في صدور ما صدر من النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة وعلي، إنما كان ذلك كله لتتمّ الحجّة وتقوم المحجّة عليهما بما سمعاه منه صلى الله عليه وآله كما يشعر بذلك مخاطبة فاطمة عليها السلام لهما.

وفي (الكافي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «جاءت فاطمة عليها السلام إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب»

وروى العياشي، قال: «دخلت أمّ سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها: كيف أصبحت في ليلتك يا بنت رسول الله؟

قالت: أصبحت بين كمد وكرب فقد النبيّ صلى الله عليه وآله، وظُلم الوصيّ، هتك والله حجابه، من أصبحت إمامته مقضيّة على غير ما شرع الله في التنزيل وسنّها النبيّ في التأويل، ولكنّها أحقاد بدريّة، وترات أحديّة كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لا مكان الوشاة، فلمّا استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب[1] الآثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان عن قسي صدروها» - الحديث.

واعلم: أنّ في مدّة بقائها صلوات الله عليها بعد أبيها خلاف عظيم بين الخاصّة والعامّة، وقد اتّفق كلّ من الفريقين على أنّ عمرها عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله لم يكن أكثر من ستّة أشهر ولا أقلّ من أربعين يوماً، وقد علمت أن أكثر الأحاديث المعتبرة قد دلّت على أنّ بقاءها عليها السلام بعد أبيها كان خمسة وسبعين يوماً.

وقال أبو الفرج في كتاب (مقاتل الطالبيّين): «كانت وفاة فاطمة عليها السلام بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بمدّة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول: ثمانية أشهر، والمقلّ يقول: أربعين يوماً، إلاّ أنّ الثابت في ذلك ما روي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام أنّها توفّيت بعده بثلاثة أشهر»، انتهى.

وقد اختلف أصحابنا رحمهم الله أيضاً في يوم وفاتها، فالذي عليه الأكثر أنّه اليوم الثالث من جمادى الأخرى سنة إحدى عشرة.

وروى الشيخ في (المصباح) عن ابن عبّاس: «إنّه كان وفاتها في اليوم الحادي والعشرين من رجب».

وحكى في (كشف الغمّة): «إنّ ذلك كان في الليلة الثالثة من شهر رمضان».

وحكى ابن شهرآشوب: «إنّ ذلك كان في الثالث عشر من ربيع الأوّل».

وأنت خبير بأنّه لا يمكن التطبيق في تواريخ الوفاة وبين ما مرّ من الأخبار الدالّة على أنّها

---

(١) الشآبيب: الدفعة من المطر وغيره.

عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً؛ إذ لو كانت وفاة رسول الله ﷺ في الثامن والعشرين من صفر ينبغي أن تكون وفاتها على هذا في أواسط جمادى الأوّل، ولو كان في ثاني عشر ربيع الأول - كما ترويه العامّة - ينبغي أن تكون وفاتها في أواخر جمادى الأوّل، إلاّ أنّه يمكن تطبيق رواية أبي الفرج المتقدّمة على المشهور بأن يكون ﷺ لم يتعرّض للأيّام الزائدة لقلّتها.

وروي في (كشف الغمة) بإسناد عن أسماء بنت عميس: «إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت لأسماء: إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أنّه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى.

فقالت أسماء: يا بنت رسول الله، أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، قال: فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثمّ طرحت عليها ثوباً.

فقالت فاطمة عليها السلام: ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل.

قال: قالت فاطمة عليها السلام: فإذا متّ فاغسليني أنت ولا يدخلنّ عليَّ أحد، فلمّا توفّيت فاطمة عليها السلام جاءت عائشة تدخل عليها فقالت أسماء: لا تدخلي، فكلّمت عائشة أبا بكر فقالت: إنّ هذه الخثعميّة تحول بيننا وبين ابنة رسول الله ﷺ، وقد جعلت له مثل هودج العروس.

فقالت أسماء لأبي بكر: أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حيّة فأمرتني أن أصنع بها ذلك، فقال أبو بكر: اصنعي ما أمرتك، فانصرف، وغسّلها عليّ عليه السلام وأسماء».

وروى الفتّال في كتاب (روضة الواعظين) وغيره قال: «مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفّيت عليها السلام، فلمّا نعيت إليها نفسها دعت أمّ أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهت خلف عليّ عليه السلام وأحضرته فقالت: يا بن عمّ رسول الله، إنّه قد نعيت إليَّ نفسي وإنّني لا أرى ما بي إلاّ أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنّا أوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها عليّ عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت.

ثمّ قالت: يا بن عمّ رسول الله، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم بالله، وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوّبخك بمخالفتي، قد عزّ عليَّ مفارقتك وتفقدك، إلاّ أنّه أمر لا بدّ منه، والله جدّدت عليَّ مصيبة رسول

الله ﷺ، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها. هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزيّة لا خلف لها، ثمّ بكيا جميعاً ساعة، وأخذ عليّ عليه السلام رأسها وضمّها إلى صدره.

ثمّ قال: أوصيني بما شئت، فإنّك تجديني فيها أمضي كما أمرتيني به، واختار أمرك على أمري.

ثمّ قالت: جزاك الله خير الجزاء يا بن عمّ رسول الله، أوصيك أوّلاً أن تتزوّج بعدي بابنة أختي أُمامة، فإنّها تكون لولدي مثلي، فإنّ الرجال لا بدّ لهم من النساء.

قال: فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: أربع ليس لي إلى فراقها سبيل: أُمامة بنت زينب أوصتني بها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثمّ قالت: أوصيك يا بن عمّ رسول الله أن تتّخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته.

فقال لها: صفيه لي، فوصفته، فاتّخذ لها، فأوّل نعش عمل على وجه الأرض ذاك، وما رأى أحد قبله ولا عمله أحد.

ثمّ قالت: أوصيك أن لا يشهد جنازتي من هؤلاء الذي ظلموني وأخذوا حقّي، فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله ﷺ، ولا تترك أن يصلّي عليَّ أحد منهم ولا من أتباعهم، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، ثمّ توفّيت عليها السلام - الحديث يأتي تمامه.

وروي في (كشف الغمّة) وغيره: «إنّ فاطمة عليها السلام لمّا دنت وفاتها قالت لأسماء بنت عميس: ائتيني بماء حتى أتوضّا به».

وفي رواية أخرى: «إنّها اغتسلت أحسن غسل، وقالت: هاتي طيبي الذي أتطيّب به، وهاتي ثيابي التي أصلّي فيها.

قال: **وقالت لأسماء**: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى النبيّ ﷺ لمّا حضرته الوفاة بكافور من الجنّة، فقسّمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعليّ، وثلثاً لي، وكان أربعين درهماً، فقالت: يا أسماء، ائتيني ببقيّة حنوط والدي من موضع كذا وكذا فضعيه عند رأسي، فوضعته ثمّ تسجّت بثوبها، وقالت: انتظريني هنيئة وادعيني فإن أجبتك وإلاّ فاعلمي أنّي قد قدمت على أبي، فانتظرتها هنيئة، ثمّ نادتها فلم تجبها، فنادت: يا بنت محمّد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطئ الحصى، يا بنت من كان ربّه قاب قوسين أو أدنى، قال: فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبّلها وهي تقول: فاطمة، إذا قدمت على أبيك رسول الله ﷺ فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام، فبينا هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين عليهما السلام، فقالا: يا أسماء ما ينيم أمّنا في هذه الساعة؟

قالت: يا ابني رسول لله، ليست أمّكما نائمة؛ قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن عليه السلام يقبّلها مرّة ويقول: يا أمّاه، كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني.

قال: وأقبل الحسين عليه السلام يقبّل رجلها ويقول: يا أمّاه أنا ابنك الحسين، كلّميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت، فقالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله، انطلقا إلى أبيكما عليّ عليه السلام فأخبراه بموت أمّكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء، فابتدرهم جمع من الصحابة، فقالوا: ما يبكيكما يا ابني رسول الله لا أبكى الله أعينكما، لعلّكما نظرتما إلى موقف جدّكما فبكيتما شوقاً إليه؟ فقالا: أوَ ليس قد ماتت أمّنا فاطمة، قال: فوقع عليّ عليه السلام على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمّد صلى الله عليه وآله، كنت بك أتعزّى ففيم العزاء من بعدك، ثمّ قال عليه السلام:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الفراق قليل
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل»

وفي (روضة الواعظين) في تتمّة الخبر المتقدّم: «فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخوا صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهنّ وهنّ يقلن: يا سيّدتاه، يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقبل النّاس مثل عرف الفرس إلى عليّ عليه السلام وهو جالس، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكى النّاس لبكائهم، وخرجت أمّ كلثوم وعليها برقعة وتجرّ ذيلها متجلّلة برداء عليها تسحبها وهي تقول: يا أبتاه، يا رسول الله، الآن حقّاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً، واجتمع النّاس فجلسوا وهم يضجّون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلّون عليها، وخرج أبو ذرّ فقال: انصرفوا، فإنّ ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قد أُخّر إخراجها في هذه العشيّة، فقام النّاس فانصرفوا، فلمّا أن هدأت العيون ومضى من الليل شطره أخرجها عليّ والحسن والحسين وعمّار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذرّ وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصّه وصلّوا عليها ودفنوها في جوف الليل، وسوّى عليّ عليه السلام حواليها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة حتى لا يُعرف قبرها.

وقال بعضهم من الخواصّ: قبرها سويّ مع الأرض مستوياً، فمسح مسحاً سواء مع الأرض حتى لا يُعرف موضعه»، انتهى ما في الروضة.

وفي وراية أخرى في (المناقب): «أنّه عليه السلام رشّ ماءً على أربعين قبراً حتى يشتبه قبرها، وكلّ ذلك إنّما فعله عليه السلام حتى لا يعرف أولئك موضع قبرها ولا يصلّوا عليها، ولا يخطر ببالهم نبش قبرها عليها السلام.

ولهذا وقع الاختلاف في موضع قبرها عليها السلام، فقال بعضهم: إنّها في البقيع حول قبور أئمّة البقيع، وقال بعضهم: إنّه بين قبر أبيها ومنبره لقوله صلى الله عليه وآله: ما بين قبري ومنبري روضة

من رياض الجنّة، والأصحّ أنّها مدفونة في بيتها كما دلّت عليه الروايات الصحيحة».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) وغيره: «أنّه لمّا صاروا بها إلى القبر المبارك خرجت يدان من وسط القبر شبيهتان بيدي النبيّ ﷺ فتناولتها».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناده عن الثمالي، عن الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن محمّد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه، قال: «لمّا مرضت فاطمة بنت رسول الله مرضتها التي توفّيت فيها وثقلت؛ جاءها العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه عائداً.

فقيل له: إنّها ثقيلة وليس يدخل عليها أحد، فانصرف إلى داره وأرسل إلى عليّ عليه السلام، فقال لرسوله: قل له: يا بن أخي، عمّك يقرئك السلام ويقول لك: قد فجأني من الغمّ بشكاة حبيبة رسول الله ﷺ وقرّة عينه وعيني فاطمة ما هدّني وإنّي لأظنّها أوّلنا لحوقاً برسول الله ﷺ يختارها ويحبوها ويزلفها لربّه، فإن كان من أمرها ما لا بدّ منه فاجمع - أنا لك الفدا - المهاجرين والأنصار حتى يصيبوا الأجر في حضورها والصلاة عليها، وفي ذلك جمال للدين.

فقال عليّ لرسوله وأنا حاضر عنده: أبلغ عمّي السلام وقل: لا عدمت إشفاقك وتحيّتك، وقد عرفت مشورتك ولرأيك فضله، إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ لم تزل مظلومة من حقّها ممنوعة، وعن ميراثها مدفوعة، لم تُحفظ فيها وصيّة رسول الله ﷺ، ولا رعي فيها حقّه، ولا حقّ الله عزّ وجلّ، وكفى بالله حاكماً، ومن الظالمين منتقماً، وأنا أسألك يا عمّ أن تسمح لي بترك ما أشرت به، فإنّها وصّتني بستر أمرها.

قال: فلمّا أتى العباس رسوله بما قال عليّ عليه السلام قال: يغفر الله لابن أخي، فإنّه لمغفور له إنّ رأي ابن أخي لا يطعن فيه، إنّه لم يولد لعبد المطّلب مولود أعظم بركة من عليّ عليه السلام إلاّ النبيّ ﷺ، إنّ عليّاً لم يزل أسبقهم إلى كلّ مكرمة، وأعلمهم بكلّ فضيلة، وأشجعهم في الكريهة، وأشدّهم جهاداً للأعداء في نصرة الحنفيّة، وأوّل من آمن بالله ورسوله ﷺ».

وروى المشايخ الثلاثة: الكليني والمفيد والطوسي رحمهم الله بأسانيد معتبرة عن عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام، قال: «لمّا مرضت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وصّت إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يكتم أمرها، ويخفي خبرها، ولا يؤذن أحداً بمرضها، ففعل ذلك، وكان يتوجّه إلى مرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك، كما وصّت به.

فلمّا حضرتها الوفاة وصّت أمير المؤمنين أن يتولّى أمرها ويدفنها ليلاً، ويعفّي قبرها، فتولّى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفّى موضع قبرها، فلمّا نفض يده من تراب القبر

هاج به الحزن فأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ، فقال:

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك، والبائتة في الثرى ببقيعك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، وضعف عن سيّدة النساء تجلّدي، إلاّ أنّ في التأسّي لي بسنّتك، والحزن الذي حلّ بي لفراقك، موضع التعزّي، ولقد وسّدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمّضتك بيدي، وتولّيت أمرك بنفسي.

نعم، وفي كتاب الله أنعم القبول، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله، أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم، كمد مقيّح، وهمّ مهيّج، سرعان ما فرّق الله بيننا، وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظاهر أمّتك عليَّ وعلى هضمها حقّها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول الله سلام مودّع لا سئم ولا قالٍ، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أُقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، الصّبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً لزاماً، والتلبّث عنده معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيّة، فبعين الله تدفن بنتك سرّاً، ويهتضم حقّها قهراً، ويمنع ارثها جهراً، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذِّكر، فإلى الله - يا رسول الله - المشتكى، وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته».

وروى الكليني بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسمّوهم، يقول السقط لأبيه: ألا سمّيتني، قد سمّى رسول الله ﷺ محسناً قبل أن يولد».

وروى الكليني والصدوق في (الكافي) و(العلل) بإسناد معتبر عن المفضّل، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، من غسّل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فكأنّي استعظمت ذلك من قوله، فقال: كأنّك ضقت ممّا أخبرتك به؟ قلت: قد كان ذلك جعلت فداك، قال: لا تضيقنّ، فإنّها صدّيقة لا يغسّلها إلاّ صدّيق. أما علمت أنّ مريم لم يغسّلها إلاّ عيسى!».

وفي (قرب الإسناد) بسند معتبر عن الصادق عليه السلام: «إنّ عليّاً عليه السلام غسّل امرأته فاطمة بنت رسول الله ﷺ».

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر عن ابن البطائني، عن أبيه، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة دفنت فاطمة عليها السلام بالليل ولم تدفن بالنهار؟ قال: لأنّها أوصت أن لا يصلّي عليها الرجلان الأعرابيّان».

وروى الصدوق في (الأمالي) مسنداً عن ابن نباتة، قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن علّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً، فقال عليه السلام: إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاّهم أن يصلّي على أحد من ولدها».

وروى أيضاً في (الأمالي) عن عبد الرحمن الهمداني، قال: «لمّا دفن عليّ عليه السلام فاطمة عليها السلام قام على شفير القبر وذلك في جوف الليل؛ لأنّه كان دفنها ليلاً، ثمّ أنشأ يقول:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودّتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل»

وروي عن عليّ عليه السلام، قال: «صلّى على فاطمة عليها السلام سبعة نفر: أبو ذرّ، سلمان، والمقداد، وعمّار، وحذيفة، وعبد الله بن مسعود، وكنت إمامهم».

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله بإسناد معتبر عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله، قال: «سألته عن أوّل من جعل له النعش؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن أبي عبد الرحمن الحذّاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أوّل نعش أحدث في الإسلام نعش فاطمة عليها السلام، إنّها اشتكت شكوتها التي قبضت فيها، فقالت لأسماء: إنّي نحلت وذهب لحمي، ألا تجعلين لي شيئاً يسترني؟ قالت أسماء: إنّي إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً، أفلا أصنع لك، فإن أعجبك صنعت لك، قالت: نعم، فدعت بسرير فأكبّته لوجهه، ثمّ دعت بجرائد فشدّتها على قوائمه، ثمّ جلّلته ثوباً، فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون، فقالت: اصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار».

وفي بعض كتب المناقب القديمة المعتبرة على ما في (البحار) عن ابن عبّاس في حديث، قال: «لمّا توفّيت عليها السلام شقّت أسماء جيبها، فخرجت فتلقّاها الحسن والحسين عليهما السلام فقالا: أين أمّنا؟ فسكتت، فدخلا البيت، فإذا هي ممدّدة، فحرّكها الحسين، فإذا هي ميّتة، فقال: يا أخاه آجرك الله في الوالدة، وخرجا يناديان: يا محمّداه، يا أحمداه، اليوم جدّد لنا موتك إذ ماتت أمّنا، ثمّ أخبرا عليّاً عليه السلام وهو في المسجد، فغشي عليه حتى رشّ عليه الماء، ثمّ أفاق، فحملهما حتى أدخلهما بيت فاطمة عليها السلام، وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وايتامى محمّد، كنّا نتعزّى بفاطمة بعد موت جدّكما فبمن نتعزّى بعدك، فكشف عليّ عليه السلام عن وجهها، فإذا برقعة عند رأسها، فنظر فيها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما

أوصت به فاطمة بنت رسول الله، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلاّ الله، وإنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور.

يا عليّ، أنا فاطمة بنت محمّد زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أوْلى بي من غيرك، حنّطني وغسّلني وكفّنّي بالليل، وصلّ عليَّ، وادفنّي بالليل، ولا تُعلم أحداً، واستودعك الله، واقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة»، فلمّا جنّ الليل غسّلها عليّ عليه السلام، ووضعها على السرير، وقال للحسن: ادع لي أبا ذرّ، فدعاه، فحملاها إلى المصلّى، فصلّى عليها، ثمّ صلّى ركعتين ورفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيّك فاطمة أخرجها من الظلمات إلى النور، فأضاءت الأرض ميلاً في ميل، فلمّا أرادوا أن يدفنوها نودوا من بقعة من البقيع: إليَّ إليَّ، فقد رفع تربتها منّي، فنظر فإذا بقبر محفور، فحملوا السرير إليها فدفنوها، فجلس عليّ عليه السلام على شفير القبر فقال: يا أرض استودعك وديعتي، هذه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فنودي منها: «يا عليّ، أنا أرفق بها منك، فارجع ولا تهتمّ»، فرجع وانسدّ القبر، واستوى الأرض، فلم يعلم أين كان إلى يوم القيامة».

قال المجلسي رحمه الله في (جلاء العيون): «واعلم أنّ في مقدار عمرها عليها السلام وقت الوفاة خلافاً كثيراً، وقد دلّت أكثر الروايات المعتبرة على كون عمرها عليها السلام وقت الوفاة ثمانية عشرة سنة.

وقال بعضهم: تسع وعشرون سنة،

وقيل: ثلاثون سنة،

وقيل: سبعة وعشرون سنة،

وقيل: عشرون سنة،

وقيل: خمس وعشرون سنة.

والأصحّ الأشهر بين الإماميّة القول الأوّل»، انتهى كلامه رحمه الله.

الفصل السابع

في بيان تظلّمها عليها السلام في القيامة وكيفية مجيئها إلى المحشر

روى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن جعفر الأحمر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال: «سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا كان يوم القيامة تُقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنّة، مدبّجة الجنبين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرّد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان، عليها قبّة من نور يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً، كلّ ركن مرصّع بالدرّ والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدرّيّ في أُفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل آخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته: غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا رسول ولا صدّيق ولا شهيد إلاّ غضّوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة، فتسير حتى تحاذي عرش ربّها جلّ جلاله، فتنزح بنفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيّدي، احكم بيني وبين مَن قتل ولدي.

فإذا بالنداء من قِبل الله جلّ جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطي، واشفعي تشفّعي، فوعزّتي وجلالي، لا جازني ظلم ظالم.

تقول: إلهي وسيّدي، ذرّيّتي وشيعتي وشيعة ذرّيّتي ومحبّي ومحبّي ذرّيّتي، فإذا بالنداء من قِبل الله جلّ جلاله: أين ذرّيّة فاطمة وشيعتها ومحبّوها ومحبّو ذرّيّتها؟ فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتقدمهم فاطمة حتى تدخلهم الجنّة».

وروى الصدوق في (ثواب الأعمال) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا كان يوم القيامة نُصب لفاطمة عليها السلام قبّة من نور، وأقبل الحسين عليه السلام رأسه على يده، فإذا رأته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع؛ ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، ولا عبد مؤمن إلاّ بكى لها فيمثّل الله عزّ وجلّ رجلاً لها في أحسن صورة وهو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ومن شرك في قتله فيقتلهم، حتى يأتي على آخرهم، ثمّ ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام، ثمّ ينشرون، فلا يبقى من ذرّيّتنا أحد إلاّ قتلهم قتلة، فعند ذلك يكشف الله الغيظ وينسي الحزن.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله شيعتنا، شيعتنا والله هم المؤمنون، فقد شاركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة».

أقول: «الظاهر أن المراد بكشف الغيظ والحزن في ذلك الوقت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ، وعن أولادهما عليهما السلام، أي لا تنكشف أحزانهم إلاّ في ذلك الوقت الذي ينتقم الله به من أعدائهم، وإلاّ فغيظ الله وغضبه عليهم لا ينكشف أبداً».

وروي في (ثواب الأعمال) أيضاً بإسناد معتبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:

«إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة عليها السلام في لمّة من نسائها، فيقال لها: ادخلي الجنّة، تقول: لا أدخل حتى أعلم ما صُنع بولدي من بعدي، فيقال لها: انظري في قلب القيامة، فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً وليس عليه رأس، فتصرخ صرخة وأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخنا، فيغضب الله عزّ وجلّ لنا عند ذلك، فيأمر ناراً يقال لها هبهب، قد أُوقد عليها ألف عام حتى اسودّت، لا يدخلها روح أبداً، ولا يخرج منها غمّ أبداً، فيقال لها: التقطي قتلة الحسين عليه السلام وحملة القرآن[1]، فتلتقطهم، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة ذلقة طلقة: يا ربّنا، أوجبت لنا النّار قبل عبدة الأوثان! فيأتيهم الجواب عن الله عزّ وجلّ: إنّ مَن علم ليس كمن لا يعلم».

وفي (ثواب الأعمال) أيضاً بإسناد معتبر عن عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يمثّل لفاطمة عليها السلام رأس الحسين عليه السلام متشحّطاً بدمه، فتصيح: واولداه، واثمرة فؤاداه، فتصعق الملائكة لصيحة فاطمة، وينادي أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة، قال: فيقول الله عزّ وجلّ: ذلك أفعل به وبشيعته وأحبّائه وأتباعه، وأنّ فاطمة في ذلك اليوم على ناقة من نوق الجنّة مدبّجة الجنبين، واضحة الخدّين، شهلاء العينين، رأسها من الذهب المصفّى، وأعناقها من المسك والعنبر، خطامها من الزبرجد الأخضر، رحائلها من درّ مغضّض بالجوهر، على الناقة هودج غشاؤها من نور الله، وحشوها من رحمة الله، خطائها فرسخ من فراسخ الدنيا، يحفّ بهودجها سبعون ألف ملك بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء على ربّ العالمين، ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش: يا أهل القيامة، غضّوا أبصاركم فهذه فاطمة بنت محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله تمرّ على الصراط، فتمرّ فاطمة على الصراط كالبرق الخاطف.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ويلقى أعداؤها وأعداء ذرّيّتها في جهنم».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في الموثّق عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

---

(١) المراد بحملة القرآن الذين ضيّعوه وحرّفوه.

«إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فينادي منادٍ: غضّوا أبصاركم، ونكّسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة ابنة محمّد ﷺ الصراط.

قال: فتغضّ الخلائق أبصارهم، فتأتي فاطمة على نجيب من نجب الجنّة يشيّعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثمّ تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن عليّ عليه السلام بيدها مضمّخاً بدمه، وتقول: يا ربّ هذا قميص ولدي وقد علمت ما صنع به، فيأتيها النداء من قِبل الله عزّ وجلّ: يا فاطمة، لك عندي الرضا، فتقول: يا ربّ انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقاً من النّار فتخرج جهنّم فتلتقط قتلة الحسين بن عليّ عليه السلام، كما يلتقط الطير الحبّ، ثمّ يعود العنق بهم إلى النّار فيعذّبون فيها بأنواع العذاب، ثمّ تركب فاطمة عليها السلام نجيبها حتى تدخل الجنّة ومعها الملائكة المشيّعون لها، وذرّيّتها بين يديها، وأولياؤهم من النّاس عن يمينها وشمالها».

وروى فرات بن إبراهيم معنعناً، عن ابن عبّاس، قال: «سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يقول:

دخل رسول الله ﷺ ذات يوم على فاطمة وهي حزينة، فقال لها: ما حزنك يا بنيّة؟ قالت: يا أبتِ، ذكرت المحشر ووقوف النّاس عراة يوم القيامة.

قال: يا بنيّة، إنّه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرئيل عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: أوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثمّ أبي إبراهيم، ثمّ بعلك عليّ بن أبي طالب، ثمّ يبعث الله إليك جبرئيل في سبعين ألف ملك، فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثمّ يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور، فيقف عند رأسك فيناديك: يا فاطمة بنت محمّد، قومي إلى محشرك، فتقومين آمنة روعتك، مستورة عورتك، فيناولك إسرافيل الحلل فتلبسينها، ويأتيك زوفائيل بنجيبة من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفّة[1] من ذهب فتركبينها، ويقود زوفائيل بزمامها، وبين يديك سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التسبيح.

فإذا جدّ بك السير استقبلتك سبعون ألف حوراء يستبشرون بالنظر إليك، بيد كلّ واحد منهنّ مجمرة من نور يسطع منها ريح العود من غير نار، وعليهنّ أكاليل الجوهر مرصّع بالزبرجد الأخضر، فيسرن عن يمينك.

فإذا سرت مثل الذي سرت من قبرك إلى أن لقيتك الحور؛ استقبلتك مريم بنت عمران في مثل من معك من الحور، فتسلّم عليك، وتسير هي ومن معها عن يسارك، ثمّ تستقبلك أمّك خديجة بنت خويلد، أوّل المؤمنات بالله ورسوله ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير.

---

(١) المحفة: مركب من مراكب النساء كالهودج.

فإذا قربت من الجمع استقبلتك حواء في سبعين ألف حوراء، ومعها آسية بنت مزاحم، فتسير هي ومن معها.

فإذا توسّطت الجمع وذلك أنّ الله يجمع الخلائق في صعيد واحد، فتستوي بهم الأقدام، ثمّ ينادي منادٍ من تحت العرش يسمع الخلائق: غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الصدّيقة بنت محمّد ومن معها، فلا ينظر إليك يومئذٍ إلاّ إبراهيم خليل الرحمن وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويطلب آدم حوّاء فيراها مع أمّك خديجة أمامك، ثمّ ينصب لك منبر من النور فيه سبع مراقٍ، بين المرقاة إلى المرقاة صفوف الملائكة بأيديهم ألوية النور، وتصطفّ الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء معك عن يسارك حوّاء وآسية.

فإذا صرت في أعلى المنبر أتاك جبرئيل، فيقول لك: يا فاطمة، سلي حاجتك، فتقولين: يا ربّ، أرني الحسن والحسين، فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً، وهو يقول: يا ربّ، خذ لي اليوم حقّي ممّن ظلمني، فيغضب عند ذلك الجليل ويغضب لغضبه جهنّم والملائكة أجمعون، فتزفر جهنّم عند ذلك زفرة، ثمّ يخرج فوج من النّار وتلتقط قتلة الحسين عليه السلام وأبناءهم وأبناء أبنائهم، ويقولون: يا ربّ، إنّا لم نحضر الحسين عليه السلام؟ فيقول الله لزبانية جهنّم: خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين، وسواد الوجوه، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النّار، فإنّهم كانوا أشدّ على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين عليه السلام فقتلوه، ثمّ يقول جبرئيل: يا فاطمة، سلي حاجتك؟ فتقولين: يا ربّ، شيعة ولدي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربّ، شيعة شيعتي؟ فيقول الله: انطلقي، فمن اعتصم بك فهو معك في الجنّة، فعند ذلك يودّ الخلائق أنّهم كانوا فاطميّين، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف النّاس وهم لا يخافون، ويظمأ النّاس وهم لا يظمأون.

فإذا بلغت باب الجنّة تلقّتك اثنتا عشر ألف حوراء لم يتلقّين أحداً قبلك ولا يتلقّين أحداً كان بعدك، بأيديهم حراب من نور على نجائب من نور رحائلها من الذهب الأذفر والياقوت، أزمّتها من لؤلؤ رطب، على كلّ نجيب نمرقة من سندس منضود.

فإذا دخلت الجنّة تباشر بك أهلها، ووضع لشيعتك موائد من جوهر على أعمدة من نور، فيأكلون منها والنّاس في الحساب، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، وإذا استقرّ أولياء الله في الجنّة زارك آدم ومن دونه من النبيّين، وأنّ في بطنان الفردوس لؤلؤلتين من عرق واحد؛ لؤلؤة بيضاء ولؤلؤة صفراء، فيهما قصور ودور، في كلّ واحدة سبعون ألف دار، فالبيضاء منازل لنا ولشيعتنا، والصفراء منازل لإبراهيم وآل إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين.

قالت: يا أبتِ، فما كنت أحبّ أن أرى يومك ولا أبقى بعدك، قال: يا ابنتي، لقد أخبرني جبرئيل عن الله إنّك أوّل من يلحقني من أهل بيتي، فالويل كلّه لمن ظلمك، والفوز العظيم لمن نصرك.

قال عطاء: كان ابن عبّاس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيءٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾» [الطور: ٢١].

الباب الثالث

في بيان تاريخ ولادة وشهادة سيّد الوصيّين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، أمير المؤمنين، ويعسوب الدين، وقاتل الناكثين والمارقين والفاسقين، أسد الله الغالب

علي بن أبي طالب

عليه آلاف التحية والثناء

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في بيان ولادته عليه السلام

المشهور بين المحدّثين والمؤرّخين من الخاصّة والعامّة أنّ ولادته عليه السلام بمكّة في البيت الحرام، يوم الجمعة، ثالث عشر شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد في البيت الحرام سواه، لا قبله ولا بعده. وكان عمر النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت ثمانية وعشرين سنة.

وقيل: اثني عشر سنة.

وقيل: قبل بعثته صلى الله عليه وآله بعشر سنين.

وروى الشيخ في (المصباح) بإسناد صحيح عن الصادق عليه السلام: «إنّ ولادته عليه السلام كانت في يوم الأحد سابع شهر شعبان»، والقول الأوّل أشهر، واحترام اليومين أولى.

وقيل: ولادته في الثالث والعشرين من شعبان.

وأبوه أبو طالب بن عبد المطّلب، وكان أخاً لعبد الله والد النبيّ صلى الله عليه وآله من قِبل أبيه وأمّه معاً.

وأمّه عليها السلام فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهو عليه السلام وإخوته أوّل هاشمي تولّد في الإسلام بين هاشميّين».

وروى العامّة والخاصّة بطرق كثيرة وأسانيد معتبرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«خُلقت أنا وعليّ من نور واحد نسبّح الله يمنة العرش قبل أن يخلق الله آدم بأربعة وعشرين ألف عام».

وفي رواية أخرى: ألفي عام، فلمّا خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قُذف إبراهيم في النّار ونحن في صلبه، فلم يزل يقلبنا الله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطّلب، فقسمنا نصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل عليّاً في صلب أبي طالب».

وروى محمّد بن العبّاس بإسناده عن ابن عبّاس، قال: «كنت يوماً عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا نظر إليه النبيّ صلى الله عليه وآله تبسّم وقال:

مرحباً بمن خلقه الله تعالى قبل آدم بأربعين ألف سنة، فقيل: يا رسول الله، أيخلق الولد قبل والده؟

فقال ﷺ: بلى، إنّ الله تعالى خلق نوري ونور عليّ عليه السلام قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، ثمّ قسمه قسمين: فخلقني من نصف وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل أن يخلق سائر الأشياء، ونوّرها من نوري ونور عليّ، ثمّ جعلنا في يمين العرش، ثمّ خلق بعدنا الملائكة، وكنّا نسبّح الله ونهلّله ونكبّره ونحمده، والملائكة تعلّموا منّا التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، ثمّ حكم الله تعالى أنّ محبّي ومحبّ عليّ عليه السلام لا يدخل النّار، وعدوّي وعدوّ عليّ لا يدخل الجنّة، وأنّ الله سبحانه خلق ملائكة بأيديهم أباريق من فضّة الجنّة، وتلك الأباريق مملوّة من ماء الحياة، وهي عين في جنّة الفردوس، فإذا أراد أحد من آباء شيعتنا أن يقارب في الوقت الذي يريد الله انعقاد النطفة منه جاء أحد الملائكة وألقى في الماء الذي يشربه قليلاً من ذلك الماء، فإذا شربه اختلط ذلك الماء بتلك النطفة، وذلك ينعقد في قلب المولود محبّتي ومحبّة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والتسعة من ذرّية الحسين.

ثمّ قال ﷺ: الحمد لله الذي جعل محبّة عليّ والإيمان به سبباً لدخول الجنّة والنجاة من النّار».

وروى السيّد ابن طاووس بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام: «أنّه سئل عن سبب سجدة الشكر التي سجدها أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أخبرني أبي، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام: إنّ النبيّ ﷺ أرسل عليّاً عليه السلام في أمر مهمّ، ففعل عليّ ما أمر به على أحسن الوجوه، ولمّا رجع رجع وقد خرج النبيّ ﷺ إلى الصلاة، فصلّى مع النبيّ ﷺ، فلمّا فرغ من الصلاة التزمه النبيّ ﷺ وسأله عمّا فعل، فأخبره عليّ عليه السلام بما فعله والنبيّ ﷺ فرح مستبشر ضاحك، فقال: يا عليّ، أتريد أن أُبشّرك يا أبا الحسن؟

فقال له عليّ عليه السلام: فداك أبي وأمّي، لم تزل مبشّراً لي بالخير.

فقال النبيّ ﷺ: إنّ جبرئيل نزل عليَّ وكان وقت الزوال، فقال: يا محمّد، إنّ ابن عمّك سيأتي إليك، وإنّ الله تعالى بسببه قد نفع المسلمين نفعاً عظيماً، وقد فعل كذا وكذا في الأمر المهمّ الذي أرسلته به، وقد أخبرني جبرئيل بما قلت لي، وقال:

يا محمّد، إنّه لم ينج من ذرّيّة آدم إلاّ من اختار ولاية وصيّه شيث، ونجّا شيث بآدم، ونجّا آدم بالله.

يا محمّد، إنّه لم ينج من قوم نوح إلاّ من اختار ولاية وصيّه سام، ونجا سام بنوح، ونجا نوح بالله تعالى، ولم ينج من قوم إبراهيم إلاّ من اختار ولاية ابنه إسماعيل، ونجا إسماعيل بإبراهيم، ونجا إبراهيم بربّه الكريم، ولم ينج من قوم موسى إلاّ من اختار ولاية وصيّه يوشع، ونجا يوشع بموسى وموسى بالله، ولم ينج من قوم عيسى إلاّ من اختار ولاية وصيّه شمعون، ونجا شمعون بعيسى وعيسى بالله تعالى، وإنّما ينجو من أمّتك من اختار ولاية أخيك عليّ بن

أبي طالب عليه السلام، وزيرك في حياتك، ووصيّك بعد مماتك، وينجو عليّ بك، وتنجو أنت بالله تعالى.

يا محمّد، جعلك الله خير النبيّين وجعل عليّاً خير الوصيّين، وجعل الإمامة في ذرّيّتك إلى يوم القيامة.

فلمّا سمع عليّ عليه السلام هذه البشارة سجد لله تعالى، ومرّغ خدّه على الأرض وقبّلها، وأنّ الله تعالى خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في عالم الأرواح، وكانوا يسبّحون الله ويحمدونه ويهلّلونه ويكبّرونه أمام العرش قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، وكانوا أنواراً ينقلهم الله من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهّرة، ثمّ إنّ الله تعالى أراد أن يظهر فضلهم ومنزلتهم للملائكة، ويوجب حقّهم علينا، فقسّم ذلك النور نصفين وجعل نصفه في صلب عبد الله بن عبد المطّلب، والنصف الآخر في صلب عبد مناف أبي طالب، وخلق عليّاً عليه السلام من ذلك النور، وهو وصيّك وخليفتك، والقائم مقامك، وصهرك على بنتك، ومؤدّي دينك، والوافي بعداتك، وناصر دينك، وكاشف الكرب والغمّ عن وجهك».

وروى الشيخ في (الأمالي) من طرق المخالفين عن أنس بن مالك، قال: «ركب رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بغلته فانطلق إلى جبل فلان، وقال: يا أنس، خذ البغلة إلى موضع كذا وكذا تجد عليّاً جالساً يسبّح بالحصى، فأقرئه منّي السلام واحمله على البغلة وائت به إليَّ.

قال أنس: فذهبت فوجدت عليّاً عليه السلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فحملته على البغلة، فأتيت به إليه، فلمّا أن أبصر برسول الله صلى الله عليه وآله قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: وعليك السلام يا أبا الحسن، اجلس، فإنّ هذا موضع قد جلس فيه سبعون نبيّاً مرسلاً، ما جلس فيه من الأنبياء أحد إلاّ وأنا خير منه، وقد جلس في موضع كلّ نبيّ أخ له، ما جلس من الاخوة أحد إلاّ وأنت خير منه.

قال أنس: فنظرت إلى سحابة قد أظلّتهما ودنت من رؤوسهما، فمدّ النبيّ صلى الله عليه وآله يده إلى السحابة فتناول عنقود عنب، فجعله بينه وبين عليّ عليه السلام، وقال: كلْ يا أخي، فهذه هدية من الله تعالى إليَّ ثمّ إليك.

قال أنس: فقلت: يا رسول الله، عليّ أخوك؟ قال: نعم، عليّ أخي، فقلت: يا رسول الله، صِف لي كيف عليّ أخوك؟ قال: إنّ الله تعالى خلق ماءاً تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله تعالى، ثمّ نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتى صار في عبد المطّلب، ثمّ شقّه الله عزّ وجلّ نصفين، فصار نصفه في أبي: عبد الله بن عبد المطّلب، ونصف في أبي طالب، فأنا

من نصف الماء، وعليّ من نصف الآخر، فعليّ أخي في الدنيا والآخرة، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وفي رواية أخرى، قال: «ولذلك كان عليّ منّي وأنا منه، ولحمه لحمي، ودمه دمي، فمن أحبّه أحبّني، ومن أبغضه أبغضني».

وروى الشيخ أيضاً بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام:

«إنّ النبيّ ﷺ قال: يا عليّ، أتريد أن أُبشرك؟ فقال: فقال: بلى يا رسول الله، فقال: خُلقت أنا وأنت من طينة واحدة، ومن فضل طينتنا خُلقت شيعتنا، فإذا كان يوم القيامة نودي النّاس بأسماء أمّهاتهم إلاّ شيعتك، فإنّهم ينادون بأسماء آبائهم لطيب ولادتهم».

وروى الصدوق بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام، قال:

«إنّ رسول الله ﷺ قال: يا عليّ، خلق الله تعالى النّاس من شجر شتّى، وخُلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيّتك أغصانها، وشيعتنا ورقها، فمن تمسّك بغصنٍ من أغصان تلك الشجرة أدخله الله الجنّة».

وروى الكليني بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال:

«لمّا ولد رسول الله ﷺ فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وَتتعجّبين من هذا! اصبري سبتاً فستحبلين بمثله، إلاّ النبوّة، ويكون وصيّه ووزيره».

وروي في كتاب (روضة الواعظين) وغيره من الكتب المعتبرة بأسانيد معتبرة عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:

آه آه لقد سألتني عن خير مولود ولد بعدي على سنّة المسيح عليه السلام. إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وعليّاً من نور واحد قبل أن خلق الخلق بخمسمائة ألف عام، وكنّا نسبّح الله ونقدّسه، فلمّا خلق الله آدم قذف بنا في صلبه، واستقررت أنا في جنبه الأيمن، وعليّ في الأيسر، ثمّ نقلنا من صلبه في الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطيّبات، فلمنزل كذلك حتى أطلعني الله تعالى من ظهر طاهر، وهو عبد الله بن عبد المطّلب، فاستودعني خير رحم وهي آمنة، ثمّ اطلع الله تبارك وتعالى عليّاً من ظهر طاهر، وهو أبو طالب بن عبد المطّلب واستودعه خير رحم، وهي فاطمة بنت أسد.

ثمّ قال: يا جابر، ومن قبل أن وقع عليّ في بطن أمّه كان في زمانه رجل عابد راهب يقال له المثرم بن رعيب بن شقيام، وكان مذكوراً في العبادة قد عبد الله مائة وتسعين سنة ولم يسأله حاجة، فسأل ربّه أن يريه وليّاً له، فبعث الله تبارك وتعالى بأبي طالب إليه، فلمّا أن بصر به

المثرم قام إليه فقبّل رأسه وأجلسه بين يديه، فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: رجل من تهامة، فقال: من أي تهامة؟ قال: من مكّة، فقال: ممّن؟ قال: من عبد مناف، قال: من أيّ عبد مناف؟ قال: من بني هاشم، فوثب إليه الراهب وقبّل رأسه ثانياً وقال: الحمد الله الذي أعطاني مسألتي ولم يمتني حتى أراني وليّه.

ثمّ قال له: أبشر يا هذا، فإنّ العليّ الأعلى قد ألهمني إلهاماً فيه بشارتك، قال أبو طالب: ما هو؟ قال: ولد يخرج من صلبك هو وليّ الله تبارك اسمه وتعالى ذكره، وهو إمام المتّقين، ووصيّ رسول ربّ العالمين، فإن أدركت ذلك الولد، فاقرأه منّي السلام، وقل له: إنّ المثرم يقرأ عليك السلام، وهو يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك وصيّه حقّاً، بمحمّد تتمّ النبوّة وبك تتمّ الوصيّة.

قال: فبكى أبو طالب وقال له: ما اسم هذا المولود؟ قال: اسمه عليّ، فقال أبو طالب: إنّي لا أعلم حقيقة ما تقوله إلاّ ببرهان بيّن، ودلالة واضحة؟ قال المثرم: فما تريد أن أسأل الله لك أن يعطيك في مكانك ما يكون دلالة لك؟

قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنّة: في وقتي هذا؟ فدعا الراهب بذلك، فما استتمّ دعاءه حتى أتي بطبق عليه من فواكه الجنّة رطبة وعنبة ورمّان، فتناول أبو طالب منه رمّانة ونهض فرحاً مسروراً من ساعته حتى رجع إلى منزله، فأكلها فتحوّلت ماء في صلبه، فجامع فاطمة بنت أسد، فحملت بعليّ عليه السلام، وارتجّت الأرض وتزلزلت بهم أيّاماً حتى لقيت قريش من ذلك شدّة وفزعوا وقالوا: قوموا بآلهتكم إلى ذروة أبي قبيس حتى نسألهم أن يسكنوا ما نزل بكم وحلّ بساحتكم، فلمّا اجتمعوا إلى ذروة جبل أبي قبيس، فجعل يرتجّ ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم صمّ الصخور وتناثرت وتساقطت الآلهة على وجهها، فلمّا بصروا بذلك قالوا: لا طاقة لنا بما حلّ بنا؟ فصعد أبو طالب الجبل وهو غير مكترث بما هم فيه، فقال: أيّها النّاس، إنّ الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الليلة حادثة وخلق فيها خلقاً إن لم تطيعوه ولم تقرّوا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم ولا يكون لكم بتهامة مسكن.

فقالوا: يا أبا طالب، إنّا نقول بمقالتك، فبكى أبو طالب ورفع إلى الله تعالى يديه، وقال: إلهي وسيّدي، أسألك بالمحمّدية المحمودة، وبالعلويّة العالية، وبالفاطميّة البيضاء إلاّ تفضّلت على تهامة بالرأفة والرحمة.

فوالذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لقد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فتدعو بها عند شدائدها في الجاهلية وهي لا تعلمها وتعرف حقيقتها.

فلمّا كانت الليلة التي ولد فيها أمير المؤمنين أشرقت السماء بضيائها، وتضاعف نور نجومها، وأبصرت من ذلك قريش عجباً، فهاج بعضها في بعض، وقالوا: قد حدث في

السماء حادثة، وخرج أبو طالب وهو يتخلّل سكك مكّة وأسواقها ويقول: يا أيّها النّاس، تمّت حجّة الله، وأقبل النّاس يسألونه عن علّة ما يرونه من إشراق السماء وتضاعف نور النجوم، فقال لهم: أبشروا فقد ظهر في هذه الليلة وليّ من أولياء الله يكمل فيه خصال الخير ويختم به الوصيّين، وهو إمام المتّقين، وناصر الدين، وقامع المشركين، وغيظ المنافقين، وزين العابدين، ووصيّ رسول ربّ العالمين، إمام هدىً، ونجم علاً، ومصباح دجىً، ومبيد الشرك والشبهات، وهو نفس اليقين، ورأس الدين، فلم يزل يكرّر هذه الكلمات والألفاظ إلى أن أصبح، فلمّا أن أصبح غاب عن قومه أربعين صباحاً.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله، إلى أين غاب؟ قال:

إنّه مضى لطلب المثرم وقد مات في جبل اللكام، فاكتم يا جابر، فإنّه من أسرار الله المكنونة والعلوم المخزونة، إنّ المثرم كان وصف لأبي طالب كهفاً في جبل اللكام وقال له: إنّك تجدني هناك حيّاً أو ميّتاً، فلمّا مضى أبو طالب إلى ذلك الكهف، ودخل إليه وجد المثرم ميّتاً جسداً ملفوفاً في مدرعة مسجّى بها إلى قبلته، وإذا هناك حيّتان إحداهما بيضاء والأخرى سوداء، وهما يدفعان عنه الأذى، فلمّا بصرتا بأبي طالب غربتا في الكهف ودخل أبو طالب إليه فقال: السلام عليك يا وليّ الله ورحمة الله وبركاته، فأحيى اله تعالى بقدرته المثرم، فقام قائماً يمسح وجهه ويقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله، وأنّ عليّاً وليُّ الله والإمام بعد نبيّ الله.

فقال أبو طالب: البشرى، فإنّ عليّاً قد اطّلع إلى الأرض، فقال: ما كانت علامة الليلة التي طلع فيها؟

قال أبو طالب: لمّا مضى من الليل الثلث أخذت فاطمة فيها ما يأخذ النساء عند الولادة، فقلت لها: ما لكِ يا سيّدة النساء؟ قالت: إنّي أجد اضطراباً، فقرأت عليها الاسم الذي فيه النجاة، فسكنت، فقلت لها: إنّي أنهض فآتيك بنسوة من صويحباتك يعنّك على أمرك في هذه الليلة؟ قالت: رأيك يا أبا طالب، فلمّا قمت إلى ذلك إذا أنا بهاتف يهتف من زاوية البيت وهو يقول: أمسك يا أبا طالب، فإنّ وليّ الله لا تمسّه يد خاطئة، وإذا أنا بأربع نسوة يدخلن عليها وعليهنّ ثياب كهيئة الحرير الأبيض، وإذا رائحتهنّ أطيب من المسك الأذفر، فقلن لها: السلام عليكِ يا وليّة الله، فأجابتهنّ، ثمّ جلسن بين يديها ومعهنّ جونة من فضّة فآنستها، حتى ولد أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا انتهيت إليه فإذا هو كالشمس الطالعة وقد سجد على الأرض وهو يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، وأشهد أنّ عليّاً وصيّ رسول الله، بمحمّد تختم النبوّة، وبي تتمّ الوصيّة، وأنا أمير المؤمنين، فأخذته واحدة منهنّ من الأرض ووضعته في حجرها.

فلمّا نظر عليّ في وجهها ناداها بلسان ذلق ذرب: السلام عليك يا أمّاه، فقالت: وعليك السلام يا بنيّ، فقال: ما خبر والدي؟ فقالت: في نِعم الله يتقلّب، في صحبته يتنعّم، فلمّا سمعت ذلك لم أتمالك أن قلت: يا بنيّ، ألست بابيك؟ قال: بلى ولكنّي وإيّاك من صلب آدم، فهذه أُمي حوّاء، فلمّا سمعت ذلك غطّيت رأسي بردائي، وألقيت نفسي بزاوية البيت حياءً منها، ثمّ دنت أخرى ومعها جونة - أي ظرف من ظروف الغالية - فأخذت عليّاً.

فلمّا نظر إلى وجهها: قال: السلام عليك يا أختي، قال: فما خبر عمّي، فقالت: بخير، وهو يقرأ عليك السلام، فقلت: يا بنيّ أيّ أخت هذه، وأيّ عمّ هذا؟ قال: هذه مريم بنت عمران، وعمّي عيسى بن مريم عليه السلام، وطيّبته بطيب كان في الجونة، فأخذته أخرى منهنّ فأدرجته في ثوب كان معها.

قال أبو طالب: فقلت: لو طهّرناه لكان أخفّ عليه، وذلك أن العرب كانت تطهّر أولادها؟ فقالت: يا أبا طالب، إنّه ولد طاهراً مطهّراً، لا يذيقه حرّ الحديد في الدنيا إلاّ على يدي رجل يبغضه الله ورسله وملائكته والسماوات والأرض والجبال والبحار، وتشتاق إليه النّار، فقلت: مَن هذا الرجل؟ فقلن: ابن ملجم المرادي لعنه الله، وهو قاتله في الكوفة سنة ثلاثين من وفاة محمّد صلى الله عليه وآله.

قال: ثمّ غبن النسوة فلم أرهنّ، فقلت في نفسي: لو عرفت المرأتين الأخيرتين، فألهم الله عليّاً، فقال: أمّا المرأة الأولى فكانت حوّاء، وأمّا التي أحضنتني فهي مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها، وأمّا التي أدرجتني في الثوب فهي آسية بنت مزاحم، وأمّا صاحبة الجونة فهي أمّ موسى بن عمران، فالحق بالمثرم الآن فبشّره وخبّره بما رأيت، فإنّه في كهف كذا في موضع كذا، فخرجت حتى أتيتك بأمر ولدي وأتيتك أبشّرك بما عاينت وشاهدت من ابني.

فبكى المثرم، ثمّ سجد شكراً لله، ثمّ تمطّى فقال: غطّني بمدرعتي، فغطّيته، فإذا هو ميّت كما كان، فأقمت ثلاثاً أكلّمه فلا أجاب، فاستوحشت لذلك، وخرجت الحيّتان فقالتا لي: السلام عليك يا أبا طالب، فأجبتهما، ثمّ قالتا لي: إلحق بوليّ الله، فإنّك أحقّ بصيانته وحفظه من غيرك، فقلت لهما: من أنتما؟ قالتا: نحن عمله الصالح خلقنا الله من خيرات عمله، فنحن نذبّ عنه الأذى إلى أن تقوم الساعة، فإذا قامت القيامة كان أحدنا قائده، والآخر سائقه ودليله إلى الجنّة، ثم انصرف أبو طالب رضي الله عنه إلى مكّة.

قال جابر: يا رسول الله، والله أكثر النّاس يقولون: إنّ أبا طالب مات كافراً؟

قال صلى الله عليه وآله: يا جابر، ربّك أعلم بالغيب، إنّه لمّا كانت الليلة التي أسري بي فيها إلى العرش رأيت أربعة أنوار، فقلت: إلهي، ما هذه الأنوار؟

فقال: يا محمّد هذا عبد المطّلب، وهذا عمّك أبو طالب، وهذا أبوك عبد الله، وهذا أخوك عليّ بن أبي طالب - في بعض النسخ: وهذا أخوك طالب - فقلت: إلهي وسيّدي، فبم نالوا هذه الدرجة؟ قال: بكتمانهم الإيمان، وإظهارهم الكفر، وصبرهم على ذلك حتى ماتوا عليه، سلام الله عليهم أجمعين».

توضيح: قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «يمكن أن تكون هذه الأمور قد وقعت في الكعبة في البيت حتى لا يخالف هذا الخبر سائر الأخبار، وأمّا كون حرّ الحديد لا يذوقه عليه السلام إلاّ من يد اللعين ابن ملجم فيمكن حمل ذلك على أنّه عليه السلام لا يذوق حرّ الحديد بغير اختياره واختيار أحبّائه إلاّ من ابن ملجم، فإن سائر الجراحات التي كانت تعرض له عليه السلام إنّما وقع باختياره لرضاء الله، ويمكن أنّه عليه السلام كان لم يتألّم منها.

أو يقال: المراد لا يذوق حرّ الحديد الذي يكون فيه قتله إلاّ على يدي رجل يبغضه الله ورسوله.

وأيضاً ما في بعض النسخ من ذكر طالب أخ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يخلو من غرابة، فإنّا لم نعهد للنبيّ صلى الله عليه وآله أخاً يسمّى طالباً، ويمكن أن يراد به طالب أخ عليّ عليه السلام، فإنّه قد ورد في بعض الأخبار أنّه مات على الإسلام، وفي بعض كتب الأخبار جعفر بن أبي طالب».

وروى الصدوق والشيخ الطوسي والعلاّمة وابن شهرآشوب وغيرهم بأسانيد عديدة عن الصادق عليه السلام، ويزيد بن قعنب والعبّاس وعائشة:

«إنّ العبّاس بن عبد المطّلب ويزيد بن قعنب وجماعة من بني هاشم كانوا جالسين يوماً بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به تسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت، وبحقّ هذا المولود الذي يكلّمني ويؤنسني في بطني الذي أعلم أنّه آية من آيات جلالك وعظمتك، إلاّ ما يسّرت عليَّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهوره ودخلت فاطمة وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب، فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من الله، ثمّ خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قالت: إنّي فضّلت على من تقدّمني من النساء؛ لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله عزّ وجلّ سرّاً في موضع لا يحبّ أن يعبد الله فيه إلاّ اضطراراً، وأنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنيّاً، وإنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأرزاقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه عليّاً، فهو عليّ والله العليّ الأعلى، يقول: إنّي شققت اسمه من اسمي،

وأدَّبته بأدبي، ووقفته على غوامض علمي، وهو الذي يكسّر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذّن فوق ظهر بيتي، ويقدّسني، ويمجّدني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه، وويل لمن عصاه وأبغضه.

فلمّا وقع نظر أبي طالب رضي الله عنه على ولده فرحاً مستبشراً قال له عليّ عليه السلام: السلام عليك يا أبتِ ورحمة الله وبركاته، فلمّا أُدخل الدار دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فاهتزّ له أمير المؤمنين وضحك في وجهه، وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثمّ تنحنح وقال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ - ٢] الآيات.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أفلحوا بك، أنت والله أميرهم تميرهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون.

ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة: اذهبي فبشّري عمّه حمزة بولادته، فقالت فاطمة: إذا أنا ذهبت من يرضعه.

فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: لا عليك، أنا أروّيه، ثمّ وضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عيناً، فسمّي ذلك اليوم يوم التروية، ولمّا رجعت فاطمة رأت نور ولدها ساطعاً إلى السماء، فأخذته وقمّطته عليها السلام على عادة الأطفال، فتمطّى ومزّق القماط، وأخرج يديه ثمّ أحكمت فاطمة عليها السلام مرّة أخرى، ففعل مثل الأولى، ولم تزل تحكم قماطه وتضاعفه وهو عليه السلام يمزّقه ويخرج يديه حتى قمّطته بستّ قماطات محكمة، وجعلت فوقها جلداً محكماً، فمزّقه وأخرج يديه، ونطق عليه السلام بإذن الله تعالى وقال: يا أمّاه، لا تقمّطيني، فإنّي أريد أن أتضرّع بيديّ لله تعالى وأبتهل وأتبتّل بأصابعي، فكفّت فاطمة عن قماطه، وقالت: إنّ أمره لعجيب، وأنّه لا يشبه أولاد النّاس. فلمّا كان من الغد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فاطمة، فلمّا بصر عليّ عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله سلّم عليه وضحك في وجهه، وجعل يشير إليه أن أصنع بي كما صنعت بي بالأمس، ففرحت فاطمة بذلك، وقالت: عرفه وربّ الكعبة، فسمّي ذلك اليوم يوم عرفة.

فلمّا كان اليوم الثالث وهو اليوم العاشر من شهر ذي الحجّة أذّن أبو طالب في النّاس أذاناً جامعاً وقال: هلمّوا إلى وليمة ابني عليّ، ونحر ثلثمائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم، واتّخذ وليمة وقال: هلمّوا وطوفوا بالبيت سبعاً، وادخلوا وسلّموا على ولدي، ففعل النّاس ذلك وجرت به السنّة، وكان عمر رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذٍ ثلاثين سنة، وكان يحبّه رسول الله صلى الله عليه وآله حبّاً شديداً ويقول لأمّه: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان صلى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته، وكان يطهّر عليّاً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول: هذا أخي، ووليّي، وناصري، وصفيّي،

وذخري، وكهفي، وصهري، ووصيّي، وزوج، كريمتي، وأميني على وصيّتي، وخليفتي، وكان رسول الله ﷺ يحمله دائماً، ويطوف به جبال مكّة، وشعابها وأوديتها وفجاجها صلّى الله على الحامل والمحمول».

بيان: تاريخ ولادته عليه السلام في هذا الحديث يخالف سائر الأخبار الدالّة على أنّ ولادته عليه السلام في رجب، ولعلّه مبنيّ على النسيء أو أنّ قريشاً كانت تسمّي رجباً ذا الحجّة، كما تقدّم الإشارة إلى ذلك في مولود النبيّ ﷺ.

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب): «إنّ فاطمة بنت - أسد رأت النبيّ ﷺ يأكل تمراً له رائحة تزداد على كلّ الأطايب من المسك والعنبر من نخلة لا شماريخ لها، فقالت: ناولني أنل منها، فقال ﷺ: لا تصلح إلاّ أن تشهدي معي أن لا إله إلاّ الله، وأنّي محمّد رسول الله، فشهدت الشهادتين، فناولها، فأكلت، فازدادت رغبتها وطلبت أخرى لأبي طالب، فعاهدها أن لا تعطيه إلاّ بعد الشهادتين.

فلمّا جنّ عليه الليل اشتمّ أبو طالب شمّاً ما شمّ قطّ مثله، فأظهرت ما معها، فالتمسه منها، فأبت عليه إلا أن يشهد الشهادتين، فلم يملك نفسه أن شهد الشهادتين غير أنّه سألها أن تكتم عليه لئلاّ تعيّره قريش فعاهدته على ذلك فأعطته ما معها وآوى إلى زوجته، فعلقت بعليّ عليه السلام في تلك الليلة، ولمّا حملت بعليّ عليه السلام ازداد حسنها، وكان يتكلم في بطنها، وكان في الكعبة يوماً جعفر يكلّم أمّه فاطمة، فتكلّم عليّ عليه السلام مع جعفر، وهو في بطن أمّه، فغشي على جعفر ثمّ التفتت، فإذا الأصنام قد خرّت على وجوهها، فمسحت على بطنها وقالت: يا قرّة العين، تخدمك الأصنام في بطني داخلاً، فكيف شأنك خارجاً! وذكرت ذلك لأبي طالب، فقال: هذا هو الذي قال لي أسد في طريق الطائف، وكان قصّة الأسد أنّ أبا طالب كان إذا رأته الأُسد فرّت منه، فتوجّه يوماً من الطائف إلى مكّة وإذا بأسد قد أقبل إليه وجثا بين يديه وجعل يتمرّغ على التراب ويضرب بذيله الأرض ويتذلّل بين يديه، ثمّ نطق الأسد وقال: أنت والد أسد الله وناصر رسول الله ﷺ ومربّي نبيّ الله، فرسخ حبّ النبيّ ﷺ في قلب أبي طالب من ذلك اليوم وآمن به ﷺ».

وروى في (المناقب) أنّه لمّا ولد عليّ عليه السلام أخذ أبو طالب بيد فاطمة، وعليّ على صدره وخرج إلى الأبطح ونادى:

يا رب ربّ الغسق الدجيّ والقمر المنبلج المضيّ
بيّن لنا من حكمك المقضيّ ماذا تراه في اسم ذا الصبيّ

قال: فجاء شيء كالسحاب يدبّ على وجه الأرض حتى حصل في صدر أبي طالب، فضمّه مع عليّ إلى صدره، فلمّا أصبح وإذا هو بلوح فيه مكتوب:

خصصتما بالولد الذكيّ والطاهر المنتجب الرضيّ
إنّ اسمه من شامخ عليّ عليّ اشتقّ من العليّ

قال: فعلّقوا اللوح في الكعبة وما زال هناك حتى أخذه هشام بن عبد الملك لعنه الله».

وروي في كتاب (روضة الواعظين) وغيره بأسانيد كثيرة عن أبي سعيد الخدري وأبي عمرو قالا:

«كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل سلمان الفارسي وأبو ذرّ الغفاري والمقداد بن الأسود وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبو الهيثم بن التيّهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبو الطفيل عامر بن واثلة، فجلسوا بين يديه، والحزن ظاهر في وجوههم، وقالوا: فديناك بالآباء والأمّهات يا رسول الله، ما نسمع من قوم في أخيك وابن عمّك يحزننا، وإنّا نستأذنك في الردّ عليه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما عساهم يقولون في أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب؟، فقالوا: أيّ فضل لعليّ عليه السلام في سبقه إلى الإسلام، وإنّما أدرك الإسلام طفلاً، ونحو هذا القول.

فقال صلى الله عليه وآله: فهذا يحزنكم؟ قالوا: إي والله.

فقال: بالله أسألكم، هل علمتم من الكتب السالفة أنّ إبراهيم عليه السلام هرب به أبوه من الملك الطاغي، فوضعت به أمّه بين أتلال بشاطئ نهر يتدفّق بين غروب الشمس وإقبال الليل، فلمّا وضعته واستقرّ على وجه الأرض قام من تحتها يمسح وجهه ورأسه ويكثر من شهادة أن لا إله إلاّ الله، ثمّ أخذ ثوباً فاتّشح به، وأمّه تراه، فذعرت منه ذعراً شديداً، ثمّ مضى يهرول بين يديها مادّاً عينيه إلى السماء، وكان منه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ - إلى قوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٨].

وعلمتم أنّ موسى بن عمران عليه السلام كان فرعون في طلبه يبقر بطون النساء الحوامل، ويذبّح الأطفال ليقتل موسى عليه السلام، فلمّا ولدته أمّه أُمِرَت أن تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقي التابوت في اليمّ، فبقيت حيرانة حتى كلّمها موسى عليه السلام وقال: يا أمّ، اقذفيني في التابوت وتلقي التابوت في اليمّ، فقالت: وي - ذعرة من كلامه - يا بنيّ، إنّي أخاف عليك من الغرق، فقال لها: لا تحزني إنّ الله رادّني إليك، ففعلت ما أُمرت به، فبقي في التابوت إلى أن قذفه في الساحل.

وروي أنّ المدّة كانت سبعين يوماً، وروي سبعة أشهر، وقال الله تعالى في حال طفوليّته: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: ٣٩ - ٤٠] الآية.

وهذا عيسى بن مريم عليه السلام قال الله عزّ وجلّ فيه: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤ - ٢٦]، فكلّم أمّه وقت مولده، وقال حين أشارت إليه: ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ الآية [مريم: ٢٩ - ٣٠]، فتكلّم وقت ولادته وأعطي الكتاب والنبوّة، وأوصي بالصلاة والزكاة في ثلاثة أيّام مولده، وكلّمهم في اليوم الثاني من مولده.

وقد علمتم أنّ الله عزّ وجلّ خلقني وعليّاً من نور واحد، وإنّا كنّا في صلب آدم نسبّح الله تعالى، ثمّ نقلنا إلى أصلاب الرجال وأرحام النساء، يسمع تسبيحنا في الظهور والبطون في كلّ عهد وعصر إلى عبد المطّلب، وأنّ نورنا كان يظهر في وجوه آبائنا وأمّهاتنا حتى تبين أسماؤنا مخطوطة بالنور على جباههم.

ثمّ افترق نورنا فصار نصفه الأوّل في عبد الله، ونصفه الثاني في أبي طالب عمّي، وكان يسمع تسبيحنا من ظهورهما، وكان أبي وعمّي إذا جلسا في الملأ من قريش وقد تبيّن نوري من صلب أبي ونور عليّ من صلب أبيه إلى أن خرجنا من أصلاب أبوينا وبطون أمّهاتنا، ولقد هبط حبيبي جبرئيل عليه السلام في وقت ولادة عليّ عليه السلام، فقال لي: يا حبيب الله، الله يقرئك السلام ويهنّيك بولادة أخيك عليّ عليه السلام ويقول: هذا أوان ظهور نبوّتك وإعلان وحيك وكشف رسالتك إذ أيّدتك بأخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك، ومن شددت به أزرك، وأعنت به ذكرك، فقمت مبادراً، فوجدت فاطمة بنت أسد أمّ عليّ عليه السلام، وقد جاءها المخاض وهو بين النساء والقوابل حواليها، فقال حبيبي جبرئيل: إذا وضعت عليّاً فتلقّه، ففعلت ما أمرت به، ثمّ قال لي: امدد يدك يا محمّد، فإنّه صاحبك اليمين، فمددت يدي نحو أمّه، فإذا بعليّ ماثلاً على يدي واضعاً يده في أذنه اليمنى وهو يؤذّن ويقيم بالحنيفيّة ويشهد بوحدانيّة الله عزّ وجلّ وبرسالتي.

ثمّ قال لي: يا رسول الله، اقرأ، قلت: أقرأ! فوالذي نفس محمّد بيده لقد ابتدأ بالصحف التي أنزلها الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام، فقام بها شيث، فتلاها من أوّل حرف فيها إلى آخر حرف منها، حتى لو حضره شيث لأقرّ له أنّه أحفظ لها منه، ثمّ قرأ توراة موسى حتى لو حضر موسى عليه السلام لأقرّ بأنّه أحفظ لها منه، ثمّ قرأ زبور داود حتى لو حضر داود لأقرّ بأنّه أحفظ له منه، ثمّ قرأ إنجيل عيسى عليه السلام حتى لو حضر عيسى لأقرّ بأنّه أحفظ له منه، ثم قرأ القرآن الذي أنزله الله تعالى من أوّله إلى آخره، فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير أن أسمع

منه، ثمّ خاطبني وخاطبته بما يخاطب الأنبياء والأوصياء، ثمّ عاد إلى حال طفوليّته، فلم تحزنون، وماذا عليكم من قول أهل الشكّ والشرك بالله تعالى.

هل تعلمون أنّي أفضل النبيّين، وأنّ وصيّي أفضل الوصيّين، وأنّ أبي آدم لمّا رأى اسمي واسم عليّ واسم ابنتي فاطمة والحسن والحسين وأسماء أولادهم مكتوباً على ساق العرش بالنور قال: إلهي وسيّدي، هل خلقت خلقاً هو أكرم عليك منّي؟ فقال: يا آدم، لولا هذه الأسماء ما خلقت سماءً مبنيّة، ولا أرضاً مدحيّة، ولا ملكاً مقرّباً، ولا نبيّاً مرسلاً، ولما خلقتك يا آدم، فلمّا عصى آدم ربّه سأله بحقّنا أن يقبل توبته ويغفر خطيئته، فأجابه، وكنّا الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه عزّ وجلّ فتاب عليه وغفر له، فقال له: يا آدم، أبشر، فإنّ هذه الأسماء من ذرّيّتك وولدك، فحمد آدم ربّه عزّ وجلّ، وافتخر على الملائكة، وأنّ هذا من فضلنا وفضل الله علينا، فقام سلمان ومن معه وهم يقولون: نحن الفائزون، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنتم الفائزون، ولكم خلقت الجنّة، ولأعدائنا وأعدائكم خلقت النّار».

وروى في (روضة الواعظين) عن الثمالي عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «إنّ فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ضربها الطلق وهي في الطواف، فدخلت الكعبة فولدت أمير المؤمنين عليه السلام فيها».

وروي بطريق آخر عن موسى بن جعفر عليه السلام: «إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله دخل يوماً المسجد الحرام، فرأى فيه أبا طالب مهموماً مغموماً، فقال له: يا عمّ، ما لي أراك مغموماً؟

فقال: إنّ فاطمة قد أخذها الطلق.

فأخذ النبيّ صلّى الله عليه وآله بيد أبي طالب وأتيا إلى فاطمة، وأخذا فاطمة إلى الكعبة، وأدخلها النبيّ صلّى الله عليه وآله الكعبة، وقال لها: اجلسي باسم الله، فإنّ هذا المولود المكرّم ينبغي أن يولد في هذا الموضع المحترم، فولدت عليّاً عليه السلام في الكعبة طاهراً مطهّراً لم يكن فيه كثافة، وولد مختوناً، مقطوع السرّة، ووجهه يضيء كالشمس، فسمّاه أبو طالب عليّاً، وحمله النبيّ صلّى الله عليه وآله وأتى به إلى البيت».

الفصل الثاني

في بيان إخبار الله ورسوله ﷺ وسائر الأنبياء بشهادته ووفاته عليه السلام

وروى الصدوق في (الأمالي) و(العيون) وابن طاووس وغيرهما بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة النبيّ ﷺ في فضل شهر رمضان، فقال عليه السلام:

«فقمت فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟

فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلّ، ثمّ بكى، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟

فقال: يا عليّ، أبكي لما يستحلّ منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك، وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين، شقيق عاقر ناقة صالح، فضربك ضربة على قرنك تخضب منها لحيتك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله، وذلك في سلامة من ديني؟ فقال: في سلامة من دينك، ثمّ قال ﷺ: يا عليّ، من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبّك فقد سبّني؛ لأنّك منّي كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإيّاك واصطفاني وإيّاك، واختارني للنبوّة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي.

يا عليّ، أنت وصيّي، وأبو ولدي، وزوج ابنتي، وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي، أُقسم بالذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البريّة أنّك الحجّة لله على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته في عباده».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام، قال: «جاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسأله عن أشياء إلى أن قال: كم يعيش وصيّ نبيّكم بعده؟ قال: ثلاثين سنة، قال: ثمّ إنّه يموت أو يُقتل؟ قال: يُقتل، يُضرب على قرنه فتخضب لحيته، قال: صدقت والله إنّه لبخطّ هارون وإملاء موسى».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: «خطب النّاس أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة فقال: معاشر النّاس، إنّ الحقّ قد غلب الباطل، ليغلبنّ الباطل

عمّا قليل، أين أشقاكم - أو قال: شقيّكم - فوالله ليضربنّ هذه وليخضبنّها من هذه، وأشار بيده إلى هامته ولحيته».

وروى الصدوق في (الخصال) بإسناد معتبر في خبر اليهوديّ الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام بعد وقعة النهروان عن خلافته: «وأنّ وصيّ كلّ نبيّ يبتلى بسبع في حياته، وسبع بعد وفاته، فهل وقعت بالنسبة إليك فأجابه عليه السلام وعدّد ما ابتلي به وصدّقه الحاضرون، إلى أن قال عليه السلام:

وبقيت الأخرى وأوشك بها، فكأن قد[1]، فبكى أصحاب عليّ عليه السلام وبكى رأس اليهود، وقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا بالأخرى، فقال عليه السلام:

أن تخضب هذه - وأومى بيده إلى لحيته - من هذه - وأومى بيده إلى هامته -.

قال: وارتفعت أصوات النّاس في المسجد الجامع بالنحبة والبكاء، حتى لم يبق بالكوفة دار إلاّ خرج أهلها فزعاً، وأسلم رأس اليهود على يد عليّ عليه السلام من ساعته، ولم يزل مقيماً حتى قُتل أمير المؤمنين عليه السلام وأُخذ ابن ملجم (لعنه الله) فأقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن والنّاس حوله، وابن ملجم بين يديه، فقال له: يا أبا محمّد، اقتله قتله الله، فإنّي رأيت في الكتب التي أُنزلت على موسى عليه السلام أنّ هذا أعظم عند الله عزّ وجلّ جرماً من ابن آدم قاتل أخيه، ومن الغدّار عاقر ناقة ثمود».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب): «إنّه جرح عمرو بن ودّ رأس عليّ يوم الخندق، فجاء إلى رسول الله فشدّه وتفل فيه فبرأ، وقال: أين أكون إذا خضّبت هذه».

وروى السيّد عبد الكريم بن طاووس رحمه الله في (فرحة الغريّ) عن ابن عبّاس: «إنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام:

يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ عرض مودّتنا أهل البيت على السماوات والأرض، فأوّل من أجاب منها السماء السابعة، فزيّنها بالعرش والكرسيّ، ثمّ السماء الرابعة، فزيّنها بالبيت المعمور، ثمّ السماء الدنيا، فزيّنها بالنجوم، ثمّ أرض الحجاز، فشرّفها بالبيت الحرام، ثمّ أرض الشام، فزيّنها بالبيت المقدّس، ثمّ أرض طيبة، فشرّفها بقبري ثمّ أرض كوفان، فشرّفها بقبرك يا عليّ.

فقال له: يا رسول الله، أقبري بكوفان العراق؟ فقال: نعم، يا عليّ، تقبر بظاهرها قتلاً بين الغريّين والذكوات البيض، يقتلك شقيّ هذه الأمّة عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله)، فوالذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما عاقر ناقة صالح عند الله بأعظم عقاباً منه. يا عليّ، ينصرك من العراق مائة ألف سيف».

---

(١) يُقال للأمر القريب الوقوع: كأن قد، أي كأن قد وقع.

وروى صاحب كتاب (كنز الفوائد): «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سجد يوماً حتى علا نحيبه، وارتفع صوته بالبكاء، فقلنا: يا أمير المؤممين، لقد أمرضنا بكاؤك وأمضّنا وأشجانا، وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قطّ؟

فقال: كنت ساجداً أدعو ربّي بدعاء الخيرات في سجدتي فغلبتني عيني فرأيت رؤيا هالتني وقطعتني، رأيت رسول الله قائماً وهو يقول: يا أبا الحسن، طالت غيبتك فقد اشتقت إلى رؤياك، وقد أنجز لي ربّي ما وعدني فيك.

فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فما الذي أنجز لك؟ فقال: أنجز لي فيك وفي زوجتك وابنيك وذرّيّتك في الدرجات العلى في علّيّين.

قلت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، فشيعتنا؟ قال: هم معنا وقصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم مقابل منازلنا.

قلت: يا رسول الله، فما لشيعتنا في الدنيا؟ قال: الأمن والعافية.

قلت: فما لهم عند الموت؟ قال: يحكّم الرجل في نفسه ويؤمر ملك الموت بطاعته.

قلت: فما لذلك حدّ يعرف؟ قال: بلى إنّ أشدّ شيعتنا لنا حبّاً يكون خروج نفسه كشراب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي ينتفع به القلوب، وأنّ سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقرّ ما كانت عينه بموته».

وروى الصفّار في (البصائر) بإسناد معتبر عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «دخل عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله) في وفد مصر الذين أوفدهم محمّد بن أبي بكر رحمه الله ومعه كتاب الوفد، قال: فلمّا مرّ باسم عبد الرحمن بن ملجم قال: أنت عبد الرحمن؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أما والله إنّي لأحبّك.

قال: كذبت والله ما تحبّني، ثلاثاً، قال: يا أمير المؤمنين، احلف ثلاثة أيمان أنّي أحبّك، وتحلف ثلاثة أيمان أنّي لا أحبّك.

قال علي عليه السلام: ويلك - أو ويحك - إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فأسكنها الهواء، فما تعارف منها هنالك ائتلف في الدنيا، وما تناكر منها هناك اختلف في الدنيا، وأنّ روحي لا تعرف روحك.

قال: فلمّا ولّى قال عليه السلام: إذا سرّكم أن تنظروا إلى قاتلي فانظروا إلى هذا، قال بعض القوم: أوَلا تقتله - أو قال: نقتله - ؟

فقال: ما أعجب من هذا، تأمروني أن أقتل قاتلي لعنه الله! يعني قبل أن يقتلني».

وروى أيضاً بإسناد معتبر، قال: «دخل أمير المؤمنين عليه السلام الحمّام فسمع صوت الحسن

والحسين عليه السلام قد علا، فقال لهما: ما لكما فداكما أبي وأمّي؟ فقالا: اتّبعك هذا الفاجر فظنّنا أنّه يريد أن يضربك، قال عليه السلام: دعاه والله ما أطلق إلاّ له.

وقد ورد في جملة من الأخبار المعتبرة أنّه عليه السلام لمّا ضاق صدره من عدم نصرة قومه، وكفرهم ونفاقهم، وأتى عسكر معاوية إلى الأنبار وأطراف مملكته، فأغاروا عليها ولم يخرج إليهم أحد من أصحابه، قال عليه السلام في خطبة طويلة:

أما والله لوددت أنّ ربّي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، وأنّ المنيّة لترصدني فما يمنع أشقاها أن يخضبها - وترك يده على رأسه ولحيته - عهداً عهده إليَّ النبيّ الأمّي، وقد خاب من افترى، ونجا من اتّقى وصدّق بالحسنى».

وروى صاحب (كشف الغمّة)، وابن شهر آشوب في (المناقب) عن ابن سنان وغيره: «إنّه عاد عليّاً في شكوى اشتكاها، قال: فقلت له: لقد تخوّفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه؟

فقال: لكنّي والله ما تخوّفت على نفسي لأنّي سمعت رسول الله الصادق المصدّق يقول: إنّك ستضرب ضربة هٰهنا - وأشار إلى صدغيه - فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود».

وفي رواية أخرى: «إنّه قيل له عليه السلام: لِمَ لا تخرج من بين هؤلاء المخالفين إلى المدينة في جوار النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: إنّ رسول الله أخبرني أنّي أُقتل هنا، وأُدفن في ظهر الكوفة».

وروى المفيد في (الإرشاد)، والصدوق في (الخصال): «إنّه لمّا جاء عبد الرحمن بن ملجم للبيعة ردّه أمير المؤمنين عليه السلام مرّتين أو ثلاثاً، ثمّ بايعه فيمن بايع، فلمّا أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين فتوثّق منه وتأكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، ففعل، ثمّ أدبر عنه فدعاه ثانية فتوثّق منه وتأكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، ففعل، ثمّ أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين الثالثة وتأكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، فقال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

أُريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

امضِ يا بن ملجم، فوالله ما أرى أن تفي بما قلت.

وفي (كشف الغمّة) أنّه عليه السلام قال بعد هذا الشعر: «هذا والله قاتلي، قالوا: يا أمير المؤمنين: أفلا نقتله، قال: لا، فمن يقتلني إذاً، ثمّ قال عليه السلام:

أشدد حيازيمك للموتِ ... فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بناديكا»

وزاد في (الخصال):

«كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيكا»

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن رجل، قال: «كنت جالساً عند عليّ عليه السلام فأقبل إليه قوم من مراد ومعهم ابن ملجم (لعنه الله)، قالوا: يا أمير المؤمنين، طرأ علينا، ولا والله ما جاءنا زائراً ولا منتجعاً، وإنّا لنخافه عليك فاشدد يدك به؟

فقال له عليّ عليه السلام: اجلس، فنظر في وجهه، ثمّ قال: أرأيتك إن سألتك عن شيء وعندك منه علم هل أنت تخبرني عنه؟ قال: نعم، وحلّفه عليه.

فقال: أكنت تلاعب الغلمان وتقوم عليهم، فكنت إذا جئت فرأوك من بعيد قالوا: قد جاءنا ابن راعية الكلاب؟ قال: اللّهمّ نعم.

فقال له: مررت برجل راهب فنظر إليك وأحدّ النظر، فقال: أشقى من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم. قال عليه السلام: أخبرتك أمّك أنّها حملت بك في بعض حيضها؟ فتتعتع هنيئة ثمّ قال: نعم، قد حدّثتني بذلك، ولو كنت كاتماً شيئاً لكتمتك هذه المنزلة، فقال له عليّ عليه السلام: قم، فقام، ثمّ قال: سمعت رسول لله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي».

وروي أيضاً عنه عليه السلام أنّه قال في شهر رمضان: «أتاكم شهر رمضان، وفيه تدور رحى السلطان، ألا وإنّكم حاجّو العام صفّاً واحداً، وآية ذلك أنّي لست فيكم، وكان يفطر في هذا الشهر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين عليه السلام، وليلة عند عبد الله بن جعفر زوج زينب بنته، لأجلها لا يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ذلك، فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنّما هي ليلة أو ليلتان».

وروى ثقة الإسلام في (الكافي) عن الثمالي في الصحيح عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال:

«صلّى أمير المؤمنين عليه السلام الفجر ثمّ لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قدر رمح، وأقبل على النّاس بوجهه فقال: والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً، يخالفون بين جباههم وركبهم، كأنّ زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادواكما يميد الشجر، كأنّما القوم باتوا غافلين.

قال: ثمّ قام فما رؤي ضاحكاً حتى قُبض».

الفصل الثالث

في كيفية شهادته عليه السلام

المشهور بين علماء الشيعة أنّه عليه السلام ضُرب ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة مضين من شهر رمضان عند الفجر، على يدي عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله)، وقد عاونه وردان بن مجالد، وشبيب بن بجرة، والأشعث بن قيس، وقطامة بنت الأخضر، عليهم جميعاً لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، ولمّا مضى ثلث الليل من الليلة الحادية والعشرين انتقل إلى رضوان الله.

والمشهور أنّ عمره عليه السلام كان حينئذٍ ثلاثاً وستّين سنة، كما روي عن الصادق عليه السلام.

وروي عن الجواد عليه السلام أنّ عمره كان حينئذٍ خمساً وستّين سنة، وعلى المشهور أنّه كان مع النبيّ صلى الله عليه وآله بعد البعثة في مكّة ثلاثة عشر سنة، وكان عمره حين البعثة عشر سنين، فآمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وكان مع النبيّ في المدينة عشر سنين، وجاهد بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وعمره ستّة عشر سنة، ولمّا أكمل التسعة عشر قتل الرجال، وجدّل الأبطال، وقلع باب خيبر وله اثنان وعشرون سنة، وكانت مدّة إمامته ثلاثين سنة، منها أيّام أبي بكر سنتان وأربعة أشهر، وما يزيد على عشر سنين في أيّام عمر، واثني عشر سنة في خلافة عثمان، ورجع إليه الحقّ قريباً من الخمس سنين، في أكثر هذه المدّة كان مشغولاً بجهاد الكافرين والمنافقين إلى أن استشهد عليه السلام وانتقل إلى رضوان الله وجنانه.

وروى ابن طاووس رحمه الله في (فرحة الغريّ) بأسانيد معتبرة عن الباقر والصادق عليهما السلام، قال: «مضى أمير المؤمنين عليه السلام وهو ابن خمس وستّين سنة، سنة أربعين من الهجرة، ونزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين اثنتا عشرة سنة، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة عشر، ثمّ هاجر إلى المدينة فأقام بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين، ثمّ أقام بعدما توفّي رسول الله ثلاثين سنة، وكان عمره خمساً وستّين، قبض في ليلة الجمعة، وقبره بالغريّ».

وروى الكليني والشيخ بأسانيد صحيحة معتبرة أنّه يستحبّ الغسل في الليلة الحادية والعشرين، وأنّها هي الليلة التي توفّي فيها جميع الأوصياء، والليلة التي رفع فيها عيسى، وتوفّي فيها موسى عليه السلام.

وروى المفيد في (الإرشاد) وغيره عن جماعة من أهل السير منهم أبو مخنف، وإسماعيل بن راشد، وأبو هاشم الرفاعي، وأبو عمر الثقفي، وغيرهم: «إنّ نفراً من الخوارج اجتمعوا

بمكّة فتذاكروا الأمراء، فعابوهم وعابوا أعمالهم، وذكروا أهل النهروان وترحّموا عليهم، فقال بعضهم لبعض: لو أنّا شرينا أنفسنا لله فأتينا أئمّة الضلال وأرحنا منهم العباد والبلاد وأخذنا بثأر اخواننا الشهداء بالنهروان، فتعاهدوا عند انقضاء الحجّ على ذلك.

فقال عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله): أنا أكفيكم عليّاً، وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاقدوا على ذلك، وتوافقوا على الوفاء، واتّعدوا في شهر رمضان في ليلة تسعة عشرة منه، ثمّ تفرّقوا.

فأقبل ابن ملجم حتى قدم الكوفة، وأمّا صاحب معاوية فإنّه قصده، فلمّا ركع ضربه ضربة فوقعت ضربته على إليته، فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة فقال: إنّ السيف مسموم، فاختر إمّا أن أحمي لك حديدة فاجعلها في الضربة، وإمّا أن أسقيك دواءً فتبرأ وينقطع نسلك؟

فقال: أمّا النّار فلا أُطيقها، وأمّا النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقرّ عيني وحسبي بهما، فسقاه الدواء فعوفي ولم يولد له ولد بعد ذلك، وقال له البرك بن عبد الله إنّ لك عندي بشارة، قال: وما هي؟ فأخبره خبر صاحبه وقال: إنّ عليّاً قتل هذه الليلة فاحتبسني عندك، فإن قُتل فأنت وليّ ما تراه في أمري، وإن لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضي فأقتله ثمّ أعود إليك، فأضع يدي في يدك حتى تحكم فيَّ بما ترى، فحبسه عنده، فلمّا أتى الخبر أنّ علياً قُتل في تلك الليلة خلّى سبيله.

هذه رواية إسماعيل بن راشد. وقال غيره: بل قتله من وقته.

وأمّا صاحب عمرو بن العاص فإنّه وافاه في تلك الليلة وقد وجد علّة فاستخلف رجلاً يصلّي بالنّاس يقال له خارجة بن أبي حبيبة، فخرج للصلاة، فشدّ عليه عمرو بن بكير فضربه بالسيف فأثبته، وأخذ الرجل فأُتي به عمرو بن العاص فقتله، ودخل من غد إلى خارجة وهو يجود بنفسه.

فقال: أما والله يا أبا عبد الله ما أراد غيرك، فقال عمر: ولكنّ الله أراد خارجة.

ولمّا قدم ابن ملجم (لعنه الله) الكوفة رأى رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب، فصادف عنده قطامة بنت الأخضر التيمي، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباها وأخاها بالنهروان، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلمّا رآها ابن ملجم شغف بها واشتدّ إعجابه بها، وسأل في نكاحها وخطبها.

فقالت: ما الذي تسمّي لي من الصداق؟

فقال لها: احكمي ما ببالك، فقالت: أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم، ووصيفاً وخادماً وقتل عليّ بن أبي طالب.

فقال لها: لك جميع ما سألت، فأمّا قتل عليّ بن أبي طالب فأنّى لي بذلك؟

فقالت تلتمس غرّته: فإن أنت قتلته شفيت نفسي وهنّاك العيش معي، وإن أنت قُتلت فما عند الله خيرٌ لك من الدنيا.

فقال: أما والله ما أقدمني هذا المصر وقد كنت هارباً منه لا آمن مع أهله إلاّ ما سألتيني من قتل عليّ بن أبي طالب، فلك ما سألت.

قالت: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقوّيك، ثمّ بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب وخبّرته الخبر، وسألته معونة ابن ملجم، فتحمّل ذلك لها، وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة.

فقال: يا شبيب، هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟

قال: وما ذاك؟ قال: تساعدني على قتل عليّ بن أبي طالب، وكان شبيب على رأي الخوارج، فقال له: يا بن ملجم، هبلتك الهبول، لقد جئت شيئاً إدّاً، وكيف تقدر على ذلك؟

فقال له ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به، وإن نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخلا المسجد الأعظم على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبّة، فقالا لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل، فقالت لهما: إذا أردتما ذلك فأتياني في هذا الموضع، فانصرفا من عندها فلبثا أيّاماً ثمّ أتياها ومعهما الآخر ليلة الأربعاء التسعة عشر خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فدعت لهم بحرير فعصّبت به صدورهم، وتقلّدوا أسيافهم، ومضوا وجلسوا مقابل السدّة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصلاة، وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين، وواطأهم على ذلك، وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما أجمعوا عليه، وكان حجر بن عديّ رحمه الله في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول: يا بن ملجم، النجا النجا لحاجتك فقد فضحك الصبح، فأحسّ حجر بما أراد الأشعث، فقال له: قتلته يا أعور، وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليخبره الخبر ويحذّره من القوم، وخالفه أمير المؤمنين عليه السلام في الطريق، فسبقه ابن ملجم (لعنه الله) فضربه بالسيف وأقبل حجر والنّاس يقولون: قُتل أمير المؤمنين عليه السلام».

وروي عن عبد الله بن محمّد الأزدي، قال: «إنّي لأُصلّي في تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أوّله إلى آخره، إذ نظرت إلى رجالٍ يصلّون قريباً من السُّدة وخرج عليّ بن أبي طالب إلى صلاة الفجر فأقبل ينادي: الصلاة

الصلاة، فما أدري أنادي أم رأيت بريق السيوف وسمعت قائلاً يقول: لله الحكم لا لك يا عليّ ولا لأصحابك، وسمعت عليّاً يقول: لا يفوتنكم الرجل، فإذا هو عليه السلام مضروب وقد ضربه شبيب بن بجرة فأخطأه ووقعت ضربته في الطاق، وهرب القوم نحو أبواب المسجد، وتبادر النّاس لأخذهم، فأمّا شبيب بن بجرة فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذه ليقتله، فرأى النّاس يقصدون نحوه فخشي أن يعجّلوا عليه ولم يسمعوا منه، فوثب عن صدره وخلاّه وطرح السيف من يده، ومضى شبيب هارباً حتى دخل منزله ودخل عليه ابن عمّ له فرآه يحلّ الحرير عن صدره.

فقال: ما هذا لعلّك قتلت أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم، فمضى ابن عمّه واشتمل على سيفه ثمّ دخل عليه فضربه به حتى قتله.

وأمّا ابن ملجم (لعنه الله) فإنّ رجلاً من همدان لحقه فطرح عليه قطيفة كانت في يده، ثمّ صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وأفلت الثالث وانسلّ بين النّاس».

وروى الشيخ المفيد بإسناد معتبر عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «لمّا ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كان معه آخر، فوقعت ضربته على الحائط، وأمّا ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد على رأسه على الضربة التي كانت - يعني من عمرو بن عبد ودّ -، فخرج الحسن والحسين عليهما السلام، وأخذا ابن ملجم وأوثقاه، وأُخذ أمير المؤمنين عليه السلام فأُدخل داره، فقعدت لبابة عند رأسه، وجلست أمّ كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال: الرفيق الأعلى خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلاً، ضربة بضربة، ثمّ عرق عليه السلام، ثمّ أفاق، فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرني بالرواح إليه عشاءً، ثلاث مرّات».

وروي في (قرب الإسناد) بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام «إنّ عليّ بن أبي طالب خرج يوقظ النّاس لصلاة الصبح، فضربه عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله) بالسيف على رأسه، فوقع على ركبتيه وأخذه فالتزمه حتى أخذه النّاس، وحُمل عليّ عليه السلام حتى أفاق، فقال للحسن والحسين عليهما السلام: احبسوا هذا الأسير وأطعموه واسقوه وأحسنوا اساره، فإن عشت فأنا أوْلى بما صنع، فإن شئت استقدت، وإن شئت عفوت، وإن شئت صالحت، وإن متّ فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثّلوا».

وروى الشيخ الزاهد ورّام (في جامعه) عن إسماعيل بن عبد الله، وكان له صحبة قال: «لمّا كثر الاختلاف بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل عثمان بن عفّان تخوّفت على نفسي الفتنة، فعزمت على اعتزال النّاس، فتنحّيت إلى ساحل البحر، فأقمت فيه حيناً لا أدري ما فيه النّاس، فخرجت من بيتي لبعض حوائجي، وقد هدأ الليل ونام النّاس، فإذا أنا برجل على

ساحل البحر يناجي ربّه ويتضرّع إليه بصوت شجيّ وقلب حزين، فأنصتّ إليه من حيث لا يراني، فسمعته يقول:

يا حسن الصحبة، يا خليفة النبيّين، يا أرحم الراحمين، البديء البديع، الذي ليس مثلك شيء، والدائم غير الغافل، والحيّ الذي لا يموت، أنت كلّ يوم في شأن، أنت خليفة محمّد، وناصر محمّد، ومفضّل محمّد، أسألك أن تنصر وصيّ محمّد، وخليفة محمّد، والقائم بالقسط بعد محمّد، اعطف عليه بنصر أو توفّه بحرمة.

قال: ثمّ رفع رأسه وجلس بقدر التشهّد، ثمّ إنّه سلّم، فيما أحسب تلقاء وجهه، ثمّ مضى فمشى على الماء، فناديته من خلفه: كلّمني يرحمك الله، فلم يلتفت، وقال: الهادي خلفك فسله عن أمر دينك، قال: قلت من هو يرحمك الله؟ قال: وصيّ محمّد من بعده، فخرجت متوجّهاً إلى الكوفة فأمسيت دونها، فبتّ قريباً من الحيرة، فلمّا جنّ الليل إذا أنا برجل قد أقبل حتى استتر برايته ثمّ صفّ قدميه فأطال المناجاة، فكان فيما قال:

اللّهمّ إنّي سرت فيهم بما أمرني رسولك وصفيّك فظلموني، وقتلت المنافقين كما أمرتني فجهلوني، وقد مللتهم وملّوني، وأبغضتهم وأبغضوني، ولم تبق خلّة أنتظرها إلاّ المرادي، اللّهمّ وقد رغبت إليك في ذلك.

ثمّ مضى فتبعته، فدخل منزله فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فلم ألبث أن نادى المنادي بالصلاة، فخرج وتبعته حتى دخل المسجد فعمّمه ابن ملجم لعنه الله بالسيف».

وروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسي رحمهما الله بإسناد معتبر عن الأصبغ بن نباتة، قال: «لمّا ضرب ابن ملجم اللعين، أمير المؤمنين عليه السلام غدونا ونحن نفر من أصحابنا؛ أنا والحرث وسُويد بن غفلة، وجماعة معنا، فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: انصرفوا إلى منازلكم، فانصرف القوم غيري، فاشتدّ البكاء من منزله، فبكيت، وخرج الحسن عليه السلام وقال: ألم أقل لكم انصرفوا؟

فقلت له: لا والله - يا بن رسول الله - لا تتابعني نفسي، ولا تحملني رجليّ أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين عليه السلام وبكيت، فدخل فلم يلبث أن خرج، فقال لي: ادخل، فدخلتُ على أمير المؤمنين فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء، قد نزف واصفرّ وجهه، ما أدري وجهه أصفر أو العمامة، فأكببت عليه فقبّلته وبكيت، فقال لي: لاَ تَبْكِ يا أَصْبَغُ، فإنَّها وَاللهِ الْجَنَّةُ.

فقلت له: جُعلتُ فداك، إنّي أعلم والله أنّك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفقداني إيّاك يا

أمير المؤمنين، جعلتُ فداك، حدّثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، فإنّي أراك لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً.

قال: «نعم يا أصبغ - دعاني رسول الله ﷺ يوماً فقال لي: يا عليّ، انطلق حتى تأتي مسجدي، ثمّ تصعد منبري، ثمّ تدعو النّاس إليك، فتحمد الله عزّ وجلّ وتثني عليه، وتصلّي عليَّ صلاة كثيرة، ثمّ تقول: أيّها النّاس، إنّي رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: إنّ لعنة الله، ولعنة ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، ولعنتي على مَن انتمى إلى غير أبيه، أو ادّعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره، فأتيتُ مسجده وصعدتُ منبره، فلمّا رأتني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي، فحمدت الله وأثنيت عليه وصلّيت على رسول الله ﷺ صلاة كثيرة، ثمّ قلت: أيّها النّاس، إنّي رسول رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: ألا إنّ لعنة الله، ولعنة ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادّعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره».

قال: «فلم يتكلّم أحد من القوم إلاّ عمر بن الخطاب، فإنّه قال: قد أبلغت - يا أبا الحسن - ولكنّك جئت بكلام غير مفسّر، فقلت: أُبلّغ ذلك رسول الله ﷺ، فرجعت إلى النبيّ ﷺ فأخبرتُه الخبر، فقال: ارجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري، فاحمد الله واثن عليه، وصلّ عليَّ ثمّ قل: أيّها النّاس، ما كنّا لنجيئكم بشيء إلاّ وعندنا تأويله، وتفسيره، ألا وإنّي أنا أبوكم، ألا وإنّي مولاكم، ألا وإنّي أجيركم».

وروى ثقة الإسلام في (الكافي)، والسيّد ابن طاووس رحمه الله وغيرهما بأسانيد معتبرة، والعبارة للكافي:

«إنّه لمّا ضُرب أمير المؤمنين عليه السلام حفّ به القوّاد، وقيل: يا أمير المؤمنين، أوصِ، فقال: اثنوا لي وسادة، ثم قال: الحمد لله قدره، متّبعين أمره، وأحمده كما أحبّ، ولا إله إلاّ الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب.

أيّها النّاس، كلّ امرئ لاقٍ في فراره ما منه يفرّ، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، كم اطّردت الأيّام أبحثها عن مكنون هذا الأمر، فأبى الله عزّ ذكره إلاّ إخفاءه. هيهات، علم مكنون مخزون، أمّا وصيّتي فأن لا تشركوا بالله جلّ ثناؤه شيئاً، ومحمّداً فلا تضيّعوا سنّته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذمّ ما لم تشردوا، حمل كلّ امرئ منكم مجهوده، وخفّف عن الجهلة ربّ رحيم، وإمام عليم، ودين قويم، أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك المراد، وإن تدحض القدم فإنّا كنّا في أفياء أغصان وذرى رياح وتحت ظلّ غمامة اضمحلّ في الجوّ متلفقها، وعفا في الأرض مخطّها، وإنّما كنت جاراً جاوركم بدني أيّاماً، وستعقبون منّي

جثّة خلاء ساكنة بعد حركة، وكاظمة بعد نطق، ليعظكم هدوي، وخفوت إطراقي، وسكون أطرافي، فإنّه أعوظ لكم من الناطق البليغ، ودّعتكم وداع مرصد للتلاقي، غداً ترون أيّامي ويكشف الله عزّ وجلّ عن سرائري، وتعرفوني بعد خلوّ مكاني، وقيام غير مقامي إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي، فإن أعفو فالعفو لي قربة ولكم حسنة، فاعفوا واصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم، فيا لها حسرة على كلّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة أو توديه أيّامه إلى شقوة، جعلنا الله وإيّاكم ممّن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة، أو يحلّ به بعد الموت نقمة، فإنّما نحن له وبه، ثمّ أقبل على الحسن عليه السلام فقال: يا بنيّ، ضربة مكان ضربة ولا تأثم».

بيان: قوله: «قدره»، أي حقّ قدره. وقوله: «متّبعين»، حال من فاعل الحمد، فإنّه في قوّة نحمد الله، وقوله: «كما انتسب» أي كما نسب نفسه في سورة التوحيد، فإنّها نسبة الربّ، وقوله: «كلّ امرئ لاق فراره»، أي من الأمور المقدّرة الحتميّة كالموت، فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة:٨]، والمساق: مصدر ميمي ما يساق إليه، أو زمان السوق، وقوله: «والهرب منه موافاته» من حمل اللازم على الملزوم؛ لأنّ الإنسان ما دام يهرب من الموت بالحركات والتصرّفات فهي تفني عمره، فكان الهرب منه موافاته، واطّرد الأمر: أي تبع بعضه بعضاً وجرى، والمعنى: إنّي جمعت أسرار حوادث الأيّام وغرائبها في ذهني وخفي عنكم لضعف عقولكم، والعمودان: التوحيد والنبوّة، أو الحسنان، ويقال: خلاك ذمّ، أي أعذرت وسقط عنك الذمّ. وقوله: ما لم تشرّدوا، أي تتفرّقوا في الدين، وثبوت الوطأة: كناية عن البرء من المرض. والذرى: اسم لما ذرّته الرياح، شبّه ما فيه الإنسان في الدنيا من الأمتعة بما ذرّته الرياح في عدم الثبات وقلّة الانتفاع، وقوله: متلفّقها - بكسر الفاء - أي ما انتظم واجتمع من متفرّقات الغمام، ومخطّها: ما يحدث في الأرض من الخطّ الفاصل بين الظلّ والنور، والكظوم: السكوت، وخفت الصوت سكن، والأطرق: لعلّ المراد به الحركات والضربات، وقوله: لا تأثم، إمّا أن تكون (لا) نافية، أي لا تأثم في الزيادة، ويحتمل النهي، ويكون محمولاً على ترك الأوْلى، أو أنّك تكون عند النّاس منسوباً إلى الإثم.

وروى الكليني، والصدوق، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي وغيرهم من المحدّثين بطرق عديدة عن الحسن والكاظم عليهما السلام وسليم بن قيس الهلالي، قال سليم بن قيس: «شهدت وصيّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين أوصى ابنه الحسن عليه السلام واشهد على وصيّته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح، ثمّ قال: يا بنيّ، أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أوصي إليك وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما

أوصي إليَّ رسول الله ﷺ ودفع إليَّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين.

ثمّ أقبل على الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله أن تدفع وصيّتك إلى عليّ بن الحسين، وأمر عليّ بن الحسين أن يدفع الوصيّة إلى ولده محمّد بن عليّ، فاقرأه من رسول الله ﷺ ومنّي السلام.

ثمّ أقبل على ابنه الحسن عليه السلام فقال: يا بنيّ، أنت وليّ الأمر من بعدي، ووليّ الدم، فإن عفوت؛ فلك، وإن قتلت؛ فضربة مكان ضربة، ولا تأثم. ثمّ قال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب، أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، صلّى الله عليه وآله، ثمّ إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين.

ثمّ أُوصيك يا حسن وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربّكم، ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام، وأنّ المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب. الله الله في الأيتام فلا تغيّروا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله عزّ وجلّ لذلك له الجنّة كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النّار.

الله الله في القرآن، فلا يسبقكم إلى العمل به أحد غيركم.

الله الله في جيرانكم، فإنّ النبيّ ﷺ أوصى بهم، وما زال رسول الله يوصي بهم حتى ظنّنا أنّه سيورّثهم.

الله الله في بيت ربّكم، فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا، وأدنى ما يرجع به من الله أن يغفر له ما سلف.

الله الله في الصلاة، فإنّها خير العمل، وإنّها عمود دينكم.

الله الله في الزكاة، فإنّها تطفئ غضب ربّكم.

الله الله في شهر رمضان، فإنّ صيامه جنّة من النّار.

الله الله في الفقراء والمساكين، فشاركوهم في معايشكم.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، فإنّما يجاهد رجلان: إمام هدىً أو مطيع له مقتد بهداه.

الله الله في ذرّية نبيّكم فلا يظلمون بحضرتكم وبين ظهرانيكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم. الله الله في أصحاب نبيّكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤووا محدثاً، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم، ولعن المحدث ومن غيرهم والمؤوي للمحدث.

الله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم، فإنّ آخر ما تكلّم به نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم أن قال: أوصيكم بالضعيفين: النساء وما ملكت أيمانكم. الصلاة الصلاة الصلاة لا تخافوا في الله لومة لائم لا يكفيكم الله من آذاكم وبغى عليكم، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عزّ وجلّ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيوليّ الله أمركم شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم عليهم، وعليكم يا بنيّ بالتواصل والتباذل والتبار، وإيّاكم والتقاطع والتدابر والتفرّق، وتعاونوا على البرّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيّكم، استودعكم الله واقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

ثمّ لم يزل يقول: لا إله إلا الله حتى قبض عليه السلام في ثلاث ليالي من العشر الأواخر ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ليلة الجمعة، سنة أربعين من الهجرة، وكان ضرب ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان».

قال المجلسي: «هذا التاريخ الذي تضمّنته هذه الراوية هو خلاف المشهور بين الإماميّة، وذهب إليه بعض العامّة، ولباقيهم في تاريخ وفاته عليه السلام اختلاف كثير لا فائدة في ذكره».

وروى الشيخ في (الأمالي)، والشيخ المفيد في (المجالس) عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال:

«لمّا حضرت أبي الوفاة اقبل يوصي، فقال: هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب أخو محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابن عمّه، وصاحبه: أوّل وصيّتي أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله وخيرته، اختاره بعلمه، وارتضاه لخيرته، وأنّ الله باعث من في القبور، وسائل النّاس عن أعمالهم، عالم بما في الصدور.

ثمّ إنّي أوصيك يا حسن وكفى بك وصيّاً بما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا كان ذلك يا بنيّ فالزم بيتك، وابك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همّك، وأوصيك يا بنيّ بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلّها، والصمت عند الشبهة، والاقتصاد في العمل، والعدل في الرضا والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود وأصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحبّ المساكين ومجالستهم، والتواضع، فإنّه من أفضل العبادة،

وقصّر الأمل، واذكر الموت، وازهد في الدنيا فإنّك رهن موت، وغرض بلاء، وصريع سقم، وأوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلانيتك، وأنهاك عن التسرّع بالقول والفعل، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنّ حتى تصيب رشدك فيه، وإيّاك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فإنّ قرين السوء يضرّ جليسه، وكن لله يا بنيّ عاملاً، وعن الخنا زجوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، وواخ الإخوان في الله، وأحبّ الصالح لصلاحه، ودار الفاسق عن دينك، وأبغضه بقلبك، وزايله بأعمالك، لئلاّ تكون مثله. وإيّاك والجلوس في الطرقات، ودفع المماراة ومجاراة من لا عقل له ولا علم، واقتصد يا بنيّ في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصمت تسلم، وقدّم لنفسك تغنم، وتعلّم الخير تعلم، وكن لله ذاكراً على كلّ حال، وارحم من أهلك الصغير، ووقّر منهم الكبير، ولا تأكلنّ طعاماً حتى تصدّق منه قبل أكله، وعليك بالصوم، فإنّه زكاة البدن وجُنّة لأهله، وجاهد نفسك، واحذر جليسك، واجتنب عدوّك، وعليك بمجالس الذِّكر، وأكثر من الدعاء، فإنّي لم آلك يا بنيّ نصحاً، وهذا فراق بيني وبينك.

وأوصيك بمحمّد خيراً فإنّه شقيقك وابن أبيك، وقد تعلم حبّي له، وأمّا أخوك الحسين فهو ابن أمّك، ولا أريد الوصاية بذلك، والله الخليفة عليكم، وإيّاه أسأل أن يصلحكم، وأن يكفّ الطغاة البغاة عنكم، والصبر الصبر حتى ينزل الله الأمر، ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم».

وروى المفيد في (الإرشاد) وغيره من محدّثي الخاصّة والعامّة عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه ما لقيت من أمّته من الأود، واللدد[1]، وبكيت، فقال: لا تبك يا عليّ والتفت، فالتفتّ فإذا رجلان مصفّدان وإذا جلاميد[2] ترضخ بها رؤوسهما ثمّ قتل عليه السلام في اليوم الثاني».

وروى المفيد في (الإرشاد) عن أمّ موسى خادمة عليّ عليه السلام وهي حاضنة فاطمة ابنته عليها السلام، قالت: «سمعت عليّاً يقول لابنته أمّ كلثوم: يا بنيّة، إنّي أراني قلّ ما أصبحكم.

قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال: إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي، ويقول: يا علي، لا عليك قضيت ما عليك، قالت: فما مكثنا إلاّ ثلاثاً حتى ضُرب تلك الضربة، فصاحت أمّ كلثوم فقال: يا بنيّة، لا تفعلي فإنّي أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليّ بكفّه ويقول: يا عليّ، هلمّ إلينا، فإنّ ما عندنا هو خير لك».

---

(١) أود الشيء: أي اعوّج. اللدد: شدّة العداوة والبغضاء.

(٢) الجلاميد: - مفرده جلمود: الصخر.

وروى السيّد الرضيّ رحمه الله أنّه عليه السلام قال في سحر اليوم الذي ضُرب فيه: «ملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، ماذا لقيت من أمّتك من الأولاد واللدّ!

فقال: أدع عليهم، فقلت: أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً مني».

وروى الصدوق في (الخصال) بإسناد معتبر عن حبيب بن عمرو، قال: «دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي قبض فيه، فحلّ عن جراحته، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما جرحك هذا بشيء، وما بك من بأس، فقال لي: يا حَبِيبُ، أنا وَاللهِ! مُفارِقُكُم السَّاعَةَ، قال: فبكيتُ عند ذلك، وبكتْ أمّ كلثوم، وكانت قاعدة عنده، فقال لها: ما يُبْكِيكِ يا بُنَيَّةُ؟ فقالت: ذكرتَ يا أبتِ أنّك تفارقنا الساعة فبكيتُ، فقال لها: يا بُنَيَّةُ، لاَ تَبْكِي، فوَاللهِ! لَوْ تَرَيْنَ ما يَرى أبُوكِ ما بَكَيْتِ، قال حبيب: فقلتُ: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا حَبِيبُ، أرى مَلائِكَةَ السَّماواتِ والأرضين والنَّبِيِّين بَعْضُهم في إثْر بَعْض وقُوفاً يَتَلقَّونَني، وهذا أخِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله جالساً عِنْدي يَقُولُ: أقْدِمْ فَإنَّ ما أمامَكَ خَيْر مِمّا أنْتَ فيهِ، فما خرجت من عنده حتى توفّي صلوات الله عليه».

وروى المفيد في (الإرشاد)، وابن شهر آشوب في (مناقبه) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّه سهر في الليلة التي قُتل في صبيحتها ولم يخرج إلى المسجد لصلاة الليل على عادته، فقال لها بنته أمّ كلثوم: ما هذا الذي أسهرك؟ فقال: إنّي مقتول لو قد أصبحت، فأتاه ابن النباح فآذنه بالصلاة غير بعيد، ثمّ رجع، فقالت أمّ كلثوم: مُر جعدة فليصلِّ بالنّاس؟ قال: نعم مروا جعدة فليصلِّ - ثمّ قال عليه السلام: لا مفرّ من الأجل، فخرج إلى المسجد فإذا هو بالرجل قد سهر ليلته كلّها يرصده، فلمّا برد السحر نام فحرّكه أمير المؤمنين عليه السلام برجله وقال له: الصلاة، فقام إليه فضربه.

وفي حديث آخر: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد سهر تلك الليلة فأكثر الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول: والله ما كذبت ولا كُذّبت، وإنّها الليلة التي وعدت فيها، ثمّ عاود مضجعه، فلمّا طلع الفجر شدّ إزاره وخرج وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بناديكا

فاستقبلته الإوزّ في صحن الدار، فصحن في وجهه، فقال: دعوهنّ، فإنّهن صوائح تتبعها نوائح».

وروى الكليني بإسناد معتبر عن الحسن بن الجهم، قال: «قلت للرضا عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يُقتل فيها والموضع الذي يُقتل فيه، وقوله - لمّا

سمع صياح الإوزّ[١] في الدار -: صوائح تتبعها نوائح، وقول أمّ كلثوم: لو صلّيت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلّي بالنّاس، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف، كان هذا ممّا لم يجز تعرّضه؟ فقال عليه السلام: ذلك كان، ولكنّه خيّر تلك الليلة لتمضي مقادير الله عزّ وجلّ».

بيان: أيّ خُيّر بين البقاء واللقاء، فاختار اللقاء، وحاصل الجواب أنّه عليه السلام لمّا علم رضاء الله في ذلك، اختاره ولم يحترز منه، وقد أوضحنا الجواب عن هذا الإشكال بما لا مزيد عليه في كتابنا: (مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار)، وينبغي أن يعلم مجملاً أنّ تكاليف الأنبياء والأوصياء ليست كتكاليف غيرهم من سائر النّاس، وأنّ كلّ ما صدر منهم فهو موافق لرضاء الله تعالى، وهو عين الحكمة والصلاح والتفكّر والتعمّق في ذلك من أسرار القضاء والقدر المنهيّ عن الخوض فيها.

وفي بعض الكتب المعتبرة عن أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام، قالت: «لمّا كانت ليلة تسعة عشرة من شهر رمضان قدّمت إلى أبي عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلمّا فرغ من صلاته أقبل على فطوره.

فلمّا نظر إليه قال: يا بُنيّة، أتُقَدِّمِينَ لي لونين في طَبقٍ واحدٍ، تُرِيدينَ أنْ يَطُولَ وقُوفي غَداً بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالى! أنا أُرِيدُ أنْ أتَّبِعَ أخي وابْنَ عَمّي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فإنه ما قُدِّمَ لهُ إدامانِ في طَبَقٍ واحدٍ إلى أنْ قَبَضَهُ اللهُ تعالى.

يا بُنَيَّةُ، ما مِنْ رَجُلٍ طَابَ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ إلاّ طالَ وقُوفُهُ بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالى يَوْمَ الْقِيامةِ، وَقدْ أخْبَرَني حَبِيبِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله أنَّ جَبْرَئِيلَ نَزَلَ وَمَعَهُ مَفاتِيحُ كُنوزِ الأرْض، فَقال: يا مُحَمَّدُ، إنّ الله يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ لَكَ: إنْ شِئْتَ سَيَّرْتُ مَعَك جِبالَ تِهامَةَ ذَهَباً وَفِضَّةً، وَخُذْ مَفاتِيحَ كُنُوزِ الأرْضِ وَما يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ حَقِّكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ قال صلى الله عليه وآله: يا جَبْرَئِيلُ، ثمّ ما يَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ، قالَ: الْمَوْتُ، فقالَ صلى الله عليه وآله: لاَ حاجةَ لِي فِي الدُّنْيا، دعْنِي أجُوعُ يَوْماً، وأشْبَعُ يَوْماً، فَالْيَوْمُ الّذِي أجُوعُ فِيه أتَضرَّعُ إلى رَبِّي، والْيَوْمُ الَّذِي أشْبَعُ فِيهِ أحمد ربّي وأشكره، فقَالَ جَبْرَئِيلُ: وَفِّقْتَ لِكُلِّ خَيْرٍ.

ثمّ قال عليه السلام: يا بُنَيَّةَ، إنّ الدنيا دارُ غُرُورٍ وَدارُ ذلّ، وَمن قدّم منها لآخرته شيئاً وصل نفعه إليه. يا بنيّة، والله لا أتناول شيئاً حتى ترفعي أحدهما.

قالت أمّ كلثوم: فرفعت اللبن وأكل عليه السلام من الخبز والملح، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قام عليه السلام إلى صلاته، ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ويتضرّع ويبتهل إلى

---

(١) الإوز: البطّ.

الله تعالى، ثمّ يخرج ساعة بعد ساعة ينظر إلى الكواكب، ويقلّب طرفه إلى السماء ويبكي، ثمّ تلا عليه السلام سورة يس إلى آخرها، ثمّ نام عليه السلام قليلاً، وانتبه فزعاً مرعوباً، فتناول رداءه وقام قائلاً: اللّهمّ بارك لي في الموت، وأكثرَ من قول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم، ثمّ قام إلى مصلاّه فصلّى حتى ذهب أكثر الليل، ثمّ جلس للتعقيب، ثمّ نامت عيناه وهو جالس، ثمّ انتبه من نومه مرعوباً، فجمع أولاده وأهله وقال لهم: إنّي مفارقكم في هذا الشهر، وقد رأيت في هذه الليلة رؤياً عظيمة أهالتني؛ إنّي رأيت في هذه الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يقول: يا أبا الحسن، أنت قادم إلينا عن قريب، وسيخضب لحيتك أشقى هذه الأمّة من دم رأسك، وأنا مشتاق إلى لقائك وأنت قادم إلينا في العشر الأواخر من هذا الشهر، فهلمّ إلينا، فالذي عندنا خير لك وأبقى.

فلمّا سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء والنحيب والعويل، فأمرهم بالسكوت، ثمّ أقبل يوصيهم ويأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشرّ، ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، ثمّ يخرج ساعةً بعد ساعة ينظر إلى الكواكب ويقلّب طرفه إلى السماء وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذّبت، إنّها الليلة التي وعدني بها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ يعود إلى صلاته وإلى مصلاّه ويقول: اللّهمّ بارك لي في الموت، ويكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ويصلّي على النبيّ ويستغفر الله كثيراً.

قالت أمّ كلثوم: فلما رأيت ما عرض لأبي عليه السلام من القلق والاضطراب لم يأخذني النوم، وقلت: يا أبتِ، لِمَ حرّمت على نفسك النوم في هذه الليلة، ولِمَ لا تستريح يا أبتِ؟ فقال: يا بنيّة، إنّي كثيراً ما قاتلت الشجعان وقاسيت الأهوال العظيمة ولم يحصل لي رعب واضطراب مثل هذه الليلة - ثمّ قال عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فقلت: يا أبتِ، لِمَ أراك تنعى إلينا نفسيك في هذه الليلة؟

فقال: يا بنيّة، قد قرب الأجل، وانقطع الأمل.

قالت أمّ كلثوم: فلمّا سمعت ذلك بكيت كثيراً، فقال عليه السلام: يا بنيّة، لا تبكي، فإنّي ما أخبرتك إلاّ بما عهده إليَّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ غفا عليه السلام قليلاً ثمّ انتبه وقال: يا بنيّة، إذا قرب وقت الأذان فأخبريني، ثمّ جعل يتضرّع ويدعو، فلمّا قرب وقت الصلاة قدّمت إليه وضوءاً، فقام عليه السلام وجدّد وضوءه ولبس ثيابه وتوجّه إلى المسجد، فلمّا صار في صحن الدار، وكان في الدار وزّ قد أُهدي إلى الحسن، فلمّا رأينه رفرفن بأجنحتهنّ وصحن في وجهه، ولم يعهد منهنّ ذلك سابقاً، فقال عليه السلام: لا إله إلاّ الله، صوائح يلحقها نوائح، وسيظهر قضاء الله تعالى غداً.

فقالت أمّ كلثوم: يا أبت، لِمَ تتفأّل بالشر؟ فقال عليه السلام: ليس أحد منّا أهل البيت يتفأّل

بسوء، ولا يؤثر فأل السوء فينا، ولكن قد جرى الحقّ على لساني - ثمّ قال عليه السلام: يا بنيّة، بحقّي عليك إلاّ ما أطلقتيه، فلقد حبست ما ليس له لسان فأطعميه واسقيه وإلاّ خلّي سبيله يأكل من حشيش الأرض، فلمّا وصل عليه السلام إلى الباب وهو مغلوق فعالجه فانحلّ ميزره، فشدّه وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت ... فإنّ الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بناديكا
ولا تغترّ بالدهر ... وإن كان يواتيكا
كما أضحكك الدهر ... ذاك الدهر يبكيكا

ثمّ قال: اللّهمّ بارك لي في الموت، وبارك لي في لقائك، قالت أمّ كلثوم: وكنت أمشي خلفه، فلمّا سمعت قوله: قلت: واغوثاه يا أباه، ما لي أراك تنعى نفسك مثل هذه الليلة أن لا نراك أبداً، فقال: يا بنيّة، إنّها دلالات وعلامات الموت يتبع بعضها بعضاً، ثمّ فتح الباب وخرج.

قالت أمّ كلثوم: فأتيت إلى الحسن عليه السلام فقلت: يا أخي، قد كان من أمر أبيك الليلة ما هو كذا وكذا، وقد خرج في هذه الليلة فالحقه، فقام الحسن فلحقه قل أن يدخل المسجد، فقال: يا أبتِ، ما الذي أخرجك في هذه الليلة إلى المسجد؟ فقال: يا بنيّ لرؤيا رأيتها في هذه الليلة أهالتني، فقلت: خيراً رأيت وخيراً يكون. يا أباه، فقصّها فقال عليه السلام: يا بنيّ، رأيت كأنّ جبرئيل عليه السلام قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى الكعبة وضرب أحدهما على الآخر فصارا كالرميم، ثمّ ذرّاهما في الهواء فما بقي بمكّة ولا في المدينة بيت إلاّ ودخله من ذلك الرماد شيء.

فقلت: يا أباه، وما تأويله؟ فقال: يا بنيّ، إن صدقت رؤيتي فإنّ أباك مقتول ولا يبقى بمكّة ولا في المدينة بيت إلاّ ودخله غمّ من أجلي.

فقال عليه السلام: وهل ترى متى يكون ذلك يا أباه؟ فقال: يا بنيّ، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون في العشر الأواخر من هذا الشهر، يقتلني عبد الرحمن بن ملجم.

فقلت: يا أباه، إذا علمت منه ذلك فاقتله، فقال: يا بنيّ، لا يجوز القصاص إلاّ بعد الجناية، والجناية لم تحصل منه.

ثمّ قال عليه السلام: يا بنيّ، ارجع إلى فراشك، فقال الحسن عليه السلام: يا أباه، أريد المضيّ معك إلى موضع صلاتك، فقال: بحقّي عليك إلاّ ما رجعت إلى فراشك لئلاّ يتنغّص عليك نومك، ولا تعصني في ذلك.

قال: فرجع الحسن عليه السلام فوجد أخته أمّ كلثوم خلف الباب، فدخل إليها وجلسا يتحادثان وهما محزونان، وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل المسجد والقناديل قد خمد ضوؤها فصلّى في المسجد ركعات وعقّب بعدها، ثمّ إنّه عليه السلام علا على المئذنة وجعل إصبعيه في أذنيه، وأذّن، وكان عليه السلام إذا أذّن لم يبق في الكوفة بيت إلاّ اخترقه صوته، وأمّا ابن ملجم (لعنه الله) فإنّه أحيى تلك الليلة مفكّراً في أمره، وأتت إليه قطام (لعنها الله) في نصف الليل وقالت له: إنّ من يريد مثل هذا الأمر العظيم حرام عليه النوم قم واقتل عليّاً وارجع لحصول مرادك منّي.

فقال لها الملعون: إنّي أقتل عليّاً، وأعلم أنّي لا أصل إلى مرادي، وبينا هما كذلك إذ سمعا أذانه عليه السلام، فقالت: عجّل واغتنم الفرصة ولا تفوتك الفرصة».

وفي رواية أخرى: «إنّه (لعنه الله) كان نائماً في المسجد ومعه شبيب بن بجرة ينتظران أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا أذّن ونزل من المئذنة جعل يسبّح الله تعالى ويقدّسه ويكثر من الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وعبر على قوم نيام في المسجد وفيهم ابن ملجم (لعنه الله) فقال: الصلاة، الصلاة، حتى انتهى إلى ابن ملجم وهو مكبوب على وجهه.

فقال له عليه السلام: قم إلى الصلاة ولا تنم هكذا، فإنّه نوم الشياطين، بل نم على يمين، فإنّه نوم المؤمنين، والنوم على القفا نوم النبيّين - ثم قال: عليه السلام له: - لقد أضمرت أمراً عظيماً تكاد السماوات يتفطرّن منه والأرض، وتخرّ الجبال هدّاً، ولو شئت لأخبرتك بما أخفيته تحت ثيابك.

ثمّ إنّه عليه السلام تقدّم إلى المحراب ودخل في الصلاة، وأطال ركوعه وسجوده كما هي عادته عليه السلام، فجاء اللعين ابن ملجم ووقف حذاء الاسطوانة التي كان عليه السلام يصلّي عندها، وأمهله حتى صلّى الركعة الأولى وسجدة السجدة الأولى، فلمّا رفع رأسه منها رفع اللعين سيفه وضربه، وتعمّد بالضربة رأسه، فوقعت الضربة في الموضع الذي ضربه عمرو بن عبد ودّ، فشقّت الضربة رأسه إلى موضع سجوده.

فقال عليه السلام: بسم الله، وبالله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله. فُزتُ وربّ الكعبة.

فلمّا سمع أهل المسجد صوته عليه السلام أسرعوا إلى المحراب، وكانت الضربة مسمومة، وقد جرى السمّ في رأسه وبدنه عليه السلام.

فلمّا أحاط النّاس بأمير المؤممين عليه السلام رأوه وقد شدّ رأسه بميزره والدم يجري على لحيته، وجهه، وهو يتلو هذه الآية: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه: ٥٥] أتى أمر الله وصدق رسول الله.

قال الراوي: وكان قد ضربه اللعين شبيب بن بجرة (لعنه الله) فاخطأه، ووقعت الضربة في الطاق، فلمّا ضربه اللعين ابن ملجم زلزلت الأرض، وماجت البحار، ورجفت السماء، واصطكّت أبواب الجامع، ثمّ أحاط النّاس بأمير المؤمنين عليه السلام وشدّوا رأسه بردائه والدم يجري على لحيته ووجهه وهو يقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وضجّت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبّت ريح عاصف مظلمة سوداء، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كلّ مستبصر ومستيقظ: تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست أعلام التقى، وانفصمت العروة الوثقى، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى، قتل الوصيّ المجتبى، قتل عليّ المرتضى، قتله أشقى الأشقياء.

قال: فسمعت أمّ كلثوم نعي جبرئيل عليه السلام فلطمت خدّها، وشقّت جيبها، وصاحت: وا أبتاه، واعليّاه، وامحمّداه، فانتبه من صوتها كلّ من في الدار، وخرج الحسن والحسين عليهما السلام فسمعا النّاس يضجّون وينوحون ويقولون: وإماماه، وأمير المؤمنيناه، والله لقد قتل إمام العابدين المجاهدين الذي لم يسجد لصنم قطّ، قتل أشبه الخلق بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فدخلا عليهما السلام المسجد باكين معولين قائلين: وأبتاه، واعليّاه، ليت الموت أعدَمَنا الحياة ولا نرى يومك هذا، فأقبلا إلى المحراب فوجدا أباهما طريحاً في المحراب وأبو جعدة ومعه جماعة يعالجونه للصلاة بهم، وهو عليه السلام لا يستطيع.

فلمّا رأى ولده الحسن عليه السلام جعله في موضعه وأمره أن يصلّي بالنّاس، وأتمّ به جالساً مؤمياً للصلاة والدم يجري على وجهه وهو يميل يميناً وشمالاً، فلمّا فرغ الحسن من الصلاة وضع رأس أبيه في حجره وقال: يا أبتاه، كسرت ظهري، كيف أراك بهذه الحالة، ففتح أمير المؤمنين عينيه في وجهه، وقال: يا بنيّ، لا غمّ على أبيك بعد هذا اليوم ولا جزع ولا ألم، اليوم أُلاقي جدّك محمّد المصطفى وجدّتك خديجة الكبرى، وأمّك فاطمة الزهراء، والحور العين ينتظرون أباك ويترقّبون قدومه ساعة فساعة، فلا بأس عليك يا بني، فلا تبكِ فقد بكت ملائكة السماء لبكائك.

ولمّا انتشر هذا الصوت في الكوفة خرج النّاس رجالاً ونساءً من بيوتهم مسرعين إلى المسجد، فرأوا أمير المؤمنين عليه السلام قد وضع رأسه في حجر ولده الحسن عليه السلام والدم يسيل على وجهه ولونه قد مال من الصفرة إلى البياض ينظر إلى آفاق السماء يسبّح الله ويقدّسه ويذكره ويقول: إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وأعلى درجات جنّة المأوى، ثمّ غشي عليه عليه السلام، فبكى الحسن عليه السلام ودموعه تتناثر على خدّيه، فسقطت من دموعه قطرة على خدّ أمير المؤممين، ففتح عليه السلام عينه فوجده باكياً، فقال: ما هذا البكاء يا بنيّ! لا خوف ولا جزع على أبيك بعد اليوم، إنّ جدّك محمّد المصطفى، وجدّتك خديجة الكبرى، وأمّك فاطمة

الزهراء، والحور العين قد حضروا عند أبيك ينتظرون قدومه إليهم، وإنّ الملائكة قد ضجّت إلى الله تعالى. يا بنيّ، لا تبك عليَّ وأنت تقتل مسموماً مظلوماً، ويقتل أخوك الحسين بالسيف هكذا، وتلحقان بجدّكما وأبيكما.

ثمّ قال الحسن: من قتلك يا أباه؟

قال عليّ عليه السلام: قتلني ابن اليهوديّة عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله)، فقال: يا أبتاه، من أيّ طريق مضى حتى نلحقه؟

فقال عليّ عليه السلام: لا يمضي أحد منكم في طلبه وإنّه سيطلع عليكم من هذه الباب، وأشار بيده إلى باب كندة، فلم يزل السمّ يسري في رأسه عليه السلام، ثمّ أُغمي عليه، وأقبل النّاس ينظرون إلى باب كندة وقد غصّ المسجد بالعالم ما بين باكٍ وباكية ومحزون، وإذا بالصيحة قد ارتفعت وقد جاءوا باللعين عبد الرحمن بن ملجم، قال: فوقع النّاس بعضهم على بعض يتزاحمون عليه، وهو مكشوف الرأس، هذا يلطمه وهذا يضربه، وهذا يلعنه، ويبصقون في وجهه، ويعضّون لحمه بأسنانهم ويقولون: يا عدوّ الله، أهلكت الأمّة وقتلت خير النّاس، واللعين ساكت لا يتكلّم وبين يديه رجل يقال له: حذيفة النخعي قد جرّد سيفه، وبرّد النّاس عن قتله، حتى أدخلوه نحو الحسن عليه السلام، فلمّا نظر إليه قال له: يا ملعون، قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين، هذا جزاؤه منك حين آواك وقرّبك وأدناك وآثرك على غيرك، هل كان بئس الإمام لك حتى تجازيه بهذا الجزاء يا شقي؟

قال: فلم يتكلّم، ثمّ ضجّ النّاس بالبكاء والعويل، ثمّ التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به وقال: كيف ظفرت بعدوّ الله وأين لقيته؟

قال: يا مولاي، حديثي عجيب، وذلك أنّي كنت نائماً في داري، وزوجتي إلى جنبي؛ إذ سمعت ناعياً ينعى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: انهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتل ابن عمّ المصطفى، قُتل الوصيّ المجتبى، قُتل عليّ المرتضى، قتله أشقى الأشقياء، فأيقظتني، وقالت لي: أنت نائم وقد قُتل إمامك عليّ؟! فانتبهت من كلامها فزعاً، وقلت: يا ويلك ما هذا الكلام فضّ الله فاك، لعلّ الشيطان قد ألقاه في سمعك، إنّ أمير المؤمنين ليس أحد له قبله تبعة ولا طلبة، وأنّه لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف، ومع ذلك فمن ذا الذي يقدر على قتل أمير المؤمنين وهو كالأسد الضرغام، والبطل الهمام، فأكثرت عليَّ بالكلام وقالت: إنّي سمعت ما لم تسمع وما أظنّ بيتاً في الكوفة إلاّ وقد دخله ذلك النعي، فبينا أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وقائلاً يقول: قُتل أمير المؤمنين، فحسّ قلبي بالشرّ، فمددت يدي إلى سيفي وسللته من غمده، وأخذته ونزلت من داري.

فلمّا صرت في وسط الحارة وإذا بعدوّ الله يجول فيها يطلب مهرباً، وقد انسدّت أبواب الطرق في وجهه، فلمّا نظرت إليه وهو كذلك فقلت له: ويلك، مَن أنت في وسط هذا الطريق تمرّ وتجيء، فتسمّى بغير اسمه، وانتمى إلى غير نسبه، فقلت له: يا ويلك ومن أين أقبلت؟ قال: من منزلي، قلت: وإلى أين تريد؟ قال: إلى الحيرة، قلت: فلِمَ لا أدركت صلاة الصبح مع أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: خفت فوات حاجتي، قلت: سمعت صيحة عظيمة وقائلاً يقول: قُتل أمير المؤمنين، هل عندك من ذلك خبر؟ قال: لا، فقلت: ولِمَ لا تمضي معي حتى نحقّق هذا الخبر؟ قال: أنا ماضٍ في شيء أهمّ منه، فقلت له: ويلك وأيّ حاجة هي أهمّ من قتل أمير المؤممين! ثمّ قلت له: ويلك لعلّك أنت الذي قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين إذاً والله ما لك عند الله من خلاق، وهممت عليه بسيفي أن أعلوه به، فراغ عني، فانكشف سيفه، فرأيته يبرق، فقلت: يا ويلك ما هذا السيف تحت ثيابك لعلّك قاتل أمير المؤمنين، فأراد أن يقول: لا فقال: نعم، فرفعت سيفي وضربته، فرفع هو سيفه وهمّ أن يعلوني به، فانحرفت عنه، فضربته على ساقه، فوقع لحينه ووقعت عليه، وصرخت صرخة شديدة، فخرج أهل الحارة فأعانونني حتى أوثقته كتافاً وجئتك به، فها هو بين يديك جعلني الله فداك، فاصنع به ما شئت.

فقال الحسن عليه السلام: الحمد الله الذي نصر وليّه، وخذل عدوّه، ثمّ انكبّ الحسن عليه السلام على أبيه يقبّله، ففتح عليه السلام عينيه، وهو يقول: ارفقوا يا ملائكة ربّي بي.

فقال له الحسن عليه السلام: هذا عدوّ الله وعدوّك ابن ملجم (لعنه الله) قد أمكن الله منه، وقد حضر بين يديك.

قال: ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه وقال له بضعف وانكسار صوت: يا هذا، لقد جئت شيئاً عظيماً، وارتكبت أمراً جسيماً، أبئس الإمام كنت لك جازيتني بهذا الجزاء؟! ألم أكن شفيقاً عليك أُوثرك على غيرك، وأُحسن إليك، وزدت في عطائك، وقد كنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة، ولكن رجوت بذلك الاستظهار عليك يا شقيّ الأشقياء، قال: فدمعت عينا ابن ملجم وقال: يا أمير المؤمنين، أفأنت تنقذ من في النّار؟ فقال عليه السلام: صدقت، ثمّ التفت عليه السلام إلى الحسن وقال: يا بنيّ إرفق بأسيرك وارحمه وأشفق عليه ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أمّ رأسه، وقلبه يرجف خوفاً، فقال له الحسن عليه السلام: يا أبتِ قد قتلك هذا اللعين وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به؟!، فقال: يا بنيّ، نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة، فأطعمه ممّا تأكل، واسقه ممّا تشرب، فإن أنا متّ فاقتصّ منه بأن تقتله ثمّ تحرقه بالنّار ولا تمثّل بالرجل، فإنّي سمعت جدّك صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل به، وأنا أوْلى بالعفو، فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ عفواً وكرماً.

قال محمّد بن الحنفيّة: ثمّ إنّ أبي عليه السلام قال: احملوني إلى داري، فحملناه إليه والنّاس حوله قد أشرفوا على الهلاك من البكاء والعويل، فالتفت الحسن إلى أبيه عليه السلام وهو باكٍ حزين وقال: يا أبتِ، من لنا بعدك، وإنّ مصابنا بك اليوم مثل مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله، كأنّا ادّخرنا البكاء لك يا أبتاه.

فقرّب أمير المؤمنين ولده الحسن إليه وأدناه، فلمّا نظر إليه ورأى عينيه مقروحتين من كثرة البكاء، فمسح عليه السلام الدموع من عينيه ووضع يده على صدره، وقال: يا بنيّ، أسكن الله قلبك بالصبر، وعظّم عينيك، فإنّ الله يؤجركم بقدر مصابكم بي. ثمّ حمل عليه السلام إلى موضع مصلاّه من حجرته، وأقبلت زينب وأمّ كلثوم حتى جلستا معه على فراشه، وأقبلتا تندبانه وتقولان: يا أبتاه، من للصغير حتى يكبر، ومن للكبير بين الملأ. يا أبتاه، حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقأ. قال: فضجّ النّاس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وفاضت دموع أمير المؤمنين عند ذلك، وجعل يقلّب طرفيه وينظر إلى أهل بيته، ثمّ دعا الحسن والحسين عليهما السلام وجعل يحضنهما ويقبّلهما، ثمّ أُغمي عليه ساعة طويلة، ثمّ أفاق. وكذلك كانت علّة النبيّ صلى الله عليه وآله يغمى عليه ساعة ويفيق أخرى كأنّه عليه السلام مسموم، فلمّا أفاق ناوله الحسن قعباً من لبن، فشرب منه قليلاً، ثمّ نحّاه عن فمه، وقال: احملوه إلى أسيركم بحقّي عليكم، طيّبوا طعامه وشرابه، وأرفقوا به إلى حين موتي.

وروى الشيخ وغيره: إنّه لمّا حمل أمير المؤمنين عليه السلام إلى منزله جاءوا باللعين ابن ملجم مكتوفاً إلى بيت من بيوت القصر فسجنوه، فقالت أمّ كلثوم وهي تبكي: يا عدوّ الله، قتلت أمير المؤمنين، فقال لها اللعين: إنّما قتلت أباك ولم أقتل أمير المؤمنين، فقالت له: أرجو من الله أن يشفيه وإنّ الله يخزيك في الدنيا، وإنّ مصيرك إلى النّار خالداً فيها، فقال لها ابن ملجم (لعنه الله): ابكِ إن كنت باكية، فوالله لقد اشتريت سيفي بألف، وسمّمته بألف، ولو كانت ضربتي هذه بجميع أهل الأرض ما نجا منهم أحد.

قال محمّد بن الحنفيّة: وبتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السمّ إلى بدنه الشريف، وكان يصلّي تلك الليلة من جلوس، ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزّينا عن نفسه، فلمّا أصبح استأذن النّاس عليه، فأذن لهم، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلّمون عليه، وهو يردّ عليهم السلام، ثمّ قال: أيّها النّاس، سلوني قبل أن تفقدوني، وخفّفوا سؤالكم لمصيبة إمامكم

قال: فبكى النّاس عند ذلك بكاءً شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه، فقام إليه حجر بن عديّ الطائي، فلمّا نظر إليه قال: كيف يا حجر إذا دعيت إلى البراءة منّي، فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطّعت إرباً إرباً، وأُضرم لي النيران وأُلقيت فيها لآثرت على

البراءة منك، صلّى الله عليك، فقال عليه السلام: وُفِّقت لكلّ خير يا حجر، وجزاك الله عن بيت نبيّك خيراً، ثمّ تناول عليه السلام شربة من لبن فشربها وقال: هذا آخر شرابي من الدنيا.

ولمّا كان ليلة إحدى وعشرين جمع عليه السلام أولاده وأهل بيته، ثمّ قال: الله خليفتي عليكم، وهو حسبي ونِعم الوكيل، وأمرهم وأوصاهم بجميع الأحكام التي وصّاه بها رسول الله صلى الله عليه وآله - قال: - ونحن ننظر إلى يديه ورجليه وقد احمرّتا جميعاً، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه، ثمّ عرضنا عليه المأكول فأبى، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده، فقلت له: يا أبتِ، أراك تمسح جبينك؟

قال: يا بنيّ، إنّ المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه، وسكن أنينه، ثمّ نادى أولاده كلّهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً، واحداً واحداً وهو يقول: الله خليفتي عليكم، وهم يبكون، فقال له الحسن عليه السلام: بالله يا أبتِ ما دعاك إلى هذا؟

فقال: إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة، فشكوت ما أنا فيه من التكدّر والأذى من هذه الأمّة، فقال: ادع الله عليهم، فقلت: اللّهمّ أبدلهم بي شرّاً منّي، وأبدلني بهم خيراً منهم، فقال صلوات الله عليه: قد استجاب الله دعاك، وإنّ الله سينقلك إلينا بعد ثلاثة أيّام، وقد مضت الثلاثة. يا أبا محمّد، أُوصيك بأبي عبد الله خيراً، فأنتما منّي وأنا منكما.

ثمّ التفت إلى أولاده من غير فاطمة وأوصى بهم وأوصاهم بأن لا يخالفوا أولاد فاطمة - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - ثمّ قال عليه السلام: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنّي منصرف عنكم وراحلٌ في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله كما وعدني، فإذا أنا متّ فغسّلني يا أبا محمّد، وكفّني، وحنّطني ببقيّة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله جدّك، فإنّه من كافور الجنّة، جاء به جبرئيل، ثمّ ضعني على سريري، ولا يحمل أحد منكم مقدّم السرير واحملوا مؤخّره، فحيث وضع السرير فهو موضع قبري، ثمّ صلِّ عليَّ يا أبا محمّد سبعاً، واعلم أنّه لا يجوز ذلك لأحد غيري إلاّ على رجل يخرج آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، فإذا صلّيت عليَّ يا أبا محمّد فنحِّ السرير عن موضعه، ثمّ اكشف التراب عنه، فترى قبراً محفوراً ولحداً مشقوقاً، وساحة منقورة، فأضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فتفقّدني فإنّك لا تجدني، فإنّي لاحق بجدّك رسول الله صلى الله عليه وآله، واعلم أنّه ما من نبيّ يموت وإن كان بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلاّ ويجمع الله تعالى بين روحيهما وجسديهما، ثمّ يفترقان، فيرجع كلّ واحد منهما إلى الموضع الذي خطّ له فيه، ثمّ أهِل التراب على القبر، وأخفِ موضع القبر، فإذا صار الصبح فضع تابوتاً على ناقة وامر قائداً يقودها إلى جانب المدينة حتى لا يدري النّاس أين دفنت».

وفي بعض الروايات المعتبرة عن الصادق عليه السلام: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر ابنه الحسن عليه السلام أن يحفر له أربع قبور في أربع مواضع: في المسجد، وفي الغري، وفي الرحبة، وفي دار جعدة بن هبيرة، وإنّما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه بموضع قبره.

ثمّ قال: يا أبا محمّد ويا أبا عبد الله، كأنّي بكما وقد خرجت عليكما الفتن من بعدي من هٰهنا ومن هٰهنا، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

ثمّ قال عليه السلام: يا أبا عبد الله، أنت شهيد هذه الأمّة، فعليك بتقوى الله، والصبر على بلائه، ثمّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم وقال: أستودعكم الله، سدّدكم الله، حفظكم الله، الله خليفتي عليكم، وكفى به خليفة.

ثمّ قال: وعليكم يا رسل ربّي السلام، ثمّ قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، ثمّ استقبل القبلة، وغمّض عينيه، ومدّ يديه، وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، واشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، ثمّ قضى نحبه صلوات الله عليه».

الفصل الرابع

في بيان غسله وكفنه ودفنه، والوقائع التي حدثت بعد شهادته صلوات الله عليه

قد ورد في جملة من الأخبار المعتبرة بأنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت أسبوعاً كما أوحى الله إليه، ثمّ نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم، فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف، ثمّ ورد إلى باب الكوفة وسط مسجدها، فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغريّ، ثمّ حفر لنفسه قبراً وعمل صندوقاً لأمير المؤمنين ما بين صدره ومفرق رأسه ممّا يلي القبلة.

وروى السيّد ابن طاووس رحمه الله في (فرحة الغريّ) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام: غسّلاني وكفّناني وحنّطاني واحملاني على سريري، واحملا مؤخّره تكفيان مقدّمه».

وفي رواية الكليني عن الصادق عليه السلام: «ولمّا غسّل أمير المؤمنين عليه السلام نودوا من جانب البيت: إن أخذتم مؤخّره كفيتم مقدّمه - رجعنا إلى تمام الحديث - فإنّكما تنتهيان إلى قبر محفور، ولحد ملحود، ولبن محفوظ، فألحداني وأشرجا عليَّ اللبن، وارفعا لبنة ممّا عند رأسي فانظرا ما تسمعان، فأخذا اللبنة من عند الرأس بعدما أشرجا عليه اللبن، فإذا ليس بالقبر شيء، وإذا هاتف يهتف: أمير المؤمنين كان عبداً صالحاً فألحقه الله بنبيّه، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء، حتى لو أنّ نبيّاً مات في المشرق ومات وصيّه في المغرب ألحق الله الوصيّ بالنبيّ».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام، قالت: «آخر عهد أبي إلى أخويّ عليهما السلام أن قال: يا بنيّ، إذا أنا متّ فغسّلاني ثمّ نشّفاني بالبردة التي نشّفتم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة، ثمّ حنّطاني وسجّياني على سريري، ثمّ انظرا حتى إذا ارتفع لكما مقدّم السرير فاحملا مؤخّره.

قالت: فخرجت أُشيّع جنازة أبي حتى إذا كنّا بظهر الكوفة وقدمنا بظهر الغريّ ركن المقدّم، فوضعا المؤخّر، ثمّ برز الحسن عليه السلام بالبردة التي نشّف بها رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة وأمير المؤمنين، ثمّ أخذ المعول فضرب ضربة فانشقّ القبر عن ضريح، فإذا هو بساجة مكتوب عليها

سطران بالسريانيّة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبر حفره نوح النبيّ عليه السلام لعليّ وصيّ محمّد قبل الطوفان بسبعمائة عام.

قالت أمّ كلثوم: فانشقّ القبر فلا أدري اندسّ سيّدي في الأرض أم أُسري به إلى السماء؛ إذ سمعت ناطقاً لنا بالتعزية: أحسن الله لكم العزاء في سيّدكم وحجّة الله على خلقه».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن أحمد بن خبّاب، قال: «نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى ظهر الكوفة فقال: ما أحسن منظرك، وأطيب قعرك، اللّهمّ اجعل قبري بها.

وروي أيضاً بإسناد معتبر، قال: «لمّا ضرب ابن ملجم (لعنه الله) أمير المؤمنين عليه السلام قال له الحسن عليه السلام: أقتله؟، قال: لا، ولكن احبسه، فإذا متُّ فاقتلوه، فإذا متُّ فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخوَي هود وصالح».

وفي رواية أخرى أنّه عليه السلام قال: «ادفنوني في قبر أخي هود».

وروي أيضاً بإسناد موثّق عن أبي بصير، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ النّاس قد اختلفوا فيه، قال:

إنّ أمير المؤمنين دفن مع أبيه نوح عليه السلام في قبره، قلت: جعلت فداك، مَن تولّى دفنه؟ قال: رسول الله مع الكرام الكاتبين بالروح والريحان».

وروى السيّد ابن طاووس والشيخ المفيد بأسانيد معتبرة عن مولى لعليّ عليه السلام، قال: «لمّا حضرت أمير المؤمنين الوفاة قال للحسن والحسين عليهما السلام: إذا أنا متُّ فاحملاني على سريري، ثمّ أخرجاني واحملا مؤخّر السرير، فإنّكما تكفيان مقدّمه، ثمّ أتيا بي الغريّين، فإنّكما ستريان صخرة بيضاء فاحتفرا فيها، فإنّكما ستجدان فيها ساجة، فادفناني فيها.

قال: فلمّا مات عليه السلام أخرجناه وجعلنا نحمل مؤخّر السرير ونكفى مقدّمه، وجعلنا نسمع دويّاً وحفيفاً حتى أتينا الغريّين، فإذا صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها: هذا ما ادّخره نوح لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدفنّاه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله تعالى لأمير المؤممين، فلحقنا قوم من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه، فأخبرناهم بما جرى وبإكرام الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا: نحبّ أن نعاين من أمره ما عاينتم، فقلنا لهم: إنّ الموضع قد عفي أثره بوصيّة منه عليه السلام، فمضوا وعادوا إلينا وقالوا: إنّهم احتفروا فلم يروا شيئاً.

وروي في (فرحة الغريّ) بإسناد معتبر عن عبد الرحيم القصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:

مدفون في قبر نوح، قال: قلت: ومَن نوح؟ قال: نوح النبيّ عليه السلام، قلت: كيف صار

هكذا. فقال: إنّ أمير المؤمنين صدّيق هيّأ الله له مضجعه في مضجع صدّيق. يا عبد الرحيم، إنّ رسول الله ﷺ أخبرنا بموته وبموضع دفن فيه، فأنزل الله تعالى حنوطاً من عنده مع حنوط أخيه رسول الله ﷺ وأخبره أنّ الملائكة تنشر له قبره، فلمّا قبض عليه السلام كان فيما أوصى به ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام أن قال لهما: إذا متُّ فغسّلاني وحنّطاني واحملاني بالليل سرّاً، واحملا يا بَنيَّ مؤخّر السرير واتّبعا مقدّمه، فإذا وضع فضعا، وادفناني في القبر الذي يوضع السرير عليه، وادفناني مع من يعينكما على دفني في الليل وسوّيا».

بيان: يعني من يعينكما من الملائكة، والمراد بالتسوية أن لا يعلم موضع قبره.

وروى عن الثمالي، عن الباقر عليه السلام، قال: «كان في وصيّة أمير المؤمنين: أن أخرجوني إلى الظهر، فإذا تصوّبت[1] أقدامكم فاستقبلتكم ريح فادفنوني، وهو أوّل طور سيناء، ففعلوا ذلك».

وروى أيضاً بإسناد معبر عن الباقر عليه السلام، قال: «دفن أمير المؤمنين بناحية الغريّين ودفن قبل طلوع الفجر، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمّد بنو عليّ وعبد الله بن جعفر».

وروى أيضاً بإسناد معبَر، قال: «خرج به الحسن والحسين عليهما السلام وابن الحنفيّة وعبد الله بن جعفر في عدّة من أهل بيته، ودفن ليلاً في ذلك الظهر، ظهر الكوفة، وسوّوا قبره مخافة الخوارج وغيرهم».

وفي (إرشاد المفيد): «ولم يزل قبره مخفيّاً حتى دلّ عليه جعفر بن محمّد عليهما السلام في أيّام الدولة العبّاسيّة، وقد خرج هارون الرشيد يوماً يصيد وأرسل الصقور والكلاب على الظباء بجانب الغريّين، فجاولتها ساعة ثمّ لجأت الظباء إلى الأكمة، فرجع الكلاب والصقور عنها، فسقطت في ناحية، ثمّ هبطت الظباء من الأكمة، فهبطت الصقور والكلاب ترجع إليها، فتراجعت الظباء إلى الأكمة، فانصرفت عنها الصقور والكلاب، ففعلن ذلك ثلاثاً، فتعجّب هارون الرشيد وسأل شيخاً من بني أسد: ما هذه الأكمة؟ فقال: لي الأمان؟

قال: نعم، قال: فيها قبر الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فتوضّأ هارون فصلّى ودعا، ثمّ أظهر الصادق عليه السلام موضع قبره بتلك الأكمة».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب)، قال: «أوصى عليّ عليه السلام عند موته الحسن والحسين عليهما السلام، فقال لهما: إن أنا متُّ فإنّكما ستجدان عند رأسي حنوطاً من الجنّة وثلاثة أكفان من استبرق الجنّة، فغسّلوني وحنّطوني بالحنوط، وكفّنوني.

---

(١) تصوبت: أي نزلت ورسبت في الأرض.

قال الحسن عليه السلام: فوجدنا عند رأسه طبقاً من الذهب عليه خمس شمامات من كافور الجنّة وسدراً من سدر الجنّة، فلمّا فرغوا من غسله وتكفينه أتى البعير فحملوه على البعير بوصيّة منه، وكان عليه السلام قال: فسيأتي البعير إلى قبري فيقيم عنده، فأتى البعير حتى وقف على شفير القبر، فوالله ما أعلم أحد حفره، فألحد فيه بعدما صلّى عليه، وأظلّت النّاس من غمامة بيضاء وطيور بيض، فلمّا دفن ذهبت الغمامة والطيور».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) أيضاً عن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في وصيّته للحسنين عليهما السلام:

«أوصيكما وصيّةً فلا تظهرا على أمري أحداً، فأمرهما أن يستخرجا من الزاوية اليمنى لوحاً وأن يكفّناه فيما يجدان، فإذا غسّلاه وضعاه على ذلك اللوح، وإذا وجدا السرير يشال مقدّمه يشيلان مؤخّره، وأن يصلّي الحسن مرّة والحسين عليهما السلام مرّة، ففعلا كما رسم، فوجدا اللوح وعليه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ادّخره نوح النبيّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وأصابا الكفن في دهليز الدار موضوعاً فيه حنوط قد أضاء نوره على نور النهار».

وروى أنّه قال الحسين عليه السلام وقت الغسل: «أما ترى إلى خفّة أمير المؤمنين عليه السلام؟، فقال الحسن عليه السلام: يا أبا عبد الله، إنّ معنا قوماً يعينونا، فلمّا قضينا صلاة العشاء الآخرة إذ قد أشيل مقدّم السرير ولم نزل نتّبعه إلى أن وردنا إلى الغريّ فأتينا إلى قبر على ما وصف أمير المؤمنين عليه السلام ونحن نسمع خفق أجنحة كثيرة وضجّة وجلبة، فوضعنا السرير وصلّينا على أمير المؤمنين عليه السلام كما وصف لنا، ونزلنا قبره فأضجعناه في لحده ونضدنا عليه اللبن».

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «الاعتماد على الروايات السابقة، وإنّما أوردنا هذه الروايات لاشتمالها على بعض المعجزات».

وروى الشيخ الطوسي وغيره بأسانيد معتبرة عن ابن مسكان أنّه: سئل الصادق عليه السلام عن القائم المائل في طريق الغريّ، فقال:

«نعم، إنّهم لمّا جاءوا بسرير أمير المؤمنين عليه السلام انحنى أسفاً وحزناً على أمير المؤمنين».

وروي في بعض الكتب القديمة أنّه: «لمّا قبض الله روح أمير المؤمنين عليه السلام ارتفع البكاء والنحيب من بيته عليه السلام، فخرج النساء والرجال من أمكنتهم متوجّهين إلى بيته عليه السلام، وارتفع النوح والبكاء من جميع بيوت الكوفة، وصار ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولمّا صار الليل تغيّرت آفاق السماء، وارتجّت الأرض، وسمع النّاس تسبيحاً وتقديساً في الهواء، وعلموا أنّه أصوات الملائكة، وسمع النّاس الجنّ يبكون وينوحون ويرثونه عليه السلام.

قال محمّد بن الحنفيّة: لمّا توجّه أخواي الحسن والحسين عليهما السلام لغسل أبي عليه السلام، وكان الحسن عليه السلام يغسّله، والحسين يصبّ له الماء لم يحتاجا إلى أحد يقلّب جسده، بل كان عليه السلام كلّما غسلوا طرفاً منه انقلب على الطرف الآخر بنفسه، وكان لجسده رائحة أطيب من المسك والعنبر، فلمّا فرغا من الغسل قال الحسن عليه السلام لأخته زينب: يا أُخيّة: ناوليني فضل حنوط جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، فأتته بالحنوط، فوضع عليه عليه السلام فانتشرت منه رائحة طيّبة دخلت جميع بيوت الكوفة، ثمّ كفّن في خمسة أثواب ووضع على السرير، فكان مقدّم السرير بيد جبرئيل وميكائيل، ومؤخّره بيد الحسن والحسين عليهما السلام.

قال محمّد بن الحنفيّة: وكنت أرى جنازة أبي على هذه الهيئة، وأراد بعض النّاس أن يتبعوا الجنازة فردّهم الحسن، وكان الحسين يبكي ويقول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون. يا أبتِ، قد كسرت ظهري، وإنّما أشكو إلى الله ما نزل بي، فلمّا قرب السرير من القبر هبط السرير إلى الأرض فتقدّم الحسن وصلّى جماعة وكبّر سبع تكبيرات، فلمّا فرغ من الصلاة رفعوا السرير وحفروا في التراب، فخرج قبر معمول ولحد ملحود، وفي أسفل القبر ساجة مكتوب عليها: هذا ما ادّخره نوح النبيّ لأمير المؤمنين وقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب».

وفي كتاب (مشارق الأنوار) عن الحسن عليه السلام: «إنّ أمير المؤمنين قال للحسن والحسين عليهما السلام: إذا وضعتماني في قبري فقبل أن تهيلا عليَّ التراب صلّيا ركعتين، ثمّ انظرا في قبري، فلمّا فعلا ذلك ونظرا في القبر وإذا بقطيفة من سندس قد ألقيت على القبر، فرفع الحسن عليه السلام طرفاً منها من عند رأسه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وآدم وإبراهيم يتكلّمون مع أمير المؤمنين، ثمّ رفع الطرف الآخر ممّا يلي الرجلين فرأى فاطمة وحوّاء ومريم وآسية ينوحون عليه.

قال الراوي الأوّل: ولمّا دفن أمير المؤمنين عليه السلام جاء صعصعة بن صوحان العبدي فوقف على قبره كئيباً حزيناً، وأخذ قبضة من تراب ونثرها على رأسه، ثمّ قال: فداك أبي وأمّي يا أمير المؤمنين، وهنيئاً لك ما أكرمك الله به، فقد كنت طيّب المولد، قويّ الصبر، عظيم الجهاد، وقد وصلت إلى ما أمّلت، وتاجرت الله تجارة رابحة، ومضيت إلى ربّك، فاستقبلك الله بالبشرى، واجتمع حولك الملائكة، وسكنت في جوار المصطفى صلى الله عليه وآله، فأكرمك الله بجواره، وألحقك بدرجة نبيّه، وسقاك من الكأس الأوفى، فاسأل الله الذي منّ علينا بأن وفّقنا لمتابعتك، والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك أن يحشرنا معك، فقد وصلت إلى مرتبة لم يصلها أحد غيرك، ووجدت منزلة لم يجدها غيرك، وجاهدت في الله أمام النبيّ صلى الله عليه وآله حقّ الجهاد، وقمت بدين الله حقّ القيام، أزلت الشبهة، وأطفأت الفتن، واستقام

بك الإسلام، وانتظم بك الإيمان، فعليك منّا أفضل الصلاة والسلام، قوي بك المؤمنون، واتّضح بك الإيمان، وجمعت مناقب لم تجمع لغيرك.

أجبت النبيّ إلى الإسلام قبل كلّ أحد، واخترت متابعته ﷺ على كلّ شيء، وسارعت إلى نصرته، وفديته بروحك، وجرّدت سيفك ذا الفقار لنصرته، فانكسر بك كلّ جبّار عنيد، وذلّ بك كلّ طالح شرّير شديد، وانقلع بك الشرك والكفر والعدوان، وهلك بك أهل الضلالة والطغيان.

فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين ما حباك الله به من هذه المناقب والفضائل، كنت أقرب النّاس إلى رسول الله ﷺ، وأقدمهم إسلاماً، وأعظمهم فهماً وعلماً، وأكملهم يقيناً، وأثبتهم جناناً، وأكثرهم سوابق، فلا حرمنا الله أجرك، فقد كنت لنا مفتاحاً للخير، وسددت عنّا باب الشرك، وفتحت لنا بوفاتك أبواب الشرّ، وانسدّت عنّا أبواب الخير، فلو سمع النّاس قولك لأكلوا من فوقهم ومن تحتهم، ولكنّهم اختاروا على الآخرة الدنيا، ثمّ بكى كثيراً وأبكى مَن كان حاضراً، ثمّ التفت إلى الحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد وجعفر والعبّاس ويحيى وعون وعبد الله وسائر أولاده عليهم السلام وعزّاهم ورجع إلى الكوفة، فلمّا طلع الصبح أخرج الحسن عليه السلام تابوتاً من الدار وصلّى عليه خارج الكوفة وحمل التابوت على جمل ووجّهه إلى المدينة المشرفة، فعل ذلك مصلحة».

وروى الصدوق والقطب الراوندي بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «سأل هشام بن عبد الملك أبي عليه السلام فقال: أخبرني عن الليلة التي قُتل فيها عليّ بن أبي طالب عليه السلام بما استدلّ النائي عن المصر الذي قُتل فيه عليّ، وما كانت العلامة فيه للناس، وأخبرني هل كانت لغيره في قتله عبرة؟ فقال له أبي عليه السلام:

إنّه لما كانت الليلة التي قُتل فيها عليّ عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دمٌ عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت الليلة التي فقد فيها هارون أخو موسى عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت الليلة التي قُتل فيها يوشع بن نون، وكذلك كانت الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم، وكذلك الليلة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) عن ابن عبّاس، قال: «قال رسول الله ﷺ: إنّ السماء والأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً، وإنّها لتبكي على العالم إذا مات أربعين شهراً، وإنّ السماء والأرض ليبكيان على الرسول أربعين سنة، وإنّ السماء والأرض ليبكيان عليك يا عليّ إذا قتلت أربعين سنة.

قال ابن عبّاس: لقد قُتل أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة، فأمطرت السماء ثلاثة أيّام دماً».

وعن سعيد بن المسيّب: «إنّه لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط».

وروي في (المناقب) عن كتب المخالفين: «إنّه سأل عبد الملك بن مروان الزهري: ما كانت علامة يوم قتل عليّ؟ قال: ما رفع حصاة من بيت المقدس إلاّ كان تحتها دم عبيط، ولمّا توفّي عليه السلام سُمع في داره: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية [فصلت: ٤٠]، ثمّ هتف آخر: مات رسول الله، ومات أبوكم».

وروي أيضاً عن كتاب (أخبار الطالبيّين): أنّ الروم أسروا قوماً من المسلمين فأُتي بهم إلى الملك، فعرض عليهم الكفر، فأبوا، فأمر بإلقائهم في الزيت المغليّ، وأطلق منهم رجلاً يخبر بحالهم، فبينما هو يسير إذ سمع وقع حوافر الخيل، فوقف فنظر إلى أصحابه الذين أُلقوا في الزيت، فقال لهم في ذلك، فقالوا: قد كان ذلك، فنادى منادٍ من السماء في شهداء البرّ والبحر أنّ عليّ بن أبي طالب قد استشهد في هذه الليلة، فصلّوا عليه، فصلّينا عليه ونحن راجعون إلى مصارعنا.

وروى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن ابن عبّاس عليه السلام، قال: لمّا توفي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بالكوفة وقد قعد على المسجد عقيباً ووضع فرقه على ركبته، وأسند يده تحت خدّه، وقال: يا أيّها النّاس إنّي قائل فاسمعوا، من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا مات أمير المؤممين عليّ بن أبي طالب وأخرج من الدنيا ظهرت في الدنيا خصال لا خير فيها، فقلت: وما هي يا رسول الله؟ فقال: تقلّ الأمانة، وتكثر الخيانة حتى يركب الرجل الفاحشة وأصحابه يـرون إليه، والله لتضايق الدنيا بعده بنكبة، ألا وإنَّ الأرض لم تخل منّي ما دام عليّ بن أبي طالب حيّاً في الدنيا بقيّة من بعدي، عليّ في الدنيا عوض منّي بعدي، عليّ كجلدي، عليّ لحمي، عليّ عظمي، عليّ كدمي، عليّ عروقي، عليّ أخي ووصيّي في أهلي، وخليفتي في قومي، ومنجز عداتي، وقاضي ديني، قد صحبني عليّ في ملمّات أمري، وقاتل معي أحزاب الكفّار، وشاهدني في الوحي، وأكل معي طعام الأبرار، وصافحه جبرئيل مراراً نهاراً جهاراً، وشهد جبرئيل وأشهدني في الوحي، وأنّ عليّاً من الطيّبين الأخيار، وأنا أشهدكم معاشر النّاس لا يتساءلون من علم أمركم ما دام عليّ فيكم، فإذا فقدتموه فعند ذلك تقوم الآية: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]».

وروى الكليني والصدوق وغيرهما عن أُسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «لمّا كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتجّ الموضع بالبكاء ودهش النّاس كيوم قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله، وجاء رجل وهو الخضر باكياً وهو مسرع مسترجع، وهو يقول: اليوم

انقطعت خلافة النبوّة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم على رسول الله، وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً.

قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا ولزمت منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله إذ همّ أصحابه، كنت خليفته حقّاً، لم تنازع ولم تتضرّع برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، وضغن الفاسقين، فقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتّبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قنوتاً، وأقلّهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأكبرهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأشدّهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالدين، كنت والله يعسوباً للدين أوّلاً وآخراً، الأوّل حين تفرّق النّاس، والآخر حين فشلوا.

كنت للمؤمنين أباً رحيماً، إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمّرت إذا اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنت للكافرين عذاباً صبّاً ونهباً، وللمؤمنين عموداً وحصناً، فطرت والله بنعمائها، وحزت بحبائها، وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها، لم تفلل حجّتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، ولم تخن.

كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف، وكنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ضعيفاً في بدنك، قويّاً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً عن المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا لأحدٍ فيك مطمع، ولا لأحدٍ عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قويّ عزيز حتى تأخذ له بحقّه، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحقّ؛ والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحقّ والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم، ورأيك علم وعزم فيما فعلت، وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفأت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وثبت بك الإسلام والمسلمون، وسبقت سبقاً بعيداً، وأتعبت مَن بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدّت مصيبتك الأنام.

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، وسلّمنا لله أمره، فوالله لن يصاب

المسلمون بمثلك أبداً، كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً، وعلى الكافرين غلظة وغيظاً، فألحقك الله بنبيّه، ولا أحرمنا أجرك، ولا أضلّنا بعدك، وسكت القوم حتى انقضى كلامه، وبكى وبكى أصحاب رسول الله، ثمّ طلبوه فلم يصادفوه».

وفي روايات معتبرة: «إنّه لمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام رقى الحسن عليه السلام المنبر وخطب النّاس خطبة بليغة قال فيها:

أيّها النّاس، قد فارقكم رجل لم يسبقه أحد كان قبله.

وفي رواية الصدوق في (الأمالي): أنّه عليه السلام قال في خطبته: أيّها النّاس، في هذه الليلة قُتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين، والله لا يسبق أبي أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنّة، ولا يكون بعده، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبعثه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم فضلت من عطائه كان يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله.

وفي رواية أخرى لأمّ كلثوم: ثم قال: إنّ أهل المشرق والمغرب لمصابون في فقده، واسأل الله أن يأجرني في مصيبتي به، ثمّ أخذته الرقّة وبكى ولم يتمالك الكلام، وضجّ أهل المسجد بالبكاء، ثمّ قال: من عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله، أنا ابن السراج المنير، انا ابن من أُرسل رحمة للعالمين، أنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت أوجب مودّتهم حيث قال: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣]، والحسنة هي مودّتنا أهل البيت.

ثمّ قال: أخبرني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يكون بعده اثنا عشر إماماً من أهل بيته كلّهم مقتول أو مسموم، ثمّ نزل عن المنبر وبايعه النّاس ولم يفوا ببيعتهم وغدروا به».

الفصل الخامس

في بيان أحوال قاتله ابن ملجم (لعنه الله)

قد روي في أحاديث معتبرة عن الباقر والصادق عليهما السلام، قالا: «إنّ عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغيّ، وإنّ قاتل عليّ عليه السلام ابن بغيّ، وكانت مراد تقول: ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً، وإنّ قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام ابن بغيّ، وإنّه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلاّ أولاد البغايا».

وروى الحميري في (قرب الإسناد) بإسناد معتبر عن أبي البختري عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، قال: «إنّ الحسن عليه السلام قدّم ابن ملجم (لعنه الله) فضرب عنقه بيده، فقال لعنه الله: قد عاهدت الله عهداً أن أقتل أباك، فقد وفيت، فإن شئت فاقتل، وإن شئت فاعف، فإن عفوت ذهبت إلى معاوية فقتلته وأرحتك منه ثمّ جئتك، فقال عليه السلام: لا حتى أعجلك إلى النّار، فقدّمه فضرب عنقه».

وفي (فرحة الغريّ): «إنّه لما جيء بابن ملجم (لعنه الله) إلى الحسن عليه السلام قال له: إنّي أريد أن أُسارّك بكلمة، فأبى الحسن وقال: إنّه يريد أن يعضّ أُذني، فقال ابن ملجم: والله لو أمكنني منها لأخذتها من صماخه».

وفي بعض الكتب القديمة: «إنّه لمّا دفن أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الليلة وطلع الصبح، قالت أمّ كلثوم رضي الله عنها للحسن: بالله إلاّ ما عجّلت بقتل قاتل أبي ولا يبقى حيّاً ساعة في الدنيا، فخرج الحسن من داره وجمع أقرباءه وأصحابه واستشارهم في كيفيّة قتل ابن ملجم (لعنه الله)، فقال عبد الله بن جعفر: ينبغي أن تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويقتل بعد ذلك.

وقال محمّد بن الحنفيّة: ينبغي أن يجعل منتضلاً للسهام والنبل ويحرق بعد ذلك.

وقال آخر: ينبغي أن يسحب حيّاً حتى يموت، فقال الحسن عليه السلام: أنا ممتثل في حقّه أمر أبي أن أضربه بالسيف ضربة وأحرق بدنه بالنّار، ثمّ أمر عليه السلام أن يحضر مشدود اليدين، فقال له: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، وأفسدت الدين، ثمّ ضربه بالسيف وعجّل الله بروحه إلى النّار».

وفي رواية أخرى: «أنّه لمّا ضرب عنقه، استوهبت أمّ الهيثم بنت الأسود النخعيّة جثّته منه لتتولّى إحراقها، فوهبها لها، فأحرقتها بالنّار».

وفي (كشف الغمّة): «إنّه لمّا ضرب عليّ تحامل وصلّى بالنّاس الغداة، وقال: علَيَّ

بالرجل، فأدخل عليه، فقال: أي عدوّ الله، ألم أحسن إليك؟ قال: بلى، قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه.

قال عليّ عليه السلام: فلا أراك إلاّ مقتولاً به، وما أراك إلاّ من شرّ خلق الله عزّ وجلّ، قال: ودعا عليّ عليه السلام حسناً وقال: إذا متُّ فاستقصّ منه بسيفه».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج)، وعليّ بن عيسى الإربلي في (كشف الغمّة) عن الحسن بن محمّد المعروف بابن الرقا، قال: «سمعته يقول: كنت بالمسجد الحرام فرأيت النّاس مجتمعين حول مقام إبراهيم، فقلت: ما هذا؟

قالوا: راهب أسلم، فأشرفت عليه، فإذا بشيخ كبير عليه جبّة صوف وقلنسوة صوف، عظيم الخلقة، وهو قاعد بحذاء مقام إبراهيم عليه السلام، فسمعته يقول: كنت قاعداً في صومعة فأشرفت منها وإذا بطائر كالنسر قد سقط على صخرة على شاطئ البحر، فتقيّأ فرمى ربع إنسان، ثمّ طار فتفقّدته فعاد فتقيّأ فرمى ربع إنسان، ثمّ طار فجاء فتقيّأ فرمى ربع إنسان إلى أن فعل ذلك أربع مرّات، ثمّ طار فدنت الأرباع، فقام رجلاً فهو قائم، وأنا أتعجّب منه، ثمّ انحدر الطير وأخذ ربعاً منه وطار، ثمّ عاد حتى فعل ذلك أربع مرّات، فبقيت أتفكّر وتحسّرت ألاّ أكون لحقته وسألته من هو، فبقيت أتفقّد الصخرة حتى رأيت الطير قد أقبل فتقيّأ ربع إنسان، فقمت بإزائه، فلم أزل حتى تقيّأ بالربع الرابع، ثمّ طار، فالتئم رجلاً، فقام قائماً.

فدنوت منه فسألته، فقلت: من أنت؟ فسكت عنّي، فقلت: بحقّ من خلقك من أنت؟ قال: أنا ابن ملجم، قلت له: وأيّ شيء عملت؟ قال: قتلت عليّ بن أبي طالب فوكّل بي هذا الطير يقتلني كلّ يوم قتلة، فبينا هو يخبرني إذا انقضّ الطائر فأخذ ربعه، وطار، فسألته: مَن عليّ؟ فقال: هو ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسلمت».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب): «إنّه لمّا أُلقي عظام اللعين ابن ملجم في حفرة لم يزل جماعة من أهل الكوفة يسمعون العواء من قبره».

وفي بعض الكتب المعتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عرج بي إلى السماء رأيت صورة عليّ عليه السلام في السماء الخامسة، فقلت: حبيبي جبرئيل، ما هذه الصورة؟ فقال: يا محمّد، إنّ الملائكة اشتهت النظر إلى صورة عليّ عليه السلام، فقالوا: إلهنا وسيّدنا، إنّ بني آدم يتمتّعون صباحاً ومساءً بالنظر إلى عليّ بن أبي طالب حبيب حبيبك محمّد المصطفى وخليفته ووصيّه وأمينه، فمتّعنا بالنظر إلى صورته، فخلق الله سبحانه وتعالى من نوره لهم صورة عليّ عليه السلام وجعلوا يزورونها صباحاً ومساءً، ويتمتّعون بالنظر إليها.

ثمّ قال الصادق عليه السلام: ولمّا ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين ارتسمت تلك الضربة في تلك

الصورة، وجعلت الملائكة كلّما أتوا لزيارته وشاهدوا موضع تلك الضربة لعنوا ابن ملجم قاتله، ولمّا استشهد الحسين عليه السلام نزلت الملائكة ورفعوا جسده إلى السماء وجعلوه بإزاء صورة أمير المؤمنين، ثمّ كلّما أتت الملائكة للنظر إلى صورة أمير المؤمنين وزيارته ونظروا إلى الحسين متلطّخاً بدمائه لعنوا يزيد وابن زياد وسائر قتلة الحسين، وهذا حالهم إلى يوم القيامة.

قال الراوي: ثمّ قال الصادق عليه السلام: هذا من العلم المخزون، فلا تحدّث به إلاّ أهله».

الباب الرابع

في بيان أحوال ثاني أئمة الهدى،
وقرّة عين المصطفى، وثمرة فؤاد المرتضى

الحسن المجتبى
عليه آلاف التحية والسلام

وهو يشتمل على فصول

الفصل الأوّل

في بيان ولادته عليه السلام

قد ذكر أكثر علمائنا رحمهم الله، ومنهم الشيخ المفيد والشيخ الطوسي: «إنّ ولادته عليه السلام كانت في ليلة الثلاثاء في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلاث بعد الهجرة».

وقال بعضهم: «في السنة الثانية بعد الهجرة»، واسمه الحسن، وفي التوراة شبر، وهو اسم عبري بمعنى الحسن، كان اسماً لأكبر ولد هارون، وكنيته أبو محمّد، وذكر بعضهم أيضاً أبو القاسم، وألقابه على ما ورد في الآثار: السيّد، والسبط، والأمين، والحجّة، والبرّ، والتقيّ، والأثير، والمجتبى، والزكيّ، والزاهد.

وروى الصدوق في (العلل) و(الأمالي) بأسانيد معتبرة عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «لمّا ولدت فاطمة عليها السلام الحسن عليه السلام قالت لعليّ عليه السلام: سمّه.

فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاءه رسول الله فأُخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفّوه في صفراء، ثمّ رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها ثمّ قال لعليّ: هل سمّيته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه، فقال صلى الله عليه وآله: ما كنت لأسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل أنّه قد ولد لمحمّد ابن فاهبط فاقرأه السلام وهنّه وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبرئيل عليه السلام فهنّاه من الله عزّ وجلّ، ثمّ قال: إنّ الله تعالى يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر، قال: لساني عربيّ! قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن.

فلمّا ولد الحسين عليه السلام أوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل أنّه قد ولد لمحمّد ابن، فاهبط إليه وهنّه وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، قال: وما اسمه، قال: شبير، قال: لساني عربيّ! قال: سمّه الحسين، فسمّاه الحسين».

وروى الصدوق في (العيون) بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين، عن أسماء بنت عميس، قالت: «قبّلت جدّتك فاطمة بالحسن والحسين، فلمّا ولد الحسن جاء النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء، هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبيّ وقال: يا أسماء، ألم أعهد إليكم أن لا تلفّوا المولود في خرقة صفراء، فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إليه، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثمّ قال لعليّ عليه السلام: أي شيء سمّيت ابني؟

قال: ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله، قد كنت أحبّ أن أسمّيه حرباً، فقال النبيّ ﷺ: ولا أسبق أنا باسمه ربّي، ثمّ هبط جبرئيل فقال: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرئك السلام ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى، ولا نبيّ بعدك، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون، قال النبيّ ﷺ: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبّر: قال النبيّ: لساني عربيّ! قال جبرئيل: سمّه الحسن؟ قالت أسماء: فسمّاه الحسن.

فلمّا كان يوم سابعه عقّ النبيّ ﷺ عنه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق، ثمّ قال: يا أسماء، الدم فعل الجاهليّة.

قالت أسماء: فلمّا كان بعد حول وُلد الحسين وجاءني النبيّ فقال: يا أسماء، هلمّي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى ووضعه في حجره فبكى، فقالت أسماء: قلت: فداك أبي وأمّي، ممّ بكاؤك؟

قال: على ابني هذا، قلت: إنّه ولد الساعة يا رسول الله.

فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي، ثمّ قال: يا أسماء، لا تخبري فاطمة بهذا فإنّها قريبة عهد بولادته، ثمّ قال لعليّ: أي شيء سمّيت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله، وقد كنت أحبّ أن أسمّيه حرباً.

فقال النبيّ ﷺ: ولا أسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ، ثمّ هبط جبرئيل فقال: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: عليّ منك كهارون من موسى، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون، قال النبيّ ﷺ: ما اسم ابن هارون؟ قال: شبير، قال النبيّ: لساني عربيّ! قال جبرئيل: فسمّه الحسين، فسمّاه الحسين، فلمّا كان يوم سابعه عقّ عنه النبيّ ﷺ بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق، فقال: يا أسماء، الدم فعل الجاهليّة».

وبهذا الإسناد عنه عليه السلام «إنّه سمّي حسناً يوم السابع واشتقّ من اسم الحسن الحسين وذكر إنّه لم يكن بينهما إلاّ الحمل».

وروى العامّة والخاصّة بأسانيد معتبرة عنه ﷺ، قال: «إنّي سمّيت ابنيّ هذين باسم ابني هارون: شبّر وشبير لكرامتهما على الله عزّ وجلّ».

وفي رواية أخرى عنه ﷺ، قال: «أولاد فاطمة حسن وحسين ومحسن سمّيتهم بأسماء أولاد هارون شبر وشبير ومشبر؛ لأنّ عليّاً بمنزلة هارون».

وروى الصدوق في (معاني الأخبار) و(العلل) بإسناد معتبر عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، قال:

«أهدى جبرئيل إلى رسول الله اسم الحسن بن عليّ وخرقة من حرير من ثياب الجنّة».

وفي رواية: إنّ اسمه كان مكتوباً على تلك الخرقة، واشتقّ اسم الحسين من اسم الحسن.

وعن الرضا عليه السلام: «كان نقش خاتم الحسن عليه السلام: (العزّة لله)»، وفي وراية أخرى: «الحمد لله».

وروي في بعض الكتب المعتبرة على ما في (البحار) عن أمّ الفضل زوجة العبّاس أنّها قالت: «قلت: يا رسول الله، رأيت في المنام كأنّ عضواً من أعضائك في حجري.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فتكفليه، فوضعت فاطمة الحسن فدفعه إليها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فرضعته بلبن قثم ابن العبّاس».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن الصادق عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مراضع فاطمة فيتفل في أفواههم ويقول لفاطمة: لا ترضعيهم».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) عن كتب العامّة عن أبي هريرة، قال: «قدّم راهب على قعود له، فقال: دلّوني على منزل فاطمة، قال: فدلّوه عليها، فقال لها: يا بنت رسول الله، أخرجي لي ابنيك، فأخرجت إليه الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يقبّلهما ويبكي ويقول: اسمهما في التوراة شبير وشبر، وفي الإنجيل: طاب وطيّب، ثمّ سأل عن صفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا ذكروه قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله».

بيان: قال الجواهري: القعود من الإبل هو البكر حين يركب أي يمكّن ظهره من الركوب، وأدنى ذلك أن تأتي عليه سنتان إلى أن يثنّى، فإذا أثنى سمّي جملاً.

وحكى في (المناقب) عن جماعة من العامّة منهم عمران بن سلمان وعمرو بن ثابت وأبو الحسين النسّابة: «إنّ الحسن والحسين اسمان من أسامي أهل الجنّة ولم يكونا في الدنيا، وأنّ الله عزّ وجلّ حجب هذين الإسمين عن الخلق حتى يسمّى بهما ابنا فاطمة، وهذا من معجزاتهما عليهما السلام، كما أن اسم محمّد وعلي لم يسمّ بهما قبلهما أبداً، وقد قال الله تعالى في قصّة يحيى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]».

وفي كتاب (عيون المعجزات) للمرتضى رحمه الله، قال: «روي أنّ فاطمة ولدت الحسن والحسين من فخذها الأيسر، وروي أنّ مريم عليها السلام ولدت المسيح من فخذها الأيمن».

وروى الكليني بأسانيد صحيحة عن الصادق عليه السلام، قال: «عقّت فاطمة عن ابنيها في اليوم السابع بكبش، وحلقت رؤوسهما وتصدّقت بوزن الشعر ورقاً».

وفي أحاديث أُخر رواها عن الصادق عليه السلام: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عقّ عنهما بيده بكبشين، وحلق رؤوسهما يوم سابعهما ووزن شعرهما فتصدّق بوزنه فضّة، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عقّ عن

الحسن قال: بسم الله عقيقة عن الحسن، اللّهمّ عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللّهمّ اجعلها وقاءً لمحمّد وآله».

وروى في (الكافي) بإسناد معتبر عن الحسين بن خالد، قال: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التهنئة بالولد متى؟ فقال:

إنّه لما ولد الحسن بن عليّ عليه السلام هبط جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله بالتهنئة في اليوم السابع، وأمره أن يسمّيه، ويكنّيه، ويحلق رأسه، ويعقّ عنه، ويثقب أذنه، وكذلك كان حين ولد الحسين عليه السلام، أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك - وقال: - وكان لهما ذؤابتان في القرن الأيسر، وكان الثقب في الأذن اليمنى في شحمة الأذن وفي اليسرى في أعلى الأذن، فالقرط في اليمنى، والشنف في اليسرى».

وقد روي: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ترك لهما ذؤابتين في وسط الرأس، وهو أصحّ من القرن».

ورووا أيضاً بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام، قال: «لمّا عرج برسول الله صلى الله عليه وآله نزل بالصلاة عشر ركعات، ركعتين ركعتين، فلمّا ولد الحسن والحسين زاد رسول الله سبع ركعات شكراً لله، فأجاز الله له ذلك».

وروي في (كشف الغمّة) مرفوعاً إلى أحمد بن محمّد بن أيّوب المغيري، قال: «كان الحسن بن عليّ عليه السلام أبيض مشرباً حمرة، أدعج العينين، سهل الخدّين، دقيق المسربة[1]، كثّ اللحية[2]، ذا وفرة، فكأنّ عنقه إبريق فضّة، عظيم الكراديس[3]، بعيد ما بين المنكبين، وربعة ليس بالطول ولا القصير، مليحاً، من أحسن النّاس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر، حسن البدن».

وروي عن عليّ عليه السلام، قال: «كان الحسن بن عليّ أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه فيما كان أسفل من ذلك».

---

(١) المسربة: ما دقّ من الشعر وسط الصدر إلى البطن إلى السرَّة.

(٢) كث اللحية: بمعنى أن لحيته قصيرة كثيرة الشعر.

(٣) كراديس: جمع كردوس، وهي رؤوس العظام، وقيل: ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين، أراد به أنه ضخم الأطراف.

الفصل الثاني

في بيان بعض مناقبه وفضائله عليه السلام

روى الصدوق في (الأمالي) بإسناده عن جمع من العامّة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «إذا كان يوم القيامة زيّن عرش ربّ العالمين بكلّ زينة، ثمّ يؤتى بمنبرين من نور طولهما مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش، والآخر عن يسار العرش، ثمّ يؤتى بالحسن والحسين، فيقوم الحسن على أحدهما، والحسين على الآخر يزيّن الربّ تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزيّن المرأة قرطاها».

وروي أيضاً من طرقهم عن ابن أبي نعم، قال: «شهدت ابن عمرو أتاه رجل فسأله عن دم البعوضة، فقال: ممّن أنت؟ قال: من أهل العراق.

قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّهما ريحانتاي من الدنيا، يعني الحسين والحسين عليهما السلام.

وروي المحدّثون من الخاصّة والعامّة بأسانيد متواترة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة».

وفي كثير من تلك الروايات: «وأبوهما خير منهما».

وفي كثير من الروايات والعامّة والخاصّة: «إنّ فاطمة عليها السلام أتت بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله في شكواه التي توفّي فيها، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك فورّثهما شيئاً، فقال: أمّا الحسن فإنّ له هديي وسؤددي، وأمّا الحسين فإنّ له جودي وشجاعتي».

وفي رواية أخرى: «أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي».

وفي (الخصال): «أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد من طرق المخالفين، عن ابن عمر، قال: «كان على الحسن والحسين تعويذان حشوهما من زغب جناح جبرئيل».

وروى الصدوق في (الخصال) وغيره من طرق المخالفين، عن فاطمة عليها السلام: «أنها أتت بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شكواه الذي توفّي فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك فورّثهما شيئاً.

قال: أمّا الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فإنّ له جرأتي وجودي».

وفي رواية أخرى: «سخاوتي وشجاعتي».

وفي (العيون) بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الولد ريحانة، وريحانتاي الحسن والحسين».

وفي (العيون): عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما، وأمّهما أفضل نساء أهل الأرض».

وروى الشيخ في (الأمالي) وغيره من طرق المخالفين عن أبي هريرة، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

وفي كتاب (الكفاية) عن طارق بن شهاب، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام: أنتما إمامان بعقبي، وسيّدا شباب أهل الجنّة، والمعصومان، حفظكما الله، ولعنة الله على من عاداكما».

وروى الشيخ والصدوق والحميري وغيرهم بأسانيد كثيرة: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر الحسن والحسين يوماً أن يتصارعا، وكان رسول الله يقول: إيهاً حسن.

فقالت فاطمة: يا رسول الله، تقول: إيهاً يا حسن وهو أكبر الغلامين؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أقول: إيهاً يا حسن، ويقول جبرئيل: إيهاً يا حسين».

وفي كتاب (كشف الغمّة) من طرق المخالفين: «إنّه كان لآل رسول الله قطيفة يجلس عليها جبرئيل ولا يجلس عليها غيره، وإذا عرج طويت، وكان إذا عرج انتفض فيسقط من زغب ريشه، فيقوم فيتّبعه فيجعله في تمائم الحسن والحسين».

وحكى في كتاب (حلية الأولياء)، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضعاً الحسن على عاتقه، وقال: من احبّني فليحبّه».

وعن أبي هريرة، قال: «ما رأيت الحسن قطّ إلاّ فاضت عيناي دموعاً؛ وذلك أنّه أتى يوماً يشتدّ حتى قعد في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والرسول يفتح فمه، ثمّ يدخل فمه في فمه، ويقول: اللّهمّ إنّي أحبّه وأحبّ من يحبّه، ثلاث مرات».

وروى الصدوق في (العيون) بأسانيد ثلاثة معتبرة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، قال: «إنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا يلعبان عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى مضى عامّة الليلة، ثمّ قال لهما: انصرفا إلى أمّكما، فبرقت برقة فما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمة والنبيّ ينظر إلى البرقة، فقال: الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت».

وروى ابن بابويه في (الأمالي) بإسناد معتبر عن عليّ عليه السلام، قال: «سمعت رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا عليّ لقد أذهلني هذان الغلامان - يعني الحسن والحسين - أن أحبّ بعدهما أحداً أبداً. إنّ ربّي أمرني أن أحبّهما وأحبّ من يحبّهما».

وروي من طرق المخالفين عن عمران بن حصين، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي: يا عمران بن حصين، إنّ لكلّ شيء موقعاً من القلب، وما وقع موقع هذين الغلامين من قلبي شيء قطّ، فقلت: كلّ هذا يا رسول الله؟ قال: يا عمران، وما خفي عليك أكثر. إنّ الله أمرني بحبّهما».

وروي أيضاً عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه، قال: «أمرني رسول الله بحبّ الحسن والحسين، فأحببتهما وأنا أحبّ من يحبّهما لحبّ رسول الله إيّاهما».

وروى أيضاً عن عبد الله بن مسعود، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كان يحبّني فليحبّ ابنيَّ هذين، فإنّ الله أمرني بحبّهما».

وروي أيضاً بإسناده عن جابر، عن الباقر عليه السلام، قال: «قال رسول الله: من أراد أن يتمسّك بعروة الله الوثقى التي قال عزّ وجلّ في كتابه فليتوالَ عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين، فإنّ الله تبارك وتعالى يحبّهما من فوق عرشه».

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أبغض الحسن والحسين جاء يوم القيامة وليس على وجهه لحم ولم تنله شفاعتي».

وروي أيضاً بإسناد صحيح هكذا: محمّد الحميري عن سعيد، عن نصر بن عليّ، عن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام، قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد الحسن و الحسين وقال: من أحبّ هذين الغلامين وأباهما وأمّهما فهو معي في درجتي يوم القيامة».

وروى المفيد في (الإرشاد) من طرق المخالفين عنه صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «من أحبّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النّار».

وروي أيضاً من طرقهم عن ابن مسعود، قال: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام فارتدفاه، فلمّا رفع رأسه أخذهما أخذاً رقيقاً، فلمّا عاد عاودا، فلمّا انصرف أجلس هذا على فخذه، وهذا على فخذه، ثمّ قال: من أحبّني فليحبّ هذين».

وروى أيضاً من طرقهم عنه صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «إنّ الحسن والحسين شنفا العرش، وإنّ الجنّة قالت: يا ربّ اسكنتني الضعفاء والمساكين، فقال الله تعالى: ألا ترضين أني زينت أركانك بالحسن والحسن، قال: فماست كما تميس العروس فرحاً».

بيان: يقال: ماس يميس: إذا تبختر في مشيه وتأنّى.

وروى أيضاً عن إبراهيم الرافعي عن أبيه، عن جدّه، قال: «رأيت الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان إلى الحجّ، فلم يمرّا برجل راكب إلاّ نزل يمشي، فثقل ذلك على بعضهم، فقالوا لسعد بن أبي وقّاص: قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب وهذان السيّدان يمشيان، قال سعد للحسن: يا أبا محمّد، إنّ المشي قد ثقل على جماعة ممّن معك والنّاس إذا رأوكما تمشيان لم تطب أنفسهم أن يركبوا، فلو ركبتما؟

فقال الحسن: لا نركب، قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على أقدامنا، ولكنّا نتنكّب الطريق، فأخذا جانباً من النّاس».

وروى الشيخ المفيد بإسناد معتبر عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بيد الحسن والحسين، فقال: إنّ ابنيَّ هذين ربّيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله لهما ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة؛ سألت الله أن يجعلهما طاهرين مطهّرين زكيّين فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذرّيّتهما وشيعتهما النار فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأمّة على محبّتهما، فقال: يا محمّد، إنّي قضيت قضاءً، وقدّرت قدراً، وإنّ طائفة من أمّتك ستفي لك بذمّتك في اليهود والنصارى والمجوس، وسيخفرون[1] ذمّتك في ولدك، وإنّي أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك ألاّ أحلّه محلَّ كرامتي ولا أسكنه جنّتي ولا أنظر إليه بعين رحمتي يوم القيامة».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) من طرق المخالفين عن أنس بن مالك، قال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: الحسن والحسين».

وروى من طرقهم أيضاً عن ابن مسعود وأبي هريرة، قالا: «خرج علينا رسول الله ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة حتى انتهيا إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله، إنّك لتحبّهما؟ فقال: من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

وروى أيضاً عن عليّ عليه السلام قال: «عطش المسلمون عطشاً شديداً، فجاءت فاطمة بالحسن والحسين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، إنّهما صغيران لا يحتملان العطش، فدعا الحسن فأعطاه لسانه فمصّه حتى ارتوى، ثمّ دعا الحسين فأعطاه لسانه فمصّه حتى ارتوى».

وروي أيضاً بطرق عديدة عن عليّ عليه السلام، قال: «رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أدخل رجله في اللحاف - أو في الشعار - فاستسقى الحسن عليه السلام، فوثب النبيّ صلى الله عليه وآله إلى منيحة لنا فمصّ

---

(١) يخفرون: يغدرون وينقضون العهد.

من ضرعها، فجعله في قدح، ثمّ في يد الحسن، فجعل الحسين يثبت عليه ورسول الله يمنعه، فقالت فاطمة: كأنّه أحبّهما إليك يا رسول الله؟

قال: ما هو أحبّهما إليّ، ولكنّه استسقى أوّل مرّة، وإنّي وإيّاك وهذين، وهذا المنجدل، يوم القيامة في مكان واحد».

وروي أيضاً عن أبي هريرة، قال: «رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله يمصّ لعاب الحسن والحسين كما يمصّ الرجل لعاب الثمرة».

وروي من طرق المخالفين أيضاً: «إنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بكاء الحسن والحسين وهو على المنبر، فقام فزعاً، ثمّ قال: أيّها النّاس، ما الولد إلاّ فتنة، لقد قمت إليهما وما معي عقلي».

ومن طرقهم أيضاً عن بريدة، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وفي خبر آخر: أولادنا أكبادنا يمشون على الأرض.

وروي بطرق عديدة عن جابر وغيره، قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ جعل ذرّية كلّ نبيّ من صلبه خاصّة وجعل ذرّيّتي من صلبي ومن صلب عليّ بن أبي طالب، إنّ كلّ بني بنت ينسبون إلى أمّهم، إلاّ أولاد فاطمة فإنّي أنا أبوهم».

وروى أيضاً عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «الحسن والحسين وديعتاي في أمّتي».

وروى أيضاً عن جابر، قال: «دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله والحسن والحسين على ظهره وهو يحبو بهما ويقول: نِعم الجمل جملكما، ونِعم العدلان أنتما»، وهذا الحديث مرويّ بأسانيد عديدة من طرق العامّة.

وفي خبر آخر: «نِعم المطيّ مطيّكما، ونِعم الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما».

وروي أيضاً عن التفسير الثعلبي عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، قال: «مرض النبيّ صلى الله عليه وآله فأتاه جبرئيل بطبق فيه رمّان وعنب، فأكل النبيّ صلى الله عليه وآله منه فسبّح، ثمّ دخل الحسن والحسن فتناولا منه فسبّح الرمان والعنب، ثمّ دخل عليّ عليه السلام فتناول منه فسبّح أيضاً، ودخل رجل من أصحابه، فأكل فلم يسبّح، فقال جبرئيل: إنّما يأكل هذا نبيّ أو وصيّ أو ولد نبيّ».

وروى أيضاً عن النيشابوري في (أماليه) عن الرضا عليه السلام، قال: «عري الحسن والحسين وأدركهما العيد، فقالا لأمّهما: قد زيّنوا صبيان المدينة إلاّ نحن، فما لك لا تزيّنينا، فقالت: إنّ ثيابكما عند الخيّاط، فإذا أتى زيّنتكما، فلمّا كانت ليلة العيد أعادا القول على أمّهما، فبكت ورحمتهما، فقالت لهما ما قالت في الأولى، فردّا عليها، فلمّا أخذ الظلام قرع الباب

قارع، فقالت فاطمة: من هذا؟ قال: يا بنت رسول الله أنا الخيّاط جئت بالثياب، ففتحت الباب، فإذا رجل ومعه من لباس العيد، قالت فاطمة: والله لم أر رجلاً أهيب سيمة منه، فناولها منديلاً مشدوداً ثمّ انصرف، فدخلت فاطمة ففتحت المنديل فإذا فيه قميصان ودرّاعتان وسروالان ورداءان وعمامتان وخفّان أسودان معقبان بحمرة، فأيقظتهما وألبستهما، ودخل رسول الله ﷺ وهما مزّينان، فحملهما وقبّلهما، ثمّ قال: رأيتي الخيّاط؟ قالت: نعم يا رسول الله، والذي أنفذته من الثياب أتى بها، قال: يا بنيّة، ما هو خيّاط إنّما هو رضوان خازن الجنّة، قالت فاطمة: فمن أخبرك يا رسول الله؟ قال: ما عرج حتى جاءني وأخبرني بذلك».

وروي أيضاً من طرقهم عن ابن عبّاس وغيره، قال: «كنّا جلوساً مع النبيّ ﷺ إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام ومعه جام من البلّور الأحمر مملّواً مسكاً وعنبراً، فقال له عليه السلام: السلام عليك، الله يقرئك السلام ويحيّيك بهذه التحيّة، ويأمرك أن تحيّي بها عليّاً وولديه، فلمّا صارت في كفّ النبيّ ﷺ هلّلت ثلاثاً، وكبّرت ثلاثاً، ثمّ قالت بلسان ذرب: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١ - ٢]، فاشتمّها النبيّ ﷺ، ثمّ حيّا بها عليّاً، فلمّا صارت في كفّ عليّ قالت: بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فاشتمّها عليّ وحيّى بها الحسن، فلمّا صارت في كفّ الحسن قالت: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: ١ - ٢] الآية، فاشتمّها الحسن وحيّى بها الحسين، فلمّا صارت في كفّ الحسين عليه السلام قالت: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، ثمّ ردّت إلى النبيّ ﷺ، فقالت: بسمّ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥]، فلم أدرِ إلى السماء صعدت أم في الأرض نزلت بقدرة الله تعالى».

وروي أيضاً في (المناقب) من طرقهم: «إنّ ملكاً نزل من السماء على صفة الطير، فقعد على يد النبيّ ﷺ فسلّم عليه بالنبوة، وعلى يد عليّ عليه السلام فسلّم عليه بالوصيّة، وعلى يد الحسن والحسين فسلّم عليهما بالخلافة، فقال رسول الله ﷺ: لِمَ لم تقعد على يد فلان؟، فقال: أنا لا أقعد في أرض عصي عليها الله، فكيف أقعد على يد عصت الله».

وروى الخاصّة والعامّة عنه ﷺ بطرق متواترة أنّه قال في الحسنين: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا».

وروي عن (حلية الأولياء) و(اعتقاد أهل السنّة) و(مسند الأنصار) عن أحمد بالإسناد عن حذيفة، قال: «قال النبيّ ﷺ في خبر: أما رأيت العارض الذي عرض لي؟، قلت: بلى، قال: ذلك ملك لم يهبط إلى الأرض قبل الساعة، فاستأذن الله تعالى أن يسلّم عليَّ ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة».

ومن طرقهم أيضاً: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال للحسن عليه السلام: أشبهت خَلقي وخُلُقي».

وروي أيضاً بأسانيد من كتب العامّة: «إنّه دعا النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الصلاة والحسن متعلّق به، فوضعه النبيّ مقابل جنبه وصلّى، فلمّا سجد أطال السجود.

قال الراوي: فرفعت رأسي من بين القوم، فإذا الحسن على كتف رسول الله، فلمّا سلّم قال له القوم: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها كأنّما يوحى إليك! فقال صلى الله عليه وآله: لم يوحَ إليَّ، ولكنّ ابني على كتفي، فكرهت أن أعجله حتى نزل».

ومن طرقهم أيضاً، قال: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي بنا وهو ساجد، فيجيء الحسن وهو صبيّ صغير حتى يصير على ظهره أو رقبته، فيرفعه رفعاً رفيقاً، فلمّا صلّى صلاته قالوا: يا رسول الله، إنّك لتصنع بهذا الصبيّ شيئاً لم تصنعه بأحد؟ فقال: إنّ هذا ريحانتي» الخبر.

ومن طرقهم أيضاً عن جابر، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسن بن عليّ».

وروى الشيخ الطوسي عن ابن عبّاس، قال: «انطلقت مع رسول الله؛ فنادى على باب فاطمة ثلاثاً، فلم يجبه أحد، فمال إلى حائط فقعد فيه وقعدت إلى جنبه، فبينا هو كذلك إذ خرج الحسن بن عليّ عليه السلام قد غسل وجهه وعلّقت عليه سبحة، قال: فبسط النبيّ صلى الله عليه وآله يديه ومدّهما، ثمّ ضمّ الحسن إلى صدره وقبّله، وقال: ابني هذا سيّد، ولعلّ الله تعالى يصلح به بين فئتين من المسلمين».

وروى في (كشف الغمّة) من طرق المخالفين عن سليمان الهاشمي، قال: «كنّا عند أمير المؤمنين هارون الرشيد فتذاكروا عليّ بن أبي طالب، فقال هارون: تزعم العوامّ أنّي أبغض عليّاً وولده حسناً وحسيناً، ولا والله ما ذلك كما يظنّون.

إلى أن قال: والله لقد حدّثني أمير المؤمنين المهدي، عن أمير المؤمنين المنصور، عن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، عن عبد الله بن عبّاس، قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة عليها السلام تبكي.

فقال لها النبيّ: ما يبكيك؟، قالت: يا رسول الله، إنّ الحسن والحسين خرجا، فوالله ما أدري أين سلكا.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تبكي فداك أبوك، فإنّ الله عزّ وجلّ خلقهما وهو أرحم بهما. اللّهمّ إن كانا أخذا في برّ فاحفظهما، وإن كانا أخذا في بحر فسلّمهما، فهبط جبرئيل فقال: يا أحمد، لا تغتمّ ولا تحزن، هما فاضلان في الدنيا وفاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما في حظيرة بني النّجار نائمَين، وقد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما.

قال ابن عبّاس: فقام رسول الله ﷺ وقمنا معه حتى حظيرة بني النجّار، فإذا الحسن معانق الحسين، وإذا الملك قد غطّاهما بأحد جناحيه، فحمل النبيّ الحسن، وأخذ الحسين الملك، والنّاس يرون أنّه حاملهما، فقال أبو بكر وأبو أيّوب الأنصاري: يا رسول الله، ألا نخفّف عنك بأحد الصبيّين؟ فقال: دعاهما، فإنّهما فاضلان في الدنيا وفاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما - ثمّ قال: - والله! لأُشرفنّهما اليوم بما شرّفهما الله - فخطب فقال: - أيّها النّاس، ألا أخبركم بخير النّاس جدّاً وجدّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، جدّهما رسول الله وجدّتهما خديجة بنت خويلد.

ألا أخبركم أيّها النّاس بخير النّاس أباً وأمّاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أبوهما عليّ بن أبي طالب، وأمّهما فاطمة بنت محمّد.

ألا أخبركم أيّها النّاس بخير النّاس عمّاً وعمّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، عمّهما جعفر بن أبي طالب وعمّتهما أمّ هاني بنت أبي طالب.

أيّها النّاس، ألا أخبركم بخير النّاس خالاً وخالةً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم ابن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ألا إنّ أباهما في الجنّة، وأمّهما في الجنّة، وجدّهما في الجنّة، وجدّتهما في الجنّة، وخالهما في الجنّة، وخالتهما في الجنّة، وعمّهما في الجنّة، وعمّتهما في الجنّة، وهما في الجنّة، ومن أحبّهما في الجنّة، ومن أحبّ من أحبّهما في الجنّة.

وروي من طرقهم أيضاً عن ابن عبّاس، قال: «قال رسول الله ﷺ: ليلة عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمّة الله، على باغضهم لعنة الله».

وروي من طرقهم أيضاً عن عمر بن الخطّاب، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبّة بيضاء سقفها عرش الرحمان عزّ وجلّ».

وروي عن كتاب (فردوس الأخبار) وهو من كتب المخالفين المشهورة عن عائشة، عن النبيّ ﷺ، قال: «سألت الفردوس ربّها فقالت: أي ربّي زيّنّي، فإنّ أصحابي وأهلي أتقياء أبرار. فأوحى الله عزّ وجلّ إليها: ألم أزيّنك بالحسن والحسين».

وروى صاحب كتاب (بشارة المصطفى) من طرقهم مسنداً عن يعلى بن مرّة أنّه قال: «خرجنا مع النبيّ ﷺ وقد دعينا إلى طعام، فإ ذا الحسن يلعب في الطريق، فأسرع النبيّ أمام القوم ثمّ بسط يده فجعل يمرّ مرّة هٰهنا ومرّة هٰهنا يضاحكه، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في

ذقنه والأخرى على رأسه، ثمّ اعتنقه فقبّله، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسن منّي وأنا منه، أحبّ الله من أحبّه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد الصالح ريحانة من الله قسّمها بين عباده، وإنّ ريحانتيّ من الدنيا الحسن والحسين، سمّيتهما باسم سبطين من بني إسرائيل شبّر وشبير».

وفي بعض كتب المناقب القديمة المعتبرةمسنداً عن ابن عبّاس، قال: «كنت جالساً بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله ذات يوم وبين يديه عليّ وفاطمة والحسن والحسين إذ هبط جبرئيل ومعه تفاحة، فحيّى بها النبيّ صلى الله عليه وآله فتحيّى بها وحيّى بها عليّاً، فتحيّى بها عليّ وقبّلها وردّها إلى رسول الله. فتحيّى بها رسول الله وحيّى بها الحسن، فتحيّى بها الحسن وقبّلها وردّها إلى رسول الله. فتحيّى بها رسول الله وحيّى بها الحسين، فتحيّى بها الحسين وقبّلها وردّها إلى رسول الله. فتحيّى بها وحيّى بها فاطمة، فتحيّت بها وقبّلتها وردّتها إلى النبيّ. فتحيّى بها الرابعة وحيّى بها عليّ بن أبي طالب فتحيّى بها عليّ بن أبي طالب، فلمّا همّ أن يردّها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله سقطت التفاحة من بين أنامله، فانفلقت بنصفين، فسطع منه نور حتى بلغ السماء الدنيا، فإذا عليها سطران مكتوبان: بسم الله الرحمن الرحيم، تحيّة من الله تعالى إلى محمّد المصطفى، وعليّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين سبطي رسول الله، وأمان لمحبّيهما يوم القيامة من النار».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن زيد الشحّام، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: «مرض النبيّ صلى الله عليه وآله المرضة التي عوفي منها، فعادته فاطمة سيّدة النساء ومعها الحسن والحسين قد أخذت الحسن بيدها اليمنى، وأخذت الحسين بيدها اليسرى، وهما يمشيان وفاطمة بينهما، دخلوا منزل عائشة، فقعد الحسن على جانب رسول الله الأَيمن، والحسين على جانب رسول الله الأيسر، فأقبلا يغمزان ما بينهما من بدن رسول الله، فما أفاق النبيّ من نومه.

فقالت فاطمة للحسن والحسين: حبيبيّ، إنّ جدّكما قد غفا فانصرفا ساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه، فقالا: لسنا ببارحين في وقتنا، فاضطجع الحسن على عضد النبيّ الأيمن، والحسين على عضده الأيسر، فغفيا وانتبها قبل أن ينتبه النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد كانت فاطمة لمّا ناما انصرفت إلى منزلها، فقالا لعائشة: ما فعلت أمّنا؟ قالت: لمّا نمتما رجعت إلى منزلها.

فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمّة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها، فسطع لهما نور، فلم يزالا يمشيان في ذلك النور والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى وهما يتماشيان ويتحدّثان حتى أتيا حديقة بني النجّار.

فلمّا بلغا الحديقة حارا، فبقيا لا يعلمان أين يأخذان، فقال الحسن للحسين: إنّا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه، وما ندري أين نسلك؟ فلا عليك أن ننام في وقتنا هذا حتى نصبح، فقال له الحسين: دونك يا أخي، فافعل ما ترى، فاضطجعا جميعاً، واعتنق كلّ واحد منهما صاحبه وناما. وانتبه النبيّ ﷺ من نومته التي نامها، فطلبهما في منزل فاطمة، فلم يكونا فيه وافتقدهما، فقام ﷺ قائماً على رجليه وهو يقول: إلهي وسيّدي ومولاي، هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة، اللّهمّ أنت وكيلي عليهما، فسطع للنبيّ نور فلم يزل يمضي في ذلك النور حتى أتى حديقة بني النجّار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، وقد تقشّعت السماء فوقهما كطبق، فهي تمطر كأشدّ مطر، مطراً ما رآه النّاس قط، وقد منع الله عزّ وجلّ المطر منهما في البقعة التي هما فيها نائمان لا يمطر عليها قطرة، وقد اكتنفهما حيّة لها شعرات كاجام القصب وجناحان؛ جناح قد غطّت به الحسن وجناح قد غطّت به الحسين، فلمّا أن بصر بهما النبيّ ﷺ تنحنح، فانسابت الحيّة وهي تقول: اللّهمّ إنّي أشهدك وأشهد ملائكتك أنّ هذين شبلا نبيّك قد حفظتهما عليه، ودفعتهما إليه سالمين صحيحين.

فقال النبيّ ﷺ لها: أيّتها الحيّة، فمن أنت؟ قالت: أنا رسول الجنّ إليك، قال: وأيّ الجنّ؟ قالت: جنّ نصيبين، نفر من بني مليح، نسينا آية من كتاب الله عزّ وجلّ فبعثوني إليك لتعلّمنا ما نسينا من كتاب الله، فلمّا بلغت هذا الموضع سمعت منادياً ينادي: أيّتها الحيّة، هذان شبلا رسول الله فاحفظيهما من العاهات والآفات ومن طوارق الليل والنهار، فقد حفظتهما وسلّمتهما إليك سالمَين صحيحَين، وأخذت الحيّة الآية وانصرفت، وأخذ النبيّ الحسن فوضعه على عاتقه الأيمن، ووضع الحسين على عاتقه الأيسر.

وخرج عليّ عليه السلام فلحق برسول الله ﷺ، فقال له بعض أصحابه: بأبي أنت وأمّي، إليَّ أحد شبليك أخفّف عنك، فقال: امض، فقد سمع الله كلامك، وعرف مقامك. وتلقّاه آخر فقال: بأبي أنت وأمّي، ادفع إليَّ أحد شبليك أخفّف عنك، فقال: امضِ فقد سمع الله كلامك، وعرف مقامك.

فتلقّاه عليّ عليه السلام فقال: بأبي أنا وأمّي، ادفع إليَّ أحد شبليّ وشبليك حتى أخفّف عنك، فالتفت النبيّ إلى الحسن فقال له: هل تمض إلى كتف أبيك؟ فقال له: والله يا جداه إنّ كتفك لأحبّ إليَّ من كتف أبي.

ثمّ التفت إلى الحسين فقال: يا حسين، تمضي إلى كتف أبيك؟

فقال له: يا جدّاه، إنّي لا أقول كما قال أخي الحسن، إنّ كتفك لأحبّ إليَّ من كتف أبي، فأقبل بهما إلى منزل فاطمة عليها السلام وقد ادّخرت لهما تميرات فوضعتهما بين أيديهما، فأكلا وشبعا وفرحا.

فقال لهما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قوما الآن فاصطرعا، فقاما ليصطرعا، وقد خرجت فاطمة في بعض حاجتها، فدخلت فسمعت النبيّ وهو يقول: إيهاً يا حسن، شدّ على الحسين واصرعه، فقالت له: يا أبت، واعجباه أتشجّع هذا على هذا، أتشجّع الكبير على الصغير؟ فقال لها: يا بنيّة، أما ترضين أن أقول: إيهاً يا حسن شدّ على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: يا حسين شدّ على الحسن فاصرعه!».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) عن مدرك بن أبي زياد، قال: «قلت لابن عبّاس وقد أمسك للحسن ثمّ للحسين بالركاب وسوّى عليهما: أنت أسنّ منهما تمسك لهما الركاب؟

فقال: يا لكع، وما تدري من هذان، هذان ابنا رسول الله، أوَ ليس ممّا أنعم الله عليَّ أن أمسك لهما وأسوّي عليهما» .

الفصل الثالث

في بيان بعض مكارم أخلاقه، ومحاسن آدابه، وإقرار المخالف والمؤالف بفضله عليه السلام

روى ابن شهر آشوب في (المناقب): «أنّه استفتى أعرابيّ عبد الله بن الزبير وعمر وعثمان فتواكلا[1]، فقال: اتّقيا الله، فإنّي أتيتكما مسترشداً، أمواكلة في الدين؟! فأشار عليه بالحسن والحسين عليهما السلام، فأفتياه، فأنشأ أبياتاً، منها خطاباً لعبد الله وعمر:

جعل الله حرّ وجهيكما نعلين سبتاً[2] يطأهما الحسنان»

وروى ابن شهرآشوب أيضاً: «إن الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضّأ ولا يحسن، فأخذا في التنازع، يقول كلّ واحد منهما للآخر: أنت لا تحسن الوضوء، - فقالا: - أيّها الشيخ، كن حكماً بيننا، يتوضّأ كلّ واحد منّا، فتوضّأ، ثمّ قالا: أيّنا أحسن؟

قال: كلاكما تحسنان الوضوء، ولكنّ هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلّم الآن منكما وتاب على يدكما ببركتكما وشفقتكما على أمّة جدّكما».

وروى أيضاً عن الباقر عليه السلام، قال: «ما تكلّم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له، ولا تكلّم محمّد بن الحنفية بين يدي الحسين إعظاماً له».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن المفضّل، قال: قال الصادق عليه السلام: «حدّثني أبي، عن أبيه: إنّ الحسن بن عليّ بن أبي طالب كان أعبد النّاس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً، وربّما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره بكى وشهق شهقة يغشى عليها منها وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنّة والنّار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله الجنّة وتعوّذ به من النّار.

وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:١٠٤] إلاّ قال: لبّيك، ولم ير في شيء من أحواله إلاّ ذاكراً لله سبحانه، وكان أصدق النّاس لهجة، وأفصحهم

---

(١) أي اتكل كلٌّ منهما على صاحبه.

(٢) السبت: جلود البقر المدبوغة بالقرظ.

منطقاً، ولقد قيل لمعاوية ذات يوم: لو أمرت الحسن بن عليّ بن أبي طالب فصعد المنبر فخطب لتبيّن للناس نقصه، فدعاه فقال: اصعد المنبر وتكلّم بكلمات تعظنا بها، فقام عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وابن سيّدة النساء فاطمة بنت رسول الله، أنا ابن خير خلق الله، أنا ابن رسول الله، أنا ابن صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقّي، أنا وأخي الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، أنا ابن الركن والمقام، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن المعشر وعرفات.

فقال له معاوية: يا أبا محمّد، خذ في نعت الرطب ودع هذا، فقال عليه السلام: الريح تنفخه، والحرور ينضجه، والبرد يطيّبه، ثمّ عاد عليه السلام في كلامه فقال: أنا إمام خلق الله، وابن محمّد رسول الله، فخشي معاوية أن يتكلّم بعد ذلك بما يفتتن به النّاس، فقال: يا أبا محمّد، انزل فقد كفى ما جرى، فنزل».

وروى في (الأمالي) أيضاً بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «لمّا حضرت الحسن بن عليّ الوفاة، بكى، فقيل له: يا بن رسول الله، أتبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أنت به، وقد قال فيك رسول الله ما قال، وقد حججت عشرين حجّة ماشياً، وقد قاسمت ربّك مالك ثلاث مرّات حتى النعل بالنعل، فقال عليه السلام: إنّما أبكي لخصلتين: لهول المطّلع، وفراق الأحبّة».

وروى الصدوق في (العلل)، والحميري في (قرب الإسناد) بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام حجّ عشرين حجّة ماشياً، ويساق معه المحامل والرجال».

وفي (قرب الإسناد) هكذا: عن ابن بكير، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغنا أنّ الحسن ابن عليّ حجّ عشرين حجّة ماشياً، قال: إنّ الحسن بن عليّ حجّ ويساق معه المحامل والرجال».

وروى الصدوق في (الخصال) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ رجلاً مرّ بعثمان ابن عفّان وهو قاعد على باب المسجد، فسأله، فأمر له بخمسة دراهم، فقال له الرجل: أرشدني؟ فقال له عثمان: دونك الفئة الذين ترى، وأومى بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فمضى الرجل نحوهم حتى سلّم عليهم وسألهم.

فقال له الحسن: يا هذا، إنّ المسألة لا تحلّ إلاّ في إحدى ثلاث: دم مفجع، أو دين مقرح، أو فقر مدقع، ففي أيّها تسأل؟ فقال: في واحدة من هذه الثلاث، فأمر له الحسن بخمسين ديناراً، وأمر له الحسين بتسعة وأربعين ديناراً، وأمر له عبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين ديناراً، فانصرف الرجل فمرّ بعثمان، فقال له: ما صنعت؟ فقال: مررت بك فسألتك

فأمرت لي بما أمرت ولم تسألني فيما أسأل، وإنّ صاحب الوفرة لمّا سألته قال لي: يا هذا، فيم تسأل، فإنّ المسألة لا تحلّ إلاّ في إحدى ثلاث، فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة، فأعطاني خمسين ديناراً، وأعطاني الثاني تسعة وأربعين ديناراً، وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً، فقال عثمان: ومَن ذلك بمثل هؤلاء الفتية، أولئك فطموا العلم فطماً، وحازوا الخير والحكمة».

قال الصدوق: «معنى قوله: فطموا العلم، أي قطعوه عن غيرهم قطعاً وجمعوه لأنفسهم»، والوفرة: الشعر إلى شحمة الأذن.

روى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن محمّد بن مسلم، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كتب إلى الحسن بن عليّ قوم من أصحابه يعزّونه عن ابنة له، فكتب إليهم: أمّا بعد، فقد بلغني كتابكم تعزّوني بفلانة، فعند الله احتسبها تسليماً لقضائه، وصبراً على بلائه، فإن أوجعتنا المصائب، وأفجعتنا النوائب بالأحبّة المألوفة التي كانت بنا حفيّة، والإخوان المحبّين الذين كان يسرّ بهم الناظرون، وتقرّ بهم العيون، أضحوا قد اخترمتهم الأيّام، ونزل بهم الحِمام، فخلّفوا الخلوف، وأودت بهم الحتوف، فهم صرعى في عساكر الموتى متجاورون في غير محلّة التجاور، لا صلاة بينهم ولا تزاور، ولا يتلاقون عن قرب جوارهم، أجسامهم نائية من أهلها، خالية من أربابها، قد أخشعها اخوانها، فلم أرَ مثل دارها داراً، ولا مثل قرارها قراراً في بيوت موحشة، وحلول مضجعة، قد صارت في تلك الديار الموحشة، وخرجت من الديار المونسة، ففارقتها من غير قلى، فاستودعتها للبلى، وكانت أمّة مملوكة، سلكت سبيلاً مسلوكة، صار إليها الأوّلون، وسيصير إليها الآخرون، والسلام».

وروى الصفّار في (بصائر الدرجات) وغيره بأسانيد صحيحة عن الصادق عليه السلام: «إنّ الحسن بن عليّ قال: إنّ لله مدينتين؛ إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كلّ مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة، تتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبها، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجّة غيري والحسين أخي».

وروى القطب الراوندي (في الخرائج والجرائح): «إنّ الحسن وعبد الله بن العبّاس كانا على مائدة، فجاءت جرادة ووقعت على المائدة، فقال عبد الله للحسن: أيّ شيء مكتوب على جناح الجرادة؟

فقال عليه السلام: مكتوب عليه: أنا الله لا إله إلاّ أنا، ربّما أبعث الجراد لقوم جياع ليأكلوه، وربّما أبعثها نقمة على قوم فتأكل أطعمتهم، فقام عبد الله وقبّل رأس الحسن عليه السلام وقال: هذا من مكنون العلم».

وروى المفيد رحمه الله في (الإرشاد) قال: «روى جماعة، منهم معمّر، عن الزهري، عن أنس ابن مالك، قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن عليّ عليه السلام».

وفي كتاب (روضة الواعظين) وغيره: «إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام كان إذا توضّأ ارتعدت مفاصله، واصفرّ لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفّر لونه وترتعد مفاصله، وكان عليه السلام إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول: إلهي، ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم».

وروى الزمخشري في (الفائق): «إنّ الحسن عليه السلام كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلّم حتى تطلع الشمس، وإن زحزح - أي وإن أريد تنحيته عن ذلك باستنطاق ما يهمّ».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام حجّ خمسة وعشرين حجّة ماشياً، وقاسم الله تعالى ماله مرّتين.

وفي خبر: «قاسم ربّه ثلاث مرّات، وحجّ عشرين حجّة على قدميه».

وفي خبر آخر: «إنّه أخرج ماله مرّتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرّات حتى أنّه كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفّاً ويمسك خفّاً».

وروى ابن شهر آشوب أيضاً: «إنّ الحسن عليه السلام دخلت عليه امرأة جميلة وهو في صلاته، فأوجز في صلاته، ثمّ قال لها: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم، قال: وما هي؟ قالت: قم فأصب منّي، وفدت ولا بعل لي، قال: إليك عنّي لا تحرقيني بالنّار ونفسك، فجعلت تراوده عن نفسه وهو يبكي ويقول: ويحك إليكِ عنّي، واشتدّ بكاؤه، فلمّا رأت ذلك بكت لبكائه، فدخل الحسين عليه السلام وهما يبكيان، فجلس يبكي وجعل أصحابه يأتون ويجلسون ويبكون حتى كثر البكاء وعلت الأصوات، فخرجت الأعرابيّة وقام القوم وترحّلوا، ولبث الحسين بعد ذلك دهراً لا يسأل أخاه عن ذلك إجلالاً له، فبينما الحسن عليه السلام ذات ليلة نائماً إذ استيقظ وهو يبكي، فقال له الحسين عليه السلام: ما شأنك؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة.

قال: وما هي؟ قال: لا تخبر أحداً ما دمت حيّاً.

قال: نعم، قال: رأيت يوسف عليه السلام فجئت أنظر إليه فيمن نظر، فلمّا رأيت حسنه بكيت، فنظر إليَّ في النّاس، فقال: ما يبكيك يا أخي، بأبي أنت وأمّي؟ فقلت: ذكرت يوسف وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها، وما لقيت من السجن وحرقة الشيخ يعقوب فبكيت من ذلك، وكنت أتعجّب منه، فقال يوسف: فهلاّ تعجّبت ممّا فيه المرأة البدويّة بالأبواء!».

وروي أيضاً أنّه: «سأل الحسن بن عليّ عليه السلام رجل فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة

دينار، وقال: ائت بحمّال يحمل لك، فأتى بحمّال فأعطاه طيلسانه، فقال: هذا كري الحمّال. وجاءه بعض الأعراب فقال: إعطوه ما في الخزانة، فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعها إلى الأعرابي، فقال الأعرابي: يا مولاي، ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي، فأنشأ الحسن عليه السلام:

نحن أناسٌ نوالنا خضل ... يرتفع فيه الرجاء والأمل
تجودُ قبل السؤال أنفسنا ... خوفاً على ماء وجه من يسل
لو علم البحر فضل نائلنا ... لغاض من بعد فيضه خجل».

وروى أيضاً عن أبي جعفر المدائني في حديث طويل، قال: «خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجّاجاً، ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فرأوا في بعض الشعوب خباءً رثّاً وعجوزاً، فاستسقوها، فقالت: اطلبوا هذه الشويهة، ففعلوا واستطعموها، فقالت: ليست إلاّ هي فليقم أحدكم فليذبحها حتى أصنع لكم طعاماً، فذبحها أحدهم، ثمّ شوت لهم من لحمها، وأكلوا وقيّلوا عندها، فلمّا نهضوا قالوا لها: «نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا وعدنا فالممي بنا، فإنّا صانعون بك خيراً ثمّ رحلوا، فلمّا جاء زوجها وعرف الحال أوجعها ضرباً، ثمّ مضت الأيّام، فأضرّت بها الحال، فرحلت حتى اجتازت بالمدينة فبصر بها الحسن عليه السلام، فأمر لها بألف شاة وأعطاها ألف دينار، وبعث معها رسولاً إلى الحسين عليه السلام فأعطاها مثل ذلك، ثمّ بعثها إلى عبد الله بن جعفر فأعطاها مثل ذلك.

وروى أنّه عليه السلام سأله رجل شيئاً فأمر له بأربعمائة دينار، فقيل له في ذلك فأخذه وقال: هذا سخاؤه وكتب عليه بأربعة آلاف درهم».

وروي أيضاً: «إنّ الحسن بن عليّ تزوّج جعدة بنت الأشعث بن قيس على سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وأرسل إليها ألف دينار».

وروي أيضاً عن محمّد بن سيرين: «إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام تزوّج امرأة فبعث إليها مائة جارية مع كلّ جارية ألف درهم».

وروي أيضاً عن الحسن بن سعيد، عن أبيه، قال: «كان تحت الحسن بن عليّ امرأتان تميميّة، وجعفيّة فطلّقهما جميعاً، وبعثني إليهما وقال: أخبرهما فليعتدّا، وأخبرني بما تقولان، ومتّعهما بعشرة آلاف، وكلّ واحدة منهما بكذا وكذا من العسل والسمن، فأتيت الجعفيّة فقلت: اعتدّي، فتنفّست الصعداء، ثمّ قالت: متاع قليل من حبيب مفارق، وأمّا التميميّة، فلم تدري ما اعتديّ، حتى قال لها النساء، فسكتت، فأخبرته بقول الجعفيّة، فنكت في الأرض ثمّ قال: لو كنت مراجعاً لامرأة لراجعتها».

وروى أيضاً: «إنّه عليه السلام قدم الشام إلى عند معاوية، فاحضر برنامجاً[1] بحمل عظيم ووضع قبله، ثمّ إنّ الحسن لمّا أراد الخروج خصف خادم نعله فأعطاه البارنامج».

وروي أيضاً: «إنّه قدم معاوية المدينة، فجلس في أوّل يوم يجيز من يدخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف، فدخل عليه الحسن بن عليّ عليه السلام في آخر النّاس، فقال: أبطأت يا أبا محمّد، فلعلّك أردت تبخّلني عند قريش فانتظرت يفنى ما عندنا. يا غلام، أعطِ الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا. يا أبا محمّد وأنا ابن هند.

فقال الحسن عليه السلام: لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمّد رسول الله».

وروي أيضاً عن بعض الكتب المعتبرة أنّه قال مروان بن الحكم: «إنّي مشغوف ببغلة الحسن بن عليّ، فقال له ابن أبي عتيق: إن دفعتها إليك تقضي لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم.

قال: إذا اجتمع القوم فإنّي آخذ في مآثر قريش وأُمسك عن مآثر الحسن، فلمني على ذلك، فلمّا حضر القوم أخذ في أوّليّة قريش. فقال مروان: ألا تذكر أوّليّة أبي محمّد وله في هذا الزمان ما ليس لأحد؟ قال: إنّما كنّا في ذكر الأشراف ولو كنّا في ذكر الأنبياء لقدّمنا ذكره.

فلمّا خرج الحسن عليه السلام ليركب اتّبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسّم: ألك حاجة؟ قال: نعم، وركوب البغلة، فنزل الحسن عليه السلام ودفعها إليها».

قال في (المناقب): «ومن جملة حلمه عليه السلام ما روى المبرّد وابن عائشة أنّ شاميّاً رآه راكباً، فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يردّ عليه.

فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه، فسلّم عليه وضحك، فقال: أيّها الشيخ، أظنّك غريباً، ولعلّك شبّهت، ولو استعتبتناأعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأنّ لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً.

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليَّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليَّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم».

وروى أيضاً: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام دعا محمّد بن الحنفيّة يوم الجمل فأعطاه رمحه،

---

(١) بارنامج: معرب بارنامه، أي تفصيل الأمتعة.

وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل، فذهب فمنعوه بنو ضبّة، فلمّا رجع إلى والده انتزع الحسن عليه السلام رمحه من يده وقصد قصد الجمل وطعنه برمحه ورجع إلى والده وعلى رمحه أثر الدم فتمغّر[١] وجه محمّد من ذلك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تأنف، فإنّه ابن النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنت ابن عليّ».

وروى ابن شهر آشوب أيضاً قال: «طاف الحسن بن عليّ عليه السلام بالبيت، فسمع رجلاً يقول: هذا ابن فاطمة الزهراء، فالتفت إليه وقال: قل ابن عليّ بن أبي طالب، فأبي خير من أمّي».

وفي كتاب (كشف الغمّة)، قال: «نقل إنّه عليه السلام اغتسل وخرج من داره في حلّة فاخرة، وبزّة طاهرة، ومحاسن سافرة، ونسمات ظاهرة، ونفحات ناشرة، ووجه يشرق حسناً، وشكله قد كمل صورةً ومعنىً، والإقبال يلوح من أعطافه، ونضرة النعيم تعرف في أطرافه، وقاضي القدر قد حكم أنّ السعادة من أوصافه، ثمّ ركب بغلة فارهة غير قطوف[٢]، وسار مكتنفاً من حاشيته وغاشيته بصفوف، فلو شاهده عبد مناف لأرغم بمفاخرته معاطس أنوف، وعدّه وأباه وجدّه في أحراز خصل الفخار يوم التفاخر بألوف، فعرض له في طريقه من محاويج اليهود همّ في هدم[٣] قد أنهكته العلّة، وارتكبته الذلّة، وأهلكته القلّة، وجلده يستر عظامه، وضعفه يقيّد أقدامه، وضرّه قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبّب إليه حمامه، وشمس الظهيرة تشوي شواه[٤]، وأخمصه تصافح ثرى ممشاه، وعذاب عزيريّته[٥] قد عراه وطوا طواه، قد أضعف بطنه وطواه، وهو حامل جرّ مملوّة ماءً على مطاه، وحاله يعطف عليه القلوب القاسية عند مرآه، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال: يا بن رسول الله، أنصفني؟

فقال عليّ عليه السلام: في أي شيء؟، فقال: جدّك يقول: الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلاّ جنّة تتنعم بها وتستلذّ بها، وما أراها إلاّ سجناً قد هلكني ضرّها وأتلفني فقرها.

فلمّا سمع الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأييد، واستخرج الجواب بفهمه من خزانة علمه، وأوضح لليهوديّ خطأ ظنّه، وخطل زعمه، وقال: يا شيخ، لو نظرت إلى ما أعدّ الله لي

---

(١) تمغر وجهه: أي أحمَّر مع كدورة.
(٢) القطوف من الدواب: البطيء.
(٣) الهم: الشيخ الفاني، الهدم: الثوب البالي أو المرقّع.
(٤) شواء - بالضم - مفردة جمعه شوى: جلدة الرأس.
(٥) عزيريته: نسبة لعزير القائلة به اليهود.

وللمؤمنين في الدار الآخرة ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت لعلمت أنّي قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجنٍ وضنكٍ، ولو نظرت إلى ما أعدّ الله لك ولكلّ كافر في الدار الآخرة من سعير نار الجحيم، ونكال العذاب المقيم، لرأيت أنّك قبل مصيرك إليه الآن في جنّة واسعة، ونعمة جامعة».

وروي أيضاً عن سعيد بن عبد العزيز: «إنّ الحسن عليه السلام سمع رجلاً يسأل ربّه أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله فبعث بها إليه».

وروى صاحب كتاب (العُدد القويّة) قال: «إنّه وقف رجل على الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: يا بن أمير المؤمنين، بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي لم تنلها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاماً منه عليك إلاّ ما أنصفتني من خصمي، فإنّه غشوم ظلوم لا يوقّر الشيخ الكبير، ولا يرحم الطفل الصغير، وكان عليه السلام متّكئاً فاستوى جالساً، وقال له: من خصمك حتى انتصف لك منه؟

فقال له: الفقر، فأطرق ساعة ثمّ رفع رأسه إلى خادمه وقال له: احضر ما عندك من موجود، فأحضر خمسة آلاف درهم، فقال: ادفعها إليه - ثمّ قال له: - بحقّ هذه الأقسام التي أقسمت بها عليَّ متى أتاك خصمك جائراً إلاّ ما أتيتني منه متظلّماً».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب): «أنّه مرّ الحسن بن عليّ عليه السلام على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلمّ يابن بنت رسول الله إلى الغداة، قال: فنزل وقال: إنّ الله لا يحبّ المستكبرين، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم».

وعن بعض كتب المناقب المعتبرة مسنداً عن نجيح، قال: «رأيت الحسن بن عليّ عليه السلام يأكل وبين يديه كلب، كلّما أكل لقمة طرح للكلب مثلها، فقلت له: يا بن رسول الله، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟ قال: دعه إنّي لأستحي من الله عزّ وجلّ أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثمّ لا أطعمه.

وروي أيضاً: إنّ غلاماً له عليه السلام جنى جناية توجب العقاب، فأمر به أن يُضرب، فقال: يا مولاي، ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾؟ قال: عفوت عنك، قال: يا مولاي، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟ قال: أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك».

وفي كتاب (العُدد القويّة)، قال: «طعن أقوام من أهل الكوفة في الحسن بن عليّ عليه السلام، فقالوا: إنّه عيّ لا يقوم بحجّة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فدعا الحسن فقال: يا بن رسول الله، إنّ أهل الكوفة قد قالوا فيك مقالة أكرهها، قال: وما يقولون يا أمير المؤمنين؟

قال: يقولون: إنّ الحسن بن عليّ عيّ اللسان لا يقوم بحجّة، وإنّ هذه الأعواد، فأخبر النّاس، فقال: يا أمير المؤمنين، لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّي مختفٍ عنك، فنادى: أنّ الصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون، فصعد المنبر فخطب خطبة بليغة وجيزة، فضجّ المسلمون بالبكاء.

ثمّ قال: أيّها الناس، اعقلوا عن ربّكم، إنّ الله عزّ وجلّ اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين، ذرّية بعضها من بعض، والله سميع عليم، فنحن الذّريّة من آدم، والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والآل من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. نحن فيكم كالسماء المرفوعة، والأرض المدحوّة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتونة، لا شرقيّة ولا غربيّة، التي بورك زيتها؛ النبيّ أصلها، وعليّ فرعها، ونحن والله ثمر تلك الشجرة، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلّف عنها فإلى النّار هوى.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام من أقصى النّاس يسحب رداءه من خلفه حتى علا المنبر مع الحسن فقبّل بين عينيه ثمّ قال: يا بن رسول الله، أثبتَّ على القوم حجّتك، وأوجبت عليهم طاعتك، فويلٌ لمن خالفك».

الفصل الرابع

في بيان بعض النصوص عليه عليه السلام بالإمامة
وبيان بعض معجزاته ومناقبه

قد روى العامّة والخاصّة بأسانيد متواترة، وطرق متظافرة: «إنّه لمّا حضرت أمير المؤمنين عليه السلام الوفاة أحضر الحسن عليه السلام مع سائر اخوته وشيعته وجعل الحسن وصيّه وخليفته عليهم، ودفع إليه كتبه وسلاحه وأدناه منه وأسرّ إليه ما أسرّه إليه رسول لله».

ولا خلاف بين العامّة أيضاً في استحقاقه للخلافة بنصّ أمير المؤمنين عليه السلام عليه، وبيعة المسلمين له. والنصوص الواردة في ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام أكثر من أن تحصى، وأوسع من أن تستقصى، يحتاج جمعها إلى إفراد كتاب على حدة مذكورة في مظانّها من طرق العامّة والخاصّة.

وقد روى الكليني في (الكافي) وغيره عن سليم بن قيس الهلالي، قال: «شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيّته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: يا بنيّ، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليَّ ودفع إليَّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا - ثمّ أخذ بيد عليّ بن الحسين عليه السلام، وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمّد بن عليّ، فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام».

وروى أيضاً بأسانيد معتبرة عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا حضره الوفاة قال لابنه الحسن: ادن منّي حتى أسرّ إليك ما أسرّ إليَّ رسول الله، وأئتمنك على ما ائتمنني عليه، ففعل».

وروى في (إعلام الورى) وغيره: «إنّ عليّاً عليه السلام لمّا سار إلى الكوفة استودع أمّ سلمة رضي الله عنها كتبه والوصيّة، فلمّا رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه»، وإلى غير ذلك من النصوص.

وأمّا معجزاته عليه السلام:

فروى الصفّار في (البصائر) والراوندي في (الخرائج) وغيرهما عن الصادق عليه السلام، قال:

«خرج الحسن بن عليّ عليه السلام في بعض عمره، ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته - قال: - فنزلوا في منهل من تلك المناهل، وقد نزلوا تحت نخل يابس قد يبس من العطش، قال: ففرش للحسن تحت نخلة وللزبيري بحذائه تحت نخلة أخرى.

قال: فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، قال: فقال له الحسن عليه السلام: وإنّك لتشتهي الرطب؟ قال: نعم، فرفع الحسن عليه السلام يده إلى السماء فدعا بكلام لم يفهمه الزبيري، فاخضرّت النخلة ثمّ صارت إلى حالها، فأورقت وحملت رطباً، فقال له الجمّال الذي اكتروا منه: سحر والله، قال: فقال له الحسن: ويلك ليس بسحر، ولكن دعوة ابن النبيّ مجابة، قال: فصعدوا إلى النخلة حتى صرموا ممّا كان فيها ما كفاهم».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام «إنّ الحسن عليه السلام قال يوماً لأخيه الحسين عليه السلام ولعبد الله بن جعفر: إنّ معاوية بعث إليكم بجوائزكم وهي تصل إليكم يوم كذا لمستهلّ الهلال، وقد أضاقا، فوصلت في الساعة التي ذكرها لمّا كان رأس الهلال، فلمّا وافاهم المال كان على الحسن دين كثير فقضاه ممّا بعثه إليه، ففضلت فضلة ففرّقها في أهل بيته ومواليه، وقضى الحسين دينه، وقسّم ثلث ما بقي في أهل بيته ومواليه، وحمل الباقي إلى عياله، وأمّا عبد الله فقضى دينه وما فضل دفعه إلى الرسول، فتعرّف معاوية من الرسول ما فعلوا، فبعث إلى عبد الله أموالاً حسنة».

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام: «إنّ الحسن عليه السلام خرج من مكّة ماشياً إلى المدينة فتورّمت قدماه، فقيل له: لو ركبت ليسكن عنك هذا الورم، فقال: كلاّ ولكنّا إذا أتينا المنزل فإنّه يستقبلنا أسود[1] ومعه دهن يصلح هذا الورم، فاشتروا منه ولا تماكسوه، فقال له بعض مواليه: ليس أمامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدواء، فقال: بلى إنّه أمامنا، وساروا أميالاً فإذا الأسود قد استقبلهم، فقال الحسن عليه السلام لمولاه: دونك الأسود، فخذ هذا الدهن منه بثمنه، فقال الأسود: لمن تأخذ هذا الدهن؟ فقال للحسن بن عليّ بن أبي طالب، قال: انطلق بي إليه، فصار الأسود إليه، فقال الأسود: يا بن رسول الله، إنّي مولاك لا آخذ له ثمناً، ولكن ادع الله أن يرزقني ولداً سوّياً ذكراً يحبّكم أهل البيت، فإنّي خلّفت امرأتي تمخض، فقال: انطلق إلى منزلك، فإنّ الله تعالى قد وهب لك ولداً ذكراً سوّياً، فرجع الأسود من فوره، فإذا امرأته قد ولدت غلاماً سوّياً، ثمّ رجع الأسود إلى الحسن ودعا له بالخير بولادة الغلام له، وأنّ الحسن عليه السلام قد مسح رجليه بذلك الدهن، فمّا قام من موضعه حتى زال ذلك الورم».

---

(١) أي عبد أسود.

وروى أيضاً: «إنّ عليّاً عليه السلام كان في الرحبة، فقام إليه رجل فقال: أنا من رعيّتك وأهل بلادك.

فقال عليه السلام: لست من رعيّتي ولا من أهل بلادي، وإنّ ابن الأصفر بعث بمسائل إلى معاوية فأقلقته وأرسلك إليَّ لأحلّها، قال: صدقت يا أمير المؤمنين، إنّ معاوية أرسلني إليك في خفية وأنت قد اطّلعت على ذلك، ولا يعلمها غير الله.

فقال عليه السلام: سل أحد ابنيَّ هذين - قال: - إسأل ذا الوفرة، يعني الحسن، فأتاه فقال له الحسن: جئت تسأل كم بين الحقّ والباطل، وكم بين السماء والأرض، وكم بين المشرق والمغرب، وما قوس قزح، وما المؤنّث، وما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض، قال: نعم.

قال الحسن عليه السلام: بين الحقّ والباطل أربع أصابع: ما رأيته بعينك فهو حقّ وقد تسمع بأذنيك باطلاً، وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومدّ البصر، وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس، ولا تقل: قوس قزح، فإنّ قزح اسم الشيطان، وهو قوس الله وعلامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق، وأمّا المؤنّث فهو الذي لا يدرى أذكر أم أنثى، فإنّه ينتظر به، فإن كان ذكراً احتلم، وإن كان أنثى حاضت وبدا ثديها، وإلاّ قيل له: بُل، فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر، وإن انتكص بوله على رجليه كما ينتكص بول البعير أنثى، وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض فأشدّ شيء خلق الله الحجر، وأشدّ منه الحديد يقطع به الحجر، وأشدّ من الحديد النّار تذيب الحديد، وأشدّ من النّار الماء يطفي النّار، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء، وأشدّ من السحاب الريح تحمل الحساب، وأشدّ من الريح الملك الذي يردّها، وأشدّ من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشدّ من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشدّ من الموت أمر الله الذي يدفع الموت».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب)، قال: «جاء أبو سفيان إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، جئتك في حاجة، قال: وفيم جئتني؟، قال: تمشي معي إلى ابن عمّك محمّد صلى الله عليه وآله فتسأله أن يعقد لنا عقداً ويكتب لنا كتاباً؟ فقال: يا أبا سفيان، لقد عقد رسول الله عقداً لا يرجع عنه أبداً، وكانت فاطمة عليها السلام من وراء الستر والحسن بين يديها وهو طفل من أبناء أربعة عشر شهراً، فقال لها: يا بنت محمّد، قولي لهذا الطفل يكلّم لي جدّه فيسود بكلامه العرب والعجم، فأقبل الحسن عليه السلام إلى أبي سفيان وضرب إحدى يديه على أنفه والأخرى على لحيته ثمّ أنطقه الله عزّ وجلّ أن قال: يا أبا سفيان، قل لا إله إلاّ الله، ومحمّد رسول الله، حتى أكون شفيعاً، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعل في آل محمّد من ذريّة محمّد المصطفى نظير يحيى بن زكريا ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وآتيناه الحكم صبياً».

وروي أيضاً: «إنّه استغاث النّاس من زياد إلى الحسن بن عليّ عليه السلام، فرفع يده وقال:

اللّهمّ خذ لنا ولشيعتنا من زياد ابن أبيه، وأرنا فيه نكالاً عاجلاً، إنّك على كلّ شيء قدير، قال: فخرج خراج في إبهام يمينه يقال لها السلعة وورم إلى عنقه فمات».

وروي أيضاً: «إنّه قال بعضهم للحسن بن عليّ عليه السلام في احتماله الشدائد من معاوية، فقال عليه السلام كلاماً معناه: لو دعوت الله لجعل العراق شاماً، والشام عراقاً، وجعل المرأة رجلاً، والرجل امرأة، فقال الشاميّ: ومن يقدر على ذلك؟ فقال عليه السلام: انهضي ألا تستحين أن تقعدي بين الرجال، فوجد الرجل نفسه امرأة، ثمّ قال: وصارت عيالك رجلاً، وتقاربك، وتحمل عنها، وتلد ولداً خنثى، فكان كما قال عليه السلام، ثمّ إنّهما تابا وجاءا إليه، فدعا الله تعالى فعادا إلى الحالة الأولى».

وروى السيّد ابن طاووس بإسناد معتبر عن عبد الله بن العبّاس، قال: «مرّت بالحسن بن عليّ عليه السلام بقرة، فقال: هذه حبلى بعجلة أنثى، لها غرّة في جبينها، ورأس ذنبها أبيض، فانطلقا مع القصّاب حتى ذبحها، فوجدنا العجلة كما وصف عليه السلام على صورتها، فقلنا: أوَ ليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ فكيف علمت؟ فقال عليه السلام: ما يعلم المخزون المكنون المجزوم المكتوم الذي لم يطّلع عليه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل غير محمّد وذرّيّته».

أقول: ترجم المجلسي رحمه الله جوابه عن ذلك بأنّه عليه السلام قال: «علمنا ذلك بإلهام الله عزّ وجلّ، وهو منه عجيب، فإنّه لا دلالة فيه على ذلك.

وقال رحمه الله في (البحار) بعد نقل الخبر: «ردّ عليه السلام استبعاده بأبلغ وجه، ولم يبيّن عليه السلام وجه الجمع بينه وبين ما هو ظاهر الآية من اختصاص العلم بذلك بالله تعالى، وقد مرّ أنّ المعنى أنّه لا يعلم ذلك أحد إلاّ بتعليمه تعالى ووحيه وإلهامه، وأنّهم: إنّما يعلمون بالوحي والإلهام»، انتهى، وهو مخالف لما ترجم.

وروى ابن طاووس رحمه الله أيضاً عن كتاب (مولد النبيّ ومولد الأصفياء)، تأليف الشيخ المفيد بإسناده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «جاء النّاس إلى الحسن بن عليّ عليه السلام فقالوا: أرنا من عجائب أبيك التي كان يرينا؟ فقال عليه السلام: وتؤمنون بذلك؟ قالوا: نعم نؤمن والله بذلك، قال: أليس تعرفون أبي؟ قالوا جميعاً: بلى نعرفه، فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قاعد، فقال: تعرفونه؟ قالوا بأجمعهم: هذا أمير المؤمنين، ونشهد أنّك وليّ الله حقّاً، والإمام من بعده، ولقد أريتنا أمير المؤممين بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا بعد موته، فقال الحسن عليه السلام: ويحكم، أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، فإذا كان هذا نزل فيمن قتل في سبيل الله ما تقولون فينا؟ قالوا: آمنا وصدّقنا يا بن رسول الله».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا صالح الحسن بن عليّ عليه السلام

معاوية جلسا بالنخيلة، فقال معاوية: يا أبا محمّد، بلغني أنّ رسول الله كان يخرص النخل، فهل عندك من ذلك علم، فإنّ شيعتكم يزعمون أنّه لا يعزب عنكم علم شيء في الأرض ولا في السماء؟ فقال الحسن: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخرص كيلاً وأنا أخرص عدداً. فقال معاوية: كم في هذه النخلة؟ فقال الحسن عليه السلام: أربعة آلاف بسرة وأربع بسرات، فأمر معاوية بها فصرّمت وعدّت فجاءت أربعة آلاف وثلاث بسرات، فقال عليه السلام: والله! ما كذبت ولا كذّبت، فنظر فإذا في يد عبد الله بن عامر بن كوير بسرة، ثمّ قال: يا معاوية، أما والله لولا أنّك تكفر لأخبرتك بما تعلمه؛ وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان لا يكذّب وأنت تكذّب وتقول: متى سمع من جدّه على صغر سنّه، والله لتدّعينّ زياداً ولتقتلنّ حِجراً، ولتحملنّ إليك الرؤوس من بلد إلى بلد، فادعى زياداً، وقتل حجراً، وحمل إليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي».

وروى الصفّار في (البصائر)، والقطب الراوندي في (الخرائج) عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام كان عنده رجلان، فقال لأحدهما: إنّك حدّثت البارحة فلاناً بحديث كذا وكذا، فقال الرجل: إنّه ليعلم ما كان، وعجب من ذلك، فقال عليه السلام: إنّا لنعلم ما يجري في الليل والنهار، ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى علّم رسول الله صلى الله عليه وآله الحلال والحرام، والتنزيل والتأويل، فعلّم رسول الله عليّاً علمه كلّه، وعلّمنيه أمير المؤمنين كلّه».

وروى صاحب كتاب (العُدد القويّة) عن حذيفة بن اليمان، قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في جبل - أظنّه جبل حرى أو غيره - ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ عليه السلام وجماعة من المهاجرين والأنصار، وأنس حاضر لهذا الحديث وحذيفة يحدّث به، إذ أقبل الحسن بن عليّ عليه السلام يمشي على هدوء ووقار.

فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنّ جبرئيل يهديه، وميكائيل يسدّده، وهو ولدي، والظاهر من نفسي، وضلع من أضلاعي، هذا سبطي، وقرّة عيني، بأبي هو، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقمنا معه وهو يقول له: أنت تفّاحتي، وأنت حبيبي، ومهجة قلبي، وأخذ بيده، فمشى معه ونحن نمضي حتى جلس وجلسنا حوله ننظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لا يرفع بصره عنه، ثمّ قال: إنّه سيكون بعدي هادياً مهديّاً، هذا هدية من ربّ العالمين لي ينبئ عنّي، ويعرّف النّاس آثاري، ويحيي سنّتي، ويتولّى أموري في فعله، ينظر الله إليه فيرحمه، رحم الله من عرف له ذلك، وبرّني فيه، وأكرمني فيه.

فما قطع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجرّ هراوة له، فلمّا نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إليه قال: قد جاءكم رجل يكلّمكم بكلام غليظ تقشعرّ منه جلودكم، وإنّه يسألكم عن أمور، وإنّ لكلامه جفوة، فجاءه الأعرابيّ فلم يسلّم وقال: أيّكم محمّد، قلنا: وما تريد؟

قال رسول الله ﷺ: مهلاً، فقال: يا محمّد، لقد كنت أُبغضك ولم أرك، والآن فقد ازددتُ لك بغضاً، قال: فتبسّم رسول الله ﷺ وغضبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادة، فأومى إلينا رسول الله ﷺ أن اسكتوا، فقال الأعرابي: يا محمّد، إنّك تزعم أنّك نبيّ، وأنّك قد كذبت على الأنبياء، ما معك من برهانك شيء.

فقال له ﷺ: يا أعرابي، وما يدريك؟ قال: فخبّرني ببرهانك، قال: إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد لبرهاني، قال: أو يتكلّم العضو، قال: نعم، يا حسن، قم، فازدرى الأعرابي نفسه وقال: هو يأبى ويقيم صبيّاً ليكلّمني، قال: إنّك ستجده عالماً بما يريد، فابتدره الحسن عليه السلام وقال: مهلاً يا أعرابي:

ما غبيّاً سألت وابن غبيّ ... بل فقيهاً إذن وأنت الجهول

ثمّ قال عليه السلام:

فان تك قد جهلت فإنّ عندي ... شفاء الجهل ما سئل السؤول
وبحراً لا تقسّمة الدوالي ... تراثاً كان أورثه الرسول

لقد بسطت لسانك وعدوت طورك، وخدعتك نفسك، غير أنّك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله، فتبسّم الأعرابي وقال: هيه! فقال له الحسن: نعم، اجتمعتم في نادي قومك وتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل وخرق منكم، فزعمتم أنّ محمّداً صنبور[١]، والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره، وزعمت أنّك قاتله، وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمّه تريد قتله، فعسر عليك مسلكك، وعمى عليك بصرك، وأبيت إلاّ ذلك، فأتيتنا خوفاً من أن تشتهر، وأنّك إنّما جئت تجرّ بردائك، أُنبئك عن سفرك: خرجت في ليلة ضحياء[٢] إذ عصفت ريح شديدة اشتدّ منها ظلماؤها، وأظلمت سماؤها، وأعصر سحابها، فبقيت محر نجماً[٣] كالأشقر، إن تقدّم نحر، وإن تأخّر عقر، لا تسمع لواطئ حسّاً، ولا لنافخ نار جرساً[٤]، تداكّت عليك غيوبها، وتوارت عنك نجومها، فلا تدري بنجم طالع، ولا بعلم لامع، تقطع محجّة، وتهبط لجّة في ديمومة قفر، بعيدة القعر، مجحفة بالسفر، إذا علوت مصعداً ازددت بعداً، الريح تخطفك، والشوك يخبطك، في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت فإذا أنت عندنا، فقرّت عينك، وظهر دينك، وذهب أنينك.

---

(١) أي أبتر لا عقب له.
(٢) ضحياء: مضيئة لا غيم فيها.
(٣) احر نجم: أراد الأمر ثم رجع عنه.
(٤) الجرس: الصوت الخفي.

قال: من أين قلت هذا يا غلام، كأنّك كشفت عن سويد قلبي، ولقد كنت كأنّك شاهدتني، وما خفي عليك شيء من أمري، وكأنّه علم الغيب؟ قال له: ما الإسلام؟ فقال الحسن عليه السلام: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه، وعلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من القرآن، فقال: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأُعرّفهم ذلك، فأذن له صلى الله عليه وآله فانصرف ورجع معه جماعة من قومه فدخلوا في الإسلام، فكان النّاس إذا نظروا إلى الحسن عليه السلام قالوا: لقد أُعطي ما لم يعط أحد من النّاس».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج): «إنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية: إنّ الحسن بن عليّ عيّ، وأنّه إذا صعد المنبر ورمقوه بأبصارهم خجل وانقطع، لو أذنت له؟.

فقال معاوية: يا أبا محمّد، لو صعدت المنبر ووعظتنا، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ، وابن سيّدة النساء فاطمة بنت رسول الله، أنا ابن رسول الله، أنا ابن نبيّ الله، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن من بُعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بُعث إلى الجنّ والإنس، أنا ابن خير خلق الله بعد رسول الله، أنا ابن صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقّي، أنا واحد سيّدي شباب أهل الجنّة، أنا ابن الركن والمقام، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن مشعر وعرفات.

فاغتاظ معاوية وقال: خذ في نعت الرطب ودع ذا.

فقال: الريح تنفخه، والحرّ ينضجه، وبرد الليل يطيّبه.

ثمّ عاد فقال: أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، أنا ابن من خضعت له قريش، أنا ابن إمام الخلق، وابن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فخشي معاوية أن يفتتن النّاس فقال: يا أبا محمّد، انزل فقد كفى ما جرى، فنزل. فقال له معاوية: ظننت أن ستكون خليفة وما أنت وذاك؟

فقال الحسن عليه السلام: إنّما الخليفة من سار بكتاب الله، وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس الخليفة من سار بالجور، وعطّل السنّة، واتّخذ الدنيا أباً وأمّاً، وكان شابّ أمويّ فأغلظ للحسن عليه السلام في كلامه، وتجاوز الحدّ في السبّ والشتم له ولأبيه عليه السلام.

فقال الحسن عليه السلام: اللّهمّ غيّر ما به من النعمة، واجعله أنثى ليُعتبر به، فنظر الأمويّ في نفسه وقد صار امرأة قد بدّل الله فرجه بفرج النساء، وسقطت لحيته.

فقال الحسن عليه السلام: اعزب، ما لك ومحفل الرجال، فإنّك امرأة.

ثمّ إنّ الحسن عليه السلام سكت ساعة ثمّ نفض ثوبه ونهض ليخرج، فقال ابن العاص: اجلس، فإنّي أسألك مسائل.

قال عليه السلام: سل عمّا بدا لك، قال عمرو: أخبرني عن الكرم والنجدة والمروّة؟

فقال عليه السلام: أمّا الكرم: فالتبرّع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، وأمّا النجدة: فالذبّ عن المحارم، والصبر في المواطن عند المكاره، وأمّا المروّة: فحفظ الرجل دينه، وإحرازه نفسه من الدنس، وقيامه بأداء الحقوق، وإفشاء السلام، وخرج فَعَذَلَ معاوية عمراً فقال: أفسدت أهل الشام.

فقال عمرو: إليك عنّي، إنّ أهل الشام لم يحبّوك محبّة إيمان ودين، وإنّما أحبّوك للدنيا ينالونها منك والسيف والمال بيدك، فما يغني عن الحسن كلامه، ثمّ شاع أمر الشاب الأموي، وأتت زوجته فجعلت تبكي وتتضرّع، فَرَقَّ له عليه السلام ودعا، فجعله الله كما كان».

الفصل الخامس

في بيان بعض أحواله عليه السلام
بعد شهادة أبيه عليه السلام وسبب صلحه مع معاوية

ليعلم أنّه بعدما ثبت بالأدلّة القاطع، والبراهين الساطعة من عصمة الأئمّة عليهم السلام وجلالتهم، وأنّهم القوّامون بأمر الله، العاملون بحكمه، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فينبغي التسليم والانقياد والإذعان لما صدر منهم، وعدم السؤال عنه بـ (لِمَ) (وكيف).

على أنّك قد عرفت من جملة الأخبار المتظافرة والأحاديث المتواترة السابقة على أنّ الله تعالى أنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله صحيفة من السماء فيها أسماء الأئمّة وتكاليفهم، وأنّ كلاً منهم مكلّف بتكليف على حدة، وفيها أمر الحسن عليه السلام بذلك الصلح، فقد أطاع أمر الله في ذلك، فلا اعتراض ولا سؤال.

وروى الصدوق والمفيد وابن شهر آشوب وغيرهم: «إنّ الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه عليه السلام صعد المنبر وخطب خطبة بليغة مشتملة على المعارف الربّانيّة والحقائق السبحانيّة، وقال: نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أُمّته، والتالي كتاب الله فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره لانتظنّا تأويله، بل نتيقّن حقائقه، فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عزّ وجلّ ورسوله مقرونة.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾» [النساء: ٩٥]، .

وفي (إرشاد المفيد): إنّه عليه السلام قال بعد الحمد والصلاة: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفّي عليه السلام في الليلة التي عُرج فيها بعيسى بن مريم، والتي قبض فيها يوشع بن نون، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم فضلت عن عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثمّ خنقته العبرة، فبكى وبكى النّاس من حوله معه.

ثمّ قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت فرض الله مودّتهم

في كتابه فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ [الشورى: ٢٣]، فالحسنة مودّتنا أهل البيت.

ثمّ جلس، فقام عبد الله بن العبّاس رحمه الله بين يديه، فقال: معاشر النّاس، هذا ابن نبيّكم، ووصيّ إمامكم، فبايعوه، فاستجاب له النّاس.

فقالوا: ما أحبّه إلينا، وأوجب حقّه علينا، وبادروا إلى البيعة بالخلافة، وذلك في يوم الجمعة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وكان عمره عليه السلام ثلاثين سنة، فرتّب العمّال، وأمّر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن العبّاس إلى البصرة، ونظر في الأمور».

وروى الشيخ المفيد والصدوق والقطب الراوندي وغيرهم: «إنّه لمّا بلغ معاوية بن أبي سفيان وفاة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعة النّاس ابنه الحسن عليه السلام دسَّ رجلاً من حِمير إلى الكوفة ورجلاً من بني القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار، ويفسدا على الحسن الأمور، فعرف ذلك الحسن عليه السلام، فأمر باستخراج الحميري من عند حجّام بالكوفة، فأُخرج وأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة باستخراج القيني من بني سليم، فأُخرج وضربت عنقه، وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية يكلّفه بالبيعة له، ويبيّن له فضله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستحقاقه للخلافة، وكتب فيه حججاً شافية، وبراهين وافية، وكتب له:

إنّك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنّك تحبّ اللقاء، وما أشكّ في ذلك، فتوقّعه إن شاء الله.

فلمّا وصل الكتاب إلى معاوية أجابه بأجوبة في الكتاب واهية، وأدرج ما يقتضيه كفره ونفاقه، وأرسله إلى الحسن عليه السلام، وسار بجيش عظيم متوجّهاً إلى العراق، وأرسل الجواسيس للكوفة إلى جملة من المنافقين والخوارج الذين كانوا يظهرون الإيمان بأمير المؤمنين خوفاً من سيفه، ويبطنون النفاق، كعمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجر بن الحرّ، وشبث بن ربعي، وأمثالهم من المنافقين والخوارج، وأفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه، إنّك إن قتلت الحسن بن عليّ فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد أهل الشام، وبنت من بناتي، واستمال أكثر المنافقين إليه بذلك حتى انحرفوا عن الحسن عليه السلام، حتى أنّ الحسن كان يستئلم ويلبس درعاً ويكفّرها تحت ثيابه، وكان يحترز ولا يتقدّم للصلاة بهم إلاّ كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم، فلم يثبت فيه لما عليه من اللاّمة، وكتب أُولئك المنافقون إلى معاوية في الخفية يظهرون الموافقة.

فلمّا سمع الحسن عليه السلام بتوجّه معاوية إلى العراق علا المنبر وحمد الله وأثنى عليه، وحثَّهم ودعاهم إلى الجهاد مع معاوية وقومه، قال: فسكتوا فما تكلّم منهم أحد، ولا أجابه بحرف، فلمّا رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا

المقام، ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيّكم، أين خطباء مصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدّ تراوغوا كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولاعنتها وعارها.

ثمّ قام جماعة آخرون ووافقوا عديّاً في قوله، فقال لهم عليه السلام: إن صدقتم فتوجّهوا إلى النخيلة، فإنّها معسكري، وأعلم أنّكم لا تفون بقولكم، كما أنّكم ما وفيتم لمن كان خيراً منّي، فكيف تفون لي، وكيف أطمئنّ إليكم، وكيف أثق بكم، وقد رأيت صنيعكم مع أبي؟! ثمّ نزل عليه السلام من المنبر وركب وتوجّه إلى معسكره، وركب من أراد الخروج معه، وتخلّف عنه كثير، فما وفوا بما قالوه.

فقام عليه السلام خطيباً وقال: غررتموني كما غررتم من كان قبلي، مع أيّ إمام تقاتلون بعدي! مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قطّ، ولا أظهر الإسلام هو وبنو أميّة إلاّ فرقاً من السيف! ثمّ نزل عن المنبر ووجّه إلى معاوية قائداً في أربعة آلاف، وكان من كندة، وأمره أن يعسكر بالأنبار، ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره، فلمّا توجّه إلى الأنبار ونزل بها وعلم معاوية بذلك بعث إليه رسلاً، وكتب إليه معهم: إنّك إن أَقبلتَ إليَّ أولّك بعض كور الشام والجزيرة غير منغّص عليك، وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم، فقبض الكندي عدوّ الله المال وقلب على الحسن وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصّته وأهل بيته، فبلغ ذلك الحسن عليه السلام فقام خطيباً، وقال:

هذا الكندي توجّه إلى معاوية وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرّة بعد مرّة أنّه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجّه رجلاً آخر مكانه، وإنّي أعلم أنّه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه، ولا يراقب الله فيَّ ولا فيكم.

فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف، وتقدّم إليه بمشهد من النّاس، وتأكّد عليه وأخبره أنّه سيغدر كما غدر الكندي، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم بها الجبال أنّه لا يفعل، فقال الحسن عليه السلام: إنّه سيغدر، فلمّا توجّه إلى الأنبار أرسل إليه معاوية رسلاً، وكتب له بمثل ما كتب إلى صاحبه، وبعث إليه بخمسة آلاف درهم، ومنّاه أيّ ولاية أحبّ من كور الشام إلى الجزيرة، فقلب على الحسن عليه السلام، وأخذ طريقه إلى معاوية ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود، وبلغ الحسن ما فعل المرادي، فقام خطيباً فقال:

قد أخبرتكم مرّة بعد أخرى أنّكم لا تفون لله بعهود، وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم، وصار إلى معاوية.

ثمّ أرسل عليه السلام عبيد الله بن عبّاس مع قيس بن سعد، وضمّ إليهما اثني عشر ألفاً ووجّهم من دير عبد الرحمن إلى معاوية، وجعل عليه السلام عبيد الله أميراً عليهم، وإن أُصيب فالأمير قيس بن سعد، وأوصى عبيد الله بن عبّاس أن لا يخالف قيس بن سعد، ثم توجّه عليه السلام من موضعه

ونزل ساباط دون القنطرة، فلمّا أصبح عليه السلام أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم له بالطاعة ليتميّز بذلك أولياءه من أعدائه، ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال في خطبته:

الحمد لله كلّما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، كلّما شهد له شاهد، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ فأتمنه على الوحي، صلّى الله عليه وآله.

أمّا بعد: فإنّي والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، ولا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ، غفر الله لكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبّة والرضا.

قال: فنظر النّاس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه يريد بما قال، قالوا: نظنّه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلّم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل، ثمّ شدّوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاّه من تحته، ثمّ شدّ عليه عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلّداً السيف بغير رداء، ثمّ دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته ومنعوا منه من أراده.

فقال عليه السلام: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوا، فأطافوا به ودفعوا النّاس عنه وساروا معه، فلمّا مرّ في ساباط المدائن بدر إليه رجل من بني أسد يقال له جراح بن سنان وأخذ بلجام بغلته وبيده معول، وقال: الله أكبر، أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، ثمّ طعنه في فخذه فشقّه حتى بلغ العظم، ثمّ وثب إليه جماعة من مواليه وشيعته فقتلوا ذلك الملعون.

وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن، فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي وهو عمّ المختار، وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها، فأقرّه الحسن على ذلك، فأشار المختار إلى عمّه أن يوثقه ويسلمه إلى معاوية طمعاً أن يولّيه العراق، فقال للمختار: قبّح الله رأيك أنا عامل أبيه، وقد ائتمنني وشرّفني، وكيف أنسى رسول الله ولا أحفظه في ابن بنته وحبيبه وأُسلمه إلى معاوية، ولمّا سمع بعض شيعته عليه السلام هذا الكلام همّوا بقتل المختار، فتشفّع عمّه فيه، فلم يقتلوه، ثمّ إنّ سعد بن مسعود أتاه بجرّاح وقام عليه حتى برئ، ثمّ إنّه كتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة في السرّ، واستحثّوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوّه من عسكرهم أو الفتك به، وبلغ الحسن عليه السلام ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد، وكان قد أنفذه مع عبيد الله بن العبّاس يخبره أنّهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الجوينيّة، وأنّ معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العبّاس يرغّبه في المصير إليه، ضمن ألف ألف درهم يعجّل له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند

دخوله إلى الكوفة، فانسلّ عبيد الله في الليل إلى معسكر معاوية في خاصّته وأصبح النّاس قد فقدوا أميرهم، فصلّى بهم قيس بن سعد، ثمّ خطبهم فثبّتهم وقال: إن كان هذا الخائن خان مع إمامه فلا تخونوا أنتم، وتحرّزوا من غضب الله ورسوله، وانهضوا إلى عدوّكم فجاهدوه، فأجابوه ظاهراً بالسمع والطاعة وقلوبهم مخالفة لذلك، وفي كلّ ليلة ينسلّ جمع منهم إلى معسكر معاوية.

ثمّ كتب معاوية إلى الحسن وأرسل إليه ما كتب له أصحاب الحسن من إظهار الإطاعة والانقياد، والخيانة مع الحسن، وكتب له: إنّ النّاس قد غدروا بأبيك من قبلك، ولا يوافقوك أبداً وهذه كتبهم قد أرسلتها إليك، فلمّا رأى الحسن عليه السلام مكاتيب أصحابه وقرأها واطّلع على فرار عبيد الله وجمع آخرين وتوجّههم إلى عسكر معاوية.

فقال لهم الحسن عليه السلام: إنّي لأعلم أنّكم أهل مكر وخدعة، وأعلم أنكم غادرون ما بيني وبينكم، ولكنّي أُتمّ الحجّة عليكم، فاجتمعوا غداً في النخيلة، ووافوني هناك ولا تنقضوا بيعتي، واتّقوا عذاب الله. ثمّ إنّ الحسن عليه السلام أخذ طريق النخيلة فعسكر عشرة أيّام فلم يحضره إلاّ أربعة آلاف، فانصرف إلى الكوفة فصعد المنبر وقال:

يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين، ويلكم، والله إنّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنّي إن وضعت يدي في يده فأُسلمه لم يتركني أُدين بدين جدّي، وإنّي أقدر أن أعبد الله عزّ وجلّ وحدي، وأيم الله لئن سلّمت الأمر لمعاوية لا ترون فرحاً أبداً مع بني أميّة، وليسومونكم سوء العذاب، وكأنّي أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يُسقون ولا يُطعمون، ولو وجدت أعواناً ما سلّمت له الأمر؛ لأنّ الخلافة محرّمة على بني أميّة، فأُفّ لكم يا عبيد الدنيا، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ثمّ لمّا يئس من أصحابه كتب إلى معاوية من فوره:

أمّا بعد: فإنّي كنت أريد أن أُحيي الحقّ وأُميت الباطل، وأُنفذ حكم الكتاب والسنّة، ولم يوافقني النّاس على ذلك، والآن أُصالحك على شروط أعلم أنّك لا تفي بها، ولا تفرح بما تيسّر لك من هذه الرئاسة، وعمّا قريب ستندم كما ندم من مضى قبلك، ولا تنفعك الندامة.

ثمّ أرسل ابن عمّ عبد الله بن الحارث إلى معاوية ليأخذ منه العهود والمواثيق، ويكتب وثيقة المصالحة، وهذا ما كتبه عليه السلام في كتاب الصلح:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا ما صالَحَ عليه الحسن بن عليّ بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن

يسلّم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

وعلى أنّ النّاس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم.

وعلى أنّ أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم. وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه الوفاء وبما أعطى الله من نفسه.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن عليّ ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة، سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق.

وأن يوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه.

وأن يعطي للحسن في كلّ سنة من الخراج خمسين ألف درهم، واشترط عليه ترك سبّ أمير المؤمنين، والعدول عن القنوت عليه في الصلاة وعلى شيعته، والله ورسوله شاهدان على ذلك.

وشهد بذلك عبد الله بن الحارث وعمرو بن أبي سلمة وعبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة وغيرهم، ولمّا تمّ الصلح توجّه معاوية إلى الكوفة حتى نزل بالنخيلة، وذلك يوم الجمعة، فصلّى بالنّاس ضحى النهار، فخطبهم وقال في آخر خطبته:

إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم لها كارهون، ألا وإنّي كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء، وهي جميعاً تحت قدمي لا أفي بشيء منها له.

ثمّ سار حتى دخل الكوفة وأقام بها أيّاماً، ثمّ جاء إلى المسجد والتمس من الحسن عليه السلام أن يصعد المنبر ويُعلم النّاس بأنّه قد بايع معاوية وسلّم الأمر إليه، فأجابه الحسن إلى ذلك ورقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ فصلّى عليه وعلى أهل بيته، وقال في خطبته:

أيّها النّاس، إنّ أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإنّكم لو طلبتم بين جابلقا وبين جابرسا رجلاً جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وقد علمتم أنّ الله تعالى هداكم بجدّي محمّد صلى الله عليه وآله فأنقذكم به من الضلالة، ورفعكم به من الجهالة، وأعزّكم بعد الذلّة، وكثّركم بعد القلّة، وأنّ معاوية نازعني حقّاً هو لي دونه، فنظرت لصلاح الأمّة، وقطع الفتنة، وقد كنتم بايعتموني على أن تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، فرأيت أنّ أسالم معاوية وأضع الحرب بين وبينه، وقد بايعته ورأيت أنّ حقن الدماء

خير من سفكها، ولم أُرد بذلك إلاّ صلاحكم وبقاءكم ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١].

ثمّ إنّ معاوية صعد إلى المنبر فخطب النّاس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام ونال منه، ونال من الحسن، وكان الحسن والحسين عليهما السلام حاضرَين، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذ بيده الحسن وأجلسه، ثمّ قام فقال: أيّها الذاكر عليّاً، أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول الله وجدّك حرب، وجدّتي خديجة وجدّتك فتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين».

أقول: قد لفّق الفاضل المجلسي رحمه الله هذه الراوية من كتب شتّى وأحاديث متفرّقة، انتخب من جميعها هذا، ونحن قد أوردنا كما أورده.

وفي بعض الكتب المعتبرة على ما في (البحار): «إنّه دخل الحسين عليه السلام على أخيه باكياً، ثمّ خرج ضاحكاً، فقال له مواليه: ما هذا؟ قال: العجب من دخولي على إمام أريد أن أُعلمه، فقلت: ماذا دعاك إلى تسليم الخلافة؟ فقال: الذي دعا أباك فيما تقدّم».

وروي فيه أيضاً: «إنّه لمّا انعقد الصلح بين معاوية والحسن عليهما السلام فطلب معاوية البيعة من الحسين عليه السلام، فقال الحسن: يا معاوية، لا تكرهه، فإنّه لن يبايع أبداً أو يُقتل، ولن يُقتل حتى يقتل أهل بيته، ولم يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام.

ولمّا تمّ الصلح بين معاوية والحسن عليهما السلام أرسل إلى قيس بن سعد يدعوه إلى البيعة، وكان رجلاً طوالاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطّان في الأرض، وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمّى خصيّ الأنصار، فلمّا أرادوا إدخاله إليه قال: حلفت أن لا ألقاه إلاّ وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبرّ بيمينه».

وقد روي أيضاً: «إنّ الحسن عليه السلام لمّا صالح معاوية اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف، وأبى أن يبايع، فلمّا بايع الحسن أُدخل قيس ليبايع، فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس، إنّه إمامي، يعني الحسن عليه السلام، ووضع قيس يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية، فحنى معاوية على سريره وأكبّ على قيس حتى مسح يده على يده، وما رفع قيس إليه يده».

وفي رواية أخرى: «إنّه بعدما أمره الحسن بالبيعة لمعاوية بايعه».

وفي بعض الكتب المعتبرة أيضاً: «إنّه دخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة، وبين يديه خالد بن عرفطة ومعه حبيب بن حمّاز يحمل رايته.

فلمّا صار بالكوفة دخل المسجد من باب الفيل، واجتمع النّاس إليه، فتذكّر النّاس كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وما أخبر به من هذه الواقعة حسبما رواه العامة والخاصّة عن عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: بينما عليّ بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، مات خالد بن عرفطة.

فقال: لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب المسجد - وأشار إلى باب الفيل - ومعه راية ضلالة يحملها حبيب بن حمّاز، قال: فوثب إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمّاز، وأنا لك شيعة؟

فقال عليه السلام: فإنّه كما أقول، قال: فوالله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدّمة معاوية يحمل رايته حبيب بن حمّاز، ثمّ تبيّن في ذلك الوقت صدق مقالته عليه السلام لجميع الحاضرين».

وروى الشيخ في (الأمالي) بإسناد معتبر عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «لمّا أجمع الحسن بن عليّ عليه السلام على صلح معاوية خرج حتى لقيه، فلمّا اجتمعا قام معاوية خطيباً فصعد المنبر وأمر الحسن أن يقوم أسفل منه بدرجة.

ثمّ تكلّم معاوية فقال: أيّها النّاس، هذا الحسن بن عليّ وابن فاطمة رآنا للخلافة أهلاً ولم يرَ نفسه لها أهلاً، وقد أتانا ليبايع طوعاً، ثمّ قال: قم يا حسن.

فقام الحسن عليه السلام فخطب فقال: الحمد الله المستحمد بالآلاء، وتتابع النعماء، وصارف الشدائد والبلاء عند الفهماء وغير الفهماء، المذعنين من عباده لامتناعه بجلاله وكبريائه، وعلوّه عن لحوق الأوهام ببقائه، المرتفع عن كنه تظنّيات المخلوقين، ومن أن تحيط بمكنون غيبه رويّات عقول الرائين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده في ربوبيّته ووجوده ووحدانيّته، صمداً لا شريك له، فرداً لا ظهير معه.

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، اصطفاه وانتجبه وارتضاه وبعثه داعياً إلى الحقّ، سراجاً منيراً، وللعباد ممّا يخافون نذيراً، ولما يأملون بشيراً، فنصح للأمّة، وصدع بالرسالة، وأبان لهم درجات العمالة، شهادة عليها أموت وأُحشر، وبها في الآجلة أُقرّب وأُحبر، وأقول معشر الخلائق فاسمعوا، ولكم أفئدة وأسماع فعوا:

إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام، واختارنا واصطفانا واجتبانا، فاذهب عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً، والرجس هو الشكّ، فلا نشكّ في الله الحقّ ودينه أبداً، وطهّرنا من كل أفن وعيبة، مخلصين إلى آدم نعمة منه، لم يفترق النّاس قطّ فرقتين، إلاّ جعلنا الله في خيرهما، فأدّت الأمور، وأفضت الدهور، إلى أن بعث الله محمّداً للنبوّة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه، ثمّ أمره بالدعاء إلى الله تعالى، فكان أبي أوّل من استجاب لله تعالى ولرسوله، وأوّل من آمن وصدّق الله ورسوله، وقد قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيّه المرسل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ

بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ [هود: ١٧]، وأبي الذي يتلوه وهو شاهد منه، وقال قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أمره أن يسير إلى مكّة والموسم ببراءة: سرْ بها يا عليّ، فإنّي أمرت أن لا يسير بها إلاّ أنا أو رجل منّي، وأنت هو، فعليّ من رسول الله ورسول الله منه.

وقال له نبيّ الله حين قضى بينه وبين أخيه جعفر بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة في ابنة حمزة: أمّا أنت يا عليّ فمنّي وأنا منك، وأنت وليّ كلّ مؤمن من بعدي، فصدّق أبي رسول الله سابقاً، ووقاه بنفسه.

ثمّ لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كلّ موطن يقدّمه، ولكلّ شديدة يرسله، ثقة منه به وطمأنينة إليه، لعلمه بنصيحته لله ورسوله، وأنّه أقرب القرنين من الله ورسوله، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١١ - ١٢]، فكان أبي سابق السابقين إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله، وأقرب الأقربين، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الحديد: ١٠]، فأبي كان أوّلهم إسلاماً وإيماناً، وأوّلهم إلى الله ورسوله هجرةً ولحوقاً، وأوّلهم على وجده ووسعه نفقة. قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فالنّاس من جميع الأمم يستغفرون له بسبقه إيّاهم إلى الإيمان بنبيّه: وذلك أنّه لم يسبقه إلى الإيمان به أحد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهو سابق جميع السابقين، فكما أنّ الله عزّ وجلّ فضّل السابقين على المتخلّفين والمتأخّرين، فكذلك فضّل سابق السابقين، وقال قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، فهو المجاهد في سبيل الله حقّاً، وفيه نزلت هذه الآية، وكان ممّن استجاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّه حمزة وجعفر ابن عمّه، فقتلا شهيدين رضي الله عنهما في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول الله، فجعل الله تعالى حمزة سيّد الشهداء من بينهم، وجعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء من بينهم؛ وذلك لمكانهما من رسول الله، ومنزلتهما وقرابتهما منه صلى الله عليه وآله وسلم، وصلّى رسول الله على حمزة سبعين صلاة من بين الشهداء الذين استشهدوا معه، وكذلك جعل الله تعالى لنساء النبيّ المحسنة منهنّ أجرين، وللمسيئة منهنّ وزرين ضعفين لمكانهنّ من رسول الله، وجعل الصلاة في مسجد رسول الله بألف صلاة في سائر المساجد إلاّ المسجد الحرام، مسجد خليله إبراهيم بمكّة؛ وذلك لمكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ربّه، وفرض الله عزّ وجلّ الصلاة على نبيّه على كافّة المؤمنين فقالوا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، فحقّ على كلّ مسلم أن يصلّي علينا مع الصلاة على النبيّ فريضة واجبة.

وأحلّ الله تعالى خمس الغنيمة لرسول الله ﷺ وأوجبها له في كتابه، وأوجب لنا من ذلك ما أوجب له، وحرّم عليه الصدقة وحرّمها علينا معه، فأدخلنا - وله الحمد - فيما أدخل فيه نبيّه، وأخرجنا ونزّهنا ممّا أخرجه منه ونزّهه عنه، كرامة أكرمنا الله عز وجل بها، وفضيلة فضّلنا بها على سائر العباد، فقال الله تعالى لمحمّد ﷺ حين جحده كفرة أهل الكتاب وحاجّوه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، فأخرج رسول الله من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء أمّي فاطمة من النّاس جميعاً، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فلمّا نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ﷺ أنا وأخي وأمّي وأبي فجلّلنا ونفسه في كساء لأمّ سلمة خيبريّ، وذلك في حجرتها، وفي يومها، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أمّ سلمة رضي الله عنها: أأدخل معهم يا رسول الله؟ فقال لها رسول الله: يرحمك الله، أنت على خير وإلى خير، وما أرضاني عنك ولكنّها خاصّة لي ولهم.

ثمّ مكث رسول الله بعد ذلك بقيّة عمره حتى قبضه الله يأتينا في كلّ يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأمر رسول الله بسدّ الأبواب الشارعة في مسجده غير بابنا، فكلّموه في ذلك، فقال: أما إنّي لم أسدّ أبوابكم ولم أفتح باب عليّ من تلقاء نفسي، ولكنّي أتّبع ما يوحى إليّ، وإنَّ الله أمر بسدّها وفتح بابه، فلم يكن من عبد ذلك أحد تصيبه جنابة في مسجد رسول الله ويولد فيه الأولاد غير رسول الله وأبي عليّ بن أبي طالب، تكرمةً من الله تعالى وفضلاً اختصّنا به على جميع النّاس، وهذا باب أبي قرين باب رسول الله ﷺ في مسجده ومنزلنا بين منازل رسول الله؛ وذلك أنّ الله أمر نبيّه أن يبني مسجده فبنى فيه عشرة أبيات؛ تسعة لبنيه وأزواجه، وعاشرها وهو متوسّطها لأبي، وها هو بسبيل مقيم، والبيت هو المسجد المطهّر، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[هود: ٧٣]، فنحن أهل البيت، ونحن الذين أذهب الله عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً.

أيّها النّاس، إنّي لو قمت حولاً فحولاً أذكر الذي أعطانا الله عز وجل وخصّنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيّه لم أُحصه، وأنا ابن النبيّ النذير، والبشير، والسراج المنير، الذي جعله الله رحمة للعالمين، وأبي عليّ وليّ المؤمنين، وشبيه هارون.

وأنّ معاوية بن صخر زعم أنّي رأيته للخلافة أهلاً ولم أرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية،

وأيم الله لأنا أوْلى النّاس بالنّاس في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غير أنّا لم نزل أهل البيت مخيفين مظلومين مضطهدين منذ قبض رسول الله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقّنا، ونزى على رقابنا، وحمل النّاس على أكتافنا، ومنعنا سهمنا في كتاب الله من الفيء والغنائم، ومنع أمّنا فاطمة إرثها من أبيها، إنّا لا نسمّي أحداً، ولكن أُقسم بالله قسماً تالياً لو أنّ النّاس سمعوا قول الله ورسوله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما اختلف في هذه الأمّة سيفان، ولأكلوها خضراء خضرة إلى يوم القيامة، وإذاً ما طمعت فيها يا معاوية، ولكنّها لمّا أُخرجت سالفاً من معدنها، وزحزحت عن قواعدها، تنازعتها قريش بينها، وترامتها كترامي الكرة، حتى طمعت أنت فيها يا معاوية وأصحابك من بعد، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما ولّت أمّة أمرها رجلاً قطّ وفيهم من هو أعلم منه إلاّ لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا، وقد تركت بنو إسرائيل وكانوا أصحاب موسى هارون أخاه وخليفته ووزيره، وعكفوا على العجل، وأطاعوا فيه سامريّهم وهم يعلمون أنّه خليفة موسى، وقد سمعت هذه الأمّة رسول الله يقول ذلك لأبي إنّه منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي، وقد رأوا رسول الله حين نصبه لهم بغدير خمّ وسمعوه نادى له بالولاية، ثمّ أمرهم أن يبلّغ الشاهد منهم الغائب، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذراً من قومه إلى الغار لمّا أجمعوا أن يمكروا به، وهو يدعوهم لمّا لم يجد عليهم أعواناً، ولو وجد عليهم أعواناً لجاهدهم، وقد كفّ أبي يده وناشدهم واستغاث أصحابه، فلم يُغث ولم يُنصر، ولو وجد عليهم أعواناً ما أجابهم.

وقد جعل في سعة كما جعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في سعة، وقد خذلتني الأمّة وبايعتك، وقد جعل الله عزّ وجلّ هارون في سعة حين استضعفه قومه وعادوه، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمّة وبايعت غيرها، ولم نجد عليهم أعواناً، وإنّما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً.

أيّها النّاس، إنّكم لو التمستم بين المشرق والمغرب رجلاً جدّه رسول الله، وأبوه وصيّ رسول الله لم تجدوا غيري وغير أخي، فاتّقوا الله ولا تضلّوا بعد البيان، وكيف بكم وأنّى ذلك منكم، ألا وإنّي قد بايعت هذا - وأشار بيده إلى معاوية - وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين.

أيّها النّاس، إنّه لا يُعاب أحد بترك حقّه، وإنّما يعاب أن يأخذ ما ليس له، وكلّ صواب نافع، وكلّ خطأ ضارّ لأهله، وقد كانت القضيّة ففهّمها سليمان فنفعت سليمان ولم تضرّ داود، فأمّا القرابة فقد نفعت المشرك وهي والله للمؤمن أنفع. قال رسول الله لعمّه أبي طالب وهو في الموت: قل لا إله إلاّ الله أشفع لك بها يوم القيامة، ولم يكن رسول الله يقول له ويعد إلاّ ما يكون منه على يقين، وليس ذلك لأحد من النّاس كلّهم غير شيخنا أعني أبي طالب.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

أيّها النّاس، اسمعوا، وعوا، واتّقوا الله، وراجعوا، وهيهات منكم الرجعة إلى الحقّ وقد صارعكم النكوص، وخامركم الطغيان والجحود. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ﴾[هود: ٢٨]. والسلام على من اتبع الهدى.

قال: وقال معاوية: والله ما نزل الحسن حتى اظلمت علَيَّ الأرض، وهممت أن أبطش به، ثمّ علمت أنّ الإغضاء أقرب إلى العافية».

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر، عن سدير الصيرفي، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث قال فيه: «إنّ العلم الذي وضعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند عليّ من عرفه كان مؤمناً، ومن جحده كان كافراً، ثمّ كان من بعده الحسن، قلت: كيف يكون بتلك المنزلة وقد كان منه ما كان؛ دفعها إلى معاوية؟ فقال: اسكت، فإنّه أعلم بما صنع، لولا ما صنع لكان أمر عظيم».

وروى في (العلل) أيضاً عن أبي سعيد، قال: «قلت للحسن بن عليّ بن أبي طالب: يا بن رسول الله، لِمَ داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه، وأنّ معاوية ضالّ باغٍ؟ فقال: يا أبا سعيد، ألستُ حجّة الله تعالى ذكره على من خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي؟ قلت: بلى.

قال: ألست الذي قال رسول الله لي ولأخي الحسن والحسين: إمامان قاماً أو قعدا؟ قلت: بلى، فأنا إذاً إمام لو قمت، وأنا إمام إذاً لو قعدت.

يا أبا سعيد، علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية أولئك كفّار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل.

يا أبا سعيد، إذا كنت إماماً من قِبل الله تعالى ذكره لم يجب أن تسفّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته متلبّساً، ألا ترى الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار، سخط موسى فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، وهكذا سخطتم علَيَّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أبداً إلاّ قُتل».

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن حنّان بن سدير، عن أبي سدير بن الحكم، عن أبيه، عن أبي سعيد عقيصاً، قال: «لمّا صالح الحسن بن عليّ معاوية بن أبي سفيان دخل عليه أناس فلامه بعضهم على بيعته.

فقال الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي ممّا

طلعت الشمس عليه أو غربت. ألا تعلمون أنّي إمامكم ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيّديّ شباب أهل الجنّة بنصّ من رسول الله عليَّ؟ قالوا: بلى.

قال: أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام؛ إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذاك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً. أما علمتم أنّه ما منّا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ القائم الذي يصلّي خلفه روح الله عيسى بن مريم، فإنّ الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، فإنّ التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته ثمّ يظهره بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة وذلك ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير».

وروى في (الاحتجاج) أيضاً عن زيد بن وهب الجهني، قال: «لمّا طعن الحسن بن عليّ بالمدائن أتيته وهو متوجّع، فقلت: ما ترى يا بن رسول الله، فإنّ النّاس متحيّرون؟ فقال: أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء، يزعمون أنّهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي. والله! لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي. والله! لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، فوالله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره أو يمنّ عليَّ فتكون سبّة سيّئة على بني هاشم إلى آخر الدهر. معاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منّا والميّت.

قال: **قلت**: تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لهم راعٍ؟

قال: وما أصنع يا أخا جهينة، إنّي والله أعلم بأمر قد أدّى به إليَّ عن ثقاته أنّ أمير المؤمنين قال لي ذات يوم قد رآني فرحاً: يا حسن، أتفرح، كيف بك وإذا رأيت أباك قتيلاً، أم كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أُميّة وأميرها الرحب البلعوم[1]، الواسع الأعفاج[2]، يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض غادر، ثمّ يستولي على غربها وشرقها، تدين له العباد، ويطول ملكه، يستنّ بسنن البدع والضلال، ويميت الحقّ وسنّة رسول الله، يقسّم المال في أهل ولايته ويمنعه من هو أحقّ به، ويذلّ في ملكه المؤمن ويقوى في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين أنصاره دولاً، ويتّخذ عباد الله خولاً، يُدرس في سلطانه الحقّ، ويظهر الباطل، ويلعن الصالحين، ويقتل من ناواه على الحقّ، ويدين من والاه على الباطل، فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلَب[3] من الدهر، وجهل من النّاس، يؤيّده الله

---

(١) الرحب: السعة، أي وسيع البلعوم، وهو مجرى الطعام في الحلق، وهو المريء.
(٢) الاعفاج: من ذوات الخف والظلف بمنزلة المصارين.
(٣) الكلب: الشدة.

بملائكته، ويعصم أنصاره، وينصره بآياته، ويظهره على الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، حتى لا يبقى كافر إلاّ آمن، ولا طالح إلاّ صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتُخرج الأرض نبتها، وتُنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن أدرك أيّامه، وسمع كلامه».

وروى الكشّي في رجاله بإسناد معتبر عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له سفيان بن ليلى وهو على راحلة له، فدخل على الحسن أو هو محتبٍ في فناء داره، فقال له: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين.

فقال له الحسن عليه السلام: انزل ولا تعجل، فنزل فعقل راحلته في الدار وأقبل يمشي حتى انتهى إليه.

قال: فقال له الحسن عليه السلام: ما قلت: قال: قلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، قال: وما علمك بذلك؟

قال: عمدت إلى أمر الأمّة فخلعته من عنقك وقلّدته هذا الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله، قال: فقال له الحسن: سأخبرك لِمَ فعلت ذلك، قال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لن تذهب الليالي والأيّام حتى يلي أمر هذه الأمّة رجل واسع البلعوم، رحب الصدر، يأكل ولا يشبع، وهو معاوية، فلذلك فعلت، ما جاء بك؟ قال: حبّك، فقال الحسن: والله لا يحبّنا عبدٌ أبداً ولو كان أسيراً في الديلم إلاّ نفعه حبّنا، وإنّ حبّنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما تساقط الريح الورق من الشجر».

وروى ثقة الإسلام في (الكافي) بإسناد معتبر عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «والله؛ الذي صنعه الحسن بن عليّ كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس، ووالله لقد نزلت هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧] إنّما هي طاعة الإمام، وطلبوا القتال، فلمّا كُتب عليهم القتال مع الحسين عليه السلام قالوا: ربّنا لِمَ كتبت علينا القتال، لولا أخرّتنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتّبع الرُّسل، أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام».

وروى السيّد المرتضى في كتاب (تنزيه الأنبياء) عن أبي الكنود عبد الرحمن، قال: «لمّا بايع الحسن عليه السلام معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية، فقال له سليمان بن صرد الخزاعي: ما ينقضي تعجّبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة كلّهم يأخذ العطاء وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز،

ثمّ لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد، ولا حظّاً من العطيّة، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق والمغرب، وكتبت عليه كتاباً، وأنّ الأمر لك بعده كان الأمر علينا أيسر، ولكنّه أعطاك شيئاً بينك وبينه لم يفِ به، ثمّ لم يلبث أن قال على رؤوس الأشهاد: إنّي كنت شرطت شروطاً ووعدت عداةً إرادة لإطفاء نار الحرب ومداراة لقطع الفتنة، فإمّا إن جمع الله لنا الكلم والالفة، فإنّ ذلك تحت قدمي، والله ما عنى بذلك غيرك، وما أراد إلاّ ما كان بينك وبينه، وقد نقض، فإذا شئت فأعد الحرب خدعة، وأذن لي في تقدّمك إلى الكوفة، فاخرج عنها عامله، وأظهر خلعه، وننبذ إليه على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين، وتكلّم الباقون بمثل كلام سليمان.

فقال الحسن عليه السلام: هل أنتم شيعتنا وأهل مودّتنا، فلو كنت بالجزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أركض وأنصب، ما كان معاوية بأبئس منّي بأساً، ولا أشدّ شكيمة ولا أمضى عزيمة، ولكنّي أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلاّ حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله وسلّموا لأمره، والزموا بيوتكم، وأمسكوا - أو قال: كفّوا - أيديكم حتى يستريح برّ أو يستراح من فاجر».

وروى ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، قال: «روي أنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيّانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من النّاس.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قُبض وقد أخبر أنّا أوْلى النّاس بالنّاس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا، وحجّتنا تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعوده كؤد حتى قتل.

فبويع الحسن ابنه عليه السلام وعوهد ثمّ غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طُعن بخنجر في جنبه، وانتهب عسكره، وعولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حقّ قليل، ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثمّ غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم فقتلوه ثمّ لم نزل أهل البيت نُستذلّ ونُستضام ونُقصى ونُمتهن ونُحرم ونُقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله ولم نفعله ليبغّضونا إلى النّاس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن، فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من ذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب

ماله أو هدّمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين، ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمة، حتى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة عليّ، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) من طرق المخالفين عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤]: «إنّه جلس الحسن بن عليّ ويزيد بن معاوية يأكلان الرطب، فقال يزيد: يا حسن، إنّي مذ كنت أُبغضك، قال الحسن: اعلم يا يزيد إنّ إبليس شارك أباك في جماعه أمّك، فاختلط الماءان، فأورثك ذلك عداوتي، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾، وشارك الشيطان حرباً عند جماعه فولد له صخر، فلذلك كان يبغض جدّي رسول الله ﷺ». هذا ما وقفت عليه من هذا الخبر.

وزاد المجلسي رحمه الله في (جلاء العيون): «ولذلك كان يبغض أبوك أبي، وكلّ من عادانا أهل البيت فهو ولد زنا أو شرك الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

وروى في (المناقب) أيضاً: «إنّ مروان بن الحكم قال للحسن بن عليّ عليه السلام بين يدي معاوية: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن، ويقال: إنّ ذلك من الخرق، فقال عليه السلام: ليس كما بلغك، ولكنّا معشر بني هاشم طيّبة أفواهنا، عذبة شفاهنا، فنساؤنا يقبلن عليها بأنفاسهنّ، وأنتم معشر بني أُميّة فيكم بخر شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهنّ إلى أصداغكم، فإنّما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك، قال مروان: أما إنّ فيكم يا بني هاشم خصلة؟ قال عليه السلام: وما هي؟ قال: الغلمة، قال: أجل نزعت من نسائنا ووضعت في رجالنا، ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم، فما قام لأمويّة إلاّ هاشمي» الحديث.

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن سليم بن قيس، ورواه سليم بن قيس في كتابه أيضاً بتفاوت ما، قال: «قدم معاوية بن أبي سفيان حاجّاً في خلافته، فاستقبله أهل المدينة، فنظر إلى الذين استقبلوه ما منهم قرشي، فلمّا نزل قال: ما فعلت الأنصار، وما بالهم لم يستقبلوني؟ فقيل له: إنّهم محتاجون ليس لهم دواب، فقال معاوية: وأين نواضحهم؟ فقال قيس بن سعد بن عبادة - وكان سيّد الأنصار وابن سيّدها -: أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله حين ضربوك وأباك على الإسلام، حتى ظهر أمر الله وأنتم له كارهون، فسكت معاوية، فقال قيس: أما إنّ رسول الله ﷺ عهد إلينا أنّا سنلقى بعده اثرة، قال

معاوية: فما أمركم به؟ فقال: أمرنا أن نصبر حين نلقاها، قال: فاصبروا حتى تلقوها.

ثمّ إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش، فلمّا رأوه قاموا غير عبد الله بن العبّاس، فقال له: يا بن عبّاس، ما منعك أن تقوم كما قام أصحابك إلاّ لموجدة أنّي قاتلتكم بصفّين، فلا تجد من ذلك يا بن عبّاس، فإنّ عثمان قُتل مظلوماً.

قال ابن عبّاس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون.

قال: فذاك أدحض لحجّتك.

قال: فإنّا كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته فكفّ لسانك. فقال: يا معاوية، أتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا.

قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم.

قال: فنقرأه ولا نسأل عمّا عنى الله به، ثمّ قال: فأيّهما أوجب علينا، قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به.

قال: العمل به كيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟ قال: سل عن ذلك من يتأوّله على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك.

قال: إنّما أُنزل القرآن على أهل بيتي، أنسأل عنه آل أبي سفيان! يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام، فإن لم تسأل الأمّة عن ذلك حتى تعلم؛ تهلك وتختلف.

قال: اقرأوا القرآن وتأوّلوا ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل فيكم، وارووا ما سوى ذلك.

قال: فإنّ الله يقول في القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. قال: يا بن عبّاس، أربع على نفسك، وكفّ لسانك، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا يعلمه أحد علانية.

ثمّ رجع إلى بيته فبعث إليه بمائة ألف درهم، ونادى منادي معاوية: أن برئت الذمّة ممّن روى حديثاً في مناقب عليّ وفضل أهل بيته، وكان أشدّ النّاس بليّة أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، فاستعمل زياد ابن أبيه، وضمّ إليه العراقين: الكوفة والبصرة، فجعل يتّبع الشيعة وهو بهم عارف يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم، وشرّدهم حتى نفوا عن العراق، فلم يبق بها أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس، أو طريد أو شريد.

وكتب معاوية إلى جميع عمّاله في جميع الأمصار أن لا تجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وانظروا من قِبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه ومحبّي أهل بيته وأهل ولايته، والذين يرون فضله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقرّبوهم، وأكرموهم، واكتبوا لمن يروي من مناقبه

باسمه واسم أبيه وقبيلته، ففعلوا، حتى كثرت الرواة في عثمان، وافتعلوها لما كان يُبعث إليهم من الصلات والخِلع والقطائع من العرب والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في الأموال والدنيا، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروي في عثمان منقبةً أو فضيلة إلاّ كتب اسمه، وقرّب وأُجيز، فبثّوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عمّاله: إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر، فادعوا النّاس إلى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه، فإنّ ذلك أحبّ إلينا، وأقرّ لأعيننا، وأدحض لحجّة أهل هذا البيت، وأشدّ عليهم، فقرأ كلّ أمير، وقرض كتابه على النّاس.

فأخذ النّاس في الروايات في فضائل معاوية على المنبر في كلّ كورة وكلّ مسجد زوراً، وألقوا ذلك إلى معلّمي الكتاتيب، فعلّموا ذلك صبيانهم كما يعلّمونهم القرآن حتى علّموه بناتهم ونساءهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

وكتب زياد ابن أبيه إليه في حقّ الحضرميّين أنّهم على دين عليّ عليه السلام وعلى رأيه، فكتب إليه معاوية: اقتل كلّ من كان على دين عليّ ورأيه، فقتلهم، ومثّل بهم، وكتب معاوية إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان.

وكتب كتاباً آخر: انظروا من قِبلكم من شيعة عليّ واتّهموه بحبّه، فاقتلوه، وإن لم تقم عليه البيّنة فاقتلوه على التهمة والظنّة والشبهة تحت كلّ حجر حتى لو كان الرجل تسقط منه كلمة، ضربت عنقه، وحتى كان الرجل يرمى بالزندقة والكفر كان يكرّم ويعظّم ولا يتعرّض له بمكروه، والرجل من الشيعة لا يأمن على نفسه في بلد من البلدان، لا سيّما الكوفة والبصرة، حتى لو أنّ أحداً منهم أراد أن يلقي سرّاً إلى من يثق به لأتاه في بيته، فيخاف خادمه ومملوكه فلا يحدّثه إلاّ بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلّظة ليكتمنّ عليه، ثمّ لا يزداد الأمر إلاّ شدّة حتى كثر وظهر أحاديثهم الكاذبة، ونشأ عليه الصبيان يتعلّمون ذلك.

وكان أشدّ النّاس في ذلك القرّاء المراؤن المتصنّعون الذين يظهرون الخشوع والورع، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولّدوها، فيحظون بذلك عند الولاة والقضاة، ويدنون مجالسهم، ويصيبون بذلك الأموال والقطائع والمنازل، حتى صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقّاً وصدقاً، فرووها وقبلوها وتعلّموها وعلّموها وأحثّوا عليها وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها، فاجتمعت على ذلك جماعتهم، وصارت في يد المتنسّكين والمتديّنين منهم، الذين لا يستحلّون الافتعال لمثلها فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ، ولو علموا بطلانها وتيقّنوا أنّها مفتعلة، لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها، ولم ينقضوا من خالفها، فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلاً والباطل حقّاً، والكذب صدقاً والصدق كذباً.

فلمّا مات الحسن بن عليّ عليه السلام ازداد البلاء والفتنة، فلم يبق لله وليّ إلاّ خائف على

نفسه، أو مقتول، أو طريد، أو شريد، فلمّا كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين بن عليّ عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عبّاس معه، وقد جمع الحسين بن عليّ بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حجّ منهم ومن لم يحجّ، ومن بالأمصار ممّن يعرفونه وأهل بيته، ثمّ لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلاّ جمعهم، فاجتمع إليهم بمنى أكثر من ألف رجل والحسين بن عليّ عليه السلام في سرادقه، عامّتهم التابعون وأبناء الصحابة، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنَّ هذا الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي أُريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني. اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من آمنتم ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلاّ قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله الرسول صلى الله عليه وآله في أبيه وأمّه وأهل بيته إلاّ رواه، وكلّ ذلك يقول الصحابة: اللّهمَّ نعم، قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللّهمّ وقد حدّثناه من نصدّقه ونأتمنه، حتى لم يترك شيئاً إلاّ قاله، ثمّ قال: أُنشدكم بالله إلاّ رجعتم وحدّثتم به من تثقون به، ثمّ نزل وتفرّق النّاس عن ذلك».

وروى الشيخ المفيد في (المجالس)، والشيخ الطوسي في (الأمالي) عن معاوية بن ثعلبة، قال: «لمّا استوثق الأمر لمعاوية بن أبي سفيان أنفذ بسر بن أرطأة إلى الحجاز في طلب شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وكان على مكّة عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب، فطلبه، فلم يقدر عليه، فأخبر أنّ له ولدين صبيّين، فبحث عنهما فوجدهما، فأخذهما وأخرجهما من الموضع الذي كانا فيه، ولهما ذؤابتان، فأمر بذبحهما، فذبحا، وبلغ أمّهما الخبر، فكادت نفسها تخرج، ثمّ أنشأت تقول بعض أبيات الشعر.

قال: ثمّ اجتمع عبيد الله بن العبّاس من بعد وبسر بن أرطأة عند معاوية، فقال معاوية لعبيد الله: أتعرف هذا الشيخ قاتل الصبيّين؟ قال بسر: نعم، أنا قاتلهما، فمه؟ فقال عبيد الله: لو أنّ لي سيفاً؟ قال بسر: فهاك سيفي، وأومى إلى سيفه، فزبره معاوية وانتهره، وقال: أُفّ لك من شيخ ما أحمقك، تعمد إلى رجل قد قتلت ابنيه فتعطيه سيفك كأنّك لا تعرف أكباد بني هاشم، والله لو دفعت إليه لبدأ بك وثنّى بي، فقال عبيد الله: بل والله أبدأ بك وأُثنّي به».

وروى الكشّي بإسناد معتبر عن معاوية بن عمّار، رفعه، قال: «أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة، فقال لهم: إنّكم تضلّون ساعة كذا من الليل، فخذوا ذات اليسار، فإنّكم تمرّون برجل

في شأنه، فتسترشدونه، فيأبى أن يرشدكم حتى تصيبوا من طعامه، فيذبح لكم كبشاً فيطعمكم، ثمّ يقوم فيرشدكم، فاقرؤه منّي السلام، وأعلموه أنّي قد ظهرت بالمدينة، فمضوا فضلّوا الطريق.

فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول الله: تياسروا، ففعلوا، فمرّوا بالرجل الذي قال لهم رسول الله: فاسترشدوه، فقال لهم: لا أفعل حتى تصيبوا طعامي، ففعلوا، فأرشدهم الطريق ونسوا أن يقرئوه السلام من رسول الله ﷺ، فقال لهم الرجل: وهو عمرو بن الحمق رضي الله عنه: أظهر النبيّ بالمدينة؟ قالوا: نعم، فلحق به، ولبث معه ما شاء الله.

ثمّ قال له رسول الله ﷺ: ارجع إلى الموضع الذي منه هاجرت، فإذا تولّى أمير المؤمنين فأته، فانصرف الرجل حتى إذا نزل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة، أتاه، فأقام معه بالكوفة، ثمّ إنّ أمير المؤمنين قال له: لك دار؟ قال: نعم، قال: بعها واجعلها في الأزد، فإنّي غداً لو غبتُ لطُلبتَ فمنعك الأزد حتى تخرج من الكوفة متوجّهاً إلى حسن الموصل، فتمرّ برجل مقعد، فتقعد عنده، ثمّ تستسقيه فيسقيك، ويسألك عن شأنك فأخبره، وادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم، وامسح بيدك على وركيه، فإنّ الله يمسح ما به، وينهض قائماً، فيتّبعك، وتمرّ برجل أعمى على ظهر الطريق فتستسقيه فيسقيك، ويسألك عن شأنك فأخبره، وادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم، وامسح بيدك على عينيه فإنّ الله عزّ وجلّ يعيده بصيراً، فيتّبعك، وهما يواريان بدنك في التراب، ثمّ تتبّعك الخيل فإذا صرت قريباً من الحسن في موضع كذا وكذا رهقتك الخيل، فانزل عن فرسك ومرّ إلى الغار، فإنّه يشترك في دمك تسعة من الجنّ والإنس، ففعل ما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فلمّا انتهى إلى الحسن قال للرجلين: اصعدا فانظرا هل تريان شيئاً؟ قالا: نرى خيلاً مقبلة، فنزل عن فرسه وعار فرسه، فلمّا دخل الغار ضربه أسود سالخ فيه، وجاءت الخيل، فلمّا رأوا فرسه عائراً قالوا: هذا فرسه وهو قريب، وطلبه الرجال فأصابوه في الغار، فكلّما ضربوا أيديهم إلى شيء من جسمه تبعهم اللحم، فاخذوا رأسه فأتوا به معاوية فنصبه على رمح، وهو أوّل رأس نصب في الإسلام».

وروى الشيخ في (الأمالي) عن الحسن البصري، قال: «كنت غازياً زمن معاوية بخراسان، وكان علينا رجل من التابعين، فصلّى بنا يوماً الظهر ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيّها النّاس، إنّه قد حدث في الإسلام حدث عظيم لم يكن منذ قبض الله نبيّه، بلغني أنّ معاوية قتل حجراً وأصحابه، فإن يكن عند المسلمين غيرة فسبيل ذلك، وإن لم يكن عندهم غيرة فأسأل الله أن يقبضني إليه، وأن يعجّل ذلك.

قال الحسن: فلا والله ما صلّى بنا صلاة غيرها حتى سمعنا الصياح».

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن صالح بن كيسان، قال: «لمّا قتل معاوية حجر بن عديّ وأصحابه حجّ ذلك العام، فلقي الحسين بن عليّ عليه السلام.

فقال: يا أبا عبد الله، هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفّناهم وصلّينا عليهم، فضحك الحسين، ثمّ قال: خصمك القوم يا معاوية، لكنّا لو قتلنا شيعتك ما كفّناهم ولا صلّينا عليهم، ولا أقبرناهم، ولقد بلغني وقيعتك في عليّ عليه السلام وقيامك بنقصنا واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فإذا فعلت ذلك فارجع في نفسك ثمّ سلها الحقّ عليها ولها، فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية، فلا توترنّ غير قوسك، ولا ترمينّ غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فإنّك والله قد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه، ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك، فانظر لنفسك أو دع، يعني عمرو بن العاص».

الفصل السادس

في بيان كيفيّة شهادته

المشهور بين علماء الإماميّة أنّه عليه السلام استشهد في آخر شهر صفر.

وقال بعضهم: إنّه في سابعه،

وقال بعضهم: في الثامن والعشرين منه سنة تسع وأربعين من الهجرة، وكان عمره عليه السلام سبعة وأربعين سنة،

وقال بعضهم: تسع وأربعين، والأوّل أشهر.

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: «قبض الحسن بن عليّ عليه السلام وهو ابن سبع وأربعين سنة في عام خمسين، وعاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين سنة».

وروى ابن أبي الحديد في (شرحه)، وأبو الفرج الأصفهاني، عن الصادق عليه السلام: «أنّ سنّ الحسن عليه السلام وقت وفاته ثمان وأربعون سنة.

قال ابن أبي الحديد: وقيل ابن ستّ وأربعين، وهو المرويُّ عن جعفر عليه السلام في رواية أبي بصير».

وفي (الاستيعاب): «إنّه اختلف في وقت وفاته عليه السلام،

فقال بعضهم: إنّه في السنة التاسعة والأربعين من الهجرة،

وقال بعضهم: في الحادية والخمسين،

وقال بعضهم: إنّه كان عمره عليه السلام خمساً وأربعين سنة،

وقيل: تسعة وأربعون سنة وأربعة أشهر وتسعة أيّام،

وقال ابن طلحة في كتابه: إنّه استشهد في الخامس من شهر ربيع الأوّل في السنة التاسعة والأربعين من الهجرة».

وروى في (كشف الغمّة) عن الباقر والصادق عليهما السلام، قالا: «مضى أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام وهو ابن سبع وأربعين سنة، وكان بينه وبين أخيه الحسين مدّة الحمل، وكان حمل أبي عبد الله عليه السلام ستّة أشهر، ولم يولد مولود لستّة أشهر فعاش غير الحسين وعيسى بن مريم عليهما السلام، فأقام أبو محمّد مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، وأقام مع أبيه بعد وفاة

جدّه ثلاثين سنة، وأقام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام عشر سنين».

وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) عن الصادق عليه السلام، قال: «قال الحسن بن عليّ عليه السلام لأهل بيته: يا قوم، إنّي أموت بالسمّ كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له أهل بيته: ومن الذي يسمّك؟ قال: جاريتي أو امرأتي، فقالوا له: أخرجها من ملكك عليها لعنة الله؟ فقال: هيهات من إخراجها ومنيّتي على يدها، ما لي منها محيص، ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها، كان قضاءً مقضيّاً، وأمراً واجباً من الله، فما ذهبت الأيّام حتى بعث معاوية إلى امرأته.

قال: فقال الحسن عليه السلام: هل عندك من شربة لبن؟

فقالت: نعم، وكان فيه ذلك السمّ الذي بعث به معاوية، فلمّا شربه وجد مسّ السمّ في جسده، فقال: عدوّة الله، قتلتيني قتلك الله، أما والله لا تصيبين منّي خلفاً، ولا تنالين من الفاسق عدوّ الله اللعين خيراً أبداً».

وروى الكليني بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، ومحمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام: «إنّ الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: إنّي أموت بالسمّ كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قالوا: ومن يفعل ذلك؟

قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإنّ معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك.

قال: أخرجها من منزلك وباعدها من نفسك؟

قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها، وكان لها عذر عند النّاس.

فما ذهبت الأيّام حتى بعث إليها معاوية مالاً جسيماً، وجعل يمنّيها بأن يعطيها مائة ألف درهم أيضاً، ويزوّجها من يزيد، وحمل إليها شربة سمّ لتسقيها الحسن عليه السلام، فانصرف إلى منزله وهو صائم، فأخرجت وقت الإفطار - وكان يوماً حارّاً شربة لبن - وقد ألقت فيها ذلك السمّ، فشربها وقال: عدوّة الله، قتلتيني قتلك الله، والله لا تصيبين منّي خلفاً، ولقد غرّك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه، فمكث عليه السلام يومين ثمّ مضى، فغدر بها معاوية ولم يفِ لها بما عاهد عليه».

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر عن أبي بكر الحضرمي، قال: «إنّ جعدة بنت

الأشعث بن قيس الكندي سمّت الحسن بن عليّ عليه السلام، وسمّت مولاة له، فأمّا مولاته فقاءت السمّ، وأمّا الحسن فاستمسك في بطنه ثمّ انتفط[1] به فمات».

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن سالم بن أبي الجعد، قال: «حدّثني رجل منّا قال: أتيت الحسن بن عليّ عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله، أذللت رقابنا، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً ما بقي معك رجل.

فقال: وممّ ذلك؟، قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية.

قال: والله ما سلّمت الأمر إليه إلاّ إنّي لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وتلوّنهم، ولا يصلح لي منهم ما كان فاسداً، إنّهم لا وفاء لهم ولا ذمّة في قول ولا فعل، إنّهم لمختلفون ويقولون لنا إنّ قلوبهم معنا وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا.

قال: وهو يكلّمني إذ تنخّع الدم، فدعا بطشت، فحمل من بين يديه ملآن ممّا خرج من جوفه من الدم.

فقلت: ما هذا يا بن رسول الله، إنّي لأراك وجعاً.

قال: أجل، دسّ إليَّ هذا الطاغية من سقاني سمّاً، فقد وقع على كبدي فهو يخرج قطعاً كما ترى.

قلت: أفلا تتداوى؟

قال: قد سقاني مرّتين، وهذه الثالثة لا أجد لها دواءً، ولقد رقي إليَّ أنّه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتّال شربة، فكتب إليه ملك الروم أنّه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا، فكتب إليه: إنّ هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة قد خرج يطلب ملك أبيه وأنا أريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك فأُريح العباد والبلاد منه، ووجّه إليه بهدايا وألطاف، فوجّه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دسّ بها فسقيتها، واشترط عليه في ذلك شروطاً».

وروى صاحب كتاب (الكفاية) بإسناد معتبر عن جنادة بن أبي أُميّة، قال: «دخلت على الحسن بن عليّ عليه السلام في مرضه الذي توفّي فيه وبين يديه طشت يقذف عليه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السمّ الذي أسقاه معاوية، فقلت: يا مولاي، مَا لَكَ لا تعالج نفسك؟

فقال: يا عبد الله، بماذا أعالج الموت.

---

(١) نفطت الكف: قرحت.

قلت: إنّا الله وإنا وإليه راجعون.

ثمّ التفت إليَّ وقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد عليّ وفاطمة، ما منا إلاّ مسموم أو مقتول.

ثمّ رفعت الطشت وبكى عليه السلام، قال: فقلت له: عظني يا بن رسول الله؟

قال: نعم، استعدّ لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك.

واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت، على يومك الذي أنت فيه.

واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوّتك إلاّ كنت فيه خازناً لغيرك.

واعلم أنّ في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً، وفي الشبهات عتاباً، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فالعتاب يسير. واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً.

وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ. وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صلت شدّ صولتك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت عنك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتدأك، وإن نزلت إحدى الملمّات به ساءك من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك.

قال: ثمّ انقطع نفسه واصفرّ لونه حتى خشيت عليه، ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود، فانكبّ عليه حتى قبّل رأسه وبين عينيه، ثمّ قعد عنده فتسارّا جميعاً.

فقال أبو الأسود: إنّا لله. إنّ الحسن قد نعيت إليه نفسه، وقد أوصى إلى الحسين عليه السلام، وتوفّي يوم الخميس في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة، وله عليه السلام سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع».

وفي كتاب (كشف الغمّة) روى عن الحافظ في الحلية عن عمر بن إسحاق، قال: «دخلت أنا ورجل على الحسن بن عليّ عليه السلام نعوده، فقال: يا فلان، سلني، قال: لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ثمّ نسألك.

قال: ثمّ دخل ثمّ خرج إلينا، فقال: سلني قبل أن لا تسألني؟

قال: قلت: بل يعافيك الله ثمّ نسألك.

فقال عليه السلام : قد ألقيت طائفة من كبدي وإنّي قد سُقيت السمّ مراراً لم أُسق مثل هذه المرّة، ثمّ دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه، والحسين عليه السلام عند رأسه، فقال: يا أخي، من تتّهم؟

قال: لِمَ، لتقتله.

قال: نعم.

قال: إن يكن الذي أظنّ فإنّه تعالى أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً وإلا يكن فما أحبّ أن يقتل بي بريء، ثمّ قضى عليه السلام».

وروى أيضاً عن رقيّة بن مصقلة، قال: «لمّا حضر الحسن بن عليّ عليه السلام الوفاة قال: أخرجوني إلى الصحراء لعلّي أنظر في ملكوت السماء، يعني الآيات، فلمّا أخرج به قال: اللّهمّ إنّي أحتسب نفسي عندك، فإنّها أعزّ الأنفس عليَّ، وكان له ممّا صنع الله له أنّه احتسب نفسه».

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لمّا احتضر الحسن بن عليّ عليه السلام قال للحسين عليه السلام : يا أخي، إنّي أُوصيك بوصيّة فاحفظها، فإذا أنا متّ فهيّئني، ثمّ وجّهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثمّ ردّني فادفنّي بالبقيع، واعلم أنّه سيصيبني من الحميراء ما يعلم النّاس من صنيعها وعداوتها لله وللرسول وعداوتها لنا أهل البيت.

فلمّا قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره وانطلق به إلى مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلّي فيه على الجنائز، فصلّي على الحسن عليه السلام ، فلمّا أن صلّى عليه حمل فأُدخل المسجد، فلمّا أُوقف على قبر رسول الله بلغ عائشة الخبر، وقيل لها: إنّهم قد أقبلوا بالحسن بن عليّ ليدفن مع رسول الله، فخرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أوّل امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفت فقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي، فإنّه لا يدفن فيه شيء، ولا يهتك على رسول الله حجابه.

فقال لها الحسين بن عليّ عليه السلام : قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله وأدخلت بيته من لا يُحبّ رسول الله قربه، وإنّ الله يسألك عن ذلك. يا عائشة، إنّ أخي أمرني أن أُقرّبه من رسول الله ليحدث به عهداً، واعلمي أنّ أخي أعلم النّاس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ستره؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقد أدخلت أنت بيت رسول الله الرجال بغير إذنه.

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله المعاول.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله بقربهما منه الأذى، وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله. إنّ الله حرّم على المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء.

والله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عند أبيه جائزاً فيما بينا وبين الله لعملت أنّه سيدفن وإن رغم معطسك.

قال: ثمّ تكلّم محمد بن الحنفيّة وقال: يا عائشة، يوماً على بغل ويوماً على جمل، فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم، قال: فأقبلت عليه وقالت: يا بن الحنفيّة، هؤلاء الفواطم يتكلّمون، فما كلامك؟ فقال لها الحسين: وأنت تبعدين محمّداً من الفواطم، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن محزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر، فقالت عائشة للحسين: نحّوا ابنكم واذهبوا به، فإنّكم قوم خصمون، قال: فمضى الحسين إلى قبر أمّه، ثمّ أخرجه ودفنه بالبقيع».

وروى الصدوق بإسناد صحيح عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الحسين عليه السلام أراد أن يدفن الحسن بن عليّ عليه السلام مع رسول الله، وجمع جمعاً، فقال رجل: سمعت الحسن بن عليّ يقول: قولوا للحسين أن لا يهرق فيّ دماً، ولولا ذلك ما انتهى الحسين حتى يدفنه مع رسول الله.

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: أوّل امرأة ركبت البغل بعد رسول الله عائشة، جاءت إلى المسجد فمنعت أن يُدفن الحسن بن عليّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله».

وروى الشيخ في (الأمالي)، والسيّد المرتضى في (عيون المعجزات) عن ابن عبّاس وغيره: «إنّ معاوية بذل لجعدة بنت الأشعث زوجة أبي محمّد عليه السلام عشرة آلاف دينار، وقطاعات كثيرة من شعب وسواد الكوفة، وحمل إليها سمّا فجعلته في طعام، فلمّا وضعته بين يديه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله على لقاء محمّد سيّد المرسلين، وأبي سيّد الوصيّين، وأمّي سيّدة نساء العالمين وعمّي جعفر الطيّار في الجنّة، وحمزة سيّد الشهداء صلوات الله عليهم أجمعين.

ودخل عليه أخوه الحسين عليه السلام فقال: كيف تجدك يا أخي؟

قال: أجدني في أوّل يوم من أيّام الآخرة، وآخر يوم من أيّام الدنيا، واعلم أنّي لا أسبق أجلي، وإنّي وارد على أبي وجدّي على كره منّي لفراقك وفراق إخوتك، وفراق الأحبّة،

وأستغفر الله من مقالتي هذه، وأتوب إليه، بل على محبّة منّي للقاء رسول الله، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأمّي فاطمة، وحمزة، وجعفر، وفي الله عَزَّوَجَلَّ خلف من كلّ هالك، وعزاء من كلّ مصيبة، ودرك من كلّ ما فات، رأيت يا أخي كبدي في الطشت، ولقد عرفت من دها بي، ومن أين أُتيت، فما أنت صانع به يا أخي؟

فقال الحسين: اقتله والله.

قال: فلا أُخبرك به أبداً حتى نلقى رسول الله، ولكن اكتب يا أخي: هذا ما أوصى به الحسن بن عليّ إلى أخيه الحسين بن عليّ، أوصى أنّه يشهد أنّه لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّه يعبده حقّ عبادته لا شريك له في الملك، ولا وليّ له من الذلّ، وأنّه خلق كلّ شيء وقدّره تقديراً، وأنّه أوْلى من عُبد، وأحقّ من حُمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فإنّي أُوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتي، أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفّني مع رسول الله، فإنّي أحقّ به وببيته ممّن أدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده. قال الله فيما أنزله على نبيّه في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فوالله ما أُذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرّف فيما ورثناه من بعده، فإن أبت عليك الإمرأة فأُنشدك بالله وبالقرابة التي قرّب الله عَزَّوَجَلَّ منك والرحم الماسّة من رسول الله أن تهريق فيَّ محجمة من دم حتى نلقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فنختصم إليه ونخبره بما كان من النّاس إلينا بعده، ثمّ قبض عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال ابن عبّاس: فدعاني الحسين بن عليّ وعبد الله بن جعفر وعليّ بن عبد الله بن العبّاس، فقال: اغسلوا ابن عمّكم، فغسّلناه وحنّطناه وألبسناه أكفانه، ثمّ خرجنا به حتى صلّينا عليه في المسجد، وأنّ الحسين أمر أن يفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفّان، وقالوا: يدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظلماً بالبقيع بشرّ مكان، ويدفن الحسن مع رسول الله؟ لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا، وتنقصف الرماح، وينفد النبل.

فقال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما والله الذي حرّم مكّة، للحسن بن عليّ ابن فاطمة أحقّ برسول الله وببيته ممّن أُدخل بيته بغير إذنه، وهو والله أحقّ به من حمّال الخطايا مسيّر أبي ذرّ رَحِمَهُ اللهُ للربذة والفاعل بعمّار ما فعل، وبعبد الله ما صنع، المؤوي لطريد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

وفي رواية أخرى في (عيون المعجزات): «فلمّا فرغ الحسين من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله بغلة وأتى عائشة فقال لها: يا أمّ المؤمنين،

إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله، والله إن يدفن معه ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة، قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: إلحقي به وامنعيه من أن يدفن معه.

قالت: وكيف ألحقه، قال: اركبي بغلتي هذه، فنزل عن بغلته فركبتها، وكانت تؤزّ النّاس وبني أمّية على الحسين، وتحرّضهم على منعه ممّا هم به، فلمّا قربت من قبر رسول الله، وكان قد وصلت جنازة الحسن، فرمت بنفسها عن البغلة، وقالت: والله لا يدفن الحسن هٰهنا أبداً أو تجز هذه، وأومت بيدها إلى شعرها».

وفي رواية أخرى في (مناقب ابن شهرآشوب): «ورموا بالنبال جنازته عليه السلام حتى سلّ منها سبعون نبلاً».

وفي (عيون المعجزات): «فأراد بنو هاشم المجالدة، فقال الحسين عليه السلام: الله الله لا تضيّعوا وصيّة أخي، واعدلوا به إلى البقيع، فإنّه أقسم علَيَّ إن أنا مُنعت من دفنه مع جدّه أن لا أُخاصمكم فيه أحداً، وأن أدفنه بالبقيع مع أمّه، فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها».

وفي (إرشاد المفيد): «فقال الحسين: والله لولا عهد الحسن إليَّ بحقن الدماء وأن لا أُهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا، ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها».

وروى الصدوق في (الأمالي) عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث قال فيه عن الحسن: «وإنّي لمّا نظرت إليه تذكّرت ما يجري عليه من الذلّ بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يُقتل بالسمّ ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كلّ شيء حتى الطير في جوّ السماء، والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام».

وفي (الثاقب): «إنّ الحسن عليه السلام لمّا أشرف على الموت قال له الحسين عليه السلام: أريد أن أعلم حالك يا أخي؟

فقال له الحسن: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يفارق العقل منّا أهل البيت ما دام الروح فينا، فضع يدك في يدي حتى إذا عاينت ملك الموت اغمز يدك، فوضع يده في يده، فلمّا كان بعد ساعة غمز يده غمزاً خفيفاً، فقرّب الحسين أذنه إلى فمه، فقال قال لي ملك الموت: أبشر فإنّ الله عنك راضٍ، وجدّك شافع. سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين».

الجزء الثاني

الباب الخامس

في بيان أحوال سيد الشهداء،
وخامس أهل العباء، وإمام السعداء،
ثاني سيدي شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين
وثمرة فؤاد المرتضى

الحسين ابن أمير المؤمنين

سلام من الرحمن نحو جنابه فإنّ سلامي لا يليق ببابه

وفي ولادته وشهادته،
وبعض أحواله، ومناقبه، ومعجزاته

وهو يشتمل على فصول

الفصل الأوّل

في بيان ولادته عليه السلام

المشهور بين علماء الشيعة أنّه عليه السلام ولد بالمدينة لثلاث خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة، وقيل: في الخامس من شعبان، وقال الأكثر: إنّه كان يوم الخميس، وقيل: يوم الثلاثاء.

وقال الشيخ في «المصباح»: خرج إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمّد عليه السلام أنّ مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان.

وقال في «المصباح» أيضا: وروي الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: «ولد الحسين بن علي عليه السلام لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة».

وقال الشيخ في «التهذيب»: أنّ مولده عليه السلام كان في آخر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث من الهجرة، انتهى، وهو خلاف المشهور.

وقد سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى: «حسيناً»، باسم أصغر ولدي هارون شبير، وفي تلك اللغة شبير حسين، كما تقدّم في ولادة الحسن عليه السلام.

وكنيته: أبو عبد الله، وزاد بعضهم: أبو عليّ، كما في «مناقب ابن شهرآشوب».

وألقابه الشريفة: الرشيد، والطيّب، والوفيّ، والسيّد، والزكيّ، والمبارك، والسبط، والشهيد، والسعيد.

وروى الصدوق في «العيون» عن الرضا عليه السلام أنّه: «كان نقش خاتم الحسن عليه السلام: العزّة لله، وكان نقش خاتم الحسين عليه السلام «إنّ الله بالغ أمره»، الحديث.

وفي بعض الروايات عن الصادق عليه السلام، أنّه: «كان نقش خاتم الحسين عليه السلام: الحمد لله».

وروى الصدوق في «الأمالي» عن الصادق عليه السلام، قال: «كان للحسين بن عليّ خاتمان: نقش أحدهما: لا إله إلاّ الله عدّة للقاء الله، ونقش الآخر: إنّ الله بالغ أمره». قال: «وكان نقش خاتم عليّ بن الحسين عليه السلام: خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام».

وروى الصدق في «الأمالي» بإسناد حسن عن محمّد بن مسلم، قال: سألت الصادق عليه السلام عن خاتم الحسين بن عليّ عليه السلام إلى من صار، وذكرت له أنّي سمعت أنّه أخذ من إصبعه فيما أخذ؟

قال عليه السلام: «ليس كما قالوا، إنّ الحسين عليه السلام أوصى إلى ابنه عليّ بن الحسين، وجعل خاتمه في إصبعه، وفوّض إليه أمره كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين، وفعله أمير المؤمنين عليه السلام بالحسن عليه السلام، وفعله الحسن بالحسين عليه السلام، ثمّ صار ذلك الخاتم إلى أبي عليه السلام بعد أبيه عليه السلام، ومنه صار إليّ، فهو عندي وإنّي لألبسه كلّ جمعة وأصلّي فيه».

قال محمّد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلّي، فلمّا فرغ من صلاته مدّ إليّ يده، فرأيت في إصبعه خاتماً نقشه: «لا إله إلاّ الله، عدّة للقاء الله»، فقال: «هذا خاتم جدّي أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام».

وقد دلّت الروايات المعتبرة المتقدّمة في مولد الحسن عليه السلام؛ على أنّ الفاصل بين ولادة الحسنين عليهما السلام ستّة أشهر.

وروى الصدوق في «الأمالي» بإسناد معتبر عن صفيّة بنت عبد المطلب، قالت: لمّا سقط الحسين عليه السلام من بطن أمّه وكنت وليتها، قال النبي صلى الله عليه وآله: «يا عمّة، هلمّي إليّ ابني».

فقلت: يا رسول الله، إنّا لم ننظّفه بعد.

فقال صلى الله عليه وآله: «يا عمّة، أنت تنظّفينه! إنّ الله تبارك وتعالى قد نظّفه وطهّره».

وروى بهذا الإسناد أيضاً، قالت: لمّا سقط الحسين عليه السلام فدفعته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فوضع النبيّ لسانه في فيه، وأقبل الحسين عليه السلام على لسان رسول الله يمصّه، قالت: فما كنت أحسب رسول الله صلى الله عليه وآله يغذوه إلاّ لبناً أو عسلاً، فقبّل النبيّ بين عينيه، ثمّ دفعه إليّ وهو يبكي ويقول: «لعن قوماً هم قاتلوك يا بنيّ» يقولها ثلاثاً.

قالت: فقلت: فداك أبي وأمّي، ومَن يقتله؟

قال: «بقيّة الفئة الباغية من بني أميّة لعنهم الله».

وروى الصدوق في «الأمالي»، وابن قولويه في «الكامل»، وابن شهرآشوب في «المناقب» بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام لمّا ولد أمر الله عز وجل جبرئيل أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنّئ رسول الله صلى الله عليه وآله من الله ومن جبرئيل». قال: «فهبط جبرئيل فمرّ على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له فطرس، كان من الحملة بعثه الله عز وجل في شيء فأبطأ عليه، فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة، فعبد الله تبارك وتعالى سبعمائة عام حتّى ولد الحسين بن عليّ عليه السلام».

إلى هنا رواية «الأمالي»، وفي روايه «المناقب»: «إنّ الله تعالى كان خيّره بين عذابه في الدنيا أو في الآخرة، فاختار عذاب الدنيا، فكان معلّقاً بأشفار عينيه في جزيرة في البحر لا يمرّ به حيوان، وتحته دخان منتن غير منقطع».

رجعنا إلى رواية «الأمالي»: فقال الملك لجبرئيل: يا جبرئيل، أين تريد؟

قال: إنّ الله عز وجل أنعم على محمّد صلى الله عليه وآله بنعمة، فبعثت أهنّيه من الله ومنّي، فقال: يا جبرئيل، أحملني معك لعلّ محمّداً صلى الله عليه وآله يدعو لي.

قال: فحمله، فلمّا دخل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله هنّأه من الله عز وجل ومنه، وأخبره بحال فطرس، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: قل له تمسّح بهذا المولود وعد إلى مكانك.

قال: فتمسّح فطرس بالحسين بن عليّ عليه السلام وارتفع.

وفي رواية «المناقب»: «إنّه عرج إلى موضعه وهو يقول: مَن مثلي وأنا عتاقة الحسين بن عليّ وفاطمة وجدّه».

وفي تتمّة رواية «الأمالي»: «فقال - يعني جبرئيل عن الله تعالى: - يا رسول الله، أما إنّ أمّتك ستقتله، وله عليَّ مكافأة أن لا يزوره زائر إلاّ أبلغته عنه، ولا يسلّم عليه مسلّم إلاّ أبلغته سلامه، ولا يصلّي عليه مصلٍّ إلاّ أبلغته صلاته، ثمّ أرتفع».

وروى الصدوق في «العلل» بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام في حديث قال فيه: إنّ جبرئيل نزل على محمّد صلى الله عليه وآله وما ولد الحسين بعد، فقال له: يولد لك غلام تقتله أمّتك من بعدك، فقال: يا جبرئل، لا حاجة لي فيه، فخاطبه ثلاثاً ثمّ دعا عليّاً عليه السلام فقال له: إنّ جبرئيل يخبرني عن الله عز وجل أنّه يولد لك غلام تقتله أمّتي، فقال: لا حاجة لي فيه يا رسول الله، فخاطب عليّاً ثلاثاً.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: إنّه يكون فيه وفي ولده الإمامة والوراثة والخزانة، فأرسل إلى فاطمة عليها السلام: إنّ الله يبشّرك بغلام تقتله أمّتي من بعدي.

فقالت فاطمة: ليس لي حاجة فيه يا أبتِ، فخاطبها ثلاثاً، ثمّ أرسل إليها: لا بدّ أن يكون فيه الإمامة والوراثة والخزانة، فقالت له: رضيت عن الله عز وجل، فعلقت وحملت بالحسين عليه السلام، فحملت ستّة أشهر ثمّ وضعته، ولم يعش مولود قطّ لستّة أشهر غير الحسين بن عليّ وعيسى بن مريم عليهما السلام، فكفلته أمّ سلمة.

وكان رسول الله يأتيه في كلّ يوم فيضع لسانه في فم الحسين عليه السلام فيمصّه حتّى يروى، فأنبت الله عز وجل لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يرضع من فاطمة ولا من غيرها لبناً قطّ، فلمّا أنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فلو قال: أصلح لي ذرّيّتي كانوا كلّهم أئمّة.

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ﴾ [الأحقاف: ١٥]، قال: ﴿إِحْسَٰنًاۖ﴾ أي رسول الله.

وقوله: ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ إنّما عنى الحسن والحسين عليهما السلام.

ثمّ عطف على الحسين عليه السلام فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؛ وذلك أنّ الله أخبر رسوله وبشّره بالحسين عليه السلام قبل حمله، وأنّ الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة، ثمّ أخبره بما يصيبه من القتل والمصيبة في نفسه وولده، ثمّ عوّضه بأن جعل الإمامة في عقبه، وأعلمه أنّه يقتل ثمّ يردّه إلى الدنيا وينصره حتّى يقتل أعداءه، ويملّكه الأرض، وهو قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فبشر الله نبيّه أنّ أهل بيته يملكون الأرض ويرجعون إليها، ويقتلون أعداءهم، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام بخبر الحسين عليه السلام وقتله، فحملته كرهاً.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فهل رأيتم أحداً يبشّر بولد ذكر فيحمله كرهاً، أي أنّها اغتمّت وكرهت لمّا أخبرها بقتله ووضعته كرهاً لما علمت من ذلك، وكان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر واحد، وكان الحسين في بطن أمّة ستّة أشهر، وفصاله أربعة وعشرون شهراً، وهو قول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وروى الشيخ في «الأمالي» وغيره بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن أسماء في حديث قالت: «فلمّا ولدت فاطمة الحسين عليه السلام نفستها به، فجاءني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: هلمّي ابني يا أسماء، فدفعته إليه في خرقة بيضاء فأخذه صلى الله عليه وآله وجعله في حجره، وأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام وقال: إنّ الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمّد، عليّ منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّ ابنك هذا باسم ابن هارون الصغير شبير، ولمّا كنت عربيّاً فسمّه حسيناً، قالت: وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: «إنّه سيكون لك حديث. اللّهمّ العن قاتله. لا تعلمي فاطمة بذلك».

قالت أسماء: فلمّا كان يوم سابعه جاءني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «هلمّي ابني» فأتيته به، فعقّ عنه كبشاً أملحاً، وأعطى القابلة الورك ورجلاً، وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، ولطخ رأسه بالخلوق، وقال: «إنّ الدم من فعل الجاهليّة».

قالت: ثمّ وضعه في حجره، ثمّ قال: «يا أبا عبد الله، عزيز عليّ»، ثمّ بكى.

فقلت: بأبي أنت وأمّي، فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأوّل، فما هو؟

فقال: «أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أميّة لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين، ويكفر بالله العظيم»، ثمّ قال: «اللّهمّ إنّي أسألك فيهما ما

سألك إبراهيم في ذرّيّته. اللّهمّ أحبّهما، وأحبّ من يحبّهما، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض».

وروى الصدوق بإسناد معتبر عن ابن عبّاس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً يقال له دردائيل كان له ستّة عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح هواء، والهواء كما بين السماء والأرض، فجعل يوماً يقول في نفسه: أفوق ربّنا جل جلاله شيء، فعلم الله تبارك وتعالى ما قال، فزاده أجنحة مثلها، فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح.

ثمّ أوحى الله عز وجل إليه: أن طرْ، فطار مقدار خمسمائة عام، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، فلمّا علم الله عز وجل أتعابه أوحى إليه: أيّها المّلك، عد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كلّ عظيم، وليس فوقي شيء، ولا أوصف بمكان، فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة.

فلمّا ولد الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما، وكان مولده عشيّة الخميس ليلة الجمعة أوحى الله إلى مالك خازن النّار: أن أخمد النيران على أهلها لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله، وأوحى الله إلى رضوان خازن الجنان: أن زخرف الجنان وطيّبها لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا، وأوحى إلى الحور العين: تزيّنّ وتزاورن لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا، وأوحى الله إلى الملائكة: أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا، وأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل: أن أهبط إلى نبيّي محمّد صلى الله عليه وآله في ألف قبيل، في القبيل ألف ألف ملك من الملائكة، على خيول بلق مسرجة ملجمة، عليها قباب الدرّ والياقوت، معهم ملائكة يقال لهم: الروحانيّون، بأيديهم أطباق من نور أن هنّوا محمّداً بمولوده، وأخبره: يا جبرئيل إنّي قد سمّيته الحسين، وعزّه وقل له: يا محمّد، تقتله شرار أمّتك على شرار الدواب، فويل للقاتل، وويل للسائق، وويل للقائد، قاتل الحسين عليه السلام أنا منه بريء وهو منّي بريء؛ لأنّه لا يأتي أحد يوم القيامة إلاّ وقاتل الحسين أعظم جرماً منه. قاتل الحسين يدخل النّار يوم القيامة مع الذين يزعمون أنّ مع الله إلهاً آخر، والنّار أشوق إلى قاتل الحسين ممّن أطاع الله إلى الجنّة.

قال: فبينا جبرئيل يهبط من السماء إلى الأرض إذ مرّ بدردائيل، فقال له دردائيل: يا جبرئيل، ما هذه الليلة في السماء، هل قامت القيامة على أهل الدنيا؟

قال: لا، ولكن ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله مولود في دار الدنيا، وقد بعثني الله عز وجل إليه لأهنّيه بمولوده.

فقال الملك له: يا جبرئيل، بالذي خلقك وخلقني إن هبطت إلى محمّد فاقرأه منّي السلام وقل له: بحقّ هذا المولود عليك إلاّ ما سألت الله ربّك أن يرضى عنّي، ويردّ عليّ أجنحتي

ومقامي من صفوف الملائكة، فهبط جبرئيل على النبيّ ﷺ وهنّاه كما أمر الله عز وجل، وعزّاه.

فقال النبيّ ﷺ: تقتله أمّتي؟! قال: نعم.

فقال النبيّ ﷺ: ما هؤلاء بأمّتي، أنا بريء منهم، والله بريء منهم، قال جبرئيل: وأنا منهم بريء يا محمّد.

فدخل النبيّ ﷺ على فاطمة عليها السلام وهنّاها وعزّاها، فبكت فاطمة وقالت: يا ليتني لم ألده، قاتل الحسين في النّار، قال النبيّ: وأنا أشهد بذلك يا فاطمة، ولكنّه لا يقتل حتّى يكون منه إمام تكون منه الأئمّة الهادية بعده.

ثمّ قال ﷺ: الأئمّة بعدي الهادي عليّ، المهتدي الحسن، الناصر الحسين، المنصور عليّ بن الحسين، الشافع محمّد بن علي، النفّاع جعفر بن محمّد، الأمين موسى بن جعفر، الرضا عليّ بن موسى، الفعّال محمّد بن عليّ، المؤتمن عليّ بن محمّد، العّلام الحسن بن عليّ، ومن يصلّي خلفه عيسى بن مريم، فسكنت فاطمة عليها السلام من البكاء، ثمّ أخبر جبرئيل النبيّ ﷺ بقضيّة الملك وما أصيب به.

قال ابن عبّاس: فأخذ النبيّ ﷺ الحسين عليه السلام وهو ملفوف في خرق من صوف، فأشار به إلى السماء، ثمّ قال: «اللّهمّ بحقّ هذا المولود عليك، لا بل بحقّك عليه، وعلى جدّيه محمّد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إن كان للحسين بن فاطمة عندك قدر فارض عن دردائيل، وردّ عليه أجنحته ومقامه في صفوف الملائكة»، فاستجاب الله دعاءه، وغفر للملك، والملك لا يعرف في الجنّة إلاّ بأن يقال: هذا مولى الحسين بن عليّ ابن رسول الله ﷺ.

وروى القطب الراوندي في «الخرائج» عن الصادق عليه السلام، قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي مراضع فاطمة فيتقل في أفواههم ويقول لفاطمة: لا ترضعيهم».

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب»: إنّه اعتلّت فاطمة عليها السلام لمّا ولدت الحسين عليه السلام وجفّ لبنها، فطلب رسول الله ﷺ مرضعة، فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه فيمصّه، ويجعل الله له في إبهام رسول الله رزقاً يغذوه، ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة فنبت لحمه من لحم رسول الله ﷺ.

وروى أيضاً عن برّة ابنة أميّة الخزاعي، قالت: لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسن عليه السلام خرج النبيّ ﷺ في بعض وجوهه، فقال لها: «إنّك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتّى أصير إليك».

قالت: فدخلت على فاطمة عليها السلام حين ولدت الحسن عليه السلام وله ثلاث ما أرضعته، فقلت لها: أعطينيه حتّى أرضعه؟

قالت: كلاّ، ثمّ أدركتها رقّة الأمّهات فأرضعته.

فلمّا جاء النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها: «ماذا صنعت؟».

قالت: «أدركتني عليه رقّة الأمّهات فأرضعته».

فقال: «أبى الله عز وجل إلاّ ما أراد الله».

فلمّا حملت بالحسين عليه السلام قال لها: «يا فاطمة، إنّك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتّى أجيء إليك، ولو أقمت شهراً».

قالت: «أفعل ذلك»، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه فولدت فاطمة الحسين، فما أرضعته حتّى جاء رسول الله فقال لها: «ماذا صنعت؟».

قالت: «ما أرضعته».

فأخذه فجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين عليه السلام يمصّه حتّى قال النبيّ: «إيهاً حسين إيهاً حسين» ثمّ قال: «**أبى الله إلاّ ما يريد، هي فيك وفي ولدك**»، يعني الإمامة.

وروى الكليني في الكافي بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أنثى، كان يؤتى به النبيّ صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه، ولم يولد لستّة أشهر إلاّ عيسى بن مريم عليه السلام والحسين بن عليّ عليه السلام.

قال: وفي رواية أخرى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّ النبيّ «صلى الله علي وآله» كان يؤتى بالحسين عليه السلام إليه فيلقمه لسانه، فيمصّه، فيجتزي به ولم يرضع من أنثى.

الفصل الثاني

في بيان بعض فضائله ومناقبه عليه السلام

روى الصدوق في «الأمالي» بإسناد معتبر عن حذيفة بن اليمان، قال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله آخذاً بيد الحسين بن عليّ عليه السلام وهو يقول: يا أيّها النّاس، هذا الحسين بن عليّ فاعرفوه، فوالذي نفسي بيده إنّه لفي الجنّة، ومحبّوه في الجنّة، ومحبّوا محبّيه في الجنّة.

وروى الشيخ في «الأمالي» من طرق المخالفين عن البراء بن عازب، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حامل الحسين وهو يقول: اللّهمّ إنّي أحبّه فأحبّه.

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» عن يونس، عن الحسن: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُتي بالحسين بن عليّ عليه السلام فوضع في حجره، فبال عليه، فأُخذ، فقال: لا تزرموا[1] ابني، ثمّ دعا بماء فصبّ عليه.

وروى ابن قولويه في «كامل الزيارات» عن أبي ذرّ الغفاري، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل الحسين بن عليّ عليه السلام وهو يقول: مَن أحبّ الحسن والحسين وذرّيّتهما مخلصاً لم تلفح النّار وجهه ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلاّ أن يكون ذنباً يُخرجه من الإيمان.

وروى أيضاً عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قرّة عيني النساء وريحانتيّ الحسن والحسين.

وروى أيضاً من طرق المخالفين عن يعلى بن مرّة العامري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسين منّي وأنا من حسين؛ أحبّ الله من أحبّ حسيناً. حسين سبط من الأسباط.

وهذا الحديث رواه المخالفون بطرق كثيرة: وروي عن كتبهم المعتبرة عن يعلى العامري: أنّه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له، فإذا هو بحسين يلعب مع الصبيان، فاشتمل أمام القوم، ثمّ بسط يديه فطفق الصبي يفرّ هاهنا مرّة وهاهنا مرّة، وجعل رسول الله يضاحكه حتّى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى تحت قفاه، ووضع فاه على فيه وقبّله، ثمّ قال: حسين منّي وأنا منه، أحبّ الله من أحبّ حسيناً. حسين سبط من الأسباط.

وروى القطب الراوندي في «الخرائج والجرائح» بإسناد معتبر عن المقداد بن الأسود الكندي: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج في طلب الحسن والحسين وقد خرجا من البيت، وأنا معه،

---

(١) أزرمه: قطع عليه بوله.

فرأيت أفعى على الأرض، فلمّا أحسّت بوطئ النبيّ قامت ونظرت، وكانت أعلى من النخلة، وأضخم من البكر، يخرج من فيها النّار، فهالني ذلك، فلمّا رأت رسول الله صلى الله عليه وآله صارت كأنّها خيط، فالتفت إليّ رسول الله فقال: ألا تدري ما تقول هذه يا أخا كندة؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: قالت: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى جعلني حارساً لابني رسول الله، وجرت في الرمل رمل الشعاب، فنظرت إلى شجرة لا أعرفها بذلك الموضع لأنّي ما رأيت فيه شجرة قطّ قبل يومي ذلك، ولقد أتيت بعد ذلك اليوم أطلب الشجرة فلم أجدها، وكانت الشجرة أظلّتهما بورق وجلس النبيّ صلى الله عليه وآله بينهما، فبدأ بالحسين فوضع رأسه على فخذه، ثمّ وضع رأس الحسن على فخذه الأيسر، ثمّ جعل يرخي لسانه في فم الحسين، فانتبه الحسين، فقال: يا أبت، ثمّ عاد في نومه، وانتبه الحسن وقال: يا أبتِ، وعاد في نومه، فقلت: كأنّ الحسين أكبر؟!

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ للحسين في بواطن المؤمنين معرفة مكتومة، سل أمّه عنه، فلمّا انتبها حملهما على منكبيه ثمّ أتيت باب فاطمة عليها السلام فوقفت بالباب، فأتت حمامة وقالت: يا أخا كندة، قلت: من أعلمك إنّي بالباب؟

فقالت: أخبرتني سيّدتي أنّ بالباب رجلاً من كندة من أطيبها أخباراً يسألني عن موضع قرّة عيني، فكُبرَ ذلك عندي، فولّيتها ظهري كما كنت أفعل حين أدخل على رسول الله في منزل أمّ سلمة، فقلت لفاطمة: ما منزلة الحسين؟

قالت: إنّه لمّا ولدت الحسن أمرني أبي أن لا ألبس ثوباً أجد فيه اللذة حتّى أفطمه، فأتاني أبي زائراً فنظر إلى الحسن وهو يمصّ الثدي، فقال: فطمتيه؟

قلت: نعم، قال: إذا أحبّ عليٌّ الاشتمال فلا تمنعيه، فإنّي أرى في مقدّم وجهك ضوءاً ونوراً، وذلك أنّك ستلدين حجّة لهذا الخلق.

فلمّا تمّ شهر من حملي وجدت فيّ سخنة فقلت لأبي ذلك، فدعا بكوز من ماء فتكلّم عليه، وتفل عليه، وقال: اشربي، فشربت فطار والله عنّي ما كنت أجد، وصرت في الأربعين من الأيّام، فوجدت دبيباً في ظهري كدبيب النمل فيّ بين الجلدة والثوب، فلم أزل على ذلك حتّى تمّ الشهر الثاني، فوجدت الاضطراب والحركة. فوالله لقد تحرّك وأنا بعيدة عن المطعم والمشرب، فعصمني الله كأنّي شربت لبناً حتّى تمّت الثلاثة أشهر وأنا أجد الزيادة والخير في منزلي.

فلمّا صرت في الأربعة آنس الله به وحشتي، ولزمت المسجد لا أبرح منه إلاّ لحاجة تظهر لي، فكنت في الزيادة والخفّة في الظاهر والباطن حتّى تمّت الخمسة.

فلمّا صارت الستّة كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح، وجعلت أسمع إذا خلوت بنفسي في مصلاّي التسبيح والتقديس في بطني، فلمّا مضى فوق ذلك تسع ازددت قوّة فذكرت ذلك لأمّ سلمة فشدّ الله بها أزري، فلمّا زادت العشر غلبتني عيني وأتاني آت فمسح جناحه على ظهري، فقمت وأسبغت الوضوء وصلّيت ركعتين، ثمّ غلبتني عيني، فأتاني آتٍ في منامي وعليه ثياب بيض، فجلس عند رأسي ونفخ في وجهي وفي قفاي، فقمت وأنا خائفة، فأسبغت الوضوء وأدّيت أربعاً، ثمّ غلبتني عيني، فأتاني آتٍ في منامي فأقعدني ورقاني وعوّذني، فأصبحت وكان يوم أمّ سلمة، فدخلت في أثواب حمامة.

ثمّ أتيت أمّ سلمة فنظر النبيّ ﷺ إلى وجهي فرأيت أثر السرور في وجهه، فذهب عنّي ما كنت أجد، وحكيت ذلك للنبيّ ﷺ فقال: أبشري، أمّا الأوّل فخليلي عزرائيل الموكّل بأرحام النساء، وأمّا الثاني فخليلي ميكائيل الموكّل بأرحام أهل بيتي، فنفخ فيك، قلت: نعم.

فبكى ثمّ ضمّني إليه وقال: وأمّا الثالث فذاك حبيبي جبرئيل يخدمه الله ولدك، فرجعت، فنزل تمام السنة.

أقول: هذا الخبر مخالف للأخبار السابقة الدالّة على كون حملها عليها السلام بالحسين ستّة أشهر، وتلك أصحّ سنداً، وأكثر عدداً، وأصرح دلالة، وأفصح مقالة، وأشهر بين الأصحاب، فالتعويل عليها، والله العالم.

وروي في «الخرائج والجرائح» أيضاً بإسناد معتبر عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، قال: خرج الحسن والحسين عليهما السلام حتّى أتيا نخل العجوة للخلاء، فهويا إلى مكان وولّى كلّ واحد منهما بظهره إلى صاحبه، فرمى الله بينهما بجدار يستر أحدهما عن صاحبه، فلمّا قضيا حاجتهما ذهب الجدار، وارتفع عن موضعه، وصار في الموضع عين ماء، فتوضّيا وقضيا ما أرادا، ثمّ انطلقا حتّى صارا في بعض الطريق عرض لهما رجل فظّ غليظ، فقال لهما: ما خفتما عدوّكما، من أين جئتما؟ فقالاً: إنّنا جئنا من الخلاء، فهمّ بهما، فسمعوا صوتاً يقول: يا شيطان، أتريد أن تناوئ ابني محمّد، وقد علمت بالأمس ما فعلت، وناوأت أمّهما، وأحدثت في دين الله، وسلكت عن الطريق، وأغلظ له الحسين عليه السلام أيضاً، فهوى بيده ليضرب وجه الحسين عليه السلام فأيبسها الله من منكبه، فأهوى باليسرى ففعل الله به مثل ذلك، فقال: أسألكما بحقّ أبيكما وجدّكما لما دعوتما الله أن يطلقني.

فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ أطلقه، واجعل له في هذا عبرة، واجعل ذلك عليه حجّة، فأطلق الله يده، فانطلق قدّامهما حتّى أتيا عليّاً عليه السلام، وأقبل عليه بالخصومة، فقال: أين دسستهما، وكان هذا من بعد يوم السقيفة بقليل.

فقال عليّ عليه السلام ما خرجا إلاّ للخلاء وجذب رجل منهم عليّاً حتّى شقّ رداءه.

فقال الحسين عليه السلام للرجل: لا أخرجك الله من الدنيا حتّى تبتلى بالديانة في أهلك وولدك، وقد كان الرجل قاد ابنته إلى رجل من العراق.

فلمّا خرج إلى منزلهما قال الحسين للحسن: سمعت جدّي يقول: إنّما مثلكما مثل يونس إذ أخرجه الله من بطن الحوت، وألقاه بظهر الأرض، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وأخرج له عيناً من تحتها، فكان يأكل من اليقطين، ويشرب من ماء العين، وسمعت جدّي يقول: أمّا العين فلكم، وأمّا اليقطين فأنتم عنه أغنياء، وقد قال الله في يونس: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٤٧ - ١٤٨]، ولسنا نحتاج إلى اليقطين، ولكن علم الله حاجتنا إلى العين فأخرجها لنا، وسنرسل إلى أكثر من ذلك فيكفرون ويتمتّعون إلى حين، فقال الحسن عليه السلام: قد سمعت هذا.

بيان: ناوأه: أي عاداه، ولعلّ المراد بذلك الرجل الغليظ هو الثاني.

والدسّ: هو الإخفاء، **والدسيس**: من تدسّه ليأتيك بالأخبار.

وروى الصدوق وابن شهرآشوب في «المناقب» عن الحسن البصري وأمّ سلمة: إنّ الحسن والحسين دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله وبين يديه جبرئيل، فجعلا يدوران حوله يشبّهانه بدحية الكلبي، فجعل جبرئيل يومئ بيده كالمتناول شيئاً، فإذا في يده تفاحة وسفرجلة ورمّانة، فناولهما، فتهلّلت وجوههما وسعيا إلى جدّهما، فأخذها منهما فشمّهما، ثمّ قال: صيرا إلى أمّكما بما معكما، وبدؤكما بأبيكما أعجب، فصارا كما أمرهما، فلم يأكلوا حتّى صار النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم، فأكلوا جميعاً، فلم يزل كلّما أكل منه عاد إلى ما كان حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الحسين عليه السلام: فلم يلحقه التغيير والنقصان أيّام فاطمة بنت رسول الله عليها السلام حتّى توفّيت، فلمّا توفّيت فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيّام أبي، فلمّا استشهد أمير المؤمنين فُقِدَ السفرجل وبقي التفّاح على هيئته عند الحسن حتّى مات في سمّه، وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء، فكنت أشمّها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي، فلمّا اشتدّ عليَّ العطش عضضتها وأيقنت بالفناء.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام سمعته يقول ذلك قبل مقتله بساعة، فلمّا قضى نحبه عليه السلام وُجد ريحها في مصرعه، فالتمست فلم يُر لها أثر، فبقي ريحها بعد الحسين عليه السلام، ولقد زرت قبره فوجدت ريحها يفوح من قبره، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليلتمس ذلك في أوقات السحر، فإنّه يجده إذا كان مخلصاً.

وروى المجلسي رحمه الله في «البحار» عن بعض مؤلّفات أصحابنا، عن هشام بن عروة، عن أمّ سلمة أنّها قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يُلبس ولده الحسين عليه السلام حلّة ليست من ثياب الدنيا.

فقلت له: يا رسول الله، ما هذه الحلّة؟

فقال: هذه هدية أهداها إليَّ ربّي للحسين، وأنّ لحمتها من زغب جناح جبرئيل، وها أنا ألبسه إيّاها وأزيّنه بها، فإنّ اليوم يوم الزينة وإنّي أحبّه.

وفي «مناقب ابن شهرآشوب» عن سليم بن قيس، عن سلمان الفارسي رحمه الله، قال: كان الحسين على فخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقبّله، ويقول: أنت السيّد ابن السيّد أبو السادة. أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمّة. أنت الحجّة ابن الحجّة أبو الحجج تسعة من صلبك، وتاسعهم قائمهم.

وروي عن كتب المخالفين: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة عليها السلام، فسمع الحسين عليه السلام يبكي، فقال: ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني؟.

وروي في المناقب أيضاً عن الرضا عليه السلام وعن جماعة من العامّة: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض وأهل السماء فلينظر إلى الحسين عليه السلام».

وروى أيضاً عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت في الجنّة قصراً من درّة بيضاء لا صدع فيها ولا وصل، فقلت: حبيبي جبرئيل، لمن هذا القصر؟

قال: للحسين ابنك، ثمّ تقدّمتُ أمامه، فإذا أنا بتفّاح، فأخذت تفاحة ففلقتها فخرجت منها حوراء كأنّ مقاديم النسور أشفار عينها، فقلت: لمن أنتِ؟

فبكت ثمّ قالت: لابنك الحسين.

وروى الشيخ الطوسي بإسناد معتبر: إنّ الحسين عليه السلام أبطأ في التكلّم، فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله معه إلى المسجد وأوقفه إلى جانبه، وكبّر للصلاة، فلم يحر الحسين التكبير ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يكبّر ويعالج الحسين التكبير، فلم يحر حتّى أكمل رسول الله صلى الله عليه وآله سبع تكبيرات، فأحار الحسين التكبير في السابعة، فصار سنّة.

وروى المجلسي رحمه الله في «البحار» عن بعض مؤلّفات أصحابنا أنّه روي مرسلاً عن جماعة من الصحابة، قالوا: دخل النبيّ صلى الله عليه وآله دار فاطمة عليها السلام فقال: يا فاطمة، إنّ أباك اليوم ضيفك.

فقالت عليها السلام: يا أبتِ، إنّ الحسن والحسين يطالباني بشيء من الزاد فلم أجد لهما شيئاً يقتاتان به، ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل وجلس مع عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وفاطمة متحيّرة

ما تدري كيف يصنع، ثمّ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى السماء ساعة وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا محمّد، العليّ الأعلى يقرئك السلام ويخصّك بالتحيّة والإكرام ويقول لك: قل لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: أيَّ شيءٍ يشتهون من فواكه الجنّة؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ ويا فاطمة ويا حسن ويا حسين، إنّ ربّ العزّة علم أنّكم جياع، فأيَّ شيء تشتهون من فواكه الجنّة؟

فأمسكوا عن الكلام ولم يردّوا جواباً حياءً من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين: عن إذنك يا أباه يا أمير المؤمنين، وعن إذنك يا أمّاه يا سيّدة النساء، وعن إذنك يا أخاه الحسن الزكي، أختار لكم شيئاً من فواكه الجنّة؟

فقالوا جميعاً: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختاره لنا.

فقال: يا رسول الله، قل لجبرئيل إنّا نشتهي رطباً جنيّاً.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد علم الله ذلك، ثمّ قال: يا فاطمة، قومي وادخلي البيت وأحضري لنا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلور مغطّى بمنديل من السندس الأخضر، وفيه رطب جنيّ في غير أوانه.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة، أنّى لك هذا؟

قالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، كما قالت مريم ابنة عمران.

فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتناوله وقدّمه بين أيديهم، ثمّ قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ أخذ رطبة واحدة فوضعها في فم الحسين عليه السلام، فقال: هنيئاً مريئاً يا حسين.

ثمّ أخذ رطبة فوضعها في فم الحسن عليه السلام، فقال: هنيئاً مريئاً يا الحسن.

ثمّ أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزهراء عليها السلام وقال: هنيئاً مريئاً لك يا فاطمة.

ثمّ أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم عليّ عليه السلام وقال: هنيئاً مريئاً لك يا عليّ.

ثمّ ناول عليّاً رطبة أخرى، ثمّ رطبة أخرى، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: هنيئاً مريئاً لك يا عليّ، ثمّ وثب النبيّ قائماً ثمّ جلس، ثمّ أكلوا جميعاً من ذلك الرطب، فلمّا أكتفوا وشبعوا ارتفعت المائدة إلى السماء بإذن الله تعالى.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبتِ، لقد رأيت اليوم منك عجباً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة، أمّا الرطبة الأولى التي وضعتها في فم الحسين وقلت له: هنيئاً يا حسين فإنّي سمعت ميكائيل وإسرافيل يقول - الظاهر يقولان - : هنيئاً لك يا حسين، فقلت أيضاً موافقاً لهما بالقول هنيئاً لك يا حسين.

ثمّ أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن فسمعت جبرئيل وميكائيل يقولان: هنيئاً لك يا حسن، فقلت أنا موافقاً لهما في القول.

ثمّ أخذت الثالثة فوضعتها في فمكِ يا فاطمة، فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان وهُنّ يقلن: هنيئاً لكِ يا فاطمة، فقلت موافقاً لهنّ بالقول.

ولمّا أخذت الرابعة فوضعتها في فم عليّ سمعت النداء من الحقّ سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا عليّ، فقلت موافقاً لقول الله تعالى، ثمّ ناولت عليّاً رطبة أخرى، ثمّ أخرى، وأنا أسمع صوت الحقّ سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا عليّ، ثمّ قمت إجلالاً لربّ العزة جل جلاله فسمعته يقول: يا محمّد، وعزّتي وجلالي، لو ناولت عليّاً من هذه الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت له: هنيئاً مريئاً بغير انقطاع.

وروى الصدوق في «الأمالي» وغيره بأسانيد معتبرة عن سليمان بن مهران الأعمش المعروف بين العامّة بصدق الحديث قال: بعث إليّ أبو جعفر الدوانيقي في جوف الليل أن أجب، قال: فقمت متفكّراً فيما بيني وبين نفسي، وقلت: ما بعث إليَّ أمير المؤمنين في هذه الساعة إلاّ ليسألني عن فضائل عليّ عليه السلام ولعلّي إن أخبرته قتلني.

قال: فكتبت وصيّتي، ولبست كفني، ودخلت عليه فقال: أدن، فدنوت وعنده عمرو بن عبيد، فلمّا رأيته طاب خاطري، ثمّ قال: أدن، فدنوت حتّى كادت تمسّ ركبتي ركبتيه، قال: فوجد منّي رائحة الحنوط، فقال: والله لتصدقني أو لأصلبنّك؟

قلت: وما حاجتك يا أمير المؤمنين؟

قال: ما شأنك متحنّطاً؟

قلت: أتاني رسولك في جوف الليل أن أجب، فقلت: عسى أن يكون أمير المؤمنين بعث إليَّ في هذه الساعة ليسألني عن فضائل عليّ عليه السلام، فلعلّي إن أخبرته قتلني، فكتبت وصيّتي، ولبست كفني، قال: وكان متّكئاً فاستوى قاعداً، فقال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، سألتك بالله يا سليمان: كم حديثاً ترويه في فضائل عليّ عليه السلام؟ قال: فقلت: يسيراً يا أمير المؤمنين.

قال: كم؟ قلت: عشرة آلاف حديث وما زاد.

فقال: يا سليمان، والله لأحدّثك بحديث في فضائل عليّ عليه السلام ينسي كلّ حديث سمعته.

قال: قلت: حدّثنا يا أمير المؤمنين.

قال: نعم، كنت هارباً من بني أميّة، وكنت أتردّد في البلدان فأتقرّب إلى النّاس بفضائل عليّ عليه السلام، وكانوا يطعموني ويزوّدني، حتّى وردت بلاد الشام وإنّي لفي كساءٍ خَلقٍ ما عليَّ

غيره، فسمعت الإقامة وأنا جائع، فدخلت المسجد لأصلّي، وفي نفسي أن أكلّم النّاس في عشاء يعشّوني.

فلمّا سلّم الإمام دخل المسجد صبيّان، فالتفت الإمام إليهما وقال: مرحباً بكما ومرحباً بمن اسمكما على اسمهما، فكان إلى جنبي شابّ، فقلت: يا شابّ، ما الصبيان من الشيخ؟ قال: هو جدّهما وليس بالمدينة أحد يحبّ عليّاً غير هذا الشيخ، فلذلك سمّى أحدهما الحسن والآخر الحسين.

فقمت فرحاً فقلت للشيخ: هل لك في حديث أقرّ به عينك؟

فقال: إن أقررت عيني أقررت عينك.

قال: فقلت: حدّثني والدي عن أبيه، عن جدّه، قال: كنّا قعوداً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ جاءت فاطمة عليها السلام تبكي، فقال لها النبيّ: ما يبكيك يا فاطمة، قالت: يا أبتِ، خرج الحسن والحسين فما أدري أين باتا.

فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، لا تبكي فالله الذي خلقهما هو ألطف بهما منك، ورفع النبيّ يده إلى السماء فقال: اللّهمّ إن كانا أخذا برّاً أو بحراً فأحفظهما وسلّمهما.

فنزل جبرئيل عليه السلام من السماء فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرئك السلام ويقول: لا تحزن ولا تغتمّ لهما، فإنّهما فاضلان في الدنيا وفاضلان في الآخرة، وأبوهما أفضل منهما، هما نائمان في حظيرة بني النجّار، وقد وكّل الله بهما ملكاً.

قال: فقام النبيّ صلى الله عليه وآله فرحاً ومعه أصحابه حتّى أتوا حظيرة بني النجّار، فإذا هم بالحسن معانقاً الحسين عليه السلام، وإذا الملك الموكّل بهما قد افترش أحد جناحيه تحتهما وغطّاهما بالآخر، قال: فمكث النبيّ صلى الله عليه وآله يقبّلهما حتّى انتبها، فلمّا استيقظا حمل النبيّ الحسن عليه السلام وحمل جبرئيل الحسين عليه السلام، فخرج من الحظيرة وهو يقول: والله لأُشرّفنكما كما شرّفكما الله عز وجل.

فقال له أبو بكر: ناولني أحد الصبيّين أخفّف عنك؟

فقال: يا أبا بكر، نِعم الجملان، ونِعم الراكبان، وأبوهما أفضل منهما، فخرج حتّى أتى باب المسجد فقال: يا بلال، هلمّ عليَّ بالنّاس، فنادى منادي رسول الله في المدينة فاجتمع النّاس عند رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقام على قدميه فقال:

يا معشر النّاس، ألا أدلّكم على خير النّاس جدّاً وجدّة؟ فقالوا: بلى، يا رسول الله، فقال: الحسن والحسين، فإنّ جدّهما محمّد وجدّتهما خديجة بنت خويلد.

يا معشر النّاس، ألا أدلّكم على خير النّاس أباً وأمّاً؟ فقالوا: بلى، يا رسول الله، قال:

الحسن والحسين، فإنّ أباهما يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله.

يا معشر النّاس، ألا أدلّكم على خير النّاس عمّاً وعمّة؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، فإنّ عمّهما جعفر بن أبي طالب الطيّار في الجنّة مع الملائكة، وعمّتهما أمّ هاني بنت أبي طالب.

يا معشر النّاس، ألا أدلّكم على خير النّاس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: الحسن الحسين، فإنّ خالهما القاسم ابن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله، ثمّ قال بيده هكذا يحشرنا الله.

ثمّ قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّ الحسن في الجنّة والحسين في الجنّة، وجدّهما في الجنّة، وجدّتهما في الجنّة، وأباهما في الجنّة، وأمّهما في الجنّة، وعمّهما في الجنّة، وعمّتهما في الجنّة، وخالهما في الجنّة، وخالتهما في الجنّة. اللّهمّ إنّك تعلم أنّ من يحبّهما في الجنّة، ومن يبغضهما في النّار.

قال: فلمّا قلت ذلك للشيخ قال: من أنت يا فتى؟ قلت: من أهل الكوفة.

قال: أعربيّ أنت أم مولى؟ قال: قلت: بل عربيّ.

قال: أنت تحدّث بهذا الحديث وأنت في هذا الكساء؟ فكساني خلعته، وحملني على بغلته، فبعتها بمائة دينار.

فقال: يا شاب، أقررت عيني فوالله لأقرّنّ عينك، ولأرشدنّك إلى شابّ يقرّ عينك اليوم، قال: فقلت: أرشدني.

قال: لي أخوان؛ أحدهما إمام، والآخر مؤذّن، أمّا الإمام فإنّه يحبّ عليّاً منذ خرج من بطن أمّه، وأمّا المؤذّن فإنّه يبغض عليّاً منذ خرج من بطن أمّه.

قال: قلت: أرشدني، فأخذ بيدي حتّى أتى إلى باب الإمام،فإذا أنا برجل قد خرج إليّ فقال: أمّا البغلة والكسوة فأعرفهما والله، ما كان فلان يحملك ويكسوك إلاّ أنّك تحبّ الله عز وجل ورسول الله ﷺ، فحدّثني بحديث في فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟

قال: فقلت: أخبرني أبي، عن أبيه، عن جدّه قال: كنّا قعوداً عند النبيّ ﷺ إذ جاءت فاطمة عليها السلام تبكي بكاءً شديداً، فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أبتِ، عيّرتني نساء قريش، قلن: إنّ أباك زوّجك من معدم لا مال له.

فقال لها النبيّ ﷺ: لا تبكي، فوالله ما زوّجتك حتّى زوّجك الله من فوق عرشه، وأشهد بذلك جبرئيل وميكائيل، وإنّ الله عز وجل أطّلع على أهل الدنيا فاختار من الخلائق أباك فبعثه

نبيّاً، ثمّ أطّلع الثانية فاختار من الخلائق عليّاً فزوّجك إيّاه واتّخذه وصيّاً، فعليٌّ أشجع النّاس قلماً، وأحلم النّاس حلماً، وأسمح النّاس كفّاً، وأقدم النّاس قدماً، وأعلم النّاس علماً، والحسن والحسين عليهما السلام ابناه، وهما سيّد شباب أهل الجنّة، واسمهما في التوراة شبر وشبير لكرامتهما على الله عز وجل.

يا فاطمة، لا تبكي فوالله إنّه إذا كان يوم القيامة يكسى أبوك حلّتين وعليّ حلّتين، ولواء الحمد بيدي فأناوله عليّاً لكرامته على الله عز وجل.

يا فاطمة، لا تبكي فإنّي إذا دعيت إلى ربّ العالمين يجيء عليٌّ معي، وإذا شفّعني الله عز وجل شفّع عليّاً معي.

يا فاطمة، لا تبكي. إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ في أهوال ذلك اليوم يا محمّد، نِعم الجدّ جدّك إبراهيم خليل الرحمن، ونِعم الأخ أخوك عليّ بن أبي طالب.

يا فاطمة، عليٌّ يُعينني على مفاتيح الجنّة، وشيعته هم الفائزون يوم القيامة غداً في الجنّة.

فلمّا قلت ذلك قال: يا بنيّ ممّن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة.

قال: أعربيٌّ أنت أم مولى؟ قلت: بل عربيّ.

قال: فكساني ثلاثين ثوباً، وأعطاني عشرة آلاف درهم، ثمّ قال: يا شابّ، قد أقررت عيني ولي إليك حاجة؟

قلت: قضيت إن شاء الله تعالى، قال: إذا كان غداً فأتِ مسجد آل بني فلان كيما ترى أخي المبغض لعليّ عليه السلام.

قال: فطالت عليّ تلك الليلة، فلمّا أصبحت أتيت المسجد الذي وصف لي، فقمت في الصفّ الأوّل، فإذا إلى جانبي شابّ متعمّم، فذهب ليركع فسقطت عمامته، فنظرت في وجهه فإذا رأسه رأس خنزير، فوالله ما علمت ما تكلّمت به في صلاتي حتّى سلّم الإمام، فقلت: ويحك! ما الذي أرى بك؟

فبكى وقال لي: أنظر إلى هذه الدار، فنظرت.

فقال لي: أدخل، فدخلت فقال لي كنت مؤذّناً لآل فلان، كلّما أصبحت لعنت عليّاً عليه السلام ألف مرّة بين الأذان والإقامة، وكلّما كان يوم الجمعة لعنته أربعة آلاف مرّة، فخرجت من منزله فأتيت داري، فاتّكأت على هذا الدكان الذي ترى، فرأيت في منامي كأنّي بالجنّة وفيها رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام فرحَين، ورأيت كأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عن يمينه الحسن عليه السلام، وعن يساره الحسين عليه السلام، ومعه كأس، فقال: يا حسن، اسقني، فسقاه، ثمّ قال: اسق الجماعة، فشربوا، ثمّ رأيته كأنّه قال: اسق المتّكئ على هذا الدكان.

فقال له الحسن عليه السلام: يا جدّاه، أتأمرني أن أسقي هذا وهو يلعن والدي في كلّ يوم ألف مرّة بين الأذان والإقامة، وقد لعنه هذا اليوم أربعة آلاف مرّة.

فأتاني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لي: ما لك، عليك لعنة الله تلعن عليّاً وعليٌّ منّي، وتشتم عليّاً وعليٌّ منّي، فرأيته كأنّه تفل في وجهي وضربني برجله، وقال: قم غيّر الله ما بك من نعمة، فانتبهت من نومي فإذا رأسي رأس خنزير، ووجهي وجه خنزير.

ثمّ فقال لي أبو جعفر أمير المؤمنين: أهذان الحديثان في يدك؟

فقلت: لا، فقال: يا سليمان، حبّ عليّ إيمان وبغضه نفاق، والله لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق.

قال: قلت: الأمان يا أمير المؤمنين؟ قال: لك الأمان، قلت: فما تقول في قاتل الحسين؟ قال: إلى النّار وفي النّار، قلت: وكذلك من يقتل ولد رسول الله إلى النّار وفي النّار، قال: الملك عقيم يا سليمان، اخرج وحدّث بما سمعت.

الفصل الثالث

في بيان بعض مكارم أخلاقه عليه السلام

روى العيّاشي بإسناد معتبر عن مسعدة، قال: مرّ الحسين بن عليّ عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساءً لهم وألقوا عليه كِسَراً، فقالوا: هلمّ يا بن رسول الله، فثنى وركه فأكل معهم، ثمّ تلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وفي رواية أخرى: «أنّه عليه السلام اعتذر منهم بأنّ طعامكم صدقة، وهي محرّمة علينا، ثمّ قال: أجبتكم فأجيبوني.

قالوا: نعم يا بن رسول الله، فقاموا معه حتّى أتوا منزله، فقال للجارية: أخرجي ما كنت تدّخرين.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن عمرو بن دينار، قال: دخل الحسين عليه السلام على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: وأغمّاه.

فقال له الحسين: وما غمّك يا أخي؟ قال: دَيني، وهو ستّون ألف درهم.

فقال الحسن عليه السلام: هو عليّ. قال: إنّي أخشى أن أموت؟

فقال الحسين: لن تموت حتّى أقضيها عنك، قال: فقضاها قبل موته.

وروى أيضاً عن كتاب «أنس المجالس»: إنّ الفرزدق أتى الحسين عليه السلام لمّا أخرجه مروان من المدينة، فأعطاه عليه السلام أربعمائة دينار.

فقيل له: إنّه شاعر فاسق مستهتر، فقال عليه السلام: خير مالك ما وقيت به عرضك.

وروى أيضاً: إنّه وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم النّاس بها، فدلّ على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد فوجده مصلّياً، فوقف بإزائه وأنشأ:

لَمْ يَخِبِ الآن مَن رَجاكَ ومَنْ ... حَرّكَ مِنْ دونِ بابكَ الحَلَقَة
أنتَ جَوادٌ وأنتَ معتمدٌ ... أبوكَ قَدْ كانَ قاتل الفسَقة
لَولا الذي كانَ من أوائلكُم ... كانَتْ عَلينا الجحيمُ مُنطبقة

قال: فسلّم الحسين عليه السلام وقال: يا قنبر، هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال: نعم، أربعة آلاف درهم، فقال: هاتها قد جاء من هو أحقّ بها منّا، ثمّ نزع برديه ولفّ الدنانير فيها، وأخرج يده من شقّ الباب حياءً من الأعرابي وأنشأ:

خُـذهـا فـإنّـي إلـيـكَ مُـعـتـذرٌ وَاعـلـمْ بـأنّـي عَـلـيـكَ ذُو شَـفـقـة
لَـو كـان فـي سَـيـرنـا الـغـداة عَـصـىّ[1] أمـسـت سـمـانـا عَـلـيـكَ مـنـدفِـقـة
لـكـنَّ ريـب الـزّمـانُ ذو غـيـر والـكـفُّ مـنّـي قـلـيـلـةُ الـنـفـقـة

قال: فأخذها الأعرابي وبكى، فقال له: لعلّك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك.

أقول: ومثل هذا مرويّ عن الحسن بن عليّ عليه السلام.

وروى في «المناقب» أيضاً عن شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي، قال: وجد على ظهر الحسين بن عليّ عليه السلام يوم الطفّ أثر، فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك، فقال: هذا ممّا كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين.

وروى أيضاً: إنّ عبد الرحمن السلمي علّم ولد الحسين عليه السلام الحمد، فلمّا قرأها على أبيه أعطاه ألف دينار، وألف حلّة، وحشا فاه درّاً، فقيل له في ذلك: فقال: وأين يقع هذا من عطائه، يعني تعليمه.

وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام في حديث: إنّه جرى بين الحسين عليه السلام وبين محمّد بن الحنفيّة كلام، فكتب ابن الحنفيّة إلى الحسين عليه السلام:

أمّا بعد، يا أخي فإنّ أبي وأباك عليّ، لا تفضلني فيه ولا أفضلك، وأمّك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو كان ملء الأرض ذهباً ملك أمّي ما وفت بأمّك، فإذا قرأت كتابي هذا فصر إليّ حتّى تترضّاني، فإنّك أحقّ بالفضل منّي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، ففعل الحسين عليه السلام ذلك، فلم يجر بعد ذلك بينهما شيء.

وروي أيضاً من جملة شجاعته عليه السلام: إنّه كان بين الحسين وبين الوليد بن عقبة منازعة في ضيعة، فتناول الحسين عليه السلام عمامة الوليد عن رأسه وشدّها في عنقه، وهو يومئذٍ والٍ على المدينة، فقال مروان: تالله! ما رأيت كاليوم جرأة رجل على أميره؟ فقال الوليد: والله! ما قلت هذا غضباً لي، ولكنّك حسدتني على حلمي عنه، وإنّما كانت الضيعة له، فقال الحسين عليه السلام: الضيعة لك يا وليد، وقام.

أقول: وما ظهر من شجاعته يوم الطفّ لا يمكن وصفه وتحريره، ولا يستطاع بيانه وتقريره، وسيأتي بيان بعضه إن شاء الله.

وروي في «المناقب» من زهده وعبادته: عن عبد الله بن عبيد أبي عمير، قال: «لقد حجّ

---

(١) العصا: يقصد بها هنا الأمر والحكم.

الحسين بن عليّ عليه السلام خمسة وعشرين حجّة ماشياً، وأنّ النجائب لتقاد معه، وقيل له يوماً: ما أعظم خوفك من ربّك؟

قال: لا يأمن يوم القيامة إلاّ من خاف الله في الدنيا.

وروي: إنّه عليه السلام كان أشبه النّاس برسول الله صلى الله عليه وآله في صوته وسيرته، وإنّه عليه السلام كان يقعد في المكان المظلم فيهتدي إليه ببياض جبينه ونحره.

وروى صاحب «كشف الغمّة» عن أنس، قال: «كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فجاءته بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرّة لوجه الله، فقلت: تجيئك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها، قال: كذا أدّبنا الله. قال الله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النّساء: ٨٦]، وكان أحسن منها عتقها».

وروي أيضاً: إنّه جني غلام له عليه السلام جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يُضرب، فقال: يا مولاي ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟ قال: خلّو عنه.

فقال: يا مولاي ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟ قال: قد عفوت عنك.

قال: يا مولاي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟ قال: أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن الحسين عليه السلام أنّه قال: صحّ عندي قول النبيّ صلى الله عليه وآله: أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه، فإنّي رأيت غلاماً يؤاكل كلباً، فقلت له في ذلك، فقال: يا ابن رسول الله، إنّي مغموم أطلب سروراً بسروره؛ لأنّ صاحبي يهودي أريد أفارقه، فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له، فقال اليهودي: الغلام فداء لخطاك، وهذا البستان له، ورددت عليك المال، فقال عليه السلام: أعتقت الغلام، ووهبته له جميعاً؟ فقالت امرأته: قد أسلمت ووهبت زوجي مهري، فقال اليهودي: وأنا أيضاً أسلمت وأعطيتها هذه الدار.

وروى ابن طاووس عن ابن عبد ربّه في كتاب «العقد»: إنّه قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما أقلّ ولد أبيك؟ فقال: العجب كيف ولدت له، وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة.

وروى صاحب «جامع الأخبار»: إنّ أعرابيّاً جاء إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، فقال: يا بن رسول الله، قد ضمنت ديةً كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم النّاس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال الحسين عليه السلام: يا أخا العرب، أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة

أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكلّ أعطيتك الكلّ.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله، أمثلك يسأل من مثلي وأنت من أهل العلم والشرف؟!

فقال الحسين عليه السلام: بل سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المعروف بقدر المعرفة.

فقال الأعرابي: سل عمّا بدالك، فإن أجبت وإلاّ تعلّمت منك، ولا قوّة إلاّ بالله.

فقال الحسين عليه السلام: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين عليه السلام: فما يزين الرجل؟ فقال الأعرابي: علم معه حلم.

فقال: فإن أخطأ ذلك؟ فقال: مال معه مروّة.

فقال: فإن أخطأ ذلك؟ فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه، فإنّه أهل لذلك.

فضحك الحسين عليه السلام ورمى بصرّة إليه فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فصّ قيمته مائتا درهم، وقال: يا أعرابي، أعط الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي ما أعطاه، وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]».

وروى محمّد بن العبّاس في «تفسيره»: إنّه قال رجل للحسين عليه السلام: إنّ فيك كبراً، فقال: كلّ الكبر لله وحده، ولا يكون في غيره. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وروى الكليني في «الكافي» بإسناد معتبر عن يعقوب بن سالم، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: قُتل الحسين وهو مختضب بالوسمة.

وروى في «الكافي» أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: خضب الحسين عليه السلام بالحنّاء والكتم.

وروى الطبرسي رحمه الله في «الاحتجاج» عن موسى بن عقبة أنّه قال: لقد قيل لمعاوية: إنّ النّاس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام، فلو قد أمرته يصعد المنبر فيخطب فإنّ فيه حصراً، وفي لسانه كلالة.

فقال لهم معاوية: قد ظننّا ذلك بالحسن، فلم يزل حتّى عظم في أعين النّاس وفضحنا، فلم يزالوا به حتّى قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، لو صعدت المنبر فخطبت، فصعد الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: مَن هذا الذي يخطب؟

فقال الحسين: نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون،

وأحد الثقلين، الذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل علينا في تفسيره، ولا يبطئنا تأويله، بل نتّبع حقائقه، فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة. قال الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وأحذّركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنّه لكم عدوّ مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فتلقون للسيوف ضَرباً، وللرماح وَرَداً[1]، وللعمد حطماً؛ وللسهام غرَضاً، ثمّ لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله فقد أبلغت.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن عبد الملك بن عمير والحاكم والعبّاس، قالوا: خطب الحسن عائشة بنت عثمان، فقال مروان: أزوّجها عبد الله بن الزبير، ثمّ إنّ معاوية كتب إلى مروان، وهو عامله على الحجاز، يأمره أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فأتى عبد الله بن جعفر فأخبره بذلك، فقال: إنّ أمرها ليس إليّ، إنّما هو إلى سيّدنا الحسين عليه السلام، وهو خالها، فأُخبر الحسين عليه السلام بذلك، فقال: استخير الله تعالى، اللّهمّ وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

فلمّا أجتمع النّاس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل مروان حتّى جلس إلى الحسين عليه السلام وعنده من الجلّة[2]، وقال: إنّ أمير المؤمنين - يعني معاوية - أمرني بذلك - يعني بخطبة بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد - وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ مع قضاء دين أبيها، مع صلح ما بين هذين الحّيين، وأعلم أنّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفؤ من لا كفؤ له وبوجهه يستسقى الغمام، فردّ خيراً يا أبا عبد الله.

فقال الحسين عليه السلام: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه... إلى آخر كلامه.

---

(١) الورد: أي ما ترد عليه الرماح.
(٢) الجلة: الاجلاء؛ السادة.

ثمّ قال: يا مروان، قد قلت فسمعنا، أمّا قولك: مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سُنّة رسول الله ﷺ في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشر أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً.

وأمّا قولك مع قضاء دَين أبيها، فمتى كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا.

وأمّا صلح ما بين هذين الحيّين، فإنّا قوم عاديناكم في الله ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلعمري فلقد أعيى النسب فكيف السبب.

وأمّا قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خير من يزيد، ومن أب يزيد، ومن جدّ يزيد.

وأمّا قولك: إنّ يزيد كفؤ من لا كفؤ له، فمن كان كفؤه قبل اليوم كفؤه اليوم، ما زادته إمارته في الكفاة شيئاً.

وأمّا قولك: بوجهه يستسقى الغمام، فإنّما كان ذلك بوجه رسول الله.

وأمّا قولك: من يغبطنا به أكثر ممّن يغبطه بنا، فإنّما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل.

ثمّ قال بعد كلام: فاشهدوا جميعاً إنّي قد زوّجت أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة - أو قال: أرضي بالعقيق - ، وأنّ غلّتها في السنة ثمانية آلاف ديناراً، ففيها لهما غنىً إن شاء الله.

قال: فتغيّر وجه مروان، وقال: أغدراً يا بني هاشم تأبون إلاّ العداوة، فذكّره الحسين عليه السلام خطبة الحسن عائشة وفعله، ثمّ قال: فأين موضع الغدر يا مروان.

فقال مروان:

أردنا صهركم لنجدّ وداً ... قد اخلق رأبه[1] حدث الزمان
فلمّا جئتكم فجبهتموني ... وبحتم بالضمير من الشنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم:

أماط الله منهم كلّ رجس ... وطهّرهم بذلك في المثاني
فما لهم سواء من نظير ... ولا كفؤ هناك ولا مداني
أيجعل كلّ جبّار عنيد ... إلى الأخيار من أهل الجنان

---

(١) الرأب: إصلاح الأمر.

وروى الشيخ الكشّي: إنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية، وهو عامله على المدينة: أمّا بعد، فإنّ عمرو بن عثمان ذكر أنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، وذكر أنّه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنّه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده، فاكتب إليَّ برأيك في هذا، والسلام.

فكتب إليه معاوية: أمّا بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإيّاك أن تتعرّض للحسين في شيء، فاترك حسيناً ما تركك، فإنّا لا نريد أن نعرض له في شيء ما وفى ببيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا، فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته، والسلام.

وكتب معاوية إلى الحسين بن عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فقد انتهت إليّ أمور عنك إن كانت حقّاً فقد أظنّك تركتها رغبة، ولعمر الله أنّ من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، فإن كان الذي بلغني باطلاً فإنّك أنت أعزل النّاس لذلك، وعظ نفسك، فاذكر وبعهد الله أوفِ، فإنّك متى ما تنكرني أنكرك، ومتى ما تكدني أكدك، فاتّق شقّ عصا هذه الأمّة، وأن يردّهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت النّاس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمّد، ولا يستخفّنّك السفهاء والذين لا يعلمون.

فلمّا وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام كتب إليه:

أمّا بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أنّه قد بلغك عنّي أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير، فإنّ الحسنات لا يهدي لها ولا يسدّد إليها، إلاّ الله.

وأمّا ما ذكرت أنّه انتهى إليك عنّي، فإنّه إنّما رقاه إليك المّلاقون المشّاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً. وأيم الله! إنّي لخائف لله في ترك ذلك، وما أظنّ الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك وفي أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشيطان، ألست القاتل حِجراً أخا كندة، والمصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك؟

أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، بعد ما آمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأة على ربّك واستخفافاً بذلك العهد؟

أو لست المدّعي زياد بن سميّة، المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنّه ابن أبيك وقد

قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول الله تعمّداً، وتبعت هواك بغير هدىً من الله، ثمّ سلّطته على العراقين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبنّهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأمّة وليسوا منك؟

أو لست صاحب الحضرميّين الذين كتب فيهم ابن سميّة أنّهم كانوا على دين عليّ عليه السلام، فكتبت إليه: أن اقتل كلّ من كان على دين عليّ عليه السلام، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين عليّ والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك شرف أبيك، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمّد ﷺ، واتّق شقّ عصى هذه الأمّة، وأن تردّهم إلى فتنة، وإنّي لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمّة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمّة محمّد ﷺ علينا أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنّه قربة إلى الله، وإن تركته فإنّي أستغفر لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: إنّي إن أنكرتك تنكرني، وإن أكدك تكدني، فكدني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لا يضرّني كيدك فيَّ، وأن لا يكون عليَّ أحد أضرّ منه على نفسي، لأنّك قد ركبت جهلك، وتحرّصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا أو قتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا، وتسليمهم لحقّنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلّك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص واستيقن، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنّة، وقتلك أوليائه على التهم، ونفيك أوليائه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك النّاس ببيعة ابنك وهو غلام حدث، يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلاّ وقد خسرت نفسك، وتبّرت دينك، وغششت رعيّتك، وأخربت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقيّ الحليم، والسلام.

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضب[1] ما أشعر به.

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، أجبه جواباً تصغّر إليه نفسه وتذكر فيه أباه بشرّ فعله، قال: ودخل عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟ قال: وما هو؟

قال: فاقرأ الكتاب، فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما تصغّر إليه نفسه - وإنّما قال ذلك في هوى معاوية - فقال يزيد: كيف رأيت يا أمير المؤمنين رأيي؟

---

(١) الضب: الحقد.

فضحك معاوية فقال: أمّا يزيد فقد أشار عليَّ بمثل رأيك.

قال عبد الله: فقد أصاب يزيد.

فقال معاوية: أخطأتما، أرأيتما لو أنّي ذهبت أعيب عليّاً، محقّاً؟ ما عسيت أن أقول فيه، ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل، وما لا يعرف، ومتى ما عبت رجلاً بما لا يعرفه النّاس لم يحفل بصاحبه ولا يراه النّاس شيئاً، وكذّبوه، وما عسيت أن أعيب حسيناً، ووالله ما أرى للعيب فيه موضعاً وقد رأيت أن أكتب إليه أتوعّده وأتهدّده ثمّ رأيت أن لا أفعل ولا أمحكه.

الفصل الرابع

في بيان بعض النصوص عليه بالخلافة، وبيان بعض معجزاته عليه السلام

اعلم أنّه قد تواترت النصوص من العامّة والخاصّة أنّ الحسن عليه السلام لمّا حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه الحسين عليه السلام، ونصّ عليه بالإمامة، وأودعه أسرار النبوّة، وودائع الخلافة، ولو استقصينا النصوص في إمامته لصار الكتاب كبير الحجم، وخرجنا عمّا نحن بصدده.

وقد روى ثقة الإسلام في «الكافي»، والطبرسي في «إعلام الورى» بأسانيد معتبرة عن الباقر عليه السلام، قال: لمّا احتضر الحسن عليه السلام قال للحسين عليه السلام: يا أخي، إنّي أوصيك بوصيّة فأحفظها، إذا أنا متّ فهيّئني ووجّهني إلى رسول الله لأحدث به عهداً ثمّ اصرفني إلى أمّي فاطمة، ثمّ ردّني فادفنّي في البقيع، الحديث.

ورويا أيضاً بإسنادهما عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا حضرت الحسن عليه السلام الوفاة قال: يا قنبر، انظر هل ترى وراء بابك مؤمناً من غير آل محمّد، فقال: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

قال: امض فادع لي محمّد بن عليّ، قال: فأتيته.

فلمّا دخلت عليه قال: هل حدث إلاّ خير؟

قلت: أجب أبا محمّد، فعجل عن شسع نعله فلم يسوّه، فخرج معي يعدو، فلمّا قام بين يديه سلّم، فقال له الحسن عليه السلام: أجلس فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيى به الأموات، ويموت به الأحياء، كونوا أوعية العلم ومصابيح الدجى، فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض. أما علمت أنّ الله عز وجل جعل ولد إبراهيم أئمّة، وفضّل بعضهم على بعض، وآتى داود زبوراً، وقد علمت بما استأثر الله به محمّداً صلى الله عليه وآله.

يا محمّد بن عليّ، إنّي أخاف عليك الحسد، وإنّما وصف الله تعالى به الكافرين فقال: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً.

يا محمّد بن عليّ، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك عليه السلام فيك؟ قال: بلى.

قال: سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحبّ أن يبرّني في الدنيا والآخرة فليبرّ محمّداً ولدي.

يا محمّد بن عليّ، لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك.

يا محمّد بن عليّ، أما علمت أنّ الحسين بن عليّ بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي، إمام من بعدي وعند الله في الكتاب الماضي، وراثة من النبيّ ﷺ أضافها الله له في وراثة أبيه وأمّه، علم الله أنكم خير خلقه، فاصطفى منكم محمّداً ﷺ، واختار محمّد عليّاً، واختارني عليّ للإمامة، واخترت أنا الحسين.

فقال له محمّد بن عليّ: أنت إمامي وسيّدي، وأنت وسيلتي إلى محمّد ﷺ، والله لوددت أنّ نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام، ألا وإنّ في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء، ولا تغيّره بُعد الرياح، كالكتاب المعجم في الرقّ المنمنم، أهمّ بإبدائه، فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل، وما جاءت به الرسل، وأنّه لكلام يكلّ به لسان الناطق، ويد الكاتب، ولا يبلغ فضلك، وكذلك يجزي الله المحسنين، ولا قوّة إلاّ بالله.

الحسين بن عليّ أعلمنا علماً، وأثقلنا حلماً، وأقربنا من رسول الله ﷺ رحماً، كان إمامنا قبل أن نخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله في أحد غير محمّد خيراً لما اصطفى محمّداً، فلمّا اختار محمّداً ﷺ اختار محمّد عليّاً إماماً، واختارك عليّ من بعده، واخترت الحسين من بعدك، سلّمنا ورضينا بمن هو الرضا، وبمن نسلم به من المشكلات.

وروى الصفّار في «بصائر الدرجات» عن صالح بن ميثم الأسدي، قال: دخلت أنا وعباية بن ربعي على امرأة في بني والبة قد احترق وجهها من السجود، فقال لها عباية: يا حبّابة، هذا ابن أخيك، قالت: وأيّ أخ؟

قال: صالح بن ميثم، قالت: ابن أخي والله حقّاً. يا ابن أخي ألا أحدّثك حديثاً سمعته من الحسين بن عليّ عليه السلام؟

قال: قلت: بلى يا عمّة، قالت: كنت زوّارة الحسين بن عليّ عليه السلام، قالت: فحدث بين عينيّ وضح فشقّ ذلك عليّ، واحتبست عليه أيّاماً، فسأل - يعني الحسين - عنّي وقال: ما فعلت حبابة الوالبيّة؟.

فقالوا: إنّها حدث بها حدث بين عينيها.

فقال لأصحابه: قوموا إليها، فجاء مع أصحابه حتّى دخل عليَّ وأنا في مسجدي هذا، فقال: يا حبّابة، ما أبطأ بك عليّ؟

قلت: يا ابن رسول الله، حدث هذا بي.

قالت: فكشفت القناع فتفل عليه الحسين بن عليّ، فقال: يا حبّابة، أحدثي لله شكراً فإنّ الله قد درأه عنك، قالت: فخررت ساجدةً.

قالت: فقال عليه السلام: يا حبّابة، أرفعي رأسك وانظري في مرآتك.

قالت: فرفعت رأسي فلم أحسّ منه شيئاً، قالت: فحمدت الله.

وروى القطب الراوندي في «الخرائج» عن أبي خالد الكابلي، عن يحيى بن أمّ الطويل، قال: كنّا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شابّ يبكي، فقال له الحسين: ما يبكيك؟ قال: إنّ والدتي توفّيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مال، وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتّى أعلمك خبرها.

فقال الحسين عليه السلام: قوموا حتّى نصير إلى هذه الحرّة.

فقمنا معه حتّى انتهينا إلى باب البيت الذي توفّيت فيه والمرأة مسجّاة، فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها حتّى توصي بما تحبّ من وصيّتها، فأحياها الله، وإذا المرأة جلست وهي تتشهّد، ثمّ نظرت إلى الحسين عليه السلام فقالت: أدخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك، فدخل وجلس على مخدّة، ثمّ قال لها: أوصي يرحمك الله، فقالت: يا ابن رسول الله، لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلثان لأبني هذا إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين، ثمّ سألته أن يصلّي عليها، وأن يتولّى أمرها، ثمّ صارت المرأة ميّتة كما كانت.

وروي أيضاً عن جابر الجعفي عن زين العابدين عليه السلام، قال: قال: أقبل أعرابيّ إلى المدينة ليختبر الحسين عليه السلام لما ذكر له من دلائله، فلمّا صار بقرب المدينة خضخض[1] ودخل المدينة، فدخل على الحسين وهو جُنب، فقال له الحسين عليه السلام: أما تستحي يا أعرابي أن تدخل على إمامك وأنت جنب، فقال: أنتم معاشر العرب إذا دخلتم خضخضتم؟

فقال الأعرابي: قد بلغت حاجتي فيما جئت فيه، فخرج من عنده واغتسل ورجع إليه، فسأله عمّا كان في قلبه.

وروى الصادق عن آبائه عليهم السلام، قال: إنّ الحسين عليه السلام كان إذا أراد أن ينفذ غلمانه في بعض أموره قال لهم: لا تخرجوا في يوم كذا واخرجوا في يوم كذا، فإنّكم إن خالفتموني قُطع عليكم، فخالفوه مرّة وخرجوا فقتلهم اللصوص، وأخذوا ما معهم، واتّصل الخبر إلى الحسين عليه السلام، فقال: حذّرتهم فلم يقبلوا منّي، ثمّ قام من ساعته ودخل على الوالي فقال الوالي: يا أبا عبد الله، بلغني قتل غلمانك فآجرك الله فيهم خيراً.

فقال الحسين عليه السلام: فإنّي أدلّك على من قتلهم فاشدد يدك بهم.

---

(١) الخضخضة: الاستمناء.

فقال: أوَ تعرفهم يا ابن رسول الله؟

قال: نعم، كما أعرفك، وهذا منهم، وأشار بيده إلى رجل واقف بين يدي الوالي.

فقال الرجل: من أين قصدتني بهذا، ومن أين تعرف أنّي منهم؟

فقال له الحسين عليه السلام: إن أنا صدقتك تصدقني؟

فقال الرجل: والله لأصدقنّك.

قال له: خرجت ومعك فلان وفلان - وذكرهم كلّهم - فمنهم أربعة من موالي المدينة والباقون من حبشان المدينة، فقال الوالي للرجل: وربّ القبر والمنبر لتصدقني أو لأنثرنّ لحمك بالسياط؟

فقال الرجل: والله ما كذب الحسين ولقد صدق، وكأنّه كان معنا، فجمعهم الوالي فأقرّوا جميعاً، فضرب أعناقهم.

وروي أيضاً: إنّ رجلاً صار إلى الحسين عليه السلام فقال: جئتك استشيرك في تزويجي فلانة، فقال: لا أحبّ لك ذلك، وكانت كثيرة المال، وكان الرجل أيضاً مكثراً، فخالف الحسين عليه السلام فتزوّج بها، فلم يلبث الرجل حتّى افتقر.

فقال له الحسين عليه السلام: قد أشرت عليك فخلّ سبيلها، فإنّ الله يعوّضك عنها خيراً منها، ثمّ قال وعليك بفلانة فتزوّجها، فما مضت له سنة حتّى كثر ماله وولدت له ولداً ذكراً، ورأى منها ما أحبّ.

وروى الشيخ الكشّي في رجاله، وابن شهرآشوب في «المناقب» عن زرارة وحمران، عن الصادق عليه السلام: إنّ مريضاً شديد الحمّى عاده الحسين عليه السلام فلمّا دخل من باب الدار طارت الحمّى عن الرجل، فقال له: رضيت بما أوتيتم به حقّاً حقّاً، والحمى تهرب عنكم.

فقال له الحسين عليه السلام: والله ما خلق الله شيئاً إلاّ وقد أمره بالطاعة لنا.

قال: فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول: لبّيك، قال: أليس أمير المؤمنين عليه السلام أمرك ألاّ تقربي إلاّ عدوّاً أو مذنباً لكي تكوني كفّارة لذنوبه، فما بال هذا؟ قال: وكان المريض عبد الله بن شدّاد بن الهاد الليثي.

وروى الشيخ في «التهذيب» بإسناد معتبر عن أيّوب بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ امرأة كانت تطوف وخلفها رجل، فأخرجت ذراعها، فمال بيده حتّى وضعها على ذراعها، فأثبت الله يده في ذراعها حتّى قطع الطواف، وأرسل إلى الأمير واجتمع النّاس، وأرسل إلى الفقهاء فجعلوا يقولون: اقطع يده فهو الذي جني الجناية، فقال: هاهنا أحد من ولد محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالوا: نعم، الحسين بن عليّ عليه السلام قدم الليلة، فأرسل إليه فدعاه، فقال: أنظر ما لقي ذان، فاستقبل الكعبة ورفع يديه، فمكث طويلاً يدعو، ثمّ جاء إليهما حتّى خلّص يده من يدها.

فقال الأمير: ألا نعاقبه بما صنع؟ قال: لا.

وروي عن صفوان بن مهران، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: رجلان اختصما في زمن الحسين عليه السلام في امرأة وولدها، فقال هذا: لي، وقال هذا: لي، فمرّ بهما الحسين عليه السلام فقال لهما: في ماذا تمرجان؟

قال أحدهما: إنّ الامرأة لي، وقال الآخر: إنّ الولد لي.

فقال للمدّعي الأوّل: اقعد، فقعد، وكان الغلام رضيعاً، فقال الحسين عليه السلام: يا هذه، اصدقي من قبل أن يهتك الله سترك، فقالت: هذا زوجي، والولد له، ولا أعرف هذا.

فقال عليه السلام: يا غلام، ما تقول هذه؟ انطق بإذن الله تعالى. فقال: ما أنا لهذا ولا لهذا، وما أبي إلاّ راعٍ لآل فلان، فأمر برجمها - قال جعفر عليه السلام: - فلم يسمع أحد نطق ذلك الغلام بعدها.

وروي أيضاً عن الأصبغ بن نباتة، قال: سألت الحسين عليه السلام فقلت: سيّدي، أسألك عن شيء أنا به موقن، وإنّه من سرّ الله، وأنت المسرور إليه ذلك السرّ.

فقال: يا أصبغ، أتريد أن ترى مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي دون الأوّل يوم مسجد قبا؟

قال: هذا الذي أردت.

قال: قم، فإذا أنا وهو بالكوفة، فنظرت فإذا المسجد من قبل أن يرتدّ إليَّ بصري، فتبسّم في وجهي، ثمّ قال: يا أصبغ، إنّ سليمان بن داود عليه السلام أعطي الريح غدّوها شهر ورواحها شهر، وأنا قد أعطيت أكثر ممّا أعطي سليمان بن داود.

فقلت: صدقت والله يا ابن رسول الله.

فقال: نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه، وليس عند أحد من خلقه ما عندنا، لأنّا أهل سرّ الله، فتبسّم في وجهي ثمّ قال: نحن آل الله وورثة رسوله.

فقلت: الحمد لله على ذلك، ثمّ قال لي: أدخل، فدخلت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله محتب في المحراب بردائه، فنظرت فإذا أنا بأمير المؤمنين عليه السلام قابض على تلابيب الأعسر[1]،

---

(١) الأعسر: المشوم الذي لا خير فيه.

فرأيت رسول الله يعضّ على الأنامل وهو يقول: بئس الخلف خلفتني أنت وأصحابك عليكم لعنة الله ولعنتي، الخبر.

وروى السيّد ابن طاووس عن حذيفة قال: سمعت الحسين بن عليّ عليه السلام يقول: والله ليجتمعنّ على قتلي طغاة بني أميّة ويقدمهم عمر بن سعد، وذلك في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله. فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله؟ فقال: لا. قال: فأتيت النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته، فقال: علمي علمه، وعلمه علمي؛ لأنّنا نعلم بالكائن قبل كينونته.

وروى المرتضى في «عيون المعجزات» بإسناده عن الصادق عليه السلام عن أبيه، عن جدّه، قال: جاء أهل الكوفة إلى عليّ عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا. فقال للحسين: قم واستسق لنا، فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: اللّهمّ معطي الخيرات، ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدراراً، وأسقنا غيثاً غزاراً واسعاً غدقاً مجلّلاً سحاً سفوحاً ثجاجاً، تنفّس به عن الضعيف من عبادك، وتحيي به الميّت من بلادك، آمين ربّ العالمين، فما فرغ من دعائه حتّى أغاث الله تعالى غيثاً بغتة، وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض.

وروي عن عطاء بن السائب عن أخيه، قال: شهدت يوم الحسين عليه السلام فأقبل رجل من تيم يقال له: عبد الله بن حوزة، فقال: يا حسين، فقال عليه السلام: ما تشاء؟ فقال: أبشر بالنّار، فقال عليه السلام: كلاّ إنّي أقدم على ربّ غفور شفيع مطاع، وأنا من خير إلى خير، مَن أنت؟ قال: أنا ابن حوزة، فرفع يده الحسين عليه السلام حتّى رأينا بياض إبطيه، وقال: اللّهمّ حزه إلى النّار، فغضب ابن حوزة فحمل عليه فاضطربت به فرسه في جدول وتعلّقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض ونفر الفرس، فأخذ يعدو به ويضرب رأسه بكلّ حجر وشجر وانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلّقاً في الركاب، فصار لعنه الله إلى نار الجحيم.

وروى العامّة والخاصّة بطرق معتبرة: «إنّ جبرئيل عليه السلام نزل يوماً فوجد الزهراء عليها السلام نائمة، والحسين عليه السلام في مهده يبكي، فجعل يناغيه ويسلّيه حتّى استيقظت، فسمعت صوتاً يناغيه، فالتفتت فلم ترَ أحداً، فأخبرها النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان جبرئيل».

ورووا أيضاً: «إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه النّاس ببياض جبينه ونحره، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان كثيراً ما يقبّل جبينه ونحره.

وسيأتي بيان بعض معجزاته عليه السلام في أبواب شهادته.

الفصل الخامس

في ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام خصوصاً في يوم عاشوراء

روى ابن قولويه في «كامل الزيارة» بإسناد معتبر عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنّا عنده فذكرنا الحسين عليه السلام فبكى أبو عبد الله عليه السلام، وبكينا، قال: ثمّ رفع رأسه فقال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلاّ بكى.

وروى أيضاً عنه عليه السلام، قال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، قتلت مكروباً، وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب قطّ إلاّ ردّه الله وأقلبه إلى أهله مسروراً.

وروى الشيخ المفيد بإسناد صحيح عن معاوية بن وهب، عن الصادق عليه السلام، قال: كلّ الجزع والبكاء مكروه؛ سوى الجزع والبكاء على الحسين.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن أبي عمارة المنشد، قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قطّ فرؤي أبو عبد الله مبتسماً في ذلك اليوم إلى الليل، وكان عليه السلام يقول: الحسين عبرة كلّ مؤمن.

وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام، قال: نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسين عليه السلام فقال: يا عبرة كلّ مؤمن، فقال: أنا يا أبتاه؟ قال: نعم يا بنيّ.

وروى الصدوق في «الأمالي» و«ثواب الأعمال»، وابن قولويه في «الكامل» بأسانيد معتبرة عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: يا أبا عمارة، أنشدني للعبدي في الحسين.

قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدار، فقال لي: يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى أربعين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فتباكى فله الجنّة.

وفي رواية أخرى في «الكامل» عن الصادق عليه السلام في حديث قال: ومن ذُكر الحسين عليه السلام

عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عز وجل؛ ولم يرض له بدون الجنّة.

وروى الشيخ الكشّي بإسناد معتبر عن زيد الشحّام، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عثمان على أبي عبد الله عليه السلام، فقرّبه وأدناه، ثمّ قال: يا جعفر، قال: لبّيك جعلني الله فداك.

قال: بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد؟

فقال له: نعم، جعلني الله فداك، قال: قل، فأنشد فبكى عليه السلام ومن حوله حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ قال: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقرّبون هاهنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك الجنّة بأسرها، وغفر الله لك - فقال: - يا جعفر، ألا أزيدك؟

قال: نعم يا سيّدي، قال: ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى به إلاّ أوجب الله له الجنّة وغفر له.

وروى الشيخ في «الأمالي» عن الشيخ المفيد بإسناد صحيح عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام عند ربّه ينظر إلى معسكره ومن حلّه من الشهداء معه، وينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله عز وجل من أحدكم بولده، وأنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له، ويسأل آباءه عليهم السلام أن يستغفروا له، ويقول: لو يعلم زائري ما أعدّ الله له لكان فرحه أكثر من جزعه، وأنّ زائره لينقلب وما عليه من ذنب.

وروى الصدوق في «الأمالي» بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام، قال: إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا وانتُهب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلا، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام.

ثمّ قال: كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى تمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام.

وروى الصدوق أيضاً في «الأمالي» عن الرضا عليه السلام، قال: من ترك السعي في حوائجه

يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه، ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما أدّخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلى أسفل درك من النّار.

وروى أيضاً بإسناد حسن عن الريّان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم فقال لي: يا ابن شبيب، أصائم أنت؟ فقلت: لا.

فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربّه عز وجل فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]، فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا.

ثمّ قال: يا ابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا ابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن عليّ بن أبي طالب، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين.

يا ابن شبيب، لقد حدّثني أبي عن أبيه، عن جدّه عليه السلام أنّه قال: لمّا قتل جدّي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يا ابن شبيب، إن بكيت على الحسين حتّى تصير دموعك على خدّيك، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النبيّ وآله، فالعن قتلة الحسين.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

وروى ابن قولويه في «كامل الزيارة» بإسناد معتبر عن عبد الله بن بكير، قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام، فقلت: يا ابن رسول الله، لو نبش قبر الحسين بن عليّ عليه السلام هل كان يصاب في قبره شيء؟

فقال: يا ابن بكير، ما أعظم مسائلك. إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام مع أبيه وأمّه وأخيه في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعه يرزقون ويحبرون، وأنّه لمن يمين العرش متعلّق به يقول: يا ربّ، أنجز لي ما وعدتني، وإنّه لينظر إلى زوّاره، وأنّه أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم من أحدهم بولده، وأنّه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: أيّها الباكي لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر ممّا حزنت، وأنّه ليستغفر له من كلّ ذنب وخطيئة.

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين؟

قلت: لا أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير من أهل القبائل من النّصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي.

قال لي: أفما تذكر ما صُنع به؟ قلت: نعم.

قال: فتجزع؟ قلت: إي والله واستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ، فامتنع من الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما أنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنّا. أما أنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك، ووصيّتهم ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة أفضل، ولملك الموت أرقّ عليك وأشدّ رحمة لك من الأمّ الشفيقة على ولدها، قال: ثمّ استعبر واستعبرت معه، فقال: الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالرحمة، وخصّناً أهل البيت بالرحمة.

يا مسمع، إنّ الأرض والسماء لتبكي منذ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خدّه فلو أنّ قطرة من دموعه سقطت في جهنّم لأطفأت حرّها، حتّى لا يوجد لها حرّ، وأنّ الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحةً لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتّى يرد علينا الحوض، وأنّ الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا ورد عليه حتّى أنّه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه.

يا مسمع، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يستسق بعدها أبداً، وهو في برد

الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكي من العنبر، يخرج من تسنيم، ويمرّ بأنهار الجنان، يجري على رضراض الدرّ والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قد حانه من الذهب والفضّة وألوان الجوهر، يفوح في وجه الشارب منه كلّ فائحة حتّى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت هاهنا، لا أبغي بهذا بدلاً، ولا عنه تحويلاً.

أما أنّك يا ابن كردين ممّن تُروى منه، وما عين بكت لنا إلاّ نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقيت منه، وأنّ الشارب منه ليعطى من اللذّة والطعم والشهوة له أكثر ممّا يعطاه من هو دونه في حبّنا، وأنّ على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصاً من عوسج يحطّم بها أعداءنا، فيقول الرجل منهم: إنّي أشهد الشهادتين؟ فيقول: أنطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك، فيقول: تبرّأ منّي إمامي الذي تذكره، فيقول: أرجع إلى ورائك فقل للذي كنت تتولاّه وتقدّمه على الخلق فاسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك، فإنّ خير الخلق حقيق أن لا يردّ إذا شفع، فيقول: إنّي أهلك عطشاً، فيقول له: زادك الله ظمأً، وزادك الله عطشاً.

قلت: جعلت فداك، وكيف يقدر على الدنوّ من الحوض ولم يقدر عليه غيره؟

فقال: ورع عن أشياء قبيحة، وكفّ عن شتمنا أهل البيت إذا ذكرنا، وترك أشياء اجترأ عليها غيره وليس ذلك لحبّنا ولا لهوى منه لنا، ولكنّ لشدّة اجتهاده في عبادته وتديّنه، ولما قد شغل نفسه به عن ذكر النّاس، فأمّا قلبه فمنافق، ودينه النصب، وأتباعه أهل النصب وولاية الماضين، وتقديمه لهما على كلّ أحد.

وروى الفاضل المجلسي رحمه الله في «البحار» عن بعض مؤلّفات أصحابنا أنّه حكي عن السيّد علي الحسيني، قال: كنت مجاوراً في مشهد مولاي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام مع جماعة من المؤمنين، فلمّا كان يوم العاشر من شهر عاشوراء ابتدأ رجل من أصحابنا يقرأ مقتل الحسين عليه السلام فوردت رواية عن الباقر عليه السلام أنّه قال: من ذرفت عيناه على مصاب الحسين ولو مثل جناح البعوضة غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، وكان في المجلس معنا جاهل مركّب يدّعي العلم ولا يعرفه، فقال: ليس هذا بصحيح، والعقل لا يعتقده، وكثر البحث بيننا وافترقنا من ذلك المجلس، وهو مصرٌ على العناد في تكذيب الحديث.

فنام ذلك الرجل تلك الليلة فرأى في منامه كأنّ القيامة قد قامت، وحُشر النّاس في صعيد صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وقد نُصبت الموازين، وامتدّ الصراط، ووضع الحساب، ونشرت الكتب، واسعرت النيران، وزخرفت الجنان، واشتدّ الحرّ عليه، وإذا هو قد عطش عطشاً شديداً، وبقي يطلب الماء فلا يجده، فالتفت يميناً وشمالاً وإذا هو بحوض عظيم الطول والعرض.

قال: فقلت في نفسي: هذا الكوثر، فإذا فيه ماء أبرد من الثلج، وأحلى من العذب، وإذا عند الحوض رجلان وامرأة أنوارهم تشرق على الخلائق وهم مع ذلك لبسهم السواد وهم باكون محزونون، فقلت: من هؤلاء؟

فقيل لي: هذا محمّد المصطفى، وهذا الإمام عليّ المرتضى، وهذه الطاهرة فاطمة الزهراء.

فقلت: ما لي أراهم لابسين السواد وباكين ومحزونين؟ فقيل لي: أليس هذا يوم عاشوراء يوم مقتل الحسين عليه السلام فهم محزونون لأجل ذلك.

قال: فدنوت إلى سيّدة النساء فاطمة وقلت لها: يا بنت رسول الله، إنّي عطشان، فنظرت إليّ شزراً وقالت: أنت الذي تنكر فضل البكاء على مصاب ولدي الحسين، ومهجة قلبي، وقرّة عيني الشهيد المقتول ظلماً وعدواناً، لعن الله قاتليه وظالميه ومانعيه من شرب الماء؟

قال الرجل: فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً واستغفرت الله كثيراً، وندمت على ما كان منّي، وأتيت إلى أصحابي الذين كنت معهم وخبّرت برؤياي وتبت إلى الله عز وجل.

وروى ابن قولويه في «كامل الزيارات» بإسناد معتبر عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وإنّ الجبال تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين، وما اختضبت منّا امرأة ولا أدّهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتّى أتانا رأس عبيد الله بن زياد «لعنه الله»، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدّي إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته، وحتّى يبكي لبكائه رحمةً له من رآه، وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه عليه السلام فزفرت جهنّم زفرة كادت الأرض تنشقّ لزفرتها، ولقد خرجت نفس عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية لعنهم الله، فشهقت جهنّم شهقة لولا أنّ الله حبسها بخزّانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلاّ ابتلعته، ولكنّها مأمورة مصفودة، ولقد عتت على الخزّان غير مرّة حتّى أتاها جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت، وإنّها لتبكيه وتندبه، وإنّها لتتلظّى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض وأكفئت بما عليها، وما تكثر الزلازل إلاّ عند اقتراب الساعة، وما من عين أحبّ إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلاّ وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقّنا.

وما من عبد يحشر إلاّ وعيناه باكية، إلاّ الباكين على جدّي الحسين عليه السلام، فإنّه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّن على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق

يُعرضون وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظلّ العرش لا يخافون سوء يوم الحساب، يقال لهم: ادخلوا الجنّة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وإنّ الحور لترسل إليهم: إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإنّ أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النّار، ومن قائل: ما لنا من شافعين ولا صديق حميم، وإنّهم ليرون منزلهم وما يقدرون أن يدنوا إليهم، ولا يصلون إليهم، وإنّ الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خدّامهم على ما أعطوا من الكرامة فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم فيزداودن إليهم شوقاً إذا هم خبّروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين، فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة، ونجّانا ممّا كنّا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرحال على النجائب فيستوون عليها وهم في الثناء على الله، والحمد لله، والصلاة على محمّد، حتّى ينتهوا إلى منازلهم.

وروى أيضاً في «الكامل» بإسناد صحيح عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدّثه، فدخل عليه ابنه فقال له: مرحباً، وضمّه وقبّله، وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء.

ثمّ بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى وُلد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أتي إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير، إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وأنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ ثورانها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها، ويدعون الله ويتضرّعون إليه، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطّعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جعلت فداك، إنّ هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه.

ثمّ قال: يا أبا بصير، أما تحبّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمة عليها السلام، فبكيت حين قالها، فما قدرت على النطق وما قدر على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من

عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام، وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجلاً حتّى أتيته، فلمّا رأيته قد سكن سكنت؛ وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة.

وروى المجلسي رحمه الله في «البحار» عن بعض الكتب المعتبرة من مؤلّفات المتأخّرين أنّه قال: حكي عن دعبل الخزاعي، قال: دخلت على سيّدي ومولاي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيّام فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله، فلمّا رآني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثمّ إنّه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه، ثمّ قال لي:

يا دعبل، أحبُّ أن تنشدني شعراً، فإنّ هذه الأيّام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيّام سرور كانت على أعدائنا، خصوصاً بني أميّة.

يا دعبل، مَن بكى أو أبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله.

يا دعبل، من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا.

يا دعبل، من بكى على مصاب جدّي الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه البتّة. ثمّ إنّه عليه السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدّهم الحسين، ثمّ التفت إليَّ وقال: يا دعبل، إرث الحسين عليه السلام فأنت ناصرنا ومادحنا، ما دمت حيّاً فلا تقصّر عن نصرتنا ما استطعت.

قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

تَجاوبنَ بالإرنانِ والزّفراتِ ... نوائحُ عُجمُ اللفظِ والنطقاتِ
يُخَبِّرنَ بالأنفاسِ عن سِرّ أنفُسٍ ... أسارى هوىً ماضٍ وآخرَ آتِ
فأسعدنَ وأسعفن حتّى تقوّضت ... صفوف الدُّجى بالفجر منهزماتِ
على العَرَصاتِ الخالياتِ من المَها ... سَلام شجٍ صَبٍّ على العَرَصاتِ
فَعهدي بها خُضْر المعاهد مألفاً ... من العَطِرات البيضِ والخَفِراتِ
ليالِيّ يعدينَ الوصال على القِلى ... ويعدي تدانينا على الغُرُباتِ
وإذ هُنّ يَلحَظنَ العيون سوافراً ... ويَستُرْنَ بالأيدي على الوَجناتِ
وإذ كلُّ يومٍ لي بلحظك نشوةٌ ... يبيتُ بها قلبي على نشواتِ
فكم حسراتٍ هاجها بمُحَسِّرٍ ... وقُوفيَ يوم الجمع من عَرَفاتِ

❁ ❁ ❁

ألم ترَ للأيّام ما جرّ جورُها ... على الناس من نقصٍ وطولِ شكاتِ
ومن دُوَلِ المستهزئين ومن غدا ... بهم طالباً للنور في الظُّلماتِ
فكيفَ ومِن أنّى بطالبِ زُلفَةٍ ... إلى الله بعد الصومِ والصّلواتِ
سوى حبّ أبناءَ النبيّ ورهطِهِ ... وبُغضِ بني الزرقاء والعَبَلاتِ
وهندٍ وما أدّت سُميّةُ وابنُها ... أولو الكفرِ في الإسلام والفَجَراتِ
هُمُ نقضوا عهدَ الكتاب وفرضَهُ ... ومُحْكَمَهُ بالزّورِ والشُّبُهاتِ
ولم تكُ إلاّ محنةُ كَشَفتْهُمُ ... بدعوى ضلال من هنٍ وهَناتِ
تراثٌ بلا قربى وملكُ بلا هدى ... وحكمٌ بلا شورى لغير هُداةِ
رزايا أرَتنا خُضرةَ الأفقِ حُمرةً ... ورَدّتْ أُجاجاً طعمَ كلُ فراتِ
وما سَهّلَتْ تلك المذاهبَ فيهمُ ... على الناس إلاّ بيعةُ الفلَتاتِ
وما قال أصحاب السقيفة جهرةً ... بدعوى تراثٍ في الضلال بتاتِ
ولو قلّدوا الموصى إليه أمورَهم ... لزَمّتْ بمأمونٍ عن العثراتِ
أخا خاتَمِ الرُّسْلِ المصفّى من القذى ... ومُفْتَرِسِ الأبطالِ في الغَمَراتِ
فإن جَحَدوا كان الغديرُ شهيدَهُ ... وبدرٌ وأُحدُ شامخ الهضباتِ
وآيُ من القرآن تُتلى بفضلِهِ ... وإيثاره بالقوتِ في اللزباتِ
وغُرُّ خِلالٍ أدركتْهُ بِسبقِها ... مناقبُ كانت فيهِ مؤتنقاتِ
مناقبُ لم تدرك بكدٍ ولم تنل ... بشيءٍ سوى حدّ القنا الذرباتِ
نجيٌّ لجبريل الأمين وأنتمُ ... عكوفٌ على العُزّى معاً ومناتِ

❁ ❁ ❁

بَكيتُ لرسم الدار من عرفاتِ ... وأذريتُ دمعَ العين بالعبراتِ
وبان عرى صبري وهاجت صبابتي ... لرسم ديارٍ قد عفت وعراتِ
مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تِلاوةٍ ... ومنزلُ وَحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ
لآلِ رسول الله بالخَيفِ من منىً ... وبالركن والتعريف والجَمَراتِ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ ... وحمزةَ والسجّادِ ذي الثفَناتِ
وسبطي رسول الله وابني وصيّه ... ووارث علم الله والحسناتِ
منازلُ وحي الله ينزل بيتها ... على أحمد المذكور في السوراتِ
ديار عفاها جور كلّ منابذٍ ... ولم تعفو للأيّام والسنواتِ
منازلُ قوم يهتدى بهداهُمُ ... وتُؤمن منهم زلّة العثراتِ

منازلُ كانت للصلاة وللهدى ... وللصوم والتطهير والقرباتِ
منازلُ لا تيمٌ يحلُّ بربعها ... ولا ابن صهاك هاتك الحرماتِ
قفا نسألِ الدارَ التي خَفَّ أهلُها ... متى عهدها بالصومِ والصلواتِ
وأين الأُلى شطّت بهم غُربَةُ النوى ... أفانينَ في الآفاق مفترقاتِ
همُ أهلُ ميراثِ النبيِّ إذا اعتَزوا ... وهم خيرُ ساداتٍ وخيرُ حُماةِ
إذا لم نُناجِ الله في صَلواتِنا ... بذكرِهمُ لم يَقْبَلِ الصَلواتِ
مطاعيمُ في الإعسارِ في كلِّ مشهدٍ ... لقد شُرّفوا بالفضلِ والبَركاتِ
وما الناس إلاّ حاسدٌ ومكذِّبٌ ... ومضطغنٌ ذو إحْنةٍ وَتِراتِ
إذا ذَكروا قتلى ببدرٍ وخيبرٍ ... ويومَ حُنينٍ أسبلوا العَبَراتِ

❁ ❁ ❁

فكيف يحبّون النبيّ ورهطه ... وهم تركوا أحشاءهم وعراتِ
لقد لا ينوه في المقال وأضمروا ... قلوباً على الأحقاد منطوياتِ
فإن لم يكن إلاّ بقربى محمّد ... فهاشم أوّلى من هن وهناتِ
سقى الله قبراً بالمدينة غيثه ... فقد حلّ فيه الأمين بالبركاتِ
نبيّ الهُدى صلّى عليه مليكهُ ... وبلّغ عنّا روحه التحفاتِ
وصلّى عليه اللهُ ما ذرّ شارق ... ولاحت نجوم الليل مبتدراتِ

❁ ❁ ❁

أفاطمُ لّو خلتِ الحسينَ مُجدّلاً ... وقد ماتَ عَطشاناً بشطِّ فُراتِ
إذ للطمتِ الخدَّ فاطمُ عندهُ ... وأجريتِ دَمعَ العين في الوجناتِ
أفاطمُ قومي يابنةَ الخير واندبي ... نُجومَ سماواتٍ بأرضِ فلاتِ
قُبور بكوفانٍ وأخرى بطيبةٍ ... وأخرى بفخٍّ نالَها صَلواتِ
وأخرى بأرض الجوزجان محلّها ... وقبر بباخمرى لدى الغربات
وقبر ببغدادٍ لنفسٍ زكيّةٍ ... تضمّنها الرحمن في الغرفات

❁ ❁ ❁

ولمّا وصل إلى هذا؛ قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق بذلك هذين البيتين تمام قصيدتك؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بطوسٍ يا لها من مصيبة ... ألحّت على الأحشاء بالزفراتِ
عليّ بن موسى أرشد الله أمره ... وصلّى عليه أفضل الصلوات

ثمّ أنشأ دعبل:

إلى الحشر حتّى يبعث اللهُ قائماً ... يفرّج عنّا الغمّ والكرباتِ
فأمّا المهمّات التي لست بالغاً ... مبالغها منّي بكنه صفاتِ
قبورٌ ببطن النهرِ من جَنبِ كربلاء ... مُعرّسُهم فيها بشطٍّ فراتِ
تَوفّوا عُطاشاً بالفراتِ فليتني ... توفّيتُ فيهم قبلَ حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعةً عند ذكرهِم ... سَقتني بكأس الذلّ والفضعاتِ
أخافُ بان ازدارهم فتشوقني ... مصارعهم بالجزع فالنحلاتِ
تقسّمهم رَيْبُ الزمان كما ترى ... لهم عُقرةٌ مغشيّةُ الحجراتِ
خلا أنّ منهم بالمدينة عصبة ... مدنين أفضاءً من اللزباتِ
قليلةُ زوّارٍ سوى بعض زُوَّرٍ ... من الضبع والعِقبان والرخَماتِ
لهم كلّ يوم تربة بمضاجع ... ثوت في نواحي الأرض مفترقاتِ
تنكّب لأواء السنين جوارهم ... ولا تسطليهم جمرة الجمراتِ
وقد كان منهم بالحجاز وأرضها ... مغاوير نحّارون في الأزماتِ
حميّ لم تزره المذنبات وأوجه ... تضيء لدى الأستار والظُّلماتِ
إذا وردوا خيلاً بسمرٍ من القنا ... مساعير حرب اقحموا الغمراتِ
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمّدٍ ... وجبريل والقرآن والسُّوراتِ
وعَدّوا عليّاً ذا المناقب والعُلى ... وفاطِمَةً الزَّهراءَ خيرَ بناتِ
وحمزةَ والعبّاس ذي الدين والتُّقى ... وجعفرها الطيّار في الحُجراتِ
أولئكَ لا منتوج هندٍ وحزبها ... سميّة من نوكى ومن قذراتِ
ستُسأل تيم عنهم وعديّها ... وبيعتهم من أفجر الفجراتِ
هم منعوا الآباء من أخذ حقّهم ... وهُم تركوا الأبناء رهن شتاتِ
وهم عدلوها عن وصيّ محمّد ... فبيعتهم جاءت على الغدوات
وليّهم صنو النبيّ محمّد ... أبو الحسن الفرّاج للغمرات
ملامك في آل النبيّ فإنّهم ... أحبّاي ما داموا وأهل ثقاتي
تخيّرتهم رشداً لنفسي أنّهم ... على كلّ حال خيرة الخيرات
نبذت إليهم بالمودّة صادقاً ... وسلّمت نفسي طائعاً لولاتي
فيا ربّ زدني في هواي بصيرة ... وزد حبّهم يا ربّ في حسنات

سأبكيهمُ ما حجَّ لله راكبٌ ... وما ناحَ قُمريٌ على الشجرات
وإنّي لمولاهم وقالٍ عدوّهم ... وإنّي لمحزون بطول حياتي
بنفسي أنتم من كهول وفتيةٍ ... لفكّ عتاة أو لحمل ديات
وللخيل لما قيد الموت خطوها ... فأطلقتمُ منهنّ بالذربات
أحبّ قصيّ الرحم من أجل حبّكم ... وأهجر فيكم زوجتي وبناتي
وأكتم حبيّكم مخافة كاشح ... عنيد لأهل الحقّ غير موات
فيا عين ابكيهم وجودي بعبرةٍ ... فقد آن للتسكاب والهملاتِ
لقد خفت في الدنيا وأيّام سعيها ... وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي

فلمّا وصل إلى قوله هذا قال الرضا عليه السلام: آمنك الله تعالى يوم الفزع الأكبر:

ألم تراني مذ ثلاثين حجّة ... أروح وأغدو دائم الحسراتِ
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً ... وأيديهم من فيئهم صفراتِ

فلمّا وصل إلى هذا بكى عليه السلام وقال: صدقت يا خزاعي.

وكيف أداوي من جوى بي والجوى ... أميّة أهل الكفر واللعناتِ
بَناتُ زيادٍ في القصور مصونة ... وآل رسول الله منهتكاتِ
سأبكيهم ما ذَوَّ في الأرض شارقٌ ... ونادي منادي الخير للصلواتِ
وما طلعتْ شمسٌ وحان غروبها ... وبالليل أبكيهم وبالغدواتِ
ديار رسول الله أصبحنَ بلقعاً ... وآل زيادٍ تسكن الحجراتِ
وآل رسول الله تدمى نُحورهم ... وآل زياد ربّة الحجلاتِ
وآل رسول الله تُسبى حريمهم ... وآل زياد آمنوا السرباتِ
وآل زياد في الحصون منيعةٌ ... وآل رسول الله في الفلواتِ
وآل رسول الله نُحفٌ جسومهم ... وآل زياد غُلّظُ الرقباتِ
إذا وتروا مدُّوا إلى واتريهمُ ... أكفّاً عن الأوتار منقبضاتِ

فلمّا بلغ إلى قوله هذا جعل الرضا عليه السلام يقلّب كفّيه ويقول: أجل والله منقبضات.

فلولا الذي أرجوهُ في اليوم أو غدِ ... تقطّعَ نفسي إثرَهم حسراتِ
خروجُ إمامٍ لا محالة خارجٍ ... يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميّز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ... ويَجزي على النعْماءِ والنّقِماتِ
فيانفسُ طِيبي ثمّ يا نفسُ فابْشِري ... فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هو آتِ
ولا تجزعي من مدّة الجور إنّني ... أرى قوّتي قد آذنت بشبابِ

فيا ربّ عجّل ما أؤمّلُ فيهِمُ لأشفيَ نفسي من أسى المحناتِ
فإن قرّب الرحمنُ من تلك مُدّتي وأخّرَ من عمري ووقت وفاتي
شُفِيتُ ولم أتركْ لنفسي غضّةً ورَوّيت منهم منْصلي وقناتي
فإنّي من الرحمن أرجو بحبّهم حياة لدى الفردوس غير بتاتي
عسى الله أن يرتاح للخلق أنّه إلى كلّ قوم دائم اللحظاتِ
فإن قلت عرفاً أنكروه بمنكر وعطّلوا على التحقيق بالشبهاتِ
تقاصر نفسي دائماً عن جدالهم كفانيَ ما ألقى من العبراتِ
أحاولُ نقل الصمّ عن مستقرّها وإسماع أحجار من الصلداتِ
فحسبي منهم أن أبوء بغصّةٍ تردّد في صدري وفي لهواتي
فمن عارف لم ينتفع ومعاند تميل به الأهواء للشهواتِ
كأنّك بالأضلاع قد ضاق ذرعها لما حمّلت من شدّة الزفرات

الفصل السادس

في بيان إخبار الله تعالى أنبيائه صلوات الله عليهم عن شهادة الحسين عليه السلام وما عوّضه الله به من الكرامة

روى الشيخ في الأمالي بإسناد معتبر عن محمّد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمّد عليهما السلام يقولان: إنّ الله تعالى عوّض الحسين من قتله أن جعل الإمامة في ذريّته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعدّ أيّام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

قال محمّد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: هذه الخلال تنال بالحسين عليه السلام فما له في نفسه؟ قال: إنّ الله تعالى ألحقه بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فكان معه في درجته ومنزلته، - ثمّ تلا أبو عبد الله عليه السلام: - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] الآية.

وروى الصدوق وغيره بإسناد معتبر عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: لمّا ولدت فاطمة الحسين عليه السلام أخبرها أبوها أنّ أمّته ستقتله من بعده، قالت: فلا حاجة لي فيه، فقال: إنّ الله عز وجل قد أخبرني أنّه يجعل الأئمّة من ولده، قالت: رضيت يا رسول الله.

وروى الطبرسي رحمه الله في «الاحتجاج» وغيره عن سعد بن عبد الله، قال: سألت الحسن العسكري عليه السلام عن مسائل، فقال: فاسأل قرّة عيني - وأومأ إلى القائم عليه السلام - عمّا بدا لك، وكان القائم في ذلك الوقت صغيراً يلعب بين يدي والده، فسألته عليه السلام عن تأويل ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]، فقال: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريا، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله؛ وذلك أنّ زكريّا عليه السلام سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلّمه إيّاها، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن سُرّي عنه همّه، وانجلى كربه، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة[1].

فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي، ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي.

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته، فقال: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة الطاهرة، والياء: يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين: عطشه، والصاد: صبره، فلمّا سمع ذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع فيهنّ النّاس من

---

(١) البهرة: تتابع النفس.

الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكان يرثيه: إلهي، أتفجع خير جميع خلقك بولده، إلهي، أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه، إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثوب هذه المصيبة، إلهي أتحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما.

ثمّ كان يقول: إلهي، أرزقني ولداً تقرّ به عيني على الكِبَر، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى، وفجعه به، وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين كذلك، الحديث.

وروى الصدوق في «الأمالي» عن سالم بن أبي جعدة، قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إنّ في كتابنا أنّ رجلاً من ولد محمّد رسول الله ﷺ يُقتل ولا يجفّ عرق دوابّ أصحابه حتّى يدخلوا الجنّة فيعانقوا الحور العين، فمرّ بنا الحسن عليه السلام فقلنا هو هذا؟ قال: لا، فمرّ بنا الحسين فقلنا هو هذا؟ قال: نعم.

وروى في «الأمالي» أيضاً عن إمام لبني سليم عن أشياخ لهم قالوا: غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم، فوجدنا فيها مكتوباً.

أيرجو معشرٌ قتلوا حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

قالوا: فسألنا منذكم هذا في كنيستكم؟

قالوا: قبل أن يبعث نبيّكم بثلثمائة عام.

وروى الصدوق في «الأمالي» أيضاً بإسناد معتبر عن أبي الجارود، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان النبيّ ﷺ في بيت أمّ سلمة «رضي الله عنها» فقال لها: لا يدخل عليّ أحد، فجاء الحسين وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتّى دخل على النبيّ ﷺ، فدخلت أمّ سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبيّ يبكي، فإذا في يده شيء يقلّبه.

فقال النبي ﷺ: يا أمّ سلمة، إنّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ هذا مقتول، وهذه التربة التي يُقتل عليها، فضعيها عندك، فإذا صارت دماً فقد قُتل حبيبي.

فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله، سل الله أن يدفع ذلك عنه؟

قال: قد فعلت، فأوحى الله عز وجل إليَّ أنّ له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأنّ له شيعة يشفعون فيشفّعون، وأنّ المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته، هم والله الفائزون يوم القيامة.

وروى الصدوق في «العيون» و«الخصال» بإسناد معتبر عن الفضيل، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لمّا أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده وأنّه لم يؤمر بذبح

الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليَّ من حبيبك محمّد ﷺ.

فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليَّ من نفسي.

قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّد ﷺ ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عز وجل: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب؛ وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصّافات: ١٠٧].

وروى الشيخ في «الأمالي» بإسناد معتبر عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: بينا الحسين عند رسول الله ﷺ إذ أتاه جبرئيل فقال: يا محمّد، أتحبّه؟ قال: نعم.

قال: أما إنّ أمّتك ستقتله، فحزن رسول الله لذلك حزناً شديداً.

فقال جبرئيل: أيسرُّك أن أريك التربة التي يُقتل فيها؟ قال: نعم، فخسف جبرئيل ما بين مجلس رسول الله ﷺ إلى كربلاء حتّى التقت القطعتان هكذا - وجمع بين السبّابتين - فتناول بجناحيه من التربة، فناولها رسول الله، ثمّ دحيت الأرض أسرع من طرفة عين، فقال رسول الله ﷺ طوبى لكِ من تربة وطوبى لمن يُقْتَلُ فيكِ.

وروى أيضاً من طرق المخالفين عن أنس بن مالك: إنّ عظيماً من عظماء الملائكة استأذن ربّه عز وجل في زيارة النبيّ ﷺ، فأذن له، فبينما هو عنده إذ دخل عليه الحسين فقبّله النبيّ وأجلسه في حجره، فقال له الملك: أتحبّه؟ قال: أجل أشدّ الحبّ، إنّه ابني.

قال له: إنّ أمّتك ستقتله، قال: أمّتي تقتل ولدي؟!

قال: نعم، وإن شئت أريك من التربة التي يُقتل عليها؟ قال: نعم.

فأراه تربة حمراء طيّبة الريح فقال: إذا صارت هذه التربة دماً عبيطاً فهو علامة قتل ابنك هذا.

قال بعض رواة هذا الحديث - وهو سالم بن أبي الجعد - : أخبرت أنّ الملك كان ميكائيل.

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن زيد مولى زينب بنت جحش، عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ ذات يوم نائماً عندي، فجاء الحسين عليه السلام فجعلت أعلّله مخافة أن يوقظ النبيّ ﷺ، فغفلت عنه، فدخل واتّبعته فوجدته وقد قعد على بطن النبيّ ﷺ فجعل يبول عليه، فأردت أن آخذه عنه، فقال رسول الله: دعي ابني يا زينب حتّى يفرغ من بوله.

فلمّا فرغ توضّأ النبيّ وقام يصلّي، فلمّا سجد ارتحله الحسين فلبث النبيّ ﷺ حتّى نزل، فلمّا قام عاد الحسين عليه السلام فحمله حتّى فرغ من صلاته، فبسط النبيّ ﷺ يده وجعل يقول: أرني أرني يا جبرئيل؟

فقلت: يا رسول الله، لقد رأيتك اليوم صنعت شيئاً ما رأيتك صنعته قطّ؟

قال: نعم، جاءني جبرئيل فعزّاني في ابني الحسين وأخبرني أنّ أمّتي تقتله، وأتاني بتربة حمراء.

وروى ذلك أيضاً بهذا الإسناد عن عائشة.

وروى أيضاً في «الأمالي» من طرق المخالفين عن أنس: «إنّ ملك المطر استأذن أن يأتي رسول الله ﷺ فقال النبيّ لأمّ سلمة: أملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد.

فجاء الحسين عليه السلام ليدخل فمنعته، فوثب حتّى دخل، فجعل يثب على منكبي رسول الله ﷺ ويقعد عليهما، فقال له الملك: أتحبّه؟ قال: نعم.

قال: فإنّ أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه، فمدّ يده فإذا طينة حمراء، فأخذتها أمّ سلمة فصيّرتها إلى طرف خمارها، قال ثابت: فبلغنا أنّه المكان الذي قُتل به بكربلاء.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: لمّا أن هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ مخبراً بقتل الحسين أخذ بيد عليّ فخلا به مليّاً من النهار، فغلبتهما العبرة، فلم يفترقا حتّى هبط عليهما جبرئيل - أو قال: رسول ربّ العالمين - فقال لهما: ربّكما يقرأكما السلام ويقول: عزمت عليكما لمّا صبرتما، قال: فصبراً.

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام: إنّ جبرئيل نزل على محمّد ﷺ فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرأ عليك السلام ويبشّرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمّتك من بعدك، فقال: يا جبرئيل، وعلى ربّي السلام، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمّتي من بعدي.

فعرج جبرئيل إلى السماء ثمّ هبط، فقال له: يا محمّد، إنّ ربّك يقرأك السلام ويبشّرك أنّه جاعل في ذرّيّته الإمامة والولاية والوصيّة، فقال: قد رضيت.

ثمّ أرسل إلى فاطمة عليها السلام: إنّ الله يبشّرني بمولود يولد منك تقتله أمّتي من بعدي، فأرسلت إليه: أن لا حاجة لي في مولود منّي تقتله أمّتك من بعدك، فأرسل إليها: إنّ الله جاعل في ذرّيته الإمامة والولاية والوصيّة، فأرسلت إليه: إنّي قد رضيت، فحملته كرهاً ووضعته كرهاً، الحديث.

وروى في حديث آخر: أنّ الصادق عليه السلام قال: هل رأيتم في الدنيا أمّاً تلد غلاماً فتكرهه، ولكنّها كرهته لأنّها علمت أنّه سيُقتل.

وروى أيضاً في «الكامل» بأسانيد معتبرة عن عليّ بن الحسين، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن عليّ بن أبي طالب، قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، فقدّمنا إليه طعاماً، وأهدت إلينا أمّ أيمن صحفة من تمر وقعباً من لبن وزبد، فقدّمناه إليه، فأكل منه، فلمّا فرغ قمت وسكبت على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ماء، فلمّا غسل يديه مسح وجهه ولحيته ببلّة يديه، ثمّ قام إلى مسجد في جانب البيت وصلّى وخرَ ساجداً، فبكى وأطال البكاء، ثمّ رفع رأسه، فما اجترأ منّا أهل البيت أحد يسأله عن شيء، فقام الحسين عليه السلام يدرج حتّى صعد على فخذي رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ برأسه إلى صدره، ووضع ذقنه على رأس رسول الله، ثمّ قال: يا أبتِ، ما يبكيك؟

فقال له: يا بنيّ، نظرت إليكم اليوم فسررت بكم سروراً لم أسرّبكم قبله مثله، فهبط إليَّ جبرئيل فأخبرني أنّكم قتلى، وأنّ مصارعكم شتّى، فحمدت الله على ذلك، وسألت لكم الخيرة، فقال له: يا أبتِ، فمن يزور قبورنا ويتعاهدها على تشتّتها؟

قال: طوائف من أمّتي يريدون بذلك برّي وصلتي، أتعاهدهم في الموقف، وآخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهواله وشدائده.

وروى الصدوق في «العلل»، وابن قولويه في «الكامل» بأسانيد معتبرة عن بريد العجلي، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله، أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤]، أكان إسماعيل بن إبراهيم، فإنّ النّاس يزعمون أنّه إسماعيل بن إبراهيم؟ فقال: إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم كان حجّة لله قائماً، صاحب شريعة، فإلى مَن أرسل إسماعيل إذاً؟

فقلت: جعلت فداك، فمن كان؟

قال عليه السلام: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ عليه السلام بعثه الله إلى قومه فكذّبوه فقتلوه، وسلخوا وجهه، فغضب الله له عليهم فوجّه إليه اسطاطائيل ملك العذاب فقال له: يا إسماعيل، أنا اسطاطائيل ملك العذاب، وجّهني إليك ربّ العزّة لأعذّب قومك بأنواع العذاب إن شئت.

فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك، فأوحى الله إليه: فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال: يا ربّ، إنّك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبيّة، ولمحمّد بالنبوّة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خير خلقك بما تفعل أمّته بالحسين بن عليّ من بعد نبيّها ﷺ، وأنّك وعدت الحسين أن تكرّه إلى الدنيا حتّى ينتقم بنفسه ممَن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا ربّ أن تكرّني إلى الدنيا حتّى أنتقم ممّن فعل ذلك بي كما تكرّ الحسين عليه السلام، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يكرّ مع الحسين بن عليّ عليه السلام.

وفي رواية (العلل) أنه قال: «لي أسوة بالحسين عليه السلام».

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن سلمان رضي الله عنه، قال: وهل بقي في السماوات ملك لم ينزل إلى رسول الله ﷺ يعزّيه بولده الحسين ويخبره بثواب الله إيّاه، ويحمل إليه تربته مصروعاً عليها مذبوحاً مقتولاً جريحاً طريحاً مخذولاً، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ اخذل من خذله، واقتل من قتله، واذبح من ذبحه، ولا تمتّعه بما طلب.

قال عبد الرحمن: فوالله لقد عوجل الملعون يزيد ولم يتمتّع بعد قتله بما طلب، ولقد أخذ مغافصة[1] بات سكراناً وأصبح ميّتاً متغيّراً كأنّه مطليّ بقار أخذ على أسف وما بقي أحد ممّن تابعه على قتله أو كان في محاربته إلاّ أصابه جنون أو جذام أو برص، وصار ذلك وراثة في نسلهم.

وروى في «الكامل» أيضاً عن ابن عبّاس، قال: إنّ أوّل ملك جاء إلى محمّد ﷺ يخبره بقتل الحسين عليه السلام كان جبرئيل الروح الأمين، منشور الأجنحة، باكياً، صارخاً، قد حمل من تربة الحسين عليه السلام وهي تفوح كالمسك، فقال رسول الله: وتفلح أمّة تقتل فرخي؟ - أو قال: فرخ ابنتي - فقال جبرئيل: يضربها الله بالاختلاف فتختلف قلوبهم.

وروى في «الكامل» أيضاً بإسناد معتبر عن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: بينا رسول الله ﷺ في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره إذ بكى وخرّ ساجداً، ثمّ قال: يا فاطمة، يا بنت محمّد، إنّ العليّ الأعلى قال لي: يا محمّد، أتحبّ الحسين؟ فقلت: نعم، قرّة عيني، وريحانتي، وثمرة فؤادي، وجلدة ما بين عيني.

فقال لي: يا محمّد، بورك من مولود، عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني.

ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه، أما إنّه سيّد الشهداء من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة، وسيّد شباب أهل الجنّة من الخلق

---

(١) مغافصة: أي مفاجأة؛ مات فجأة.

أجمعين، وأبوه أفضل منه وخير، فاقرأه السلام وبشّره بأنّه راية الهدى، ومنار أوليائي، وحفيظي، وشهيدي على خلقي، وخازن علمي، وحجّتي على أهل السماوات وأهل الأرضين والثقلين: الإنس والجنّ.

وروى المفيد في «الإرشاد» عن أمّ الفضل بنت الحرث: إنّها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، رأيت الليلة حلماً منكراً، قال: وما هو؟

قالت: إنّه شديد، قال: ما هو؟

قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قُطعت ووضعت في حجري.

فقال رسول الله: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمة عليها السلام الحسين.

قالت: وكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت به يوماً على النبيّ فوضعته في حجره، ثمّ حانت منّي التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهرقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، ما لك؟

قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أنّ أمّتي ستقتل ابني هذا؛ وأتاني بتربة حمراء من تربته.

وروى الشيخ جعفر بن نما في كتابه «مثير الأحزان» وغيره: إنّ ملَكاً من ملائكة الصفيح الأعلى اشتاق لرؤية النبيّ ﷺ واستأذن ربّه بالنزول إلى الأرض لزيارته، وكان ذلك الملَك لم ينزل إلى الأرض منذ خُلقت، فلمّا أراد النزول أوحى الله تعالى إليه يقول: أيّها الملك، أخبر محمّداً أنّ رجلاً من أمّته اسمه يزيد يقتل فرخ الطاهرة نظيرة البتول مريم بنت عمران.

فقال الملَك: لقد نزلت إلى الأرض وأنا مسرور برؤية نبيّك محمّد، فكيف أخبره بهذا الخبر الفضيع، وإنّني لأستحي منه أن أفجعه بقتل ولده، فليتني لم أنزل إلى الأرض؟ قال: فنودي الملَك من فوق رأسه: أن أفعل ما أمرت به، فدخل الملَك إلى رسول الله ﷺ ونشر أجنحته بين يديه وقال: يا رسول الله، أعلم أنّي استأذنت ربّي في النزول إلى الأرض شوقاً لرؤيتك وزيارتك، فليت ربّي كان حطّم أجنحتي ولم آتك بهذا الخبر، ولكن لابدّ من إنفاذ أمر ربّي عز وجل.

يا محمّد، إنّ رجلاً من أمّتك اسمه يزيد زاده الله لعناً في الدنيا وعذاباً في الآخرة يقتل فرخك الطاهر ابن الطاهرة، ولن يتمتّع قاتله في الدنيا من بعده إلاّ قليلاً، ويأخذه الله مقاصّاً له على سوء عمله، ويكون مخلّداً في النّار.

فلمّا أتى على الحسين عليه السلام سنتان خرج النبيّ ﷺ إلى سفر فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات

يقال لها: كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين، وكأنّي أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكأنّي أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد «لعنه الله»، فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين ويفرح إلاّ خالف الله بين قلبه ولسانه، وعذّبه الله عذاباً أليماً.

ثمّ رجع النبيّ ﷺ من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين عليهما السلام، وخطب ووعظ النّاس، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن، ويده اليسرى على رأس الحسين، وقال: اللّهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك، وهذان أطائب عترتي، وخيار أرومتي، وأفضل ذرّيّتي ومن أخلّفهما في أمّتي، وقد أخبرني جبرئيل إنّ ولدي هذا مقتول بالسمّ، والآخر شهيد مضرّج بالدم. اللّهمّ فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء. اللّهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله، وأصلِه حرّ نارك، واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال: فضجّ النّاس بالبكاء والعويل، فقال لهم النبيّ ﷺ: أيّها النّاس، أتبكونه ولا تنصرونه. اللّهمّ فكن أنت له وليّاً وناصراً - ثمّ قال: - يا قوم، إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرة فؤادي ومهجتي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض. ألا وإنّي لا أسألكم في ذلك إلاّ ما أمرني ربّي أن أسألكم عنه، أسألكم عن المودّة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد آذيتم عترتي، وقتلتم أهل بيتي، وظلمتموهم ألا إنّه سيرد عليَّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمّة:

الأولى: راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة، فتقف عليَّ فأقول لهم: من أنتم؟ فَيُنسَون ذكري، ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول لهم: أنا أحمد، نبيّ العرب والعجم، فيقولون: نحن من أمّتك، فأقول: كيف خلّفتموني من بعدي في أهل بيتي وكتاب ربّي؟ فيقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه، وأمّا عترتك فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض، فلمّا أسمع ذلك منهم أعرض عنهم بوجهي، فيصدرون عطاشى مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ راية أخرى أشدّ سواداً من الأولى، فأقول لهم: كيف خلّفتموني من بعدي في الثقلين: كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فمزّقناهم كلّ ممزق، فأقول: إليكم عنّي، فيصدرون عطاشاً مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ راية تلمع وجوههم نوراً، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أمّة محمّد المصطفى، ونحن بقيّة أهل الحقّ؛ حملنا كتاب ربّنا، وحللّنا حلاله وحرّمنا حرامه، وأحببنا ذرّيّة نبيّنا محمّد ﷺ ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم من ناواهم، فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيّكم محمّد، ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم، ثمّ أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويّين مستبشرين، ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبد

الآبدين، وإنّ جبرئيل أخبرني أنّ أمّتي ستقتل الحسين ابني في كربلاء، فلعن الله من قتله، ومن أعان على قتله إلى يوم القيامة.

ثمّ نزل ﷺ من المنبر ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلاّ اهتمّ وحزن على قتل الحسين عليه السلام.

وروى المجلسي رحمه الله في «البحار» عن بعض كتب المناقب المعتبرة، عن أمّ سلمة «رضي الله عنها»، قالت: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين عليهما السلام وجلسا إلى جانبيه، فأخذ الحسن على ركبته اليمنى والحسين على ركبته اليسرى، وجعل يقبّل هذا تارة، وهذا أخرى، وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله، إنّك لتحبّ الحسن والحسين؟

فقال: وكيف لا أحبّهما وهما ريحانتاي من الدنيا، وقرّتا عيني.

فقال جبرئيل: يا نبيّ الله، إنّ الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له.

فقال: وما هو يا أخي؟

فقال: قد حكم على الحسن أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً، وأنّ لكلّ نبي دعوة مستجابة، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين، فادع الله أن يسلّمهما من السمّ والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمّتك يوم القيامة؟

فقال النبيّ ﷺ: يا جبرئيل، أنا راضٍ بحكم ربّي لا أريد إلاّ ما يريده، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمّتي، ويقضي الله في ولديَّ ما يشاء.

وروي أيضاً مرسلاً: إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط إلى الأرض لم يرَ حواء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام حتّى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي، هل حدث منّي ذنب آخر فعاتبتني به، فإنّي طفت جميع الأرض وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض؟

فأوحى الله إليه: يا آدم، ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال آدم: يا ربّ، أيكون الحسين نبيّاً؟

قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد.

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟

فقال: إلعنه يا آدم، فلعنه أربع مرّات، ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء هناك.

وروي: إنّ **نوحاً** لمّا ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، ولمّا مرّت بكربلاء أخذته الأرض وخاف نوح الغرق، فدعا ربّه وقال: إلهي، طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا نوح، في هذا الموضع يُقتل الحسين سبط محمّد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء.

فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح عليه السلام أربع مرّات، فسارت السفينة حتّى بلغت الجوديّ واستقرّت عليه.

وروى: إنّ **إبراهيم** مرّ في كربلاء وهو راكب فرساً، فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي، أيّ شيء حدث منّي؟

فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه.

قال: يا جبرئيل، ومن يكون قاتله؟

قال: لعين أهل السماوات والأرضين، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم: إنّك استحققت الثناء بهذا اللعن، فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه بلسان فصيح.

فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي؟

فقال: يا إبراهيم، أنا أفتخر بركوبك عليّ، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد «لعنه الله».

وروي: إنّ **إسماعيل** عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه سبب ذلك، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا إسماعيل، سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك، فقال لها: لِمَ لا تشربين من هذا الماء؟

فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد صلى الله عليه وآله يُقتل هنا عطشاناً، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله، فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين، فقال إسماعيل عليه السلام: «اللّهمّ العن قاتل الحسين».

وروي: إنّ **موسى** عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض

كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه وسال دمه، فقال: إلهي، أيّ شيء حدث منّي؟

فأوحى إليه: إنّ هنا يُقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه، فقال: ربّي، ومن يكون الحسين؟

فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى، وابن عليّ المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء، فرفع موسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن يوشع بن نون على دعائه، ومضى لشأنه».

وروي: إنّ سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتّى خافوا السقوط، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء.

فقال سليمان للريح: لِمَ سكنت؟ فقالت: إنّ هنا يُقتل الحسين؟

فقال: ومن يكون الحسين؟ قالت: هو سبط محمّد المختار وابن عليّ الكرّار.

فقال: ومن قاتله؟ قالت: لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه، وأمّن على دعائه الإنس والجنّ فهبّت الريح وسار البساط.

وروي: إنّ عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدّم عيسى عليه السلام إلى الأسد وقال له: لِمَ جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمرّ فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إنّي لا أدع لكم الطريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحسين.

فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين؟ قال: هو سبط محمّد النبيّ الأمّيّ وابن عليّ الوليّ.

قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع، خصوصاً أيّام عاشوراء، فرفع عيسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن الحواريون على دعائه، فتنحّى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم.

الفصل السابع

في ما أخبر به النبيّ ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام الحسين عليه السلام بشهادته

وري الصدوق في «الأمالي»، وابن قولويه في «الكامل»، والشيخ المفيد والصفّار في «البصائر» وغيرهم بأسانيد معتبرة عن أمير المؤمنين والباقر والصادق عليهم السلام وابن عبّاس وغيره، عن رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل جنّة عدن منزلي، ويمسك قضيباً غرسه ربّي بيده فقال له: كن، فكان، فليتولّ عليّ بن أبي طالب والأوصياء من ذرّيّته، إنّهم الأئمّة من بعدي، هم عترتي من لحمي ودمي، رزقهم الله فضلي وعلمي، وويل للمنكرين فضلهم من أمّتي - وفي رواية الأمالي: - إلى الله أشكو أعداءهم من أمّتي، المنكرين لفضلهم - القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله، ليقتلنّ ابني بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الحسين اجتذبه إليه، ثمّ يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: أمسكه، ثمّ يقع عليه فيقبّله ويبكي، فيقول: يا أبتِ، لِمَ تبكي؟

فيقول: يا بنيّ، أقبّل موضع السيوف منك.

قال: يا أبتِ، وأقتل؟ قال: إي والله، وأبوك وأخوك وأنت.

قال: يا أبتِ، فمصارعنا شتّى؟ قال: نعم يا بنيّ.

قال: فمن يزورنا من أمّتك؟ قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلاّ الصدّيقون من أمّتي.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن ابن عبّاس، قال: سألت هند عائشة أن تسأل النبيّ ﷺ تعبير رؤيا، فقال: قولي لها فلتقصص رؤياها.

فقالت: رأيت كأنّ الشمس قد طلعت من فوقي، والقمر قد خرج من مخرجي، وكأنّ كوكباً قد خرج من القمر أسود، فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودّ الأفق لابتلاعها، ثمّ رأيت كواكب بدت من السماء وكواكب مسودّة في الأرض إلاّ أنّ المسودّة أحاطت بأفق الأرض من كلّ مكان، فاكتحلت عين رسول الله ﷺ بدموعه، ثمّ قال: هي هند، أخرجي يا عدوّة الله - مرّتين - لقد جدّدت عليّ أحزاني، ونعيت إليّ أحبّائي - فلمّا خرجت قال: - اللّهمّ العنها، والعن نسلها، فسئل ﷺ عن تعبيرها.

فقال: الشمس التي طلعت عليها فعليّ بن أبي طالب، والكوكب الذي خرج من القمر أسود فهو معاوية مفتون فاسق جاحد لله، وتلك الظلمة التي زعمت، ورأت كوكباً يخرج من القمر أسود فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعتها فاسودّت، فذلك ابني الحسين يقتله ابن معاوية فتسودّ الشمس ويظلمّ الأفق، وأمّا الكواكب المسودّة في الأرض أحاطت الأرض من كلّ مكان، فتلك بنو أميّة.

وروى عليّ بن إبراهيم في «تفسيره»، وابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلك الله المتآزرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبتِ، أيّ شيء تقول؟ يا بنتاه، ذكرت منا يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذٍ في عصبة كأنّهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأنّي أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

فقالت: يا أبتِ، وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلاء، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأئمّة، يخرج عليهم شرارا أمّتي، ولو أنّ أحدهم يشفع له من في السماوات والأرضين ما شفّعوا فيه، وهم المخلّدون في النّار.

قالت: يا أبتِ، فيُقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قُتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفّس، ويأتيه قوم من محبّينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقّنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، وكلّ أهل دين يطلبون أئمّتهم وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، بهم ينزل الغيث.

فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبتِ، إنّا لله، وبكت، فقال لها: يا بنتاه، إنّ أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً، فما عند الله خير من الدنيا، وما فيها قتلة أهون من ميتة، من كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يُقتل فسوف يموت.

يا فاطمة بنت محمّد، أما تحبّين أن تأمري غداً بأمر تطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟

أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟

أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟

أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش على الحوض، فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟

أما ترضين أن يكون بعلك قيّم النّار، يأمر النّار فتطيعه يخرج منها ما يشاء ويترك من يشاء؟

أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانعاً بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك؛ إذا أفلجت حجّته على الخلائق، وأمرت النّار أن تطيعه؟

أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كلّ شيء؟

أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حجّ إلى بيت الله واعتمر ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتّى يفارق الدنيا؟

قالت: يا أبتِ، سلّمت ورضيت وتوكّلت على الله، فمسح على قلبها، ومسح عينيها، وقال: إنّي وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقرّ عيناك ويفرح قلبك.

وروى الشيخ ابن نما في «مثير الأحزان» عن ابن عبّاس، قال: لمّا اشتدّ برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره ويسيل من عرفه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول: ما لي وليزيد، لا بارك الله فيه. اللّهمّ العن يزيد، ثمّ غُشي عليه طويلاً وأفاق، وجعل يقبّل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: أما إنّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «كان الحسين بن عليّ عليه السلام ذات يوم في حجر النبيّ ﷺ يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما أشدّ إعجابك بهذا الصبيّ؟

فقال لها: ويلك! وكيف لا أحبّه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي، وقرّة عيني، أما إنّ أمّتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجّة من حججي.

قالت: يا رسول الله، حجّة من حججك؟! قال: نعم، حجّتين من حججي.

قالت: يا رسول الله، حجّتين من حججك؟! قال: نعم، وأربعة، قال: فلم تزل ترادّه ويُزيد ويضعّف حتّى بلغ تسعين حجّة من حجج رسول الله ﷺ بأعمارها.

وروى الصدوق في «الأمالي» وغيره بأسانيد معتبرة عن ابن عبّاس، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوى وهو شطّ الفرات قال بأعلى صوته: يا بن عبّاس، أتعرف هذا الموضع؟

قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تَجُوزُه حتّى

تبكي كبكائي، قال: فبكى طويلاً حتّى أخضلّت لحيته وسالت الدموع على صدره، وبكينا معاً وهو يقول: أوّه أوّه، ما لي ولآل أبي سفيان، ما لي ولآل حرب حزب الشيطان، وأولياء الكفر، صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم، ثمّ دعا بماء فتوضّأ وضوء الصلاة، فصلّى ما شاء الله أن يصلّي، ثمّ ذكر نحو كلامه الأوّل، إلاّ أنّه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثمّ انتبه فقال: يا بن عبّاس، فقلت: ها أنا ذا، فقال: ألا أحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟

فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين، قال: رأيت كأنّي برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض، قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثمّ رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسينُ سخيلي وفرخي وبضعتي ومخّي قد غرق فيه يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقول: صبراً آل الرسول، فإنّكم تقتلون على أيدي شرار النّاس، وهذه الجنّة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، ثمّ يعزّونني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشر، فقد أقرّ الله عينيك يوم يقوم النّاس لربّ العالمين، ثمّ انتبهت هكذا، والذي نفس عليّ بيده لقد حدّثني الصادق المصدّق أبو القاسم ﷺ أنّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وأنّها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة المقدس.

ثمّ قال لي: يا ابن عبّاس، أطلب لي حولها بعر الظباء، فوالله ما كَذبتُ ولا كُذّبت، وهي مصفرّة، لونها لون الزعفران.

قال ابن عبّاس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته، يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي، فقال علي عليه السلام: صدق الله ورسوله، ثمّ قام يهرول إليها، فحملها وشمّها وقال: وهي هي بعينها.

أتعلم يا ابن عبّاس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم عليه السلام؛ وذلك أنّه مرّ بها ومعه الحواريون فرأى هاهنا الظباء مجتمعة وهي تبكي، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون، فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكى.

فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟

قالوا: لا، قال: هذه أرض يُقتل فيها فرخ الرسول أحمد، وفرخ الحرّة الطاهرة البتول شبيهة أمّي، ويلحد فيها، طينة أطيب من المسك؛ لأنّها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الظباء تكلّمني وتقول: إنّها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض، ثمّ ضرب بيده إلى هذه البعران

فشمّها، وقال: هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها. اللّهمّ فأبقها أبداً حتّى يشمّها أبوه فيكون له عزاءً وسلوةً.

قال: فبقيت إلى يوم النّاس هذا، وقد أصفرّت لطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء ثمّ قال بأعلى صوته: - يا ربّ عيسى بن مريم، لا تبارك في تتلته والمعين عليه والخاذل له، ثمّ بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه حتّى سقط لوجهه وغُشي عليه طويلاً، ثمّ أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه وأمرني أن أصرّها كذلك، ثمّ قال: يا ابن عبّاس، إذا رأيتها تتفجّر دماً عبيطاً ويسيل منها دم عبيط فاعلم أنّ أبا عبد الله قد قُتل بها ودفن.

قال ابن عبّاس: فوالله لقد كنت أحفظها أشدّ من حفظي لبعض ما افترض الله عز وجل عليّ، وأنا لا أحلّها من طرف كمّي، فبينما أنا نائم في البيت إذ انتبهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وكان كمّي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باك وقلت: قد قتل والله الحسين، والله ما كذبني عليٌّ قطّ في حديث حدّثني، ولا أخبرني بشيء قطّ أنّه يكون إلاّ كان كذلك؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره، ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر فرأيت والله المدينة كأنّها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثمّ طلعت الشمس ورأيت كأنّها منكسفة، ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باكٍ فقلت: قد قتل والله الحسين عليه السلام، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصبروا آل الرسول قُتل الفرخ النحول
نزل الروح الأمين ببكاء وعويل

ثمّ بكى بأعلى صوته وبكيت، فأثبت عندي تلك الساعة، وكان شهر المحرّم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قُتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدّثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو، فكنّا نرى أنّه الخضر عليه السلام.

وروى ابن قولويه في «الكامل»، والمفيد في «الإرشاد»، والطبرسي في «الاحتجاج» بأسانيد معتبرة عن الأصبغ بن نباتة وغيره: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب فقال في خطبته: سلوني قبل أن تفقدوني، فواله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة وتهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة.

فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لقد حدّثني خليلي رسول الله ﷺ بما سألت عنه، وأنّ على كلّ طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كلّ طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزّك، وأنّ في بيتك لسخلاً يقتل ابن بنت رسول الله ﷺ، وآية ذلك مصداق ما خبّرتك به، ولولا

أنّ الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به، ولكن آية ذلك ما أنبأتك به من لعنتك وسخلك الملعون، وكان ابنه في ذلك الوقت صبيّاً صغيراً يحبو، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان، تولّى قتله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى الحميري في «قرب الإسناد» بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، قال: مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء في اثنين من أصحابه، قال: فلمّا مرّ بها ترقرقت عيناه للبكاء، ثمّ قال: هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، وهاهنا تهراق دماؤهم، طوبى لكِ من تربة عليها تراق دماء الأحبّة.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام إلى جنبه، فضرب بيده على كتف الحسين عليه السلام ثمّ قال: إنّ هذا يقتل ولا ينصره أحد.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، والله إنّ تلك لحياة سوء، قال: إنّ ذلك لكائن.

وروى في «الكامل» أيضاً عن هاني بن هاني، عن عليّ عليه السلام، قال: ليقتل الحسين قتلاً، وإنّي لأعرف تربة الأرض التي يُقتل عليها قريباً من النهرين.

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن جابر، عن الصادق عليه السلام، قال: قال عليّ عليه السلام للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، أسوة أنت قدماً[1].

فقال: جعلت فداك، ما حالي؟

قال: علمت ما جهلوا وسينتفع عالم بما علم. يا بنيّ، أسمع وأبصر من قبل أن يأتيك، فوالذي نفسي بيده ليسفكنّ بنو أميّة دمك، ثمّ لا يزيلونك عن دينك ولا ينسونك ذكر ربّك.

فقال الحسين عليه السلام: والذي نفسي بيده، حسبي، أقررت بما أنزل الله، وأصدّق قول نبيّ الله، ولا أكذّب قول أبي.

وروى الشيخ المفيد في «الإرشاد» عن إسماعيل بن زياد: إنّ عليّاً عليه السلام قال للبراء بن عازب ذات يوم: يا براء، يُقتل ابني الحسين وأنت حيّ لا تنصره، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليّ بن أبي طالب، قُتل الحسين عليه السلام ولم أنصره، ثمّ يُظهر على ذلك الحسرة والندم.

وروى أيضاً عن عبد الله بن شريك العامري، قال: كنت أسمع أصحاب عليّ عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين عليه السلام وذلك قبل أن يُقتل بزمان طويل.

---

(١) أي أنت قديماً يقتدى بك، أو يتأسى بذكر مصابك كل حزين.

وروى المجلسي رحمه الله في «البحار» عن بعض الكتب المعتبرة عن لوط بن يحيى، عن عبد الله بن قيس، قال: كنت معه من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين، وقد أخذ أبو أيّوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن النّاس، فشكا المسلمون العطش، فأرسل فوارساً على كشفه، فانحرفوا خائبين، فضاق صدره عليه السلام فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضي إليه يا أبتاه؟

فقال: أمض يا ولدي، فمضى مع فوارس فهزم أبا الأعور عن الماء وبني خيمته وحطّ فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره، فبكى عليه السلام.

فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا أوّل فتح ببركة الحسين عليه السلام؟

فقال: ذكرت أنّه سيقتل عطشاناً بطفّ كربلاء حتّى ينفر فرسه ويحمحم ويقول: الظليمة الظليمة لأمّة قتلت ابن بنت نبيّها.

وروى الشيخ المفيد في «الإرشاد» عن سالم بن أبي حفصة، قال: قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، إنّ قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنّي أقتلك.

فقال له الحسين عليه السلام: إنّهم ليسوا سفهاء، ولكنّهم حلماء. أما إنّه يقرّ عيني أن لا تأكل برّ العراق بعدي إلاّ قليلاً.

الفصل الثامن

في أنّ مصيبته عليه السلام أعظم المصائب، وبيان العلّة التي من أجلها لم يكفّ الله قتلة الأئمّة ومن ظلمهم عن قتلهم، وردّ قول من قال أنّه عليه السلام: «لم يُقتل، ولكن شبّه لهم»

روى الصدوق في «العلل» بإسناد معتبر عن سليمان بن عبد الله الخزّاز الكوفي، قال: حدّثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله، كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء دون اليوم الذي قُبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام، واليوم الذي قُتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام، واليوم الذي قُتل فيه الحسن عليه السلام بالسمّ؟

فقال: إنّ يوم الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيّام؛ وذلك أنّ أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله عز وجل كانوا خمسة.

فلمّا مضى عنهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للنّاس عزاء وسلوة.

فلمّا مضت فاطمة عليها السلام بقي أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للنّاس عزاء وسلوة.

فلمّا مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للنّاس في الحسن والحسين عزاء وسلوة.

فلمّا مضى الحسن عليه السلام كان للنّاس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة.

فلمّا قُتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للنّاس فيه بعد عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله، فِلمَ لم يكن للنّاس في عليّ بن الحسين عليه السلام عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه؟

فقال: بلى، إنّ عليّ بن الحسين كان سيّد العابدين، وإماماً، وحجّة على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنّه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يسمع منه، وكان علمه وراثة عن أبيه، عن جدّه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم النّاس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكّروا حاله

مع رسول الله، وقول رسول الله ﷺ له وفيه، فلمّا مضوا فقدّ النّاس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلاّ في فقد الحسين عليه السلام؛ لأنّه مضى آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله، فكيف سمّت العامّة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى عليه السلام ثمّ قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام تقرّب النّاس بالشام إلى يزيد «لعنه الله» فوضعوا له الأخبار، وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة ليعدل النّاس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور والتبرّك والاستعداد فيه. حكم الله بيننا وبينهم.

قال: ثمّ قال عليه السلام: يا ابن عمّ، وإنّ ذلك لأقلّ ضرراً على الإسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودّتنا، وزعموا أنّهم يدينون بموالاتنا، ويقولون بإمامتنا، زعموا أنّ الحسين عليه السلام لم يُقتل وأنّه شبّه للنّاس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمة إذاً على بني أميّة ولا عتب، على زعمهم.

يا ابن عمّ، من زعم أنّ الحسين عليه السلام لم يُقتل فقد كذّب رسول الله ﷺ وعليّاً، وكذّب من بعده الأئمّة في إخبارهم بقتله، ومن كذّبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه.

قال عبد الله بن الفضل: فقلت: يا ابن رسول الله، فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟

فقال عليه السلام: ما هؤلاء من شيعتي، وإنّي بريء منهم.

قال: فقلت: فقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]؟

قال: إنّ أولئك مسخوا ثلاثة أيّام ثمّ ماتوا ولم يتناسلوا، وإنّ القردة اليوم مثل أولئك، وكذلك الخنازير وسائر المسوخ ما وجد منها اليوم من شيء فهو مثله، لا يحلّ أن يؤكل لحمه.

ثمّ قال عليه السلام: لعن الله الغلاة والمفوّضة، فإنّهم صغّروا عصيان الله وكفروا به، وأشركوا وضلّوا وأضلّوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق.

وروى الكليني في «الكافي»، والطبرسي في «الاحتجاج» بإسناد معتبر عن إسحاق بن يعقوب، قال: ورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان على يد محمّد بن عثمان العمري رحمه الله: بخطّه عليه السلام: وأمّا قول من زعم أنّ الحسين عليه السلام لم يُقتل فكفرٌ وتكذيبٌ وضلالٌ.

وروى الصدوق في «العيون» بإسناد معتبر عن أبي الصلت الهروي في حديث قال فيه: قلت للرضا عليه السلام في سواد الكوفة: قوم يزعمون أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام لم يُقتل، وأنّه ألقي شبهه على حنظلة بن سعد الشبامي، وأنّه رُفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام، ويحتجّون بهذه الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، فقال:

كذبوا عليهم غضب الله ولعنته، وكفروا بتكذيبهم لنبيّ الله صلى الله عليه وآله في إخباره بأنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام سيُقتل، والله لقد قُتل الحسين وقُتل من كان خيراً من الحسين: أمير المؤمنين والحسن بن عليّ عليهما السلام، وما منّا إلاّ مقتول، وأنا والله لمقتول بالسمّ باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهد معهود إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره به جبرئيل عن ربّ العالمين، وأمّا قول الله عز وجل: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، فإنّه يقول: ولن يجعل الله لكافر على مؤمن حجّة، ولقد أخبر الله عز وجل عن كفّار قتلوا النبيّين بغير الحقّ ومع قتلهم إيّاهم لم يجعل الله لهم على أنبيائه عليهم السلام سبيلاً من طريق الحجّة.

وروى الصدوق في «العيون»، والطبرسي رحمه الله في «الاحتجاج» عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدّس الله روحه مع جماعة فيهم عليّ بن عيسى القصري، فقام إليه رجل فقال له: أريد أن أسألك عن شيء؟

فقال له: سل عمّا بدا لك.

فقال الرجل: أخبرني عن الحسين بن عليّ عليهما السلام أهو وليّ الله؟ قال: نعم.

قال: أخبرني عن قاتله «لعنه الله» أهو عدوّ الله؟ قال: نعم.

قال الرجل: فهل يجوز أن يسلّط الله عدوّه على وليّه؟

فقال له أبو القاسم عليه السلام: إفهم عنّي ما أقول لك. إعلم أنّ الله عز وجل لا يخاطب النّاس بمشاهدة العيان، ولا يشافههم بالكلام، ولكنّه عز وجل بعث إليهم رسولاً من أجناسهم وأوصافهم بشراً مثلهم، فلو بعث إليهم رسلاً من غير صفتهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلمّا جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: أنتم مثلنا، فلا نقبل منكم حتّى تأتونا بشيء نعجز أن نأتي بمثله فنعلم أنّكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها.

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والإعذار، فغرق من طغى وتمرّد.

ومنهم من ألقي في النّار فكانت عليه برداً وسلاماً.

ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة، وأجرى في ضرعها لبناً.

ومنهم من فلق له البحر وفجّر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص، وأحيى الموتى بإذن الله عز وجل وأنبأهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم.

ومنهم من انشقّ له القمر وكلّمه البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك.

فلمّا أتوا بمثل هذه المعجزات وعجز الخلق من أممهم أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله عز وجل ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين وفي أخرى مغلوبين، وفي حال قاهرين وفي حال مقهورين، ولو جعلهم الله عز وجل في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتّخذهم النّاس آلهة من دون الله عز وجل، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار، ولكنّه عز وجل جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبّرين، وليعلم العباد أنّ لهم: إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله، وتكون حجّة الله تعالى ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم وادّعى لهم الربوبيّة أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرُّسل ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق: فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح «قدس سر» من الغد وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه، فابتدأني فقال لي: يا محمّد بن إبراهيم، لئن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليَّ من أقول في دين الله تعالى ذكره برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل ومسموع من الحجّة صلوات الله وسلامه عليه.

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» بإسناد صحيح عن ابن رئاب، والحميري في «قرب الإسناد» في الموثّق عن ابن بكير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] أرأيت ما أصاب عليّاً وأهل بيته هو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون؟ فقال: إنّ رسول الله كان يتوب إلى الله عز وجل في كلّ يوم سبعين مرّة بغير ذنب، هكذا في رواية الحميري.

وفي رواية الصدوق: فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عز وجل ويستغفره في كلّ يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنب. إنّ الله عز وجل يخصّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب.

توضيح: الظاهر أنّ مراده أنّ الاستغفار كما يكون في غالب النّاس محطّ للذنوب؛ وفي الأنبياء عليهم السلام لرفع الدرجات فكذلك المصائب.

وروى الصفّار في «بصائر الدرجات» بإسناد معتبر عن ضريس، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وأناس من أصحابه حوله: وأعجب من قوم يتولّوننا ويجعلوننا أئمّة ويصفون بأنّ طاعتنا عليهم مفترضة كطاعة الله ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصون حقّنا، ويعيبون بذلك علينا من إعطاء الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا. أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم!

فقال له حمران: جعلت فداك يا أبا جعفر، أرأيت ما كان من أمر قيام عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله وما أصيبوا به من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتّى قُتلوا وغُلبوا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران، إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك، عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه، ثمّ أجراه، فيتقدّم علم من رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم في ذلك قام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وبعلم صمت من صمت منّا، ولو - يا حمران - حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله دفع ذلك عنهم وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت؛ إذاً لأجابهم ورفع ذلك عنهم، ثمّ كان انقضاء مدّة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، وما كان الذي أصابهم من ذلك - يا حمران - لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغوها؛ فلا تذهبنّ فيهم المذاهب بك.

الفصل التاسع

في بيان فضل الشهداء معه عليه السلام وعلّة عدم مبالاتهم بالقتل، وبيان أنّه كان فرحاً لا يبالي بما يجري عليه

روى الصدوق في «العلل» بإسناد معتبر عن عمارة، عن الصادق عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت، فقال: إنّهم كُشف لهم الغطاء حتّى رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم يُقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه في الجنّة.

وروى القطب الراوندي في «الخرائج والجرائح» في الصحيح عن سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازي، عن النضر، عن عاصم بن حميد، عن الثمالي، قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: كنت مع أبي في الليلة التي قُتل في صبيحتها فقال لأصحابه: هذا الليل فاتّخذوه جُنّة، فإنّ القوم إنّما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حلّ وسعة.

فقالوا: والله لا يكون هذا أبداً.

فقال: إنّكم تُقتلون غداً كلّكم ولا يفلت منكم رجل؟

قالوا: الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك.

ثمّ دعا فقال لهم: أرفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنّة وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزلته من الجنّة.

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن عليّ عليه السلام نظر إليه من كان معه، فإذا هو بخلافهم؛ لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم، وارتعدت فرائصهم، ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم، وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا، لا يبالي بالموت.

فقال لهم الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب.

إنّ أبي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كُذّبت.

وروى الصدوق بإسناد معتبر في «الخصال» و«الأمالي» عن الثمالي، قال: نظر عليّ بن الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فاستعبر، ثمّ قال: ما من يوم أشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قُتل فيه عمّه حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة، قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب.

ثمّ قال عليه السلام : ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ، أزدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأمّة، كلّ يتقرّب إلى الله عز وجل بدمه، والله يذكّرهم فلا يتعطّفون حتّى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً.

ثمّ قال عليه السلام : رحم الله عمّي العبّاس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتّى قطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة؛ كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وأنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام ، قال: ما من شهيد إلاّ وهو يحبّ لو أنّه كان مع الحسين بن عليّ عليه السلام حيّاً حتّى يدخلون الجنّة معه.

الفصل العاشر

في بيان كفر قاتليه، وثواب اللعن عليهم، وشدّة عذابهم، وما ينبغي أن يقال عند ذكره عليه السلام

روى الصدوق في «العيون» بأسانيد ثلاثة معتبرة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ قاتل الحسين بن عليّ في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شُدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار، منكّس في النّار حتّى يقع في قعر جهنّم، وله ريح يتعوّذ أهل النّار إلى ربّهم من شدّة نتنها، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم مع جميع من شايعه حتّى يذوقوا العذاب الأليم على قتله، كلّما نضجت جلودهم بدّل الله عز وجل عليهم الجلود غيرها حتّى يذوقوا العذاب الأليم لا يفتر عنهم ساعة، ويسقون من حميم جهنّم، فالويل لهم من عذاب النّار.

وبهذه الأسانيد عنه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران سأل ربّه عز وجل فقال: يا ربّ، إنّ أخي هارون مات فاغفر له.

فأوحى الله إليه: يا موسى، لو سألتني في الأوّلين والآخرين لأجبتك، ما خلا قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام فإنّي أنتقم له من قاتله.

وروي أيضاً عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يقتل الحسين شرّ الأمّة، ويتبرّء من ولده من يكفر بي.

وروي في «ثواب الأعمال» عن عيص، قال: ذُكر عند الصادق عليه السلام قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام فقال بعض أصحابه: كنت أتمنّى أن ينتقم الله منه في الدنيا؟ فقال: كأنّك تستقلّ له عذاب الله، وما عند الله أشدّ عذاباً وأشدّ نكالاً.

وروي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في النّار منزلة لم يكن يستحقّها أحد من النّاس إلاّ بقتل الحسين بن عليّ ويحيى بن زكريّا عليهما السلام.

وروى ابن قولويه في «الكامل» عن كعب الأحبار، قال: أوّل من لعن قاتل الحسين بن عليّ: إبراهيم خليل الرحمن، وأمر بذلك ولده، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثمّ لعنه موسى بن عمران، وأمر أمّته بذلك، ثمّ لعنه داود، وأمر بني إسرائيل بذلك، ثمّ لعنه عيسى وأكثر أن قال: يا بني إسرائيل، العنوا قاتله وإن أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عنه، فإنّ الشهيد معه كالشهيد

مع الأنبياء مقبلاً غير مدبر، وكأنّي أنظر إلى بقعته، وما من نبيّ إلاّ وقد زار كربلاء ووقف عليها، وقال: إنّك لبقعة كثيرة الخير، فيك يدفن القمر الأزهر.

وروي أيضاً عن عمر بن أبي هبيرة، قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن والحسين عليهما السلام في حجره يقبّل هذا مرّة وهذا مرّة ويقول للحسين: الويل لمن يقتلك.

وروي أيضاً بأسانيد صحيحة عن الصادق عليه السلام، قال: «كان قاتل يحيى بن زكريّا ولد زنا، وكان قاتل الحسين عليه السلام ولد زنا، ولم تبكِ السماء إلاّ عليهما.

وروى ابن قولويه والكليني بإسناد معتبر عن داود الرقّي، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء، فلمّا شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثمّ قال لي: يا داود، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين ولعن قاتله إلاّ كتب الله له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنّما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد.

وفي «الكافي» بإسناد معتبر عن داود بن فرقد، قال: كنت جالساً في بيت أبي عبد الله عليه السلام، فنظرت إلى حمام راعبي يقرقر، فنظر إليَّ أبو عبد الله فقال: يا داود، أتدري ما يقول هذا الطير؟

قلت: لا، والله جعلت فداك.

قال: يدعو على قتلة الحسين، فاتّخذوه في منازلكم.

وفي «تفسير الإمام العسكري عليه السلام»، قال: قال رسول الله ﷺ لمّا نزلت: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] الآية في اليهود الذين نقضوا عهد الله، وكذّبوا رسل الله، وقتلوا أولياء الله: أفلا أنبئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الأمّة؟

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قوم من أمّتي ينتحلون أنّهم من أهل ملّتي يقتلون أفاضل ذرّيّتي وأطائب أرومتي، ويبدّلون شريعتي وسنّتي، ويقتلون ولديّ الحسن والحسين كما قتل أسلاف اليهود زكريا ويحيى. ألا وإنّ الله يعلنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهديّاً من ولد الحسين يحرقهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنّم. ألا ولعن الله قتلة الحسين ومحبّيهم وناصريهم والساكتين عن لعنهم من غير تقيّة تسكتهم. ألا وصلّى الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة، واللاعنين لأعدائهم، والممتلين عليهم غيظاً وحنقاً. ألا وإنّ الراضين يقتل الحسين شركاء قتلته. ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله.

إنّ الله ليأمر ملائكته المقرّبين أن يلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين عليه السلام إلى الخزّان

في الجنان فيمزجوها بماء الحيوان فتزيد عذوبتها وطيبها ألف ضعفها، وإنّ الملائكة ليتلقّون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين عليه السلام ويلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها وصديدها وغسّاقها وغسلينها فيزيد في شدّة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها يشدّد بها على المنقولين إليها من أعداء آل محمّد عذابهم.

وروى في «البحار»، قال: وجدت في بعض مؤلّفات المعاصرين: إنّه لمّا جمع ابن زياد «لعنه الله» قومه لحرب الحسين عليه السلام كانوا سبعين ألف فارس، فقال ابن وزياد: أيّها النّاس، من منكم يتولّى قتل الحسين وله ولاية أيّ بلد شاء؟ فلم يجبه أحد منهم، فاستدعى بعمر بن سعد «لعنه الله» وقال له: يا عمر، أريد أن تتولّىٰ حرب الحسين بنفسك؟ فقال: له أعفني من ذلك.

فقال ابن زياد: قد أعفيتك يا عمر، فاردد إلينا عهدنا الذي كتبنا إليك بولاية الريّ، فقال عمر: أمهلني الليلة.

فقال له: قد أمهلتك.

فانصرف عمر بن سعد إلى منزله وجعل يستشير قومه وإخوانه ومن يثق به من أصحابه، فلم يشر عليه أحد بذلك، وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يقال له: كامل، وكان صديقاً لأبيه من قبله، فقال له: يا عمر، ما لي أراك بهيئة وحركة، فما الذي أنت عازم عليه، وكان كامل كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل.

فقال له ابن سعد «لعنه الله»: إنّي قد وُلّيت أمر هذا الجيش في حرب الحسين عليه السلام، وإنّما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل، أو شربة ماء، وإذا قتلته خرجت إلى مُلك الريّ.

فقال له كامل: أنّي لك يا عمر بن سعد، تريد أن تقتل الحسين ابنا بنت رسول الله، أفٍّ لك ولدينك. يا عمر، أسفهت الحقّ، وضلّك الهدى. أما تعلم إلى حرب من تخرج، ولمن تقاتل؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله لو أعطيت الدنيا وما فيها على قتل رجل واحد من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله لما فعلت، فكيف تريد قتل الحسين ابن بنت رسول الله، وما الذي تقول غداً لرسول الله صلى الله عليه وآله إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرّة عينه وثمرة فؤاده وابن سيّدة نساء العالمين وابن سيّد الوصيّين وهو سيّد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين، وإنّه في زماننا هذا بمنزلة جدّه في زمانه، وطاعته فرض علينا كطاعته، وإنّه باب الجنّة والنّار، فاختر لنفسك ما أنت مختار، وإنّي أشهد الله إن حاربته أو قتلته أو أعنت عليه أو على قتله، لا تلبث في الدنيا بعده إلاّ قليلاً.

فقال له عمر بن سعد: فبالموت تخوّفني، وإنّي إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس، وأتولّى مُلك الريّ.

فقال له كامل: إنّي أحدّثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفّقت لقبوله: إعلم إنّي سافرت مع أبيك سعد إلى الشام فانقطعت بي مطيّتي عن أصحابي، وتهت وعطشت، فلاح لي دير راهب، فملت إليه ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماء، فأشرف عليَّ راهب من ذلك الدير وقال: ما تريد؟ فقلت له: إنّي عطشان.

فقال لي: أنت من أمّة هذا النبيّ الذي يقتل بعضهم بعضاً على حبّ الدنيا مكالبة، ويتنافسون فيها على حطامها؟ فقلت له: أنا من الأمّة المرحومة أمّة محمّد ﷺ.

فقال: إنّكم شرّ أمّة، فالويل لكم يوم القيامة و قد غدوتم إلى عترة نبيّكم وتسبون نساءه وتنهبون أمواله، فقلت له: يا راهب، نحن نفعل ذلك؟!

قال: نعم، وإنّكم إذا فعلتم ذلك عجّت السماوات والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والوحوش والأطيار باللعنة على قاتله، ثمّ لا يلبث قاتله في الدنيا إلاّ قليلاً، ثمّ يظهر رجل يطلب بثأره، فلا يدع أحداً شرك في دمه إلاّ قتله، وعجّل الله بروحه إلى النّار.

ثمّ قال الراهب: إنّي لأرى لك قرابة من قاتل هذا الابن الطيّب، والله إنّي لو أدركت أيّامه لوقيته بنفسي من حرّ السيوف.

فقلت: يا راهب، إنّي أعيذ نفسي أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول الله ﷺ.

فقال: إن لم تكن أنت فرجل قريب منك، وإنّ قاتله عليه نصف عذاب أهل النّار، وإنّ عذابه أشدّ من عذاب فرعون وهامان، ثمّ ردم الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى، وأبى أن يسقيني الماء.

قال كامل: فركّبت فرسي ولحقت أصحابي فقال لي أبوك سعد: ما أبطأك عنّا يا كامل؟ فحدّثته بما سمعت من الراهب، فقال لي: صدقت.

ثمّ إنّ سعداً أخبرني أنّه نزل بدير هذا الراهب مرّة من قبلي فأخبره أنّه هو الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله ﷺ، فخاف أبوك سعد من ذلك وخشي أن تكون أنت قاتله، فأبعدك عنه وأقصاك، فاحذر يا عمر أن تخرج عليه ويكون عليك نصف عذاب أهل النّار.

قال: فبلغ الخبر ابن زياد فاستدعى بكامل فقطع لسانه، فعاش يوماً أو بعض يوم ومات «رحمه الله».

وقال المجلسي رحمه الله في «البحار»: قال مؤلّف كتاب «إلزام النواصب» وغيره: أنّ ميسون بنت بجدل الكلبيّة أمكنت عبد أبيها من نفسها، فحملت بيزيد «لعنه الله».

وإلى هذا أشار النسّابة البكري بقوله:

فإنّ يكن الزمانُ أتى علينا بقتلٍ الترك والموت الوحيّ[1]
فقد قتلّ الدِّعيُّ وعبد كلب بأرض الطفّ أولاد النبيّ

أراد بالدعيّ عبيد الله بن زياد «لعنه الله»، فإنّ أباه زياد بن سميّة، كانت أمّه سميّة مشهورة بالزنا، وولد على فراش عبيد عبد بني علاج من ثقيف، فادّعى معاوية أنّ أبا سفيان زنى بأمّ زياد فأولدها زياداً، وأنّه أخوه فصار اسمه الدعيّ، وكانت عائشة تسمّيه زياد بن أبيه؛ لأنّه ليس له أب معروف.

ومراده بعبد كلب يزيد بن معاوية؛ لأنّه من عبد بجدل الكلبي.

وأمّا عمر بن سعد فقد نسبوا أباه سعداً إلى غير أبيه، وأنّه لرجل من بني عذرة كان خادماً لأمّه، ويشهد بذلك قول معاوية حين قال سعد لمعاوية: أنا أحقّ بهذا الأمر منك، فقال له معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة، وضرط له، وروى ذلك النوفلي ابن سليمان من علماء السنُّة، ويدلّ على ذلك قول السيّد الحميري:

قوماً تداعوا زنيماً ثمّ سادهم لولا خمول بني زهرٍ لما سادا

وروى الشيخ في «الأمالي» بإسناد معتبر عن معاوية بن وهب، قال: كنت جالساً عند جعفر بن محمّد عليه السلام إذ جاء شيخ قد انحنى من الكبر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. يا شيخ، ادن منّي، فدنا منه وقبّل يده وبكى.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما يبكيك يا شيخ؟

قال له: يا ابن رسول الله، أنا مقيم على رجاء منكم منذ نحو من مائة سنة أقول هذه السنة وهذا الشهر، ولا أراه فيكم، فتلومني أن أبكي.

قال: فبكى أبو عبد الله عليه السلام، ثمّ قال: يا شيخ، إنّ أخّرت منيّتك كنت معنا، وإن عُجّلت كنت يوم القيامة مع ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال الشيخ: ما أبالي ما فاتني بعد هذا يا ابن رسول الله.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا شيخ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله المنزل، وعترتي أهل بيتي نجيء وأنت معنا يوم القيامة.

ثمّ قال: يا شيخ، ما أحسبك من أهل الكوفة؟ قال: لا.

---

(١) الوحيّ: السريع.

قال: فمن أين؟ قال: من سوادها جعلت فداك.

قالي: أين أنت من قبر جدّي المظلوم الحسين؟ قال: إنّي لقريب منه.

قال: كيف إتيانك له؟ قال: إنّي لآتيه وأكثر.

قال: يا شيخ، ذلك دم يطلب الله تعالى به، ما أصيب ولد فاطمة ولا يصابون بمثل الحسين عليه السلام، ولقد قتل في سبعة عشر من أهل بيته نصحوا لله وصبروا في جنب الله، فجزاهم الله أحسن جزاء الصابرين، إنّه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسين ويده على رأسه، يقطر دماً فيقول: يا ربّ، سل أمّتي فيم قتلوا أبني.

وقال عليه السلام: كلّ الجزع والبكاء مكروه؛ سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام.

الفصل الحادي عشر

في بيان ما جرى على شيعته من الظلم والعدوان قبل دخوله عليه الصلاة والسلام

روى الكليني بإسناد معتبر عن فضل بن الزبير، قال: مرّ ميثم التمّار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما، ثمّ قال حبيب: لكأنّي بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطّيخ عند دار الرزق قد صُلب في حبّ أهل بيت نبيّه ﷺ، ويبقر بطنه على الخشبة.

قال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر، له ظفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه ﷺ يُقتل ويجال برأسه بالكوفة، ثمّ افترقا.

فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجري فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا: افترقا وسمعنا يقولان كذا وكذا.

فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيّام والليالي حتّى رأيناه مصلوباً على باب دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر قد قُتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كلّ ما قالوا. وكان حبيب من الرجال السبعين الذين نصروا الحسين ولقوا جبال الحديد واستقبلوا الرماح بصدورهم والسيوف بوجوههم، وهم يُعرض عليهم الأمان والأموال فيأبون ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ إن قتل الحسين ومنّا عين تطرف، حتّى قُتلوا حوله، ولقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدي فقال له يزيد بن حصين الهمداني - وكان يقال له: سيّد القرّاء -: يا أخي، ليس هذه بساعة ضحك، قال: فأيّ موضع أحقّ من هذا بالسرور، والله ما هو إلاّ أن تميل علينا هذه الطغّام بسيوفهم فنعانق الحور العين.

وروى الكشّي أيضاً بإسناد معتبر عن فضيل بن الزبير، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام يوماً إلى بستان البرني ومعه أصحابه، فجلس تحت نخلة ثمّ أمر بنخلة فلقطت، فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم.

قالوا: فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين، ما أطيب هذا الرطب؟

فقال: يا رشيد، أما إنّك تُصلب على جذعها.

قال رشيد: فكنت أختلف إليها طرفي النهار أسقيها، ومضى أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فجئتها يوماً وقد قطع سعفها، قلت: اقترب أجلي، ثمّ جئت يوماً فجاء العريف فقال: أجب الأمير، فأتيته، فلمّا دخلت القصر فإذا بخشب ملقى، ثمّ جئت يوماً آخر فإذا النصف الآخر قد جعل زرنوقاً يستقى عليه الماء، فقلت: ما كذّبني خليلي، فأتاني العريف فقال: أجب الأمير، فأتيته، فلمّا دخلت القصر إذا الخشب ملقى وإذا فيه الزرنوق، فجئت حتّى ضربت الزرنوق برجلي، ثمّ قلت: لك غذّيت، ولي أنبتّ، ثمّ أدخلت على عبيد الله بن زياد «لعنه الله».

قال: هات من كذب صاحبك؟ فقلت: والله ما أنا مكذاب ولا هو، وقد أخبرني أنّك تقطع يدي ورجلي ولساني.

قال: إذاً والله نكذّبه. اقطعوا يديه ورجليه وأخرجوه، فلمّا حمل إلى أهله أقبل يحدّث النّاس بالعظائم وهو يقولك أيّها النّاس، سلوني، فإنَّ للقوم عندي طلبة لم يقضوها، فدخل رجل على ابن زياد «لعنه الله» فقال له: ما صنعت، قطعت يده ورجله وهو يحدّث النّاس بالعظائم؟

قال: ردّوه، وقد انتهى إلى بابه فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه وأمر بصلبه.

وروى الشيخ في «الأمالي» عن أبي حسّان العجلي، قال: لقيت أمة الله بنت رشيد الهجري فقلت لها: أخبريني بما سمعت من أبيك؟

قالت: سمعته يقول: قال لي حبيبي أمير المؤمنين عليه السلام: يا رشيد، كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أميّة فقطع يديك ورجليك ولسانك؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، أيكون آخر ذلك إلى الجنّة؟

قال: نعم يا رشيد، وأنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله ما ذهبت الأيّام حتّى أرسل إليه الدعيّ عبيد الله بن زياد، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، فأبى أن يتبرّأ منه.

فقال له ابن زياد «لعنه الله»: فبأيّ ميتة قال لك صاحبك تموت؟

قال: أخبرني خليلي عليه السلام أنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرّء، فتقدّمني فتقطع يديّ ورجلي ولساني.

فقال: والله لأكذّبنّ صاحبك. قدّموه واقطعوا يديه ورجليه واتركوا لسانه، فقطعوه، ثمّ حملوه إلى منزلنا، فقلت له: يا أبتِ، جعلت فداك هل تجد لما أصابك ألماً؟ فقال: لا والله يا بنيّة، إلاّ كالزحام بين النّاس، ثمّ دخل عليه جيرانه ومعارفه يتوجّعون له.

قال: أتوني بصحيفة ودواة أذكر لكم ما يكون ممّا علّمنيه مولاي أمير المؤمنين عليه السلام، فأتوه بصحيفة ودواة، فجعل يذكر ويملي عليهم أخبار الملاحم والكائنات ويسندها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن زياد «لعنه الله»، فأرسل إليه الحجّام حتّى قطع لسانه، فمات من ليلته تلك.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسمّيه رشيد البلايا، وكان قد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، فكان يلقى الرجل فيقول له: يا فلان ابن فلان، تموت ميتة كذا، وأنت يا فلان تقتل قتلة كذا، فيكون الأمر كما قاله رشيد رحمه الله.

وروى المفيد في «الإرشاد» عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت يوماً عند ابن زياد إذ أتي برشيد الهجري، فقال له ابن زياد «لعنه الله»: ما قال لك صاحبك - يعني عليّاً عليه السلام - إنّا فاعلون بك؟

فقال: قال: تقطعون يديّ ورجليّ وتصلبوني، فقال ابن زياد «لعنه الله»: أما والله لأكذّبنّ حديثه، خلّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج قال ابن زياد: والله ما نجد شيئاً شرّاً ممّا قال له صاحبه. اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه.

فقال رشيد: هيهات قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام، فقال ابن زياد «لعنه الله»: اقطعوا لسانه.

فقال رشيد: الآن والله جاء التصديق لأمير المؤمنين عليه السلام.

وروى الشيخ المفيد في «الإرشاد»، والكشّي وغيرهما: إنّ ميثماً كان غلاماً لامرأةٍ من بني أسد، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها فأعتقه، فقال: ما اسمك؟، فقال: سالم.

فقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ اسمك الذي سمّاك به أبواك في العجم ميثم، فقال: صدق الله ورسوله وصدق أمير المؤمنين. والله إنّه لاسمي.

قال: فارجع لاسمك الذي سمّاك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع سالماً، فرجع إلى ميثم واكتنى بأبي سالم.

فقال له عليّ عليه السلام ذات يوم: إنّك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخرك وفمك دماً، فتخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب فتصلب على باب

دار عمرو بن حريث؛ عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة[١]، فامضِ حتّى أريك النخلة التي تصلب على جذعها. فأراه إيّاها».

وفي رواية أخرى عن ميثم، قال: دعاني أمير المؤمنين عليه السلام وقال: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعيّ بني أميّة عبيد الله بن زياد إلى البراءة منّي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا والله لا أبرأ منك.

قال: إذاً والله يقتلك ويصلبك، قلت: أصبر، فذاك في الله قليل.

فقال: يا ميثم إذاً تكون معي في درجتي.

وفي رواية: إنّ ميثماً رحمه الله كان يأتي تلك النخلة ويصلّي عندها ويقول: بوركتِ من نخلة، لك خلقت، ولي غذّيت، ولم يزل يتعاهدها حتّى قطعت، وحتّى عرف الموضع الذي يصلب عليها بالكوفة، وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول: إنّي مجاورك فأحسن جواري، فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟ وهو لا يعلم ما يريد.

وعن سدير عن أبيه، قال: قال لي ميثم التمّار ذات يوم: يا أبا حكيم، إنّي أخبرك بحديث وهو حقّ.

قال: فقلت: يا أبا صالح، بأيّ شيء تحدّثني؟

قال: إنّي أخرج العام إلى مكّة، فإذا قدمت القادسيّة راجعاً أرسل إليّ هذا الدعيّ ابن زياد رجلاً في مائة فارس حتّى يجيء ابن إليه، فيقول لي: أنت من هذه السائبة الخبيثة المحترقة التي قد يبست عليها جلودها، وأيم الله لأقطعنّ يدك ورجلك، فأقول: لا رحمك الله، فوالله لعليّ عليه السلام كان أعرف بك من الحسن حين ضرب رأسك بالدرّة.

فقال له الحسن عليه السلام: يا أبتِ، لا تضربه فإنّه يحبّنا ويبغض عدوّنا.

فقال له عليّ مجيباً له: اسكت يا بنيّ، فوالله لأنا أعلم به منك، فوالذي فلق الحبّة وبرء النسمة إنّه لوليّ لعدوّك وعدوّ لوليك، قال: فيأمر بي فأصلب، فأكون أول هذه الأمّة ألجم بالشريط في الإسلام، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراي دماً على صدري ولحيتي.

وعن حمزة بن ميثم، قال: خرج أبي إلى العمرة فحدّثني، قال: استأذنت على أمّ سلمة رحمها الله فضربت بيني وبينها خدراً، فقالت لي: أنت ميثم، فقلت: أنا ميثم - وفي رواية أنّها قالت: والله لربّما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكرك ويوصي بك عليّاً في جوف الليل - فسألها عن الحسين عليه السلام، فقالت: هو في حائط له، قال: أخبريه أنّني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء الله.

---

(١) المطهرة: الأرض.

وفي الرواية الأولى: إنّها قالت: كثيراً ما رأيت الحسين بن عليّ يذكرك، قلت: فأين هو؟ قالت: خرج في غنم له آنفاً.

قلت: أنا والله أكثر ذكره فاقرئيه السلام فإنّي مبادر، فقالت: يا جارية، أخرجي فادهنيه، فخرجت فدهنت لحيتي ببان.

فقلت: أما والله لئن دهنتيها لتخضبنّ فيكم بالدماء، فخرجنا فإذا ابن عبّاس رحمه الله جالس، فقلت: يا ابن عبّاس، سلني ما شئت من تفسير القرآن فإنّي قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام، وعلّمني تأويله، فقال: يا جارية، ناوليني الدواة والقرطاس، فأقبل يكتب.

فقلت: يا ابن عبّاس، كيف بك إذا رأيتني مصلوباً تاسع تسعة أقصرهم خشبة، وأقربهم للمطهرة؟ فقال لي: وتكهّن أيضاً؟ وخرّق الكتاب، فقلت: مه، احتفظ بما سمعت منّي، فإن يك ما أقول لك حقّاً أمسكته، وإن يك باطلاً خرّقته، قال هو ذلك، فقدم أبي علينا فما لبث يومين حتّى أرسل عبيد الله بن زياد فصلبه تاسع تسعة أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهرة.

وفي رواية: إنّ ميثماً كان يمرّ بعريف قومه ويقول: يا فلان، كأنّي بك وقد دعاك دعيّ بني أميّة فيطلبني منك أيّاماً، فإذا قدمت عليك ذهبت بي إليه حتّى يقتلني على باب دار عمرو بن حريث، فإذا كان يوم الرابع ابتدر منخراي دماً عبيطاً.

ثمّ خرج ميثم إلى مكّة فأرسل عدوّ الله ابن زياد إلى عريف فطلبه منه، فأخبره أنّه بمكّة، فقال له: لئن لم تأتني به لأقتلنّك، فأجّله أجلاً وخرج العريف إلى القادسيّة ينتظر ميثماً، فلمّا قدم ميثم فعل ما فعل.

وفي رواية أخرى: إنّه لمّا دخل على عبيد الله بن زياد قيل له: هذا كان من آثر النّاس عند عليّ عليه السلام، قال: ويحكم، هذا الأعجمي؟ قيل له: نعم.

فقال له عبيد الله: أين ربّك؟ قال: بالمرصاد لكلّ ظالم، وأنت أحد الظلمة، فقال: إنّك عجميّ عجمتك تبلغ الذي تريد، وقال ابن زياد: تتجرّأ على مثلي بهذا الكلام. تبرّء من أبي تراب؟ قال: لا أعرف أبا تراب.

قال: تبرّء من عليّ بن أبي طالب؟ فقال له: فإن لم أفعل؟ قال: إذاً والله لأقتلنّك وأصلبنّك على دار عمرو بن حريث، فقال ميثم: أما والله لقد كان يقول لي أنّك تصلبني على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهرة، فقال ابن زياد «لعنه الله» لنخالفنّه، قال: كيف تخالفه، فوالله ما أخبر إلاّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل، عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه، وأين هو من الكوفة، وأنا أوّل خلق الله ألجم في الإسلام، فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة، فقال له ميثم: إنّك

تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يقتلنا، فلمّا دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله بأمره بتخلية سبيله، فخلاّه وأمر بميثم أن يصلب على باب عمرو ابن حريث.

قال عمرو: وقد كان والله يقول لي: أنا مجاورك، وما عرفت مراده إلاّ الآن، فلمّا صلب أمر جاريته بكنس ما تحت خشبته ورشّه وتجهيزه، فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم ومثالب بني أميّة واضمحلال ملكهم والحوادث الواقعة، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، قال: ألجموه، وكان أوّل خلق الله ألجم في الإسلام، فجاء إليه رجل في اليوم الثالث وقد أشار إليه بالحربة وهو يقول: أما والله لقد كنت ما علمتك إلاّ صوّاماً قوّاماً، ثمّ طعنه في خاصرته وانبعث منخراه دماً فخضبت لحيته بالدماء.

وروى العيّاشي عن ثابت الثقفي، قال: لمّا أمر بميثم ليصلب، قال رجل: يا ميثم، لقد كنت عن هذا غنيّاً؟ قال: فالتفت إليه ميثم ثمّ قال: والله ما نبتت هذه النخلة إلاّ لي، ولا اغتذيت إلاّ لها.

وعن ابن خالد، قال: كنت مع ميثم التمّار بالفرات يوم الجمعة، فهبّت ريح وهو في سفينة من سفن الربّان، قال: فخرج فنظر إلى الريح فقال: شدّوا برأس سفينتكم، إنّ هذا ريح عاصف، مات معاوية الساعة.

قال: فلمّا كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام فلقيته فاستخبرته، فقلت: ما الخبر؟ فقال: النّاس على أحسن حال، توفّي أمير المؤمنين وبايع النّاس يزيد.

قال: قلت: أيّ يوم توفّي؟ قال: يوم الجمعة.

وروى الكشّي عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام: إنّ قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام دخل على الحجّاج بن يوسف، فقال له: ما الذي كنت تلي من عليّ بن أبي طالب؟ فقال: كنت أوضّئه.

فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ فقال: كان يتلو هذه الآية ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

فقال الحجّاج: أظنّه كان يتأوّلها علينا؟ قال: نعم.

فقال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟ قال: إذاً أسعدّ وتشقى، فأمر به.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام، قال: ما منع ميثم رحمه الله من التقيّة، فوالله لقد علم أنّ هذه الآية نزلت في عمّار وأصحابه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وروى الكشّي في رجاله عن الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: أتى ميثم التمّار دار أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له: إنّه نائم، فنادي بأعلى صوته: انتبه أيّها النائم، فوالله لتخضبنّ لحيتك من رأسك، فانتبه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أدخلوا ميثماً، فقال: أيّها النائم لتخضبن لحيتك من رأسك، فقال: صدقت والله لتقطعنّ يداك ورجلاك ولسانك، ولتقطعنّ النخلة التي في الكناسة فتشقّ أربع قطع، فتصلب أنت على ربعها، وحجر بن عدي على ربعها، ومحمّد بن أكثم على ربعها، وخالد بن مسعود على ربعها. قال ميثم: فشككت في نفسي، وقلت: إنّ عليّاً ليخبرنا بالغيب، فقلت له: أوّ كائن ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال: إي وربّ الكعبة، كذا عهده إليَّ النبيّ صلى الله عليه وآله.

قال: فقلت: لِمَ يُفعل بي ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليأخذنّك العتلّ الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد.

قال: وكان يخرج إلى الجبّانة وأنا معه فيمرّ بالنخلة فيقول لي: يا ميثم، إنّ لك ولها شأناً من الشأن، قال: فلمّا ولي عبيد الله بن زياد الكوفة ودخلها تعلّق عَلّمه بالنخلة التي بالكناسة فتخرّق وتطيرّ من ذلك، فأمر بقطعها، فاشتراها رجل من النجّارين، فشقّها أربع قطع. قال ميثم: فقلت لصالح ابني: فخذ مسماراً من حديد فانقش عليه اسمي واسم أبي، ودقّه في بعض الأجذاع.

قال: فلمّا مضى بعد ذلك أيّام أتى قوم من أهل السوق فقالوا: يا ميثم، انهض معنا إلى الأمير فنشكو إليه عامل السوق ونسأله أن يعزله ويولّي علينا غيره؟

قال: وكنت خطيب القوم، فنصت لي وأعجبه منطقي، فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير، تعرف هذا المتكلّم؟

قال: ومن هو؟ قال: ميثم التمّار الكذّاب مولى الكذّاب عليّ بن أبي طالب.

قال: فاستوى جالساً فقال لي: ما تقول؟ فقلت: كذب أصلح الله الأمير، بل أنا الصادق مولى الصادق عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين حقّاً، فقال لي: لتبرأنّ من عليّ، ولتذكرنّ مساويه، وتتولّى عثمان وتذكر محاسنه أو لأقطعنّ يدك ورجلك، ولأصلبنّك، فبكيت، فقال لي: بكيت من القول دون الفعل.

فقلت: والله ما بكيت من القول ولا من الفعل، ولكن بكيت من شكّ في ذلك دخلني يوم أخبرني سيّدي ومولاي.

فقال لي: وما قال لك؟ قال: فقلت: أتيت الباب فقيل لي إنّه نائم، فناديت: انتبه أيّها

النائم، فوالله لتخضبن لحيتك من رأسك؟ فقال: صدقت، وأنت والله لتقطعنّ يداك ورجلاك ولسانك ولتصلبنّ.

فقلت: ومن يفعل ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال: يأخذك العتلّ الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد، قال: فامتلأ غيظاً، ثمّ قال لي: والله لأقطعنّ يديك ورجليك ولأدعنّ لسانك حتّى أكذّبك وأكذّب مولاك، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثمّ أمر به أن يصلب، فنادي بأعلى صوته: أيّها النّاس، من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن عليّ بن أبي طالب.

قال: فاجتمع النّاس وأقبل يحدّثهم بالعجائب، قال: وخرج عمرو بن حريث وهو يريد منزله، فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا: ميثم التمّار يحدّث النّاس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: فانصرف مسرعاً فقال: أصلح الله الأمير، فبادر وابعث إلى هذا من يقطع لسانه، فإنّي لست آمن أن يغيّر قلوب أهل الكوفة فيخرجوا عليك، قال: فالتفت إلى حرسيّ فوق رأسه فقال: اذهب فاقطع لسانه، فأتاه الحرسيّ وقال: يا ميثم، قال: ما تشاء؟ قال: أخرج لسانك، فقد أمرني الأمير أقطعه، قال: ألا زعم ابن الفاجرة أنّه يكذّبني ويكذّب مولاي، هاك لساني، قال: فقطع لسانه وشحط ساعة بدمه فمات، وأمر به فصلب، قال صالح: فمضيت بعد ذلك أيّاماً فإذا هو صلب على الربع الذي كتبت ودققت فيه المسمار.

وروى الكشّي أيضاً: إنّ ميثماً لمّا ارتحل إلى جوار ربّه اجتمع سبعة من التمّارين ليلاً والحرس يحرسونه، وقد أوقدوا النّار وأعمى الله أبصارهم وحملوه بخشبته حتّى انتهوا به إلى فيض من ماء في مراد فدفنوه ورموا بخشبته في الخراب؛ وأصبح ابن زياد «لعنه الله» فبعث الخيل فلم يجد شيئاً.

الفصل الثاني عشر

في بيان توجّهه عليه السلام إلى مكّة المعظّمة، وما جرى عليه بعد بيعة النّاس ليزيد «لعنه الله» إلى وقت شهادته «صلوات الله عليه»

ولمّا كان الخاصّة والعامّة قد نقلوا هذه الواقعة العظيمة بطرق مختلفة وأوردوها بروايات عديدة، فلنكتف بذكر ما ذكره أعاظم علماء الإماميّة قدّس الله أرواحهم، ولمّا كانت رواياتهم لا تخلو من اختلاف أيضاً استقصينا ما ذكروه مع الإشارة إلى محلّ الاختلاف.

روى الصدوق في الأمالي بإسناد معتبر عن عبد الله بن منصور، قال: سألت جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، فقلت: حدّثني عن مقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: حدّثني أبي، عن أبيه عليه السلام، قال: لمّا حضرت معاوية الوفاة دعا ابنه يزيد «لعنه الله» فأجلسه بين يديه فقال له: يا بنيّ، إنّي قد ذلّلت لك الرقاب الصعاب، ووطّأت لك البلاد، وجعلت الملك وما فيه لك، وإنّي أخشى عليك من ثلاثة نفر يخالفون عليك بجهدهم، وهم: عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن عليّ عليه السلام.

فأمّا عبد الله بن عمر فهو معك، فألزمه ولا تدعه، وأمّا عبد الله بن الزبير فقطّعه إن ظفرت به إرباً إرباً، فإنّه يجثو لك كما يجثو الأسد لفريسته ويؤاربك مؤاربة الثعلب للكلب، وأمّا الحسين، فقد عرفت حظّه من رسول الله، وهو من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد علمت لا محالة أنّ أهل العراق سيخرجونه إليهم ثمّ يخذلونه ويضيّعونه، فإن ظفرت به فاعرف حقّه ومنزلته من رسول الله، ولا تؤاخذه بفعله، ومع ذلك فإنّ لنا به خلطة ورحماً، وإيّاك أن تناله بسوء أو يرى منك مكروهاً.

أقول: وكان غرض معاوية من هذا الكلام حفظ المملكة والسلطنة ليزيد؛ لأنّه لدهائه يعلم أنّ يزيد لو أراد الحسين عليه السلام بسوء لم يستقلّ ملكه، ولانحرفت النّاس عنه، ولم يكن هذا القول منه تقرّباً إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله، ولا شفقة على الحسين عليه السلام؛ لأنّه كان زنديقاً لا يعتقد بربّ ولا برسول.

قال: فلمّا هلك معاوية وتولّى الأمر بعده يزيد بعث عامله إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عمّه عتبة بن أبي سفيان.

وفي رواية المفيد وغيره: إنّه بعث عامله الوليد بن عتبة، فقدم المدينة وعليها مروان بن الحكم، وكان عامل معاوية، فأقامه عتبة من مكانه وجلس فيه لينفذ فيه أمر يزيد، فهرب مروان

فلم يقدر عليه، وبعث عتبة إلى الحسين بن عليّ عليه السلام فقال: إنّ أمير المؤمنين أمرك أن تبايع له.

فقال الحسين عليه السلام: يا عتبة، قد علمت إنّا أهل بيت الكرامة، ومعدن الرسالة، وأعلام الحقّ، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الخلافة محرّمة على ولد أبي سفيان، وكيف أبايع أهل بيت؛ قد قال فيهم رسول الله هذا، فلمّا سمع عتبة ذلك دعا الكاتب وكتب:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين، من عتبة بن أبي سفيان

أمّا بعد: فإنّ الحسين بن عليّ ليس يرى لك خلافة ولا بيعة، فرأيك في أمره. والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على يزيد «لعنه الله» كتب الجواب إلى عتبة:

أمّا بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فعجّل عليَّ بجوابه، وبيّن لي في كتابك كلّ من في طاعتي، أو خرج عنها، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن عليّ.

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في «الإرشاد»، والسيّد ابن طاوس في «المقتل»، وابن شهرآشوب في «المناقب» وغيرهم: إنّه لمّا مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك، فلمّا مات معاوية وذلك في النصف من شهر رجب سنة ستّين من الهجرة كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان على المدينة من قِبل معاوية بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن يأبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه.

فشاور في ذلك مروان، فقال: الرأي أن تحضرهم وتأخذ منهم البيعة قبل أن يعلموا بموت معاوية، فوجّه في طلبهم وكانوا عند التربة - أي الحفرة المشرّفة - فقال الحسين عليه السلام: **إنّ معاوية قد مات ولم تُطلب إلاّ لبيعة يزيد.**

وقال عبد الرحمن وعبد الله بن عمر: ندخل دورنا ونغلق أبوابنا.

وقال ابن الزبير: والله ما أبايع يزيد أبداً.

وقال الحسين عليه السلام: أنا لابد لي من الدخول على الوليد، فدعا ثلاثين نفراً من مواليه وغلمانه وأمرهم بحمل السلاح وقال لهم: إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمن أن يكلّفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت عليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي.

فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد بن عتبة، فوجد عنده مروان بن الحكم، فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام، ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد «لعنه الله» وما أمره فيه من أخذ البيعة منه.

فقال الحسين: إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتّى أبايعه جهراً فيعرف ذلك النّاس.

فقال له الوليد: أجل.

فقال الحسين عليه السلام: فتصبح وترى رأيك في ذلك.

فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع جماعة النّاس.

فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً حتّى تكثر القتلى بينكم وبينه. احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتّى يبايع أو اضرب عنقه.

فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.

ثمّ أقبل على الوليد فقال: أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالبيعة والخلافة، وخرج يمشي ومعه مواليه حتّى أتى منزله.

قال المفيد: فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكّنك مثلها من نفسه أبداً، فقال الوليد: ويح غيرك يا مروان، إنّك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ودنياي، والله ما أحبّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وإنّي قتلت حسيناً إن قال: لا أبايع، والله إنّي لأظنّ أن امرءاً يحاسب بدم الحسين عليه السلام خفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا وهو غير الحامد له على رأيه.

قال السيّد: «فلمّا أصبح الحسين عليه السلام خرج من منزله يستمع الأخبار، فلقيه مروان بن الحكم، فقال له: يا أبا عبد الله، إنّي لك ناصح فأطعني ترشد.

فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك قل حتّى أسمع؟

فقال مروان: إنّي آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين، فإنّه خير لك في دينك ودنياك.

فقال الحسين عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان، وطال الحديث بينه وبين مروان وهو غضبان.

وقال المفيد رحمه الله: فقام الحسين عليه السلام في منزله تلك الليلة، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستّين، واشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد وامتناعه عليهم، وخرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجّهاً إلى مكّة، فلمّا أصبح الوليد أخرج في أثره الرجال، فبعث راكباً من بني أميّة في ثمانين راكباً فطلبوه فلم يدركوه فرجعوا، فلمّا كان آخر نهار السبت بعث الرجال إلى الحسين عليه السلام ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية.

فقال لهم الحسين: أصبحوا، ثمّ ترون ونرى.

فخرج عليه السلام من تحت ليلته وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجّهاً نحو مكّة؛ ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجلّ أهل بيته إلاّ محمّد بن الحنفيّة رحمه الله.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة: إنّه عليه السلام همّ بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق، فلمّا أقبل الليل راح إلى مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ليودّع القبر، فلمّا وصل إلى القبر سطع له نور من القبر، فعاد إلى موضعه، فلمّا كانت الليلة الثانية راح ليودّع القبر فقام يصلّي فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاءه النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في منامه فأخذ الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره؛ وجعل يقبّل بين عينيه ويقول: بأبي أنت، كأنّي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأمّة يرجون شفاعتي، ما لهم عند الله من خلاق. يا بنيّ، إنّك قادم على أبيك وأمّك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وأنّ لك في الجنّة درجات لا تنالها إلاّ بالشهادة.

فانتبه الحسين عليه السلام من نومه باكياً، فأتى أهله فأخبرهم بالرؤيا وودّعهم.

وفي رواية أخرى معتبرة: إنّه لمّا أخبر الوليد بأنّه مأمور بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام ليزيد «لعنه الله» عظم ذلك عليه وقال: والله لا يراني الله أقتل ابن نبيّه ولو جعل لي يزيد الدنيا بما فيها، ولمّا أرسل إليه الوليد يدعوه فلم يكن في داره، وقيل: إنّه خرج إلى قبر جدّه، فلمّا أخبر الوليد بذلك حمد الله على عدم لقائه وعدم ابتلائه بقتله.

قال السيّد العالم محمّد بن أبي طالب بن أحمد الحسيني الحائري في كتابه الذي جمعه في مقتله عليه السلام: وخرج الحسين من منزله ذات ليلة وأقبل إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله، فقال: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلّفتني في أمّتك، فاشهد عليهم يا نبيّ الله إنّهم قد خذلوني وضيّعوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتّى ألقاك.

قال: ثمّ صفّ قدميه، فلم يزل راكعاً ساجداً.

قال: وأرسل الوليد إلى منزل الحسين عليه السلام لينظر أَخَرَجَ من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله، فقال: الحمد لله الذي خرج ولم يبتلني بدمه، قال: ورجع الحسين إلى منزله عند

الصبح، فلمّا كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً وصلّى ركعات، فلمّا فرغ من صلاته جعل يقول: اللّهمّ هذا قبر نبيّك محمّد ﷺ، وأنا ابن بنت نبيّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت. اللّهمّ إنّي أحبّ المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومن فيه إلاّ اخترت لي ما هو لك رضي ولرسولك رضيّ.

قال: ثمّ جعل يبكي عند القبر حتّى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى، فإذا هو برسول الله ﷺ قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه، حتّى ضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل بين عينيه، وقال: حبيبي يا حسين، كأنّي أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمّتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة.

حبيبي يا حسين، إنّ أباك وأمّك وأخاك قدموا عليَّ وهم مشتاقون إليك، وأنّ لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلاّ بالشهادة.

قال: فجعل الحسين في منامه ينظر إلى جدّه ويقول: يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك.

فقال له رسول الله ﷺ: لابدّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتّى ترزق الشهادة، وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم؛ فإنّك وأباك وأخاك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتّى تدخل الجنّة.

قال: فانتبه الحسين عليه السلام من نومه فزعاً مرعوباً، فقصّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطّلب، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق ولا مغرب قوم أشدّ غمّاً من أهل بيت رسول الله؛ ولا أكثر باكٍ وباكية منهم.

قال: وتهيّأ الحسين عليه السلام للخروج من المدينة، ومضى في جوف الليل إلى قبر أمّه فودّعها، ثمّ مضى إلى قبر أخيه ففعل كذلك، ثمّ رجع إلى منزله وقت الصبح، فأقبل إليه أخوه محمّد بن الحنفيّة، وقال: يا أخي، أنت أحبّ الخلق إليَّ، وأعزّهم عليَّ، ولست والله ادّخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحدٌ أحقّ بها منك؛ لأنّك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي؛ لأنّ الله قد شرّفك عليَّ وجعلك من سادات أهل الجنّة، وساق الحديث كما مرّ إلى أن قال:

تخرج إلى مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنّهم أنصار جدّك وأبيك، وهو أرأف النّاس، وأرقّهم قلوباً، وأوسع النّاس بلاداً، فإن اطمأنّت بك الدار وإلاّ لحقت بالرمال وشعوب الجبال وجزت من بلد إلى بلد حتّى تنظر ما يؤول إليه أمر النّاس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

قال: فقال الحسين عليه السلام: يا أخي، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمّد بن الحنفيّة الكلام وبكى، فبكى الحسين عليه السلام معه ساعة، ثمّ قال: يا أخي، جزاك الله خيراً، فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكّة، وقد تهيّأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري، ورأيهم رأيي، وأمّا أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم، لا تخفى عنّي شيئاً من أمورهم، ثمّ دعا الحسين عليه السلام بدواة وبياض وكتب هذه الوصيّة لأخيه محمّد:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا ما أوصي بهِ الحسينُ بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيهِ محمّد المعروف با بِن الحنفيّة. إنَّ الحسينَ يشهدُ أنّ لا إلهَ إلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، جاء بِالحقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ والنّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السّاعَةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأَنَّ اللهُ يَبْعَثُ مَنْ في القُبورِ، وَإنّي لَمْ أَخْرُجْ أشِراً وَلاَ بَطِراً وَلاَ مُفْسداً ولاَ ظالِماً، وَإنّما خَرَجْتُ لطلبِ الإصلاح في أمّةِ جدّي صلى الله عليه وآله أريد أن آمُرَ بالمعروف، وأنهى عَنِ المنكرِ، وأسيرُ بسيرة أبي وَجدّي، فمن قبلني بقبول الحقّ فاللهُ أوْلى بالحقّ، ومن ردّ عَلَيَّ هذا أصبرُ حتّى يقضي اللهُ بَيني وبَينَ القومِ بالحقِّ وهو خيرُ الحاكمين، وهذهِ وصيّتي يا أخي إليك وما توفيقي إلاّ بالله، عَليهِ تَوكّلتُ وإليهِ أنيب.

قال: ثمّ طوى الحسين الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمّد، ثمّ ودّعه وخرج في جوف الليل.

وقد روي في الكتب المعتبرة بالأسانيد القويّة، ومنها ما رواه محمّد بن أبي طالب المتقدّم ذكره، قال: روى محمّد بن يعقوب الكليني في كتاب الوسائل عن حمزة بن حمران عن الصادق عليه السلام، قال: ذكرنا خروج الحسين عليه السلام وتخلّف ابن الحنفيّة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمزة، إنّي سأخبرك بحديث لا تسأل عنه بعد مجلسك هذا. إنّ الحسين عليه السلام لمّا فصل متوجّهاً، دعا بقرطاس وكتب فيه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى بني هاشم

أمّا بعد: فإنّه مَن لَحِق بي منكم استشهد، ومَن تخلّف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن عمرو بن جابر، عن محمّد بن عليّ عليه السلام، قال: لمّا همّ الحسين عليه السلام بالشخوص من المدينة أقبلت نساء بني عبد

المطلّب فاجتمعن للنياحة حتّى مشى فيهنّ الحسين عليه السلام، فقال: أنشدكنّ الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله.

قالت له نساء بني عبد المطّلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة ورقيّة وزينب وأمّ كلثوم، فننشدك الله جعلنا الله فداك من الموت، فيا حبيب الأبرار من أهل القبور، وأقبلت بعض عمّاته تبكي وتقول: اشهد يا حسين لقد سمعت الجنّ ناحت بنوحك وهم يقولون شعراً:

وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم ... أذلّ رقاباً من قريش فَذلّت
حبيبُ رسول الله لم يك فاحشاً ... أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت

وقلن أيضاً:

ابكوا حسيناً سيّداً ... ولقتله شاب الشعر
ولقتله زلزلتم ... ولقتله انكسف القمر
واحمرّت آفاق السماء ... من العشيّة والسحر
وتغيّرت شمس البلاد ... بهم وأظلمت الكور
ذاك ابن فاطمة ... المصاب به الخلائق والبشر
أورثتنا ذلاّ له ... جدع الأنوف مع العرر[1]

قال في «البحار»: وجدت في بعض الكتب: إنّه عليه السلام لمّا عزم على الخروج من المدينة أتت أمّ سلمة «رضي الله عنها» فقالت: يا بنيّ، لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء - فقال: - يا أمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وإنّي مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدٌ، وأنّي والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف مَن يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإنّي أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أمّاه أريك حفرتي ومضجعي.

ثمّ أشار عليه السلام إلى جهة كربلاء، فانخفضت الأرض حتّى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أمّ سلمة بكاء شديداً وسلّمت أمره إلى الله، فقال لها: يا أمّاه، قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً.

وفي رواية أخرى: قالت أمّ سلمة: وعندي تربة دفعها إليَّ جدّك في قارورة، فقال: والله

---

(١) العرر: جمع عرّة؛ وهي النقيصة.

إنّي مقتول كذلك وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً، ثمّ أخذ تربة فجعلها في قارورة وأعطاها إيّاها، وقال: اجعليها مع قارورة جدّي، فإذا فاضتا دماً فاعلمي أن قد قتلت.

وفي وراية «الأمالي» المتقدّمة عن السجّاد عليه السلام: إنّ الحسين عليه السلام حمل إخوانه على المحامل وابنته وابن أخيه القاسم بن الحسن بن عليّ، ثمّ سار في أحد وعشرين رجلاً من أصحابه وأهل بيته، منهم أبو بكر بن عليّ ومحمّد بن عليّ، وعثمان بن عليّ، والعبّاس بن عليّ وعبد الله بن مسلم بن عقيل وعليّ بن الحسين الأكبر وعليّ بن الحسين الأصغر.

وروى المفيد في «الإرشاد» وغيره: إنّ الحسين عليه السلام لمّا توجه من المدينة إلى مكّة قرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكّبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير كيلا يحلقك الطلب؟

فقال عليه السلام: لا والله لا أفارقه يقضي الله ما هو قاض.

وروى محمّد بن أبي طالب في كتابه، قال: روى شيخنا المفيد بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا سار أبو عبد الله عليه السلام من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمة في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنّة، فسلّموا عليه، وقالوا: يا حجّة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إنّ الله سبحانه أمدّ جدّك بنا في مواطن كثيرة، وأنّ الله أمدّك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها، وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني، فقالوا: يا حجّة الله، مرنا نسمع ونطع، فهل تخشى من عدوّ يلقاك فنكون معك؟ فقال: لا سبيل لهم عليَّ، ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي.

وأتته أفواج مسلمي الجنّ، فقالوا: يا سيّدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً وقال لهم: أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال سبحانه: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وإذا أقمت بمكاني فبماذا يبتلى هذا الخلق المتعوس، وبماذا يختبرون، ومَن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء وقد اختارها الله يوم دحا الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا، وتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة، ولكن تحضرون يوم السبت وهو يوم عاشوراء الذي فيه أقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي وبنيّ وإخوتي وأهل بيتي ويسار برأسي إلى يزيد «لعنه الله»، فقالت الجنّ: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أنّ أمرك طاعة، وأنّه لا يجوز مخالفتك لقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال عليه السلام: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]».

وقال المفيد رحمه الله في «الإرشاد»: ولمّا دخل الحسين عليه السلام مكّة كان دخوله إيّاها يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، دخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، ثمّ نزلها وأقبل أهلها يختلفون إليه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة، وهو قائم يصلّي بها ويطوف ويأتي الحسين عليه السلام فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتوالين ويأتيه بين كلّ يومين مرّة، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين في البلد، وأنّ الحسين أطوع في النّاس منه وأجلّ، وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فارجفوا بيزيد، وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه من بيعته، وما كان من ابن الزبير في ذلك، وخروجهما إلى مكّة، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد فذكروا هلاك معاوية، فحمدوا الله وأثنوا عليه.

فقال سليمان: إنّ معاوية قد هلك، وأنّ حسيناً قد نقض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغرّوا الرجل في نفسه؟ قالوا: لا بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه، فكتبوا إليه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

للحسين بن عليّ، من: سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد البجلي، وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمي من أهل الكوفة

سلام عليك.. فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزّها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضيّ منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، أنّه ليس علينا إمام، فاقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا، أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله.

ثمّ سرّحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني، وعبد الله بن وآل، وأمروهما بالنجا[1]،

---

(١) أي السرعة.

فخرجا مسرعَين حتّى قدما على الحسين عليه السلام بمكّة لعشر مضين من شهر رمضان، ثمّ لبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب وأنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الله بن شدّاد بن عبد الله الأرحبي وعمارة بن عبد الله السلولي إلى الحسين عليه السلام، ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والإثنين والأربعة، ثمّ لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكتبوا إليه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إلى الحسين بن عليّ، من شيعته من المؤمنين والمسلمين

أمّا بعد: فحي هلا، فإنّ النّاس ينتظرون، لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل، ثم العجل، والسلام.

ثمّ كتب شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن حجّاج الزبيدي ومحمّد بن عمرو التيمي:

أمّا بعد: فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جند مجنّدة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب وسأل الرسل عن الناس، ثمّ كتب مع هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله؛ وكانا آخر الرسل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من الحسين بن عليّ، إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين

أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فاقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى.

وأنا باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي «مسلم بن عقيل»، فإن كتب إليَّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذلك لله. والسلام.

الفصل الثالث عشر

في بيان إرساله عليه السلام ابن عمّه السيّد الجليل، والكهف النبيل، الشهيد القتيل، مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وبيان شهادته عليه السلام

قال الشيخ المفيد رحمه الله في تتمّة كلامه المتقدّم: ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي، وأمره بالتقوى، وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى النّاس مجتمعين مستوسقين، عجّل إليه بذلك.

فأقبل مسلم رحمه الله حتّى أتى المدينة، فصلّى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وودّع من أحبّ من أهله، واستأجر دليلّين من قيس، فأقبلا به يتنكّبان الطريق، فضلاً عن الطريق وأصابهما عطش شديد، فعجزا عن السير، فأومأ له إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم بن عقيل ذلك السنن ومات الدليلان عطشاً، فكتب مسلم بن عقيل رحمه الله من الموضع المعروف بالمضيق مع قيس بن مسهر:

أمّا بعد، فإنّي أقبلت من المدينة مع دليلين، فحادا عن الطريق، فضلاً واشتدّ علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتّى انتهينا إلى الماء، فلم ننج إلاّ بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يُدعى المضيق من بطن الخبت، وقد تطيّرت من توجّهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري، والسلام.

فكتب إليه الحسين عليه السلام:

أمّا بعد: فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليَّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجّهتك له إلاّ الجبن، فامض لوجهك الذي وجّهتك فيه، والسلام.

فلمّا قرأ مسلم الكتاب قال: أمّا هذا فلست أتخوّفه على نفسي، فأقبل حتّى مرّ بماء لطيّ، فنزل ثمّ ارتحل عنه، فإذا رجل يرمي الصيد، فنظر إليه قد رمى ظبياً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم بن عقيل: نقتل عدوّنا إن شاء الله، ثمّ أقبل حتّى دخل الكوفة فنزل في دار المختار ابن أبي عبيدة، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلّما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون، وبايعه النّاس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.

فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً ويأمره بالقدوم، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل رحمه الله حتّى علم بمكانه، فبلغ النعمان بن بشير ذلك، وكان والياً على الكوفة من قِبل معاوية فأقرّه يزيد عليها، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد: فاتّقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيها تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال، إنّي لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا آتي على من لم يأت عليَّ، ولا أنبّه نائمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقرف[1] ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم؛ فوالله الذي لا إله غيره لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي ناصر.

أما أنّي أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يرديه الباطل.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضومي حليف بني أميّة فقال له: إنّه لا يصلح ما ترى أيّها الأمير إلاّ الغشم[2]، وهذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأي المستضعفين.

فقال له النعمان: لأنّ أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليَّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، ثمّ نزل وخرج عبد الله بن مسلم وكتب إلى يزيد بن معاوية:

أمّا بعد: فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن عليّ بن أبي طالب، فإن يك لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويّاً ينفّذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعّف.

ثمّ كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثمّ كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقّاص مثل ذلك، فلمّا وصلت الكتب إلى يزيد «لعنه الله» دعا سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك، إنّ الحسين قد أنفذ إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، وقد بلغني عن النعمان ضعفٌ وقول سيّئ، فمن ترى أن استعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد.

فقال له سرجون: أرأيت لو نشر لك معاوية حيّاً، ما كنت آخذاً برأيه؟

قال: بلى، فأخرج سرجون عهد عبيد الله على الكوفة، وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضمّ المصرين إلى عبيد الله.

فقال له يزيد: افعل، ابعث بعهد عبيد الله بن زياد إليه ثمّ دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكتب إلى عبيد الله معه:

---

(١) القرف: البغي.
(٢) الغشم: الظلم.

أمّا بعد: فإنّه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشقّ عصا المسلمين، فصرْ حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخزرة حتّى تثقفه[1] فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام.

وسلّم إليه عهده على الكوفة، فخرج مسلم بن عمرو حتّى قدم على عبيد الله بن زياد البصرة، وأوصل إليه العهد والكتاب، فأمر عبيد الله بالجهاز من وقته والمسير والتهيّؤ إلى الكوفة من الغد، ثمّ خرج من البصرة فاستخلف أخاه عثمان.

وقال السيّد ابن طاووس في كتابه «اللهوف» بعد ذلك: وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه سليمان ويكنّى أبا رزين يدعوهم إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم يزيد بن مسعود النهشلي، والمنذر بن الجارود العبدي، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا قال: يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ، أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدّمت فيه فرطاً.

قال: فإنّي قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه، فقالوا: إنّا والله نمنحك النصيحة، ونحمد لك الرأي، فقل نسمع.

فقال: إنّ معاوية مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أن قد أحكمه، وهيهات والذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم مع قصر حلم، وقلّة علم لا يعرف من الحقّ موطئ قدمه، فأقسم بالله قسماً مبروراً، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن عليّ، ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أوْلى بهذا الأمر لسابقته، وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة، ولا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس أنخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرته، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلاّ أورثه الله الذلّ في ولده والقلّة في عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

---

(١) تثقفه: تصادفه.

فتكلّمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد، نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلاّ خضناها، ولا تلقى والله شدّة إلاّ لقيناها، ننصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئت.

وتكلّمت بنو سعد بن زيد فقالوا: يا أبا خالد، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا، وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، ولا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ظعنت، والأمر إليك، فادعنا نجبك، ومُرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد، لئن فعلتموها، لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثمّ كتب إلى الحسين عليه السلام:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أمّا بعد: فقد وصل إليَّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وأنّ الله لم يخل الأرض قطّ من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها، وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذلّلت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشدّ تتابع في طاعتك من الإبل الظماء لورد الماء يوم خمسها، وقد ذلّلت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين أستهلّ برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين الكتاب قال: مالك، آمنك الله يوم الخوف، وأعزّك وأرواك يوم العطش. فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع من انقطاعه عنه.

وأمّا المنذر بن الجارود فإنّه جاء بالكتاب والرسول إلى عبيد الله بن زياد؛ لأنّ المنذر خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيد الله، وكانت بحرية بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد، فأخذ عبيد الله الرسول فصلبه، ثمّ صعد المنبر فخطب وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الإرجاف، ثمّ بات تلك الليلة، فلمّا أصبح استناب عليهم أخاه عثمان وأسرع هو إلى قصد الكوفة.

قال المفيد رحمه الله: وأقبل ابن زياد إلى الكوفة ومع مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن

الأعور الحارثي وحشمه وأهل بيته حتّى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثّم، والنّاس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين رأوا عبيد الله أنّه الحسين عليه السلام، فأخذ لا يمرّ على جماعة من النّاس إلاّ سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه، فقال مسلم بن عمرو لمّا أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد «لعنه الله» وسار حتّى وافى القصر بالليل ومعه جماعة قد التفّوا به لا يشكّون أنّه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير عليه وعلى خاصّته، فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فاطّلع عليه النعمان وهو يظنّه الحسين، فقال: أنشدك الله إلاّ تنحّيت، والله ما أنا بمسلّم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من إرث، فجعل لا يكلّمه، ثمّ إنّه دنا، وتدلّى النعمان من شرف القصر فجعل يكلّمه، فقال: افتح لا فتحت، فقد طال ليلك، وسمعها إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتّبعوه من أهل الكوفة على أنّه الحسين، فقال: يا قوم، ابن مرجانة والذي لا إله غيره، ففتح له النعمان، فدخل وضربوا الباب في وجوه النّاس، وانفضّوا، وأصبح فنادي في النّاس الصلاة جامعة.

فاجتمع النّاس، فخرج إليهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين يزيد ولاني مصركم وثغركم وفيأكم، وأمرني بإنصاف المظلومين، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليتّق امرؤ على نفسه، الصدق ينبي عليك لا الوعيد.

ثمّ نزل وأخذ العرفاء والنّاس أخذاً شديداً، فقال: اكتبوا إلى العرفاء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من أهل الحروريّة وأهل الريب الذين شأنهم الخلاف والنفاق والشقاق، ثمّ يجاء بهم لنرى رأينا، فمن يجيء لنا بهم فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا من في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا دمه وماله، وأيّما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا، صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء.

ولمّا سمع مسلم بن عقيل رحمه الله مجيء عبيد الله إلى الكوفة ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والنّاس، خرج من دار المختار حتّى انتهى إلى دار هانئ بن عروة فدخلها، فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ على تستّر واستخفاء من عبيد الله، وتواصوا بالكتمان.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» وغيره: إنّه لمّا دخل مسلم الكوفة سكن في دار سالم ابن المسيّب، فبايعه أثنى عشر ألف رجل، فلمّا دخل ابن زياد «لعنه الله» انتقل من دار سالم إلى دار هانئ في جوف الليل، ودخل في أمانه، وكان يبايعه النّاس حتّى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل، فعزم على الخروج، فقال هانئ: لا تعجل، وكان شريك بن الأعور الهمداني جاء

من البصرة مع عبيد الله بن زياد «لعنه الله»، فمرض فنزل دار هانئ أيّاماً، ثمّ قال لمسلم: إنّ عبيد الله يعودني، وإنّي مطاوله الحديث، فاخرج إليه بسيفك واقتله، وعلامة ذلك أن أقول: اسقوني ماءً، فأتاه ابن زياد عائداً وبعد ساعة طلب الماء، فأراد مسلم الخروج فقال هانئ لمسلم: إنّي لا أحبّ أن يُقتل في داري.

وفي رواية أخرى: قال مسلم: هممت بالخروج فتعلّقت فيَّ امرأة، وقالت: نشدتك الله أن قتلت ابن زياد في دارنا، وبكت في وجهي، فرميت السيف وجلست. قال هانئ: يا ويلها! قتلتني وقتلت نفسها، والذي فررت منه وقعت فيه.

وفي رواية أخرى: إنّه قال له شريك: ما منعك عن قتله؟

قال: خصلتان؛ أمّا إحداهما فكراهية هانئ أن يُقتل في داره، وأمّا الأخرى: فحديث حدّثته النّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن، فقال له هانئ: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً.

وفي رواية ابن شهرآشوب: إنّه لمّا دخل ابن زياد على شريك وسأله عن وجعه وطال سؤاله، ورأى أن أحداً لا يخرج فخشي على أن يفوته فأخذ يقول شعراً:

ما الانتظار بسلمى أن تحيّيها ... كأس المنيّة بالتعجيل اسقوها

فتوهّم ابن زياد وخرج.

قال المفيد في «الإرشاد»: ودعا ابن زياد «لعنه الله» مولى له يقال له: معقل، فقال له: خذ ثلاثة آلاف درهم واطلب مسلم بن عقيل، والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحد منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم، وقل: استعينوا بها على حرب عدوّكم، وأعلمهم أنّك منهم، فإنّك لو قد أعطيتهم إيّاها لقد اطمأنّوا إليك، ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم، ثمّ أغد عليهم ورح حتّى تعرف مستقرّ مسلم بن عقيل، وتدخل عليه.

ففعل ذلك وجاء حتّى جلس إلى مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم وهو يصلّي، فسمع قوماً يقولون: هذا يبايع للحسين عليه السلام، فجاء وجلس إلى جنبه حتّى فرغ من صلاته، ثمّ قال: يا عبد الله، إنّي امرؤ من أهل الشام أنعم الله عليَّ بحبّ أهل البيت وحبّ من أحبّهم، وتباكى له، وقال: معي ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنّه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنت أريد لقاءه، فلم أجد أحداً يدلّني عليه، ولا أعرف مكانه، فإنّي لجالس في المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإنّي أتيتك لتقبض منّي هذا المال، وتدخلني على صاحبك، فإنّي أخ من إخوانك، وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه، فقال له ابن عوسجة: احمد الله على لقائك إيّاي، فقد سرّني ذلك لتنال الذي تحبّ ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه عليه

وعليهم السلام، ولقد ساءني معرفة النّاس إيّاي بهذا الأمر قبل أن يتمّ مخافة هذا الطاغية وسطوته.

قال له معقل: لا يكون إلاّ خيراً، خذ البيعة عليَّ، فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلّظة ليناصحنّ وليكتمنّ، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثمّ قال له: اختلف إليَّ أيّاما في منزلي فإنّي طالب لك الإذن على صاحبك، وأخذ يختلف مع النّاس، فطلب له الإذن فأذن، فأخذ مسلم ابن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي بقبض المال منه، وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين بعضهم بعضاً، ويشتري لهم السلاح، وكان بصيراً وفارساً من فرسان العرب ووجوه الشيعة، وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أوّل داخل وآخر خارج حتّى فهم ما احتاج إليه ابن زياد «لعنه الله» من أمرهم، فكان يخبره وقتاً فوقتاً، وخاف هانئ بن عروة عبيد الله على نفسه، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانياً؟

فقالوا: هو شاكٍ، فقال: لو علمت بمرضه لعدته، ودعا محمّد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن الحجّاج الزبيدي، وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانئ، وهي أم يحيى بن هانئ، فقال لهم: ما يمنع هانئ من إتياننا؟

فقالوا: ما ندري، وقد قيل إنّه يشتكي، قال: بلغني أنّه قد برئ، وهو يجلس على باب داره، فالقوه ومروه أن لا يدع ما عليه من حقّنا، فإنّي لا أحبّ أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

فأتوه حتّى وقفوا عليه عشيّة وهو جالس على بابه، وقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير، فإنّه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنّه شاكٍ لعدته؟ فقال لهم: الشكوى تمنعني، فقالوا: قد بلغه أنّك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا، فدعا بثيابه فلبسها، ثمّ دعا ببغلته فركبها، حتّى إذا دنا من القصر كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذي كان، فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: يا ابن الأخ، إنّي والله من هذا الرجل لخائف، فما ترى؟

فقال: يا عمّ والله ما أتخوّف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلاً، ولم يكن حسّان يعلم في أيّ شيء بعث إليه عبيد الله، فجاء هانئ حتّى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده القوم، فلمّا طلع قال عبيد الله: أتتك بحائن[1] رجلاه، فلمّا دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي، التفت نحوه وقال:

أريدُ حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

---

(١) الحائن: الأحمق، والذي حضر أجله.

وقد كان أوّل ما قدم مكرماً له ملطفاً به، فقال له هانئ: وما ذاك أيّها الأمير؟

قال: إيهٍ يا هانئ بن عروة، ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين، جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليَّ؟

قال: ما فعلت ذلك وما مسلم عندي.

قال: بلى، قد فعلت، فلمّا كثر بينهما الكلام وأبى هانئ إلاّ مجاحدته ومنا كرته دعا ابن زياد معقلاً ذلك اللعين، فجاء حتّى وقف بين يديه، فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هانئ عند ذلك أنّه كان عيناً عليهم، وأنّه قد أتاه بأخبارهم، فاسقط في يده ساعة، ثمّ راجعته نفسه، فقال: اسمع منّي وصدّق مقالتي، فوالله لا كذبت، والله ما دعوته إلى منزلي ولا علمت بشيء من أمره حتّى جاءني يسألني النزول، فاستحييت من ردّه، ودخلني من ذلك ذمام، فضيّفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فإن شئت أن أُعطيك الآن موثقاً مغلظاً أن لا أبغيك سوءاً ولا غائلة، ولآتينّك حتّى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتّى آتيك، وانطلق إليه، فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره؟

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني أبداً حتّى تأتيني به.

قال: لا والله لا أجيئك به أبداً. أجيئك بضيفي تقتله.

قال: والله لتأتينّي به.

قال: والله لا آتيك به.

فلمّا كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهليّ وليس بالكوفة شاميّ ولا بصريّ غيره، فقال: أصلح الله الأمير، خلّني وإيّاه حتّى أكلّمه، فقام فخلا به ناحية من ابن زياد وهما عنه بحيث يراهما، فإذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان، فقال له مسلم: يا هانئ أنشدك الله أن لا تقتل نفسك، وأن لا تدخل البلاء في عشيرتك، فوالله إنّي لأنفسُ بك عن القتل. إنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم[1]، وليسوا قاتليه، ولا ضائريه، فادفعه إليهم، فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنّما تدفعه إلى السلطان.

فقال هانئ: والله إنّ عليَّ في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي، وأنا حيّ صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلاّ واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه

---

(١) يقصد به مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

حتّى أموت دونه، فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً، فسمع ابن زياد «لعنه الله» ذلك، فقال: أدنوه منّي، فأدنوه منه، فقال: والله لتأتينّي به أو لأضربّن عنقك.

فقال هانئ: إذاً والله لتكثر البارقة حول دارك.

فقال ابن زياد: والهفاه عليك، أبالبارقة تخوّفني - وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه - ثمّ قال: أدنوه منّي، فأدنوه منه فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخدّه حتّى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته، ونثر لحم جبينه وخدّه على لحيته، حتّى كسر القضيب وضرب هانئ يده على قائم سيف شرطيّ وجاذبه الرجل ومنعه.

فقال عبيد الله: أحروريّ[1] سائر اليوم؟ قد حلّ دمك، جرّوه، فجرّوه فألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، فقال: اجعلوا عليه حرساً، ففُعل ذلك به، فقام إليه حسّان بن أسماء بن خارجة فقال: أرُسُل غدرٍ سائرَ اليوم؟ أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتّى إذا جئناك به هشّمت أنفه ووجهه وسيّلت دماءه على لحيته، وزعمت أنّك تقتله؟!

فقال له عبيد الله، وإنّك لها هنا، فأمر به فلهز وتعتع[2] وأجلس ناحية.

فقال محمّد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنّما الأمير مؤدّب. وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانئاً قُتل، فأقبل في مذحج حتّى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثمّ نادي: أنا عمرو بن الحجّاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قُتل، فأعظموا ذلك.

فقيل لعبيد الله بن زياد «لعنه الله» هذه مذحج بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ اخرج وأعلمهم أنّه حيّ لم يُقتل.

فدخل شريح فنظر إليه فقال هانئ لمّا رأى شريحاً: يالله، يا للمسلمين، أهلكت عشيرتي، أين أهل الدين؟ أين أهل المصر؟ والدماء تسيل على لحيته إذ سمع الرجّة على باب القصر، فقال: إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إنّه إن دخل عليَّ عشرة نفر أنقذوني، فلمّا سمع كلامه شريح خرج إليهم فقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه كلامكم ومقالتكم في صاحبكم، أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله، باطل.

فقال له عمرو بن الحجّاج وأصحابه: أمّا إذا لم يُقتل، فالحمد لله، ثمّ انصرفوا، فخرج

---

(١) حروراء: قرية بقرب الكوفة، كانت معقل الخوارج، قصد له بالقول أنك خارجي.
(٢) الهز: ضرب بجمع اليد في الصور. تعتع: أي حركه بعنف.

عبيد الله بن زياد «لعنه الله» فصعد المنبر ومعه أشراف النّاس وشرطته وحشمه، فقال: أمّا بعد: أيّها النّاس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم، ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا. إنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر، ثمّ ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النظّارة المسجد من قِبل باب التمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق أبوابه.

قال عبد الله بن حازم: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هانئ، فلمّا ضُرب وحُبس ركبت فرسي، فكنت أوّل داخل الدار على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه، يا ثكلاه، فدخلت على مسلم فأخبرته الخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ بهم الدور حوله، فكانوا فيها أربعة آلاف رجل، فقال لمناديه: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت، فتنادي أهل الكوفة واجتمعوا عليه، فعقد مسلم «رحمه الله» لرؤوس الأرباع: كندة ومذحج وتميم وأسد ومضر وهمدان، وتداعى النّاس واجتمعوا، فما لبثنا إلاّ قليلاً حتّى امتلأ المسجد من النّاس والسوق وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكثر عمله أن يمسك باب القصر، وليس معه في القصر إلاّ ثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون رجلاً من أشراف النّاس وأهل بيته وخاصّته، وأقبل من نأى عنه من أشراف الناس يأتونه من قبل الباب الذي يلي دار الروميّين، وجعل من في القصر مع ابن زياد «لعنه الله» يشرفون عليهم فينظرون إليهم وهم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويفترون على عبيد الله وعلى أمّه.

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير في الكوفة ويخذّل النّاس عن ابن عقيل، ويخوّفهم الحرب، ويحذّرهم عقوبة السلطان.

وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فمن أطاعه من كندة وحضرموت؛ فيرفع راية أمان لمن جاءه من النّاس.

وقال مثل ذلك للقعقاع الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجّار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وجلس باقي وجوه النّاس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من النّاس، فخرج كثير بن شهاب يخذّل النّاس عن مسلم، وخرج محمّد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، فبعث ابن عقيل إلى محمّد بن الأشعث عبد الرحمن بن شريح الشبامي.

فلمّا رأى ابن الأشعث كثرة من أتاه تأخّر عن مكانه، وجعل محمّد بن الأشعث وكثير بن شهاب والقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي يردّون النّاس عن اللحوق بمسلم ويخوّفوهم السلطان حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد «لعنه الله» من قِبل دار الروميّين، ودخل القوم معهم، فقال كثير بن شهاب: أصلح الله الأمير، معك في

القصر ناس كثير من أشراف النّاس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فأخرج بنا إليهم.

فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء وأخرجه، وأقام النّاس مع ابن عقيل يكثرون حتّى المساء وأمرهم شديد، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثمّ أشرفوا على النّاس، فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم وصول الجند من الشام إليهم، وتكلّم كثير بن شهاب حتّى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيّها النّاس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن تمّمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام، وأن يأخذ البريء منكم بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له بقيّة من أهل المعصية إلاّ أذاقها وبال ما جنت أيديها، وتكلّم الأشراف بنحو من ذلك.

فلمّا سمع النّاس مقالتهم أخذوا يتفرّقون، وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، النّاس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً تأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ، انصرف. فيذهب به فينصرف، فما زالوا يتفرّقون حتّى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلاّ ثلاثون نفساً في المسجد.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلاّ أولئك النفر خرج من المسجد متوجّهاً إلى أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلاّ ومعه عشرة، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان يدلّه، فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق ولا يدلّه على منزله ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه متلدّداً في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني جبلة من كندة.

فمضى حتّى أتى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع النّاس وأمّه قائمة تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت عليه السلام.

فقال لها: يا أمة الله، اسقيني ماءاً، فسقته وجلس، وأدخلت الإناء ثمّ خرجت، فقالت: يا عبد الله، ألم تشرب؟ قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت.

ثمّ أعادت مثل ذلك، فسكت، ثمّ قالت له في الثالثة: سبحان الله، يا عبد الله قم - عافاك الله إلى أهلك - فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك، فقام وقال: يا أمة الله، ما لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة، فهل لك في أجرٍ ومعروفٍ، ولعلّي مكافيك بعد اليوم؟

قالت: يا عبد الله وما ذاك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني.

قالت: أنت مسلم، قال: نعم.

قالت: ادخل، فدخل إلى بيت في دارها غير البيت التي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال لها: والله إنّه ليريبني كثرة دخولك إلى هذا البيت منذ الليلة، إنّ لك لشأناً؟

قالت له: يا بنيّ، إله عن هذا، قال: والله لتخبريني.

قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألحّ عليها.

فقالت: يا بنيّ لا تخبرن أحداً من النّاس بشيء ممّا أخبرك به، قال: نعم، فأخذت عليه الأيمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت.

ولمّا تفرّق النّاس عن مسلم بن عقيل رحمه الله طال على ابن زياد، وجعل لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمع قبل ذلك، فقال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً، فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروهم لعلّهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، فنزعوا تخاتج[1] المسجد، وجعلوا يحفظونه بشعل النّار في أيديهم وينظرون، فكانت أحياناً تضيء لهم وأحياناً لا تضيء كما يريدون، فدلّوا القناديل وأطنان القصب تشدّ بالحبال فيها النيران، ثمّ تدلّى حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعل ذلك بالظلّة التي فيها المنبر، فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد بتفرّق القوم، ففتح باب السدّة التي في المسجد ثمّ خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادي: ألا برئت الذمّة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلّى العتمة إلاّ في المسجد، فلم يكن إلاّ ساعة حتّى امتلأ المسجد من النّاس، ثمّ أمر مناديه فأقام الصلاة وأقام الحرس خلفه، وأمرهم بحراسته من أن يدخل إليه من يغتاله، وصلّى بالنّاس، ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإن ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته. اتّقوا عباد الله، وألزموا الطاعة وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

يا حصين بن نمير، ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة وخرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكك، وأصبح غداً

---

(١) التخاتج: جمع تختج، معرب تخته، أي نزعوا الاخشاب عن سقف المسجد لينظروا هل فيه أحد منهم.

فاستبرئ الدور وجسّ خلالها حتّى تأتيني بهذا الرجل، وكان الحصين بن نمير على شرطه، وهو من بني تميم، ثمّ دخل ابن زياد «لعنه الله» وقد عقد لعمرو بن حريث راية، وأمّره على النّاس، فلمّا أصبح جلس مجلسه وأذن للنّاس فدخلوا عليه، وأقبل محمّد بن الأشعث فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولا يتهم، ثمّ أقعده إلى جنبه.

وأصبح ابن تلك العجوز فغدا إلى عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمّه، فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارّه، فعرف ابن زياد سراره، فقال له ابن زياد في جنبه بالقضيب: قم فأتني به الساعة، فقام وبعث معه قومه: لأنّه قد علم أنّ كلّ قوم يكرهون أن يصاب فيهم مثل مسلم بن عقيل، وبعث معه عبيد الله بن عبّاس السلمي في سبعين رجلاً من قيس حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل رحمه الله.

فلمّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنّه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمري بضربتين، فضرب بكر فم مسلم فقطع شفته العليا، وأسرع السيف في السفلى، وفصلت له ثنيّتاه، وضرب مسلم رأسه ضربة منكرة، وثنّاه بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع إلى جوفه، فلمّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت وأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطنان القصب ثمّ يلقونها عليه من فوق البيت، فلمّا رأى ذلك خرج عليهم مصلتاً بسيفه في السكّة، فقال له محمّد بن الأشعث: لك الأمان، لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمتُ لا أقتل إلاّ حُرّاً ... وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا
ويخلط البارد سخناً مرّاً ... ردّ شعاع الشمس فاستقرّا
كلّ امرئ يوماً ملاقٍ شرّاً ... أخاف أن أكذب أو أغرّا

فقال له محمّد بن الأشعث: إنّك لا تكذب ولا تُغرّ ولا تخدع، إنّ القوم بنو عمّك وليسوا بقاتليك ولا ضائريك، وكان قد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال، فانتهز وأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فأعاد ابن الأشعث عليه القول: لك الأمان، فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، فقال للقوم الذين معه: أليَ الأمان؟ قالوا: بلى، إلاّ عبيد الله بن العبّاس السلمي فإنّه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل وتنحّى.

وفي رواية السيّد ابن طاووس: إنّه لمّا قَتل مسلم منهم جماعة ناداه محمّد بن الأشعث: يا مسلم، لك الأمان، فقال مسلم: وأيّ أمان للغدرة الفجرة، ثمّ أقبل يقاتلهم ويرتجز بأيات حمران بن مالك المتقدّمة، فناداه: إنّك لا تُكذب ولا تُغرّ، فلم يلتفت إلى ذلك، وتكاثروا عليه بعد أن أثخن بالجراح، فطعنه رجل من خلفه فخرّ إلى الأرض.

رجعنا إلى رواية المفيد رحمه الله: فقال له مسلم: أما لو لم تؤمنوني، ما وضعت يدي في أيديكم، وأتي ببغلة فحمل عليها واجتمعوا حوله، ونزعوا سيفه، فكأنّه عند ذلك يئس من نفسه، فدمعت عيناه ثمّ قال: هذا أوّل الغدر.

فقال له محمّد بن الأشعث: أرجو أن لا يكون عليك بأس.

قال: وما هو إلاّ الرجاء، أين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى.

فقال له عبيد الله بن العبّاس: إنّ من يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك؟

فقال: والله إنّي ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكنّي أبكي لأهلي المقبلين، إنيّ أبكي للحسين وآل حسين.

ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إنّي أراك والله ستعجز عن أماني، فهل عندك خير تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يُبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلاّ وقد خرج اليوم أو خارجاً غداً وأهل بيته، ويقول له: إنّ ابن عقيل بعثني إليك، وهو أسير في أيدي القوم، لا يرى أنه يمسي حتّى يُقتل، وهو يقول لك: أرجع فداك أبي وأمّي بأهل بيتك ولا يغرّك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل. إنّ أهل الكوفة قد كذّبوك وليس لمكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلنّ ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد أمنتك، وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر، واستأذن فأذن له، فدخل على عبيد الله بن زياد «لعنه الله» فأخبره خبر ابن عقيل، وضرب بكر إيّاه، وما كان من أمانه له.

فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان، كأنّا أرسلناك لتؤمنه! إنّما أرسلناك لتأتينا به، فسكت ابن الأشعث، وانتهى بابن عقيل إلى باب القصر، وقد اشتدّ به العطش، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، فيهم: عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب، وإذا قلّة باردة موضوعة على الباب، فقال مسلم: اسقوني من هذا الماء.

فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها، لا والله لا تذوق منها أبداً حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم.

فقال له ابن عقيل: ويحك! من أنت؟

فقال: أنا الذي عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال له ابن عقيل: لأمّك الثكل، ما أجفاك وأقطعك وأقسى قلبك، أنت يا ابن باهلة أوّلى بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي.

ثمّ جلس فتساند إلى حائط وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فأتاه بقلّة عليها منديل وقدح، فصبّ فيه ماء فقال له: اشرب، فأخذ كلّما شرب امتلأ دماً من فمه، ولا يقدر على أن يشرب، ففعل ذلك مرّتين، فلمّا ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته، وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله، فلمّا دخل لم يسلّم عليه بالإمرة، فقال له الحرسيّ: ألا تسلّم على الأمير؟

فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي فليكثرنّ سلامي عليه.

فقال له ابن زياد «لعنه الله»: لعمري لتقتلنّ، قال: كذلك؟ قال: نعم.

قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي؟

قال: افعل، فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله بن زياد «لعنه الله» وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهي سرّ، فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله بن زياد «لعنه الله»: لِمَ تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟ فقام معه حيث ينظر إليهما ابن زياد فقال: إنّ عليّ بالكوفة دَيناً استدنته منذ قدمت الكوفة، سبعمائة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عنّي، وإذا قُتلت فاستوهب جثّتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يردّه، فإنّي قد كتبت إليه أعلمه أنّ النّاس معه، ولا أراه إلاّ مقبلاً.

فقال عمر لابن زياد «لعنه الله»: أتدري أيّها الأمير ما قال لي، إنّه ذكر كذا وكذا.

فقال ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن. أمّا ماله فهو له، ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحبّ، وأمّا جثّته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها، وأمّا حسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده، ثمّ قال ابن زياد «لعنه الله»: إيه ابن عقيل أتيت النّاس وهم جمع فشتّتّ بينهم، وفرّقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض؟

قال: كلاّ لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى الكتاب.

فقال له ابن زياد «لعنه الله»: وما أنت وذاك يا فاسق، لِمَ لم تعمل فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟

قال مسلم: أنا أشرب الخمر؟ أما والله إنّ الله ليعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق، وأنّك قد قلت بغير علم، وأنّي لست كما ذكرت، وأنّك أحقّ بشرب الخمر منّي وأوّلى بها من يلغ في

دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويسفك الدم الذي حرّم الله سفكه على الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد «لعنه الله»: يا فاسق، إنّ نفسك تمنّيك ما حال الله دونه؛ ولم يرك الله له أهلاً؟

فقال مسلم: فمن أهله إن لم نكن نحن أهله؟

فقال له ابن زياد «لعنه الله»: أمير المؤمنين يزيد.

فقال مسلم: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من النّاس.

فقال له مسلم: أما أنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وأنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المُثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحد أوّلى بها منك.

فأقبل ابن زياد «لعنه الله» يشتمه ويشتم الحسين وعليّاً وعقيلاً عليهم السلام، وأخذ مسلم لا يكلّمه، ثمّ قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثمّ أتبعوه جسده.

فقال مسلم رحمه الله: والله لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتني.

فقال ابن زياد «لعنه الله»: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف، فدعي بكر بن حمران الأحمري، فقال له: اصعد، فلتكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به، وهو يكبّر ويستغفر الله ويصلّي على رسوله صلى الله عليه وآله، ويقول: اللّهمّ أحكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذّبونا وخذلونا، واشرفوا به على موضع الحذّائين اليوم، فضُرب عنقه وأتبع رأسه جثّته عليه السلام.

وفي رواية ابن طاووس: إنّه ضرب عنقه ونزل مذعوراً، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ فقال: أيّها الأمير، رأيت ساعة قتلته رجلاً أسود سيّيء الوجه حذّائي، عاضّاً على إصبعه - أو قال: شفتيه - ففزعت فزعاً لم أفزعه قطّ.

فقال ابن زياد «لعنه الله»: لعلّك دهشت.

وفي رواية أخرى: إنّه لمّا شاهد ذلك قبل أن يقتله يبست يده، فلمّا أُخبر ابن زياد «لعنه الله» بذلك دعاه واستعلم منه ذلك، فتبسّم وقال: لمّا أردت أن تفعل خلاف عادتك دهشت وتخيّل لك ذلك، فأرسل ابن زياد رجلاً غيره إلى أعلى القصر، فلمّا أراد قتله رأى النبيّ صلى الله عليه وآله قد تصوّر له، فدهش ومات من ساعته، فأرسل ابن زياد الشامي الملعون، فقتله.

قال المفيد رحمه الله: فقام محمّد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد «لعنه الله» فكلّمه في هانئ بن عروة، فقال: إنّك قد عرفت موضع هانئ من المصر وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أنّي وصاحبي سقناه إليك، وأنشدك الله لمّا وهبته لي، فإنّي أكره عداوة المصر وأهله، فوعده أن

يفعل، ثمّ بدا له وأمر بهانئ في الحال، فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه، فأخرج هانئ حتّى أتي به إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يقول: وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم، يا مذحجاه! يا مذحجاه! أين مذحج!

فلمّا رأى أنّ أحداً لا ينصره، جذب يده فنزعها من الكتاف، ثمّ قال: أما من عصى أو سكّين أو حجارة أو عظم يحاجز به رجل عن نفسه، ووثبوا إليه فشدّوه وثاقاً، ثمّ قيل له: امدد عنقك، فقال: ما أنا بها سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي، فضربه مولىً لعبيد الله بن زياد تركيّ يقال له رشيد بالسيف، فلم يصنع شيئاً، فقال له هانئ: إلى الله المعاد. اللّهمّ إلى رحمتك ورضوانك، ثمّ ضربه أخرى فقتله؛ وفي مسلم وهانئ يقول عبد الله بن الزبير الأسديّ شعراً في رثائهما:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئٍ في السوق وابن عقيلِ
إلى بَطلٍ قد هشّم السيفُ وجههُ ... وآخر يهوي من جدار قتيلِ
أصابَهما أمرُ اللعين فأصبحا ... أحاديث من يسري بكلّ سبيلِ
تَرَي جسداً قد غيّرَ الموتُ لونَه ... ونضح دمٍ قد سالَ كلّ مسيلِ
فتىً كانَ أحيا من فتاةٍ حييّة ... وأقطع من ذي شفرتين صقيلِ
أيركبُ أسماء الهماليج آمناً ... وقد طالبتهُ مذحج بذحولِ
تَطوف حواليهِ مرادٌ وكلّهم ... على رقبة من سائلٍ ومسولِ
فإن أنتم لم تثأروا لأخيكمُ ... فكونوا بغايا أرضِيت بقليلِ

ولمّا قتل مسلم وهانئ بعث ابن زياد «لعنه الله» برأسيهما مع هانئ بن أبي حبّة الوادعيّ والزبير بين أروح التميمي إلى يزيد بن معاوية «لعنه الله»، وأمر كاتبه أن يكتب إلى يزيد بما كان من أمر مسلم وهانئ، فكتب الكاتب، وهو عمرو بن نافع، فأطال فيه، وكان أوّل من أطال في الكتب، فلمّا نظر فيه عبيد الله كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول، اكتب:

أمّا بعد: فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه، وكفاه مؤونة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أنّ مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وإنّي جعلت عليهما المراصد والعيون، ودسست إليهما الرجال، وكدتهما حتّى أخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هانئ بن أبي حيّة والزبير بن الأروح، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحبّ من أمرهما، فإنّ عندهما علماً وورعاً وصدقاً. والسلام.

فكتب إليه يزيد:

أمّا بعد: فإنّك لم تعد أن كنت كما أحبّ، عملت عمل الحازم، وصُلت صولة الشجاع

الرابط الجأش، وقد أغنيت وكفيت، وصدّقت ظنّي ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك وسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجّه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح فاحترس واحبس على الظنّة، واقتل على التهمة، واكتب إليَّ في كلّ يوم ما يحدث من خير إن شاء الله.

ثمّ أمر بنصب الرأسين على باب دمشق، وكان خروج مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة سنة ستّين، وقُتل يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة.

الفصل الرابع عشر

في بيان توجّه الحسين عليه السلام إلى العراق، وما جرى عليه من أهل الكفر والنفاق

روى الشيخ في «الإرشاد»، والسيّد ابن طاووس في كتاب «اللهوف»، والشيخ جعفر بن محمّد بن نما في كتاب «مثير الأحزان»، والسيّد محمّد بن أبي طالب الحائري: إنّ الحسين عليه السلام توجّه إلى مكّة في ثالث شعبان سنة ستّين، وأقام بمكّة بقيّة شعبان ورمضان وشوّال وذي القعدة، يعبد الله تعالى، وكان قد اجتمع إلى الحسين عليه السلام مدّة مقامه بمكّة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، انضافوا إلى أهل بيته ومواليه.

ولمّا أراد الحسين عليه السلام التوجّه إلى العراق طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة؛ لأنّه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكّة، فينفذ إلى يزيد «لعنه الله»، فخرج عليه السلام مبادراً بأهله وولده وممن انضمّ إليه من شيعته ولم يكن خبر مسلم بلغه.

وفي جملة من الروايات المعتبرة عن الصادق عليه السلام: إنّ الحسين عليه السلام كان يعلم أنّهم لا يجعلوه متمكّناً من الحجّ، فعدل إلى العمرة المفردة، وأتمّ العمرة وخرج من مكّة في سابع ذي الحجّة.

وقال بعضهم: «إنّه خرج في يوم عرفة».

وقال السيّد ابن طاووس: توجّه الحسين عليه السلام من مكّة لثلاث مضين من ذي الحجّة سنة ستّين قبلا أن يعلم بقتل مسلم؛ لأنّه عليه السلام خرج من مكّة في اليوم الذي قُتل فيه مسلم.

وروي: إنّه عليه السلام لمّا عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

«الحمدُ لِلهِ، وَما شاءَ الله، ولاَ حولَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ، وصلّى الله على رَسولهِ وسلّم، خُطَّ الموتُ على ولدِ آدمَ مخطَّ القلادةِ على جيدِ الفتاةِ، وما أولَهني إلى أسلافي اشتياق يَعقوب إلى يوسف وخيَّرَ لي مصرَعٌ أنا لاقيهِ، كأنّي بأوصالي يتقطَّعها عَسلانُ الفلواتِ بين النواويس وكربلا، فيملأنَ منّي أكراشاً جوّفاً، وأجربةً سُغباً لا محيصَ عن يومٍ خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبرُ على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين، لن يشذَّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمتهُ وهيّ مجموعةٌ له في حظيرةِ القدس، تقرّ بهم عينهُ، وينجزُ لهم وَعده، مَن كان فينا باذلاً

مُهجتَهُ، موطّناً على لقاء الله نفسَهُ، فليرحَل معنا، فإنّي راحلٌ مُصبحاً إن شاء الله».

وروي أيضاً عن الواقدي وزرارة بن صالح، قالاً: لقينا الحسين بن عليّ عليه السلام قبل خروجه إلى العراق بثلاثة أيّام، فأخبرناه بهوى النّاس بالكوفة، وأنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه فأومى بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء ونزلت الملائكة عدداً لا يحصهم إلاّ الله تعالى، فقال عليه السلام: لولا تقارب الأشياء، وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي ولا ينجو منهم إلاّ ولدي عليّ.

قال: ورويت بالإسناد عن أحمد بن داود القمّي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء محمّد بن الحنفيّة إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها عن مكّة، فقال له: يا أخي، إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحالِ من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه، فقال: يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفيّة: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع النّاس به، ولا يقدر عليك أحد. فقال: انظر فيما قلت، فلمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفيّة فأتاه فأخذ بزمام ناقته وقد ركبها، فقال: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك فقال: يا حسين، اخرج، فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال محمّد بن الحنفيّة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

قال: فقال: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا، فسلّم عليه ومضى.

قال: وجاء عبد الله بن العبّاس وعبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمرٍ وأنا ماضٍ فيه.

قال: فخرج ابن العبّاس وهو يقول: واحسيناه، ثمّ جاء عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال، وحذّره من القتل والقتال، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله تعالى أنّ رأس يحيى بن زكريّا أهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل الله عليهم، بل أخذهم بعد ذلك

أخذ عزيز ذي انتقام، اتَّقِ الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدع نصرتي.

وروى الشيخ المفيد وغيره عن الفرزدق أنّه قال: حججت بأمّي في سنة ستّين، فبينما أنا أسوق بعيرها حتّى دخلت الحرم، إذ لقيت الحسين عليه السلام خارجاً من مكّة معه أسيافه وتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن عليّ، فأتيته وسلّمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأمّلك فيما تحبّ، بأبي أنت وأمّي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحجّ؟

قال: لو لم أعجّل لأخذت، ثمّ قال لي: مَن أنت؟

قلت: رجل من العرب، ولا والله ما فتّشني عن أكثر من ذلك، ثمّ قال لي: أخبرني عن النّاس خلفك؟ فقلت: الخبير سألت: قلوب النّاس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

قال: صدقت، لله الأمرّ من قَبلُ ومن بعدُ، وكلّ يوم ربّنا هو في شأنٍ، إنّ نزلَ القضاءُ بما نُحبّ فنحمد الله على نعمائِهِ وهو المستعانُ على أداء الشكر، وإن حالَ القضاء دونَ الرجاء فلم يبعد مَن كان الحقَّ نيّتهُ والتقوى سيرته.

فقلت له: أجل، بلّغك الله ما تحبّ وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك فأخبرني بها وحرّك راحلته، وقال: السلام عليك، ثمّ افترقنا.

وكان الحسين عليه السلام لمّا خرج من مكّة اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص ومعه جماعة أرسلهم إليه عمرو بن سعيد، فقالوا له: انصرف، إلى أين تذهب؟ فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان، واضطربوا بالسياط، فامتنع الحسين عليه السلام وأصحابه امتناعاً قويّاً، وسار حتّى أتى التنعيم، فلقي عيداً قد أقبلت من اليمن، فاستأجر من أهلها جمالاً لرحله ولأصحابه، وقال لأصحابه: من أحبّ أن ينطلق معنا إلى العراق وفّيناه كراه، وأحسنّا صحبته، ومن أحبّ أن يفارقنا في بعض الطريق أعطيناه كراه على قدر ما قطع من الطريق.

فمضى معه قوم وامتنع آخرون، وألحقه عبد الله بن جعفر بابنيه: عون ومحمّد، وكتب على أيديهما كتاباً يقول فيه:

أمّا بعد: فإنّي أسألك بالله لمّا انصرفت حين تنظر في كتابي هذا، فإنّي مشفق عليك من هذا التوجّه الذي توجّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، ولا تعجل بالسير، فإنّي في أثر كتابي، والسلام.

وصار عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد فسأله أن يكتب إلى الحسين عليه السلام أماناً ويمنّيه ليرجع عن وجهه، وكتب إليه عمرو بن سعيد كتاباً يمنّيه فيه الصلة، يؤمّنه على نفسه، وأنفذه مع

يحيى بن سعيد، فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر بعد نفوذ ابنيه ودفعا إليه الكتاب وجهدا به في الرجوع، فقال: إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأمرني بما أنا ماضٍ له، فقالوا له: ما تلك الرؤيا؟

فقال: ما حدّثت أحداً بها ولا أنا محدّث فيها أحداً حتّى ألقى ربّي عز وجل، فلمّا يئس منه عبد الله بن جعفر أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد إلى مكّة وتوجّه الحسين عليه السلام إلى العراق مغذّاً لا يلوي إلى شيء حتّى نزل ذات عرق.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة عن السجّاد عليه السلام: إنّه عليه السلام وأصحابه لمّا نزلوا الثعلبيّة، ورد عليه رجل يقال له بشر بن غالب فقال: يا ابن رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال: إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النّار، وهو قوله عز وجل: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وفي رواية أخرى: إنّه عليه السلام سأله عن أحوال أهل الكوفة، فقال: قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أميّة، فقال عليه السلام: يفعل الله ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد.

وروى الكليني في «الكافي» عن الحكم بن عيينة، قال: لقي رجل الحسين بن عليّ عليه السلام بالثعلبيّة وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلّم عليه، فقال له الحسين: من أيّ البلاد؟ قال: من أهل الكوفة.

قال: أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا، ونزوله بالوحي على جدّي. يا أخا أهل الكوفة، أيستقي النّاس العلم من عندنا فعلموا وجهلنا هذا ما لا يكون.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة: ثمّ سار حتّى نزل العذيب، فقال فيها قائلة الظهر ثمّ انتبه من نومه باكياً.

فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبتِ؟

فقال: يا بنيّ، إنّها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا، وأنّه عرض لي في منامي عارض فقال: تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنّة.

وقال السيّد وابن نما: ثمّ سار حتّى نزل الثعلبيّة وقت الظهيرة، فوضع رأسه فرقد، ثمّ استيقظ فقال: قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنّة.

فقال له ابنه عليّ: يا أبتِ، أفلسنا على الحقّ؟

فقال: بلى يا بنيّ والذي مرجع العباد إليه.

فقال: يا أبتِ، إذاً لا نبالي بالموت.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله يا بنيّ خير ما جزى ولداً عن والد.

ثمّ بات عليه السلام في الموضع فلمّا أصبح فإذا برجل من أهل الكوفة يكنّى أبا هرّة الأزدي قد أتاه فسلّم عليه، ثمّ قال: يا ابن رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدّك محمّد صلى الله عليه وآله؟

فقال الحسين عليه السلام: ويحك أبا هرّة، إنّ بني أميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسنّهم الله ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهم، فحكمت في أموالهم ودمائهم.

وقال السيّد محمّد بن أبي طالب: واتّصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة بأنّ الحسين عليه السلام توجّه إلى العراق، فكتب إلى ابن زياد «لعنه الله»:

أمّا بعد: فإنّ الحسين قد توجّه إلى العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فاحذر يا ابن زياد أن تأتي إليه بسوء فتهيّج على نفسك وقومك أمراً في هذه الدنيا لا يصدّه شيء، ولا تنساه الخاصّة والعامّة أبداً ما دامت الدنيا، فلم يلتفت ابن زياد «لعنه الله» إلى كتاب الوليد.

وروى المشايخ المشار إليهم «رحمهم الله»: إنّه لمّا بلغ عبيد الله بن زياد «لعنه الله» إقبال الحسين من مكّة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتّى نزل القادسيّة، ونظّم الخيل ما بين القادسيّة إلى خفان، وما بين القادسيّة إلى القطقطانيّة، وقال للنّاس: هذا الحسين يريد العراق، ولمّا بلغ الحسين عليه السلام الحاجر من بطن الرمّة بعث قيس بن مسهر الصيداوي، ويقال: إنّه بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر إلى أهل الكوفة، ولم يكن عليه السلام علم بخبر مسلم بن عقيل، وكتب معه إليهم:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من الحسين بن عليّ، إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين

سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد: فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر،

وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم، وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكان مسلم كتب إليه قبل أن يُقتل بسبع وعشرين ليلة، وكتب إليه أهل الكوفة أنّ لك هاهنا مائة ألف سيف، ولا تتأخّر، فأقبل قيس بن مسهر بكتاب الحسين عليه السلام.

قال السيّد رحمه الله: فلمّا قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير ليفتّشه، فأخرج الكتاب ومزّقه، فحمله الحصين إلى ابن زياد «لعنه الله»، فلمّا مثل بين يديه قال: من أنت؟

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنه عليهما السلام.

قال: فلماذا خرّقت الكتاب؟ قال: لئلاّ تعلم ما فيه؟

قال: وممّن الكتاب وإلى مَن؟ قال: من الحسين بن عليّ إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم.

فغضب ابن زياد «لعنه الله» وقال: والله لا تفارقني حتّى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر وتلعن الحسين بن عليّ وأباه وأخاه، وإلاّ قطّعتك إرباً إرباً.

فقال قيس: أمّا القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأمّا لعنة الحسين وأبيه وأخيه، فأفعل، فصعد المنبر وحمد الله وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وأكثر من الترحّم على عليّ وولده، ثمّ لعن عبيد الله بن زياد وأباه، ولعن عتات بني أميّة عن آخرهم، ثمّ قال: أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم، وقد خلّفته بموضع كذا، فأجيبوه.

قال المفيد: فأمر به عبيد الله بن زياد «لعنه الله» أن يرمى من فوق القصر، فرمي به فتقطّع.

وروي: إنّه وقع إلى الأرض مكتوفاً فتكسّرت عظامه وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فقيل له في ذلك وعيب عليه، فقال: أردت أن أريحه.

ثمّ أقبل الحسين عليه السلام من الحاجر يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي وهو نازل به، فلمّا رأى الحسين عليه السلام قام إليه، فقال: بأبي أنت وأمّي يا بن رسول الله، ما أقدمك؟ واحتمله وأنزله.

فقال له الحسين عليه السلام: كان من موت معاوية ما قد بلغك، وقد كتب أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.

فقال له عبيد الله بن مطيع: أذكّرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تُهتك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، والله لئن طلبت ما في أيدي بني أميّة

ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنّها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأتِ الكوفة ولا تعرّض نفسك لبني أميّة، فأبى الحسين عليه السلام إلاّ أن يمضي، وكان عبيد الله بن زياد «لعنه الله» أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريقة الشام وإلى طريق البصرة، فلا يَدَعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج، فأقبل الحسين عليه السلام لا يشعر بشيء حتّى لقي الأعراب فسألهم، فقالوا: لا والله ما ندري غير أنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، فسار تلقاء وجهه عليه السلام.

وحدّث جماعة من فزارة ومن بجيلة قالوا: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة، وكنّا نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض علينا من أن ننازله في منزل، وإذا سار الحسين عليه السلام ونزل في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله، فينزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب.

فبينا نحن جلوس نتغذّى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين حتّى سلّم ثمّ دخل، فقال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه، فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتّى كأنّما على رؤوسنا الطير.

فقالت له امرأته - وقال السيّد: وهي دلهم بنت عمرو - : سبحان الله! ليبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ لا تأتيه، لو أتيته فسمعت كلامه ثمّ انصرفت، فأتاه زهير بن القين، فلما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله فقوّض، وحمل إلى الحسين عليه السلام، ثمّ قال لامرأته: أنت طالق، إلحقي بأهلك، فإنّي لا أحبّ أن يصيبك إلاّ خيراً.

وزاد السيّد: وقد عزمت على صحبة الحسين لأفديه بروحي، وأقيه بنفسي، ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودّعته، وقالت: خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين.

قال المفيد: ثم قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتّبعني وإلاّ فهو آخر العهد، إنّي سأحدّثكم حديثاً: غزونا البحر ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان رحمه الله: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم.

فقال: إذا أدركتم سيّد شباب آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه ممّا أصبتم اليوم من الغنائم، أمّا أنا فاستودعكم الله، قالوا: ثمّ والله ما زال في القوم مع الحسين عليه السلام حتّى قُتل رحمه الله.

وفي «مناقب ابن شهرآشوب»: لمّا نزل عليه السلام الخزيميّة أقام بها يوماً وليلة، فلمّا أصبح أقبلت إليه أخته زينب فقالت: يا أخي، ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟

فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟

فقالت: خرجت في بعض الليل لقضاء حاجة فسمعت هاتفاً يهتف وهو يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدي ومن يبكي على الشهداء بَعدي
على قومٍ تسوقُهم المنايا بمقدار إلى إنجاز وعدِ

فقال لها الحسين عليه السلام: يا أختاه، كلّ الذي قضي فهو كائن.

وقال المفيد رحمه الله: وروى عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديّان، قالاً: لما قضينا حجّتنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعَين حتّى لحقناه بزرود، فلمّا دنونا منه، إذا نحن برجل من الكوفة وقد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين كأنّه يريده، ثمّ تركه ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: أذهب بنا إلى هذا لنسأله، فإنّ عنده خبر الكوفة، فمضينا حتّى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك، فقال: وعليكما السلام.

قلنا: ممّن الرجل؟ قال: أسديّ.

قلنا له: ونحن أسديّان، فمن أنت؟

قال: أنا بكر بن فلان، فانتسبنا له.

ثمّ قلنا له: أخبرنا عن النّاس وراءك؟ قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيتهما يُجرّان من أرجلهما في السوق.

فأقبلنا حتّى لحقنا بالحسين فسايرناه حتّى نزل الثعلبيّة ممسياً، فجئناه حين نزل، فسلّمنا عليه، فردّ علينا السلام، فقلنا له: يرحمك الله، إنّ عندنا خبراً إن شئت حدّثناك به علانية، وإن شئت سرّاً.

فنظر إلينا وإلى أصحابه ثمّ قال: ما دون هؤلاء سرّ.

فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته عشيّة أمس؟

فقال: نعم، قد أردت مسألته.

فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدق وعقل، وأنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم وهانئ، ورآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما.

فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما يردّد ذلك مراراً.

فقلنا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هذا، وأنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك.

فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون، فقد قُتل مسلم.

فقالوا: والله ما نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق.

فأقبل عليه السلام علينا فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، فعلمنا أنّه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا: خار الله لك.

قال: يرحمكم الله، فقال له أصحابه: إنّك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان النّاس إليك أسرع، فسكت.

وقال السيّد ابن طاووس: أتاه خبر مسلم في زبالة، ثمّ إنّه سار فلقيه الفرزدق فسلّم عليه، ثمّ قال: يا ابن رسول الله، كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته؟ قال: فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً ثمّ قال: رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيّته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا، ثمّ أنشأ يقول:

فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسةً ... فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن تكن الأبدان للموتِ أنشِئت ... فقتل امرئٍ بالسيف في الله أفضلُ
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلّة حرص المرء في الرزق أجملُ
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروكٍ به الحرّ يبخلُ

قال المفيد: ثمّ انتظر حتّى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء فاستسقوا وأكثروا، ثمّ ارتحلوا، فسار حتّى انتهى إلى زبالة فأتاه خبر عبد الله بن يقطر.

قال السيّد: فاستعبر باكياً ثمّ قال: اللّهمّ أجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك إنّك على كلّ شيء قدير.

قال المفيد رحمه الله: فأخرج للنّاس كتاباً فقرأه عليهم:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أمّا بعد: فإنّه أتانا خبر فضيع، قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج، ليس عليه ذمام.

فتفرّق النّاس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً، حتّى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه، وإنّما فعل ذلك لأنّه علم عليه السلام أنّ الأعراب الذين اتّبعوا إنّما اتّبعوه وهم يظنّون أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها، فكره أن يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون على ما يقدمون، فلمّا كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماءً وأكثروا، ثمّ سار حتّى مرّ ببطن العقبة، فنزل عليها، فلقيه شيخ من بني عكرمة يقال له عمرو بن لوذان، قال له: أين تريد؟

قال له الحسين عليه السلام: الكوفة، فقال له الشيخ: أنشدك الله لمّا انصرفت، فوالله ما تقدم إلاّ على الأسنّة وحدّ السيوف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطّأوا لك الأشياء فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحالة التي تذكر، فإنّي لا أرى لك أن تفعل.

فقال: يا عبد الله، ليس يخفى عليَّ الرأي، ولكنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره، - ثمّ قال عليه السلام - والله لا يدعونني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ فرق الأمم.

ثمّ سار عليه السلام من بطن العقبة حتّى نزل شراف، فلمّا كان السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء وأكثروا، ثمّ سار حتّى انتصف النهار، فبينما هو يسير إذ كبّر رجل من أصحابه فقال له الحسين عليه السلام: الله أكبر، لِمَ كبَرت؟

فقال: رأيت النخل، قال جماعة ممّن صحبه: والله إنّ هذا المكان ما رأينا فيه نخلة قطّ.

فقال الحسين عليه السلام: فما ترونه؟ قالوا: والله نراه أسنّة الرماح وآذان الخيل.

فقال: وأنا والله أرى ذلك - ثمّ قال عليه السلام: - ما لنا ملجأ نلجأ إليه ونجعله في ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد؟ فقلنا له: بلى، هذا ذو حسم[1] إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك، فإن سبقت إليه فهو كما تريد، فأخذ إليه ذات اليسار، وملنا معه، فما كان أسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، فتبيّنا وعدلنا، فلمّا رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب[2] وكأنّ راياتهم أجنحة الطير، فاستبقنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه، وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضربت، وجاء القوم زهاء ألف فارس مرع الحرّ بن يزيد التميمي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة والحسين وأصحابه معتمّون متقلّدو أسيافهم.

فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً، ففعلوا وأقبلوا يملأون القصاع والطساس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبت فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقي آخر، حتّى سقوها عن آخرها.

فقال عليّ بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذٍ فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية، والراوية عندنا: السقا، ثمّ

---

(١) ذو حسم: اسم جبل بنواحي الكوفة.

(٢) اليعاسيب: الجريدة من النخل؛ وهي السعفة الخالية من الخوص.

قال: يا ابن الأخ، أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقا.

قال الحسين عليه السلام: أخنث السقا - أي أعطفه - فلم أدر كيف أفعل، فقام عليه السلام فخنثه فشربت وسقيت فرسي، وكان مجيء الحرّ بن يزيد من القادسيّة، وكان عبيد الله بن زياد بعث الحصين بن نمير، وأمره أن ينزل القادسيّة، وتقدّم الحرّ بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم الحسين عليه السلام، فلم يزل الحرّ مواقفاً للحسين حتّى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام الحجّاج بن مسروق أن يؤذّن، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس، إنّي لمْ آتِكم حتّى أتتني كُتُبكم، وقَدُمت عليَّ رُسُلكم أنْ أقدم علينا فليس لنا إمامٌ لعلّ الله يجمعنا وإيّاكم على الهدى والحقّ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإنْ لم تفعلوا وكنتم لِمَقدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي جئتُ منه إليكم.

فسكتوا عنه ولم يتكلّموا كلمة، فقال للمؤذّن: أقم، فأقام الصلاة، فقال للحرّ: أتريد أن تصلّي بأصحابك؟

فقال الحرّ: لا، بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك، فصلّى بهم الحسين عليه السلام، ثمّ دخل فاجتمع عليه أصحابه وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه، فدخل خيمة قد ضُربت له، فاجتمع إليه خمسمائة من أصحابه، وعاد الباقون إلى صفّهم الذي كانوا فيه، ثمّ أخذ كلّ رجل منهم بعنان فرسه وجلس في ظلّها، فلمّا كان وقت العصر أمر الحسين عليه السلام أن يتهيّأوا للرحيل، ففعلوا، ثمّ أمر مناديه فنادي بالعصر، وأقام، فاستقدم الحسين عليه السلام وقام فصلّى بالقوم ثمّ سلّم وانصرف إليهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أمّا بعدُ أيّها النّاس: فإنّكم إنْ تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكنْ أرضى لله عنكم، ونحنُ أهلُ بيتِ محمّد صلى الله عليه وآله أوّلى بولايةِ هذا الأمرِ عليكم من هؤلاء المدّعينَ ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجورِ والعُدوان، فإنْ أبيتم إلاّ الكراهة أو الجهل بحقّنا، وكانَ رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدُمَت عليَّ به رُسُلكم انصرفتُ عنكم.

فقال الحرّ: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل الذي تذكر.

فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه: يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليَّ، فأخرج خرجين مموّلين صحفاً، فنثرت بين يديه، فقال له الحرّ: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا أنّا إذا لقيناك لا نفارقك حتّى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: الموت أدنى إليك من ذلك، ثمّ قال لأصحابه: قوموا فاركبوا فركبوا، فانتظر حتّى ركّب نساءه فقال لأصحابه: انصرفوا، فلمّا ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف.

فقال الحسين عليه السلام للحرّ: ثكلتك أمّك، ما تريد؟

فقال له الحرّ: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمّه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلى ذكر أمّك سبيل إلاّ بأحسن ما نقدر عليه.

فقال له الحسين عليه السلام: فما تريد؟

قال: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد.

فقال: إذاً والله لا أتبعك.

فقال: إذاً والله لا أدعك، فترادّا القول ثلاث مرّات.

فلمّا كثر الكلام بينهما قال له الحرّ: إنّي لم أؤمر بقتالك، إنّما أمرت أن لا أفارقك حتّى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة، يكون بيني وبينك نصفاً حتّى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فلعلّ الله أن يرزقني العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك، فخذ هاهنا، فتياسر عن طريق العذيب والقادسيّة، وسار الحسين عليه السلام وسار الحرّ في أصحابه يسايره وهو يقول له: يا حسين، إنّي أذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ.

فقال له الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوّفني، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنّك مقتول.

فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مُسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وودّع مجرما
فإن عشتُ لم أندم وإن متُّ لم ألم ... كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرغما

فلمّا سمع الحرّ ذلك تنحّى عنه، فكان يسير بأصحابه ناحية، والحسين عليه السلام في ناحية، حتّى انتهوا إلى عذيب الهجانات.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة عن زين العابدين عليه السلام: إنّه لمّا بلغ عبيد الله بن زياد «لعنه الله» الخبر، وأنّ الحسين قد نزل الرهيمة، فأسرى إليه الحرّ بن يزيد في ألف فارس.

قال الحرّ: فلمّا خرجت من منزلي متوجّهاً نحو الحسين عليه السلام نوديت ثلاثاً: يا حرُّ، أبشر بالجنّة، فالتفتّ فلم أرَ أحداً، فقلت: ثكلت الحرّ أمّه، يخرج إلى قتال ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويبشّر بالجنّة، فرهقه عند صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام ابنه فأذّن وأقام، وقام الحسين فصلّى بالفريقين جميعاً، فلمّا سلّم وثب الحرّ بن يزيد فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال الحسين عليه السلام: وعليك السلام، من أنت يا عبد الله؟

فقال: أنا الحرّ بن يزيد، فقال: يا حرّ، أعلينا أم لنا؟

فقال الحرّ: والله يا ابن رسول الله لقد بعثت لقتالك، وأعوذ بالله أن أحشر أنا من قبري وناصيتي مشدودة إليّ، ويديّ مغلولة إلى عنقي، وأكبّ على حرّ وجهي في النّار، يا ابن رسول الله، أين تذهب؟ ارجع إلى حرم جدّك، فإنّك مقتول.

فقال الحسين عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى

إلى آخر الأبيات السابقة.

ثمّ سار الحسين عليه السلام حتّى نزل القطقطانيّة، فنظر إلى فسطاط مضروب، فقال لمن هذا الفسطاط؟ فقيل لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، فأرسل إليه الحسين عليه السلام، فقال: أيّها الرجل، إنّك مذنب خاطئ، وإنّ الله عز وجل آخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتنصرني فيكون جدّي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى.

فقال: يا ابن رسول الله، والله لو نصرتك لكنت أوّل مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك، فوالله ما ركبته قطّ وأنا أروم شيئاً إلاّ بلغته، ولا أرادني أحد إلاّ نجوت عليه، فدونك فخذه، فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه ثمّ قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنت متّخذ المضلّين عضداً، ولكن فسر فلا لنا ولا علينا، فإنّه من سمع واعيتنا أهل البيت أكبّه الله على وجهه في نار جهنّم.

قال المفيد رحمه الله: ثمّ أمر الحسين عليه السلام بالرحيل، فارتحل من قصر بني مقاتل، فقال عقبة بن سمعان: فسرنا معه ساعة، فخفق عليه السلام على ظهر فرسه خفقة ثمّ انتبه وهو يقول: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون، الحمد لله ربّ العالمين**، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين فقال: ممّ حمدت الله واسترجعت؟

قال: يا بنيّ، إنّي خفقت خفقة فعنّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا.

فقال له: يا أبتِ، لا أراك الله سوءً، ألسنا على الحقّ؟

قال: بلى والله الذي مرجع العباد إليه.

فقال: أما إذاً ما نبالي أن نموت محقّين.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناده عن ابن عبد ربّه، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا صعد الحسين بن عليّ عليه السلام عقبة البطن قال لأصحابه: ما أراني إلاّ مقتولاً، قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله؟ قال: رؤيا رأيتها في المنام، قالوا: وما هي؟ قال: رأيت كلاباً تنهشني أشدّها عليَّ كلب أبقع.

وبإسناده عن طلحة بن زيد، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن الحسين عليه السلام، قال: قال: والذي نفس حسين بيده، لا يهنئ بني أميّة ملكهم حتّى يقتلوني وهم قاتليّ، فلو قد قتلوني لم يصلّوا جميعاً أبداً، ولم يأخذوا عطاءً في سبيل الله جميعاً أبداً. إنّ أوّل قتيل هذه الأمّة أنا وأهل بيتي، والذي نفس حسين بيده لا تقوم الساعة وعلى الأرض هاشميّ يطرف.

وروى المفيد في «الإرشاد» عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً وما ارتحل منه إلاّ ذكر يحيى بن زكريّا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله عز وجل أنّ رأس يحيى بن زكريّا أهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل.

وفي رواية أخرى: «وسيهدي رأسي إلى ابن الزانية يزيد بن معاوية».

رجعنا إلى تتمّة كلام المفيد السابق، قال: فلمّا أصبح نزل وصلّى بهم الغداة، ثمّ عجّل الركوب، وأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتّى انتهوا إلى نينوى بالمكان الذي نزل به الحسين عليه السلام، فإذا راكب على نجيب له، عليه سلاح، متنكّباً قوساً، مقبلاً من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه.

فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ وأصحابه ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: أمّا بعد: فجعجع بالحسين حين بلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلاّ بالعراء في غير خضرة وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري. والسلام

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحرّ: هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرني أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني كتابه، وهذا رسوله، وقد أمره أن لا يفارقني حتّى أنفّذ أمره فيكم،

فنظر يزيد بن المهاجر الكندي - وكان مع الحسين عليه السلام - إلى رسول ابن زياد فعرفه، فقال له: ثكلتك أمّك، ماذا جئت فيه؟ قال: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي.

فقال له ابن المهاجر: بل عصيت ربّك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، وكسبت العار والنّار، وبئس الإمام إمامك. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١] فإمامك منهم، وأخذهم الحرّ بالنزول في ذلك المكان على غير ماءٍ ولا في قرية.

فقال له الحسين عليه السلام: دعنا - ويحك - ننزل هذه القرية أو هذه - يعني نينوى والغاضريّة - أو هذه - يعني شفيثة[1] - قال: لا والله لا أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إليَّ عيناً عليَّ.

فقال له زهير بن القين: إنّي والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلاّ أشدّ ممّا ترون. يا ابن رسول الله، إنّ قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري يأتينا من بعدهم ما لا قِبل لنا به.

فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال، ثمّ نزل ذلك اليوم، وكان ذلك اليوم يوم الخميس، وهو اليوم الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين.

وفي رواية ابن شهرآشوب: يوم الأربعاء أو الخميس.

وقيل: إنّ ذلك كان في اليوم الثامن من المحرّم.

وفي مناقب ابن شهرآشوب: ثمّ كتب الحرّ إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بكربلاء؛ وكتب ابن زياد إلى الحسين:

أمّا بعد يا حسين، فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسّد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية. والسلام

فلمّا ورد كتابه إلى الحسين عليه السلام وقرأه، رماه من يده ثمّ قال: لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق.

فقال له الرسول: جواب الكتاب أبا عبد الله؟

فقال: ما له عندي جواب؛ لأنّه قد حقّت عليه كلمة العذاب.

فرجع الرسول إليه فخبّره بذلك، فغضب عدوّ الله من ذلك أشدّ الغضب، والتفت إلى عمر بن سعد وأمره بقتال الحسين، وقد كان ولاّه الريّ قبل ذلك، فاستعفى عمر من ذلك، فقال له

---

(١) الظاهر أنها البلدة المعروفة اليوم «شفاثا» قرب كربلاء.

ابن زياد: فاردد إلينا عهدنا، فاستمهله، ثمّ قَبِل بعد يوم خوفاً عن أن يعزل عن ولاية الريّ.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناده عن عبد العزيز، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب الحسين بن عليّ عليه السلام من مكّة إلى محمّد بن عليّ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من الحسين بن عليّ إلى محمّد بن عليّ ومَن قِبله من بني هاشم

أمّا بعد: فكأنّ الدنيا لم تكن، وكأنّ الآخرة لم تزل والسلام.

وفي رواية ابن طاووس: «فقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

إنّه قد نزلَ من الأمرِ ما قدْ تَرونَ، وأنَّ الدُّنْيا تغيّرت وتنكّرت وأدبرَ مَعرُوفها، ولم يبق منها إلاّ صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيس عيشٍ كالمرعى الوَبيل، ألا ترونَ إلى الحقّ لا يُعملُ بهِ، وإلى الباطلِ لا يُتناهي عنهُ، ليرغَبَ المؤمن في لقاءِ ربّهِ مُحقّاً مُحقّاً، فإنّي لا أرى الموتَ إلاّ سعادةٌ، والحياةَ مع الظالمينَ إلاّ برماً.

فقام زهير بن القين فقال: قد سمعنا - هداك الله - يا ابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.

قال ابن شهرآشوب: ووثب إلى الحسين عليه السلام **هلال بن نافع البجلي** فقال: يا ابن رسول الله، أنت تعلم أنّ جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدر أن يُشرب النّاس محبّته، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحبّ، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأمرّ من الحنظل، حتّى قبضه الله إليه، وأنّ أباك عليّاً عليه السلام قد كان في مثل ذلك، فقوم أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتّى أتاه أجله، فمضى إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضرّ إلاّ نفسه، والله مغنٍ عنه، فسر بنا راشداً معافىً مشرّقاً إن شئت، وإن شئت مغرّباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربّنا، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

ثمّ وثب إليه **برير بن خضير الهمداني** فقال: والله يا ابن رسول الله، لقد مَنّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، تقطّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة بين أيدينا، لا أفلح قوم ضيّعوا ابن بنت نبيّهم. أفَّ لهم غداً، ماذا يلاقون، ينادون بالويل والثبور في نار جهنّم.

قال: فجمع الحسين عليه السلام ولده وإخوته وأهل بيته ثمّ نظر إليهم، فبكى ساعة ثمّ قال:

اللهمّ إنّا عترة نبيّك محمّد ﷺ وقد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أميّة علينا. اللّهمّ فخذ لنا بحقّنا، وانصرنا على القوم الظالمين.

فرحل عن موضعه حتّى نزل في يوم الأربعاء - أو يوم الخميس - بكربلاء؛ وذلك في الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: النّاس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون.

وقال المفيد رحمه الله: فلمّا كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد «لعنه الله» من الكوفة في أربعة آلاف فارس، فنزل نينوى، فبعث إلى الحسين عليه السلام عروة بن قيس الأحمسي فقال: ائته فسله ما الذي جاء بك، وماذا تريد؟ وكان عروة ممّن كتب إلى الحسين عليه السلام، فاستحى منه أن يأتيه، فعرض ذلك على الرؤساء الذي كاتبوه وكلّمهم في ذلك؛ وكلّهم أبى ذلك وكرهه.

فقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي «لعنه الله»، وكان فارساً شجاعاً لا يردّ وجهه شيء فقال له: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لأفتكنّ به.

فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن تفتك به، ولكن ائته فسله ما الذي جاء به إلينا، فأقبل كثير إليه، فلمّا رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين عليه السلام: أصلحك الله يا أبا عبد الله، قد جاءك شرّ أهل الأرض وأجرأه على دم وأفتكه، وقام إليه فقال له: ضع سيفك، قال: لا والله ولا كرامة، إنّما أنا رسول، إن سمعتم كلامي بلّغتكم ما أرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم، قال: فإنّي آخذ بقائم سيفك، فتكلّم، قال: لا والله لا تمسّه، فقال: أخبرني بما جئت به وأنا أبلّغه عنك ولا أدعك تدنو منه، فإنّك فاجر، فاستسبّا، وانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر.

فدعا عمر بن سعد «لعنه الله» قرّة بن قيس الحنظلي فقال له: ويحك الق حسيناً فسله ما جاء به، وماذا يريد، فأتاه قرّة.

فلمّا رآه الحسين عليه السلام مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟

فقال حبيب بن مظاهر: هذا رجل من حنظلة تميم، وهو ابن أختنا، وقد كنت أعرفه بحسن الرأي، ما كنت أراه يشهد هذا المشهد، فجاء حتّى سلّم على الحسين عليه السلام وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، فقال له الحسين عليه السلام: كتب إليَّ أهل مصركم هذا، أن أقدم، فأمّا إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنكم.

فقال حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرّة، أين تذهب، إلى القوم الظالمين! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك الله بالكرامة؟ فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي، فانصرف إلى عمر بن سعد وأخبره الخبر، فقال عمر بن سعد: أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

وكتب إلى عبيد الله بن زياد:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أما بعد: فإنّي حيث نزلت بعثت إلى الحسين رسولي فسأله عمّا أقدمه وماذا يطلب، فقال: كتب إليَّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم يسألوني القدوم، ففعلت، فأمّا إذا كرهتموني وبدا لهم غير ما أتتني به كتبهم، فأنا منصرف عنهم.

قال حسّان بن قائد العبسي: وكنت عند عبيد الله بن زياد «لعنه الله» حين أتاه الكتاب، فلمّا قرأه قال:

الآن وقد علقت مخالبنا يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إلى عمر بن سعد «لعنه الله»:

أمّا بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام.

فلمّا ورد الكتاب بالجواب على عمر بن سعد قال: قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية.

وقال محمّد بن أبي طالب: فلم يعرض عمر بن سعد على الحسين عليه السلام ما أرسل به ابن زياد «لعنه الله» لأنّه علم أنّ الحسين عليه السلام لا يبايع يزيد أبداً.

قال: ثمّ جمع ابن زياد النّاس في جامع الكوفة، ثمّ خرج فصعد المنبر ثمّ قال: أيها الناس، إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حَسَن السيرة، محمود الطريقة، محسناً إلى الرعيّة، يعطي العطاء في حقّه، قد أمنت السبل على عهده، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده يكرم العباد ويغنيهم بالأموال ويكرمهم، وقد زاد في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفّرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوّه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا.

ثمّ نزل عن المنبر، ووفّر للنّاس العطاء، وأمرهم أن يخرجوا إلى حرب الحسين، ويكونوا عوناً لابن سعد على حربه، فأوّل من خرج شمر بن ذي الجوشن «لعنه الله» في أربعة آلاف، فصار ابن سعد في تسعة آلاف، ثمّ اتبعه يزيد بن ركاب الكلبي في ألفين، والحصين بن نمير في أربعة آلاف، وفلاناً المازني في ثلاثة آلاف، ونصر بن فلان في ألفين، فذلك عشرون ألفاً.

وفي بعض الروايات: فضيّق الأمر عليه، وحيل بينه وبين الماء، كما حيل بينه - أي الماء - وبين عثمان يوم حوصر.

وفي رواية «الأمالي»: إنّه أرسل إلى ابن سعد عبد الله بن الحصين التميمي في ألف فارس،

وشبث بن ربعي في ألف فارس، ومحمّد بن الأشعث بن قيس الكندي في ألف فارس، وكتب لعمر بن سعد أنّه أمير على النّاس، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوه.

رجعنا إلى رواية محمّد بن أبي طالب، قال: فما زال ابن زياد «لعنه الله» يرسل إلى ابن سعد بالعساكر حتّى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل، ثمّ كتب إليه ابن زياد «لعنه الله»: إنّي لم أجعل لك علّة في كثرة الخيل والرجال، فانظر ألاّ أصبح ولا أُمسي إلاّ وخبرك عندي غدوةً وعشية. وكان ابن زياد يستحثّ عمر بن سعد لستّة أيام مضين من المحرّم.

وأقبل حبيب بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله، هاهنا حيّ من بني أسد بالقرب منّا، أتأذن لي في المصير إليهم فأدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك؟ قال: قد أذنت لك.

فخرج حبيب إليهم في جوف الليل متنكّراً حتّى أتى إليهم، فعرفوه أنّه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك؟ فقال: إنّي قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم أتيتكم أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيّكم، فإنّه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه أبداً، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته، تنالوا بها شرف الدنيا والآخرة، فإنّي أقسم بالله لا يُقتل أحد منكم في سبيل الله مع ابن بنت رسول الله صابراً محتسباً إلاّ كان رفيقاً لمحمّد صلى الله عليه وآله في علّيّين.

قال: فوثب إليه رجل من بني أسد يقال له: عبد الله بن بشر، فقال: أنا والله أوّل من يجيب إلى هذه الدعوة، ثمّ جعل يرتجز ويقول:

قد علم القوم إذا تواكلوا أو أحجم الفرسان أو تناضلوا
إنّي شجاع بطلٌ مقاتلُ كأنّني ليث عرين باسل

ثمّ تبادر رجال الحيّ حتّى التئم منهم تسعون رجلاً، فأقبلوا يريدون الحسين عليه السلام، وخرج رجل في ذلك الوقت من الحيّ صار إلى عمر بن سعد «لعنه الله» فأخبره بالحال، فدعا عمر بن سعد برجل من أصحابه يقال له: الأزرق، فضمّ إليه أربعمائة فارس ووجّهه نحو حيّ بني أسد، فبينما أولئك القوم قد أقبلوا يريدون عسكر الحسين في جوف الليل إذ استقبلتهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات وبينهم وبين عسكر الحسين اليسير، فناوش القوم بعضهم بعضاً، واقتتلوا قتالاً شديداً، وصاح حبيب بن مظاهر بالأزرق: ويلك ما لك وما لنا؟ انصرف ودعنا يشقى بنا غيرك، فأبى الأزرق أن يرجع، وعلمت بنو أسد أنّه لا طاقة لهم بالقوم، فانهزموا راجعين إلى حيّهم، ثمّ إنّهم ارتحلوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد «لعنه الله» أن يبيّتهم، ورجع حبيب ابن مظاهر إلى الحسين عليه السلام فأخبره بذلك، فقال: **لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.**

قال: ورجعت خيل ابن سعد حتّى نزلوا على شاطئ الفرات، فحالوا بين الحسين عليه السلام

وأصحابه وبين الماء، وأضرّ العطش بالحسين وأصحابه، فأخذ الحسين عليه السلام فأساً وجاء إلى وراء خيمة النساء، فخطا في الأرض تسعة عشر خطوة نحو القبلة، ثمّ حفر هناك، فنبعت له عين من الماء العذب، فشرب الحسين عليه السلام وشرب النّاس بأجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثمّ غارت العين، فلم يرَ لها أثر، وبلغ ذلك ابن زياد «لعنه الله» فأرسل إلى عمر بن سعد: بلغني أنّ الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء، فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيّق عليهم، ولا تدعهم يذوقوا الماء، وافعل بهم كما فعلوا بالزكيّ عثمان، فعندها ضيّق عمر بن سعد عليهم غاية التضييق.

فلمّا اشتدّ العطش بالحسين عليه السلام دعا بأخيه العبّاس عليه السلام فضمّ إليه ثلاثين فارساً وبعث معه عشرين قربة، فأقبلوا في جوف الليل حتّى دنوا من الفرات، فقال عمرو بن الحجّاج: من أنتم؟

فقال رجل من أصحاب الحسين عليه السلام يقال له: هلال بن نافع البجلي: ابن عمّ لك جئت أشرب من هذا الماء.

فقال عمرو: اشرب هنيئاً.

فقال هلال: ويحكم كيف تأمرني أن أشرب والحسين بن عليّ ومن معه يموتون عطشاً؟

فقال عمرو: صدقت، ولكن أمرنا لابدّ أن ننتهي إليه، فصاح هلال بأصحابه، فدخلوا الفرات، وصاح عمرو بالنّاس، واقتتلوا قتالاً شديداً، فكان قوم يقاتلون وقوم يملأون القرب حتّى ملأوها ولم يُقتل من أصحاب الحسين عليه السلام أحد، ثمّ رجع القوم إلى معسكرهم، فشرب الحسين عليه السلام ومن كان معه، ولذلك يسمّى العبّاس عليه السلام السقّاء.

ثمّ أرسل الحسين إلى عمر بن سعد: إنّي أريد أن أكلّمك، فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرين وخرج إليه الحسين عليه السلام في مثل ذلك. فلمّا التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحّوا عنه وبقي معه أخوه العبّاس عليه السلام وابنه عليّ الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحّوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له.

فقال الحسين عليه السلام: ويلك يا ابن سعد، أما تتّقي الله الذي إليه معادك، أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنّه أقرب لك إلى الله تعالى.

فقال عمر بن سعد: أخاف أن تهدم داري.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

فقال: لي عيال وأخاف عليهم، فسكت ولم يجب إلى شيء.

فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: ما لك، ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك. فوالله إنّي لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق بعدي إلاّ يسيراً.

فقال ابن سعد: في الشعير كفاية عن البرّ، مستهزئاً بذلك القول.

وقال المفيد رحمه الله: وكتب ابن زياد «لعنه الله» إلى ابن سعد: لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنّيه السلامة والبقاء، ولا لتعتذر عنه، ولا لتكون له عندي شفيعاً. انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا، فابعث بهم إليَّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، فإن قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنّه عاتٍ ظلوم، ولست أدري أنّ هذا يضرّ بعد الموت شيئاً، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قد أمرناه بأمرنا، والسلام.

فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب ابن زياد «لعنه الله» إلى ابن سعد، فلمّا قدم عليه وقرأه قال له عمر: ما لك أ ويلك - لا قرّب الله دارك، وقبّح الله ما قدمت به عليّ، والله إنّي لأظنّك نهيته عمّا كتبت به إليه، وأفسدت علينا أمراً قد كنّا رجونا أن يُصلح، والله لا يستسلم حسين، إنّ نفس أبيه بين جنبيه.

فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك، وتقاتل عدوّه، وإلاّ تخلّ بيني وبينه وبين الجند والعسكر؟

قال: لا ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولّى ذلك، فدونك، فكن أنت على الرجّالة. ونهض عمر بن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام عشيّة الخميس لتسع مضين من المحرّم.

وجاء شمر «لعنه الله» حتّى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام وقال: أين بنو أختنا، فخرج إليه جعفر والعبّاس وعثمان بنو عليّ، فقالوا: ما تريد؟

فقال: أنتم يا بني أختي آمنون.

فقال له الفئة: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له.

ثمّ نادي عمر بن سعد: يا خيل الله، أركبي وأبشري، فركب النّاس، ثمّ زحف نحوهم بعد العصر والحسين عليه السلام جالس أمام بيته، محتبٍ بسيفه؛ إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته الصيحة، فدنت من أخيها وقالت: ما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت.

فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال: إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله الساعة في المنام وهو يقول لي: إنّك تروح إلينا، فلطمت أخته وجهها ونادت بالويل.

فقال لها الحسين عليه السلام: ليس لك الويل يا أختاه، اسكتي رحمك الله.

وفي رواية السيّد: قال: يا أختاه، إنّي رأيت الساعة جدّي محمّداً صلى الله عليه وآله، وأبي عليّاً، وأمّي فاطمة، وأخي حسناً، وهم يقولون: يا حسين، إنّك رائح إلينا من قريب - وفي بعض الروايات: غداً - فلطمت زينب على وجهها وصاحت، فقال لها الحسين عليه السلام: مهلاً لا تشمتي القوم بنا.

قال المفيد رحمه الله: فقال له العبّاس بن عليّ عليه السلام: يا أخي، أتاك القوم، فنهض، ثمّ قال: اركب أنت يا أخي حتّى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم، وما بدا لكم، وتسألهم عمّا جاء بهم؟

فأتاهم العبّاس عليه السلام في نحو من عشرين فارساً، وفيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العبّاس عليه السلام: ما بدا لكم، وما تريدون؟

قالوا: قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم؟

قال: فلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا فقالوا: ألقه واعلمه ثمّ ألقنا بما يقول لك.

فانصرف العبّاس عليه السلام راجعاً يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره الخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويعظونهم ويكفّونهم عن قتال الحسين عليه السلام، فجاء العبّاس إلى الحسين عليه السلام وأخبره بما قال القوم، قال: إرجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غد وتدفعهم عنّا العشيّ لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

فمضى العبّاس عليه السلام إلى القوم ورجع من عندهم ومعه رسول من قِبل عمر بن سعد «لعنه الله» يقول: إنّا قد أجّلناكم إلى غدٍ، فإن استسلمتم، سرّحنا بكم إلى عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا بتاركيكم، فانصرف وجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب الماء.

قال عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذا ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه:

أثني على الله أحسن الثناء، وأحمدهُ على السرّاء والضرّاء، اللّهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفهّمتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين.

أمّا بعدن فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ يوماً لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أذنتُ لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم حرجٌ منّي ولا ذِمام. هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا اللهُ ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ عليه السلام، واتّبعته الجماعة عليه فتكلّموا بمثله، ونحوه.

فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل، فاذهبوا أنتم، فقد أذنت لكم.

فقالوا: سُبحان الله، ما يقول النّاس عليه السلام إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمحٍ، ولم نضرب معهم بسيفٍ، ولا ندري ما صنعوا! لا والله ما نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ونقاتل معك حتّى نرِدَ موردك، فقبّح الله العيش بعدك.

وقام إليه **مسلم بن عوسجة**، فقال: أنحن نخلّي عنك، وبما نعتذر إلى الله في أداء حقّك؟ لا والله حتّى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخلّيك حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك.

أما والله لو علمتُ أنّي أقتل ثمّ أحيى، ثمّ أحرق ثمّ أحيى، ثمّ أذرّى، ثمّ يفعل ذلك بي سبعين مرّة، ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة؛ ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام **زهير بن القين** رحمه الله فقال: والله لوددت أنّي قتلت، ثمّ نشرت، ثمّ قتلت حتّى أقتل هكذا ألف مرّة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك، وتكلّم جماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد، فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً وانصرف إلى مضربه.

وفي رواية: إنّه عليه السلام أراهم مكانهم في الجنّة، فشاهدوا الحور والقصور وأيقنوا بذلك، فلهذا لم يحسّوا بألم السيوف والرماح.

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: إنّه لمّا امتحن الحسين عليه السلام ومن معه، بالعسكر الذين قتلوه وحملوا رأسه، قال لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم.

وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي، فإنّكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، ما لمقصود غيري، فدعوني والقوم، فإنّ الله عز وجل يعينني ولا يخليني من حسن نظره كعاداته في أسلافنا الطيّبين.

فأمّا عسكره ففارقوه، وأما أهله الأدنون من أقاربه فأبوا وقالوا: لا نفارقك، ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنّا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك.

فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه فاعلموا أنّ الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وأنّ الله وإن كان خصّني - مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا - من الكرامات بما يسهّل علَيَّ معها احتمال المكروهات، فإنّ لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقيّ من شقي فيها.

وقال السيّد ابن طاووس: وقيل لمحمّد بن بشير الحضرمي في تلك الحال: قد أسر ابنك بثغر الريّ، فقال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما أحبّ أن يؤسر وأنا أبقى بعده، فسمع الحسين عليه السلام قوله: فقال: رحمك الله، أنت في حلّ من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك، فقال: أكلتني السباع حيّاً إن فارقتك، قال: فأعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة عن عليّ بن الحسين عليه السلام: ثمّ إنّ الحسين عليه السلام أمر بحفيرة فحفرت حول عسكره شبه الخندق، وأمر فحشيت حطباً، وأرسل عليّاً ابنه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء وهم على وجل شديد، وأنشأ الحسين عليه السلام: يا دَهر أفَّ لك من خليل - إلى آخر ما يأتي - ثمّ قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم، وتوضّأوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم، الحديث.

وقال السيّد ابن طاووس: وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويٌّ كدويّ النحل ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً.

فلمّا كان الغداة أمر الحسين عليه السلام بفسطاط فضرب، وأمر بجفنة فيها مسك كثير، فجعل فيها نورة، ثمّ دخل ليطلي، فروي أنّ برير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري وقفا على باب الفسطاط ليطليا بعده، فجعل برير يضاحك عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: يا برير، أتضحك! ما هذه ساعة باطل؟

فقال برير: لقد علم قومي أنّني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شابّاً، وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلاّ أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا فنعالجهم ساعة ثمّ نعانق الحور العين.

رجعنا إلى رواية المفيد رحمه الله، قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّي جالس في تلك الليلة

التي قُتل أبي في صبيحتها وعندي عمّتي زينب تمرّضني، إذ اعتزل أبي في خباء له؛ وعنده فلان مولى أبي ذرّ الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دّهر أفٍّ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحبٍ وطالبٍ قتيل ... والدهر لا يقنعُ بالبديل
وإنّما الأمرُ إلى الجليل ... وكلّ حيٍّ سالكٌ سبيلِ

فأعادها عليه السلام مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها وعلمت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت أنّ البلاء قد نزل.

وأمّا عمّتي فلمّا سمعت ما سمعتُ وهي امرأة، ومن شأن النساء الرقّة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وهي حاسرة حتّى انتهت إليه، وقالت: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة. اليوم ماتت أمّي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال: يا أختاه، لا يذهبنّ بحلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع، وقال: لو ترك القطا لنام.

فقالت: يا وليتاه، فتغتصب أنفسنا اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ثمّ لطمت وجهها وهوت إلى جيبها وشقّته، وخرّت مغشيّة عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء وقال لها: يا أختاه، اتّقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجه الله تعالى الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة، فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أختاه، إنّي أقسمت عليك فأبرّي قسمي: لا تشقّي عليَّ جيباً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثمّ جاء بها حتّى أجلسها عندي، ثمّ خرج إلى أصحابه، فأمرهم أن يقربون بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت فيستقبلوا القوم في وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفّت بهم إلاّ الوجه الذي يأتيهم منه عدوّهم، ورجع عليه السلام إلى مكانه، فقام ليلته كلّها يصلّي ويستغفر ويدعو ويتضرّع، وقام أصحابه كذلك يدعون ويصلّون ويستغفرون.

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: «فلمّا كان وقت السحر خفق برأسه خفقة ثمّ استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟

فقالوا: وما الذي رأيت يا ابن رسول الله؟

فقال: رأيت كأنّ كلاباً قد شدّت عليَّ لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدّها عليَّ، وأظنّ أنّ الذي يتولّى قتلي رجل أبرص من هؤلاء القوم، ثمّ إنّي رأيت بعد ذلك جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بنيّ، أنت شهيد آل محمّد، وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجّل ولا تأخّر، فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت، وقد أزف[1] الأمر، واقترب الأجل من هذه الدنيا، لا شكَ في ذلك.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: إنّ الحسين عليه السلام صلى بأصحابه الغداة، ثمّ التفت إليهم فقال: إنّ الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر.

وفي بعض الأخبار: إنّه قال لهم: تقتلون كلّكم إلاّ عليّ بن الحسين.

وقال المفيد: وأصبح الحسين عليه السلام فعبّأ أصحابه بعد صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً؛ وأربعون راجلاً.

وقال محمّد بن أبي طالب: وفي رواية أخرى: اثنان وثمانون راجلاً.

وقال السيّد: روي عن الباقر عليه السلام إنّهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجلاً.

وكذا قال ابن نما - وأمّا جنود أعدائه، فالمشهور أنّهم كانوا اثنين وعشرين ألفاً.

وعن الصادق عليه السلام: أنّهم كانوا ثلاثين ألفاً.

قال المفيد: فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته أخاه العبّاس، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب، وكان من وراء البيوت أن يترك في خندق كان قد حفر هناك، وأن يحرق بالنّار مخافة أن يأتوهم من ورائهم.

وأصبح عمر بن سعد «لعنه الله» في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت، فعبّأ أصحابه وخرج فيمن معه من النّاس، وكان على ميمنته عمرو بن الحجّاج، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عروة بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، وأعطى الراية وريداً مولاه.

وقال محمّد بن أبي طالب: وكانوا نيّفاً على اثنين وعشرين ألفاً. وفي رواية عن الصادق عليه السلام: ثلاثين ألفاً.

---

(١) أزف: قرب.

وقال المفيد: روي عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: لمّا أصبحت الخيل تُقبل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: اللّهمّ أنتَ ثقتي في كلّ كربٍ، ورجائي في كلّ شدّةٍ، وأنتَ لي في كلّ أمرٍ نزلَ بن ثقةٌ وعُدَّةٌ. كمْ من كربٍ يضعفُ عنهُ الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلة، ويخذلُ فيهِ الصديق، ويشمتُ به العدوّ أنزلته بكَ وشكوتُهُ إليك رغبةً منّي إليك عمّن سِواك ففرَّجْتهُ وكشفتَهُ، أنت وليُّ كلّ نعمةٍ، وصاحب كلّ حسنةٍ، ومُنتهى كلّ رغبةٍ، قال: فأقبل القوم يحومون حول بيت الحسين عليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنّار تضطرم.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة: إنّه أقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له يقال له: **ابن أبي جويرية المزني**، فلمّا نظر إلى النّار توقد صفق بيده ونادي: يا حسين وأصحاب حسين، أبشروا بالنّار، فقد تعجّلتموها في الدنيا.

فقال الحسين عليه السلام: مَن الرجل؟ فقيل: ابن أبي جويريّة المزني.

فقال الحسين عليه السلام: اللّهمَ أذقه عذاب النّار في الدنيا، فنفر به فرسه وألقاه في تلك النّار، فاحترق.

ثمّ برز من عسكر عمر بن سعد «لعنه الله» رجل آخر يقال له: **تميم بن حصين الفزاري**، فنادي: يا حسين ويا أصحاب حسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنّه بطون الحيّات، والله لا ذقتم منه قطرة حتّى تذوقوا الموت جرعاً.

فقال الحسين عليه السلام: مَن الرجل؟ فقيل: تميم بن حصين.

فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النّار: اللّهمّ اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، قال: فخنقه العطش حتّى سقط عن فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات.

وفي رواية أخرى: إنّ عبد الله بن الحصين نادي بمثل هذا النداء، فقال الحسين عليه السلام اللّهمّ أمته عطشاً.

قال الراوي: والله لقد كان هذا الرجل يقول: اسقوني ماءً، فيشرب حتّى يخرج من فيه، ثمّ يقول: اسقوني قتلني العطش، فلم يزل كذلك حتّى مات.

ثمّ أقبل آخر من عسكر عمر بن سعد «لعنه الله» يقال له: **محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي**، فقال: يا حسين بن فاطمة، أيّ حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك، فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤]، ثمّ قال: والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمّد. مَن الرجل؟ فقيل: محمّد بن أشعث بن قيس الكندي.

فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء فقال: اللّهمّ أرِ محمّد بن الأشعث ذُلاً في هذا

اليوم، لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً، فعرض له عارض، فخرج من العسكر يتبرّز، فسلّط الله عليه عقرباً فلدغه فمات بادي العورة.

فبلغ العطش من الحسين عليه السلام وأصحابه، فدخل عليه رجل من شيعته يقال له: برير بن خضير الهمداني فقال: يا ابن رسول الله، تأذن لي فأخرج إليهم فأكلّمهم، فأذن له، فخرج إليهم فقال: يا معشر النّاس، إنّ الله عز وجل بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تلغ فيه خنازير السواد وكلابها، وقد حيل بينه وبين ابنه، فقالوا: يا برير، قد أكثرت الكلام فاكفف، فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله.

وقال المفيد: فنادي شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته: يا حسين، أتعجّلت بالنّار قبل يوم القيامة؟

فقال الحسين عليه السلام: ومَن هذا، كأنّه شمر بن ذي الجوشن فقالوا: نعم.

فقال له: يا ابن راعية المعزى، أنت أوّلى بها صليّا.

ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك، فقال له: دعني حتّى أرميه، فإنّ الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبّارين، وقد أمكن الله منه.

فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه فإنّي أكره أن أبدأهم بقتال.

وقال محمّد بن أبي طالب: وركب أصحاب عمر بن سعد «لعنه الله»، فقرّب إلى الحسين فرسه، فاستوى عليه وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير، فقال له الحسين عليه السلام: كلّم القوم.

فتقدّم برير فقال: يا قوم، اتّقوا الله فإنّ ثقل محمّد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذرّيّته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم؟ فقالوا: نُريد أن نُمكّن منهم الأمير ابن زياد فيرى رأيه فيهم.

فقال لهم برير: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاءوا منه، ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها، وأشهدتم الله عليها! يا ويلكم إذ عرفتم أهل بيت نبيّكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم حتّى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد، ومنعتموهم عن ماء الفرات. بئس ما خلّفتم نبيّكم في ذرّيّته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقال له نفر منهم: يا هذا، ما ندري ما تقول؟

فقال برير: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة. اللّهمّ إنّي أبرء إليك من أفعال هؤلاء القوم.

اللّهمّ ألق بأسهم بينهم حتّى يلقوك وأنت عليهم غضبان، فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلى ورائه، وتقدّم الحسين عليه السلام حتّى وقف بإزاء القوم - وفي رواية «الأمالي» أنّه عليه السلام نادي بأعلى صوته - فقال: أنشدكم الله هل تعرفوني؟ قالوا: نعم أنتَ ابنُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطهُ.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أمّي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خُويلد أوّل نساء هذه الأمّة إسلاماً؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ سيّد الشهداء حمزة عمُّ أبي؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جعفر الطيّار في الجنّة عمّي؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله وأنا متقلّدهُ؟ قالوا اللّهمّ نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أنّ عليّاً كان أوّلهم إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأعظمهم حلماً، وأنّه وليُّ كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: فبمَ تستحلّون دمي، وأبي الذائذِ عن الحوض غداً يذودُ عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصادي عن الماء، ولواء الحمد في يد جدّي يوم القيامة؟ قالوا: قد علمنا ذلكَ كلّه، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً.

فأخذ الحسين عليه السلام يطوي لحيته وهو يومئذٍ ابن سبع وخمسين سنة ثمّ قال: اشتدّ غضبُ الله على اليهود حين قالوا: عزيرُ ابن الله، واشتدّ غضبُ الله على النصارى حين قالوا: المسيحُ ابن الله، واشتدّ غضب الله على المجوس حين عبدوا النّار من دون الله، واشتدّ غضبُ الله على قوم قتلوا نبيّهم، واشتدّ غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيّهم.

وفي رواية السيّد محمّد بن أبي طالب: إنّ الحسين عليه السلام وقف بإزاء القوم، فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنّهم السيل، وقال: الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناءٍ وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقيُّ من فتنته، فلا تغرّنّكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمعَ من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبش العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيّته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم،

فتبّاً لكم ولما تريدون، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قومٌ كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين.

وفي «مناقب ابن شهرآشوب»: إنّه عليه السلام قال: تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترَحاً، فحين استصرختمونا ولهين متحيّرين فأصرخناكم مؤدَين مستعدّين، سللتم علينا سيفاً لنا في رقابكم، وحششتم علينا نار الفتن خباها عدوّكم وعدوّنا، فأصبحتم ألباً على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم إلاّ الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منّا، ولا رأي تفيّل لنا. فهلاّ لكم الويلات إذ كرهتمونا وتركتمونا، تجهّز تموها والسيف لم يشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستحصف، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبا، وتداعيتم كتداعي الفراش.

فقبحاً لكم، فإنّما أنتم من طواغيت الأمّة، وشذّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعُصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهرة بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمّة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابنُ حرب وأشياعَه تعضدون، وإيّانا تخاذلون.

أجل والله، الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيته صدوركم، فكنتم أخبث شيء، سنخاً للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنه الله على الناكثين، الذين ينقضون الإيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم والله هم.

ألا إنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد ركز بين اثنتين، بين القتلة والذلّة، وهيهات ما آخذُ الذلّة، أبى الله ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرت وأنذرت، ألا إنّي زاحف بهذه الأسرة على قلّة الأعوان، وخذلة الأصحاب، ثمّ أنشأ يقول:

فإن نهزم فهزّامون قدماً ... وإن تهزم فغير مهزّمينا
وما أن طبّنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

ألا إنّكم لا تلبثون بعدها إلاّ كريث ما يركب الفرس حتّى تدور بكم دور الرحا، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ كيدونِ جميعاً ولا تنظرون، إنّي توكّلت على الله ربّي وربّكم ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها، إنّ ربّي على صراط مستقيم. اللّهمّ احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة ولا يدع فيهم أحداً إلاّ قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنّهم غرّونا وكذّبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكلّنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

ثمّ قال: أين عمر بن سعد؟ أدعو لي عمر، فدعي له، وكان كارهاً لا يحبّ أن يأتيه، فقال: يا عمر، أنت تقتلني، تزعم أن يولّيك الدعيّ ابن الدعيّ بلاد الريّ وجرجان، والله لا تهنأ بذلك أبداً، عهداً معهوداً، فاصنع ما أنت صانع، فإنّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأنّي برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتّخذونه غرضاً بينهم، فاغتاظ عمر من كلامه ثمّ صرف بوجهه عنه، ونادي أصحابه: ما تنتظرون به، احملوا بأجمعكم إنّما هي أكلة واحدة.

وفي رواية المفيد رحمه الله: إنّ الحسين عليه السلام نادي في جيش ابن سعد: يا شبث بن ربعي، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحرث، ألم تكتبوا إليّ: أن قد أينعت الأثمار، واخضرّ الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة؟

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن أنزل على حكم بني عمّك فإنّهم لن يروك إلاّ ما تحبّ.

فقال لهم الحسين عليه السلام: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد - ثمّ نادي: - يا عباد الله، إنّي عذت بربّي وربّكم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب، ثمّ إنّه أناخ راحلته وأمر عطيّة بن سمعان بعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه، فلمّا رأى الحرّ بن يزيد أنّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: أي عمر، أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضىً؟

قال عمر: أما لو كان الأمر إليَّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبي، فأقبل الحرّ حتّى وقف من النّاس موقفاً ومعه رجل من قومه يقال له: قرّة بن قيس، فقال: يا قرّة، هل سقيت فرسك اليوم، قال: لا.

قال: فما تريد أن تسقيه؟ قال قرّة: فظننت والله أنّه يريد أن يتنحّى ولا يشهد القتال فكره أن أراه حين يصنع ذلك.

فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فأسقيه، فاعتزل ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنّه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين، فأخذ يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً.

فقال له مهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد، أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه، فأخذه مثل الأفكل - وهي الرعدة - فقال له مهاجر: إنّ أمرك لمريب والله، ما رأيت منك في موقف قطّ مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟!

فقال له الحرّ: إنّي والله أخيّر نفسي بين الجنّة والنّار، فوالله لا اختار على الجنّة شيئاً ولو قطّعت وأحرقت، ثمّ ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام، فقال له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك الذي عرضته عليهم ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنّهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت، وأنا تائب إلى الله ممّا صنعت، فهل ترى لي من ذلك توبة؟

فقال له الحسين عليه السلام: نعم يتوب الله عليك، فانزل.

فقال: أنا لك فارساً خير منّي راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمري.

فقال له الحسين عليه السلام فاصنع يرحمك الله ما بدا لك.

فاستقدم أمام الحسين عليه السلام فقال: يا أهل الكوفة، لأمّكم الهبل، دعوتم هذا العبد الصالح حتّى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونه، ثمّ غدوتم عليه لتقتلوه أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكلكله[1]، وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه التوجّه إلى بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرّاً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجاري، تشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابها، وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلّفتم محمّداً صلى الله عليه وآله في ذرّيّته، لا سقاكم الله يوم الظماء.

فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل، فأقبل حتّى وقف أمام الحسين عليه السلام ونادى عمر بن سعد «لعنه الله»: يا دريد، ادن رايتك؟ فأدناها، ثمّ وضع سهماً في كبد قوسه ثمّ رمى، وقال: اشهدوا أنّي أوّل من رمى النّاس.

قال محمّد بن أبي طالب: فرمى أصحابه كلّهم، فما بقي من أصحاب الحسين إلاّ أصابه من سهامهم، قيل: فلمّا رموهم هذه الرمية، قلَّ أصحاب الحسين عليه السلام، وقُتل في هذه الحملة خمسون رجلاً.

قال السيّد: فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم.

وقال محمّد بن أبي طالب وصاحب المناقب وغيرهما: إنّ الحرّ أتى الحسين عليه السلام فقال:

---

(١) الكلكل: الصدر.

يا بن رسول الله، كنت أوّل خارج عليك فإذن لي لأكون أوّل قتيل بين يديك، وأوّل من يصافح جدّك غداً، فكان أوّل من تقدّم إلى براز القوم، وجعل ينشد ويقول:

إنّي أنا الحرّ ومأوى الضيف أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بأرض الخيف أضربكم ولا أرى من حيف

فقتل منهم أربعين فارساً وراجلاً.

وفي رواية «الأمالي» عن عليّ بن الحسين عليه السلام: ثمانية عشر رجلاً.

فلم يزل يقاتل حتّى عرقب فرسه وبقي راجلاً، وهو يقول:

إنّي أنا الحرّ ونجل الحرّ أشجع من ذي لبد هزبر
ولست بالجبان عند الكرّ لكنّني الوقّاف عند الفرّ

ثمّ لم يزل يقاتل حتّى قُتل رحمه الله، فاحتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتّى وضعوه بين يدي الحسين عليه السلام وبه رمق، فجعل الحسين عليه السلام يمسح وجهه ويقول: أنت الحرّ كما سمّتك أمّك، وأنت الحرّ في الدنيا، وأنت الحرّ في الآخرة.

قال المفيد: فاشترك في قتله أيّوب بن مسرح ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة قالوا: وكان كلّ من أراد الخروج ودّع الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فيجيبه: وعليك السلام، ونحن خلفك، ويقرأ عليه: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقد ورد في روايات معتبرة، منها: ما رواه ابن طاووس عن الصادق عليه السلام، قال: سمعت أبي يقول: لمّا التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد وقامت الحرب، أنزل الله تعالى النصر حتّى رفرف على رأس الحسين، ثمّ خيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله تعالى، فاختار لقاء الله تعالى.

وفي رواية أخرى: إنّ الجنّ عرضوا عليه أن ينصروه ويعينوه، فأبى عليه السلام.

قالوا: ثمّ برز بريرة بن خضير الهمداني بعد الحرّ، وكان من عباد الله الصالحين، فبرز وهو يقول:

أنا بريرة وأبي خضير ليث يروع الأسد عند الزير
يعرفُ فينا الخير أهل الخير أضربكم ولا أرى من ضير
كذاك فعل الخير من بريرة

وجعل يحمل على القوم وهو يقول: اقتربوا منّي يا قتلة المؤمنين، اقتربوا منّي يا قتلة أولاد البدريّين، اقتربوا منّي يا قتلة أولاد رسول ربّ العالمين وذرّيّته الباقين، وكان بريرة أقرأ أهل

زمانه، فلم يزل يقاتل حتّى قتل ثلاثين رجلاً، فبرز إليه رجل يقال له: يزيد بن معقل، فقال لبرير: أشهد أنّك من المضلّين.

فقال له برير: هلمّ فلندع الله أن يلعن الكاذب منّا، وأن يقتل المحقّ منّا المبطل، فضرب يزيد بريراً ضربةً خفيفةً لم تعمل شيئاً، وضربه برير ضربة قدّت المغفر ووصلت إلى دماغه، فسقط قتيلاً.

قال: فحمل رجل من أصحاب ابن زياد «لعنه الله» فقتل بريراً، وكان يقال لقاتله: بحير بن أوس الضبيّ، ثمّ ذكر له بعد ذلك أنّ بريراً كان من عباد الله الصالحين، وجاء ابن عمّ له وقال: ويحك يا بحير، قتلت برير بن خضير، فبأيّ وجه تلقى ربّك غداً، فندم الشقيّ حين لا تنفع الندامة.

ثمّ برز من بعده **وهب بن عبد الله بن حباب الكلبيّ**، وقد كانت معه أمّه يومئذٍ، فقالت: قم يا بنيّ فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: أفعل يا أمّاه ولا أقصّر، فبرز وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... سوف ترونـي وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحرب ... أدرك ثاري بعد ثار صحبي
وأدفع الكرب أمام الكرب ... ليس جهادي في الوغى باللعب

ثمّ حمل، فلم يزل يقاتل حتّى قتل منهم جماعة، فرجع إلى أمّه ووقف عليهما، فقال: يا أمّاه أرضيتِ؟

فقالت: ما رضيت أو تُقتل بين يدي الحسين.

فقالت امرأته: بالله لا تفجعني في نفسك.

فقالت أمّه: يا بنيّ، لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله، فرجع فلم يزل يقاتل حتّى قتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، ثمّ قطعت يداه، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمّي، قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله، فأقبل كي يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود أو أموت معك.

فقال الحسين عليه السلام: جزيتم عن أهل بيت نبيّكم خيراً. أرجعي إلى النساء يرحمك الله، فانصرفت، وجعل يقاتل حتّى قُتل رضوان الله عليه.

قال: فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه فشدخها وقتلها، وهي أوّل امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة: إنّ وهب كان نصرانيّاً أسلم على يد الحسين عليه السلام هو وأمّه، فاتّبعوه إلى كربلاء، فركب فرساً وتناول بيده عمود الفسطاط فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية، ثمّ استؤسر، فأتي به عمر بن سعد «لعنه الله» فأمر بضرب عنقه، فضربت عنقه ورمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام، وأخذت أمّه سيفه وبرزت، فقال لها الحسين عليه السلام: يا أمّ وهب، أجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء، إنّك وابنك مع جدّي محمّد صلى الله عليه وآله في الجنّة.

وفي رواية أخرى: إنّ وهب قتل في المبارزة أربعة وعشرين راجلاً، واثني عشر فارساً، وأنّ أمّه بعد قتله أخذت رأسه وقبّلته، ثمّ رمت بالرأس إلى عسكر ابن سعد «لعنه الله» فأصابت منه رجلاً فقتلته، ثمّ شدّت بعمود الفسطاط فقتلت رجلين، فقال لها الحسين عليه السلام: ارجعي يا أمّ وهب، أنت وابنك مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء.

فرجعت وهي تقول: إلهي، لا تقطع رجائي.

فقال لها الحسين: لا يقطع الله رجاك يا أمّ وهب.

ثمّ برز من بعده **عمرو بن خالد الأزدي** وهو يقول:

إليك يا نفس إلى الرحمن ... فأبشري بالروح والريحان
اليوم تجزين على الإحسان ... قد كان منك غابر الزمان
ما خطّ في اللوح لدى الديّان ... لا تجزعي فكلّ حيّ فان
والصبر أحظى لك بالأمان ... يا معشر الأزد بني قحطان

ثمّ قاتل حتّى قتل رحمه الله.

وفي «المناقب»: ثمّ تقدّم ابنه **خالد بن عمرو** وهو يرتجز:

صبراً على الموت بني قحطان ... كي ما تكونوا في رضي الرحمن
ذي المجد والعزّة والبرهان ... وذي العلى والطول والإحسان
يا أبتا قد صرت في الجنان ... في قصر ربّ حسن البنيان

ثمّ تقدّم، فلم يزل يقاتل حتّى قُتل رحمه الله.

قال محمّد بن أبي طالب: ثمّ برز من بعده **سعد بن حنظلة التميمي** وهو يقول:

صبراً على الأسياف والأسنّه ... صبراً عليها لدخول الجنّه
وحور عين ناعمات هنّه ... لمن يريد الفوز لا بالظنّه
يا نفس للراحة فاجهدنّه ... وفي طلاب الخير فارغبنّه

ثمّ حمل وقاتل قتالاً شديداً، ثمّ قُتل رحمه الله، ثمّ خرج من بعده **عمير بن عبد الله المذحجي** وهو يرتجز ويقول:

قد علمت سعدٌ وحيّ مذحج إنّي لدى الهيجاء غير محرج
أعلو بسيفي هامة المدجّج وأترك القرن لدى التفرّج
فريسة الضبع الأزلّ الأعرج

ولم يزل يقاتل حتّى قتله مسلم الضبابي وعبد الله البجلي، ثمّ برز من بعده **مسلم بن عوسجة** وهو يرتجز ويقول:

إن تسألوا عنّي فإنّي ذو لبد من فرع قومٍ من ذرى بني أسد
فمن بغانا حائد عن الرشد وكافر بدين جبّار صمد

ثمّ قاتل قتالاً شديداً وسقط إلى الأرض وبه رمق، ومشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً، ثمّ دنا منه حبيب، فقال: يعزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنّة.

فقال له قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي إليَّ بكلّ ما أهمّك فقال مسلم: فإنّي أوصيك بهذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام، فقاتل دونه حتّى تموت.

فقال حبيب: لأنعمنّك عيناً، ثمّ مات رحمه الله.

قال: وصاحت جارية له: يا سيّداه، يا بن عوسجتاه، فنادي أصحاب عمر بن سعد «لعنه الله» مستبشرين: قتلنا مسلم بن عوسجة.

فقال شبث بن ربعي لبعض من حوله: ثكلتكم أمّهاتكم، أما إنّكم تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلّون عزّكم، أتفرحون بقتل مسلم بن عوسجة، أما والذي أسلمت له، لربّ موقف له في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم آذربيجان قتل ستّة من المشركين قبل أن تلتئم خيول المسلمين.

وفي رواية «الأمالي» عن زين العابدين عليه السلام، قال بعد أن قتل الحرّ: ثمّ برز من بعده زهير بن القين البجلي وهو يقول مخاطباً للحسين عليه السلام:

اليوم نلقى جدّك النبيّا وحسناً والمرتضى عليّا

فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ثمّ صُرع وهو يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذبّكم بالسيف عن حسين

قال محمّد بن أبي طالب: وقاتل حتّى قتل مائة وعشرين رجلاً، فشدّ عليه كثير بن عبد الله

الشعبي ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه، فقال الحسين عليه السلام حين صُرع زهير: لا يبعدك الله يا زهير، ولعن قاتلك، لعن الذين مسخوا قردة وخنازير.

ثمّ برز حبيب بن مظاهر الأسدي وهو يقول:

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعرُ
وأنتُم عند العديد أكثر ونحن أعلى حجّة وأظهرُ
وأنتُم عند الوفاء أغدر ونحن أوفى منكم وأصبرُ
حقّاً وأنمى منكم وأعذرُ

وقاتل قتالاً شديداً، ثمّ حمل عليه رجل من بني تميم فطعنه، فذهب ليقوم فضربه الحصين ابن نمير «لعنه الله» على رأسه بالسيف فوقع، ونزل التميمي فاحتزّ رأسه، فهدّ مقتله الحسين، فقال: عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي.

وقيل: بل قتله رجل يقال له: بديل بن صريم، وأخذ رأسه فعلّقه في عنق فرسه، فلمّا دخل مكّة رآه ابن حبيب وهو غلام غير مراهق، فوثب إليه فقتله وأخذ رأسه.

وقال محمّد بن أبي طالب: إنّ حبيب قتل اثنين وستّين رجلاً، فقتله الحصين بن نمير وعلّق رأسه في عنق فرسه، خرج من بعده مالك بن أنس الكاهلي قاتل، فقتل ثمانية عشر رجلاً وقُتل رحمه الله.

ثمّ خرج من بعده يزيد بن زياد بن مهاصر المعروف بأبي الشعثاء الكندي، فحمل على القوم وقتل منهم تسعة، ثمّ قُتل رحمه الله.

ثمّ برز من بعده نافع بن هلال الجملي المذحجي رحمه الله وهو يقول:

أرمي بها معلّمة أخفاقها مسمومة تجري بها أخفاقها
ليملئنّ أرضها رشاقها والنفس لا ينقعها إشفاقها

فلم يزل يرميهم حتّى فنيت سهامه، ثمّ ضرب يده إلى سيفه فاستلّه وجعل يقول:

أنا الغلام اليمنيّ الجملي ديني على دين حسين وعلي
إن أقتل اليوم فهذا أملي فذاك رأيي وألاقي عملي

فقتل ثلاثة عشر رجلاً، فكسروا عضديه وأخذ أسيراً، فقام إليه شمر فضرب عنقه.

ثمّ خرج من بعده نافع بن هلال البجلي فقاتل قتالاً شديداً وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن هلال البجلي أنا على دين عليّ
ودينه دين النبيّ

فبرز إليه رجل من بني قطيف - وقال المفيد: هو مزاحم بن حريث، فقال: أنا على دين عثمان.

فقال له نافع: أنت على دين الشيطان، فحمل عليه نافع فقتله.

قال المفيد: فصاح عمرو بن الحجّاج بالنّاس: يا حمقاء، أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر وأهل البصائر، وقوماً مستميتين لا يبرزنّ منكم أحد إلاّ قتلوه على قلّتهم، والله لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم.

فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: أرى ما رأيت، فأرسل في النّاس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم؛ وقال: لو خرجتم إليه وحداناً لأتوا عليكم مبارزة، ودنا عمرو بن الحجّاج من أصحاب الحسين عليه السلام فقال: يا أهل الكوفة، إلزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق عن الدين، وخالف الإمام.

فقال الحسين عليه السلام: يا ابن الحجّاج، أعلَيَّ تحرّض النّاس، أنحن مرقنا من الدين وأنتم ثبتمّ عليه، والله لتعلمنّ أيّنا المارق من الدين وهو أوّلى بها صليّاً.

ثمّ حمل عمرو بن الحجّاج «لعنه الله» في ميمنته من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصّرع مسلم بن عوسجة، وانصرف عمرو وأصحابه وانقطعت الغبرة، فإذا مسلم صريع.

وقال محمّد بن أبي طالب: ثمّ حمل شمر بن ذي الجوشن في الميسرة، فثبتوا له، وقاتلهم أصحاب الحسين عليه السلام قتالاً شديداً، وإنّما هم اثنان وثلاثون فارساً، فلا يحملون على جانب من أهل الكوفة إلاّ كشفوهم، فدعا عمر بن سعد «لعنه الله» بالحصين بن نمير في خمسمائة من الرماة، فاقتتلوا حتّى دنوا من الحسين عليه السلام وأصحابه، فرشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وقاتلوهم حتّى انتصف النهار، واشتدّ القتال ولم يقدروا أن يأتوهم إلاّ من جانب واحد لاجتماع أبنيتهم، وتقارب بعضها من بعض، فأرسل عمر بن سعد «لعنه الله» الرجال ليقوّضوها عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم، وأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين عليه السلام يتخلّلون فيشدّون على الرجل يعرض وينهب، فيرمونه عن قريب فيصرعونه فيقتلونه.

فقال ابن سعد «لعنه الله»: احرقوها بالنّار، فأضرموا فيها.

فقال الحسين عليه السلام: دعوهم يحرقوها، فإنّهم إذا فعلوا ذلك لم يجوزوا إليكم، فكان كما قال عليه السلام.

وقيل: أتاه شبث بن ربعي فقال: أفزعنا النساء ثكلتك أمّك، فاستحيى، فأخذوا لا يقاتلونهم إلاّ من وجه واحد، وشدّ أصحاب زهير بن القين فقتلوا أبا عذرة الضبابي من أصحاب شمر، فلم يزل يقتل من أصحاب الحسين عليه السلام الواحد والإثنان، فيبين ذلك فيهم

لقلّتهم، ويُقتل من أصحاب عمر العشرة فلا يبين فيهم ذلك لكثرتهم.

فلمّا رأى ذلك **أبو ثمامة الصيداوي** قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتّى أقتل دونك، وأحبّ أن ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة.

فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين، نعم، هذا أوّل وقتها، ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلّي.

فقال الحصين بن نمير: إنّها لا تقبل.

فقال حبيب بن مظاهر: لا تقبل الصلاة زعمت من ابن رسول الله، وتقبل منك يا حمّار، فحمل عليه الحصين بن نمير وحمل عليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ به الفرس ووقع عنه الحصين، فاحتوشوه أصحابه فاستنقذوه.

فقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله: تقدّما أمامي حتّى أصلّي الظهر، فتقدّما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتّى صلّى بهم صلاة الخوف.

وروي: إنّ سعيد بن عبد الله الحنفي تقدّم أمام الحسين عليه السلام فاستهدف لهم يرمونه بالنبل، كلّما أخذ الحسين يميناً وشمالاً قام بين يديه، فما زال يرمى به حتّى سقط إلى الأرض، وهو يقول: اللّهمّ العنهم لعن عاد وثمود، اللّهمّ أبلغ نبيّك السلام عنّي وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت بذلك نصرة ذرّيّة نبيّك، ثمّ مات رضي الله عنه، فوجد فيه ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.

وقال ابن نما: وقيل: صلّى الحسين عليه السلام وأصحابه فرادى بالإيماء.

قالوا: «ثمّ خرج **عبد الرحمن بن عبد الله اليزني** وهو يقول:

أنا ابن عبد الله من آل يزن ... ديني على دين حسين وحسن
أضربكم ضرب فتىً من اليمن ... أرجو بذاك الفوز عند المؤتمن

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتل.

وقال السيّد: فخرج **عمرو بن قرطة الأنصاري** فاستأذن الحسين عليه السلام فأذن له، فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء، وبالغ في خدمة سلطان السماء، حتّى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد «لعنه الله» وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي إلى الحسين عليه السلام سهم إلاّ اتّقاه بيده، ولا سيف إلاّ تلقّاه بمهجته، فلم يكن يصل إلى الحسين سوء حتّى أثخن بالجراح، فالتفت إلى الحسين عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله، أوفيّت؟ قال: نعم، أنت أمامي في الجنّة، فاقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله منّي السلام وأعلمه أنّي في الأثر، فقاتل حتّى قُتل رحمه الله.

وقال السيّد: ثمّ تقدّم جون مولى أبي ذرّ الغفاري، وكان عبداً أسوداً، فقال له الحسين عليه السلام: أنت في إذن منّي، فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا.

فقال: يا ابن رسول الله، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدّة أخذلكم! والله إنّ ريحي لنتن، وأنّ حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنّة فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيضّ وجهي، لا والله! لا أفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

قال محمّد بن أبي طالب: ثمّ برز للقتال وهو يقول:

كيف ترى الكفّار ضرب الأسود ... بالسيف ضرباً عن بني محمّد
أذبُّ عنهم باللسان واليد ... أرجو به الجنّة يوم المورد

ثمّ قاتل حتّى قُتل، فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال: اللّهمّ بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمّد صلى الله عليه وآله وآل محمّد.

وروي عن الباقر عليه السلام عن عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ النّاس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلى، فوجدوا جوناً بعد عشرة أيّام يفوح منه رائحة المسك.

قال السيّد: ثمّ برز **عمرو بن خالد الصيداوي** فقال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، قد هممت أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلّف وأراك وحيداً من أهلك قتيلاً.

فقال له الحسين عليه السلام: تقدّم، فإنّا لاحقون بك عن ساعة، فتقدّم فقاتل حتّى قُتل.

قال: وجاء **حنظلة بن سعد الشامي** فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره، وأخذ ينادي: يا قوم، إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد. ويا قوم، إنّي أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم، يا قوم، لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى.

وفي «المناقب»: فقال له الحسين عليه السلام: يا بن سعد، رحمك الله إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليك يشتمونك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟

قال: صدقت جعلت فداك، أفلا نروح لربّنا فنلحق بإخواننا؟

فقال له: رح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى.

فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك، وجمع الله بيننا وبينك في جنّته، قال: آمين آمين، ثمّ استقدم فقاتل قتالاً شديداً، فحملوا عليه فقتلوه رضوان الله عليه.

قال السيّد: فتقدّم سويد بن عمرو بن أبي المطاع، وكان شريفاً كثير الصلاة، فقاتل قتال الأسد الباسل، وبالغ في الصبر على الخطب النازل حتّى سقط بين القتلى وقد أثخن بالجراح، فلم يزل كذلك وليس به حراك حتّى سمعهم يقولون: قتل الحسين، فتحامل وأخرج سكّيناً من خفّه وجعل يقاتل حتّى قتل.

قال صاحب «المناقب»: فخرج يحيى بن سليم المازني وهو يرتجز ويقول:

لأضربنّ القوم ضرباً فيصلاً ضرباً شديداً في العدى معجّلا
لا عاجزاً فيها ولا مولولاً ولا أخاف اليوم موتاً مقبلاً
لكنّني كالليث أحمي أشبلاً

ثمّ حمل فقاتل قتالاً شديداً حتّى قُتل رحمه الله.

ثمّ خرج من بعده قرّة بن أبي قرّة الغفاري وهو يرتجز ويقول:

قد علمت حقّاً بنو غفّار وخندف بعد بني نزار
بأنّي الليث لدى الغبار لأضربنّ معشر الفجّار
بكل عضب ذكر بتّار ضرباً وجيعاً عن بني الأخيار
رهط النبيّ السادة الأبرار

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتل رحمه الله.

وفي «المناقب»: ثمّ خرج من بعده عمر بن مطاع الجعفي وهو يقول:

أنا ابن جعف وأبي مطاع وفي يميني مرهف قطّاع
وأسمر في رأسه لمّاع يرى له ن ضوئه شعاع
اليوم قد طاب لنا القراع دون حسين الضرب والسطاع
يرجى بذاك الفوز والدفاع عن حرّ نار حين لا انقطاع

ثمّ حمل على القوم حتّى قاتلهم قتالاً شديداً، فلم يزل كذلك حتّى قُتل رحمه الله.

قالوا: ثمّ خرج الحجّاج بن مسروق، وهو مؤذّن الحسين عليه السلام، فجعل يقول:

أقدم حسيناً هادياً مهديّاً اليوم نلقى جدّك النبيّا
ثمّ أباك ذا الندى عليّاً ذاك الذي نعرفه وصيّا
والحسن الخير الرضي الوليّا وذا الجناحين الفتى الكميّا
وأسد الله الشهيد الحيّا

ثمّ حمل فقاتل حتّى قُتل.

ثمّ خرج من بعده عمرو بن جنادة فقاتل حتّى قُتل.

ثمّ خرج من بعده عبد الرحمن بن عروة وهو يقول:

قد علمت حقّاً بنو غفار وخندف بعد بني نزار
لنضربنّ معشر الفجّار بكل عضب ذكر بتّار
يا قوم ذودوا عن بني المختار بالمشرفيّ والقنا الخطار

ثمّ قاتل حتّى قتل رضي الله عنه.

قال محمّد بن أبي طالب: وجاء عابس بن شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر، فقال: يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع، أقاتل حتّى أقتل.

قال: ذلك الظنّ بك، فتقدّم بين يدي أبي عبد الله عليه السلام حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب فيه الأجر بكلّ ما نقدر عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم، وإنّما هو الحساب، فتقدّم فسلّم على الحسين عليه السلام وقال: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ، ولا أحبَّ إليَّ منك، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعزَّ عليَّ من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد أنّي على هداك وهدى أبيك، ثمّ مضى بالسيف نحوهم.

قال ربيع بن تميم: فلمّا رأيته مقبلاً عرفته، وقد كنت شاهدته في المغازي، وكان أشجع النّاس، فقلت: أيّها النّاس، هذا أسد الأُسود، هذا ابن شبيب، لا يخرجنّ إليه أحد منكم، فأخذ ينادي: ألا رجل، ألا رجل، فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثمّ شدّ على النّاس، فوالله! لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من النّاس، ثمّ إنّهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب، فقُتل، فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة، هذا يقول: أنا قتلته، والآخر يقول كذلك، فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: لا تختصموا، هذا لم يقتله إنسان واحد، حتّى فرّق بينهم بهذا القول.

ثمّ جاء عبد الله وعبد الرحمن الغفاريّان فقالاً: يا أبا عبد الله، السلام عليك، إنّا جئنا لنقتل بين يديك وندفع عنك.

فقال: مرحباً بكما، ادنوا منّي، فدنوا منه وهما يبكيان.

فقال: يا ابني أخي، ما يبكيكما؟ فوالله لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين.

فقالاً: جعلنا الله فداك، والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك، نراك قد أحبط بك ولا نقدر على أن ننفعك.

فقال: جزاكما الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك، ومواساتكما إيّاي بأنفسكما أحسن جزاء المتّقين، ثمّ استقدما وقالاً: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته، فقاتلا حتّى قتلا.

ثمّ خرج غلام تركي كان للحسين عليه السلام، وكان قارئاً للقرآن، فجعل يقاتل ويرتجز ويقول:

البحر من طعني وضربي يصطلي والجوّ من سهمي ونبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشقُ قلب الحاسد المبجّلي

فقتل جماعة، ثمّ سقط صريعاً، فجاء الحسين عليه السلام إليه، فبكى ووضع خدّه على خدّه، ففتح عينيه فرأى الحسين، فتبسّم ثمّ صار إلى ربّه.

قال: ثمّ رماهم **يزيد بن زياد بن الشعثاء** بثمانية أسهم ما أخطأ منها، وكان كلّما رمى قال الحسين عليه السلام: اللّهمّ سدّد رميته، واجعل ثوابه الجنّة، فحملوا عليه فقتلوه.

وقال ابن نما: حدّث مهران مولى بني كاهل، قال: شهدت كربلاء مع الحسين عليه السلام، فرأيت رجلاً يقاتل قتالاً شديداً، لا يحمل على قوم إلاّ كشفهم، ثمّ يرجع إلى الحسين ويرتجز ويقول:

أبشر هديت الرشد تلقى أحمداً في جنّة الفردوس تعلو صعدا

فقلت: من هذا؟ فقالوا: **أبو عمرو النهشلي**، وقيل: **الخثعمي**، فاعترضه عامر بن نهشل أحد بني اللات من ثعلبة، فقتله واحتزّ رأسه، وكان أبو عمرو هذا متهجّداً كثير الصلاة.

وتقدّم **سيف بن أبي الحرث بن سريع ومالك بن عبد الله بن سريع الجابريّان** - بطن من همدان يقال لهم: بنو جابر- أمام الحسين عليه السلام، ثمّ التفتا فقالاً: عليك السلام يا ابن رسول الله، فقال: وعليكما السلام، ثمّ قاتلاً حتّى قتلاً.

مقتل آل البيت عليهم السلام

ولمّا قتل أصحاب عليه السلام ولم يبق إلاّ أهل بيته، وهم ولد عليّ وولد جعفر وولد عقيل وولد الحسن وولده، اجتمعوا يودّع بعضهم بعضاً، وعزموا على الحرب، فأوّل من برز من أهل بيته **عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب** وهو يرتجز ويقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبيّ
ليسوا يقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب

قال محمّد بن أبي طالب: فقاتل حتّى قتل ثمانية وتسعين رجلاً في ثلاثة حملات، ثمّ قتله عمرو بن صبيح الصيداوي وأسد بن مالك.

وقال أبو الفرج: **عبد الله بن مسلم**: أمّه رقيّة بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قتله عمرو بن صبيح، فيما ذكرناه عن المدائني وعن حميد بن مسلم، وذكر أنّ السهم أصابه وهو واضع يده على جبينه فأثبته في راحته وجبهته، ومحمّد بن مسلم بن عقيل أمّه أمّ ولد، قتله فيما رويناه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، أبو جرهم الأزدي ولقيط بن إياس الجهني.

وقال محمّد بن أي طالب وغيره: ثمّ خرج من بعده **جعفر بن عقيل** وهو يرتجز ويقول:

أنا الغلام الأبطحيّ الطالب ... من معشر في هاشم وغالب
ونحن حقّاً سادة الذوائب ... هذا حسين طيّب الأطائب
من عترة البرّ التقيّ العاقب

فقتل خمسة عشر فارساً.

وقال ابن شهرآشوب: قيل: قتل رجلين، ثمّ قتله بشر بن سوط الهمداني.

وقال أبو الفرج: أمّه أمّ النضر بنت عامر العامري، قتله عروة بن عبد الله الخثعمي فيما رويناه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

قال: «ثمّ خرج من بعده أخوه **عبد الرحمن بن عقيل** وهو يقول:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني ... من هاشم وهاشم أخواني
كهول صدق سادة الأقران ... هذا حسين شامخ البنيان

فقتل سبعة عشر فارساً، ثمّ قتله عثمان بن خالد الجهني.

وقال أبو الفرج: وعبد الله بن عقيل أمّه أمّ ولد، قتله عثمان بن خالد الجهني وبشر بن حوط القايضي فيما ذكر سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم.

وعبد الله الأكبر ابن عقيل: أمّه أمّ ولد، قتله فيما ذكر المدائني عثمان بن خالد الجهني ورجل من همدان، ولم يذكر عبد الرحمن أصلاً. ثمّ قال: ومحمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب الأحول: وأمّه أمّ ولد، قتله لقيط بن ياسر الجهني، رماه بسهم فيما رويناه عن المدائني عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد، عن محمّد بن مسلم، وذكر محمّد بن عليّ ابن حمزة أنّه قُتل معه جعفر بن محمّد بن عقيل، ووصف أنّه قد سمع أيضاً من يذكر أنّه قد قتل يوم الحرّة.

وقال أبو الفرج: وما رأيت في كتب الأنساب أنّ لمحمّد بن عقيل ابناً يسمّى جعفراً، وذكر أيضاً محمّد بن عليّ بن حمزة عن عقيل بن عبد الله بن عقيل بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب، أنّ عليّ بن عقيل وأمّه أمّ ولد قُتل يومئذٍ.

ثمّ قالوا: وخرج من بعده **محمّد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب** وهو يقول:

نشكوا إلى الله من العدوان قتال قوم في الردى عميان
قد تركوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والبيان
وأظهروا للكفر والطغيان

ثمّ قاتل حتّى قتل عشرة أنفس، ثمّ قتله عامر بن نهشل التميمي.

ثمّ خرج من بعده **عون بن عبد الله بن جعفر** وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحضر.

ثمّ قاتل حتّى قتل من القوم ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً، ثمّ قتله عبد الله بن بطة الطائي.

قال أبو الفرج ومحمّد بن أبي طالب وغيرهما: ثمّ خرج من بعده **عبد الله بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب** - وفي أكثر الروايات أنّه القاسم بن الحسن - وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم، فلمّا نظر الحسين عليه السلام إليه قد برز اعتنقه وجعلا يبكيان حتّى غُشي عليهما، ثمّ استأذن الحسين في المبارزة، فأبى الحسين عليه السلام أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبّل يديه ورجليه حتّى أذن له، فخرج ودموعه تسيل على خدّيه وهو يقول:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن سبط النبيّ المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كالأسير المرتهن بين أناس لا سقوا صوب المزن

وكان وجهه كفلقة القمر، فقاتل قتالاً شديداً حتّى قتل على صغره خمسة وثلاثين رجلاً.

قال حميد: كنت في عسكر ابن سعد، فكنت أنظر إلى هذا الغلام عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما، ما أنسى أنّها كانت اليسرى، فقال عمر بن سعد الأزدي: والله لأشدّنّ عليه، فقلت: سبحان الله، وما تريد بذلك؟ والله لو ضربني ما أبسط إليه يدي، يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه، قال: والله لأفعلنّ، فشدّ عليه، فما ولّى حتّى ضرب رأسه بالسيف ووقع الغلام لوجهه، ونادى: يا عمّاه.

قال: فجاء الحسين عليه السلام كالصقر المنقضّ، فتخلّل الصفوف وشدّ شدّة الليث الحرب، فضرب عمر قاتله بالسيف فاتّقاه بيده فأطنّها من المرفق، فصاح ثمّ تنحّى عنه، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين عليه السلام، فاستقبلته بصدورها وجرحته بحوافرها ووطئته حتّى مات، فانجلت الغبرة فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه، فقال: يعزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا يعينك، أو يعينك فلا يغني عنك. بُعداً لقوم قتلوك.

ثمّ احتمله، فكأنّي أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الأرض وقد وضع صدره على صدره، فقلت في نفسي: ما يصنع؟ فجاء به حتّى ألقاه بين القتلى من أهل بيته، ثمّ قال: اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً. صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً.

وفي رواية «الأمالي» المتقدّمة: إنّه قتل ثلاثين رجلاً من الكفّار، وروي: أكثر من ذلك أيضاً.

وأمّا حكاية تزويجه، كما اشتهر على الألسن، فلم أقف عليها في خبر مستند ولا كتاب معتمد، وكذا قال المجلسي في «الجلاء».

ثمّ خرج **عبد الله بن الحسين** الذي ذكرناه أوّلاً، وهو الأصحّ أنّه برز بعد القاسم وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن حيدره ضرغام آجام وليث قسوره
على الأعادي مثل ريح صرصره

فقتل أربعة عشر رجلاً، ثمّ قتله هانئ بن شبيب الحضرمي «لعنه الله» فاسودّ وجهه.

قال أبو الفرج: كان أبو جعفر الباقر عليه السلام يذكر أنّ حرملة بن كاهل الأسدي قتله، ثمّ قال: وأبو بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وأمّه أمّ ولد، ذكر المدائني في إسنادنا عنه عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد: أنّ عبد الله بن عقبة الغنوي قتله، وفي حديث عمرو بن شمر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ عقبة الغنوي قتله.

قالوا: ثمّ تقدّم إخوه **الحسين** عازمين على أن يموتوا دونه، فأوّل من خرج منهم **أبو بكر بن عليّ** واسمه عبيد الله، وأمّه ليلى بنت مسعود بن خالد بن ربعي التميميّة، فتقدّم وهو يرتجز:

شيخي عليٌّ ذو الفخار الأطول من هاشم الصدق الكريم المفضل
هذا حسين بن النبيّ المرسل عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مبجل

فلم يزل يقاتل حتّى قتله زجر بن بدر النخعي، وقيل: عبيد الله بن عقبة الغنوي.

قال أبو الفرج: لا يعرف اسمه، وذكر أبو جعفر الباقر عليه السلام في الإسناد الذي تقدّم: أنّ رجلاً من همدان قتله، وذكر المدائني: أنّه وجد في ساقية مقتولاً لا يُدري من قتله.

قالوا: ثمّ من بعده أخوه **عمر بن عليّ** وهو يقول:

أضربكم ولا أرى فيكم زجر ذاك الشقيّ بالنبيّ قد كفر
يا زجر يا زجر تداني من عمر لعلّك اليوم تبوء من سقر
شرّ مكانٍ في حريق وسعر لأنّك الجاحد يا شرّ البشر

ثمّ حمل على زجر قاتل أخيه فقتله، واستقبل القوم وجعل يضرب بسيفه ضرباً منكراً وهو يقول:

خلوا عداة الله خلّوا عن عمر ... خلّوا عن الليث العبوس المكفهر
يضربكم بسيفه ولا يفرّ ... وليس فيها كالجبان المنجحر

فلم يزل يقاتل حتّى قُتل.

ثمّ من بعده أخوه**عثمان بن عليّ**، وأمّه أمّ البنين بنت حزام بن خالد من بني كلاب وهو يقول:

إنّي أنا عثمان ذو المفاخر ... شيخي عليٌّ ذو الفعال الظاهر
وابن عمٍّ للنبيّ الطاهر ... أخي حسين خيرة الأخاير
وسيّد الكبار والأصاغر ... بعد الرسول والوصيّ الناصر

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي على جبينه فسقط عن فرسه، وحزّ رأسه رجل من بني أبان بن حازم، وكان عمره إحدى وعشرين سنة.

قالوا: ثمّ برز من بعده أخوه**جعفر بن عليّ** عليه السلام، وأمّه أمّ البنين أيضاً وهو يقول:

إنّي أنا جعفر ذو المعالي ... ابن عليّ الخير ذي النوال
حسبي بعمّي شرفاً وخالي ... أحمي حسيناً ذا الندى المفضال

ثمّ قاتل، فرماه خولي الأصبحي فأصاب شقيقته، أو عينه، كما عن الباقر عليه السلام.

وفي رواية أخرى: ضربه هانئ ثبيت الحضرمي.

ثمّ برز أخوه **عبد الله بن عليّ** وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والإفضال ... ذاك عليّ الخير ذو الفعال
سيف رسول الله ذو النكال ... في كلّ قوم ظاهر الأهوال

فقتله هانئ بن ثبيت الحضرمي.

وذكر أبو الفرج في كتابه، قال: قد ذكر محمّد بن عليّ بن حمزة أنّه قتل يومئذٍ إبراهيم بن عليّ بن أبي طالب، وأمّه أمّ ولد، وما سمعت بهذا عن غيره، ولا رأيت لإبراهيم في شيء من كتب الأنساب ذكراً.

وفي بعض أولاد أمير المؤمنين عليه السلام خلاف أيضاً، وروي عن صاحب الأمر عليه السلام أنّ خمسة من إخوة الحسين استشهدوا معه: العبّاس وجعفر وعثمان ومحمّد وعبد الله رحمه الله.

وروي عن الباقر والصادق عليهما السلام: إنّ أمّ العبّاس أمّ البنين، أمّ هؤلاء القتلى: العبّاس

وجعفر وعمر، وكانت تخرج إلى البقيع وتندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع النّاس إليها يسمعون منها، فكان مروان يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي.

قالوا: وكان **العبّاس** عليه السلام رجلاً وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهّم ورجلاه يخطّان في الأرض، وكان يقال له: قمر بني هاشم، وكان لواء الحسين معه.

وروى في «البحار» عن بعض تأليفات أصحابنا: إنّ العبّاس عليه السلام لمّا رأى وحدته أتى أخاه وقال: يا أخي، هل من رخصة؟

فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ قال: يا أخي، أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري.

فقال العبّاس: قد ضاق صدري، وسئمت من الحياة، وأريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين.

فقال الحسين عليه السلام: فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

فذهب العبّاس ووعظهم وحذّرهم فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون العطش العطش، فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد نحو الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممّن كانوا موكّلين بالفرات ورموه بالنبال، فكشفهم وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلاً حتّى دخل الماء.

فلمّا أراد أن يشرب غرفة من الماء، ذكر عطش الحسين عليه السلام وأهل بيته، فرمي الماء من يده وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجّه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كلّ جانب، فحاربهم حتّى ضربه نوفل الأزرق على يده اليمني فقطعها، فحمل القربة على كتفه الأيسر فضربه نوفل فقطع يده اليسرى من الزند، فحمل القربة بأسنانه، فجاءه سهم فأصاب القربة وأريق ماؤها، ثمّ جاءه سهم آخر فأصاب صدره، فانقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحسين عليه السلام: أدركني، فلمّا أتاه رآه صريعاً، فبكى وحمله إلى الخيمة.

ثمّ قالوا: «ولمّا قتل العبّاس قال الحسين عليه السلام: **الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي**».

وعن الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى قد أعطى العبّاس بدلاً عن يديه جناحين يطير بهما في الجنّة.

قالوا: ثمّ تقدّم **عليّ بن الحسين**، وقال محمّد بن أبي طالب وأبو الفرج: أمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وهو يومئذٍ ابن ثمانية عشر سنة.

وقال ابن شهرآشوب: ويقال: ابن خمس وعشرين سنة.

قالوا: ورفع الحسين سبّابته نحو السماء وقال: اللّهمّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز

إليهم غلام أشبه النّاس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك ﷺ، كُنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى وجهه، اللّهمّ امنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضِ الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا ثمّ عدوا علينا يقاتلوننا.

ثمّ صاح الحسين عليه السلام بعمر بن سعد «لعنه الله»: ما لك قطع الله رحمك، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط الله عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله.

ثمّ رفع الحسين عليه السلام صوته وتلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤]، ثمّ حمل عليّ بن الحسين على القوم وهو يقول:

أنا عليّ بن الحسين بن عليّ ... من عصبة جدّ أبيهم النبيّ
واللهُ لا يحكم فينا ابن الدعيّ ... أطعنكم بالرمح حتّى ينثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ... ضرب غلام هاشميّ علوي

فلم يزل يقاتل حتّى ضجّ النّاس من كثرة من قتل منهم.

وروي: إنّه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبتِ، العطش قد قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل، أتقوّي بها على الأعداء؟

فبكى الحسين عليه السلام وقال: يا بنيّ، يعزّ على محمّد وعلى عليّ بن أبي طالب وعلّيَّ أن تدعوهم فلا يجيبوك، وتستغيث بهم فلا يغيثوك. يا بنيّ، هات لسانك، فأخذ بلسانه فمصّه ودفع إليه خاتمه، وقال: أمسكه في فيك، وارجع إلى قتال عدوّك، فإنّي أرجو أنّك لا تمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً، فرجع عليه السلام إلى القتال وهو يقول:

الحرب قد بانت لها الحقائق ... وظهرت من بعدها مصادق
والله ربّ العرش لا تفارق ... جموعكم أو تغمد البوارق

فلم يزل يقاتل حتّى قتل تمام الماءتين، ثمّ ضربه منقذ بن مرّة العبدي على مفرق رأسه ضربة صرعته، وضربه النّاس بأسيافهم، ثمّ اعتنق عليه السلام فرسه، فاحتمله الفرس إلى عسكر الأعداء فقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً، فلمّا بلغت روحه التراقي، قال رافعاً صوته: يا أبتاه، هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول: العجل العجل، فإنَّ لك كأساً مذخورة حتّى تشربها الساعة.

فصاح الحسين عليه السلام وقال: قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الرحمن وعلى رسوله وعلى انتهاك حرمة الرسول. على الدنيا بعدك العفاء.

قال حميد بن مسلم: فكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنّها الشمس الطالعة تنادي بالويل والثبور، وتقول: يا حبيباه، يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه، فسألت عنها، فقيل: هي زينب بنت عليّ، وجاءت وانكبّت عليه، فجاء الحسين عليه السلام فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل عليه السلام بفتيانه وقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه، فجاؤا به حتّى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

وقال أبو الفرج في «المقاتل»: حدّثني أحمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن، عن بكر بن عبد الوهاب، عن إسماعيل بن أبي زياد بن إدريس، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام: إنّ أوّل قتيل قُتل من ولد أبي طالب مع الحسين ابنه عليّ عليه السلام.

قال أبو الفرج: عليّ بن الحسين هذا هو الأكبر، ولا عقب له، ويكنّى أبا الحسن، وأمّه ليلى بنت أبي مرّة، وهو أوّل من قتل في الواقعة.

وقال يحيى بن الحسن العلوي: وأصحابنا الطالبيّون يذكرون أنّ المقتول لأمّ ولد، وأنّ الذي أمّه ليلى هو جدّهم وولد في خلافة عثمان.

ثمّ قالوا: وخرج غلام من تلك الأبنية وفي أذنيه درّتان، وهو مذعور، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هانئ بن بعيث «لعنه الله» فقتله، فصارت شهربانو تنظر إليه ولا تتكلّم كالمدهوشة.

ثمّ التفت **الحسين** عليه السلام عن يمينه فلم يرّ أحداً من الرجال، والتفت عن يساره فلم يرّ أحداً، فخرج عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وكان مريضاً لا يقدر أن يقلّ سيفه؛ وأمّ كلثوم تنادي خلفه: يا بني ارجع.

فقال: يا عمّتاه، ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله.

فقال الحسين عليه السلام: خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمّد صلى الله عليه وآله، ولمّا فجع الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده ولم يبق غيره وغير النساء والذراري نادي: هل من ذابّ يذبُّ عن حرم رسول الله، هل من موحّد يخاف الله فينا، هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا، وارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدّم عليه السلام إلى باب الخيمة فقال: ناولوني عليّاً ابني الطفل حتّى أودّعه، فناولوه الصبيّ.

وقال المفيد رحمه الله: دعا بابنه عبد الله، قالوا: فجعل يقبّله وهو يقول: ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدّك محمّد المصطفى خصمهم والصبيّ في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي «لعنه

الله» بسهم فذبحه وهو في حجر الحسين، فتلقّى الحسين دمه حتّى امتلأت كفّه، ثمّ رمى به إلى السماء.

وقال السيّد: ثمّ قال: هوّن عليَّ ما نزل بي أنّه بعين الله.

قال الباقر عليه السلام: «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.

قالوا: ثمّ قال: لا يكون أهون عليك من فصيل. اللّهمّ إن كنت حبست عنّا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا.

قال في «البحار»: وفي بعض الكتب: إنّ الحسين عليه السلام لمّا نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أصحابه وأهل بيته صرعى، التفت إلى الخيمة ونادي: يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أمّ كلثوم، عليكنّ منّي السلام، فنادته سكينة: يا أبتِ، استسلمت للموت؟

فقال: كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين.

فقالت: يا أبتِ، ردّنا إلى حرّم جدّنا؟

فقال: هيهات لو ترك القطا لنام، فتصارخن النساء، فسكّتهنّ الحسين عليه السلام وحمل على القوم.

وزاد في «جلاء العيون»: إنّه كثر قول النساء: الوداع الوداع، والفراق الفراق، فألقت سكينة مقنعتها من رأسها وقالت: يا أبتي، استسلمت للموت، فإلى من تكلنا.

فبكى عليه السلام وقال: يا نور عيني، كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين، ورحمة الله ونصرته لا تفارقكم في الدنيا والآخرة، فاصبري على قضاء الله ولا تشكي، فإن الدنيا فانية والآخرة باقية، ثمّ استدعى بزين العابدين عليه السلام وأودعه أسرار الإمامة والخلافة وأوصى إليه.

ولمّا كان الحسين عليه السلام عالماً بما ينزل به، كان قد أودع كتبه وودائع الأنبياء والأوصياء عند أمّ سلمة «رضي الله عنها» حتّى أنّه إذا رجع عليّ بن الحسين عليه السلام من الكوفة دفعتها إليه، ولمّا كان عليّ بن الحسين مريضاً جعل الحسين وصيّة وأودعها ابنته فاطمة حتّى تسلّمها إلى أخيها «كما روي عن الباقر عليه السلام»: أنّه لما قربت وفاة الحسين استدعى ابنته فاطمة الكبرى وأودع عندها صحيفة ملفوفة ووصيّة ظاهرة لأنّ عليّ بن الحسين كان فيه مرض الاسهال، وكان النّاس لا يظنّون به الصحّة من مرضه، فلمّا شوفي من مرضه سلّمته أخته الوصيّة والصحيفة، والآن هي عندنا. انتهى.

قال المفيد وابن طاووس وغيرهما: ثمّ قام الحسين عليه السلام وركب فرسه وتقدّم إلى القتال، ثمّ وقف عليه السلام قبالة القوم وسيفه مصلت بيده، آيساً من الحياة، عازماً على الموت، وهو يقول:

أنا ابنُ عليّ الطهرُ من آلِ هاشمٍ كفاني بهذا مَفخراً حين أفخرُ
وجدّي رسولُ الله أكرم من مشى ونحنُ سراج الله في الأرض نزهرُ
وفاطمُ أمّي من سلالةِ أحمدٍ وعمّي يُدعى ذا الجناحين جعفرُ
وفينا كتابُ الله أنزلَ صادقاً وفينا الهدى والوحي والخير يذكرُ
ونحنُ أمانُ الله للنّاسِ كلّهم نسرُّ بهذا في الأنام ونجهرُ
ونحنُ ولاةُ الحوض نسقي ولاتنا بكأس رسول الله ما ليس يُنكرُ
وشيعتنا في الناسِ أكرمُ شيعةٍ ومُبغضنا يوم القيامة يخسرُ

قال محمّد بن أبي طالب: وذكر أبو علي السلامي في تأريخه أنّ هذه الأبيات للحسين من إنشائه ليس لأحد مثلها:

فإن تكن الدنيا تعدُّ نفيسةً فإن ثوابَ الله أعلا وأنبلُ
وإن تكن الأبدان للموت أنْشِئت فقتل امرئٍ بالسيف في الله أفضلُ
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً فقلّة حرص المرء في الكسب أجملُ
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخلُ

ثمّ إنّه دعا النّاس إلى البراز، فلم يزل يقتل كلّ مَن دنا منه من عيون الرجال، حتّى قتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ حمل على الميمنة وقال:

«الموتُ خيرُ من رُكوبِ العار»

ثمّ حمل على الميسرة وهو يقول:

أنا الحسين بن عليّ آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبيّ

قال السيّد: قال بعض الرواة: فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون من بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

قال ابن شهرآشوب ومحمّد بن أبي طالب: ولم يزل يقاتل حتّى قتل ألف رجل وتسعمائة رجلاً وخمسين رجلاً، سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد «لعنه الله» لقومه: الويل لكم! أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه من كلّ جانب، وكانت الرماة أربعة آلاف، فرموه بالسهام فحالوا بينه وبين رحله.

وقال محمّد بن أبي طالب والسيّد وصاحب المناقب: «فصاح بهم: ويحكم يا شيعة آل أبي

سفيان! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إذ كنت أعراباً.

فناداه شمر «لعنه الله»، وقال: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً.

فقال شمر «لعنه الله»: لك هذا، ثمّ صاح شمر: إليكم عن حرم الرجل فاقصدوه في نفسه، فلعمري لهو كفؤكريم، قال: فقصده القوم، وهو مع ذلك يطلب شربة من ماء، فكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه بأجمعهم حتّى أجلوه عنه.

وقال ابن شهرآشوب: روى أبو مخنف عن الجلودي: إنّ الحسين عليه السلام حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجّاج الزبيدي، وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة، وأقحم الفرس على الفرات.

فلمّا أولغ الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام: أنت عطشان وأنا عطشان، والله لا ذقت الماء حتّى تشرب، فلمّا سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام شال رأسه ولم يشرب، كأنّه فهم الكلام.

فقال الحسين عليه السلام: أشرب فأنا أشرب، فمدّ الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء، فقال فارس: يا أبا عبد الله، تتلذّذ بشرب الماء وقد هتك حرمك! فرمى الماء من يده وحمل على القوم فكشفهم، فإذا الخيمة سالمة.

قال في «الجلاء»: ثمّ رجع إلى حرمه مرّة أخرى، وودّعهم، وأمرهم بالصبر، ووعدهم الثواب والأجر، وأمرهم بلبس أزرهم، وقال لهم: استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعداءكم بأنواع البلاء، ويعوّضكم الله عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة، فلا تشكّوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم. ثمّ توجّه إلى قتال أعدائه، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وجدّل أبطالاً، ونكّس فرساناً.

وروي: إنّه عليه السلام قتل في ذلك اليوم ألفاً وثمانمائة وخمسين نفراً.

وفي رواية المسعودي: ألف وثمانمائة رجل.

فأمر ابن سعد «لعنه الله» أن يرموه بالنبل والسهام، فرماه منهم بالنبل أربعة آلاف رجل دفعةً واحدة.

وقال أبو الفرج: ثمّ حمل عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق منهم أحداً إلاّ بعجه بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كلّ ناحية وهو يتّقيها بنحره وصدره ويقول: يا أمّة السوء،

بئسما خلّفتم محمّداً صلى الله عليه وآله في عترته، أما أنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتهابوا من قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إيّاي. وأيم الله! لأرجو أن يكرمني ربّي بهوانكم، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

قال: فصاح به الحصين بن مالك فقال: يا ابن فاطمة، وبماذا ينتقم لك منّا؟

قال: يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثمّ يصبّ عليكم العذاب الأليم، ثمّ لم يزل يقاتل حتّى أصابته جراحات عظيمة.

وقال صاحب المناقب والسيّد: حتّى أصابته اثنتان وسبعون جراحة.

وقال أبو مخنف من جعفر بن محمّد عليه السلام: وجدنا بالحسين ثلاثاً وثلاثين طعنة وأربعاً وثلاثين ضربة.

وقال الباقر عليه السلام: أصيب الحسين عليه السلام ووجد به ثلثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم.

وروي: ثلثمائة وستّون جراحة، وقيل: ثلاثة وثلاثون ضربة سوى السهام، وقيل: ألف وتسعمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ.

وروي: **إنّها كانت كلّها في مقدّمه.**

قالوا: ثمّ رماه رجل من القوم يكنّى أبا الحتوف الجعفي «لعنه الله» بسهم، فوقع السهم في جبهته، فنزعه من جبهته فسالت الدماء على وجهه ولحيته، فقال عليه السلام: اللّهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة. اللّهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه فأتاه سهم محدّد مسموم له ثلاث شعب فوقع السهم في صدره - وفي بعض الروايات: على قلبه - .

فقال الحسين عليه السلام: بسم الله، وبالله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنّك تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره، ثمّ أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلمّا امتلأت رمى به إلى السماء، فلم يرجع من ذلك الدم قطرة، وما عرفت الحمرة في السماء حتّى رمى الحسين بدمه إلى السماء.

ثمّ وضع يده ثانياً، فلمّا امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته وقال: هكذا أكون حتّى ألقى جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مخضوب بدمي وأقول: يا رسول الله، قتلني فلان وفلان، ثمّ ضعف عليه السلام عن القتال فوقف، فكلّما أتاه رجل وانتهى إليه انصرف عنه، حتّى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر «لعنه الله» وشتم الحسين وضربه بالسيف على رأسه، وكان على الحسين عليه السلام برنس فامتلأ البرنس دماً.

فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين، ثمّ ألقى البرنس ولبس قلنسوة واعتمّ بها وقد أعيى، وجاء الكندي وأخذ البرنس، وكان من خزّ.

فلمّا قدم بعد الوقعة على امرأته فجعل يغسل الدم عنه، فقالت له امرأته: أتدخل بيتي بسلب ابن رسول الله، أخرج عنّي حشا الله قبرك ناراً، فلم يزل بعد ذلك فقيراً بأسوء حال، ويبست يداه، وكانتا في الشتاء ينضحان دماً وفي الصيف تصيران يابستين كأنّهما عودتان.

وقال المفيد والسيّد: فلبثوا هنيئة ثمّ عادوا وأحاطوا به، فخرج عبد الله بن الحسن بن عليّ عليه السلام - وهو غلام لم يراهق - من عند النساء يشتدّ، حتّى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام، فلحقته زينب بنت عليّ لتحبسه، فقال لها الحسين: إحبسيه يا أختي.

فأبى الغلام وامتنع امتناعاً شديداً، وقال: لا والله لا أفارق عمّي، وأهوى أبجر بن كعب، وقيل: حرملة بن كاهل «لعنه الله» إلى الحسين بالسيف فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي، فضربه بالسيف فاتّقاه الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد، فإذا هي معلّقه.

فنادي الغلام: يا أمّاه، فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: يا ابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين.

قال السيّد: فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر الحسين. وطعن الحسين صالح بن وهب المزني «لعنه الله» على خاصرته طعنة فسقط عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن، ثمّ قام عليه السلام. «قال» وخرجت زينب من الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه، وا سيّداه، وأهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل.

وفي رواية ابن شهرآشوب: إنّها قالت: يا عمر بن سعد، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ ودموع عمر تسيل على خدّيه ولحيته، وهو يصرف وجهه عنها، وجلس الحسين قاعداً فنزع السهم من نحره وقرن كفّيه جميعاً، وكلّما امتلأتا من دمائه خضّب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: هكذا حتّى ألقى الله مخضوباً بدمي، مغصوباً عليّ حقّي.

وصاح الشمر «لعنه الله»: ما تنتظرون بالرجل، فحملوا عليه من كلّ جانب، فرماه الحصين بن نمير «لعنه الله» في فيه، وأبو أيّوب الغنوي بسهم في حلقه، وضربه زرعة بن شريك التميمي، وكان قد طعنه سنان بن أنس النخعي في صدره، وطعنه صالح بن وهب على خاصرته.

وقال السيّد: فقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه: انزل ويحك إلى الحسين فأرحه، فبدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتزّ رأسه، فأرعد، فنزل إليه سنان بن أنس النخعي فضربه بالسيف في حلقه الشريف وهو يقول: والله إنّي لأحتزّ رأسك وأعلم أنّك ابن رسول الله، وخير النّاس أباً وأمّاً، ثمّ احتزّ رأسه المقدّس.

وفي «المناقب»: إنّه حمل عليه سنان في تلك الحال فطعنه بالرمح فصرعه، وقال لخولي بن يزيد: احتزّ رأسه، فضعف وارتعدت يده.

فقال له سنان: فتّ الله عضدك، وأبان يدك، فنزل إليه الشمر «لعنه الله»، وكان اللعين أبرص، فضربه برجله فألقاه على قفاه، ثمّ أخذ لحيته.

فقال الحسين عليه السلام: أنت الأبقع الذي رأيتك في منامي، فقال: أتشبّهني بالكلاب! ثمّ جعل يضرب بسيفه يذبح الحسين عليه السلام وهو يقول: أقتلك اليوم ونفسي تعلم علماً يقيناً ليس فيه مزعم ولا مجال، أنّ أباك خير من تكلم، انتهى.

وعن زين العابدين عليه السلام: إنّ قاتل الحسين سنان بن أنس «لعنه الله»، والأشهر أنّ قاتله ولد الزنا الشمر «لعنه الله»، وفي بعض الروايات: أنّ قاتله خولي، والأظهر أنّ الثلاثة لعنهم الله اشتركوا في قتله.

وقال في «المناقب»: فنزل إليه خولي بن يزيد الأصبحي، فاحتزّ رأسه.

وقيل: بل جاء إليه شمر وسنان بن أنس «لعنهما الله» والحسين عليه السلام بآخر رمق، يلوك لسانه من العطش ويطلب الماء، فرفسه برجله الشمر «لعنه الله» وقال: يا ابن أبي تراب، ألست تزعم أنّ أباك على حوض النبيّ صلى الله عليه وآله يسقي من أحبّه، فاصبر حتّى تأخذ الماء من يده، ثمّ قال لسنان: احتزّ رأسه.

فقال سنان: والله لا أفعل فيكون جدّه محمّد خصمي، فغضب شمر «لعنه الله» وجلس على صدره، وقبض على لحيته، وهمّ بقتله، فضحك الحسين عليه السلام وقال له: أتقتلني ولا تعلم من أنا.

فقال: أعرفك حقّ المعرفة؛ أمّك فاطمة الزهراء، وأبوك عليّ المرتضى، وجدّك محمّد المصطفى، وخصمك العليّ الأعلى، أقتلك ولا أبالي، فضربه بسيفه اثني عشر ضربة، ثمّ حزّ رأسه عليه السلام.

وروي أبو مخنف عن الجلودي: إنّه لمّا صرع الحسين عليه السلام فجعل فرسه يحامي عنه ويثب على الفارس فيخبطه عن سرجه ويدوسه، حتّى قتل الفرس أربعين رجلاً، ثمّ تمرّغ في دم الحسين عليه السلام وقصد نحو الخيمة وله صهيل عال، ويضرب بيديه الأرض.

وفي رواية «الأمالي» عن زين العابدين عليه السلام، قال: وأقبل فرس الحسين حتّى لطّخ عرفه وناصيته بدم الحسين، وجعل يركض ويصهل، فسمع بنات النبيّ صلى الله عليه وآله صهيله، فخرجن، فإذا الفرس بلا راكب، فعرفن أنّ حسيناً عليه السلام قد قُتل، وخرجت أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين واضعة يدها على صدرها تندب وتقول: وا محمّداه، هذا الحسين بالعراء، قد سلب العمامة والرداء.

وفي بعض الروايات: وخرجت زينب عليها السلام وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين، وقلب كئيب: وا محمّداه، صلّى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمّد المصطفى، وإلى عليّ المرتضى، وإلى حمزة سيّد الشهداء.

وا محمّداه، هذا حسين بالعراء تسفي عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا، يا حزناه، يا كرباه، اليوم مات جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، يا أصحاب محمّد، هؤلاء ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السبايا.

وقال السيّد ابن طاووس: فلمّا قتل عليه السلام ارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة، سوداء مظلمة، فيها ريح حمراء، لا ترى فيها عين ولا أثر، حتّى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم، فلبثوا كذلك ساعة ثمّ انجلت عنهم.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن الحلبي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا قتل الحسين عليه السلام سمع أهلنا قائلاً بالمدينة يقول: اليوم نزل البلاء على هذه الأمّة، فلا يرون فرحاً حتّى يقوم قائمكم فيشفي صدوركم، ويقتل عدوّكم، وينال بالوتر أوتاراً، ففزعوا منه، وقالوا: إنّ لهذا القول لحادثاً قد حدث ما نعرفه، فأتاهم بعد ذلك خبر الحسين عليه السلام وقتله، فحسبوا ذلك، فإذا هي تلك الليلة التي تكلّم فيها المتكلّم.

وروي أيضاً: إنّ الحسين عليه السلام لمّا قتل، أتاهم آتٍ وهم في المعسكر، فصرخ فزبر، فقال لهم: وكيف لا أصرخ ورسول الله صلى الله عليه وآله قائم ينظر إلى الأرض مرّة، وينظر إلى حربكم مرّة، وأنا أخاف أن يدعو الله على أهل الأرض فأهلك فيهم، فقال بعضهم لبعض: هذا إنسان مجنون، فقال بعضهم: تالله ما صنعنا بأنفسنا، قتلنا لابن سميّة «لعنه الله» سيّد شباب أهل الجنّة، وخرجوا على عبيد الله بن زياد «لعنه الله»، فكان من أمرهم الذي كان.

«قال الراوي»: قلت له: جعلت فداك، من هذا الصارخ؟

قال: ما نراه إلاّ جبرئيل، أما إنّه لو أذن فهيم لصاح بهم صيحة يخطف منها أرواحهم من أبدانهم إلى النّار، ولكن أمهل ليزدادوا إثماً ولهم عذاب أليم.

وروي في «البحار» عن كتاب «المناقب» القديم بإسناده عن المفضّل، عن الصادق، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه، ثمّ تمرّغ، ثمّ طار فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن عليّ عليه السلام، وهي الصغرى، فرفعت رأسها فنظرت إليه فبكت بكاءً شديداً، وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت مَن ... تنعاه ويلك يا غراب
قال الإمام فقلت مَن ... قال الموفّق للصواب

إنّ الحسين بكربلا بين الأسنّة والضراب
فابكي الحسين بعبرةٍ ترجي الإله مع الثواب
قلت الحسين فقال لي حقّاً لقد سكن التراب
ثمّ استقلّ به الجناح فلم يطق ردّ الجواب
فبكيت ممّا حلّ بي بعد الدعاء المستجاب

قال محمّد بن عليّ: فنعته لأهل المدينة فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطّلب، فما كان بأسرع أن جاءهم الخبر بقتل الحسين بن علي عليه السلام.

وهذا الحديث لا يخلو من غرابة: لمخالفته لغيره من الأخبار من كون فاطمة الصغرى كانت مع أبيها في واقعة كربلاء.

وقال المفيد والسيّد وغيرهما: ثمّ أقبلوا على سلب الحسين عليه السلام، فأخذ قميصه إسحاق ابن حوية الحضرمي، فلبسه فصار أبرص وأسقط شعره.

وأخذ سراويله أبجر بن كعب التميمي، وروي أنّه صار زمناً مقعداً من رجليه.

وأخذ عمامته أخنس بن مرتد بن علقمة الحضرمي، وقيل: جابر بن يزيد الأزدي، فاعتمّ بها فصار معتوهاً، وفي غير رواية السيّد: فصار مجذوماً.

وأخذ درعه مالك بن بشر الكندي فصار معتوهاً.

وقال السيّد: وأخذ نعليه الأسود بن خالد، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي، فقطع إصبعه عليه السلام مع الخاتم - وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحّط بدمه حتّى هلك -.

وأخذ قطيفة له عليه السلام كانت من خزّ قيس بن الأشعث.

وأخذ درعه البتريّ عمر بن سعد «لعنه الله».

وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأزدي، ويقال: رجل من بني تميم يقال له الأسود بن حنظلة، وفي رواية ابن سعيد أنّه أخذ سيفه فلان النهشلي، وزاد محمّد بن زكريّا: أنّه وقع بعد ذلك إلى بيت حبيب بن بديل، وهذا السيف المنهوب ليس بذي الفقار، فإنّ ذلك كان مذخوراً مصوناً مع أمثاله في ذخائر النبوّة والإمامة، وقد نقل الرواة تصديق ما قلناه وصورة ما حكيناه.

وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول وقرّة عين الزهراء البتول، حتّى جعلوا ينزعون ملحفة المرأة عن ظهرها.

وروي حميد بن مسلم، قال: رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين وفسطاطهنّ وهم يسلبوهنّ،

أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله، لا حكم إلاّ لله، يا لثارات رسول الله ﷺ، فأخذها زوجها وردّها إلى رحله.

قال في «الجلاء»: وكلّ ما وجدوا في خيام النساء نهبوه حتّى أقراط الأطفال وخلاخيل النساء، وخرموا أذني أمّ كلثوم وأخذوا قرطيها.

وفي «المناقب» وكتاب محمّد بن أبي طالب: فأخذوا ما كان في الخيمة حتّى أفضوا إلى قرط كان في أذن أمّ كلثوم أخت الحسين عليه السلام، فأخذوه وخرموا أذنها حتّى كانت المرأة لتنازع ثوبها على ظهرها حتّى تغلب عليه.

وروي عن فاطمة بنت الحسين، قالت: كنت صغيرة وفي رجلي خلخال من ذهب، فشرع رجل منهم يعالجه ليخرجه من رجلي وهو يبكي، فقلت له: يا عدوّ الله، لِمَ تبكي؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أنهب ابنة النبيّ، فقلت: إذا علمت ذلك فلِمَ تتعرّض لنهبي؟

فقال: إذا أنا لم انتهبه، انتهبه غيري.

وقال المفيد رحمه الله: قال حميد بن مسلم: فانتهينا إلى عليّ بن الحسين وهو منبسط على فراش، وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجّالة، فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟

فقلت: سبحان الله، أنقتل الصبيان، إنّما هذا صبيّ، وأنّه لما به، فلم أزل حتّى دفعتهم عنه، وجاء عمر بن سعد «لعنه الله» فصاحت النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النساء، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض، فسألته النسوة أن يسترجع ما أخذ منهنّ ليستترن به، فقال: من أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه، فوالله ما ردّ أحد منهم شيئاً، فوكّل بالفسطاط وبيوت النساء وعليّ بن الحسين عليه السلام جماعة ممّن كان معه، وقال: أحفظوهم لئلاّ يخرج منهم أحد ولا يُسَأ إليهم.

وقال المجلسي رحمه الله في «البحار»: رأيت في بعض الكتب: أنّ فاطمة الصغرى قالت: كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكّر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أميّة أيقتلوننا أو يأسروننا، فإذا برجل على ظهر جواد يسوق النساء بكعب رمحه وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض، وقد أخذ ما عليهنّ من أخمرة وأسورة وهنّ يصحن:

واجدّاه، واأبتاه، واعليّاه، واقلّة ناصراه، واحسناه، أما من مجير يجيرنا، أما من ذائد يذود عنّا؟

قالت: فطار فؤادي، وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أمّ كلثوم خشيةً منه أن يأتيني، فبينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني، ففررت منهزمة وأنا

أظنّ أنّي أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت خشيةً منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي، فخرم أذني، وأخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدّي، ورأسي تصهره الشمس، وولّى راجعاً إلى الخيم وأنا مغشى عليَّ، وإذا أنا بعمّتي عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي لنعلم ما جرى على البنيّات وأخيك العليل، فقمت وقلت: يا عمّتاه، هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظّار؟

فقالت: يا بنتاه، وعمّتك مثلك، فرأيت رأسها مكشوفاً، ومتنها قد اسودّ من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمة إلاّ وهي قد نهبت وما فيها، وأخي عليّ بن الحسين عليه السلام مكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا.

وروي الكليني بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، لما قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبيّة عليه مأتماً، وبكت وبكين النساء والخدم حتّى جفّت دموعهنّ وذهبت، فبينا هي كذلك إذ رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها فقالت لها: ما لكِ أنت من بيننا تسيل دموعك؟

قالت: إنّي لمّا أصابني الجهد شربت شربة سويق، قال: فأمرت بالإطعام والأسوقة، فأكلت وشربت وأطعمت وسقت، وقالت: إنّما نريد بذلك أن نتقوى على البكاء على الحسين.

قال: وأهدي إلى الكلبيّة جوناً[1] لتستعين بها على مأتم الحسين عليه السلام، فلمّا رأت الجون قالت: ما هذه؟ قالوا: هدية أهداها فلان لتستعيني بها على مأتم الحسين عليه السلام، فقالت: لسنا في عرس، فما نصنع بها، ثمّ أمرت بهنّ فأخرجن من الدار، فلمّا أخرجن من الدار لم يحسّ لها حسّ، كأنّما طرن بين السماء والأرض، ولم ير لهنّ بعد خروجهنّ من الدار أثر.

وكانت هذه الواقعة العظيمة الهائلة في يوم الجمعة، أو يوم السبت، عاشر المحرّم سنة إحدى وستّين، وكان عمر الحسين عليه السلام في ذلك الوقت سبعة وخمسين سنة.

وفي رواية: «ثمانية وخمسين سنة»، ويمكن الجمع بحمل الأولى على تمام العدد، وحمل الثانية على الدخول في الثامنة، وكانت شيبته الشريفة صلوات الله عليه وروحي له الفداء مخضوبة بالوسمة.

وفي **عدد الشهداء** الذين كانوا معه خلاف.

قال ابن شهرآشوب ومحمّد بن أبي طالب: اختلفوا في عدد المقتولين من أهل

---

(١) الجون: نوع من الطيور.

البيت عليهم السلام، والأكثرون على أنّهم كانوا سبعة وعشرين؛ سبعة من بني عقيل: مسلم المقتول بالكوفة، وجعفر، وعبد الرحمن أبناء عقيل، ومحمّد بن مسلم، وعبد الله بن مسلم، وجعفر بن محمّد بن عقيل، ومحمّد بن أبي سعيد بن عقيل.

وزاد ابن شهرآشوب عوناً ومحمّداً ابني عقيل.

وثلاثة من ولد جعفر بن أبي طالب: محمّد بن عبد الله بن جعفر، وعون الأكبر بن عبد الله، وعبيد الله بن عبد الله.

ومن ولد عليّ عليه السلام تسعة: الحسين، والعبّاس عليه السلام - ويقال: وابنه محمّد بن العبّاس - وعمر بن عليّ، وعثمان بن عليّ، وجعفر بن عليّ، وإبراهيم بن عليّ، وعبد الله بن عليّ الأصغر، ومحمّد بن عليّ الأصغر، وأبو بكر شكَّ في قتله.

وأربعة من بني الحسن عليه السلام: أبو بكر، وعبد الله، والقاسم، وقيل: بشر، وقيل: عمر، وكان صغيراً.

وستّة من بني الحسين عليه السلام مع اختلاف فيه: عليّ الأكبر، وإبراهيم، وعبد الله، ومحمّد، وحمزة، وعليّ، وجعفر، وعمر، وزيد، وذبح عبد الله في حجره، ولم يذكر صاحب المناقب إلاّ عليّاً وعبد الله، وأسقط ابن أبي طالب حمزة وإبراهيم وزيداً وعمر.

وقال ابن شهرآشوب: ويقال: لم يقتل محمّد الأصغر ابن عليّ لمرضه، ويقال: رماه رجل من بني دارم فقتله.

وقال أبو الفرج: جميع من قتل يوم الطفّ من ولد أبي طالب، سوى من يختلف في أمره، اثنان وعشرون رجلاً.

وقال ابن نما عليه السلام: قالت الرواة: كنّا إذا ذكرنا عند محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قتل الحسين عليه السلام قال: قتلوا سبعة عشر إنساناً كلّهم ارتكض في بطن فاطمة، يعني بنت أسد أمّ عليّ عليه السلام.

وفي زيارة الشهداء الطويلة المشتملة على أسمائهم التي خرجت من الناحية المقدّسة على يد الشيخ محمّد بن غالب الاصفهاني، كما رواه السيّد في «الإقبال» ذكر فيها من أولاد الحسين عليه السلام: عبد الله، ومن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام: عبّاس، وجعفر، وعثمان، ومحمّد، ومن أولاد الحسن عليه السلام: أبو بكر، وعبد الله، والقاسم، ومن أولاد مسلم: عبد الله، وأبي عبد الله محمّد، ومن أولاد عبد الله بن جعفر الطيّار: عون ومحمّد، ومن أولاد عقيل: جعفر، وعبد الرحمن، ومحمّد بن أبي سعيد بن عقيل، وهؤلاء ثمانية عشر، وذكر فيها غيرهم من الشهداء أربعاً وستّين رجلاً.

وروي الشيخ في «المصباح» عن عبد الله بن سنان، قال: دخلت على سيّدي أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام في يوم عاشوراء، فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول الله، ممّ بكاؤك لا أبكى الله عينيك؟

فقال لي: أوَفي غفلة أنت، أما علمت أنّ الحسين بن عليّ أصيب في مثل هذا اليوم؟

قلت: يا سيّدي، فما قولك في صومه؟

فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذٍ حيّاً لكان صلى الله عليه وآله هو المعزّي بهم.

قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتّى أخضلّت لحيته بدموعه، ثمّ قال: إنّ الله عز وجل لما خلق النور خلقه يوم الجمعة في تقديره في أوّل يوم من شهر رمضان، وخلق الظلمة في يوم الأربعاء يوم عاشوراء في مثل ذلك اليوم، يعني العاشر من شهر المحرّم في تقديره، وجعل لكلّ منهما شرعة ومنهاجاً، الحديث.

وقال الشيخ المفيد ومحمّد بن أبي طالب وغيرهما: ثمّ إنّ عمر بن سعد سرّح برأس الحسين عليه السلام يوم عاشوراء مع خولي بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم «لعنهما الله» إلى ابن زياد «لعنه الله»، ثمّ أمر برؤوس الباقين من أهل بيته وأصحابه فقطعت وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن إلى الكوفة، وأقام ابن سعد «لعنه الله» يومه ذلك وغده إلى الزوال فجمع قتلاه فصلّى عليهم، ودفنهم وترك الحسين عليه السلام وأصحابه منبوذين بالعراء، فلمّا ارتحلوا إلى الكوفة عمد أهل الغاضريّة من بني أسد فصّلوا عليهم ودفنوهم.

أقول: وهذا كان بحسب الظاهر، وأمّا واقعاً فإنّ الإمام لا يدفنه إلاّ إمام، كما دلّت عليه جملة من الأخبار.

وقال ابن شهرآشوب: وكانوا يجدون لأكثرهم قبوراً، ويرون طيوراً بيضاً.

وروي عن الباقر عليه السلام: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام أتى خفية وصلّى على أبيه ودفنه.

قال المجلسي في «البحار»: قد مضى في كتاب الإمامة والفتن أخبار كثيرة دالّة على أنّ كلاً منهم عليهم السلام كان مأموراً خاصّة مكتوبة في الصحف السماويّة النازلة على الرسول صلى الله عليه وآله، فهم كانوا يعملون بها، ولا ينبغي قياس الأحكام المتعلّقة بهم على أحكامنا، وبعد الاطّلاع على أحوال الأنبياء عليهم السلام، وأنّ كثيراً منهم كانوا يبعثون فرادي على ألوفٍ من الكفرة، ويسبّون

آلهتهم، ويدعونهم إلى دينهم، ولا يبالون بما ينالهم من المكاره والضرب والحبس والقتل والإلقاء في النّار وغير ذلك، لا ينبغي الاعتراض على أئمّة الدين في أمثال ذلك، مع أنّه بعد ثبوت عصمتهم بالبراهين والنصوص المتواترة لا مجال للاعتراض عليهم، بل يجب التسليم لهم في كلّ ما يصدر عنهم، على أنّك لو تأمّلت حقّ التأمّل، علمت أنّه عليه السلام فدى نفسه المقدّسة عن دين جدّه ولم تتزلزل أركان بني أميّة إلاّ بعد شهادته، ولم يظهر للنّاس كفرهم وضلالتهم إلاّ عند فوزه بسعادته، ولو كان عليه السلام يسالمهم ويوادعهم كان يقوى ويشتبه على النّاس أمرهم، فيعود بعد حين أعلام الدين طامسة وآثار الهداية مندرسة، انتهى.

وقال في «جلاء العيون»: ينبغي للشيعة بسبب هذه الأمور الهائلة والوقائع العظيمة أن يزيد اعتقادهم في أئمّتهم؛ لأنّه كلّما كان الإنسان مقرّباً عند الله تعالى كان ابتلاؤه في الدنيا أكثر، وكثير من المخلصين المؤمنين يدعون الله بالتوفيق للشهادة، وهؤلاء أولياء الله وأحبّاؤه، كيف لا يحبّون ذلك على أنّهم لاستغراقهم في محبّة إلههم ومعبودهم يكون ابتلاؤه عندهم نعمة عظيمة ولذّة جسيمة.

وقد ورد في جملة من الأحاديث المعتبرة أنّ أكثر الأنبياء قد أصابهم الذلّ العظيم والهوان الجسيم، وأنّ الله سبحانه وتعالى إكراماً لنبيّنا صلى الله عليه وآله ابتلى أهل بيته بهذه المصائب لرفع درجاتهم، وأنّهم لو سألوا الله دفع ذلك عنهم، وألحّوا عليه في إزالة ملك الطواغيت لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ولكنّهم رضوا بقضاء الله وصبروا على بلاء الله.

ألا ترى أنّ الحسين لمّا عرضت عليه الجنّ وأفواج الملائكة أن ينصروه لم يقبل؛ واختار الشهادة لعلمه بأنّها مطلوبة الله تعالى محبوبة له، وقد كان جميع الأنبياء والأوصياء السابقين يتمنّون منزلته عليه السلام، وهو كان فرحاً مستبشراً بذلك، كما تقدّم بعض الأخبار الدالّة على ذلك، وما ظهر منه عليه السلام من إظهار بعض الألفاظ فإنّما هي لإتمام الحجّة وقيام الحجّة على أنّ أصحابه عليه السلام الذين كالنقطة في بحر علومه، واللجّة في عباب فضائله كانوا فرحين مستبشرين بالشهادة، فكيف حاله عليه السلام.

وروي الصدوق في «الأمالي» مسنداً عن الباقر عليه السلام أنّه قال: المؤمنون يبتلون ثمّ يميّزهم الله عنده. إنّ الله لم يؤمن المؤمنين من بلاء الدنيا ومرائرها، ولكن آمنهم من العمى والشقاء في الآخرة.

ثمّ قال: كان الحسين بن عليّ عليه السلام يضع قتلاه بعضهم على بعض ثمّ يقول: قتلانا قتلى النبيّين وآل النبيّين.

وروي القطب الراوندي في «الخرائج والجرائح» بإسناد معتبر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يُقتل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي:

يا بنيّ إنّك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيّون وأوصياء النبيّين، وهي أرض تدعى عمورا، وأنّك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد، وتلا: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم، فأبشروا، فوالله لئن قتلونا فإنّا نرد إلى نبيّنا.

قال: ثمّ أمكث ما شاء الله فأكون أوّل من تنشقّ الأرض عنه، فأخرج خرجة، يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين عليه السلام، وقيام قائمنا، وحياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ لينزلنّ عليَّ وفد من السماء من عند الله لم ينزلوا إلى الأرض قطّ، ولينزلنّ إليَّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وجنود من الملائكة، ولينزلنّ محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ وأنا وأخي وجميع من منَّ الله عليه في حمولات من حمولات الربّ، جمال من نور لم يركبها مخلوق، ثمّ ليهزّنّ محمّد صلى الله عليه وآله لواءه وليدفعه إلى قائمنا مع سيفه، ثمّ إنّا نمكث بعد ذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الله يخرج من مسجد الكوفة عيناً من ذهب وعيناً من ماء وعيناً من لبن.

ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يدفع إليّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ويبعثني إلى المشرق والمغرب، فلا آتي على عدوّ لله إلاّ أهرقت دمه، ولا أدع صنماً إلاّ أحرقته، حتّى أقع إلى الهند فافتحها، وأنّ دانيال ويوشع يخرجان إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقولان: صدق الله ورسوله، ويبعث معهما إلى البصرة سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم، ويبعث بعثاً إلى الروم فيفتح الله لهم.

ثمّ لأقتلنّ كلّ دابة حرّم الله لحمها حتّى لا يكون على وجه الأرض إلاّ الطيّب، وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل، ولأخيرّنّهم بين الإسلام والسيف، فمن أسلم مننت عليه، ومن كره الإسلام أهرق الله دمه، ولا يبقى رجل من شيعتنا إلاّ أنزل الله عليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب، ويعرّفه أزواجه ومنزلته في الجنّة، ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلاّ كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت، ولتنزلنّ البركة من السماء إلى الأرض حتّى أنّ الشجرة لتقصف ممّا يزيد الله فيها من الثمرة، ولتأكلنّ ثمرة الشتاء في الصيف، وثمرة الصيف في الشتاء، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ثمّ إنّ الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها، حتّى أنّ الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعلمون.

وينبغي أن يعلم أنّ هذه المذلّة الدنيويّة التي أصابتهم عليهم السلام موجبة لعزّتهم في الأخرى، وقربهم من العليّ الأعلى، وأولياء الله لا يذلّون بهذه المصائب، ومن آذاهم وأراد بهم سوءً، قد صار حظّهم في الدنيا أن يلعنهم أولياء الله ويتقربّوا إليه تعالى ببغضهم والبراءة منهم، وقد انقرض نسلهم، وانطمست آثارهم، وهم عليهم السلام قد رفع الله أسماءهم في الدنيا، وانتشرت

علومهم بين الملأ وأوليائهم، وأعداؤهم يصلّون عليهم في الصلاة وغيرها، ويستشفعون إلى الله بهم في طلب حوائجهم، ويزيّنون رؤوس منابرهم ودنانيرهم ودارهمهم بأسمائهم، وسلاطين الأرض يمرّغون وجوههم وجباههم على تراب قبورهم خضوعاً وخشوعاً، وتيجان الملوك تتزاحم بأبوابهم، وفي كلّ يوم تبدّل صحائف سيّئات كثير من شيعتهم بالحسنات لسبب بكائهم وحزنهم عليهم، ويسعد ألوف من الخلق برواية أخبارهم، ونشر أثارهم، فكم من صاحب عمى باطنيّ وظاهريّ قد أبصربهم؟

وكم من بلاء جسمانيّ وروحانيّ قد شفي بهم؟

وكم من ضالّ قد اهتدى بهم؟ ومهتد قد زادت بصيرته وكشف له عن قناع قلبه بحبّهم، على أنّ جلالتهم وعظمتهم ورفعتهم ستظهر في القيامة والرجعة لأوليائهم وأعدائهم حتّى لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، ولا صدّيق ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا دنيّ ولا فاضل، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح، ولا جبّار عنيد ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلاّ عرّفهم جلالة أمرهم، وعظم خطرهم، وكبر شأنهم، وتمام نورهم، وصدق مقاعدهم، وشرف محلّهم ومنزلتهم عنده، وكرامتهم عليه، وخاصّتهم لديه، وقرب منزلتهم منه.

فأيّ مرتبة أعظم من هذه المراتب العظيمة؟ وأيّ منزلة أفضل من هذه المنازل الجسيمة؟

وأمّا ما يخطر في بعض الخواطر العليلة، ويعتري بعض الأفكار الكليلة من أنّه عليه السلام إذا كان عالماً بأنّه يقتل ويغدر به أهل الكوفة فلِمَ توجّه إلى العراق مع أهله ونسائه وعياله وأطفاله؟

فلذلك أجوبة كثيرة، وقد تقدّم جملة من الأخبار قد تضمّنت الجواب عن ذلك.

ومجمل الجواب عن ذلك أنّه لا ينبغي قياس الأحكام المتعلّقة بهم على أحكامنا، وتكاليفهم على تكاليفنا، ولو أنّ العالمين بأقضية الله وأقداره كانوا قادرين على دفع قضاء الله تعالى عن أنفسهم، لما كان يجري قضاء من أقضية الله عليهم، ولا ينزل بلاء من بلايا الله عليهم، وهذا خلاف ما تقتضيه الأقضيّة الربّانيّة والمصالح السبحانيّة، فينبغي أن لا يكون مثلهم عليهم السلام مكلّفين بالعلوم الواقعيّة، بل ينبغي أن يكونوا كغيرهم مكلّفين بالتكاليف الظاهريّة كما في أحكام الكفر والإيمان، والطهارة والنجاسة، فإنّهم لو كانوا مكلّفين في ذلك بالواقع لما عاشروا أحداً من النّاس، ولحكموا بنجاسة جميع الأشياء، وحكموا بكفر أكثر الخلق.

ولو كان الأمر كذلك لما زوّج النبيّ صلى الله عليه وآله عثمان ولا تزوّج بالامرأتين، والحسين عليه السلام كان مكلّفاً بالمسير إلى الكوفة ظاهراً؛ لأنّه لم يسر إلاّ بعد توثّق من القوم وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه طائعين غير مكرهين، وقد جاءته الكتب من وجوه أهل الكوفة وأشرافها، ووعده

جماعة كثيرون بأن ينصروه ويعينوه، وقد بايع عشرون ألفاً من أهل الكوفة له على يد مسلم بن عقيل، وأرسلوا إليه اثني عشر ألف كتاب، فوجب عليه السلام عليه المسير إليهم ظاهراً لقيام الحجّة وإتمام المحجّة.

وجواب آخروهو: أنّه قد ظهر من جملة من الأخبار السابقة أنّه عليه السلام إنّما هرب من المدينة - خوفاً من القتل - إلى مكّة، وكذا خرج من مكّة بعد ما غلب على ظنّه أنّهم يريدون قتله، حتّى إنّه لم يتيسّر له عليه السلام فداه أبي وأمّي ومالي وولدي أن يتمّ حجّه، فتحلّل وخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كانوا لعنهم الله ضيّقوا عليه جميع الأقطار ولم يتركوا له موضعاً للفرار.

وفي بعض الكتب المعتبرة: إنّ يزيد «لعنه الله» أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم، وولاّه أمر الموسم، وأمّره على الحاجّ كلّهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكّن منه، يقتله غيلة، ثمّ دسّ مع الحاجّ في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أميّة، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أيّ حال اتّفق، فلمّا علم الحسين عليه السلام بذلك حلّ من إحرام الحجّ وجعلها عمرة مفردة.

وقد تقدّم جملة من الروايات أنّه لمّا منعه عليه السلام محمّد بن الحنفيّة عن الخروج إلى الكوفة قال: والله يا أخي، لو كنت في حجر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجوني منه حتّى يقتلوني، بل الظاهر أنّه عليه السلام لو سالمهم وبايعهم لما تركوه لشدّة عداوتهم، وكثرة وقاحتهم، بل كانوا يغتالونه بكلّ حيلة ويدفعونه بكلّ وسيلة، وإنّما كانوا يعرضون البيعة أوّلاً عليه لعلمهم بأنّه لا يوافقهم في ذلك، ألا ترى إلى مروان «لعنه الله» كيف كان يشير على والي المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه، وكان ابن زياد «لعنه الله» يقول: اعرضوا عليه فلينزل على أمرنا، ثمّ نرى فيه رأينا؟ ألا ترى كيف آمنوا مسلماً «رضي الله عليه» ثمّ قتلوه.

وأمّا معاوية «لعنه الله» فإنّه مع شدّة عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام كان ذا دهاء ونكراء وحزم، وكان يعلم أنّ قتلهم علانية يوجب رجوع النّاس عنه، فكان يداريهم ظاهراً على كلّ حال، ولذا صالحه الحسن عليه السلام ولم يتعرّض له الحسين عليه السلام، ولذلك كان يوصي ولده اللعين بعدم التعرّض للحسين عليه السلام؛ لأنّه كان يعلم أنّ ذلك يصير سبباً لذهاب دولته.

فإذا كان عليه السلام عالماً بكونه مقتولاً على كلّ حال، فلا يختار الذلّ على العزّ كما صرّح به في بعض كلامه.

وجواب آخروهو: إنّ الله تعالى لإظهار دينه وإعلاء كلمته، قد كلّف أنبياءه وأوصياءهم بتكاليف شاقّة، وعرّضهم لمخاطرات عظيمة، كما أرسل نوحاً عليه السلام وحده إلى آلاف من الخلق، وموسى وهارون إلى فرعون وبني إسرائيل، ونبيّنا صلى الله عليه وآله إلى أهل مكّة، وقد حفظ

أكثرهم من شرّ أعاديهم لمصلحة اقتضته، وكثير من أنبيائه وأوصيائهم قد عذّبوا بأنواع العذاب الدنيوي، إقامة للحجّة وإتماماً للمحجّة على الخلق.

وأنت لو تأمّلت حقّ التأمّل لعلمت أنّه عليه السلام فدى نفسه المقدّسة لدين جدّه، ولم تتزلزل أركان بني أميّة إلاّ بعد شهادته، ولم يظهر للنّاس كفرهم وضلالتهم إلاّ عند فوزه بسعادته، ولو كان عليه السلام يسالمهم ويوادعهم، كان يقوى سلطانهم، ويشتبه على النّاس أمرهم، فتعود بعد حين أعلام الدين طامسة، وآثار الهداية مندرسة، فقتله عليه السلام صار سبباً لانتباه كثير من النّاس، وظهور كفر أولئك الخنّاس، وقد صار ذلك سبباً لاستئصال دولتهم، وانقراض ملكهم، وظهور علوم أهل البيت عليهم السلام، واهتداء جملة من النّاس، واستحكام أمور الدين، وظهور الشرع المبين.

وجواب آخر، وهو: إنّه بعد ثبوت عصمتهم بالبراهين العقليّة القطعيّة، والنصوص المتواترة النقليّة لا مجال للاعتراض عليهم، بل يجب التسليم لهم في كلّ ما يصدر عنهم، والاعتراض عليهم اعتراض على الله تعالى؛ لأنّ ما فعلوه بأمر من الله تعالى.

وروي الكليني في «الكافي» بإسناد معتبر عن حريز، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما أقلّ بقاءكم أهل البيت، وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة النّاس إليكم؟

فقال عليه السلام: إنّ لكلّ واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به، عرف أنّ أجله قد حضر فأتاه النبيّ صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله، وأنّ الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطاها وفسّر له ما يأتي وما يبقى، وبقي فيها أشياء لم تقض، فخرج للقتال، وكانت تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته، فأذن لها، فمكثت تستعدّ للقتال وتتأهّب لذلك حتّى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدّته، وقتل عليه السلام، فقالت الملائكة: يا ربّ، أذنت لنا في الانحدار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله إليهم أن ألزموا قبره حتّى تروه وقد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، فإنّكم قد خصصتم بنصرته وبالبكاء عليه، فبكت الملائكة تعزّياً وحزناً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج يكونون أنصاره.

وفي رواية أخرى معتبرة: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بصحيفة ممهورة باثني عشر مهراً من ذهب، وكلّ واحد من الأئمّة فكّ المهر الذي باسمه وعمل بما فيه.

ونحو ذلك أخبار كثيرة، وهاهنا كلام طويل تركناه مخافة التطويل، والله حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الخامس عشر

في بيان الوقائع المتأخّرة عن قتله عليه السلام
إلى رجوع أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة

روي الشيخ المفيد رحمه الله في «الإرشاد»، والسيّد ابن طاووس في كتاب «الملهوف» وغيرهما: إنّه لمّا قتل الحسين عليه السلام وأصحابه، ورفعت رؤوسهم الشريفة على رؤوس الرماح، وجعلوا في عنق زين العابدين عليه السلام الحديد، والمشهور أنّ ثلاثة من أطفال الحسن لم يقتلوا: الحسن بن الحسن المثنّى، وزيد، وعمر، ثمّ إنّ عمر بن سعد «لعنه الله» بعث برأس الحسين عليه السلام في ذلك اليوم وهو يوم عاشوراء مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته، فنظّفت وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج، فأقبلوا بها حتّى قدموا الكوفة، وأقام بقيّة يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس، ثمّ رحل بمن تخلّف من عيال الحسين عليه السلام وحمل نساءه على أحلاس أقتاب بغير وطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعداء، وهنّ ودائع خير الأنبياء، وساقوهنّ كما يساق سبي الترك والروم في أسر المصائب والهموم، ولله درّ القائل:

يصلّى على المبعوث من آل هاشم ... يغزى بنوه إنّ ذا لعجيب

ولمّا نظرت النسوة إلى القتلى، صحن وضربن وجوههنّ.

قال الراوي: فوالله لا أنسى زينب بنت عليّ وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: وا محمّداه، صلّى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمّد المصطفى، وإلى عليّ المرتضى، وإلى حمزة سيّد الشهداء.

وامحمّداه، هذا حسين بالعراء، تسفي عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا. يا حزناه، يا كرباه، اليوم مات جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله. يا أصحاب محمّداه، هؤلاء ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السبايا.

وفي بعض الروايات: يا محمّداه، بناتك سبايا، وذرّيّتك مقتّلة، تسفي عليهم ريح الصبا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من معسكره في يوم الاثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطّع العُرى، بأبي من لا هو غائب فيرجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتّى قضى بأبي العطشان حتّى مضى، بأبي

من شيبته تقطر بالدماء، بأبي من جدّه رسول إله السماء، بأبي من هو سبط نبيّ الهدى، بأبي محمّد المصطفى، بأبي خديجة الكبرى، بأبي عليّ المرتضى، بأبي فاطمة الزهراء سيّدة النساء، بأبي من ردّت عليه الشمس حتّى صلّى، قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق، ثمّ إنّ سكينة اعتنقت جسد الحسين عليه السلام فاجتمعت عدّة من الأعراب حتّى جرّوها عنه.

أقول: هذه الألفاظ لم يذكرها المفيد والسيّد والشيخ في هذا المقام، بل ذكروها حين أخرجوا النساء من الخيمة ومرّوا بهم على مصرع الحسين عليه السلام، فقالت زينب عليها السلام ذلك، ونحن ذكرناها هاهنا تبعاً للفاضل المجلسي رحمه الله.

وروي ابن قولويه في «الكامل»بإسناد معتبر عن زائدة عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في حديث، قال فيه: إنّه لمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا، وقُتل أبي عليه السلام، وقُتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحُملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري، ويشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب بنت عليّ الكبرى، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد رأيت سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم، مرمّلين بالعراء، مسلّبين، لا يكفّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنّك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة فيدفنونها، وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علوّاً.

فقلت: وما هذا العهد، وما هذا الخبر؟

فقالت: حدّثتني أمّ أيمن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيّام، فعملت له عليه السلام حريرة، وأتاه عليّ عليه السلام بطبق فيه تمر.

ثمّ قالت أمّ أيمن: فأتيتهم بعسّ فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة، وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وشربوا من ذلك اللبن، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثمّ غسل رسول الله صلى الله عليه وآله يده وعليّ عليه السلام يصبّ عليه الماء.

فلمّا فرغ من غسل يده، مسح وجهه ثمّ نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظراً عرفنا فيه السرور في وجهه، ثمّ رمى بطرفه نحو السماء مليّاً، ثمّ وجّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو، ثمّ خرّ ساجداً وهو ينشج فأطال النشيج وعلا نحيبه، وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنّها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام؛ وحزنت معهم لمّا رأينا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وهبناه أنّ نسأله.

حتّى إذا طال ذلك قال له عليّ عليه السلام وقالت فاطمة عليها السلام: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك! فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟

فقال: يا أخي، سررت بكم سروراً ما سررت مثله قطّ، وأنّي لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم؛ إذ هبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمّد، إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنّأك العطيّة، بأن جعلهم وذرّيّاتهم ومحبّيهم وشيعتهم معك في الجنّة، لا يفرّق بينك وبينهم، يحبون كما تحبى، ويعطون ما تعطى حتّى ترضي وفوق الرضا على بلوىّ كثيرة تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملّتك، ويزعمون أنّهم من أمّتك، براء من الله ومنك، خبطاً خبطاً[1]، وقتلاً قتلاً، شتّى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله جلّ وعز على خيرته، وأرض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثمّ قال جبرئيل: يا محمّد، إنّ أخاك مضطهد بعدك، مغلوب على أمّتك، متعوب من أعدائك، ثمّ مقتول بعدك، يقتله أشرّ الخلق والخليفة، أشقى البريّة، نظير عاقر الناقة، ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كلّ حال تكثر بلواهم، وتعظم مصائبهم، وأنّ سبطك هذا - وأومى بيده إلى الحسين عليه السلام - مقتول في عصابة من ذرّيّتك وأهل بيتك، وأخيار من أمّتك بضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذرّيّتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه، ولا تفنى حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض، وأعظمها حرمة، وأنّها لمن بطحاء الجنّة.

فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة، تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال، وكثر اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماء بأهلها، غضباً لك يا محمّد ولذرّيّتك، واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك، ولشرّ ما تكافأ به في ذرّيّتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلاّ استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجّة الله على خلقه بعدك، فيوحي الله

---

(١) الخبط: الضرب.

إلى السماوات والأرض، والجبال والبحار، ومن فيهنّ أنّي أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام.

وعزّتي وجلالي، لأعذّبنّ من وتر رسولي وصفيّي، وانتهك حرمته، وقتل عترته، ونبذ عهده، وظلم أهله، عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فعند ذلك يضجّ كلّ شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك، واستحلّ حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولّى الله جل وعز قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوّة من ماء الحياة، وحلل من حلل الجنّة، وطيب من طيب الجنّة، فغسّلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل، وحنّطوها بذلك الطيب، وصلّى الملائكة صفّاً صفّاً عليهم، ثمّ يبعث الله قوماً من أمّتك لا يعرفهم الكفّار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علماً لأهل الحقّ وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفّه ملائكة من كلّ سماء مائة ألف ملك في كلّ يوم وليلة يصلّون عليه، ويسبّحون الله عنده، ويستغفرون الله لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمّتك متقرّباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله: هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء.

فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار، يدّل عليهم ويعرفون به، وكأنّي بك يا محمّد بيني وبين مكيائيل وعليّ أمامنا ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عددهم، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتّى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمّد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عز وجل، وسيجدّ أناس ممّن حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب: فلمّا ضرب ابن ملجم «لعنه الله» أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه، قلت له: يا أبتِ، حدّثتني أمّ أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك؟

فقال: يا بنيّة، الحديث كمّا حدّثتك أمّ أيمن، وكأنّي بك وبنيّات أهلك سبايا بهذا البلد، أذلاء، خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم النّاس، فصبراً صبراً، فوالذي فلق الحبّة، وبرء النسمة، ما على ظهر الأرض يومئذٍ وليّ غيركم وغير محبّيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر أنّ إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً، فيجول الأرض كلّها في شياطينه وعفاريته فيقول: يا معشر الشياطين، قد أدركنا في ذرّيّة آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النّار، إلاّ من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك النّاس فيهم،

وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وبأوليائهم، حتّى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه، وهو كذوب، إنّه لا ينفع معه عداوتكم عمل صالح، ولا يضرّ مع محبّتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر.

قال زائدة: ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام بعد أن حدّثني بهذا الحديث: خذه إليك، أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً.

وهذا الحديث الشريف وإن تقدّم مضمونه إلاّ أنّه ذكره هنا لمناسبة المقام.

وروي الكليني في «الكافي» بإسناد معتبر عن إدريس بن عبد الله، قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل، فقالت فضّة لزينب: يا سيّدتي، إنّ سفينته كسرت به - أي بمولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في البحر، فخرج به إلى جزيرة، فإذا هو بأسد فقال: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله، فهمهم بين يديه حتّى أوقفه على الطريق والأسد رابض في ناحية، فدعيني أمضي إليه فأعلمه ما هم صانعون غداً.

قال: فمضت إليه فقالت: يا أبا الحارث، فرفع رأسه، ثمّ قالت: أتدري ما يريدون أن يعملوا غداً بأبي عبد الله عليه السلام، يريدون أن يوطئوا الخيل ظهره.

قال: فمشى حتّى وضع يديه على جسد أبي عبد الله عليه السلام، فأقبلت الخيل، فلمّا نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد: فتنة لا تثيروها، انصرفوا، فانصرفوا.

وروي السيّد ابن طاووس رحمه الله وغيره، قال: «لمّا سار ابن سعد «لعنه الله» بالسبايا وقاربوا الكوفة، اجتمع أهلها لينظروا إليهنّ.

قال: فأشرفت امرأة من الكوفيّات فقالت: من أيّ الأسارى أنتنّ؟

فقلن: نحن أسارى آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فنزلت من سطحها وجمعت ملاءً وأزراً ومقانع فأعطتهنّ، فتغطّين بها، وكان مع النساء عليّ بن الحسين قد نهكته العلّة، والحسن بن الحسن المثنّى، وكان قد واسى عمّه وإمامه في الصبر على ضرب السيوف، وطعن الرماح، وإنّما ارتث[1]، وقد أثخن بالجراح، وكان معهم أيضاً زيد وعمرو ولدا الحسن السبط، فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام بصوت ضعيف: أتنوحون وتبكون من أجلنا، فمن قتلنا؟

قال بشير بن حزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت عليّ عليها السلام يومئذٍ ولم أر والله خفرة قطّ أنطق منها، كأنّما تُفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وقد أومأت إلى النّاس بأن انصتوا، فارتدّت الأنفاس، وسكنت الحواسّ، ثمّ قالت:

---

(١) ارتث: أي جرح.

الْحَمْدُ لِلهِ، وَالصَّلاَةُ عَلىَ أَبي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ.

أَمَّ بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَتْلِ وَالْغَدْرِ، أَتَبْكُونَ؟! فَلاَ رَقَأَتِ الدَّمْعَةُ، وَلاَ هَدَأَتِ الرَّنَّةُ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ.

أَلاَ وَهَلْ فِيكُمْ إِلاَّ الصَّلَفُ وَالنَّطَفُ[1]، وَمَلَقُ الإِمَاءِ، وَغَمْزُ الأَعْدَاءِ؟! أَوْ كَمَرْعىً عَلىَ دِمْنَةٍ، أَوْ كَفِضَّةٍ عَلىَ مَلْحُودَةٍ، أَلاَ سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؛ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَفي الْعذَابِ أَنْتُمْ خالِدُونَ.

أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ؟! إِيْ وَاللهِ فَابْكُوا كَثِيراً، وَاضْحَكُوا قَلِيلاً، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا، وَلَنْ تَرْحَضُوهَا[2] بِغَسْلٍ بَعْدَهَا أَبَداً، وَأَنّىَ تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلاَذِ خِيَرَتِكُمْ، وَمَفْزَعِ نَازِلَتِكُمْ، وَمَنَارِ حُجَّتِكُمْ، وَمِدْرَةِ سُنَّتِكُمْ[3].

أَلاَ سَاءَ مَا تَزِرُونَ، وَبُعْداً لَكُمْ وَسُحْقاً، فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الأَيْدي، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ.

وَيْلَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللهِ فَرَيْتُمْ؟! لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا صَلْعَاءَ[4] عَنْقَاءَ سَوْدَاءَ فَقْمَاءَ.

وَفِي بَعْضِهَا: خَرْقَاءَ، شَوْهَاءَ، كَطِلاَعِ الأَرْضِ وَمِلاءِ السَّماءِ.

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ دَماً، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزىَ وَأَنْتُمْ لاَ تُنْصَرُونَ، فَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكُمُ الْمَهْلُ، فَإِنَّهُ لاَ يَحْفُزُهُ الْبِدَارُ وَلاَ يَخَافُ فَوْتَ الثَّارِ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَبِالْمِرْصَادِ.

قال: فوالله لقد رأيت النّاس يومئذٍ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتّى أخضلّت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأمّي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يبزى.

وزاد الطبرسي في «الاحتجاج»: فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا عمّة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة، إنّ البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر، فسكتت.

---

(١) النطف: العايب.
(٢) ترحضوها: تغسلوها.
(٣) المدرة: زعيم القوم.
(٤) صلعاء: خبيثة.

قال السيّد: وروي زيد بن موسى، قال: حدّثني أبي عن جدّي عليه السلام، قال: خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء فقالت:

الْحَمْدُ لِلهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحصى، وَزِنَةَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرى، أَحْمَدُهُ وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِله إِلاَّ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَنَّ وُلْدَهُ ذُبِحُوا بِشَطِّ الْفُراتِ بِغَيْرِ ذَحْلٍ[1] وَلاَ تِراتٍ.

اللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَيْكَ الْكَذِبَ، وَأَنْ أَقُولَ عَلَيْكَ خِلافَ ما أَنْزَلْتَ مِنْ أَخْذِ الْعُهُودِ لِوَصِيِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ، الْمَسْلُوبِ حَقُّهُ، الْمَقْتُولِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، كَما قُتِلَ وَلَدُهُ بِالأَمْسِ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، فيهِ مَعْشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِأَلْسِنَتِهِمْ، تَعْساً لِرُؤُوسِهِمْ! ما دَفَعَتْ عَنْهُ ضَيْماً في حَياتِهِ وَلاَ عِنْدَ مَماتِهِ، حَتّى قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ مَحْمُودَ النَّقيبَةِ، طَيِّبَ الْعَريكَةِ، مَعْرُوفَ الْمَناقِبِ، مَشْهُورَ الْمَذاهِبِ، لَمْ تَأْخُذْهُ اللّهُمّ فيكَ لَوْمَةُ لائِمٍ وَلا عَذْلُ عاذِلٍ. هَدَيْتَهُ يا رَبِّ لِلإِسْلامِ صَغيراً، وَحَمَدْتَ مَناقِبَهُ كَبيراً، غَيْرَ حَريصٍ عَلَيْها، راغِباً في الآخِرَةِ، مُجاهِداً لكَ في سَبيلِكَ، رَضيتَهُ فَاخْتَرْتَهُ، وَهَدَيْتَهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ.

أَمَّا بَعْدُ يا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يا أَهْلَ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَالْخُيَلاءِ! فإِنّا أَهْلُ بَيْتِ إِبْتِلانَا اللهُ بِكُمْ، وَابْتَلاكُمْ بِنا، فَجَعَلَ بَلاءَنا حَسَناً، وَجَعَلَ عِلْمَهُ عِنْدَنا، وَفَهْمَهُ لَدَيْنا. فَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَوِعاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحُجَّتُهُ في الأَرْضِ في بِلادِهِ لِعِبادِهِ. أَكْرَمَنَا اللهُ بِكَرامَتِهِ، وَفَضَّلَنا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم عَلى كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضيلاً بيّناً، فَكَذَّبْتُمُونا، وَكَفَّرْتُمونا، وَرَأَيْتُمْ قِتالنا حَلالاً، وَأَمْوالَنا نَهْباً، كَأَنّا أَوْلادُ تُرْكٍ أَوْ كابُلَ، كَما قَتَلْتُمْ جَدَّنا بِالأَمْسِ، وَسُيُوفُكُمْ تَقْطُرُ مِنْ دِمائنا أَهْلَ الْبَيْتِ، لِحِقْدٍ مُقَدَّمٍ. قَرَّتْ لِذلِكَ عُيُونُكُمْ، وَفَرِحَتْ قُلُوبُكُمْ إِفْتِراءً مِنْكُمْ عَلَى اللهِ، وَمَكْراً مَكَرْتُمْ، وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرينَ، فَلاَ تَدْعُوَنَّكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِلَى الْجَذَلِ بِما أَصَبْتُمْ مِنْ دِمائِنا، وَنالَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْوالِنا، فَإِنَّ ما أَصابَنا مِنَ الْمَصائِبِ الْجَليلَةِ وَالرَّزايَا الْعَظيمَةِ في كِتابٍ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَها، إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ. لِكَيْلا تَأْسَوا عَلى ما فاتَكُمْ، وَلاَ تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ.

تَبّاً لَكُمْ، فَانْتَظِرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذابَ، وَكَأَنْ قَدْ حَلَّ بِكُمْ، وَتَواتَرَتْ مِنَ السَّماءِ نَقِماتٌ، فَتُسْحِتُكُمْ بِما كَسَبْتُمْ، وَيُذيقُ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ فِي الْعَذابِ الأَليمِ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِما ظَلَمْتُمُونا، أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ.

وَيْلَكُمْ! أَتَدْرُونَ أَيَّةُ يَدٍ طاعَنَتْنا مِنْكُمْ؟! وَأَيَّةُ نَفْسٍ نَزَعَتْ إِلى قِتالِنا؟! أَمْ بِأَيَّةِ رِجْلٍ مَشَيْتُمْ إِلَيْنا تَبْغُونَ مُحارَبَتَنا؟! قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، وَغَلُظَتْ أَكْبادُكُمْ، وَطُبِعَ عَلى أَفْئِدَتِكُمْ، وَخُتِمَ عَلى سَمْعِكُمْ

---

(١) الذحل: الثأر.

وَبَصَرِكُمْ، وَسَوَّلَ لَكُمُ الشَّيْطانُ وَأَمْلى لَكُمْ، وَجَعَلَ عَلى بَصَرِكُمْ غِشاوَةً فَأَنْتُمْ لا تَهْتَدُونَ.

تَبّاً لَكُمْ يا أَهْلَ الْكُوفَةِ! أَيُّ تِراتٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَكُمْ وَذُحُولٍ لَهُ لَدَيْكُمْ بِما غَدَرْتُمْ بِأَخيهِ عَلِيّ بْنِ أَبي طالِبٍ، جَدّي وَبَنيهِ عِتْرَةِ النَّبِيِّ الطَّيِّبينَ الأَخْيارِ، وَافْتَخَرَ بِذلِكَ مُفْتَخِرُكُمْ شِعْراً فَقالَ:

نَحْنُ قَتَلْنا عَلِيّاً وَبَني عَلِيٍّ ... بِسُيُوفٍ هِنْدِيَّةٍ وَرِماحِ
وَسَبَيْنا نِساءَهُمْ سَبْيَ تُرْكٍ ... وَنَطَحْناهُمُ فَأَيُّ نِطاحِ

بِفيكَ أَيُّهَا الْقائِلُ الْكَنْكَتُ[1] والأَثْلَبُ[2]، إِفْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكَّاهُمُ اللهُ وَطَهَّرَهُمْ وَأَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، فَاكْظِمْ وَاقْعِ كَما أَقْعى أَبُوكَ، فَإِنَّما لِكُلِّ امْرِيءٍ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ. أَحَسَدْتُمُونا - وَيْلاً لَكُمْ - عَلى ما فَضَّلَنَا اللهُ عَلَيْكُمْ.

نَحْنُ قَتَلْنا عَلِيّاً وَبَني عَلِيٍّ ... بِسُيُوفٍ هِنْدِيَّةٍ وَرِماحِ
وَسَبَيْنا نِساءَهُمْ سِبْيَ تُرْكٍ ... وَنَطَحْناهُمُ فَأَيُّ نِطاحِ

بِفيكَ أَيُّهَا الْقائِلُ الْكَنْكَتُ والأَثْلَبُ، إِفْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكَّاهُمُ اللهُ وَطَهَّرَهُمْ وَأَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، فَاكْظِمْ وَاقْعِ كَما أَقْعى أَبُوكَ، فَإِنَّما لِكُلِّ امْرِيءٍ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ. أَحَسَدْتُمُونا - وَيْلاً لَكُمْ - عَلى ما فَضَّلَنَا اللهُ عَلَيْكُمْ.

فَما ذَنْبُنا إِنْ جاشَ دَهْراً بُحُورُنا ... وَبَحْرُكَ ساجٍ[3] لاَ يُوارِي الدَّعامِصا[4]

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء، وقالوا: حسبك يا بنت الطيّبين، فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت.

قال السيّد أيضاً: وخطبت أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها رافعة صوتها بالبكاء، فقالت:

يا أَهْلَ الْكُوفَةِ، سُوْءَةً لَكُمْ، ما لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسِيْناً وَقَتَلْتُمُوْهُ، وَانْتَهَبْتُمْ أَمْوالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ، وَسَبَيْتُمْ نِساءَهُ وَنَكَبْتُمُوهُ؟! فَتَبّاً لَكُمْ وَسُحْقاً.

---

(١) الكنكث: فتات الحجارة والتراب.
(٢) الأثلب: الحجر.
(٣) ساج: راكد.
(٤) الدعموص: دودة سوداء تغوص في الماء.

وَيْلَكُمْ، أَتَدْرُونَ أَيُّ دَواهٍ دَهَتْكُمْ؟ وَأَيَّ وِزْرٍ عَلى ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ؟ وَأَيَّ دِماءٍ سَفَكْتُمُوها؟ وَأَيَّ كَريمَةٍ أَصَبْتُمُوها؟ وَأَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبْتُمُوها؟ وَأَيَّ أَمْوالٍ انْتَهَبْتُمُوها؟ قَتَلْتُمْ خَيْرَ رِجالٍ بَعْدَ النَّبِيِّ، وَنُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ، أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ؛ وَحِزْبُ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ

ثمّ قالت:

قَتَلْتُمْ أَخي صَبْراً فَوَيْلٌ لأُمَّكُمُ ... سَتُجْزَوْنَ ناراً حَرُّها يَتَوَقَّدُ
سَفَكْتُمْ دِماءً حَرَّمَ اللهُ سَفْكَها ... وَحَرَّمَها الْقُرْآنُ ثُمَّ مُحَمَّدُ
أَلا فَابْشِرُوا بِالنّارِ إِنَّكُمُ غَداً ... لَفي سَقَرٍ حَقّاً يَقيناً تُخَلَّدُوا
وَإِنّي لأَبْكي في حَياتي عَلى أَخي ... عَلى خَيْرِ مَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ سَيُولَدُ
بِدَمْعٍ غَزيرٍ مُسْتَهِلٍّ مُكَفْكَفٍ ... عَلَى الْخَدِّ مِنّي ذائباً لَيْسَ يَجْمُدُ

قال: فضجّ النّاس بالبكاء والحنين والنوح، ونشرن النساء شعورهنّ ووضعن التراب على رؤوسهنّ، وخمشن وجوههنّ، وضربن خدودهنّ، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال، فلم يرَ باكياً وباكية أكثر من ذلك اليوم.

ثم إنّ زين العابدين عليه السلام أومأ إلى النّاس أن اسكتوا، فسكتوا، فقام قائماً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ فصلّى عليه ثمّ قال:

أَيُّهَا النّاسُ، مَنْ عَرَفَني فَقَدْ عَرَفَني، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْني فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيِّ بْنُ أَبي طالِبٍ، أنا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِشَطِّ الْفُراتِ مِنْ غَيْرِ ذَحْلٍ[1] وَلاَ تِراتٍ. أَنَا ابْنُ مَنِ انْتُهِكَ حَريمُهُ، وَسُلِبَ نَعيمُهُ، وَانْتُهِبَ مالُهُ، وَسُبِيَ عِيالُهُ. أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْراً وَكَفى بِذلِكَ فَخْراً.

أَيُّهَا النّاسُ، ناشَدْتُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلى أَبي وَخَدَعْتُمُوهُ وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْعَهْدَ وَالْميثاقَ وَالْبَيْعَةَ، وَقاتَلْتُموهُ وَخَذَلْتُمُوهُ؟!

فَتَبّاً لِما قَدَّمْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ، وَسَوْءً لِرَأْيِكُمْ، بِأَيَّةِ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إِذْ يَقُولُ لَكُمْ: قَتَلْتُمْ عِتْرَتي، وَانْتَهَكْتُمْ حُرْمَتي، فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتي؟!

قال: فارتفعت أصوات النّاس بالبكاء من كلّ ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال عليه السلام: رَحِمَ اللهُ امْرِءاً قَبِلَ نَصيحَتي، وَحَفِظَ وَصِيَّتي في اللهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَإِنَّ لَنا في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.

---

(١) ذحل: ثأر.

فقالوا بأجمعهم: كلّنا يا ابن رسول الله سامعون، مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيد ونبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: هَيْهاتَ، هَيْهاتَ، أَيُّهَا الْغَدَرَةُ الْمَكَرَةُ، حيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَواتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُريدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَما أَتَيْتُمْ إِلى أَبي مِنْ قَبْلُ؟! كَلاّ وَرَبِّ الرّاقِصاتِ، فَإِنَّ الْجُرْحَ لَمّا يَنْدَمِلْ، قُتِلَ أَبي عليه السلام بِالأَمْسِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مَعَهُ، وَلَمْ يُنْسِني ثَكْلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَثَكْلَ أَبي وَبَني أَبي، وَوَجْدُهُ بَيْنَ لَهاتي، وَمَرارَتُهُ بَيْنَ حَناجِري وَحَلْقي، وَغُصَصُهُ تَجْري في فَراشِ صَدْري، وَمَسْأَلَتي أَنْ لاَ تَكُونُوا لَنا وَلاَ عَلَيْنا.

ثمّ قال شعراً:

لاَ غَرْوَ أَنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَشَيْخُهُ ... قَدْ كانَ خَيْراً مِنْ حُسَيْنٍ وَأَكْرَما
فَلا تَفْرَحُوا يا أَهْلَ كُوفانَ بِالَّذي ... أصيبَ حُسَيْناً كانَ ذلِكَ أَعْظَما
قَتيلٌ بِشَطِّ النَّهْرِ رُوحي فِداؤُهُ ... وأَنَّ الَّذي أَرْداهُ يُجْزي جَهَنَّما

وفي بعض الكتب المعتبرة روي مرسلاً عن مسلم الجصّاص، قال: دعاني ابن زياد «لعنه الله» لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أجصّص الأبواب، وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: ما لي أرى الكوفة تضجّ؟

قال: الساعة أتوا برأس خارجيّ خرج على يزيد.

فقلت: من هذا الخارجي؟

فقال: الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: فتركت الخادم حتّى خرج ولطمت وجهي حتّى خشيت على عينيّ أن يذهبا، وغسلت يدي من الجصّ وخرجت من ظهر القصر، وأتيت إلى الكنّاس.

فبينما أنا واقف والنّاس يتوقّعون وصول السبايا والرؤوس، إذ قد أقبلت نحو أربعين شقّة، تُحمل على أربعين جملاً، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليهن السلام، وإذا بعليّ بن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمّةَ السُّوءِ لا سُقْياً لِرَبْعِكُمُ ... يا أمّةً لم تُراعِي جَدَّنا فِينا
لَوْ أنّنا وَرَسولُ اللهِ يَجْمَعُنا ... يَوْمَ القِيامَةِ ما كُنْتُم تَقُولونا
تُسَيِّرونا على الأقْتابِ عارِيةً ... كَأَنّنا لَمْ نُشَيِّدْ فِيكُمُ دِيْنا
بني أميّةَ ما هذا الوقُوفُ على ... تِلْكَ المَصائِبِ لا تُلَبُّون داعِينا
تُصَفِّقونَ عَلَينا كَفُّكُم فَرَحاً ... وأنْتُمُ في فِجاجِ الأرْضِ تَسْبونا
أَلَيْسَ جَدِّي رَسولُ اللهِ وَيْلَكُمُ ... أهْدى البَرِيَّةِ مِنْ سُيلِ المُضِلّينا

يا وَقْعَةَ الطَّفِّ قَدْ أَوْرَثْتِني حَزَناً والله يَهْتِكُ أَسْتاراً لِمُسْبِينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمّ كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة، إنّ الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض، قال: كلّ ذلك والنّاس يبكون على ما أصابهم.

ثمّ إنّ أمّ كلثوم أطلعت رأسها من المحمل فقالت لهم: صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

فبينما هي تخاطبهم إذا بصيحة قد ارتفعت وإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، وهو رأس زهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله، ولحيته كسواد السبج قد أتّصل بها الخضاب، ووجهه كدائرة قمر طالع، والريح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها، وأومت إليه بحرقة؛ وجعلت تقول:

يا هِلالاً لمّا استَتَمّ كمالاً غالَهُ خَسْفُه فَأَبْدى غُروبا
ما تَوَهَّمْتُ يا شَقِيقَ فُؤادي كانَ هذا مُقَدَّراً مَكْتُوبا
يا أخي فاطِمُ الصَّغيرَةُ كَلِّمْها فَقَد كادَ قَلْبُها أن يَذوبا
يا أخي قَلْبُك الشَّفِيقُ عَلينا ما لَهُ قد قَسا وصار صَلِيبا
يا أخي لو تَرى عَلِيّاً لدى الأسْرِ مَعَ اليُتْمِ لا يُطيقُ وجوبا
كلّما أوجَموه بالضَّربِ ناداك بِذُلٍّ يُفيضُ دَمْعاً سَكوبا
يا أخي ضُمَّهُ إليكَ وَقَرِّبْهُ وَسَكِّنْ فُؤادَهُ المَرعوبا
ما أذلّ اليَتيم حين يُنادي بِأبيه ولا يَراه مُجيبا

وروي الشيخ ابن نما وصاحب «المناقب» وغيرهما: إنّ عمر بن سعد «لعنه الله» لمّا دفع الرأس إلى خولي الأصبحي ليحمله إلى ابن زياد «لعنه الله» أقبل به خولي ليلاً، فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى به منزله، وله امرأتان؛ امرأة من بني أسد، وأخرى حضرميّة يقال لها: النواء، فأوى إلى فراشها، فقالت له: ما الخبر؟

فقال: جئتك بالذهب، هذا رأس الحسين معك في الدار.

فقالت: ويلك! جاء النّاس بالذهب والفضّة؛ وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لا يجمع رأسي ورأسك وسادة أبداً.

قالت: فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار، ودعا الأسديّة فأدخلها عليه، فما زلت والله

أنظر إلى نور مثل العمود ليطلع من الأنجانة التي فيها رأس الحسين عليه السلام إلى السماء، ورأيت طيوراً بيضاً ترفرف حولها وحول الرأس.

قال السيّد: ثمّ إنّ ابن زياد «لعنه الله» جلس في القصر وأذن للنّاس إذناً عامّاً، وجيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه.

أقول: وفي رواية «الأمالي» عن زين العابدين عليه السلام: وأقبل سنان «لعنه الله» حتّى أدخل رأس الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد «لعنه الله» وهو يقول:

إملأ ركابي فضّة أو ذهباً ... إنّي قتلت الملك المحجّبا
قتلت خير النّاس أمّاً وأباً ... وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فقال له ابن زياد «لعنه الله»: ويحك! فإن علمت أنّه خير النّاس أمّاً وأباً لِمَ قتلته إذاً، فأمر فضربت عنقه وعجّل الله بروحه إلى النّار.

رجعنا إلى رواية السيّد والمفيد وابن نما وابن أبي طالب: فوضع الرأس بني يديه، فجعل ينظر إليه ويبتسم وبيده قضيب يضرب به ثناياه ويقول: ما أحسن ثغرك، إنّه كان حسن الثغر، وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير، فلمّا رآه يضرب بالقضيب ثناياه، قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل موضع قضيبك من فيه، ثمّ انتحب باكياً.

فقال له: أبكى الله عينيك يا عدوّ الله، لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك.

فقال زيد: لأحدّثنّك حديثاً هو أغلظ عليك من هذا، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، فوضع يده على يافوخ كلّ منهما وقال: اللّهمّ إنّي استودعك إيّاهما وصالح المؤمنين، فكيف كان وديعتك لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ثمّ رفع زيد صوته يبكي وخرج وهو يقول: مَلَكَ عبدٌ حراً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة، حتّى يقتل خياركم، ويستعبد أشراركم، رضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي.

وأدخل عيال الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام على ابن زياد «لعنه الله»، فدخلت زينب أخت الحسين عليه السلام في جملتهم متنكّرة، وعليها أرذل ثيابها، ومضت حتّى جلست ناحية، وحفّت بها إماؤها، فقال ابن زياد «لعنه الله»: من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد القول ثانية وثالثة يسأل عنها، فقالت له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل عليها ابن زياد «لعنه الله» فقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذّب الفاجر وهو غيرنا.

فقال ابن زياد «لعنه الله»: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة.

قال: فغضب اللعين وكأنّه همّ بها، فقال له عمرو بن حريث: إنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال لها ابن زياد «لعنه الله»: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين؛ والعصاة المردة من أهل بيتك.

فقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت.

وفي رواية أخرى: إنّ أمّ كلثوم قالت له: يا ابن زياد، إن كانت قرّت عينك بقتل الحسين عليه السلام فقد كانت عين رسول الله صلى الله عليه وآله تقرّ برؤيته، وكان يقبّله، ويمصّ شفته، ويحمله هو وأخوه على ظهره، فاستعدّ غداً للجواب.

ثمّ التفت ابن زياد «لعنه الله» إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: مَن هذا؟

فقيل له: عليّ بن الحسين.

فقال: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟!

فقال عليّ عليه السلام: قد كان لي أخ يسمّى عليّ بن الحسين قتله النّاس.

فقال اللعين: بل الله قتله.

فقال عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزُّمَر: ٤٢].

فقال اللعين: أوَلك جرأة على جوابي، اذهبوا به فاضربوا عنقه؟

فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته، وقالت: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه.

فقال عليّ عليه السلام: يا عمّه، اسكتي حتّى أكلّمه، ثمّ أقبل عليه السلام فقال: أبالقتل تهدّدني يا ابن زياد، أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة.

ثمّ أمر ابن زياد «لعنه الله» بعليّ بن الحسين عليه السلام وأهله فحملوا إلى دار إلى جنب المسجد

الأعظم، فقالت زينب بنت عليّ: لا يدخلنّ علينا عربيّة إلاّ أمّ ولد أو مملوكة، فإنّهنّ سبين وقد سبينا.

وروى البرقي في «المحاسن» عن عمر بن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: قال لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وهنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمأتم.

وروى السيّد ومحمّد بن أبي طالب، وغيره، قال: لمّا اجتمع عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد بعد قتل الحسين عليه السلام قال عبيد الله لعمر «لعنهما الله»: ائتني بالكتاب الذي كتبته إليك في معنى قتل الحسين ومناجزته، فقال: ضاع.

فقال: لتجيئني به، أتراك معتذراً في عجائز قريش، قال عمر: والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو استشارني بها أبي سعد كنت قد أدّيت حقّه.

فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل إلاّ وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأنّ حسيناً لم يُقتل.

فقال عمر بن سعد «لعنه الله»: والله ما رجع أحد بشرّ ممّا رجعت، أطعت عبيد الله وعصيت الله، وقطعت الرحم.

قال ابن طاووس: ثمّ إنّ ابن زياد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال في بعض كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب، فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتّى قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان من خيار الشيعة وزهّادها، وكانت عينه اليسرى ذهبت في يوم الجمل، والأخرى في يوم صفّين، وكان يلازم المسجد الأعظم فيصلّي فيه إلى الليل، فقال: يا ابن مرجانة، إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه. يا عدو الله، أتقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين.

قال: فغضب ابن زياد «لعنه الله»، ثمّ قال: مَن هذا المتكلّم؟

فقال: أنا المتكلّم يا عدوّ الله، أتقتل الذرّيّة الطاهرة التي قد أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنّك على دين الإسلام، واغوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار لا ينتقمون من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمّد رسول ربّ العالمين.

قال: فازداد غضب ابن زياد «لعنه الله» حتّى انتفخت أوداجه، وقال: علَيَّ به، فبادر إليه الجلاوزة من كلّ ناحية ليأخذوه، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمّه فخلّصوه من أيدي الجلاوزة؛ وأخرجوه من باب المسجد، وانطلقوا به إلى منزله.

فقال ابن زياد «لعنه الله»: اذهبوا إلى هذا الأعمى الأزديّ، أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، فأتوني به، فانطلقوا، فلمّا بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم.

قال: وبلغ ذلك ابن زياد «لعنه الله» فجمع قبائل مضر فضمّهم إلى محمّد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم، قال: فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى قتل بينهم جماعة من العرب، قال: ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن عفيف، فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت ابنته: أتاك القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليك، ناوليني سيفي، فناولته إيّاه، فجعل يذبّ عن نفسه ويقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهري ... عفيف شيخي وابن أمّي عامري
كم دارع من جمعكم وحاسري ... وبطل جدّلته مغاور

قال: وجعلت ابنته تقول: يا أبتِ، ليتني كنت رجلاً أخاصم بين يديك هؤلاء الفجرة، قاتلي العترة البررة، قال: وجعل القوم يدورون عليه من كلّ جهة وهو يذبّ عن نفسه، فلم يقدر عليه أحد، وكلّما جاؤا من جهة قالت: يا أبتِ، قد جاؤك من جهة كذا، حتّى تكاثروا عليه، وأحاطوا به، فقالت ابنته: واذلاّه! يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به، فجعل يدير سيفه ويقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري ... ضاق عليكم موردي ومصدري

«قال» فما زالوا به حتّى أخذوه، ثمّ حمل فأدخل على ابن زياد «لعنه الله»، فلمّا رآه قال: الحمد لله الذي أخزاك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدوّ الله، وبماذا أخزاني الله:

والله لو فرّج لي عن بصري ... ضاق عليكم موردي ومصدري

«فقال» ابن زياد: يا عدوّ الله، ما تقول في عثمان بن عفّان؟

فقال: يا عبد بني علاج، يا ابن مرجانة، وشتمه، ما أنت وعثمان إن أساء أم أحسن، وأصلح أم أفسد، والله تعالى وليّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحقّ، ولكن سلني عنك وعن أبيك وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد «لعنه الله»: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت.

فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله ربّ العالمين، أما أنّي قد كنت أسأل الله ربّي أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمّك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلمّا كفّ بصري يئست من الشهادة، والآن الحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرّفني الإجابة منه في قديم دعائي.

فقال ابن زياد «لعنه الله»: اضربوا عنقه، فضربت عنقه وصلب في السبخة رحمه الله.

وقال السيّد: ثمّ أمر ابن زياد «لعنه الله» برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة، ويحقّ لي أن أتمثّل هنا بأبيات لبعض ذوي العقول:

رأس ابن بنت محمّد ووصيّه ... للناظرين على قناة يرفعُ
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمع ... لا منكر منهم ولا متفجّعُ
كحلت بمنظرك العيون عماية ... وأصمّ رزؤك كلّ أذن تسمعُ
ما روضة إلاّ تمنّت أنّها ... لك حفرة ولخطّ قبرك مضجع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى ... وأنمت عيناً لم تكن بك تهجعُ

وروى المفيد عن زيد بن أرقم، قال: «لمّا مرّ بالرأس عليَّ وهو على رمح؛ وأنا في غرفة لي، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، فوقفّ والله شعري عليَّ، وناديت: رأسك يا ابن رسول الله أعجب وأعجب.

وفي «الكنز» روى أبو مخنف عن الشعبي: إنّه صلب رأس الحسين عليه السلام بالصيارف في الكوفة، فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، فلم يزدهم ذلك إلاّ ضلالاً.

وفي أثر: أنّهم لمّا صلبوا رأسه على الشجرة سمعوا منه: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وسمع أيضاً صوته بدمشق، يقول: لا قوّة إلاّ بالله.

«قال» وكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته، وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك، فقال للرسول: أخرج فناد بقتله.

قال: فناديت فلم أسمع والله واعية قطّ مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن عليّ عليه السلام حين سمعوا النداء بقتله، ثمّ دخلت على عمرو بن سعيد، فلمّا رآني تبسّم إليَّ ضاحكاً، ثمّ أنشأ متمثّلاً بقول عمرو بن معدي كرب:

عجّت نساء بني زياد عجّةً ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ثمّ قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان، ثمّ صعد المنبر فأعلم النّاس بقتل الحسين عليه السلام ودعا ليزيد «لعنه الله» ونزل.

وقال صاحب «المناقب»: قال في خطبته: إنّها لدمة بلدمة، وصدمة بصدمة، كم خطبة بعد خطبة، وموعظة بعد موعظة، حكمة بالغة فما تغني النذر، والله لوددت أنّ رأسه في بدنه

وروحه في جسده، أحياناً كان يسبّنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما كان.

فقام عبد الله بن السائب فقال: لو كانت فاطمة حيّة فرأت رأس الحسين لبكت عينها، وحرّت كبدها.

فجبهه عمرو بن سعيد وقال: نحن أحقُّ بفاطمة منك، أبوها عمّنا، وزوجها أخونا، وابنها ابننا.

ثمّ قال المفيد رحمه الله: ودخل بعض موالي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فنعى إليه ابنيه، فاسترجع، فقال أبو السلاسل مولى عبد الله: هذه ما لقينا من الحسين بن عليّ.

فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله، ثمّ قال: يا ابن اللخناء، أللحسين تقول هذا، والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتّى أقتل معه، والله إنّه لممّا يسخي بنفسه عنهما، ويعزّى عن المصاب بهما، إنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسين له صابرين معه، ثمّ أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزّ عليَّ مصرع الحسين أن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولداي.

«فخرجت» أمّ لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين عليه السلام حاسرة ومعها أخواتها: أمّ هاني وأسماء ورملة وزينب بنات عقيل، تبكي قتلاها بالطفّ وهي تقول:

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي

فلمّا كان الليل من ذلك اليوم الذي خطب فيه عمرو بن سعيد بقتل الحسين عليه السلام بالمدينة، سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي يسمعون صوته ولا يرون شخصه:

أيّها القاتلون ظلماً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل
كلّ أهل السماء تدعوا عليكم ... من نبيّ مرسل وقبيل
قد لُعِنتم على لسان ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل

قال السيّد رحمه الله: وأمّا يزيد بن معاوية «لعنه الله» فإنّه لمّا وصل إليه كتاب عبيد الله بن زياد «لعنه الله» ووقف عليه، أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤس من قتل معه، وحمل أثقاله ونسائه وعياله، فاستدعى ابن زياد بمخفر بن ثعلبة فسلّم إليه الرؤوس والنساء وسار بهم مخفر إلى الشام كما يسار بسبايا الكفّار.

وقال المفيد رحمه الله: دفع ابن زياد «لعنه الله» رأس الحسين عليه السلام إلى زجر بن قيس، ودفع إليه رؤوس أصحابه، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من

أهل الكوفة حتّى وردوا بها على يزيد بدمشق.

وروى السيّد ابن طاووس وابن شهرآشوب في «المناقب» واللفظ له، عن ابن لهيعة وغيره حديثاً أخذنا منه موضع الحاجة، قال: «كنت أطوف بالبيت، فإذا برجل يقول: اللّهمّ اغفر لي، وما أراك فاعلاً، فقلت: يا عبد الله، اتّق الله ولا تقل مثل هذا، فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار واستغفرت الله، غفرها لك، فإنّه غفور رحيم.

قال: فقال لي: تعال حتّى أخبرك بقصّتي، فأتيت، فقال: اعلم أنّنا كنّا خمسين نفراً ممّن سار مع رأس الحسين عليه السلام إلى الشام، وكنّا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت، فشرب أصحابي ليلة حتّى سكروا ولم أشرب معهم.

فلمّا جنّ الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً، فإذا أبواب السماء قد فتحت ونزل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونبيّنا محمّد صلّى الله عليهم أجمعين، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت فأخرج الرأس وضمّه إلى نفسه وقبّله، ثمّ كذلك فعل الأنبياء كلّهم، وبكى النبيّ صلى الله عليه وآله على رأس الحسين، فعزّاه الأنبياء.

فقال له جبرئيل: يا محمّد، إنّ الله تعالى أمرني أن أطيعك في أمّتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض، وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يا جبرئيل، فإنّ لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة، ثمّ قال: صلّوا عليه، ثمّ أتى قوم من الملائكة وقالوا: إنّ الله تبارك وتعالى أمرنا بقتل الخمسين.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: شأنكم بهم، فجعلوا يضربون بالحربات ثمّ قصدني واحد منهم بحربته ليضربني، فقلت: الأمان الأمان يا رسول الله، فقال: اذهب فلا غفر الله لك، فلمّا أصبحت رأيت أصحابي كلّهم جاثمين رماداً.

ثمّ قال صاحب «المناقب» هذا الحديث بلفظ آخر، وفيه: «إذ سمعت صوت برق لم أسمع مثله، فقيل: قد أقبل محمّد صلى الله عليه وآله فسمعت صهيل الخيل وقعقعة السلاح مع جبرئيل وميكائيل وإسرافيل والكروبيّين والروحانيّين والمقرّبين عليهم السلام، «وفيه»: فشكى النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الملائكة والنبيّين وقال: قتلوا ولدي وقرّة عيني، وكلّهم قبّل الرأس، وضمّه إلى صدره، والباقي يقرب بعضها من بعض.

وفي بعض الكتب: أنّهم لمّا قربوا من بعلبك كتبوا إلى صاحبها، فأمر بالرايات فنشرت وخرج الصبيان يتلقّونهم على نحو من ستّة أميال، فقالت أمّ كلثوم: أباد الله كثرتكم، وسلّط الله عليكم ومن يقتلكم، ثمّ بكى عليّ بن الحسين عليه السلام؛ وقال:

هو الزمان فلا تفنى عجائبه ... من الكرام وما تهدأ مصائبه
فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا ... فنونه وترانا لا نجاذبه

يسري بنا فوق أقتاب بلا وطأ وسائق العيس يحمي عنه غاربه
كأنّنا من اسارى الروم بينهم وكأنّ ما قاله المختار كاذبه
كفرتُم برسول الله ويحكم فكنتم مثل من ضلّت مذاهبه

وروى القطب الراوندي في «الخرائج» عن سليمان بن مهران الأعمش، قال: «بينما أنا في الطواف في الموسم إذ رأيت رجلاً يدعو وهو يقول: اللّهمّ اغفر لي وأنا أعلم أنّك لا تغفر، قال: فارتعدت لذلك ودنوت منه، وقلت: يا هذا، أنت في حرم الله وحرم رسوله، وهذه أيّام حُرم في شهر عظيم، فلم تيأس من المغفرة؟

قال: يا هذا، ذنبي عظيم.

قلت: أعظم من جبال تهامة؟ قال: نعم.

قلت: يوازن الجبال الرواسي، قال: نعم، فإن شئت أخبرتك.

قلت: أخبرني، قال: أخرج بنا عن الحرم، فخرجنا منه فقال لي: أنا أحد من كان في العسكر الميشوم عسكر عمر بن سعد «لعنه الله» حين قتل الحسين عليه السلام وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد «لعنه الله» من الكوفة، فلمّا حملناه على طريق الشام نزلنا على دير النصارى، وكان الرأس معنا مركوزاً على رمح ومعه الأحراس، فوضعنا الطعام وجلسنا لنأكل، فإذا بكفّ في حائط الدير تكتب:

أترجو أمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

قال: فجزعنا من ذلك جزعاً شديداً، وأهوى بعضنا إلى الكفّ ليأخذها، فغابت، ثمّ عاد أصحابي إلى الطعام، فإذا الكفّ قد عادت تكتب:

فلا والله ليس لهم شفيعٌ وهم يوم القيامة في العذاب

فقام أصحابنا إليها فغابت، ثمّ عادوا إلى الطعام، فعادت تكتب:

وقد قتلوا الحسين بحكم جور وخالف حكمهم حكم الكتاب

فامتنعت وما هنأني الأكل، ثمّ أشرف علينا راهب من الدير، فرأى نوراً ساطعاً من فوق الرأس، فأشرف فرأى عسكراً.

فقال الراهب للحرّاس: من أين جئتم؟

قالوا: من العراق، حاربنا الحسين.

فقال الراهب: ابن فاطمة بنت نبيّكم، وابن عمّ نبيّكم؟ قالوا: نعم.

قال نبّأ لكم والله، لو كان لعيسى بن مريم ابن، لحملناه على أحداقنا، ولكن لي إليكم حاجة؟ قالوا: وما هي؟

قال: قولوا لرئيسكم عندي عشرة آلاف درهم ورثتها من أبائي يأخذها منّي ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل، فإذا رحل رددته إليه، فأخبروا عمر بن سعد «لعنه الله» بذلك، فقال: خذوا منه الدراهم وأعطوه الرأس إلى وقت الرحيل، فجاؤا إلى الراهب فقالوا: هات المال حتّى نعطيك الرأس، فأدلى إليهم جرابين، في كلّ جراب خمسة آلاف درهم، فدعا عمر بالناقد والوزّان فانتقدها ووزنها ودفعها إلى خازن له، وأمر أن يعطى الرأس.

فأخذ الراهب الرأس فقبّله ونظّفه وحشّاه بمسك وكافور كان عنده، ثمّ جعله في حريرة ووضعه في حجره، ولم يزل ينوح ويبكي حتّى نادوه، وطلبوا منه الرأس، فقال: يا رأس، والله لا أملك إلاّ نفسي، فإذا كان غداً فاشهد لي عند جدّك محمّد ﷺ أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسوله، أسلمت على يديك وأنا مولاك، وقال لهم: إنّي أحتاج أن أكلّم رئيسكم بكلمة وأعطيه الرأس، فدنا عمر بن سعد فقال: سألتك بالله وبحقّ محمّد أن لا تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس، ولا تخرج هذا الرأس من هذا الصندوق، فقال له: أفعل، فأعطاه الرأس ونزل من الدير ولحق ببعض الجبال يعبد الله.

ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل بالأوّل، فلمّا دنا من دمشق قال لأصحابه: انزلوا، وطلب من الجارية الجرابين، فأحضرت بين يديه، فنظر إلى خاتمه ثمّ أمر أن يفتح، فإذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً، فنظروا في سكّتها فإذا على جانبها مكتوب: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وعلى الجانب الآخر مكتوب: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧].

فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، خسرت الدنيا والآخرة، ثمّ قال لغلمانه: اطرحوها في النهر، فطّرحت، الحديث.

هكذا وقفت عليه، والمجلسي رحمه الله نقله وفي بعض ألفاظه تغيير ما، ولعلّه أخذه من رواية أخرى، وقال: هذه القصّة مشهورة مرويّة في كتب العامّة والخاصّة، وقد تضمّنها الشعراء في قصائدهم، وأكثرهم ذكر أنّ هذه القضيّة وقعت في منزل قنّسرين.

وروى بعضهم: «إنّ ذلك الراهب كان يهوديّاً».

روي في «البحار» عن كتاب «المناقب» القديم، قال: روي: إنّه لمّا حُمل رأس الحسين عليه السلام إلى الشام جنّ عليهم الليل، فنزلوا عند رجل من اليهود، فلمّا شربوا وسكروا قالوا: عندنا رأس الحسين عليه السلام، فقال: أروه لي، فأروه وهو في الصندوق يسطع منه النور نحو السماء، فعجب منه اليهوديّ فاستودعه منهم، وقال للرأس: اشفع لي عند جدّك، فأنطق الله الرأس.

فقال: إنّما شفاعتي للمحمّديّين ولست بمحمّدي، فجمع اليهودي أقرباءه ثمّ أخذ الرأس ووضعه في طشت وصبّ عليه ماء الورد وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر، ثمّ قال لأولاده وأقربائه: هذا رأس ابن بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ قال: يا لهفاه! حيث لم أجد جدّك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم على يديه، ثمّ يا لهفاه! حيث لم أجدك حيّاً فأسلم على يديك، وأقاتل بين يديك، فلو أسلمت الآن أتشفع لي يوم القيامة.

فأنطق الله الرأس فقال بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع، قاله ثلاث مرّات وسكت، فأسلم الرجل وأقرباؤه، ولعلّ هذا اليهودي كان راهب قنّسرين؛ لأنّه أسلم بسبب رأس الحسين، وجاء ذكره في الأشعار.

وروى السيّد ابن طاووس عن الباقر عليه السلام في «الإقبال»، قال: رأيت في كتاب «المصابيح» بإسناده إلى الصادق عليه السلام، قال: قال لي أبي محمّد بن عليّ: سألت أبي عليّ بن الحسين عليه السلام عن حمل يزيد له، فقال: حملني على بعير بغير وطاء ورأس الحسين على علم، ونسوتنا خلفي على بغال واكفة، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح، حتّى إذا دخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام، هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون.

وقال السيّد في كتاب «اللهوف»: وسار القوم برأس الحسين عليه السلام ونسائه والأسرى من رجاله، فلمّا قربوا من دمشق دنت أمّ كلثوم من شمر، وكان في جملتهم، فقالت له: لي إليك حاجة.

فقال: ما حاجتك؟

فقالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل نظّاره، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّوها عنّا، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال.

فأمر في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل، بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النظّارة على تلك الصفة حتّى أتى بهم باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي.

وروى في بعض الكتب المعتبرة بإسناده عن زيد، عن آبائه: إنّ سهل بن سعد قال: خرجت إلى بيت المقدس حتّى توسّطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطّردة الأنهار، كثيرة الأشجار، قد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لا نرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيت قوماً يتحدّثون، فقلت: يا قوم، ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟

قالوا: يا شيخ، نراك أعرابيّاً؟

فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت محمّداً «صلى الله عليه وآله».

قالوا: يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً، والأرض لا تنخسف بأهلها.

قلت: ولِمَ ذاك؟

قالوا: هذا رأس الحسين عترة محمّد ﷺ يُهدي من أرض العراق.

فقلت: واعجباً، يُهدي رأس الحسين عليه السلام والناس يفرحون؟!

قلت: من أيّ باب يدخل؟

فأشاروا إلى باب يقال له: باب الساعات.

فقال: فبينا أنا كذلك حتّى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان، عليه رأس أشبه النّاس وجهاً برسول الله ﷺ، فإذا أنا من ورائه رأيت نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولاهنّ فقلت: يا جارية، من أنت؟

فقالت: أن سكينة بنت الحسين.

فقلت لها: ألك حاجة إليَّ؟ فأنا سهل بن سعد ممّن رأى جدّك، وسمعت حديثه.

قالت: يا سهل، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدّم الرأس أمامنا حتّى يشتغل النّاس بالنظر إليه؛ ولا ينظروا إلى حرم رسول الله.

قال سهل: فدنوت من صاحب هذا الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ منّي أربعمائة دينار؟ قال: ما هي؟

قلت: تقدّم الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك، فدفعت إليه ما وعدته ووضع الرأس في حقّه».

وفي رواية: «فلمّا كان من الغد أخرج الدراهم وقد جعلها الله حجارة سوداء مكتوباً على أحد جانبيها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وعلى الجانب الآخر: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧].

وروى القطب الراوندي، عن المنهال بن عمرو، قال: أنا والله رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حُمل وأنا بدمشق، وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتّى بلغ قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق، فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي، وفي هذه الآية إشارة إلى خروجه عليه السلام وانتقامه من أعدائه.

قال السيّد: وجاء شيخ فدنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم أقيموا على درج باب

المسجد، فقال: الحمد لله الذي قتلكم، وأهلككم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمن أمير المؤمنين منكم.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعم.

قال: فهل قرأت هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]؟ فقال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال له عليّ عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]؟ قال: نعم.

قال عليّ عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، هل قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

قال عليّ عليه السلام: فنحن أهل البيت الذين خصّصنا الله بآية الطهارة يا شيخ.

قال: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به وقال: بالله إنّكم هم؟

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: تالله إنّا لنحن هم من غير شكّ؛ وحقّ جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته ورفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد من جنّ وإنس، ثمّ قال: هل لي من توبة.

فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا.

فقال: أنا تائب، فبلغ يزيد بن معاوية «لعنه الله» حديث الشيخ فأمر به فقُتل.

وفي «قرب الإسناد»: عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، قال: لمّا قدم على يزيد بذراري الحسين عليه السلام أدخل بهنّ نهاراً مكشّفات وجوههنّ، فقال أهل الشام الجفاة: ما رأينا سبياً أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام: نحن سبايا آل محمّد.

وفي رواية: إنّ الرأس الشريف كان أهل الشام يسمعونه مراراً يقول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

وروى الشيخ في «الأمالي» عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا قدم عليّ بن الحسين عليه السلام وقد قتل الحسين بن عليّ عليه السلام استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، قال: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟ وهو يغطّي رأسه، وهو في المحمل، قال: فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذّن ثمّ أقم.

بيان: هذا الملعون قد خرج علي عليّ عليه السلام يوم الجمل، وخلاصة الجواب: إنّك إذا أذّنت وأقمت فانظر من يهتف باسمه فيهما على الملأ، وهو جدّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

قال المفيد رحمه الله: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد «لعنه الله» بعد إنفاذه برأس الحسين عليه السلام أمر بفتيانه وصبيانه ونسائه فجهّزوا، وأمر بعليّ بن الحسين عليه السلام فغلّ بغلّ في عنقه، ثمّ سرّح بهم في أثر الرؤوس مع مخفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن، فانطلقوا حتّى لحقوا القوم الذين معهم الرأس، ولم يكن عليّ بن الحسين عليه السلام يكلّم أحداً من القوم الذين معهم الرأس في الطريق كلمة واحدة حتّى بلغوا، فلمّا انتهوا إلى باب يزيد رفع مخفر بن ثعلبة صوته فقال: هذا مخفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين بالفجرة اللئام، فأجابه عليّ بن الحسين عليه السلام: ما ولدت أمّ مخفر أشدّ وألأم.

وزاد في «المناقب»: ولكنّ قبّح الله ابن مرجانة، وكان عبد الرحمن بن الحكم قاعداً في مجلس يزيد، فقال:

لهام[1] يجنب الطفّ أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليست بذي نسل

قال يزيد: نعم، فلعن الله ابن مرجانة إذ أقدم على مثل الحسين بن فاطمة، لو كنت صاحبه لما سألني خصلة إلاّ أعطيته إيّاها، ولدفعت عنه الحتف بكلّ ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله أمراً فلم يكن له مردّ.

وفي رواية: إنّ يزيد أسرّ إلى عبد الرحمن وقال: سبحان الله، أفي هذا الموضع، أمّا يسعك السكوت.

وروى الصدوق في «العيون» بأسانيد عديدة عن الرضا عليه السلام، قال: لمّا حمل رأس الحسين عليه السلام إلى الشام أمر يزيد «لعنه الله» فوضع ونصب عليه مائدة، فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع، فلمّا فرغوا أمر بالرأس فوضع في طشت تحت سريره، وبسط عليه رقعة الشطرنج، وجلس يزيد «لعنه الله» يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين عليه السلام وأباه وجدّه عليهم السلام، ويستهزئ بذكرهم، فمتى قمر صاحبه تناول الفقاع فشربه ثلاث مرات، ثمّ صبّ فضلته ممّا يلي الطشت من الأرض، فمن كان من شيعتنا فليتورّع عن شرب الفقاع واللعب بالشطرنج، ومن نظر إلى الفقاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام وليلعن يزيد وآل يزيد يمحو الله عز وجل بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم.

وروى عليّ بن إبراهيم في «تفسيره» عن الصادق عليه السلام، قال: لمّا أدخل برأس الحسين بن عليّ عليه السلام على يزيد «لعنه الله» وأدخل عليه عليّ بن الحسين وبنات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عليّ بن الحسين مقيّداً مغلولاً، فقال يزيد: يا عليّ بن الحسين، الحمد الله الذي قتل أباك.

---

(١) الهام: جمع هامة؛ وهي الرأس.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: لعنة الله على مَن قتل أبي.

فقال: فغضب يزيد «لعنه الله»، وأمر بضرب عنقه.

فقال عليّ بن الحسين: فإذا قتلتني فبنات رسول الله صلى الله عليه وآله من يردّهم إلى منازلهم؛ وليس لهم محرم غيري؟

فقال: أنت تردّهم إلى منازلهم، ثمّ دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده، ثمّ قال له: يا عليّ بن الحسين، تدري ما الذي أريد بذلك؟

قال: بلى، تريد أن لا يكون لأحد علَيّ منّة غيرك.

فقال يزيد: هذا والله ما أردت، ثمّ قال يزيد: يا عليّ بن الحسين، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠].

فقال عليّ بن الحسين: كلاّ ما هذه فينا نزلت، إنّما نزلت فينا ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢]، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا منها.

وروى ابن نما عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: أدخلنا على يزيد ونحن إثنا عشر رجلاً مغلولون، فلمّا وقفنا بين يديه قلت: أنشدك الله يا يزيد! ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه الحال؟ وقالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، فبكى وبكى أهل داره حتّى علت الأصوات.

وقال السيّد: فأمر يزيد «لعنه الله» بالحبال فقطّعت، ثمّ وضع رأس الحسين بين يديه، وأجلس النساء خلفه لئلاّ ينظرن إليه، فرآه عليّ بن الحسين عليه السلام فلم يأكل بعد ذلك أبداً، ثمّ قالوا: وأمّا زينب فإنّها لمّ رأته أهوت إلى جيبها فشقّته، ثمّ نادت بصوت حزين يفزع القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا ابن مكّة ومنى، يا ابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، يا ابن بنت المصطفى.

قال: فأبكت والله كلّ من كان في المجلس، ويزيد ساكت، ثمّ جعلت امرأة من بني هاشم في دار يزيد تندب على الحسين وتنادي: وأحبيباه، يا سيّد أهل بيتاه، يا ابن محمّداه، يا ربيع الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد الأدعياء، قال: فأبكت كلّ من سمعها.

ثمّ دعا يزيد «لعنه الله» بقضيب خيزران فجعل ينكث بها ثنايا الحسين عليه السلام، فأقبل عليه أبو بردة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد! أتنكث بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة عليها السلام! أشهد لقد رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، فقتل الله قاتلكما ولعنه، وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً؛ فغضب يزيد وأمر بإخراجه، فأخرج سحباً، وجعل يزيد يتمثّل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

«وزاد» محمّد بن أبي طالب:

لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل

وفي «المناقب»: لست من عتبة.

وقال السيّد و غيره: «فقامت زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليها السلام فقالت:

الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمينَ، صَلَّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.

صَدَقَ اللهُ كَذلِكَ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠]، أَظَنَنْتَ يا يَزِيدُ - حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقْطارَ الأَرْضِ وَآفاقَ السَّماءِ فَأَصْبَحْنا تُساقُ كَما تُساقُ الإِماءِ - أَنَّ بِنا عَلَى اللهِ هَواناً، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرامَةً!! وَأَنْ ذلِكَ لِعَظِيمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ!! فَشَمَخْتَ بِأَنفِكَ، وَنَظَرْتَ في عِطْفِكَ جَذْلاَنَ مَسْرُوراً، حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً، وَالأُمُورَ مُتَّسِقَةً، وَحِينَ صَفا لَكَ مُلْكُنا وسُلْطانُنا، فَمَهْلاً مَهْلاً، أَنَسِيتَ قَوْلَ اللهِ عز وجل: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

أَمِنَ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقاءِ تَخْدِيرُكَ حَرائِرَكَ وإِماءَكَ؛ وَسَوْقُكَ بَناتِ رَسُولِ اللهِ سَبايا؟! قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ، تَحْدُوبِهِنَّ الأَعْداءُ مِنْ بَلَدٍ إِلى بَلَدٍ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَناهِلِ وَالْمَناقِلِ، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالدَّنِيُّ وَالشَّرِيفُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلاَ مِنْ حُماتِهِنَّ حَمِيٌّ.

وَكَيْفَ تُرْتَجى مُراقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أَكْبادَ الأَزْكِياءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِماءِ الشُّهَداءِ؟!

وَكَيْفَ يَسْتَبْطَأُ في بُغْضِنا أَهْلِ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنا بِالشَّنَفِ وَالشَّنآنِ وَالإِحَنِ وَالأَضْغانِ؟!

ثُمّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلاَ مُسْتَعْظِمٍ:

لأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثُمَّ قالُوا: يا يَزِيدُ لاَ تُشَلْ

مُنْتَحِياً عَلى ثَنايا أَبي عَبْدِ اللهِ سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُتُها بِمِخْصَرَتِكَ.

وَكَيْفَ لاَ تَقُولُ ذلِكَ، وَقَدْ نَكَأْتَ الْقَرْحَةَ، وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ، بِإِراقَتِكَ دِماءَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَنُجُومِ الأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! وَتَهْتِفُ بِأَشْياخِكَ، زَعَمْتَ أَنَّكَ تُناديهِمْ! فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكاً مَوْرِدَهُمْ، وَلَتَوَدَّنَّ أَنَّكَ شُلِلْتَ وَبُكِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ وَفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ.

اللّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنا، وَانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمَنا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِماءَنا وَقَتَلَ حُماتَنا.

فَوَاللهِ ما فَرَيْتَ إلاّ جِلْدَكَ، وَلاَ جَزَرْتَ إلاَّ لَحْمَكَ، وَلَتَرِدَنَّ عَلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِما تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دِماءِ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ في عِتْرَتِهِ وَلُحْمَتِهِ، وَحَيْثُ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُمْ، وَيَلُمُّ شَعْثَهُمْ، وَيَأْخُذُ بِحَقِّهِمْ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] حَسْبُكَ بِاللهِ حاكِماً، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيماً، وَبِجَبْرَئِيلَ ظَهِيراً، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوّى لَكَ وَمَكَّنَكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمينَ، بِئْسَ لِلظّالِمينَ بَدلاً، وَأَيُّكُمْ شَرٌّ مَكاناً وَأَضْعفُ جُنْداً.

وَلَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّواهي مُخاطَبَتَكَ، إنّي لأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسْتَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ، لكِنِ الْعُيُونُ عَبْرى، وَالصُّدُورُ حَرّى.

أَلاَ فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَباءِ بِحِزْبِ الشَّيْطانِ الطُّلَقاءِ، فَهذِهِ الأَيْدي تَنْطِفُ مِنْ دِمائِنا، وَالأَفْواهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحُومِنا، وَتِلْكَ الْجُثَثُ الطَّوَاهِرُ الزَّواكي تَنْتابُها الْعَوامِلُ، وَتَعْفوها أُمَّهاتُ الْفَراعِلِ، وَلَئِنِ اتَّخَذْتَنا مَغْنَماً لَتَجِدُنا وَشِيكاً مَغْرَماً، حِينَ لاَ تَجِدُ إلاَّ ما قَدَّمَتْ يَداكَ، وَما ربُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ، فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكي، وَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ.

فَكِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعْيَكَ، وَناصِبْ جُهْدَكَ، فَوَاللهِ لاَ تَمْحُو ذِكْرَنا، وَلاَ تُمِيتُ وَحْيَنا، وَلاَ تُدْرِكُ أَمَدَنا، وَلاَ تَدْحَضُ عَنْكَ عارَها.

وَهَلْ رِأْيُكَ إلاَّ فَنَداً، وَأَيّامُكَ إلاَّ عَدَداً، وَجَمْعُكَ إلاَّ بَدَداً، يَوْمَ يُنادِي الْمُنادي: أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ.

فَالْحَمْدُ للهِ الَّذي خَتَمَ لأَوَّلِنا بِالسَّعادَةِ، وَلآخِرِنا بِالشَّهادَةِ وَالرَّحْمَةِ.

وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الثَّوابَ، وَيُوجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ، وَيُحْسِنَ عَلَيْنَا الْخِلاَفَةَ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ

وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون الموت على النوائح»

قال المفيد رحمه الله: ثمّ قال لعليّ بن الحسين عليه السلام يا ابن الحسين، أبوك قطع رحمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه، فلم يدرِ خالد ما يردّ عليه.

فقال له يزيد قل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]».

وقال صاحب «المناقب»: فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا ابن معاوية وهند وصخر، لم تزل النبوّة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدّي عليّ بن أبي طالب في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدّك في أيديهما راية الكفّار.

ثمّ جعل عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: ماذا تقولون... إلى آخره.

ثمّ قال عليّ بن الحسين: ويلك يا يزيد! إنّك لو تدري ماذا صنعت وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي، إذاً لهربت في الجبال، وافترشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعليّ منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، فأبشروا بالخزي والندامة غداً إذا جمع النّاس ليوم الحساب.

وفي «مناقب ابن شهرآشوب» عن المدائني، قال: لمّا انتسب السجّاد عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال يزيد «لعنه الله» لجلوازه: أدخله في هذا البستان واقتله وادفنه فيه، فدخل به إلى البستان وجعل يحفر له عليه السلام قبراً، والسجّاد يصلّي، فلمّا همّ بقتله ضربته يد من الهواء فخرّ لوجهه وشهق ودهش، فرآه خالد بن يزيد وليس لوجهه بقيّة، فانقلب إلى أبيه وقصّ عليه الحال، فأمر بدفن الجلواز في الحفيرة وإطلاق زين العابدين عليه السلام، وموضع حبسه هو اليوم مسجد.

وروى المفيد رحمه الله وابن طاووس وغيرهما عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام، قالت: لمّا جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية، فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمّتي زينب، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون.

وفي رواية السيّد: «قلت: أُوتِمت وأستخدم!».

فقالت عمّتي للشاميّ: كذبت والله ولؤمت، والله ما ذلك لك ولا له، فغضب يزيد «لعنه الله» وقال: كذبت والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت.

قالت: كلاّ، والله كلاّ! ما جعل الله لك ذلك إلاّ أن تخرج عن ملّتك أو تدين بغيرها، فاستطار يزيد غضباً وقال: إيّاي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك.

قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وجدّك إن كنت مسلماً، قال: كذبت يا عدوّة الله.

قالت زينب: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، فكأنّه استحيا وسكت، وعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية، فقال له: أعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً.

وفي بعض الكتب: قالت أمّ كلثوم للشاميّ: اسكت يا لكع الرجال، قطع الله لسانك، وأعمى عينيك، وأيبس يديك، وجعل النّار مثواك، إنّ أولاد الأنبياء لا يكون خدمة لأولاد الأدعياء، قال: فوالله ما استتمّ كلامها حتّى أجاب الله دعاءها في ذلك الرجل، فقالت: الحمد لله الذي عجّل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، هذا جزاء من يتعرّض لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي رواية السيّد: فقال الشامي: مَن هذه الجارية؟ فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت عليّ بن أبي طالب.

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعليّ بن أبي طالب؟

قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد، تقتل عترة نبيّك وتسبي ذرّيّته، والله ما توهّمت إلاّ أنّهم سبي الروم، فقال يزيد: والله لألحقنّك بهم، ثمّ أمر به فضربت عنقه.

قال السيّد وصاحب «المناقب»: «ودعا يزيد الخطيب وأمره أن يصعد المنبر فيذمّ الحسين وأباه عليهما السلام، فصعد وبالغ في ذمّ أمير المؤمنين والحسين الشهيد عليهما السلام، وبالغ في مدح معاوية ويزيد، فذكرهما بكلّ جميل، فصاح به عليّ بن الحسين عليه السلام: ويلك أيّها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النّار.

وزاد في «المناقب»: ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا يزيد، ائذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات لله فيهنّ رضاً ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجر وثواب؟

قال: فأبى يزيد عليه ذلك.

فقال النّاس: يا أمير المؤمنين، ائذن له، فليصعد المنبر فلعلّك تسمع منه شيئاً؟ فقال: إنّه إن صعد المنبر لم ينطق إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان؟

فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا؟

فقال: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً.

قال: فلم يزالوا به حتّى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه؛ ثمّ خطب خطبة أبكى منها العيون وأوجل منها القلوب، ثمّ قال:

أُعْطينا سِتّاً وَفُضِّلْنا بِسَبْعٍ: أُعْطِينا الْعِلْمَ، وَالْحِلْمَ، وَالسَّماحَةَ، وَالْفَصاحَةَ، وَالشَّجاعَةَ، وَالْمَحَبَّةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ.

وَفُضِّلْنا بِأَنَّ مِنّا النَّبِيَّ الْمُخْتارَ مُحَمَّداً، وَمِنّا الصِّدّيقُ، وَمِنّا الطَّيّارُ، وَمِنّا أَسَدُ اللهِ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ، وَمِنّا سِبْطا هذِهِ الأُمَّةِ.

مَنْ عَرَفَني فَقَدْ عَرَفَني، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْني أَنْبَأْتُهُ بِحَسَبي وَنَسَبي.

أَيُّهَا النّاسُ! أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنى، أَنَا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفا، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرافِ الرِّدا، أَنا ابْنُ خَيْرِ مِنْ اتَّزَرَ وَارْتَدى، أَنا ابْنُ خَيْرِ مَنِ انْتَعَلَ وَاحْتفى، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مِنْ طافَ وَسَعى، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنْ حَجَّ وَلَبّى، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبُراقِ في الْهَوا، أَنَا ابْنُ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصى، أَنَا ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ جَبْرَئِيلُ إِلى سِدْرَةِ الْمُنْتهى، أَنَا ابْنُ مَنْ دَنا فَتَدَلّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى، أَنَا ابْنُ مَنْ صَلّى بِمَلائِكَةِ السَّما، أَنَا ابْنُ مَنْ أَوْحى إِلَيْهِ الْجَليلُ ما أَوْحى، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدِ الْمُصْطفى، أَنَا ابْنُ عَلِيِّ الْمُرْتَضى، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خَراطيمَ الْخَلْقِ حَتّى قالُوا: لاَ إِله إِلاَّ اللهُ.

أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ بِسَيْفَيْنِ، وَطَعَنَ بِرُمْحَيْنِ، وَهاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَبايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ، وَقاتَلَ بِبَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَنَا ابْنُ صالِحِ الْمُؤْمِنينَ، وَوارِثِ النَّبِيّينَ، وَقامِعِ الْمُلْحِدينَ، وَيَعْسُوبِ الْمُسْلِمينَ، وَنُورِ الْمُجاهِدينَ، وَزَيْنَ العابدين، وَتاجِ الْبَكّائينَ، وَأَصْبَرِ الصّابِرينَ، وَأَفْضَلِ الْقائِمينَ مِنْ آلِ ياسينَ رَسُولِ رَبِّ الْعالَمينَ.

أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ بِجَبْرَئيلَ، الْمَنْصُورِ بِميكائيلَ.

أَنَا ابْنُ الْمُحامي عَنْ حَرَمِ الْمُسْلِمينَ، وَقاتِلِ الْمارِقينَ وَالنّاكِثينَ وَالْقاسِطينَ، وَالْمُجاهِدِ أَعْداءَهُ النّاصِبينَ، وَأَفْخَرِ مَنْ مَشى مِنْ قُرَيْشٍ أَجْمَعينَ، وَأَوَّلِ مَنْ أَجابَ وَاسْتَجابَ للهِ وَلِرَسُولِهِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ، وَأَوَّلِ السّابِقينَ، وَقاصِمِ الْمُعْتَدينَ، وَمُبيدِ الْمُشْرِكينَ، وَسَهْمٍ مِنْ مَرامي اللهِ عَلَى الْمُنافِقينَ، وَلِسانِ حِكْمَةِ الْعابِدينَ، وَناصِرِ دينِ اللهِ، وَوَلِيِّ أَمْرِ اللهِ، وَبُسْتانِ حِكْمَةِ اللهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ.

سَمحٌ، سَخِيٌّ، بَهيٌّ، بُهلُولٌ، زَكيٌّ، أَبْطَحيٌّ، رَضيٌّ، مِقْدامٌ، هُمامٌ، صابِرٌ، صَوّامٌ، مُهَذَّبٌ، قَوّامٌ، قاطِعُ الأَصْلابِ، وَمُفَرِّقُ الأَحْزابِ. أَرْبَطُهُمْ عِناناً، وَأَثْبَتُهُمْ جِناناً، وَأَمْضاهُمْ عَزيمَةً، وَأَشَدُّهُمْ شَكيمَةً، أَسَدٌ باسِلٌ يَطْحَنُهُمْ في الْحُرُوبِ إِذا ازْدَلَفَتِ الأَسِنَّةُ، وَقَرُبَتِ الأَعِنَّةُ طَحْنَ الرَّحى، وَيَذْرُوهُمْ فيها ذَرْوَ الرّيحِ الْهَشيمِ، لَيْثُ الْحِجازِ، وَكَبْشُ الْعِراقِ.

مَكّيٌّ، مَدَنيٌّ، خيفيٌّ، عَقَبيٌّ، بَدْريٌّ، أُحُديٌّ، شَجَريٌّ، مُهاجِريٌّ.

مِنَ الْعَرَبِ سَيِّدُها، وَمِنَ الْوَغى لَيْثُها، وارِثُ الْمَشْعَرَيْنِ، وَأَبُو السِّبْطَيْنِ: الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، ذاكَ جَدّي عَليُّ بْنُ أَبي طالِبٍ.

ثُمَ قال: أَنَا ابْنُ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ، أَنَا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّساءِ.

فلم يزل يقول: أنا أنا حتّى ضجّ النّاس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد «لعنه الله» أن تكون

فتنة، فأمر المؤذّن فقطع عليه الكلام، فلمّا قال المؤذّن: الله أكْبَر، الله أكْبَر قال عليّ بن الحسين عليه السلام: لاَ شَيْءَ أكْبَرُ مِنَ اللهِ.

فلمّا قال المؤذّن: أشْهدُ أنّ إله إلاّ اللهُ.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: شَهدَ بها شَعْري، وَبَشَري، وَلَحْمي، وَدَمي.

فلمّا قال المؤذّن: إشْهَدُ أنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللهِ، التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال له: مُحَمَّدٌ هذا جَدّي أمْ جَدُّك يا يَزيدُ؟ فَإنْ زَعَمْتَ أنَهُ جَدُّك فَقَدْ كَذَبْتَ وَكَفَرْتَ، وَإنْ زَعَمْتَ أنَّهُ جَدي فَلِمَ قَتَلْتَ عِتْرَتَهُ؟

قال: فلمّا فرغ المؤذّن من الأذان والإقامة تقدّم يزيد فصلّى صلاة الظهر.

قال: وروي أنّه كان في مجلس يزيد هذا حبر من أحبار اليهود، فقال: من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟ قال: هو عليّ بن الحسين.

قال: فمن الحسين؟ قال: ابن عليّ بن أبي طالب.

قال: فمن أمّه؟ قال: أمّه فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحبر: يا سبحان الله! فهذا ابن بنت نبيّكم قتلتموه في هذه السرعة! بئسما خلّفتموه في ذرّيّته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننّا أنّا كنّا نعبده من دون ربّنا، وأنتم إنّما فارقكم نبيّكم بالأمس فوثبتم على ابنه فقتلتموه. سوءة لكم من أمّة.

قال: فأمر به يزيد «لعنه الله» فوجأ في حلقه ثلاثاً، فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاضربوني، وإن شئتم فاقتلوني أو فذروني، فإنّي أجد في التوراة أنّ من قتل ذرّيّة نبيّ لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنّم.

وقال السيّد ابن نما: روى ابن لهيعة عن أبي الأسود، قال: لقيني رأس الجالوت فقال: والله! إنّ بيني وبين داود لسبعين أباً، وأنّ اليهود تلقاني فتعظّمني، وأنتم ليس بينكم وبين ابن نبيّكم إلاّ أب واحد، قتلتموه.

وروي عن زين العابدين عليه السلام: إنّه أتي برأس الحسين إلى يزيد كان يتّخذ مجالس الشراب ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر في مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم، وكان من أشراف الروم وعظمائهم، فقال: يا ملك العرب، هذا رأس من؟

فقال له يزيد: ما لك ولهذا الرأس؟

فقال: إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته، فأحببت أن أخبره بقصّة هذا الرأس وصاحبه حتّى يشاركك في الفرح والسرور.

فقال له يزيد: هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

فقال الروميّ: ومن أمّه؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فقال النصرانيّ: أفٍّ لك ولدينك، لي دين أحسن من دينك، إنّ أبي من حوافد داود عليه السلام وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظّموني ويأخذون من تراب قدمي تبرّكاً بأبي من حوافد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله ﷺ وما بينه وبين نبيّكم إلاّ أمّ واحدة، فأيّ دين دينكم.

ثمّ قال ليزيد: هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟ فقال له: قل حتّى أسمع.

فقال: بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيها عمران إلاّ بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين، ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت، أشجارهم العود والعنبر، وهي في أيدي النصارى، لا ملك لأحد من الملوك فيها سواهم، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حقّة ذهب معلّق فيها حافر يقولون إنّ هذا حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام، وقد زيّنوا حول الحقّة بالذهب والديباج، يقصدها في كلّ عام عالم من النصارى ويطوفون حولها ويقبّلونها، ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار؛ يزعمون أنّه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيّهم عليه السلام، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيّكم ﷺ، فلا بارك الله فيكم ولا في دينكم.

فقال يزيد «لعنه الله»: اقتلوا هذا النصرانيّ لئلاّ يفضحني في بلاده، فلمّا أحسّ النصرانيّ بذلك قال له: أتريد أن تقتلني؟ قال: نعم.

قال: إعلم أنّي رأيت البارحة نبيّكم في المنام يقول لي: يا نصرانيّ أنت من أهل الجنّة، فتعجّبت من كلامه ﷺ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ، ثمّ وثب إلى رأس الحسين عليه السلام فضمّه إلى صدره وجعل يقبّله ويبكي حتّى قُتل.

قال صاحب «المناقب»: «وذكر أبو مخنف وغيره أنّ يزيد «لعنه الله» أمر أن يصلب الرأس على باب داره، وأمر بأهل بيت الحسين عليه السلام أن يدخلوا داره.

فلمّا دخلت النسوة دار يزيد لم يبق من آل معاوية ولا آل أبي سفيان إلاّ استقبلهنّ بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام، وألقين ما عليهنّ من الثياب والحليّ، وأقمن المآتم عليه ثلاثة أيّام، وخرجت هند بنت عبد الله بن عامر امرأة يزيد، وكانت قبل ذلك تحت الحسين عليه السلام حتّى شقّت الستر وهي حاسرة، فوثبت إلى يزيد وهو في مجلس عامّ، فقالت: يا يزيد، أرأس ابن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ مصلوب على فناء بابي؟

فوثب إليها يزيد فغطّاها، وقال: نعم، فاعولي عليه يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله

وصريخة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله، ثمّ إنّ يزيد «لعنه الله» أنزلهم في داره الخاصّة، فما كان يتغدّى ولا يتعشّى حتّى يحضر عليّ بن الحسين.

وقال ابن نما: ورأت سكينة عليها السلام في منامها، وهي بدمشق، كأنّ خمسة نجب من نور قد أقبلت، وعلى كلّ نجيب شيخ، والملائكة محدقة بهم، ومعهم وصيف يمشي، فمضى النجب وأقبل الوصيف إليَّ وقرب منّي، وقال: يا سكينة إنَّ جدّك يسلّم عليك.

فقلت: وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله السلام، من أنت؟ قال: وصيف من وصائف الجنّة.

فقلت: من هؤلاء المشيخة الذين جاؤا على النجب؟ قال: الأوّل آدم صفوة الله، والثاني إبراهيم خليل الله، والثالث موسى كليم الله، والرابع عيسى روح الله.

فقلت: من هذا القابض على لحيته يسقط مرّة ويقوم أخرى، فقال: جدّك رسول الله.

فقلت: وأين هم قاصدون؟ قال: إلى أبيك الحسين.

فأقبلت أسعى في طلبه لأعرّفه ما صنع بنا الظالمون بعده، فبينما أنا كذلك إذا أقبلت خمسة هوادج من نور، في كلّ هودج امرأة.

فقلت من هذه النسوة المقبلات؟ قال: الأولى حوّاء أمّ البشر، الثانية آسية بنت مزاحم، والثالثة مريم بنت عمران، والرابعة خديجة بنت خويلد.

فقلت: مَن الخامسة الواضعة يدها على رأسها، تسقط مرّة وتقوم أخرى؟ فقال: جدّتك فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله أمّ أبيك.

فقلت: والله لأخبرنّها بما صنع بنا، فلحقتها ووقفت بين يديها أبكي وأقول: يا أمّاه، جحدوا والله حقّنا، يا أمّاه، بدّدوا والله شملنا. يا أمّاه، استباحوا والله حريمنا. يا أمّاه، قتلوا والله الحسين أبانا.

فقالت: كفّي صوتك يا سكينة، فقد أقرحتِ كبدي، وقطّعت نياط قلبي، هذا قميص أبيك الحسين عليه السلام معي لا يفارقني حتّى ألقى الله به، ثمّ انتبهت وأردت كتمان ذلك المنام، وحدّثت به أهلي، فشاع بين النّاس.

وروى غيره: إنّ سكينة عليها السلام قالت: يا يزيد، رأيت البارحة رؤياً إن سمعتها منّي قصصتها عليك.

فقال يزيد «لعنه الله»: هاتي ما رأيت.

قالت: بينما أنا ساهرة وقد كللت من البكاء بعد أن صلّيت ودعوت الله بدعوات، فلمّا

رقدت عيني رأيت أبواب السماء قد تفتّحت، وإذا أنا بوصائف من وصائف الجنّة، وإذا أنا بروضة خضراء، وفي تلك الروضة قصر، وإذا أنا بخمس مشايخ يدخلون إلى ذلك القصر وعندهم وصيف.

فقلت: يا وصيف، أخبرني لمن هذا القصر؟ فقال: هذا لأبيك الحسين عليه السلام أعطاه الله ثواباً لصبره.

فقلت ومن هؤلاء المشايخ؟ فقال: أمّا الأوّل فآدم أبو البشر، وأمّا الثاني فنوح نبيّ الله، وأمّا الثالث فإبراهيم خليل الرحمن، وأمّا الرابع فموسى كليم الله.

فقلت له: ومن الخامس الذي أراه قابضاً على لحيته باكياً حزيناً من بينهم؟ فقال لي: يا سكينة، أما تعرفيه؟

فقلت: لا، فقال: هذا جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقلت له: أين يريدون؟ فقال: إلى أبيك الحسين عليه السلام.

فقلت: والله لألحقنّ جدّي وأخبرنّه بما جرى علينا، فسبقني ولم ألحقه، فبينما أنا متفكّرة وإذا بجدّي عليّ بن أبي طالب وبيده سيفه وهو واقف.

وفي رواية أخرى: إنّه لمّا قال لها: هذا جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فدنوت منه وقلت: يا جدّاه، قتلت والله رجالنا، وسفكت والله دماؤنا، وهتكت والله حريمنا، وحُملنا على الأقتاب من غير وطاء، نساق إلى يزيد، فأخذني إليه وضمّني إلى صدره ثمّ أقبل على آدم ونوح وإبراهيم وموسى، ثمّ قال لهم: ما ترون إلى ما صنعت أمّتي بولدي من بعدي.

ثمّ قال الوصيف: يا سكينة، اخفظي صوتك، فقد أبكيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ أخذ الوصيف بيدي فأدخلني القصر، فإذا بخمس نسوة قد عظّم الله خلقتهنّ، وزاد في نورهنّ، وبينهنّ امرأة عظيمة الخلقة، ناشرة شعرها، وعليها ثياب سود، بيدها قميص مضمّخ بالدم، وإذا قامت يقمن معها، وإذا جلست يجلسن معها، فقلت للوصيف: ما هؤلاء النسوة اللاتي قد عظّم الله خلقتهنّ، فقال: يا سكينة هذه حوّاء أمّ البشر، وهذه مريم ابنة عمران، وهذه خديجة بنت خويلد، وهذه هاجر، وهذه سارة، وهذه التي بيدها القميص المضمّخ، وإذا قامت يقمن معها، وإذا جلست يجلسن معها، هي جدّتك فاطمة الزهراء، فدنوت منها وقلت لها: يا جدّتاه، قتل والله أبي، وأوتمت على صغر سنّي، فضمّتني إلى صدرها، وبكت بكاءً شديداً، وبكين النسوة كلّهنّ، وقلن لها: يا فاطمة، يحكم الله بينك وبين يزيد يوم فصل القضاء، ثمّ إنّ يزيد تركها ولم يعبأ بقولها.

وروى القطب الراوندي في «الخرائج» عن سليمان بن مهران الأعمش، قال: بينما أنا

بالطواف بالموسم إذ رأيت رجلاً يدعو وهو يقول: اللّهمّ اغفر وأنا أعلم أنّك لا تغفر، فارتعدت لذلك ودنوت منه، فقلت له: لِمَ تيأس من المغفرة؟

قال: يا هذا، ذنبي عظيم، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد من الكوفة.

وقد تقدّم صدر هذا الخبر سابقاً، إلى أن قال فيه: وأدخل الرأس إلى يزيد وابتدر قاتل الحسين إلى يزيد فقال:

امـلأ ركـابـي فـضّـة أو ذهـبـاً ... إنّـي قـتـلـت الـمـلـك الـمـحـجّـبـا
قـتـلـت خـيـر الـنّـاس أمّـاً وأبـا

فأمر بقتله، وقال: إذا علمت أنّ الحسين خير النّاس أمّاً وأباً فلم قتلته؟ فجعل الرأس في طشت وهو ينظر إلى أسنانه ويقول:

لَـيْـتَ أَشْـيـاخـي بِـبَـدْرٍ شَـهِـدُوا ... جَـزَعَ الْـخَـزْرَجِ مِـنْ وَقْـعِ الأَسَـلْ
لأهَـلُّـوا وَاسْـتَـهَـلُّـوا فَـرَحـاً ... ثُـمَّ قـالُـوا: يـا يَـزِيـدُ لاَ تُـشَـلْ
وَجَـزَيْـنـاهُـم بِـبَـدْرٍ مِـثْـلَـهـا ... وَبِـأُحُـدٍ يَـوْمَ أُحُـدٍ قـاعْـتَـدَلْ
لَـسْـتُ مِـنْ خِـنْـدِفَ إنْ لَـمْ أَنْـتَـقِـمْ ... مِـنْ بَـنـي أَحْـمَـدَ مـا كـانَ فَـعَـلْ

فدخل عليه زيد ين أرقم ورأى الرأس في الطشت، وهو يضربه بالقضيب على أسنانه، فقال: كفّ عن ثناياه، فطالما رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله يقبّلها.

فقال يزيد «لعنه الله»: لولا أنّك شيخ كبير خرفت، لقتلتك.

ودخل عليه رأس اليهود فقال: ما هذا الرأس ؟ فقال: رأسي خارجيّ.

قال: ومن هو؟ قال: الحسين.

قال: ابن من؟ قال: ابن عليّ.

قال: ومن أمّه؟ قال: فاطمة.

قال: ومن فاطمة؟ قال: بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

قال: نبيّكم؟ قال: نعم.

قال: لا جزاكم الله خيراً، بالأمس كان نبيّكم واليوم قتلتم ابن بنته.

ويحك! إنّ بيني وبين داود النبيّ نيفاً وثلاثين أباً فإذا رأتني اليهود كفّرت - أي خضعت إليّ - ثمّ مال إلى الطشت وقبّل الرأس، وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ جدّك محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرج، فأمر يزيد بقتله، وأمر فأدخل الرأس القبّة التي بإزاء القبلة التي يشرب فيها، ووكّلنا بالرأس، وكلّ ذلك في قلبي، فلم يحملني النوم في تلك القبّة.

رأس الحسين عليه السلام

فلمّا دخل الليل وكّلنا أيضاً بالرأس، فلمّا مضى من الليل شطره سمعت دويّاً من السماء، فإذا منادياً ينادي: يا آدم، اهبط، فهبط أبو البشر ومعه كثير من الملائكة، ثمّ سمعت منادياً ينادي: يا إبراهيم، اهبط، فهبط ومعه خلق كثير من الملائكة، ثمّ سمعت منادياً ينادي: يا موسى، اهبط، فهبط ومعه خلق كثير من الملائكة، ثمّ سمعت منادياً ينادي: يا عيسى، اهبط، فهبط ومعه كثير من الملائكة، ثمّ سمعت دويّاً عظيماً ومنادياً ينادي: يا محمّد، اهبط، فهبط ومعه خلق كثير من الملائكة، فأحدق الملائكة بالقبّة، ثمّ إنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل القبّة وأخذ الرأس منها.

وفي رواية: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قعد تحت الرأس، فانحنى الرمح ووقع الرأس في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخذه وجاء به إلى آدم فقال: يا أبي يا آدم، أما ترى ما فعلت أمّتي بولدي من بعدي، فاقشعرّ لذلك جلدي.

ثمّ قام جبرئيل فقال: يا محمّد، أنا صاحب الزلازل، فأمرني لأزلزل بهم الأرض، وأصيح بهم صيحة واحدة يهلكون فيها، فقال: لا.

قال: يا محمّد دعني وهؤلاء الأربعين الموكّلين بالرأس، فقال: فدونك، فجعل ينفخ بواحد واحد، فدنا منّي، فقال: تسمع وترى، واستغثت برسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: دعوه دعوه، لا يغفر الله له، فتركني فأخذوا الرأس وولّوا، فافتقد الرأس من تلك الليلة، فما عرف له خبر، ولحق عمر بن سعد «لعنه الله» بالريّ، فما لحق بسلطانه ومحق الله عمره، فأهلك في الطريق، فقال سليمان الأعمش: قلت للرجل: تنح عنّي لا تحرقني بنارك، ووليّت، ولا أدري بعد ذلك خبره.

يقول المؤلّف: قد اختلف العامّة في موضع الرأس الشريف، فحكى صاحب المناقب عن أبي العُلا الحافظ، عن مشايخه أنّه دفنه عمرو بن سعيد بن العاص في البقيع عند قبر أمّه فاطمة، وعن بعضهم أنّ سليمان بن عبد الملك صلّى عليه وقبره، وعن بعضهم: إنّه مكث في خزائن بني أميّة حتّى ولي سليمان بن عبد الملك فطلبه، فجيء به وهو عظيم أبيض، فجعله في سفط وطيّبه وجعل عليه ثوباً، ودفنه في مقابر المسلمين بعد ما صلّى عليه، فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى المكان يطلب منه الرأس، فأخبره بخبره، فسئل عن الموضع الذي دفن فيه فنبشه وأخذه، والله أعلم ما صنع به، فالظاهر من دينه أنّه بعثه إلى كربلاء فدفن مع جسده، انتهى.

وقال ابن نما: وأمّا الرأس الشريف، فقد اختلف النّاس فيه، فقال قوم: إنّ عمرو بن سعيد

دفنه بالمدينة، وعن منصور بن جمهور: أنّه دخل خزانة يزيد بن معاوية لمّا فتحت، فوجد جونة حمراء، فقال لغلامه سليم: احتفظ بهذه الجونة، فإنّها كنز من كنوز بني أميّة، فلمّا فتحها إذا فيها رأس الحسين عليه السلام وهو مخضوب بالسواد، فقال لغلامه: ائتني بثوب، فأتاه به، فلفّه ثمّ دفنه بدمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث ممّا يلي المشرق.

وحدّثني جماعة من أهل مصر أنّ مشهد الرأس عندهم يسمّونه المشهد الكريم، عليه من الذهب شيء كثير، يقصدونه في المواسم، انتهى.

وهذه الأقوال كلّها للمخالفين، وأمّا المشهور بين علمائنا الإماميّة، فهو أنّه مدفون مع جسده، ردّه عليّ بن الحسين عليه السلام.

وقال السيّد ابن طاووس: فأمّا رأس الحسين عليه السلام فروي أنّه أعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه، ورويت آثار كثيرة مختلفة غير ما ذكرناه، تركنا وصفها لئلاّ ينفسخ ما شرطناه من اختصار الكتاب، انتهى.

والذي وقفت عليه من الأخبار في المقام، منها هذه الرواية، حيث دلّت على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذه معه، ومنها جملة من الأخبار مرويّة في «الكافي» و«التهذيب» و«كامل الزيارة» وغيرها من كون رأسه مدفوناً عند قبر والده عليه السلام.

ومنها: ما رواه ابن قولويه في «الكامل» عن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ الملعون عبيد الله بن زياد لمّا بعث برأس الحسين بن عليّ عليه السلام إلى الشام ردّ إلى الكوفة، فقال: أخرجوه عنها لا يفتتن به أهلها، فصيّره الله عند أمير المؤمنين عليه السلام، فالرأس مع الجسد، والجسد مع الرأس.

وهذا الخبر يحتمل أن يكون معناه أنّه بعد ما دفن الرأس الشريف عند عليّ عليه السلام ظاهراً، ألحق بالجسد الشريف بكربلاء، أو صعد به مع الجسد إلى السماء - كما في بعض الأخبار - ويحتمل أن يكون المراد أنّ بدن أمير المؤمنين عليه السلام كالجسد لذلك الرأس الشريف لأنّهما من نور واحد؛ وطينه واحدة.

وروى الصدوق في «الأمالي» بإسناده عن فاطمة بنت عليّ عليه السلام، قالت: ثمّ إنّ يزيد «لعنه الله» أمر بنساء الحسين عليه السلام فجلسن مع عليّ بن الحسين عليه السلام في مجلس لا يكنّهم من حرّ، ولا قرّ، حتّى تقشّرت وجوههم، ولم يرفع بيت المقدس حجر على وجه الأرض إلاّ وجد تحته دم عبيط، وأبصر النّاس الشمس على الحيطان حمراء كأنّها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج عليّ بن الحسين عليه السلام بالنسوة وردّ رأس الحسين إلى كربلاء.

وهذه الرواية تدلّ على القول المشهور.

وروى الصفّار في «بصائر الدرجات» بإسناده عن محمّد الحلبي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا أتي بعليّ بن الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية «لعنه الله» ومن معه، جعلوه في بيت، فقال بعضهم: إنّما جعلنا في هذا البيت ليقع علينا فيقتلنا فراطن الحرس، فقالوا: انظروا إلى هؤلاء يخافون أن يقع عليهم البيت، وإنّما يخرجون غداً فيقتلون، قال عليّ بن الحسين عليه السلام: لم يكن فينا أحد يحسن الرطانة غيري، والرطانة عند أهل المدينة الروميّة.

وروى السيّد ابن طاووس رحمه الله وغيره، قالوا: خرج زين العابدين عليه السلام يوماً يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو، فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: أمسينا كمثل بني إسرائيل، يذبَحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم. يا منهال، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً عربيّ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشرّدون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا أمسينا فيه.

وروي أيضاً أنّه دعا يزيد «لعنه الله» يوماً بعليّ بن الحسين عليه السلام وعمرو بن الحسن عليه السلام، وكان عمرو صغيراً يقال: إنّ عمره إحدى عشرة سنة، فقال له: أتصارع هذا، يعني ابنه خالد، فقال له عمرو: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكّيناً ثمّ أقاتله، قال يزيد «لعنه الله»:

شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحيّة إلاّ حيّة

وقال لعليّ بن الحسين عليه السلام: اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهنّ، فقال عليه السلام: الأولى أن تريني وجه سيّدي وأبي ومولاي الحسين فأتزوّد منه، وأنظر إليه، وأودّعه، والثانية: أن تردَ علينا ما أخذ منّا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي، أن توجّه مع هؤلاء النسوة من يردّهنّ إلى حرم جدّهنّ صلى الله عليه وآله.

فقال: فأمّا وجه أبيك فلن تراه أبداً، وأمّا قتلك فقد عفوت عنك، وأمّا النساء فما يردّهنّ إلى المدينة غيرك، وأمّا ما أخذ منكم فأنا أعوّضكم عنه أضعاف قيمته.

فقال عليه السلام: أمّا مالك فما نريده، وهو موفّر عليك، وإنّما طلبت ما أخذ منّا! لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله ومقنعتها وقلادتها وقميصها، فأمر بردّ ذلك وزاد عليه مائتي دينار، فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرّقها في الفقراء والمساكين، ثمّ أمر بردّ الأسارى وسبايا البتول إلى أوطانهم بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله.

وروي في بعض الكتب المعتبرة: عن هند زوجة يزيد، قالت: كنت أخذت مضجعي فرأيت باباً من السماء وقد فتحت، والملائكة ينزلون كتائب كتائب إلى رأس الحسين عليه السلام وهم

يقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، فبينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء وفيها رجال كثيرون، وفيهم رجل درّيّ اللون، قمريّ الوجه، فأقبل يسعى حتّى انكبّ على ثنايا الحسين عليه السلام يقبّلهما وهو يقول: يا ولدي قتلوك، أتراهم ما عرفوك ومن شرب الماء منعوك، يا ولدي، أنا جدّك رسول الله، وهذا أبوك عليّ المرتضى، وهذا أخوك الحسن، وهذا عمّك جعفر، وهذا عقيل، وهذا حمزة والعبّاس، ثمّ جعل يعدد أهل بيته واحداً بعد واحد.

قالت هند: فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة، وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين عليه السلام، فجعلت أطلب يزيد وهو قد دخل إلى بيت مظلم، وقد أدار وجهه إلى الحائط وهو يقول: ما لي وللحسين؟ وقد وقعت عليه الهمومات، فقصصت عليه المنام وهو منكّس الرأس.

قال: فلمّا أصبح استدعى بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهنّ: أحبّ إليكنّ، المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة، ولكم الجائزة السنيّة؟

قالوا: نحبّ أوّلاً أن ننوح على الحسين عليه السلام.

قال: افعلوا ما بدا لكم، ثمّ أخليت لهنّ الحجر والبيوت في دمشق، ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلاّ ولبست السواد على الحسين، وندبوه - على ما نقل - سبعة أيّام.

فلمّا كان اليوم الثامن دعاهنّ يزيد وعرض عليهنَّ المقام، فأبين وأردن الرجوع إلى المدينة، فأحضر لهنّ المحامل، وزيّنها، وأمر بالأنطاع الإبريسم، وصبّ عليها الأموال، وقال: يا أمّ كلثوم، خذوا هذا المال عوض ما أصابكم.

فقالت أمّ كلثوم: يا يزيد، ما أقلّ حياك، وأصلب وجهك، تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالاً.

قال المفيد وصاحب «المناقب»: «روي أنّ يزيد عرض عليهم المقام بدمشق، فأبوا ذلك وقالوا: بل ردّنا إلى حرم المدينة، فإنّها مهاجر جدّنا، فقال للنعمان بن بشير صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله: جهّز هؤلاء بما يصلحهم، إبعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معهم خيلاً وأعواناً.

وفي رواية أخرى: إنّه أرسل النعمان معهم، ثمّ كساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق، ثمّ دعا بعليّ بن الحسين عليه السلام فقال له: لعن الله ابن مرجانه، أما والله لو كنت صاحبه ما سألني خلّة إلاّ أعطيته إيّاها، ولدفعت عنه الحتف بكلّ ما قدرت عليه، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، فكاتبني في كلّ حاجة تكون لك، ثمّ أوصى بهم الرسول».

قال السيّد: ولمّا رجعت نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق، قالوا

للدليل: مرّ بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن وللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد وأقاموا على ذلك أيّاماً.

فروي عن ابن حبّاب الكلبي، قال: حدّثنا الجصّاصون قالوا: كنّا نخرج إلى الجبّانة في الليل عند مقتل الحسين عليه السلام فنسمع الجنّ ينوحون عليه فيقولون:

مسح الرسول جبينه ... فله بريق في الخدود
أبواه من علياء قريش ... جدّه خير الجدود

قال: ثمّ انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة.

قال بشر بن حذلم: فلمّا قربنا منها نزل عليّ بن الحسين عليه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه، وقال: يا بشر، رحم الله أباك، لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟

قلت: بلى يا ابن رسول الله، إنّي لشاعر.

قال: فادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام، قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلاء مضرّج ... والرأس منه على القناة يدارُ

قال: ثمّ قلت: هذا عليّ ابن الحسين عليه السلام مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه، فما بقيت بالمدينة مخدّرة ولا محجّبة إلاّ برزن من خدورهنّ مكشوفة شعورهنّ، مخمّشة وجوههنّ، ضاربات خدودهنّ، يدعين بالويل والثبور، فلم أرّ باكياً أكثر من ذلك اليوم؛ ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه، وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيّدي ناع نعاه فأوجعا ... وأمرضني ناع نعاه فأفجعا
فعينيَّ جودا بالدموع واسكبا ... وجودا بدمع بل بدمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا ... فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبيّ الله وابن وصيّه ... وإن كان عنّا شاحط الدار أشسعا

ثمّ قالت: أيّها الناعي، جدّدت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام، وخدشت منّا قروحاً لمّا تندمل، فمن أنت رحمك الله؟

فقلت: أنا بشير بن حذلم، وجّهني مولاي عليّ بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله عليه السلام ونسائه.

قال: فتركوني في مكاني وبادروا، فضربت فرسي حتّى رجعت إليهم، فوجدت النّاس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّيت رقاب النّاس حتّى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام داخلاً، فخرج ومعه منديل يمسح به دموعه، وخلفه خادم، ومعه كرسيّ فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات النّاس بالبكاء، وحنين الجواري والنساء والنّاس من كلّ ناحية يعزّونه، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة، فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فقال عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعالَمينَ، مالِكِ يَوْمِ الدّينِ، بارِئَ الْخَلائِقِ أَجْمَعينَ، الَّذي بَعُدَ فَارْتَفَعَ في السَّماواتِ الْعُلى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوى، نَحْمَدُهُ عَلى عَظائِمِ الأُمُورِ، وَفَجائِعِ الدُّهُورِ، وَأَلَمِ الْفَجائِعِ، وَمَضاضَةِ اللَّواذِعِ، وَجَليلِ الرُّزْءِ، وَعَظيمِ الْمَصائِبِ الْفاظِعَةِ الْفادِحَةِ الْجائِحَةِ.

أَيُّهَا النّاسُ، إِنَّ اللهَ - وَلَهُ الْحَمْدُ - ابْتَلانا بِمَصائِبَ جَليلَةٍ، وَثُلْمَةٍ في الإِسْلامِ عَظيمَةٍ، قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام وَعِتْرَتُهُ، وَسُبِيَ نِساؤُهُ وَصِبْيَتُهُ، وَدارُوا بِرَأْسِهِ في الْبُلْدانِ مِنْ فَوْقِ عالي السِّنانِ، وَهذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتي لا مِثْلُها رَزِيَّةٌ.

أَيُّهَا النّاسُ، فَأَيُّ رِجالاتٍ مِنْكُمْ تُسِرُّونَ بَعْدَ قَتْلِهِ؟! أَمْ أَيَّةُ عَيْنٍ مِنْكُمْ تَحْبِسُ دَمْعَها وَتَضِنُّ عَنْ إِنْهِما لِها؟! فَلَقَدْ بَكَتِ السَّبْعُ الشِّدادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبِحارُ بِأَمْواجِها، وَالسَّماواتُ بِأَرْكانِها، وَالأَرْضُ بِأَرْجائِها، وَالأَشْجارُ بِأَغْصانِها، وَالْحِيتانُ في لُجَجِ الْبِحارِ، وَالْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَأَهْلُ السَّماواتِ أَجْمَعُونَ.

أَيُّهَا النّاسُ، أَيُّ قَلْبٍ لا يَتَصَدَّعُ لِقَتْلِهِ؟! أَمْ فُؤادٍ لا يَحِنُّ إِلَيْهِ؟! أَمْ أَيُّ سَمْعٍ يَسْمَعُ هذِهِ الثُّلْمَةَ الَّتي ثُلِمَتْ فِي الإِسْلامِ وَلا يُصَمُّ؟!

أَيُّهَا النّاسُ، أَصْبَحْنا مَطْرُودينَ، مُشَرَّدينَ، مَذُودينَ، شاسِعينَ عَنِ الأَمْصارِ، كَأَنّا أَوْلادُ تُرْكٍ وكابُلَ، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْناهُ، وَلا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْناهُ، وَلا ثُلْمَةٍ فِي الإِسْلامِ ثَلَمْناها، ما سَمِعْنا بِهذا في آبائِنَا الأَوَّلينَ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقُ﴾ [ص: ٧].

وَاللهِ! لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ في قِتالِنا كَما تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوِصايَةِ بِنا لَمَا ازدادُوا عَلى ما فَعَلُوا بِنا، فَإِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ مِنْ مُصيبَةٍ ما أَعْظَمَها، وَأَوْجَعَها، وَأَفْجَعَها، وَأَكَظَّها، وَأَفْظَعَها، وَأَمَضَّها، وَأَمَرَّها، وَأَفْدَحَها، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ فيما أَصابَنا، وَما بَلَغَ بِنا، إِنَّهُ عَزيزٌ ذُو انْتِقامٍ.

فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان، وكان زَمِناً فاعتذر إليه عليه السلام بما عنده من زمانة رجليه، فأجابه عليه السلام بقبول معذرته، وحسن الظنّ فيه، وترحّم على أبيه.

إلى هنا كلام السيّد رحمه الله.

وزاد المجلسي رحمه الله في «جلاء العيون»: فلمّا دخلوا المدينة ووقع نظرهم على الضريح الشريف علا الصياح والنياح: واجدّاه، وامحمّداه، قد قُتل الحسين، وأسر أهله وعياله، فضجّوا بالبكاء والعويل والنحيب مرّة أخرى.

ثمّ قال السيّد ابن طاووس رحمه الله: وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه، فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جائعاً، قُتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرّر ذلك ويبكي حتّى يبلّ طعامه من دموعه، ثمّ يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عز وجل.

وحدّث مولى له عليه السلام: إنّه برز يوماً إلى الصحراء، قال: فتبعته، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، وأحصيت عليه ألف مرّة: لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً، لا إله الله تعبّداً ورقّاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثمّ رفع رأسه من السجود وأنّ لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيّدي، أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقلّ؟

فقال لي: ويحك! إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان نبيّاً ابن نبيّ، وكان له أثني عشر ابناً، فغيّب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغمّ، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيّ في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقلّ بكائي.

قال المجلسي رحمه الله في «الجلاء» بعد نقل هذا الحديث: يمكن أن يكون بكاؤه عليه السلام من خوف الله تعالى كما يظهر من مناجاته، ولمّا كانت هذه المصائب العظيمة لها مدخل في ذلك، أظهر عليه السلام كون بكائه لأجل ذلك، لضرب من المصلحة، وإظهار كفر قتلته عليه السلام، وقبح أفعالهم، على أنّ بكاء المقرّبين بعضهم على بعض ليس لأجل المحبّة البشريّة بل لأغراض أخر. وهنا لمّا كان زين العابدين عليه السلام عالماً بأحوال والده عليه السلام بما يخفى على غيره، ويعلم أنّه أحبّ الخلق إلى الله، وأنّ فقده سبب لضلالة النّاس، وضياع الدين، واندراس شريعة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وظهور البدع، فبكاءه عليه السلام لذلك، انتهى.

أقول: لا حاجة إلى هذه التكلّفات، وليس ينحصر بكاء المقرّبين بالخوف من الله تعالى، بل

لا يكون بكاؤهم إلاّ مرضياً لله تعالى، ولا ريب أنّ البكاء لفقد الأحبّة والآباء والأولاد مرضٍ لله تعالى، مطلوب محبوب له، ألا ترى أنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم بكى على موت ولده إبراهيم، فقيل له: يا رسول الله، تبكي وأنت تنهانا عن البكاء؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم.

فما ظنّك بالبكاء على مصيبة الحسين ابن بنت الرسول، وقرّة عين البتول، وثمرة فؤاد سيف الله المسلول، التي هي من أعظم الطاعات، وأفضل القربات، وأشرف العبادات، حتّى أنّ من خرج من عينيه مثل جناح الذباب من الدموع عليه عليه السلام كان ذلك كفّارة لما لا يحصى من ذنوبه، وموجباً لرفع الدرجات، ونيل الطلبات، والنعيم الأبدي، والخلود السرمديّ، فبكاؤه عليه السلام لذلك، غير قادح في فضيلته، فضلاً عن عصمته.

الفصل السادس عشر

في بيان ما ظهر من المعجزات والغرائب بعد شهادته عليه السلام من بكاء السماء والأرض عليه، وانكساف الشمس والقمر، وغير ذلك

روى عليّ بن إبراهيم في «تفسيره» بإسناد معتبر عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: مرّ عليه رجل عدوّ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]، ثمّ مرّ عليه الحسين بن عليّ عليه السلام، فقال: لكنّ هذا لتبكينّ عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلاّ على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ صلوات الله عليهما.

وروى الشيخ في «الأمالي» بإسناد معتبر عن الحسين بن أبي فاختة، قال: كنت أنا وأبو سلمة السرّاج ويونس بن يعقوب والفضيل بن يسار عند أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك، إنّي أحضر مجالس هؤلاء القوم فأذكركم في نفسي، فأيّ شيء أقول؟

فقال: يا حسين، إذا حضرت مجالس هؤلاء فقل: اللّهمّ أرنا الرخاء والسرور، فإنّك تؤتي على ما تريد.

قال: فقلت: جعلت فداك، إنّي أذكر الحسين بن عليّ عليه السلام، فأيّ شيء أقول إذا ذكرته؟ فقال: قل: صلّى الله عليك يا أبا عبد الله، تكرّرها ثلاثاً، ثمّ أقبل علينا وقال: إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام لمّا قتل بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وما فيهنّ وما بينهنّ، ومن يتقلّب في الجنّة والنّار، وما يرى وما لا يرى، إلاّ ثلاثة أشياء، فإنّها لم تبك عليه.

فقلت: جعلت فداك، وما هذه الثلاثة أشياء التي لم تبك عليه؟

فقال: البصرة، ودمشق الشام، وآل الحكم ابن أبي العاص».

وروى الصدوق في «الأمالي» و«العلل» بإسناد معتبر عن جبلة المكّية، قالت: سمعت ميثم التمّار رحمه الله يقول: والله لتقتل هذه الأمّة ابن نبيّها في المحرّم لعشرة يمضين منه، وليتّخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإنّ ذلك لكائن، قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحر، والطير في السماء، وتبكي عليه الشمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض، ومؤمنو الإنس والجنّ، وجميع ملائكة السماوات والأرضين، ورضوان، ومالك، وحملة العرش، وتمطر السماء دماً رماداً.

ثمّ قال: وجبت اللعنة على قتلة الحسين عليه السلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قالت جبلة: فقلت له: يا ميثم، فكيف تتّخذ النّاس ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام يوم بركة؟

فبكى ميثم رحمه الله ثمّ قال: **يزعمون** - لحديث يضعونه - أنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام، وإنّما قبل الله توبته في ذي الحجّة، **ويزعمون** أنّه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود عليه السلام، وإنّما قبل الله عز وجل توبته في ذي الحجّة، **ويزعمون** أنّه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس عليه السلام من بطن الحوت، وإنّما أخرج الله عز وجل يونس عليه السلام من بطن الحوت في ذي الحجّة، **ويزعمون** أنّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجوديّ، وإنّما استوت على الجوديّ في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، **ويزعمون** أنّه اليوم الذي فلق الله عز وجل فيه البحر لبني إسرائيل، وإنّما كان ذلك في الربيع الأوّل.

ثمّ قال ميثم: يا جبلة، اعلمي أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام سيّد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة.

يا جبلة، إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنّها دم عبيط فاعلمي أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام قد قُتل.

قالت جبلة: فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة، فصحت وبكيت وقلت: قد - والله - قتل سيّدنا الحسين عليه السلام.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناده عن رجل من أهل بيت المقدس أنّه قال: «والله! لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشيّة قتل الحسين بن عليّ عليه السلام.

قلت: وكيف ذلك؟ قال: ما رفعنا حجراً ولا مدراً ولا صخراً، إلاّ ورأينا تحتها دماً يغلي، واحمرّت الحيطان كالعلق، ومطرنا ثلاثة أيّام دماً عبيطاً، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل، يقول:

أترجو أمّة حسيناً ... شفاعة جدّه يوم الحساب
معاذ الله لانِلتُم يقيناً ... شفاعة أحمد وأبي تراب
قتلتم خير من ركب المطايا ... وخير الشيّب طرّاً والشباب

وانكسفت الشمس ثلاثاً، ثمّ تجلّت عنها، واشتبكت النجوم، فلمّا كان من الغد أرجفنا بقتله، فلم يأت علينا كثير شيء حتّى نُعي إلينا الحسين عليه السلام.

وروى في «الكامل» بأسانيد معتبرة عن الزهري، قال: لمّا قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام لم يبق في بيت المقدس حصاة إلاّ وجد تحتها دم عبيط.

وروى أيضاً بأسانيد معتبرة عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بكت الإنس والجنّ الطير والوحش على الحسين بن عليّ عليه السلام حتّى ذرفت دموعها.

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن الحارث الأعور، قال: قال عليّ عليه السلام: بأبي وأمّي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأنّي أنظر إلى الوحش مادّة أعناقها على قبره من أنواع الوحش يبكونه ويرثونه ليلاً حتّى الصباح، فإذا كان كذلك فإيّاكم والجفاء.

وعن إبراهيم النخعي، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام فجلس في المسجد واجتمع أصحابه حوله، وجاء الحسين عليه السلام حتّى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه فقال: يا بني، إنّ الله عيّر أقواماً في القرآن فقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]، وأيمُ الله ليقتلنَك ثمّ تبكيك السماء والأرض.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الحسين عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرّتا، ولم يبكيا على أحد قطّ إلاّ على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ عليه السلام.

وعن عبد الله بن هلال، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ السماء بكت على الحسين بن عليّ عليه السلام ويحيى بن زكريّا، ولم تبك على أحد غيرهما.

قلت: وما بكاؤها؟ قال: مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة.

قلت: فذاك بكاؤها؟ قال: نعم.

وعن عليّ بن مسهر القرشي، قال: حدّثتني جدّتي أنّها أدركت الحسين بن عليّ عليه السلام حين قُتل، قالت: فمكثنا سنة وتسعة أشهر والسماء مثل العلقة مثل الدم ما تُرى الشمس.

وعن محمّد بن مسلمة، عمّن حدّثه، قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام أمطرت السماء تراباً أحمراً.

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: إنّ السماء لم تبك منذ وضعت إلاّ على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ.

قلت: أيّ شيء بكاؤها؟ قال: كانت إذا استقبلت الثوب وقع على الثوب شبه أثر البراغيث من الدم.

وعن داود بن فرقد، في الموثّق، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان الذي قتل الحسين عليه السلام ولد زنا، والذي قتل يحيى بن زكريّا ولد زنا - وقال - احمرّت السماء حين

قتل الحسين عليه السلام سنة - أثمّ قال: - بكت السماوات والأرض على الحسين وعلى يحيى بن زكريا، وحمرتها بكاؤها.

وعن البربري، قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: ترى هذه البومة! ما يقول النّاس؟

قال: قلت: جعلت فداك، جئنا نسألك؟ فقال: هذه البومة كانت على عهد جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله تأوي المنازل والقصور والدور، وكانت إذا أكل النّاس الطعام تطير فتقع أمامهم فيرمى إليها بالطعام وتسقى ثمّ ترجع إلى مكانها، ولمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام خرجت من العمران إلى الخراب والجبال والبراري، وقالت: بئس الأمّة أنتم، قتلتم ابن بنت نبيّكم ولا آمنكم على نفسي.

وعن الصادق عليه السلام، قال: إنّ البومة لتصوم النهار، فإذا أفطرت تدلّهت على الحسين عليه السلام حتّى تصبح.

وعن الحسين بن أبي غندر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول في البومة: هل أحد منكم رآها نهاراً؟

قيل له: لا تكاد تظهر بالنهار ولا تظهر إلاّ بالليل، قال: أما إنّها لم تزل تأوي العمران أبداً، فلمّا أن قُتل الحسين عليه السلام آلت على نفسها أنت لا تأوي العمران أبداً، ولا تأوي إلاّ الخراب، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتّى يجنّها الليل، فإذا جنّها الليل فلا تزال ترنّ على الحسين عليه السلام حتّى تصبح.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» من طرق المخالفين، عن نضرة الأزديّة قالت: لما أن قُتل الحسين عليه السلام مطرت السماء دماً، فأصبحت وكلّ شيء لنا ملآن دماً.

وعن نضرة الأزديّة، قالت: لمّا قُتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وحبابنا وجرارنا صارت مملوّة دماً.

وعن طرفة بن عبد الله، قال: «أمطرت السماء يوماً نصف النهار على شملة بيضاء، فنظرت فإذا هو دم، وذهبت الإبل إلى الوادي لتشرب، فإذا هو دم، وإذا هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام».

وعن الصادق عليه السلام، قال: بكت السماء على الحسين بن عليّ أربعين يوماً بالدم.

وعن أمّ سليم، قالت: لمّا قُتل الحسين عليه السلام مطرت السماء مطراً كالدم، احمرّت منه البيوت والحيطان.

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]، قال: إنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام.

وعن تاريخ النسوي عن الأسود بن قيس، قال: لمّا قتل الحسين عليه السلام ارتفعت حمرة من قبل المشرق وحمرة من قبل المغرب، فكادتا تلتقيان في كبد السماء، ستّة أشهر.

وقال أبو قبيل: لمّا قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام كسفت الشمس وبدت الكواكب نصف النهار، حتّى ظننّا أنّها هي، أي القيامة.

وفي بعض الكتب المعتبرة: عن أمّ حيّان، قالت: يوم قُتل الحسين عليه السلام أظلمت علينا ثلاثاً، ولم يمسّ أحد من زعفرانهم شيئاً، فجعله على وجهه إلاّ احترق، ولم يقلب حجراً في بيت المقدس إلاّ أصبح تحته دماً عبيطاً.

وروى الصدوق في «الأمالي» بإسناد معتبر عن عمّار بن أبي عمّار، قال: أمطرت السماء يوم قُتل الحسين عليه السلام دماً عبيطاً.

وروى الصدوق في «الأمالي» بإسناد معتبر عن التفليسي، قال: قال الصادق عليه السلام: لمّا ضُرب الحسين بن عليّ عليه السلام بالسيف ثمّ ابتدر ليقطع عنقه، نادى منادٍ من قِبل ربّ العزّة تبارك وتعالى من بطنان العرش فقال: ألا أيّتها الأمّة المتحيّرة الضالّة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحى ولا فطر.

قال: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: لا جرم والله، ما وفّقوا ولا يوفّقون أبداً حتّى يقوم - وفي نسخة: حتّى يثور - ثائر الحسين عليه السلام.

وفي «أمالي الصدوق» أيضاً بإسناد معتبر عن المفضل بن عمر، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهما السلام، قال: إنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً على الحسن عليه السلام، فلمّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟

قال: أبكي لما يصنع بك.

فقال له الحسن عليه السلام: أنا الذي يؤتى إليّ سمّ يدسّ إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنّهم من أمّة جدّنا محمّد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحلّ ببني أميّة اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء، حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن عروة بن أبي الزبير، قال: سمعت أبا ذرّ رحمه الله وهو يومئذٍ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال له النّاس: يا أبا ذرّ، أبشر، فهذا قليل في الله.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام قتلاً - أو قال: ذبح

ذبحاً - والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإنّ الله سيّسل سيفه على هذه الأمّة لا يغمده أبداً، ويبعث قائماً من ذرّيّته فينتقم من النّاس، وإنّكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار، وسكّان الجبال في الغياض والآكام، وأهل السماء، من قتله، لبكيتم - والله - حتّى تزهق أنفسكم، وما من سماء تمرّ بها روح الحسين عليه السلام إلاّ فزع له سبعون ألف ملك، يقومون قياماً، ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلاّ لعنت قاتله، وما من يوم إلاّ وتعرض روحه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيلتقيان.

وفي بعض الكتب المعتبرة: عن الفتح بن عابد، قال: كنت في كلّ يوم أفتّت الخبز لتأكله العصافير، فتأكله، فلمّا كان يوم عاشوراء فتّتَ لها الخبز فلم تأكله، فعلمت أنّها لم تأكله لعزائها على الحسين عليه السلام.

الفصل السابع عشر

في بيان بكاء الأنبياء والمرسلين والأوصياء والمقرّبين والملائكة الكروبيّين عليه عليه السلام وعلى مصيبته

روى الصدوق في «الأمالي» وابن قولويه في «الكامل» وغيرهما، بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام، قال: إنّ أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن عليّ عليه السلام، فلم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الاستئذان وهبطوا وقد قُتل الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شعَث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له منصور.

وزاد في «الكامل»: فلا يأتيه أحد إلاّ استقبلوه، ولا يمرض أحد إلاّ عادوه، ولا يموت أحد إلاّ شهدوه، ولا يموت إلاّ صلّوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته، فكلّ هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عجّل الله تعالى فرجه.

وروى الشيخ في «الأمالي»، والصدوق في «العلل» بأسانيد معتبرة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام - واللفظ للصدوق - قال الثمالي: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله، ألستم كلّكم قائمين بالحقّ؟

قال: بلى.

قلت: فلِمَ سمّي القائم قائماً؟

قال: لمّا قُتل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت الملائكة إلى الله عز وجل بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، تغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك.

فأوحى الله عز وجل إليهم قرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثمّ كشف الله عز وجل عن الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال الله عز وجل لذلك القائم: انتقم منهم.

وروى ابن قولويه في «الكامل» عن هشام بن سعد، قال: أخبرني المشيخة أنّ الملك الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بقتل الحسين بن عليّ عليه السلام كان ملك البحار وذلك أنّ ملكاً من ملائكة الفردوس نزل على البحر ونشر أجنحته عليها، ثمّ صاح صيحة، وقال: يا أهل البحار، البسوا أثواب الحزن، فإنّ فرخ الرسول صلى الله عليه وآله مذبوح، ثمّ حمل من تربته في أجنحته إلى السماوات، فلم يبق ملك فيها إلاّ شمّها وصار عنده لها أثر، ولعن قتلته وأشياعهم وأتباعهم.

وروى البرقي في محاسنه بإسناد معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام، فقال: وكّل الله بالحسين بن عليّ عليه السلام سبعين ألف ملك يصلّون عليه كل يوم، شعّثاً غبراً منذ يوم قتل إلى ما شاء الله، يعني بذلك قيام القائم «عج».

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن الثمالي عن أبي عبد الله رحمه الله، قال: إنّ الله عز وجل وكّل بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، وإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف وصعد أربعة آلاف ملك، فلم يزل يبكونه حتّى يطلع الفجر.

وروى ثقة الإسلام في «الكافي»، وابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن حريز، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما أقلّ بقاءكم أهل البيت، وأقرب آجالكم بعضها من بعض، مع حاجة هذا الخلق إليكم؟

فقال: إنّ لكلّ واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها أمر به عرف أن أجله قد حضر، وأتاه النبيّ صلى الله عليه وآله ينعي إليه نفسه وأخبره بما له عند الله، وأنّ الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطيها وفسّر له ما يأتي وما يبقى، وبقي منها أشياء لم تنقض فخرج إلى القتال، فكان من تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته، فاذن لهم، فمكثت تستعد للقتال، وتأهبت لذلك حتى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدّته وقُتل عليه السلام، فقالت الملائكة: يا ربّ، أذنت لنا في الانحدار، وأذنت لنا في نصرته، فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم: أن ألزموا قبّته حتّى ترونه وقد خرج، فانصروه وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وأنكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة تقرّباً وجزعاً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج يكونون أنصاره.

وفي «الكامل» بإسناد معتبر عن صفوان الجمّال عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكّة، فقلت: يا ابن رسول الله، ما لي أراك كئيباً حزيناً منكسراً.

فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسائلتي.

فقلت: وما الذي تسمع؟

قال: ابتهال الملائكة إلى الله عز وجل على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليه السلام، ونوح الجنّ وبكاء الملائكة الذين حوله وشدّة جزعهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم؟.

وبإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: إذا زرتم أبا عبد الله عليه السلام فألزموا الصمت إلاّ من خير، وأنّ ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحائر فتصافحهم فلا يجيبونهم من شدّة البكاء فينتظرونهم حتّى تزول الشمس وحتّى ينوّر الفجر، ثمّ يكلّمونهم

ويسألونهم عن أشياء، فأمّا بين هذين الوقتين فإنّهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء، ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم، فإنّهم شغلهم بكم إذا نطقتم.

قلت: جعلت فداك، وما الذي يسألونهم عنه، وأيّهم يسأل صاحبه، الحفظة أم أهل الحائر؟

قال: أهل الحائر يسألون الحفظة، لأنّ أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون والحفظة تنزل وتصعد.

قلت: فما ترى يسألونهم عنه؟

قال: إنّهم يمرّون إذا عرجوا، بإسماعيل صاحب الهواء، فربّما وافقوا النبيّ ﷺ عنده وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والأئمّة من مضى منهم فيسألونهم عن أشياء وعمّن حضر منكم الحائر، ويقولون: بشّروهم بدعائكم، فتقول الحفظة: كيف نبشّرهم وهم لا يسمعون كلامنا؟ فيقولون لهم: باركوا عليهم وادعوا لهم عنّا، فهي البشارة منّا، وإذا انصرفوا فحفوهم بأجنحتكم حتّى يحسّوا مكانكم، وأنّا نستودعهم الذي لا تضيع ودائعه، ولو يعلمون ما في زيارته من الخير ويعلم ذلك النّاس لاقتتلوا على زيارته بالسيوف، ولباعوا أموالهم في إتيانه، وأنّ فاطمة عليها السلام إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي وألف صدّيق وألف شهيد ومن الكروبيّين ألف ألف يسعدونها على البكاء، وأنّها لتشهق شهقة فلا يبقى في السماوات ملك إلاّ بكي رحمة لصوتها، وما تسكن حتّى يأتيها النبيّ ﷺ فيقول: يا بنيّة، قد أبكيت أهل السماوات وشغلتيهم عن التقديس والتسبيح، فكفّي حتّى يقدّسوا، فإنّ بالغ أمره، وأنّها لتنظر إلى من حضر منكم فتسأل الله لهم من كلّ خير، فلا تزهدوا في إتيانه، فإنّ الخير في إتيانه أكثر من أن يحصى.

وعن إسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي كنت بالحيرة ليلة عرفة، وكنت أصلّي وثَمَّ نحو من خمسين ألفاً من النّاس، جميلة وجوههم، طيّبة أرواحهم وأقبلوا يصلّون بالليل أجمع، فلمّا طلع الفجر سجدت ثمّ رفعت رأسي فلم أرَ منهم أحداً، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: إنّه مرّ بالحسين بن عليّ خمسون ألف ملك وهو يُقتل، فعرجوا إلى السماء فأوحى الله إليهم: مررتم بابن حبيبي وهو يُقتل فلم تنصروه! فاهبطوا إلى الأرض فاسكنوا عند قبره شعثاً غبّراً إلى أن تقوم الساعة.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن «أمالي المفيد»، والنيشابوري: أنّ ذرّة النائحة رأت فاطمة عليها السلام فيما يرى النائم أنّها وقفت على قبر الحسين عليه السلام تبكي وأمرتها أن تنشد:

أيُّها العينان فيضا ... واستهلاّ لا تغيضا
وابكيا بالطفّ ميتاً ... تُرك الصدرُ رضيضا
لم أمرّضه قتيلاً ... لا ولا كان مريضا

وروى ثقة الإسلام في «الكافي» بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام في حديث قال فيه: إنّ الحسين عليه السلام لمّا قتل، عجّت السماوات والأرض ومن عليهما والملائكة، فقالوا: يا ربّنا ائذن لنا في هلاك الخلق حتّى نجذهم[1] من جديد الأرض[2] فيما استحلّوا حرمتك، وقتلوا صفوتك.

فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي، اسكنوا، ثمّ كشف حجاباً من الحجب فإذا خلفه محمّد صلى الله عليه وآله وأثنى عشر وصيّاً له عليهم السلام، ثمّ أخذ بيد فلان القائم من بينهم، فقال: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي، بهذا انتصر لهذا، قالها ثلاثاً.

وروى الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي والصدوق في «أماليهم» مسنداً عن الصادق عليه السلام، قال: أصبحت يوماً أمّ سلمة «رضي الله عنها» تبكي، فقيل لها: ممّا بكاؤك؟

فقالت: لقد قُتل ابني الحسين عليه السلام الليلة؛ وذلك أنّي ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مضى إلاّ الليلة فرأيته شاحباً كئيباً، فقالت: قلت: ما لي أراك يا رسول الله شاحباً كئيباً؟

قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه.

وروى الشيخ في «الأمالي» بإسناده عن ابن عبّاس، قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله، فخرجت يتوجّه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها، الرجال والنساء.

فلمّا انتهينا، إليها قلت: يا أمّ المؤمنين، ما لك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني، وأقبلت على النسوة الهاشميّات وقالت: يا بنات عبد المطّلب، أسعدنني وابكين معي، فقد قُتل والله سيّدكنّ وسيّد شباب أهل الجنّة، قد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين عليه السلام.

فقلت: يا أمّ المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟

قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قُتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم.

قالت: فقمت حتّى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين عليه السلام التي أتى بها جبرئيل من كربلاء.

فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك، وأعطانيها النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: اجعلي هذه التربة في زجاجة أو في قارورة، ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين، فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

---

(١) نجذهم: نقطعهم.

(٢) جديد الأرض: وجه الأرض.

قال: فأخذت أمّ سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره وأنّه قُتل في ذلك اليوم.

قال عمرو بن ثابت: إنّي دخلت على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام منزله فسألته عن هذا الحديث، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عبّاس، فقال أبو جعفر عليه السلام: حدّثنيه عمر بن أبي سلمة عن أمّه أمّ سلمة.

وقال ابن عبّاس في رواية سعيد بن جبير عنه، قال: فلمّا كانت الليلة القابلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي أشعث أغبر، فذكرت له ذلك وسألته عن شأنه، فقال لي: ألم تعلم أنّي فرغت من دفن الحسين وأصحابه.

قال عمرو بن أبي المقدام: فحدّثني سدير عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ جبرئيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بالتربة التي يُقتل عليها الحسين عليه السلام - قال أبو جعفر عليه السلام: - فهي عندنا.

وروي عن عمّار أيضاً: إنّ ابن عبّاس رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه يوماً بنصف النهار، وهو أشعث أغبر في يده قارورة فيها دم، فقال: يا رسول الله، ما هذا الدم؟

قال: دم الحسين، لم أزل التقطه منذ اليوم، فأحصي ذلك اليوم فوجد أنّه عليه السلام قتل في ذلك اليوم.

وروى الشيخ المفيد في «الإرشاد» بإسناد معتبر عن أمّ سلمة «رضي الله عنها» أنّها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً، ثمّ جاءنا وهم أشعث أغبر ويده مضمومة.

فقلت له: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبرّاً؟

فقال: أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فها هو في يدي وبسطها إليّ - أفقال: - خذيه فاحتفظي به.

فأخذته فإذا هو شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت به، فلمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً نحو العراق، كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة وأشمّها وأنظر إليها، ثمّ أبكي لمصابه.

فلمّا كان اليوم العاشر من المحرّم، وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام، أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها، ثمّ عدت إليها آخر النهار فإذا هو دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن تسمع أعداؤهم بالمدينة فيتسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتّى جاء الناعي ينعاه، فحقّق ما رأيت.

وفي بعض كتب الأصحاب المعتبرة، قال: حكي عن رجل أسديّ، قال: كنت زرّاعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال العسكر - عسكر بني أميّة - فرأيت عجائب لا أقدر أن أحكي إلاّ بعضها.

منها أنّه إذا هبّت الريح تمرّ عليّ نفحات كنفحات المسك والعنبر، وإذا سكنت أرى نجوماً تنزل من السماء إلى الأرض، ويرقى من الأرض إلى السماء مثلها، وأنا منفرد مع عيالي ولا أرى أحداً أسأله عن ذلك، وعند غروب الشمس يقبل أسد من ناحية القبلة فأولّي عنه إلى منزلي، فإذا أصبح وطلعت الشمس وذهبت من منزلي أراه مستقبل القبلة ذاهباً.

فقلت في نفسي: إنّ هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبيد الله بن زياد فأمر بقتلهم وأرى منهم ما لم أره من سائر القتلى، فوالله هذه الليلة لا بدّ لي من المساهرة لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث أم لا؟

فلمّا صار قوت الغروب فإذا به أقبل، فحقّقته فإذا هو هائل المنظر، فارتعدت منه، وخطر ببالي إن كان مراده لحوم بني آدم فهو يقصدني، وأنا أحاكي نفسي بهذا فمثلته وهو يتخطّى القتلى حتّى وقف على جسد كأنّه الشمس إذا طلعت، فبرك عليه، فقلت: يأكل منه، وإذا به يمرّغ وجهه عليه وهو يهمهم ويدمدم.

فقلت: الله أكبر، ما هذه إلاّ أعجوبة، فجعلت أحرسه حتّى اعتكر الظلام وإذا بشموع معلّقة ملأت الأرض، وإذا ببكاء ونحيب ولطم مفجع، فقصدت تلك الأصوات فإذا هي تحت الأرض، ففهمت من ناع فيهم يقول: واحسيناه، وا إماماه، فاقشعرّ جلدي، فقربت من الباكي وأقسمت عليه بالله وبرسوله من يكون؟

فقال: إنّا نساء من الجنّ.

فقلت: وما شأنكنّ؟

فقلن: في كلّ يوم وليلة نوحنا على الحسين الذبيح العطشان.

فقلت: هذا الحسين الذي يجلس عنده الأسد؟

قلن: نعم، أتعرف هذا الأسد.

قلت: لا.

قلن: هذا أبوه عليّ بن أبي طالب، فرجعت ودموعي تجري على خدّي.

الفصل الثامن عشر

في بيان نوح الجنّ وبكائهم عليه عليه السلام

في بعض كتب المناقب المعتبرة بإسناده عن هند بنت الجون، قالت: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخيمة خالتها أمّ معبد ومعه أصحاب له، فكان من أمره في الشاة ما قد عرفه النّاس، فقال في الخيمة هو وأصحابه، حتّى أبرد، وكان يوم قائظ شديد حرّه.

فلمّا قام من رقدته دعا بماء فغسل يديه فأنقاهما، ثمّ مضمض فاه ومجّه على عوسجة كانت إلى جنب خيمة خالتها ثلاث مرّات، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه وذراعيه، ثمّ مسح برأسه ورجليه، وقال: لهذه العوسجة شأن.

ثمّ فعل من كان معه من أصحابه مثل ذلك، ثمّ قام فصلّى ركعتين، فعجبت وفتيات الحيّ من ذلك، وما كان عهدنا ولا رأينا مصلّياً قبله، فلمّا كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتّى صارت كأعظم دوحة عالية وأبهى، وخضد الله شوكها، وساخت عروقها، وكثرت أفنانها، واخضرّ ساقها وورقها، ثمّ أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر كأعظم ما يكون من الكمأة في لون الورس[1] المسحوق، ورائحة العنبر وطعم الشهد، والله ما أكل منها جائع إلاّ شبع، ولا ظمآن إلاّ روي، ولا سقيم إلاّ برئ، ولا ذو حاجة وفاقة إلاّ استغنى، ولا أكل من ورقها بعير ولا ناقة ولا شاة إلاّ سمنت ودرّ لبنها، ورأينا البركة والنماء في أموالنا منذ يوم نزل، وأخصبت بلادنا وأمرعت، فكنّا نسمّي تلك الشجرة المباركة، وكان ينتابنا من حولنا من أهل البوادي يستظلّون بها، ويتزوّدون من ورقها في الأسفار، ويحملون معهم في الأرض القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب، فلم تزل كذلك وعلى ذلك حتّى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمارها، واصفرّ ورقها، فأحزننا ذلك، وفرقنا له[2]، فما كان إلاّ قليلاً حتّى جاء نعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا هو قد قبض صلى الله عليه وآله وسلم ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر ثمراً دون ذلك في العظم والطعم والرائحة، فأقامت على ذلك ثلاثين سنة.

فلمّا كان ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد تشوّكت من أوّلها إلى آخرها، فذهبت نظارة عيدانها، وتساقط جميع ثمرها، فما كان إلاّ يسيراً حتّى وافى الناعي بقتل أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل ومَن

---

(١) الورس: صبغ للوجه لونه أحمر.
(٢) فرقنا: خفنا من الخوف.

حولنا نأخذ من ورقها، ونداوي مرضانا بها، ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك برهة طويلة.

ثمّ أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد أنبعثت عن ساقها دماً عبيطاً جارياً، وورقها ذابلاً تقطر دماً كماء اللحم، فقلنا: أن قد حدثت عظيمة، فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين نتوقّع الداهية.

فلمّا أظلم الليل علينا سمعنا بكاءً وعويلاً من تحتها، وجلبة شديدة، ورجّة، وسمعنا صوت باكية تقول:

أيا ابن النبيّ ويا بن الوصيّ ويا ... من بقيّة ساداتنا الأكرمينا

ثمّ كثرت الرنّات والأصوات، فلم نفهم كثيراً ممّا كانوا يقولون، فأتانا بعد ذلك قتل الحسين عليه السلام، ويبست الشجرة وجفّت، فكسرتها الريح والأمطار بعد ذلك، فذهبت واندرس أثرها.

قال عبد الله بن محمّد الأنصاري: فلقيت دعبل بن عليّ الخزاعي بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله فحدّثته بهذا الحديث، فلم ينكره، وقال: حدّثني به أبي عن جدّي، عن أمّه سعيدة بن مالك الخزاعيّة أنّها أدركت تلك الشجرة، فأكلت من ثمرها على عهد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنّها سمعت تلك الليلة نوح الجنّ، فحفظت من جنّية منهنّ هذه الأبيات:

يا بن الشهيد ويا شهيداً عمّه ... خير العمومة جعفر الطيّار
عجباً لمصقول أصابك حدّه ... في الوجه منك وقد علاك غبار

وقال الشيخ ابن نما في «مثير الأحزان»: «ناحت عليه عليه السلام الجنّ، وكان نفر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله منهم المسوّر بن مخزمة يستمعون النوح ويبكون.

وذكر صاحب «الذخيرة» عن عكرمة أنّه سمع ليلة قتله بالمدينة منادٍ، يسمعونه ولا يرون شخصه يقول:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل
كلّ أهل السماء تبكي عليه ... من نبيّ وملاك وقبيل
قد لُعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل

وروى ابن قولويه في «الكامل» عن عبد الله بن حسّان الكناني، قال: بكت الجنّ على الحسين بن عليّ عليه السلام فقالت:

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي أهل بيتي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرّجوا بدم

وروى بإسناد معتبر عن معمّر بن خلاّد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: بينا

الحسين عليه السلام يسير في جوف الليل وهو متوجّه إلى العراق، وإذا رجل يرتجز ويقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجر ... وشمّري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر ... حتّى تحلّي بكريم القدر
بماجدِ الجدّ رحيب الصدر ... أبانه الله لخير أمر
ثمّة أبقاه بقاء الدهر

فقال الحسين بن عليّ عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فإن عشت لم أندم وإن متُّ لم أُلم ... كفى بك ذُلاً أن تعيش وترغما

وروى الصدوق في «الأمالي» بإسناد معتبر عن أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، قالت: ما سمعت الجنّ منذ قبض النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ الليلة، ولا أراني إلاّ وقد أصبت بابني الحسين، قالت: وجاءت الجنّيّة منهم تقول:

ألا يا عين فانهملي بجهد ... فمن يبكي على الشهداء بعدي
على رهطٍ تقودهم المنايا ... إلى متجبّر من نسل عبد

وروى الشيخ الطوسي«قدس سره» في «الأمالي» عن المحفوظ بن منذر، قال: حدّثني شيخ من بني تميم كان يسكن الرابية، قال: سمعت أبي يقول: ما شعرنا بقتل الحسين عليه السلام حتّى كان مساء ليلة عاشوراء، فإنّي لجالس بالرابية ومعي رجل من الحيّ، فسمعنا هاتفاً يقول:

والله ما جئتكم حتّى بصرت به ... بالطفّ منعفر الخدّين منحورا
وحوله فتية تدمى نحورهم ... مثل المصابيح يملون الدُّجى نورا
وقد حثثت قلوصي كي أصادفهم ... من قبل ما أن يلاقوا الخرد الحورا
فعافني قدرٌ والله بالغه ... وكان أمر قضاه الله مقدورا
كان الحسين سراجاً يستضاء به ... الله يعلم إنّي لم أقل زورا
صلّى الإله على جسم تضمّنه ... قبر الحسين حليف الخير مقبورا
مجاوراً لرسول الله في غرف ... وللوصيّ وللطيّار مسرورا

فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟

فقال: أنا وإلي من جنّ نصيبين، أردنا مؤازرة الحسين عليه السلام ومواساته بأنفسنا، فانصرفنا من الحجّ فأصبناه قتيلاً.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن الميثمي، قال: خمسة من أهل الكوفة

أرادوا نصر الحسين بن عليّ عليه السلام فعرّسوا بقرية يقال لها شاهي؛ إذ أقبل عليهم رجلان: شيخ وشابّ، فسلّما عليهم، قال: فقال الشيخ: أنا رجل من الجنّ، وهذا ابن أخي، أردنا نصر هذا الرجل المظلوم.

قال: فقال لهم الشيخ الجنّي: قد رأيت رأياً؟

قال: فقال الفتية الإنسيّون: ما هذا الرأي الذي رأيت؟

قال: رأيت أن أطير فآتيكم بخبر القوم، فتذهبون على بصيرة.

فقالوا له: نِعم ما رأيت، قال: فغاب يومه وليلته، فلمّا كان من الغد إذا هم بصوت يسمعونه ولا يرون الشخص وهو يقول:

والله ما جئتكم حتّى بصرت به

إلى آخر ما مرّ من الأبيات سوى بيتين مصدّرين بقوله: فعافني، وبقوله: صلّى، فأجابه الفتية من الإنسيّين:

أذهب فلا زال قبر أنت ساكنه ... إلى القيامة يسقى الغيث ممطورا
وقد سلكت سبيلاً كنت سالكه ... وقد شربت بكأس كان مغرورا
وفتية فرّغوا لله أنفسهم ... وفارقوا المال والأحباب والدورا

وعن أبي زياد القندي، قال: كان الجصّاصون يسمعون نوح الجنّ حين قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام في السحر بالجبّانة، وهم يقولون:

مسح الرسول جبينه ... فله بريق بالخدود
أبواه من عليا قريش ... جدّه خير الجدود

الفصل التاسع عشر

في بيان العلّة التي من أجلها أخّر الله العذاب عن قتلته، والعلّة التي من أجلها يقتل القائم أولاد قتلته، وأنّ الله ينتقم له في زمن القائم عليه السلام

روى الصدوق في «العلل» و«العيون» بإسناد معتبر عن الهرويّ، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟

فقال عليه السلام: هو كذلك، فقلت: قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ما معناه؟

قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب، لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج، لرضاهم بفعل آبائهم، قال: قلت له: بأيّ شيء يبدأ القائم منكم إذا قام؟ قال: يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم لأنّهم سرّاق بيت الله عز وجل.

وفي «تفسير الإمام العسكري عليه السلام» عن آبائه عليهم السلام: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يذكر حال من مسخهم الله قردة من بني إسرائيل ويحكي قصّتهم، فلمّا بلغ آخرها قال: إنّ الله تعالى مسخ أولئك القوم لاصطياد السمك، فكيف ترى عذاب الله يكون حال من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهتك حريمه! إنّ الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا، فإنّ المعدّ لهم في الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ.

فقيل له: يا ابن رسول الله، فإنّا قد سمعنا منك هذا الحديث، فقال لنا بعض النصّاب: فإن كان قتل الحسين عليه السلام باطلاً فهو أعظم من صيد السمك في السبت، فما كان يغضب على قاتليه كم غضب على صيّادي السمك؟

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: قل لهؤلاء النصّاب فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي من كفر بإغوائه فأهلك الله من شاء منهم كقوم نوح وفرعون، ولم يهلك إبليس وهو أوْلى بالهلاك، فما باله أهلك هؤلاء الذين قصروا عن إبليس «لعنه الله» في عمل الموبقات، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المخزيات؛ ألا كان ربّنا عز وجل حكيماً بتدبيره وحكمه في من أهلك، وفي من استبقى! فكذلك هؤلاء الصائدون في السبت، وهؤلاء القاتلون

للحسين عليه السلام يفعل في الفريقين ما يعلم أنّه أوْلى بالصواب والحكمة، لا يسئل عمّا يفعل وعباده يسئلون.

وقال الباقر عليه السلام: لمّا حدّث عليّ بن الحسين عليه السلام بهذا الحديث قال له بعض من في مجلسه: يا ابن رسول الله، كيف يعاتب الله ويوبّخ هؤلاء الأخلاف على قبائح أتى بها أسلافهم وهو يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]؟

فقال زين العابدين عليه السلام: إنّ القرآن نزل بلغة العرب، فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، يقول الرجل لتميمي قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه: أغرتم على بلد كذا، ويقول العربي أيضاً: نحن فعلنا ببني فلان، ونحن سبينا آل فلان، ونحن خربنا بلد كذا لا يريد أنّهم باشروا ذلك، ولكن يريد هؤلاء بالعذل، وأولئك بالافتخار أنّ قومهم فعلوا كذا، وقول الله عز وجل في هذه الآية إنّما هو توبيخ لأسلافهم، وتوبيخ العذل على هؤلاء الموجودين؛ لأنّ ذلك هو اللغة التي نزل بها القرآن؛ ولأنّ هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم، مصوّبون ذلك لهم، فجاز أن يقال لهم: أنتم فعلتم إذ رضيتم قبيح فعلهم.

وروى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبر عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: تلا هذه الآية ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

قال عليه السلام: الحسين بن عليّ عليه السلام منهم، ولم ينصر بعد - ثمّ قال: - والله لقد قتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يطلب بدمه بعد.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» عن ابن عبّاس، قال: أوحى الله تعالى إلى محمّد صلى الله عليه وآله: أنّي قتلت بيحيى بن زكريّا سبعين ألفاً، وأقتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وعن الصادق عليه السلام، قال: قتل بالحسين مائة ألف وما طلب بثأره.

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل عنه إلاّ وذكر يحيى بن زكريّا، وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى أهديَ إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل.

وفي حديث مقاتل عن زين العابدين عليه السلام: إنّ امرأة ملك بني إسرائيل كبرت وأرادت أن تزوّج بنتها منها للملك، فاستشار الملك يحيى بن زكريّا، فنهاه عن ذلك، فعرفت المرأة ذلك وزيّنت بنتها وبعثتها إلى الملك، فذهبت ولعبت بين يديه، فقال لها الملك: ما حاجتك؟ قالت: رأس يحيى بن زكريّا.

فقال الملك: يا بنيّة، حاجة غير هذا؟ قالت: ما أريد غيره.

وكان الملك فيهم إذا كذب عزل عن ملكه، فخيّر بين ملكه وبين قتل يحيى عليه السلام فقتله، ثمّ بعث برأسه إليها في طشت من ذهب، فأمرت الأرض فأخذتها وسلّط الله عليهم «بَخت نُصّر»، فجعل يرمي عليهم بالمجانيق ولا تعمل شيئاً، فخرجت إليه عجوز من المدينة فقالت: أيّها الملك، إنّ هذه مدينة الأنبياء لا تنفتح إلاّ بما أدلّك عليه.

قال: لك ما سألت.

قالت: ارمها بالخبث والعذرة، ففعل فتقطّعت، فدخلها.

فقال: علَيَّ بالعجوز، فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: في المدينة دم يغلي، فاقتل عليه حتّى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً حتّى سكن.

يا ولدي يا عليّ، والله لا يسكن دمي حتّى يبعث الله المهدي عجّل الله تعالى فرجه؛ فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً.

الفصل العشرون

في بيان ما عجّل الله به قتلة الحسين عليه السلام من العذاب في الدنيا، وما ظهر من إعجازه واستجابة دعائه في ذلك عند الحرب وبعده

روى ابن شهرآشوب في «المناقب»: «إنّ الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: **إنّ ممّا يقرّ لعيني أنّك لا تأكل من برّ العراق بعدي إلاّ قليلاً**.

فقال اللعين مستهزئاً: يا أبا عبد الله، في الشعير خلف، فكان كما قال عليه السلام لم يصل إلى الريّ، وقتله المختار».

«وعن رجل شهد قتل الحسين عليه السلام كان يحمل ورساً، فصار ورسه دماً، ورأيت النجم كأنّ فيه النيران يوم قُتل الحسين عليه السلام، يعني بالنجم: النبات».

وفي رواية أخرى: «انتهب النّاس ورساً من عسكر الحسين عليه السلام، فما استعملته امرأة إلاّ برصت».

وفي رواية أخرى: «إنّ رجلاً نظر إلى الحسين عليه السلام وقد أهوى إلى فيه بماء وهو يشرب، فرماه بسهم، فقال الحسين عليه السلام: **لا أرواك الله في دنياك ولا آخرتك، فعطش الرجل حتّى ألقى نفسه في الفرات وشرب حتّى مات**».

وروى أيضاً عن أبي القاسم الواعظ: «إنّه نادى رجل: يا حسين، إنّك لن تذوق الماء من الفرات قطرة حتّى تموت أو تنزل على حكم الأمير.

فقال الحسين عليه السلام: اللّهمّ اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً، فغلب على العطش، فكان يعبّ المياه ويقول: وأعطشاه، حتّى تقطّع».

وفي «تاريخ الطبري»: «إنّه كان هذا المنادي عبد الله بن الحصين الأزديّ، برواية حميد بن مسلم، وفي رواية: كان رجل من دارم، وفي رواية: أنّه لمّا رماه الدارميّ بسهم فأصاب حنكه، جعل يتلقّى الدم، ثمّ يقول هكذا إلى السماء، فكان هذا الدارميّ يصيح من الحرّ في بطنه والبرد في ظهره بين يديه المراوح والثلج، وخلفه الكانون والنّار، وهو يقول: اسقوني، فيشرب العسّ، ثمّ يقول: اسقوني أهلكني العطش، قال: فانقد بطنه».

وروى الشيخ في «الأمالي»، والصدوق في «عقاب الأعمال» بأسانيد عديدة عن يعقوب بن سليمان، قال: «لمّا رجعنا أيّام الحجّاج، خرج نفر منّا من الكوفة مستترين، وخرجت معهم، فصرنا إلى كربلاء وليس بها موضع نسكنه، فتبيّنّا كوخاً على شاطئ الفرات، وقلنا: نأوي إليه.

فبينا نحن فيه إذ جاءنا رجل غريب فقال: أصير معكم في هذا الكوخ الليلة، فإنّي عابر سبيل، فأجبناه، وقلنا: غريب منقطع به، فلمّا غربت الشمس وأظلم الليل أشعلنا، وكنّا نشعل بالنفط، ثمّ جلسنا نتذاكر أمر الحسين عليه السلام ومصيبته وقتله ومن تولاّه، فقلنا: ما بقي أحد من قتلة الحسين عليه السلام إلاّ رماه الله ببليّة في بدنه.

فقال ذلك الرجل: فأنا كنت فيمن قتله، والله ما أصابني سوء، وإنّكم يا قوم تكذبون، فأمسكنا عنه وقلّ ضوء النفط، فقام ذلك الرجل ليصلح الفتيلة بإصبعه، فأخذت النّار كفّه».

وفي رواية الصدوق: «بإصبعه فنفخها، فأخذت بلحيته، فخرج يبادر إلى الماء حتّى ألقى نفسه في الفرات يتغوّث به، فوالله لقد رأيناه يُدخل رأسه في الماء والنّار على وجه الماء، فإذا أخرج رأسه سرت النّار إليه، فيغوّصه إلى الماء ثمّ يخرجه فتعود إليه، فلم يزل ذلك دأبه حتّى مات «لعنه الله»».

وفي «ثواب الأعمال» بإسناد معتبر عن القاسم بن الأصبغ، قال: «قدم علينا رجل من بني دارم ممّن شهد قتل الحسين عليه السلام مسودّ الوجه، وكان رجلاً جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك لتغيّر لونك؟

فقال: قتلت رجلاً من أصحاب الحسين عليه السلام أبيض، بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه.

فقال القاسم: لقد رأيته على فرس له مرحاً وقد علّق الرأس بلبانها، وهو يصيب ركبتها، قال: فقلت لأبي: لو أنّه رفع الرأس قليلاً، أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها. فقال لي: يا بنيّ، ما يصنع به أشدّ، لقد حدّثني فقال: ما نمت ليلة منذ قتلته، إلاّ أتاني آتٍ في منامي حتّى يأخذ بتلبيبي فيقودني فيقول: انطلق، فينطلق بي إلى جهنّم، فيقذف بي فيها حتّى أصبح.

قال: فسمعت بذلك جارة له، فقالت: ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه.

قال: فقمت في شباب من الحيّ فأتينا امرأته فسألناها، فقالت: قد أبدى على نفسه، قد صدقتم.

وعن عمّار بن عمير التميمي، قال: لمّا جيء برأس عبيد الله بن زياد «لعنه الله» ورؤوس أصحابه عليهم غضب الله، قال: انتهيت إليهم والنّاس يقولون: قد جاءت، فجاءت حيّة تتخلّل الرؤوس حتّى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد «لعنه الله»، ثمّ خرجت فدخلت في منخره الآخر

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» وغيره عن الكتب المعتبرة: إنّ يدي أبجر بن كعب كانتا في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيبسان كأنّهما عودان.

وفي رواية أخرى: كانت يداه تقطران في الشتاء دماً، وكان هذا الملعون سلب الحسين عليه السلام.

ويروى: أنّه أخذ عمامته جابر بن يزيد الأزدي وتعمّم بها، فصار في الحال معتوهاً، وأخذ ثوبه جعدة بن حوية الحضرمي ولبسه فتغيّر وجهه وحصّ[1] شعره، وبرص بدنه، وأخذ سراويله الفوقاني بحير بن عمرو الجرمي وتسرول به، فصار مقعداً.

وعن ابن الحاشر، قال: كان عندنا رجل خرج على الحسين عليه السلام، ثمّ جاء بجمل وزعفران، فكلّما دقّ الزعفران صار ناراً، فلطخت امرأته على يديها فصارت برصاء، قال: ونحر البعير، فكلّما جرّوا السكّين صار مكانها ناراً، قال: فقطّعوه، فخرج منه النّار، قال: فطبخوه فصارت القدر ناراً، وفي رواية: لمّا طبخوها صارت مثل العلقم.

وعن خالد، قال: كنت عند أبي رجاء العطاردي، فقال: لا تذكروا أهل البيت إلاّ بخير، فدخل عليه رجل من حاضري كربلاء، وكان يسبّ الحسين، فأهوى الله عليه نجمين فعميت عيناه.

وروى السيّد ابن طاووس في كتاب «اللهوف»، وابن شهرآشوب وغيرهما عن عبد الله بن رياح القاضي، قال: لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام، فسئل عن بصره، فقال: قد كنت شهدت قتله، وكنت عاشر عشرة، غير أنّي لم أطعن برمح، ولم أضرب بسيف، ولم أرم بسهم.

فلمّا قُتل رجعت إلى منزلي وصلّيت العشاء الآخرة، ونمت، فأتاني آتٍ في منامي فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقلت: ما لي وله، فأخذ بتلبيبي وجرّني إليه، فإذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جالس في صحراء، حاسر عن ذراعيه، آخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي التسعة، فكلّما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً، فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يردّ عليَّ، ومكث طويلاً ثمّ رفع رأسه، وقال: يا عدوّ الله! انتهكت حرمتي، وقتلت عترتي، ولم ترع حقّي، وفعلت وفعلت.

فقلت: يا رسول الله، ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم.

فقال: صدقت، ولكنّك كثّرت السواد، أدن منّي، فدنوت منه، فإذا طشت مملوٌّ دماً، فقال لي: هذا دم ولدي الحسين فكحّلني من ذلك الدم، فانتبهت حتّى الساعة لا أبصر شيئاً.

---

(١) حص: قل.

وفي بعض كتب المناقب المعتبرة عن حاجب عبيد الله بن زياد «لعنه الله»، قال: دخلت خلف عبيد الله بن زياد فاضطرم في وجهه نار، فقال: هكذا بكمّه على وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم، فأمرني أن أكتم ذلك.

وفي بعض كنت الأصحاب، عن كعب الأحبار: إنّه أسلم في أيّام خلافة عمر بن الخطّاب وجعل يسألونه عن الملاحم التي تظهر في آخر الزمان، فصار كعب يخبرهم بأنواع الأخبار والملاحم والفتن التي تظهر في العالم.

ثمّ قال: وأعظمها فتنة، وأشدّها مصيبة لا تنسى إلى أبد الآبدين، مصيبة الحسين، وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد، حيث قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الرُّوم: ٤١]، وإنّما فتح الفساد بقتل هابيل بن آدم، وختم بقتل الحسين عليه السلام، أولا تعلمون أنّه يفتح يوم قتله أبواب السماوات، ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً، فإذا رأيتم الحمرة في السماء قد ارتفعت، فاعلموا أنّ السماء يبكي حسيناً.

فقيل: يا كعب، لِمَ تفعل السماء كذلك، ولا تبكي دماً لقتل الأنبياء ممّن كان أفضل من الحسين عليه السلام.

فقال: ويحكم! إنّ قتل الحسين عليه السلام أمر عظيم، وأنّه ابن سيّد المرسلين، وأنّه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصيّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مزاج مائه وبضعة من لحمه، يذبح بعرصة كربلاء، فوالذي نفس كعب بيده لتبكينّه زمرة من الملائكة في السماوات السبع، لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدهر، وأنّ البقعة التي يدفن فيها، خير البقاع، وما من نبيّ إلاّ ويأتي إليها ويزورها ويبكي على مصابه، ولكربلاء في كلّ يوم زيارة من الملائكة والجنّ والإنس، فإذا كانت ليلة الجمعة ينزل إليها تسعون ألف ملك يبكون على الحسين عليه السلام، ويذكرون فضله، وأنّه يسمّى في السماء حسيناً المذبوح، وفي الأرض أبا عبد الله المقتول، وفي البحار: الفرخ الأزهر المظلوم، وأنّه يوم قتله تنكسف الشمس بالنهار، ومن الليل ينخسف القمر، وتدوم الظلمة على النّاس ثلاثة أيّام، وتمطر السماء دماً، وتدكدك الجبال، وتغطمط البحار، ولولا بقيّة من ذرّيّته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه ويأخذون بثاره، لصبّ الله عليهم ناراً من السماء أحرقت الأرض ومن عليها.

ثمّ قال كعب: يا قوم، كأنّكم تعجبون بما أحدّثكم فيه من أمر الحسين عليه السلام، وأنّ الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أوّل الدهر إلى آخره إلاّ وقد فسّره لموسى عليه السلام، وما من نسمة خلقت إلاّ وقد فسّره لموسى، وما من نسمة خلقت إلاّ وقد رفعت إلى آدم عليه السلام في عالم الذرّ، ولقد عرضت عليه هذه الأمّة ونظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا الدنيّة، فقال آدم: يا ربّ، ما لهذه الأمّة الزكيّة وبلاء الدنيا وهم أفضل الأمم؟

فقال له: يا آدم، إنّهم اختلفوا، فاختلفت قلوبهم، وسيظهرون الفساد في الأرض كفساد قابيل حين قتل هابيل، وأنّهم يقتلون فرخ حبيبي محمّد المصطفى، ثمّ مثّل لآدم مقتل الحسين عليه السلام ومصرعه، ووثوب أمّة جدّه عليه، فنظر إليهم فرآهم مسودّة وجوههم، فقال: يا ربّ، ابسط عليهم الانتقام كما قتلوا فرخ نبيّك الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

وروي في الكتاب المذكور عن سعيد بن المسيّب، قال: لمّا استشهد سيّدي ومولاي الحسين بن عليّ عليه السلام وحجّ النّاس من قابل دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فقلت له: يا مولاي، قد قرب الحجّ، فماذا تأمرني؟

فقال: امض على نيّتك، وحجّ، فحججت، فبينا أطوف بالكعبة وإذا برجل مقطوع اليدين، ووجهه كقطع الليل المظلم، وهو متعلّق بأستار الكعبة، وهو يقول: اللّهمّ ربّ هذا البيت الحرام، اغفر لي، وما أحسب أن تفعل، ولو تشفّع فيَّ سكّان سماواتك وأرضك وجميع ما خلقت لعظم جرمي.

قال سعيد بن المسيّب: فشغلت وشغل النّاس عن الطواف، حتّى حفّ به النّاس واجتمعنا عليه، فقلت: أيا ويلك! لو كنت إبليس ما كان ينبغي لك أن تيأس من رحمة الله، فمن أنت، وما ذنبك؟

فبكى، وقال: يا قوم، أنا أعرف بنفسي وذنبي، وما جنيت.

فقلت له: تذكره لنا؟ فقال: أنا كنت جمّالاً لأبي عبد الله الحسين عليه السلام لمّا خرج من المدينة إلى العراق، وكنت أراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي، فأرى تكّته تغشي الأبصار بحسن إشراقها، وقد كنت أتمنّاها تكون لي، إلى أن صرنا بكربلاء، وقتل الحسين عليه السلام وهي معه، فدفنت نفسي في مكان من الأرض، فلمّا جنّ الليل خرجت من مكاني، فرأيت من تلك المعركة نوراً لا ظلمة، ونهاراً لا ليلاً، والقتلى مطرّحين على وجه الأرض، فذكرت خبثي وشقائي في التكّة، فقلت: والله لأطلبن الحسين عليه السلام، وأرجو أن تكون التكّة في سراويله فآخذها، ولم أزل أنظر في وجوه القتلى حتّى أتيت إلى الحسين عليه السلام فوجدته مكبوباً على وجهه وهو جثّة بلا رأس، ونوره مشرق، مرمّل بدمائه، والرياح سافية عليه.

فقلت: هذا والله الحسين، فنظرت إلى سراويله كما كنت أراها، فدنوت منه وضربت بيدي إلى التكّة لآخذها، فإذا هو قد عقدها عقداً كثيرة، فلم أزل أحلّها حتّى حللت عقدة منها، فمدّ يده اليمنى وقبض على التكّة، فلم أقدر على أخذ يده عنها، ولا أصل إليها، فدعتني النفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاً أقطع به يديه، فوجدت قطعة سيف مطروحة، فأخذتها وانكببت على يده، ولم أزل أحرّها حتّى فصلتها عن زنده، ثمّ نحيّتها عن التكّة، ومددت يدي إلى التكّة

لأحلّها، فمدّ يده اليسرى، فقبض عليها فلم أقدر على أخذها، فأخذت قطعة السيف ولم أزل أحزّها حتّى فصلتها عن التكّة، ومددت يدي إلى التكّة لآخذها، فإذا الأرض ترجف، والسماء تهتزّ، وإذا بجلبة عظيمة وبكاء ونداء وقائل يقول: وا ابناه، وا مقتولاه، واذبيحاه، واحسيناه، واغريباه. يا بنيّ قتلوك وما عرفوك، ومن شرب الماء منعوك، فلمّا رأيت ذلك صعقت ورميت نفسي بين القتلى، وإذا بثلاث نفر وامرأة وحولهم خلائق وقوف، وقد امتلأت الأرض بصور النّاس وأجنحة الملائكة، وإذا بواحد منهم يقول: يا ابناه، يا حسين، فداك جدّك وأبوك وأمّك وأخوك.

وإذا بالحسين عليه السلام قد جلس ورأسه على بدنه، وهو يقول: لبيّك يا جدّاه، يا رسول الله، ويا أيتاه يا أمير المؤمنين، ويا أمّاه يا فاطمة الزهراء، ويا أخاه المقتول بالسمّ، عليكم منّي السلام.

ثمّ إنّه عليه السلام بكى وقال: يا جدّاه، ذبحوا والله أطفالنا، يا جدّاه، يعزّ والله عليك أن ترى حالنا، وما فعل الكفّار بنا، وإذا هم جلسوا يبكون حوله على ما أصابه، وفاطمة عليها السلام تقول: يا أبتاه، يا رسول الله، أما ترى ما فعلت أمّتك بولدي، أتأذن لي أن أخذ من دم شيبه وأخضّب به ناصيتي وألقى الله عز وجل وأنا مختضبة بدم ولدي الحسين عليه السلام؟

فقال لها: خذي ونأخذ يا فاطمة، فرأيتهم يأخذون من دم شيبته وتمسح به فاطمة عليها السلام ناصيتها، والنبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن عليهما السلام يمسحون به نحورهم وصدروهم وأيديهم إلى المرافق، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فديتك يا حسين، يعزّ والله عليَّ أن أراك مقطوع الرأس، مرمّل الجبينين، دامي النحر، مكبوباً على وجهك، قد كساك الذاري من الرمول وأنت طريح مقتول، يا بنيّ من قطع يدك اليمنى وثنّى باليسرى؟

فقال: يا جدّاه، كان معي جمّال من المدينة، وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء، فيتمنّي أن تكون تكّتي له، فما منعني أن أدفعها إليه إلاّ لعلمي أنّه صاحب هذا الفعل، فلمّا قُتلت خرج يطلبني بين القتلى، فوجدني جثّة بلا رأس، فتفقّد سراويلي، فرأى التكّة وقد كنت عقدتها عقد كثيرة، فضرب بيده إلى التكّة فحلّ عقدة منها، فمددت يدي اليمنى فقبضت على التكّة، فطلب في المعركة فوجد قطعة سيف مكسور فقطع به يميني، ثمّ حلّ عقدة أخرى، فقبضت على التكّة بيدي اليسرى كيلا يحلّها فتنكشف عورتي، فحزّ يدي اليسرى، فلمّا أراد حلّ التكّة حسّ بك فرمى نفسه بين القتلى.

فلمّا سمع النبيّ صلى الله عليه وآله كلام الحسين عليه السلام بكى بكاءً شديداً، وأتى إليَّ بين القتلى إلى أن وقف نحوي فقال: ما لي وما لك يا جمّال، تقطع يدين طالما قبّلهما جبرئيل وملائكة الله أجمعون، وتبارك بهما أهل السماوات والأرضين، أما كفاك ما صنع به الملاعين من الذلّ

والهوان، هتكوا نساءه من بعد الخدور، وانسدال الستور، سوّد الله وجهك يا جمّال في الدنيا والآخرة، وقطع الله يديك ورجليك، وجعلك في حزب من سفك دماءنا، وتجرّأ على الله.

فما استتمّ دعاءه صلى الله عليه وآله حتّى شلّت يداي، وحسست بوجهي كأنّه ألبس قطعاً من الليل مظلماً، وبقيت على هذه الحالة، فجئت إلى هذا البيت استشفع وأنا أعلم أنّه لا يغفر لي أبداً، فلم يبق في مكّة أحد إلاّ وسمع حديثه وتقرّب إلى الله تعالى بلعنه، وكلّ يقول: حسبك ما جنيت يالعين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وفي الكتاب المذكور أيضاً، قال: حكي عن رجل كوفيّ حدّاد، قال: لمّا خرج العسكر من الكوفة لحرب الحسين عليه السلام جمعت حديداً عندي، وأخذت آلتي وسرت معهم، فلمّا وصلوا وطنّبوا خيمهم، بنيت خيمة وصرت أعمل أوتاداً للخيم وسككاً ومرابط للخيل وأسنّة للرماح، وما اعوجّ من سنان أو خنجر أو سيف، كنت بكلّ ذلك بصيراً، فصار رزقي كثيراً، وشاع ذكري بينهم، حتّى أتى الحسين عليه السلام مع معسكره فارتحلنا إلى كربلاء، وخيّمنا على شاطئ العلقمي، وقام القتال فيما بينهم، وحموا الماء عليه، وقتلوه وأنصاره وبنيه، وكان مدّة إقامتنا وارتحالنا تسعة عشر يوماً، فرجعت غنيّاً إلى منزلي، والسبايا معنا، فعرضت على عبيد الله «لعنه الله» فأمرا أن يشهروهم إلى يزيد إلى الشام.

فلبثت في منزلي أيّاماً قلائل، وإذا أنا ذات ليلة راقد على فراشي فرأيت طيفاً كأنّ القيامة قامت والنّاس يموجون على الأرض كالجراد إذا فقدت دليلها، وكلّهم دالع لسانه على صدره من شدّة الظمأ، وأنا أعتقد بأنّ ما فيهم أعظم منّي عطشاً؛ لأنّه كَلّ سمعي وبصري من شدّته، هذا غير حرارة الشمس يغلي منها دماغي، والأرض تغلي كأنّها القير إذا اشتعل تحته نار، فخلت أنّ رجليّ قد تقلّعت قدماها، فوالله العظيم لو أنّي خيّرت بين عطشي وتقطيع لحمي حتّى يسيل دمي لأشربه لرأيت شربه خيراً من عطشي.

فبينا أنا في العذاب الأليم، والبلاء العميم، إذا أنا برجل قد عمّ الموقف نوره، وابتهج الكون بصدوره، راكب على فرس وهو ذو شيبة، قد حفّت به ألوف، من كلّ نبيّ ووصيّ وصدّيق وشهيد وصالح، فمرّ كأنّه ريح أو سريان فلك، فمرّت ساعة وإذا أنا بفارس على جواد أغرّ، له وجه كتمام القمر، تحت ركابه ألوف إن أمر ائتمروا، وإن زجر انزجروا، فاقشعرّت الأجسام من لفتاته، وارتعدت الفرائص من خطراته، فتأسّفت على الأوّل ما سألت عنه خيفة من هذا، وإذا به قد قام في ركابه وأشار إلى أصحابه وسمعت قوله: خذوه، وإذا أنا بأحدهم قاهر بعضدي كلبة حديدة خارجة من النّار، فمضى بي إليه، فخلت كتفي اليمنى قد انقلعت، فسألته الخفّة، فزادني ثقلاً، فقلت له: سألتك بمن أمّرك عليَّ من تكون؟ قال: ملك من ملائكة الجبّار.

قلت: ومَن هذا؟ قال: عليّ الكرّار.

قلت: والذي قبله؟ قال: محمّد المختار ﷺ.

قلت: والذين حوله؟ قال: النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون والمؤمنون.

قلت: أنا ما فعلت حتّى أمّرك عليَّ؟

قال: إليه يرجع الأمر، وحالك حال هؤلاء، فحقّقت النظر وإذا بعمر بن سعد أمير العسكر وقوم لم أعرفهم، وأرى بعنقه سلسلة من حديد والنّار خارجة من عينيه وأذنيه، فأيقنت بالهلاك، وباقي القوم منهم مغلّل، ومنهم مقيّد، ومنهم مقهور بعضده مثلي.

فبينا نحن نسير وإذا برسول الله ﷺ الذي وصفه الملك جالس على كرسيّ عالي يزهو أظنّه من اللؤلؤ، ورجلين ذوي شيبتين بهيّتين عن يمينه، فسألت الملك عنهما، فقال: نوح وإبراهيم، وإذا برسول الله ﷺ يقول: ما صنعت يا عليّ؟

قال: ما تركت أحداً من قاتلي الحسين عليه السلام إلاّ وأتيت به، فحمدت الله تعالى على أنّي لم أكن منهم، وردّ إليَّ عقلي، فإذا برسول الله ﷺ يقول: قدّموهم، فقدّموهم إليه، وجعل يسألهم ويبكي، ويبكي كلّ من في الموقف لبكائه؛ لأنّه يقول للرجل: ما صنعت بطفّ كربلاء بولدي الحسين؟

فيجيب: يا رسول الله، أنا حبست الماء عنه، وهذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا وطئت صدره بفرسي، ومنهم من يقول: أنا ضربت ولده العليل.

فصاح رسول الله ﷺ: وا ولداه، وا قلّة ناصراه، واحسيناه، وا عليّاه، هكذا جرى عليكم بعدي. يا أهل بيتي، انظر يا أبي آدم، انظر يا أخي نوح كيف خلّفوني في ذرّيّتي، فبكوا حتّى ارتجّ المحشر، فأمر بهم زبانية جهنّم يجروّنهم أوّلاً فأوّلاً إلى النّار، وإذا هم قد أتوا برجل فسأله فقال: ما صنعت شيئاً.

فقال: أما كنت نجّاراً؟

قال: صدقت يا سيّدي، لكن ما عملت شيئاً إلاّ عمود الخيمة لحصين بن نمير لأنّه انكسر من ريح عاصف فوصلته، فبكى، فقال: كثّرت السواد على ولدي، خذوه إلى النّار، وصاحوا: لا حكم إلاّ لله ولرسوله ولوصيّه.

قال الحدّاد: فأيقنت بالهلاك، فأمر بي، فقدّموني فاستخبرني فأخبرته فأمر بي إلى النّار، فما سحبوني إلاّ وانتبهت، وحكيت لكلّ من لقيته.

وقد يبس لسانه، ومات نصفه، وتبرّأ منه كلّ من يحبّه، ومات فقيراً لا رحمه الله تعالى.

الفصل الحادي والعشرون

في بيان بعض أحوال المختار، وما جرى على يديه وأيدي أوليائه من قتل قتلة الحسين عليه السلام

وروى الشيخ في «الأمالي» بإسناد معتبر عن المنهال بن عمرو، قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام عند منصرفي من مكّة، فقال لي: يا منهال، ما صنع حرملة بن كاهلة الأسدي؟

فقلت: تركته حيّاً بالكوفة.

قال: فرفع يديه جميعاً، ثمّ قال: اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النّار.

قال المنهال: فقدمت الكوفة، وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكان لي صديقاً، فكنت في منزلي أيّاماً حتّى انقطع النّاس عنّي، وركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لِمَ لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تهنّئنا بها، ولم تشركنا فيها؟

فأعلمته أنّي كنت بمكّة، وأنّي قد جئتك الآن، وسايرته ونحن نتحدّث حتّى أتى الكنّاس، فوقف كأنّه ينتظر شيئاً، وقد كان أخبر بمكان حرملة بن كاهلة، فوجّه في طلبه، فلم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدّون حتّى قالوا: أيّها الأمير، البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهلة، فما لبثنا أن جيء به.

فلمّا نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذي مكّنني منك، ثمّ قال: الجزّار، الجزّار، فأتي بجزّار، فقال له: اقطع يديه، فقطعتا، ثمّ قال له: اقطع رجليه، فقطعتا، ثمّ قال: النّار، فأتي بنار وقصب فألقي عليه، فاشتعل فيه النّار.

فقلت: سبحان الله!

فقال لي: يا منهال، إنّ التسبيح لحسن، ففيم سبّحت؟

فقلت: أيّها الأمير، دخلت في سفرتي هذه بعد منصرفي من مكّة على عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال لي: يا منهال، ما فعل ابن كاهلة الأسدي؟

فقلت: تركته حيّاً بالكوفة.

فرفع يديه جميعاً فقال: اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النّار.

فقال المختار: أسمعت عليّ بن الحسين يقول هذا؟

فقلت: والله! لقد سمعته يقول هذا.

قال: فنزل عن دابّته فصلّى ركعتين، فأطال السجود، ثمّ قام فركب وقد احترق حرملة، وركبت معه وسرنا، فحاذيت داري، فقلت: أيّها الأمير، إن رأيت أن تشرّفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي.

فقال: يا منهال، تعلمني أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام دعا بأربع دعوات فأجابه الله على يدي، ثمّ تأمرني أن آكل. هذا يوم صوم شكراً لله عز وجل على ما فعلته بتوفيقه.

وحرملة هذا اللعين هو الذي حمل رأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد، وقتل عبد الله الرضيع وغيره من الشهداء، وقيل: إنّه هو الذي حزّ رأس الحسين عليه السلام.

وروي أيضاً في «الأمالي» عن المدائني عن رجاله: إنّ المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه الله ظهر بالكوفة ليلة الأربعاء لأربع عشر ليلة بقيت من ربيع الأوّل سنة ستّة وستّين، فبايعه النّاس على كتاب الله وسنّة رسول الله، والطلب بدم الحسين بن عليّ عليه السلام ودماء أهل بيته، والدفع عن الضعفاء، فقال الشاعر في ذلك:

ولـمّـا دعـا الـمـخـتـار جـئـنـا لـنـصـره ... على الخيل تُردي من كميت وأشقرا

دعـا يـا لـثـارات الـحـسـيـن فـأقـبـلـت ... تـعـادي بـفـرسـان الـصـبـاح لـتـثـأرا

ونهض المختار إلى عبد الله بن مطيع، وكان على الكوفة من قِبل ابن الزبير، فأخرجه وأصحابه منها منهزمين، وأقام بالكوفة إلى المحرّم سنة سبع وستّين، ثمّ عمد على إنفاذ الجيوش إلى ابن زياد «لعنه الله»، وكان بأرض الجزيرة، فصيّر على شرطه أبا عبد الله الجدلي وأبا عمارة كيسان مولى عربيّة، وأمر إبراهيم بن الأشتر رحمه الله بالتأهّب للمسير إلى ابن زياد «لعنه الله»، وأمّره على الأجناد، فخرج يوم السبت لسبع خلون من المحرّم سنة سبع وستّين في ألفين من مذحج وأسد، وألفين من تميم وهمدان، وألف وخمسمائة من قبائل المدينة، وألف وخمسمائة من كندة وربيعة، وألفين من الحمراء.

وقال بعضهم: كان ابن الأشتر في أربعة آلاف من القبائل، وثمانية آلاف من الحمراء، وشيع المختار إبراهيم بن الأشتر رحمه الله ماشياً، فقال له إبراهيم: اركب رحمك الله، فقال: إنّي لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأحبّ أن تغبّر قدماي في نصر آل محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ ودّعه وانصرف، فسار أبن الأشتر حتّى أتى المدائن ثمّ سار يريد ابن زياد، فشخص المختار عن الكوفة لمّا أتاه أنّ ابن الأشتر قد ارتحل من المدائن، وأقبل حتّى نزل المدائن، فلمّا نزل ابن الأشتر نهر الخازر بالموصل أقبل ابن زياد في الجموع، فنزل على أربعة فراسخ من عسكر ابن

الأشتر، ثمّ التقوا، فحضّ ابن الأشتر أصحابه، وقال: يا أهل الحقّ، وأنصار الدين، هذا ابن زياد قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام وأهل بيته قد أتاكم الله به وبحزبه حزب الشيطان، فقاتلوه بنيّة وصبر، لعلّ الله يقتله بأيديكم ويشفي صدوركم، وتزاحفوا ونادي أهل العراق: يا لثارات الحسين، فجال أصحاب ابن الأشتر جولة، فناداهم: يا شرطة الله، الصبر الصبر، فتراجعوا.

فقال لهم عبيد الله بن بشّار بن أبي عقب الدئلي: حدّثني خليلي عليه السلام إنّا نلقى أهل الشام على نهر يقال له الخازر، فيكشفونا حتّى نقول: هي، ثمّ نكرّ عليهم، فنقتل أميرهم، فأبشروا واصبروا، فإنّكم لهم قاهرون، ثمّ حمل ابن الأشتر رحمه الله يميناً فخالط القلب، وكسرهم أهل العراق، فركبوهم يقتلونهم، فانجلت الغمّة وقد قُتل عبيد الله بن زياد وحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وابن حوشب وغالب الباهلي وعبد الله بن إياس السلمي وأبو الأشرس الذي كان على خراسان، وأعيان أصحابه لعنهم الله.

فقال ابن الأشتر لأصحابه: إنّي رأيت بعد ما انكشف النّاس طائفة منهم قد صبرت تقاتل، فأقدمت عليهم، وأقبل رجل آخر في كبكة كأنّه بغل أقمر يفري النّاس، لا يدنو منه أحد إلاّ صرعه، فدنا منّي فضربت يده، فأبنتها وسقط على شاطئ نهر، وقد قطعت يديه وابنت رجليه فقتلته، ووجدت منه ريح المسك وأظنّه ابن زياد «لعنه الله» فاطلبوه، فجاء رجل فنزع خفّيه وتأمّله، فإذا هو ابن زياد على ما وصف ابن الأشتر، فاحتزّ رأسه، واستوقدوا عامّة الليل بجسده، فنظر إليه مهران مولى زياد، وكان يحبّه حبّاً شديداً، فحلف أن لا يأكل شحماً أبداً، فأصبح النّاس فحووا ما في العسكر وهرب غلام لعبيد الله إلى الشام.

فقال له عبد الملك بن مروان: متى عهدك بابن زياد؟

فقال: جال النّاس، فتقدّم فقاتل، وقال: ائتني بجرّة فيها ماء، فأتيته، فاحتملها فشرب منها، وصبّ الماء بين درعه وجسده، وصبّ على ناصية فرسه فصهل، ثمّ اقتحمه، فهذا آخر عهدي به.

قال: وبعث ابن الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار وأعيان من كان معه، فقدم بالرؤوس والمختار يتغدّى، فألقيت بين يديه، فقال: الحمد لله ربّ العالمين، وضع رأس الحسين بن عليّ عليه السلام بين يدي ابن زياد «لعنه الله» وهو يتغدّى، وأوتيتُ برأس ابن زياد وأنا أتغدّى.

قال: وانسابت حيّة بيضاء تتخلّل الرؤوس حتّى دخلت في أنف ابن زياد وخرجت من أذنه، ودخلت في أذنه وخرجت من أنفه، فلمّا فرغ المختار من الغداء قام فوطئ وجه ابن زياد بنعله، ثمّ رمى بها إلى مولى له وقال: اغسلها، فإنّي وضعتها على وجه نجس كافر، وخرج المختار إلى الكوفة وبعث برأس ابن زياد ورأس حصين بن نمير ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع مع عبد

الرحمن بن أبي عمير الثقفي، وعبد الله بن شدّاد الجشمي والسائب بن مالك الأشعريّ إلى محمّد بن الحنفيّة بمكّة، وعليّ بن الحسين عليه السلام يومئذٍ بمكّة، وكتب إليه معهم:

أمّا بعد، فإنّي بعثت أنصارك وشيعتك إلى عدوّك يطلبون بدم أخيك المظلوم الشهيد، فخرجوا محتسبين محنقين آسفين، فلقوهم دون نصيبين، فقتلهم ربّ العباد، والحمد لله ربّ العالمين، الذي طلب لكم الثأر، وأدرك لكم رؤساء أعدائكم قتلهم في كلّ فجّ، وغرّقهم في كلّ بحر، فشفى بذلك صدور قوم مؤمنين، وأذهب غيظ قلوبهم، وقدموا بالكتاب والرؤوس عليه، فبعث برأس ابن زياد «لعنه الله» إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فأدخل عليه وهو يتغدّى.

فقال عليّ بن الحسين: أدخلت على ابن زياد «لعنه الله» وهو يتغدّى، ورأس أبي بين يديه، فقلت: اللّهمّ لا تمتني حتّى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدّى، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي، ثمّ أمر فرمي به، فحمل إلى ابن الزبير فوضعه ابن الزبير على قصبة، فحرّكتها الريح فسقط، فخرجت حيّة من تحت الستار، فأخذت بأنفه، فأعادوا القصبة، فحرّكتها الريح فسقط، فخرجت الحيّة من أنفه، فعل ذلك ثلاث مرّات. فأمر ابن الزبير فألقي في بعض شعاب مكّة.

قال: وكان المختار رحمه الله قد سئل في أمان عمر بن سعد بن أبي وقّاص، فآمنه على أن لا يخرج من الكوفة، فإن خرج منها فدمه هدر، قال: فأتى عمر بن سعد رجل فقال: إنّي سمعت المختار يحلف ليقتلنّ والله رجلاً، والله ما أحسبه غيرك، قال: فخرج عمر حتّى أتى الحمّام فقيل له: أترى هذا يخفى على المختار، فرجع ليلاً فدخل داره، فلمّا كان الغد غدوت، فدخلت على المختار وجاء الهيثم بن الأسود فقعد، فجاء حفص بن عمر بن سعد فقال للمختار: يقول لك أبو حفص: أبن لنا بالذي كان بيننا وبينك، قال: أجلس، فدعا المختار أبا عمرة، فجاء رجل قصير يتخشخش في الحديد فسارّه، ودعا برجلين فقال: أذهبا معه، فذهب، فوالله ما أحسبه بلغ دار عمر ين سعد حتّى جاء برأسه.

فقال المختار لحفص: أتعرف هذا؟ قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قال: يا أبا عمرة، ألحقه به، فقتله، فقال المختار: عمر بالحسين عليه السلام، وحفص بعليّ بن الحسين عليه السلام ولا سواء.

قال: واشتدّ أمر المختار بعد قتل ابن زياد، وأخاف الوجوه، وقال: لا يسوغ لي طعام ولا شراب حتّى أقتل قتلة الحسين بن عليّ وأهل بيته، وما من ديني أترك أحداً منهم حيّاً، وقال: أعلموني من شرك في دم الحسين عليه السلام وأهل بيته، فلم يكن يأتونه برجل فيقولون: إنّ هذا من قتلة الحسين عليه السلام أو ممّن أعان عليه، إلاّ قتله، وبلغه أنّ شمر بن ذي الجوشن أصاب من الحسين عليه السلام إبلاً فأخذها، فلمّا قدم الكوفة نحرها وقسّم لحومها.

فقال المختار: احصوا كلّ دار دخل فيها شيء من ذلك اللحم، فأحصوها، فأرسل إلى من كان أخذ منها شيئاً فقتلهم، وهدّم دوراً بالكوفة، وأتي المختار بعبد الله بن أسيد الجهني ومالك ابن الهيثم البدائي من كندة، وحمل بن مالك المحاربي، فقال: يا أعداء الله، أين الحسين بن عليّ؟ قالوا: أكرهنا على الخروج إليه، قال: أفلا مننتم عليه وسقيتموه من الماء؟ وقال للبدائي: أنت صاحب برنسه لعنك الله؟ قال: لا، قال: بلى، ثمّ قال: اقطعوا يديه ورجليه ودعوه يضطرب حتّى يموت، فقطعوه، وأمر بالآخرّين فضربت أعناقهما، وأتي بقرّاد بن مالك وعمرو بن خالد وعبد الرحمن البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني فقال لهم: يا قتلة الصالحين، ألا ترون الله بريئاً منكم، لقد جاءكم الورس بيوم نحس، فأخرجهم إلى السوق فقتلهم.

وبعث المختار معاذ بن هاني الكندي وأبا عمرة كيسان إلى دار خولي بن يزيد الأصبحي، وهو الذي حمل رأس الحسين عليه السلام إلى ابن زياد «لعنه الله»، فأتوا داره، فاستخفى في المخرج، فدخلوا عليه، فوجدوه قد ركّب على نفسه قوصرة[1]، فأخذوه وخرجوا يريدون المختار، فتلقّاهم في ركب، فردّوه إلى داره، وقتله عندها وأحرقه.

وطلب المختار شمر بن ذي الجوشن، فهرب إلى البادية، فسعي به إلى أبي عمرة، فخرج إليه مع نفر من أصحابه، فقاتلهم قتالاً شديداً، فأثخنته الجراحة، فأخذه أبو عمرة أسيراً وبعث به إلى المختار، فضرب عنقه، وأغلى له دهناً في قدر فقذفه فيها، فتفسخ، ووطئ مولى لآل حارثة بن مضرب وجهه ورأسه.

ولم يزل المختار يتتبّع قتلة الحسين عليه السلام وأهله حتّى قتل منهم خلقاً كثيراً، وهرب الباقون، فهدّم دورهم، وقتلت العبيد مواليهم الذين قاتلوا الحسين عليه السلام، وأتوا المختار فأعتقهم.

وروى الشيخ الفاضل جعفر بن محمّد بن نما في رسالته «شرح الثأر في أحوال المختار» وهي رسالة عجيبة قد تضمّنت أحوال المختار من ابتداء أمره إلى انتهائه عن الطبري في تاريخه: إنّ المختار تجرّد لقتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته، وقال: اطلبوهم، فإنّه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتّى أطهّر الأرض منهم.

قال موسى بن عامر: فأوّل من بدأ به الذين وطئوا الحسين عليه السلام بخيلهم، فأنامهم على ظهورهم وضرب سكك الحديد في أيديهم وأرجلهم، وأجرى الخيل عليهم حتّى قطّعتهم، وأحرقهم بالنّار.

---

(١) القوصرة: ما يحفظ فيه التمر.

ثمّ أخذ رجلين اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه في الجبّانة، فضرب أعناقهما، ثمّ أحرقهما بالنّار، ثمّ أحضر مالك بن بشير فقتله في السوق.

وبعث أبا عمرة فأحاط بدار خولي بن يزيد الأصبحي، وهو حامل رأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله، فخرجت امرأته إليهم، وهي النوار بنت مالك، وقيل: اسمها العيوق، وكانت محبّة لأهل البيت عليهم السلام، فقالت: لا أدري أين هو، وأشارت بيدها إلى بيت الخلاء، فوجدوه وعلى رأسه قوصرّة، فأخذوه وقتلوه، ثمّ أمر بحرقه.

وبعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل، وكان قد أخذ سلب العبّاس عليه السلام، ورماه بسهم، فأخذوه قبل وصوله إلى المختار ونصبوه هدفاً ورموه بالسهام.

وبعث إلى قاتل عليّ بن الحسين، وهو مرّة بن منقذ العبدي، وكان شيخاً، فأحاطوا بداره، وخرج وبيده الرمح وهو على فرس جواد، فطعن عبيد الله بن ناجية الشامي فصرعه، ولم تضرّه الطعنة، وضربه ابن كامل بالسيف فاتّقاها بيده اليسرى، فأسرع فيها السيف وتمطرت به الفرس، فأفلت ولحق بمصعب، وشلّت يده بعد ذلك، واحضر زيد بن رقّاد فرماه بالنبل والحجارة، وأحرقه.

وهرب سنان بن أنس إلى البصرة، فهدم داره، ثمّ خرج من البصرة نحو القادسيّة، وكان عليه عيون، فأخبروا المختار، فأخذه بين العذيب والقادسية، فقطع أنامله، ثمّ يديه ورجليه، وأغلى زيتاً في قدر ورماه فيها.

وهرب عبد الله بن عقبة الغنوي إلى الجزيرة، فهدم داره.

وانهزم عبد الله بن عروة الخثعمي إلى مصعب، فهدم داره.

وطلب عمرو بن صبيح، فأتوه وهو على سطحه بعدما هدأت العيون، وسيفه تحت رأسه، فأخذوه وسيفه، فقال: قبّحك الله من سيف ما أبعدك على قربك، فجيء به إلى المختار، فلمّا كان من الغداة طعنوه بالرماح حتّى مات.

وأنفذ إلى محمّد بن الأشعث بن قيس، وقد انهزم إلى قصر له في قرية إلى جنب القادسيّة، فأحاطوا بالقصر، وله بابان، فخرج وانهزم إلى مصعب، فهدم القصر وداره، وأخذ ما كان فيها، وأتوه ببجدل بن سليم الكلبي وعرّفوه أنّه أخذ خاتم الحسين عليه السلام وقطع إصبعه، فأمر بقطع يديه ورجليه، فلم يزل ينزف حتّى مات، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

وفي «تفسير الإمام العسكري عليه السلام»: قال أمير المؤمنين عليه السلام كما أنّ بعض بني إسرائيل أطاعوا فأكرموا، وبعضهم عصوا فعذّبوا، فكذلك تكونون أنتم.

فقالوا: فمن العصاة يا أمير المؤمنين؟

قال: الذين أمروا بتعظيمنا أهل البيت وتعظيم حقوقنا فخانوا ذلك، وجحدوا حقوقنا واستخفّوا بها، وقتلوا أولاد رسول الله الذين أمروا بإكرامهم ومحبّتهم.

قالوا: يا أمير المؤمنين، إنّ ذلك لكائن؟

قال: بل خبراً حقّاً، وأمراً كائناً، سيقتلون ولديّ هذين الحسن والحسين.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: وسيصيب الذين ظلموا رجزاً في الدنيا بسيوف بعض من يسلّطه الله تعالى للانتقام بما كانوا يفسقون، كما أصاب بني إسرائيل الرجس.

قيل: ومن هو؟ قال: غلام من ثقيف يقال له المختار بن أبي عبيدة.

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: فكان بعد قوله هذا بزمان.

وأنّ هذا الخبر اتّصل بالحجّاج بن يوسف من قول عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: أمّا رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال هذا، وأمّا عليّ بن أبي طالب فأنا أشكّ هل حكاه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا عليّ بن الحسين فصبيّ مغرور، يقول الأباطيل، ويغترّ بها متّبعوه، اطلبوا اطلبوا لي المختار، فطّلب، فأخذ.

فقال: قدّموه إلى النطع فاضربوا عنقه، فأتي بالنطع فبسط وأبرك عليه المختار، ثمّ جعل الغلمان يجيئون ويذهبون لا يأتون بالسيف.

فقال الحجّاج: ما لكم؟

قالوا: لسنا نجد مفتاح الخزانة وقد ضاع منّا، والسيف في الخزانة؟

فقال المختار: لن تقتلني ولن يكذب رسول الله، ولئن قتلتني ليحييني الله حتّى أقتل منكم ثلثمائة وثلاثة وثمانين ألفاً.

فقال الحجّاج لبعض حجّابه: أعط السيّاف سيفك ليقتله، فأخذ السيّاف سيفه، وجاء ليقتله به، والحجّاج يحثّه ويستعجله، فبينا هو في تدبيره إذ عثر والسيف بيده، فأصاب السيف بطنه فشقّه فمات، فجاء بسيّاف آخر وأعطاه السيف، فلمّا رفع يده ليضرب عنقه لدغته عقرب وسقط فمات، فنظروا فإذا العقرب، فقتلوه.

فقال المختار: يا حجّاج، إنّك لا تقدر على قتلي. ويحك يا حجّاج! أما تذكر ما قال نزار بن معدّ بن عدنان للشابور ذي الأكتاف حين كان يقتل العرب ويصطلمهم، فأمر نزار ولده فوضع في زبيل في طريقه، فلمّا رآه قال: من أنت؟

قال: أنا رجل من العرب أريد أن أسألك لِمَ تقتل هؤلاء العرب ولا ذنوب لهم إليك، وقد قتلت الذين كانوا مذنبين في عملك والمفسدين؟

قال: لأنّي وجدت في الكتب أنّه يخرج منهم رجل يقال له محمّد ﷺ يدّعي النبوّة، فيزيل دولة ملوك الأعاجم ويفنيها، فاقتلهم حتّى لا يكون منهم ذلك الرجل.

فقال نزار: لئن كان ما وجدته في كتب الكذّابين فما أولاك أن تقتل البراء غير المذنبين، وإن كان ذلك من قول الصادقين فإنّ الله سيحفظ ذلك الأصل الذي يخرج منه هذا الرجل، ولن تقدر على إبطاله، ويجري قضاؤه، وينفذ أمره، ولو لم يبق من جميع العرب إلاّ واحداً.

فقال شابور: صدقت، هذا نزار - يعنى بالفارسيّة مهزول - كفّوا عن العرب، فكفّوا عنهم. ولكن يا حجّاج، إنّ الله قد قضى أن أقتل منكم ثلثمائة ألف وثلاثة وثمانين ألف رجل، فإن شئت فتعاط قتلي، وإن شئت فلا تعاط، فإنّ الله إمّا أن يمنعك عنّي، وإمّا أن يحييني بعد قتلك، فإنّ قول الرسول ﷺ حقّ لا مرية فيه. فقال للسيّاف: اضرب عنقه.

فقال المختار: إنّ هذا لا يقدر على ذلك، وكنت أحبّ أن تكون أنت المتولّي لما تأمره، فكان يسلّط الله عليك أفعى كما سلّط على هذا الأوّل عقرباً، فلمّا همّ السيّاف أن يضرب عنقه، وإذا برجل من خواصّ عبد الملك بن مروان قد دخل فصاح بالسيّاف: كفّ عنه، ومعه كتاب من عبد الملك بن مروان، فإذا فيه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أمّا بعد يا حجّاج بن يوسف، فإنّه قد سقط إلينا طير عليه رقعة أنّك أخذت المختار بن أبي عبيدة تريد قتله، تزعم أنه حُكي عن رسول الله ﷺ فيه أنّه سيقتل من أنصار بني أميّة ثلثمائة وثلاثة وثمانين ألف رجل، فإذا أتاك كتابي هذا، فخلّ عنه ولا تعرض له إلاّ بسبيل خير، فإنّه زوج ظئر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقد كلّمني فيه الوليد، وأنّ الذي حكي إن كان باطلاً فلا معنى لقتل رجل مسلم بخبر باطل، وإن كان حقّاً فإنّك لا تقدر على تكذيب قول رسول الله ﷺ، فخلّى عنه الحجّاج.

فجعل المختار يقول: سأفعل كذا، وأخرج وقت كذا، وأقتل من النّاس كذا، وهؤلاء صاغرون، يعني بني أميّة، فبلغ ذلك الحجّاج فأخذ وأنزل وأمر بضرب العنق، فقال المختار: إنّك لا تقدر على ذلك، فلا تتعاط ردّاً على الله، وكان في ذلك إذ سقط عليه طائر آخر عليه كتاب من عبد الملك بن مروان:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا حجّاج! لا تتعرّض للمختار، فإنّه زوج مرضعة ابن الوليد، ولئن كان حقّاً فستمنع من قتله كما منع دانيال من قتل بخت نصّر الذي كان قضى الله أن يقتل بني إسرائيل، فتركه الحجّاج

وتوعّده إن كان عاد لمثل مقالته، فعاد لمثل مقالته، واتّصل بالحجّاج الخبر، فطلبه، فاختفى مدّة، ثمّ ظفر به، فلمّا همّ بضرب عنقه إذ قد ورد كتاب عليه من عبد الملك، فاحتبسه الحجّاج وكتب إلى عبد الملك: كيف تأخذ إليك عدوّاً مجاهراً يزعم أنّه يقتل من أنصار بني أميّة كذا وكذا ألفاً.

فبعث إليه: إنّك رجل جاهل، لئن كان الخبر فيه باطلاً فما أحقّنا برعاية حقّه لحقّ من خدمنا، وإن كان الخبر فهي حقّاً، فإنّه سنربّيه ليسلّط علينا كما ربّى فرعون موسى عليه السلام حتّى سلّط عليه، فبعث به الحجّاج، وكان من المختار ما كان، وقتل من قتل، وقال عليّ بن الحسين عليه السلام لأصحابه، وقد قالوا له: يا ابن رسول الله، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر من أمر المختار ولم يقل متى يكون قتله لمن بقتل؟

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: أولا أخبركم متى يكون؟ قالوا: بلى.

قال: يوم كذا إلى ثلاث سنين من قولي هذا، وسيأتي برأس عبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن في يوم كذا وكذا، وسنأكل وهما بين أيدينا ننظر إليهما.

قال: فلمّا كان اليوم الذي أخبرهم أنّه يكون فيه القتل من المختار لأصحاب بني أميّة كان عليّ بن الحسين عليه السلام مع أصحابه على مائدة! إذ قال لهم: معاشر إخواننا، طيّبوا أنفسكم، فإنّكم تأكلون وظلمة بني أميّة يُحصدون.

قالوا: أين؟

قال: في موضع كذا، يقتلهم المختار، وسيؤتى برأسين يوم كذا وكذا.

فلمّا كان ذلك اليوم أتي بالرأسين لمّا أراد أن يقعد للأكل، وقد فرغ من صلاته، فلمّا رآهما سجد وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أراني، فجعل ينظر إليهما، فلمّا كان في وقت الحلوى لم يأت بالحلوى لأنّهم قد كانوا اشتغلوا عن عمله بخبر الرأسين، فقال ندماؤه: ولِمَ يعمل اليوم الحلواء؟

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: لا نريد حلواء أحلى من نظرنا إلى هذين الرأسين.

وروى الشيخ الكشّي في رجاله بإسناد معتبر عن الأصبغ، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيّس يا كيّس.

وعن سدير، في الحسن عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا تسبّوا المختار، فإنّه قد قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوّج أراملنا، وقسّم فينا المال على العسرة.

وبإسناد معتبر عن عبد الله بن شريك، قال: «دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو

متّكئ قد أرسل إلى الحلاّق، فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة، فتناول يده ليقبّلها، فمنعه، ثمّ قال: من أنت؟

قال: أنا أبو محمّد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكان متباعداً من أبي جعفر عليه السلام، فمدّ يده إليه حتّى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده، ثمّ قال: أصلحك الله، إنّ النّاس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول قولك.

قال: وأي شيء يقولون؟

قال: يقولون: كذّاب، ولا تأمرني بشيء إلاّ قبلته.

فقال: سبحان الله! أخبرني أبي والله أنّ مهر أمّي كان ممّا بعث به المختار، أولم يبنِ دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بدمائنا! فرحمه الله.

وأخبرني - والله - أبي أنّه كان ليسمر عند فاطمة بنت عليّ يمهّد لها الفراش، ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقّاً عند أحد إلاّ طلبه، قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا.

وبإسناد معتبر عن عمر بن عليّ بن الحسين: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام لمّا أتي برأس عبيد الله بن زياد «لعنه الله» ورأس عمر بن سعد، خرّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى المختار خيراً.

وبإسناد معتبر عن جارود بن المنذر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما امتشطت فينا هاشميّة ولا اختضبت؛ حتّى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين.

وعن عمر بن عليّ: إنّ المختار أرسل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام بعشرين ألف دينار فقبلها، وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدّمت.

قال: ثمّ إنّه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعد ما أظهر الكلام الذي أظهره، فردّها ولم يقبلها، والمختار هو الذي دعا النّاس إلى محمّد بن عليّ بن أبي طالب ابن الحنفيّة، وسمّوا بالكيسانيّة، وهم المختاريّة، وكان لقبه كيسان، ولقّب بكيسان لصاحب شرطه المكنّى أبا عمرة، وكان اسمه كيسان، وقيل: إنّه سمّي كيسان بكيسان مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو الذي حمله على الطلب بدم الحسين عليه السلام، ودلّه على قتلته، وكان صاحب سرّه، والغالب على أمره، وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين عليه السلام أنّه في دار أو في موضع إلاّ قصده وهدم الدار بأسرها، وقتل كلّ من كان فيها من ذي روح، وكلّ دار بالكوفة خراب فهي ممّا هدّمها، وأهل الكوفة يضربون بها المثل، فإذا افتقر إنسان قالوا: دخل أبو عمرة بيته، انتهى كلام الكشّي.

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن يونس بن يعقوب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كتب المختار ابن أبي عبيدة إلى عليّ بن الحسين عليه السلام، وبعث إليه بهدايا من العراق، فلمّا وقفوا على باب عليّ دخل الآذن يستأذن لهم، فخرج إليهم رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإنّي لا أقبل هدايا الكذّابين، ولا أقرأ كتبهم، فمحوا العنوان وكتبوا للمهديّ محمّد بن عليّ، أي محمّد بن الحنفيّة.

وعن حبيب الخثعمي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان المختار يكذب على عليّ بن الحسين عليه السلام.

وروى القطب الراوندي بإسناد معتبر عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشرار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليحيى بن زكريّا بخت نصّر.

وروى ابن إدريس في «السرائر» في الموثّق عن سماعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بشفير النّار وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، فيصيح صائح من النّار: يا رسول الله، أغثني يا رسول الله أثلاثاً - قال: فلا يجيبه، فينادي: يا أمير المؤمنين ثلاثاً: أغثني، فلا يجيبه، قال: فينادي: يا حسين يا حسين أغثني، أنا قاتل أعدائك.

قال: فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: قد احتجّ عليك، قال: فينقضّ عليه كأنّه عقاب كاسر، قال: فيخرجه من النّار.

قال: فقلت لأبي عبد الله: ومن هذا جعلت فداك؟ قال: المختار.

قلت له: ولِمَ عذّب بالنّار وقد فعل ما فعل؟ قال: إنّه كان في قلبه منهما شيء، والذي بعث محمّداً بالحقّ لو أنّ جبرئيل وميكائيل كان في قلبيهما شيء، لأكبّهما الله في النّار على وجههما.

وقال الشيخ حسن بن سليمان في كتاب «المحتضر»: قيل: بعث المختار إلى عليّ بن الحسين عليه السلام بمائة ألف درهم فكره أن يقبلها منه، وخاف أن يردّها، فتركها في بيت، فلمّا قُتل المختار كتب إلى عبد الملك يخبره بها، فكتب إليه: خذها طيّبة هنيّة، فكان عليّ عليه السلام يلعن المختار ويقول: كذب على الله وعلينا؛ لأنّ المختار كان يزعم أنّه يوحى إليه.

توضيح: قد عرفت اختلاف الأخبار في حال المختار، وكذا اختلفت كلمة أصحابنا الإماميّة في حاله، ولقد بالغ ابن نما رحمه الله في رسالته في حسن حاله، وفي الردّ على من يذكره بسوء، ومن قال بحسن حاله قال: إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان راضياً بخروجه، كما في

بعض الأخبار المتقدّمة المشعرة بذلك، وإنّما أظهر عدم الرضا والتبرّي منه تقيّة من المخالفين، وإنّما خرج ليطلب بثأر الحسين عليه السلام ولم يدّع الإمامة والخلافة لنفسه أو لغيره.

ومن قال بسوء حاله قال: إنّه كان قصده طلب الرئاسة والخلافة، فلمّا لم يعنه على ذلك عليّ بن الحسين، توسّل بمحمّد بن الحنفيّة، وكان يدعو النّاس إليه، وإلى القول بإمامته، كما تقدّم في كلام الكشّي رحمه الله، وقد انقرض الكيسانيّة - والحمد لله - ولم يبق منهم أحد.

وكأنّ رواية «السرائر» رواية جامعة بين الأخبار المختلفة من أنّه وإن لم يكن من المؤمنين الكاملين ولا مأذوناً من أئمّة الدين، إلاّ أنّه لمّا قتل قتلة الحسين عليه السلام وأهل بيته وشفي صدور قوم مؤمنين، كانت عاقبة أمره إلى النجاة والنعيم بشفاعة سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وكيف كان، فالأشهر بين الأصحاب أنّه من المشكورين، ولعلّ عدم التعرّض والخوض في حال أمثاله هو الأحوط والأوْلى، والله العالم.

الفصل الثاني والعشرون

في بيان جور الخلفاء الجائرين على اندراس قبره الشريف، وأبى الله تعالى إلّا إظهاره وإتمام نوره، وبيان ما ظهر من المعجزات عند ضريحه، ومن تربته، وزيارته صلوات الله عليه

روى الشيخ في «الأمالي» بإسناده عن يحيى بن عبد الحميد الجماني أملاه في منزله، قال: خرجت أيّام ولاية موسى بن عيسى الهاشمي في الكوفة من منزلي، فلقيني أبو بكر بن عيّاش، فقال لي: امضِ بنا يا يحيى إلى هذا.

فلم أدرِ من يعني، وكنت أجلّ أبا بكر عن مراجعته، وكان راكباً حماراً له، فجعل يسير عليه وأنا أمشي مع ركابه، فلمّا صرنا عند الدار المعروفة بدار عبد الله بن حازم، التفت إليَّ فقال لي: يا ابن الجماني، إنّما جررتك معي، وحشّمتك أن تمشي خلفي لأسمعك ما أقول لهذا الطاغية.

قال: فقلت: من هو يا أبا بكر؟

قال: هذا الكافر الفاجر موسى بن عيسى، فسكتُّ عنه، ومضى وأنا أتبعه حتّى إذا صرنا إلى باب موسى بن عيسى، وبصر به الحاجب وتبيّنه، وكان النّاس ينزلون عند الرحبة، فلم ينزل أبو بكر هناك، وكان عليه يومئذٍ قميص وإزار، وهو محلول الأزرار.

قال: فدخل على حماره، وناداني فقال: يا ابن الجماني، فمنعني الحاجب، فزجره أبو بكر وقال له: أتمنعه يا فاعل وهو معي، فتركني، فما زال يسير على حماره حتّى دخل الأيوان، فبصربنا موسى وهو قاعد في صدر الأيوان على سريره، وبجنبي السرير رجال متسلّحون، وكذلك كانوا يصنعون، فلمّا أن رآه موسى رحّب به وقرّبه وأقعده على سريره، ومُنعت أنا حين وصلت إلى الأيوان أن أتجاوزه، فلمّا استقرّ أبو بكر على السرير التفت فرآني حيث أنا واقف، فناداني، فقال: ويحك! فصرت إليه ونعلي في رجلي وعليَّ قميص وإزار، فأجلسني بين يديه، فالتفت إليه موسى، فقال: هذا رجل تكلّمنا فيه.

قال: لا، ولكنّي جئت به شاهداً عليك.

قال في ماذا؟ قال: إنّي رأيتك وما صنعت بهذا القبر.

قال: أيّ قبر؟ قال: قبر الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكان موسى قد وجّه إليه من كَربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها، وزرع الزرع فيها، فانتفخ موسى حتّى كاد أن ينقدّ، ثمّ قال: وما أنت وذا؟

قال: إسمع حتّى أخبرك، إعلم أنّي رأيت في منامي كأنّي خرجت إلى قومي بني غاضرة، فلمّا صرت بقنطرة الكوفة اعترضني خنازير عشرة تريدني، فأغاثني الله عز وجل برجل كنت أعرفه من بني أسد فدفعها عنّي، فمضيت لوجهي، فلمّا صرت إلى شاهي ضللت الطريق، فرأيت هناك عجوزاً فقالت لي: أين تريد أيّها الشيخ؟ قلت: أريد الغاضريّة، قالت لي: تنظر هذا الوادي، فإنّك إذا أتيت آخره اتّضح لك الطريق، فمضيت وفعلت ذلك، فلمّا صرت إلى نينوى إذا أنا بشيخ كبير جالس هناك، فقلت: من أين أنت أيّها الشيخ؟

فقال لي: أنا من أهل هذه القربة.

فقلت: كم تعدّ من السنين؟

فقال: ما أحفظ ما مرّ من سنّي وعمري، ولكن أبعد ذكري أنّي رأيت الحسين بن عليّ عليه السلام ومن كان معه من أهله ومن تبعه يمنعون الماء الذي تراه، ولا تمنع الكلاب ولا الوحوش شربه، فاستفضعت ذلك وقلت له: ويحك! أنت رأيت هذا؟

قال: إي والذي سمك السماء، لقد رأيت هذا أيّها الشيخ وعاينته، وإنّك وأصحابك هم الذين تعينون على ما قد رأينا ممّا أقرح عيون المسلمين إن كان في الدنيا مسلم.

فقلت: ويحك! وما هو؟ قال: حيث لم تنكروا ما أجرى سلطانكم إليه.

قلت: وما أجرى إليه؟ قال: أيكرب قبر ابن النبيّ صلى الله عليه وآله ويحرث أرضه؟

قلت: وأين القبر؟ قال: ها هو ذا أنت واقف في أرضه، فأمّا القبر فقد عمي عن أن يعرف موضعه.

قال أبو بكر بن عيّاش: وما كنت رأيت القبر قبل ذلك الوقت قطّ، ولا أتيته في طول عمري، فقلت: مَن لي بمعرفته؟

فمضى معي الشيخ حتّى وقف بي على حير له باب وآذن، وإذا جماعة كثيرة على الباب، فقلت للآذن: أريد الدخول على ابن رسول الله.

فقال: لا تقدر على الوصول في هذا الوقت.

قلت: ولِمَ؟ قال: هذا وقت زيارة إبراهيم خليل الله ومحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعهما جبرئيل وميكائيل في رعيل من الملائكة كثير.

قال أبو بكر بن عيّاش: فانتبهت وقد دخلني روع شديد وحزن وكآبة، ومضت بي الأيّام حتّى كدت أن أنسى المنام، ثمّ اضطررت إلى الخروج إلى بني غاضرة لِدَين لي كان على رجل

منهم، فخرجت وأنا لا أذكر الحديث، حتّى إذا صرت بقنطرة الكوفة لقيني عشرة من اللصوص، فحين رأيتهم ذكرت الحديث، ورعبت من خشيتي لهم، فقالوا لي: ألق ما معك وانج بنفسك، وكانت معي نُفَيقة.

فقلت: ويحكم! أنا أبو بكر بن عيّاش، وإنّما خرجت في طلب دين لي، والله الله لا تقطعوني عن طلب دَيني وتضرّوا بي في نفقتي فإنّي شديد الإضافة[1].

فنادى رجل منهم: مولاي وربّ الكعبة، لا تعرضوا له، ثمّ قال لبعض فتيانهم: كن معه حتّى تصير به إلى الطريق الأيمن.

قال أبو بكر: فجعلت أتذكّر ما رأيته في المنام وأتعجّب من تأويل الخنازير حتّى صرت إلى نينوى، فرأيت - والله الذي لا إله إلاّ هو - الشيخ الذي كنت رأيته في منامي بصورته وهيئته، رأيته في اليقظة كما رأيته في المنام سواء، فحين رأيته ذكرت الأمر والرؤيا، فقلت: لا إله إلاّ الله، ما كان هذا إلاّ وحياً، ثمّ سألته كمسألتي إيّاه في المنام، فأجابني بما كان أجابني، ثمّ قال لي: امض بنا، فمضيت فوقفت معه على الموضع وهو مكروب، فلم يفتني شيء من منامي إلاّ الآذن والحير، فإنّي لم أرَ حيراً ولم أرَ آذناً، فاتّق الله أيّها الرجل، فإنّي قد آليت على نفسي أن لا أدع إذاعة هذا الحديث ولا زيارة ذلك الموضع وقصده وإعظامه، فإنّ موضعاً يؤمّه إبراهيم ومحمّد عليهما السلام وجبرئيل وميكائيل، لحقيق بأن يرغب في إتيانه وزيارته، فإنّ أبا حصين حدّثني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في المنام فإيّاي رأى، فإنّ الشيطان لا يتشبّه بي.

فقال له موسى: إنّما أمسكت عن إجابة كلامك لأستوفي هذه الحمقة التي ظهرت منك، وتالله إن بلغني بعد هذا الوقت أنّك تحدّث بهذا لأضربنّ عنقك وعنق هذا الذي جئت به شاهداً علَيّ.

فقال له أبو بكر: إذاً يمنعني الله وإيّاه منك، فإنّي إنّما أردت الله بما أكلّمك به.

فقال له: أتراجعني يا ماصّ وشتمه[2].

فقال له: اسكت أخزاك الله وقطع لسانك، فارعل موسى على سريره، ثمّ قالت: خذوه، فأخذوا الشيخ عن السرير وأخذت أنا، فوالله لقد مرّ بنا السحب والجرّ والضرب ما ظننت أنّنا لا نكثر الأحياء أبداً، وكان أشدّ ما مرّبي من ذلك أنّ رأسي كان يجرّ على الصخر، وكان بعض مواليه يأتيني فينتف لحيتي، وموسى يقول: اقتلوهما ابني كذا وكذا، بالزاني لا يكنّى، وأبو بكر يقول: أمسك قطع الله لسانك وانتقم منك، اللّهمّ إيّاك أردنا، ولولد نبيّك غضبنا، وعلى

---

(١) أي الضيافة.

(٢) شتيمه مخزية.

توكّلنا، فصيّر بنا جميعاً إلى الحبس، فما لبثنا في الحبس إلاّ قليلاً، فالتفت إليّ أبو بكر ورأى ثيابي قد خرّقت وسالت دمائي، فقال: يا جمانيّ، قد قضينا لله حقّاً، واكتسبنا في يومنا هذا أجراً، ولن يضيع ذلك عند الله ولا عند رسوله، فما لبثنا إلاّ مقدار غدائه ونومه حتّى جاءنا رسوله فأخرجنا إليه، وطلب حمار أبي بكر فلم يوجد، فدخلنا عليه فإذا هو في سرداب له يشبه الدور سعة وكبراً، فتعبنا في المشي إليه تعباً شديداً، وكان أبو بكر إذا تعب في مشبه جلس يسيراً ثمّ يقول: اللّهمّ إنّ هذا فيك فلا تنسه، فلمّا دخلنا على موسى فإذا هو على سرير له، فحين بصر بنا قال: لا حيّا الله ولا قرّب من جاهل أحمق يتعرّض لما يكره، ويلك يا دعيّ! ما دخولك فيما بيننا معشر بني هاشم؟

فقال له أبو بكر: قد سمعت كلامك والله حسبك، فقال له: أخرج قبّحك الله، والله إن بلغني أنّ هذا الحديث شاع أو ذُكر عنك لأضربنّ عنقك، ثمّ التفت إليَّ وقال: يا كلب، وشتمني وقال: إيّاك ثمّ إيّاك أن تُظهر هذا، فإنّه إنّما خيّل لهذا الشيخ الأحمق الشيطان يلعب به في منامه، أخرجا عليكما لعنة الله وغضبه، فخرجنا وقد آيسنا من الحياة، فلمّا وصلنا إلى منزل الشيخ أبي بكر وهو يمشي وقد ذهب حماره، فلمّا أراد أن يدخل منزله التفت إليَّ وقال: أحفظ هذا الحديث وأثبته عندك ولا تحدّثنّ هؤلاء الرعاع، ولكن حدّث به أهل العقول والدين.

وروى في «الأمالي» أيضاً بإسناده عن الحسين بن محمّد بن مسلم، عن إبراهيم الديزج، قال: بعثني المتوكّل إلى كربلاء لتغيير قبر الحسين عليه السلام، وكتب معي إلى جعفر بن محمّد بن عمّار القاضي: أعلمك أنّي قد بعثت إبراهيم الديزج إلى كربلاء لينبش قبر الحسين عليه السلام، فإذا قرأت كتابي فقف على الأمر حتّى تعرف فعل أو لم يفعل.

قال الديزج: فعرّفني جعفر بن محمّد بن عمّار ما كتب به إليه، ففعلت ما أمرني به جعفر بن محمّد بن عمّار، ثمّ أتيته فقال لي: ما صنعت؟

فقلت: قد فعلت ما أمرت به، فلم أرَ شيئاً ولم أجد شيئاً.

فقال لي: أفلا عمّقته؟

قلت: قد فعلت فما رأيت.

فكتب إلى السلطان أن إبراهيم الديزج قد نبش فلم يجد شيئاً؛ وأمرته فمخره[1] بالماء وكربه بالبقر.

---

(١) أي اسال عليه الماء.

قال أبو عليّ العماري: فحدّثني إبراهيم الديزج وسألته عن صورة الأمر، فقال لي: أتيت في خاصّة غلماني فقط، وأنّي نبشت فوجدت بارية جديدة وعليها بدن الحسين بن عليّ عليه السلام، ووجدت منه رائحة المسك، فتركت البارية على حالها وبدن الحسين على البارية، وأمرت بطرح التراب عليه، وأطلقت عليه الماء، وأمرت بالبقر لتمخره وتحرثه، فلم تطأه البقر، وكانت إذا جاءت إلى الموضع رجعت عنه، فحلّفت غلماني بالله وبالأيمان المغلّظة لئن ذكر أحد هذا لأقتلنّه.

وروى في «الأمالي» أيضاً بإسناده عن أبي عبد الله الباقطاني، قال: ضمّني عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى هارون المعرّي، وكان قائداً من قوّاد السلطان أكتب له، وكان بدنه كلّه أبيض شديد البياض، حتّى يديه ورجليه كانا كذلك، وكان وجهه أسود شديد السواد كأنّه القير، وكان يتفقّأ مع ذلك مدّة منتنة.

قال: فلمّا أنس به سألته عن سواد وجهه، فأبى أن يخبرني، ثمّ إنّه مرض مرضه الذي مات فيه، فقعدت فسألته، فرأيته كأنّه يحب أن يكتم عليه، فضمنت له الكتمان، فحدّثني قال:

وجّهني المتوكلّ أنا والديزج لنبش قبر الحسين عليه السلام وإجراء الماء عليه، فلمّا عزمت على الخروج والمسير إلى الناحية، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، فقال: لا تخرج مع الديزج ولا تفعل ما أمرتم به في قبر الحسين عليه السلام.

فلمّا أصبحنا جاؤا يستحثّوني في المسير، فسرت معهم حتّى وافينا كربلاء، وفعلنا ما أمرنا به المتوكّل، فرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في المنام، فقال: ألم آمرك أن لا تخرج معهم ولا تفعل فعلهم فلم تقبل حتّى فعلت ما فعلوا، ثمّ لطمني وتفل في وجهي، فصار وجهي مسوداً كما ترى وجسمي على حالته الأولى.

وفي «أمالي الشيخ» أيضاً بإسناد معتبر عن المفضّل بن محمّد بن عبد الحميد، قال: دخلت على إبراهيم الديزج - وكنت جاره - أعوده في مرضه الذي مات فيه، فوجدته بحال سوء، فإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب، فسألته عن حاله، وكانت بيني وبينه خلطة وأنس توجب الثقة بي والانبساط إليَّ، فكاتمني حاله وأشار لي إلى الطبيب، فشعر الطبيب بإشارته ولم يعرف حاله ما يصف له من الدواء ما يستعمله، فقام فخرج وخلا الموضع، فسألته عن حاله.

فقال: أخبرك والله وأستغفر الله، أنّ المتوكّل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين عليه السلام، فأمرنا أن نكربه ونطمس أثر القبر، فوافيت الناحية مساءً ومعنا الفعلة والدركاريون معهم المساحي والمرور، فتقدّمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه، فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر، ونمت فذهب بي النوم،

فإذا ضوضاء شديدة وأصوات عالية، وجعل الغلمان ينبّهوني، فقمت وأنا ذعر، فقلت للغلمان: ما شأنكم؟ قالوا: أعجب شأن.

قلت: وما ذاك؟ قالوا: إنّ بموضع القبر قوماً قد حالوا بيننا وبين القبر، وهم يرمونا مع ذلك بالنشّاب، فقمت معهم لأتبيّن الأمر فوجدته كما وصفوا، وكان ذلك في أوّل الليل من ليالي البيض.

فقلت: ارموهم، فرموا، فعادت سهامنا إلينا، فما سقط سهم منها إلاّ في صاحبه الذي رمى به فقتله، فاستوحشت لذلك وجزعت وأخذتني الحمّى والقشعريرة ورحلت عن القبر لوقتي، ووطّنت نفسي على أن يقتلني المتوكّل لما لم أبلغ في القبر جميع ما تقدّم إليّ به.

قال أبو بريرة: فقلت له: قد كفيت ما تحذر من المتوكّل، قد قتل بارحة الأولى، وأعان عليه في قتله المنتصر، فقال لي: قد سمعت بذلك، وقد نالني في جسمي ما لا أرجو معه البقاء.

قال أبو بريرة: كان هذا في أوّل النهار، فما أمسى الديزج حتّى مات.

قال ابن خنيس: قال أبو المفضّل: إنّ المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام، فسأل رجلاً من النّاس عن ذلك فقال له: قد وجب عليه القتل، إلاّ أنّه من قتل أباه لم يطل له عمر، قال: ما أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطوّل لي عمري، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر.

توضيح: لعلّ قصر عمره كان لسعادته بعدم غصب الخلافة، وكان ذلك جزاء فعله الجميل.

وفي «أمالي الشيخ» أيضاً بإسناد معتبر عن القاسم بن أحمد بن معمّر الأسديّ الكوفيّ، وكان له علم بالسيرة وأيّام النّاس، قال: بلغ المتوكّل جعفر بن المعتصم أنّ أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قوّاده وضمّ إليه كتفاً من الجند كثيراً ليشعب قبر الحسين عليه السلام ويمنع النّاس من زيارته والاجتماع إلى قبره، فخرج القائد إلى الطفّ وعمل بما أمر، وذلك في سنة سبعة وثلاثين ومائتين، فثار أهل السواد واجتمعوا عليه وقالوا: لو قتلتنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منّا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا.

فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكّل إلى القائد بالكفّ عنهم والمسير إلى الكوفة، مظهراً أنّ مسيره إليها في مصالح أهلها، والانكفاء إلى المصر، فمضى الأمير على ذلك حتّى كانت سنة سبعة وأربعين، فبلغ المتوكّل أيضاً مصير النّاس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنّه قد كثر جمعهم لذلك وصار لهم شوق كثير، فأنفذ

قائداً في جميع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادي: برئت الذمّة ممّن زار قبره، ونبش القبر وحرث أرضه، وانقطع النّاس عن الزيارة، وعمل على تتبّع آل أبي طالب والشيعة، فقتل ولم يتمّ له ما قدّره.

وعن عبد الله الطوري، قال: حججت سنة سبع وأربعين ومائتين، فلمّا صدرت من الحجّ صرت إلى العراق، فزرت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على حال خفية من السلطان ووزيره، ثمّ توجّهت إلى زيارة الحسين عليه السلام، فإذا هو قد حُرث أرضه وأجري فيها الماء، وأُرسلت الثيران العوامل في الأرض، فبعيني وبصري كنت أرى الثيران تساق في الأرض فتنساق لهم حتّى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً، فتضرب بالعصا الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجه ولا سبب، فما أمكنني الزيارة، فتوجّهت إلى بغداد وأنا أقول في ذلك:

تا الله إن كانت أميّة قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاك بنو أبيه بمثلها ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا ... في قتله فتتبّعوه رميما

فلمّا قدمت بغداد سمعت الهائعة، فقلت: ما الخبر؟ قالوا: سقط الطائر بقتل جعفر المتوكّل، فعجبت لذلك وقلت لهي ليلة بليلة.

وعن يحيى بن المغيرة الرازي، قال: كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر النّاس، فاقل: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام، وأمر أن تقطع السدرة التي فيه، فقطعت.

قال: فرفع جرير يديه وقال: الله أكبر، جاءنا فيه حديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: لعن الله قاطع السدرة ثلاثاً، فلم نقف على معناه حتّى الآن؛ لأنّ القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين عليه السلام حتّى لا يقف النّاس على قبره.

وبإسناد معتبر عن محمّد بن جعفر بن محمّد بن فرج، قال: حدّثني أبي عن عمّه ابن فرج، قال: أنفذني المتوكّل في تخريب قبر الحسين عليه السلام فصرت إلى الناحية، فأمرت بالبقر فمرّ بها القبور كلّها، فلمّا بلغت قبل الحسين عليه السلام؛ لم تمرّ عليه.

قال عمّي عمر بن فرج: فأخذت العصا بيدي، فما زلت أضربها حتّى تكسّرت العصا في يدي، فوالله ما جازت على قبره ولا تخطّته، قال لنا محمّد بن جعفر: كان عمّي عمر بن فرج كثير الانحراف عن آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فأنا أبرأ إلى الله منه، وكان جدّي أخوه محمّد بن فرج شديد المودّة لهم رحمه الله ورضي عنه، فأنا أتولاّه لذلك وأفرح بولادته.

وروى ابن شهرآشوب في «المناقب» قال: «أخذ المسترشد من مال الحائر وكربلاء، وقال: إنّ القبر لا يحتاج إلى الخزانة، وأنفق على العسكر، فلمّا خرج قُتل هو وابنه الراشد.

وروى أيضاً عن الأعمش، قال: أحدث رجل على قبر الحسين عليه السلام فأصابه وأهل بيته جنون وجذام وبرص، وهم يتوارثون الجذام إلى الساعة.

قال: وروى جماعة من الثقاة: إنّه لمّا أمر المتوكّل بحرث قبر الحسين عليه السلام وأن يجرى الماء عليه من العلقمي، أتى زيد المجنون وبهلول المجنون إلى كربلاء فنظرا إلى القبر وإذا هو معلّق بالقدرة في الهواء، فقال زيد: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]؛ وذلك أنّ الحرّاث حرث سبعة عشر مرّة والقبر يرجع إلى حاله، فلمّا نظر الحرّاث إلى ذلك آمن بالله وحلّ البقر فأخبر المتوكّل، فأمر بقتله.

وفي بعض مؤلّفات أصحابنا، قال: روي عن سليمان بن الأعمش أنّه قال: كنت نازلاً بالكوفة وكان لي جار، وكنت آتي إليه وأجلس عنده، فأتيت ليلة الجمعة إليه فقلت له: يا هذا، ما تقول في زيارة الحسين عليه السلام؟

فقال لي: هي بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ذي ضلالة في النّار.

قال سليمان: فقمت من عنده وأنا ممتلئ عليه غيظاً، فقلت في نفسي: إذا كان وقت السحر أتيته وأحدّثه بشيء من فضائل زيارة الحسين عليه السلام، فإن أصرّ على العناد قتلته، فلمّا كان وقت السحر أتيته وقرعت عليه الباب ودعوته باسمه، فإذا بزوجته تقول لي: إنّه قصد إلى زيارة الحسين عليه السلام من أوّل الليل.

قال سليمان: فسرت في أثره إلى زيارة الحسين عليه السلام، فلمّا دخلت إلى القبر، فإذا أنا بالشيخ ساجداً لله عز وجل وهو يدعو ويبكي في سجوده، ويسأله التوبة والمغفرة، ثمّ رفع رأسه بعد زمان طويل فرآني قريباً منه، فقلت له: يا شيخ، بالأمس كنت تقول: زيارة الحسين عليه السلام بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ذي ضلالة في النّار، واليوم أتيت تزوره؟

فقال: يا سليمان، لا تلمني، فإنّي ما كنت أثبت لأهل البيت إمامة حتّى كانت ليلتي تلك، فرأيت رؤياً هالتني وروّعتني، فقلت له: وما رأيت أيّها الشيخ؟

قال: رأيت رجلاً جليل القدر، لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللاصق، لا أقدر أصفه من عظم جلاله وجماله وبهائه وكماله، وهو مع أقوام يحفّون به حفيفاً، ويزفّون به زفيفاً، وبين يديه فارس وعلى رأسه تاج، وللتاج أربعة أركان، وفي كلّ ركن جوهرة تضيء من مسيرة ثلاثة أيّام.

فقلت لبعض خدّامه: من هذا؟ فقال: محمّد المصطفى.

قلت: ومن هذا الآخر؟ قالوا: عليّ المرتضى وصيّ رسول الله ﷺ.

ثمّ مددت نظري فإذا بناقة من نور وعليها هودج من نور، وفيه امرأتان، والناقة تطير بين السماء والأرض.

فقلت: لمن هذه الناقة؟ فقال: لخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء.

فقلت: ومن هذا الغلام؟ فقالوا: هذا الحسن بن عليّ.

فقلت: وإلى أين يريدون بأجمعهم؟ فقالوا: لزيارة المقتول ظلماً، شهيد كربلاء، الحسين ابن عليّ المرتضى.

ثمّ إنّي قصدت نحو الهودج الذي فيه فاطمة الزهراء وإذا أنا برقاع مكتوبة تتساقط من السماء، فسألت: ما هذه الرقاع، فقال: هذه رقاع فيها أمان من النّار لزوّار الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة، فطلبت منه رقعة، فقال لي: إنّك تقول: زيارته بدعة، فإنّك لا تنالها حتّى تزور الحسين عليه السلام، وتعتقد فضله وشرفه، فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً، وقصدت من وقتي وساعتي إلى زيارة سيّدي الحسين عليه السلام، وأنا تائب إلى الله تعالى، فوالله يا سليمان، لا أفارق قبر الحسين حتّى تفارق روحي جسدي.

قال: وروى الثقات عن أبي محمّد الكوفي عن دعبل بن عليّ الخزاعي، قال: لمّا انصرفت من أبي الحسن الرضا عليه السلام بقصيدتي التائيّة نزلت بالريّ، وإنّي في ليلة من الليالي وأنا أصوغ قصيدة، وقد ذهب من الليل شطره، فإذا طارق بطرق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أخ لك، فبدرت إلى الباب ففتحته، فدخل شخص اقشعرّ منه بدني، وذهلت منه نفسي، فجلس ناحية وقال لي: لا ترع أنا أخوك من الجنّ، ولدت في الليلة التي ولدت أنت فيها، ونشأت معك، وإنّي جئت أحدّثك بما يسرّك ويقوي نفسك وبصيرتك.

قال: فرجعت نفسي وسكن قلبي، فقال: يا دعبل، إنّي كنت من أشدّ خلق الله بغضاً وعداوة لعليّ بن أبي طالب، فخرجت في نفر من الجنّ المردة العتاة فمررنا بنفر يريدون زيارة الحسين عليه السلام، قد جنّهم الليل، فهممنا بهم، وإذا ملائكة تزجرنا من السماء وملائكة في الأرض تزجر عنهم هوامها، فكأنّي كنت نائماً فانتبهت أو غافلاً فتيقّظت، وعلمت أنّ ذلك لعناية بهم من الله لمكان من قصدوا له، وتشرّفوا بزيارته، فأحدثت توبة وجدّدت نيّة وزرت مع القوم، ووقفت بوقوفهم، ودعوت بدعائهم، وحججت بحجّهم تلك السنة، وزرت قبر النبيّ ﷺ ومررت برجل حوله جماعة، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا ابن رسول الله الصادق عليه السلام.

قال: فدنوت منه، وسلّمت عليه، فقال لي: مرحباً بك يا أخا أهل العراق، أتذكر ليلتك

ببطن كربلاء وما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائنا. إنّ الله قد قبل توبتك، وغفر خطيئتك.

فقلت: الحمد لله الذي مَنَّ عليَّ بكم، ونوّر قلبي بنور هدايتكم، وجعلني من المعتصمين بحبل ولايتكم، فحدّثني يا ابن رسول الله بحديث انصرف به إلى أهلي وقومي، فقال: نعم، حدّثني أبي محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا عليّ، الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى أدخلها أنا، وعلى الأوصياء حتّى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتّى تدخلها أمّتي، وعلى أمَتي حتّى يقرّوا بولايتك، ويدينوا بإمامتك.

يا عليّ، والذي بعثني بالحقّ، لا يدخل الجنّة أحد إلاّ من أخذ منك بنسب أو سبب. ثمّ قال: خذها يا دعبل، فلن تسمع بمثلها من مثلي أبداً، ثمّ ابتلعته الأرض فلم أره.

وفي الكتاب المذكور أيضاً، قال: روي أنّ المتوكّل من خلفاء بني العبّاس كان كثير العداوة، شديد البغض لأهل بيت الرسول، وهو الذي أمر الحارثين بحرث قبر الحسين عليه السلام، وأن يخرّبوا بنيانه، ويخفوا آثاره، وأن يجروا عليه الماء من النهر العلقمي، بحيث لا يبقى له أثر ولا أحد يقف له على خبر، وتوعّد النّاس بالقتل لمن زار قبره، وجعل رصداً من أجناده، وأوصاهم: كلّ من وجدتموه يريد زيارة الحسين فاقتلوه، يريد بذلك إطفاء نور الله، وإخفاء آثار ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فبلغ الخبر رجلاً من أهل الخير يقال له: زيد المجنون، ولكنّه ذو عقل سديد، ورأي رشيد، وإنّما لقّب بالجنون لأنّه أفحم كلّ لبيب، وقطع حجّة كلّ أديب، وكان لا يعي من الجواب، ولا يملّ من الخطاب، فسمع بخراب بنيان قبر الحسين عليه السلام وحرث مكانه، فعظم ذلك عليه، واشتدّ حزنه، وتجدّد مصابه بسيّده الحسين عليه السلام، وكان مسكنه يومئذٍ بمصر، فلمّا غلب عليه الوجد والغرام لحرث قبر الحسين الإمام خرج من مصر ماشياً هائماً على وجهه، شاكياً وجده إلى ربّه، وبقي حزيناً كئيباً حتّى بلغ الكوفة.

وكان البهلول يومئذٍ بالكوفة، فلقيه زيد المجنون وسلّم عليه، فردّ عليه السلام، فقال له البهلول: من أين لك معرفتي ولم ترني قطّ؟

فقال زيد: يا هذا، أعلم أنّ قلوب المؤمنين جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

فقال له البهلول: يا زيد، ما الذي أخرجك من بلادك بغير دابّة ولا مركوب؟

فقال: والله ما خرجت إلاّ من شدّة وجدي وحزني، وقد بلغني أنّ هذا اللعين أمر بحرث قبر

الحسين عليه السلام، وخراب بنيانه، وقتل زوّاره، فهذا الذي أخرجني من موطني، ونغّص عيشي، وأجرى دموعي، وأقلّ هجوعي.

فقال البهلول: وأنا والله كذلك.

فقال له: قم بنا نمضي إلى كربلاء لنشاهد قبور أولاد عليّ المرتضى.

قال: فأخذ كلّ بيد صاحبه حتّى وصلا إلى قبر الحسين عليه السلام فإذا هو على حاله لم يتغيّر، وقد هدموا بنيانه، وكلّما أجروا الماء عليه غار وحار واستدار بقدرة العزيز الجبّار، ولم تصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين، وكان القبر الشريف إذا جاءه الماء ترتفع أرضه بإذن الله تعالى، فتعجّب زيد المجنون ممّا شاهده، وقال: انظر يا بهلول، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

قال: ولم يزل المتوكّل يأمر بحرث قبر الحسين عليه السلام مدّة عشرين سنة، والقبر على حاله لم يتغيّر، ولا يعلوه قطرة من الماء، فلمّا نظر الحارث إلى ذلك قال: آمنت بالله وبمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لأهربنّ على وجهي، وأهيم في البراري ولا أحرث قبر الحسين ابن بنت رسول الله، وإنّ لي مدّة عشرين سنت أنظر آيات الله، وأشاهد براهين آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أتّعظ ولا اعتبر، ثمّ إنّه حلّ الثيران، وطرح الفدان، وأقبل يمشي نحو زيد المجنون وقال له: من أين أقبلت يا شيخ؟

قال: من مصر.

فقال له: ولأيّ شيء جئت إلى هنا؛ وإنّي لأخشى عليك من القتل.

فبكى زيد وقال: والله قد بلغني حرث قبر الحسين عليه السلام فأحزنني ذلك، وهيّج حزني ووجدي، فأكبّ الحارث على أقدام زيد يقبّلهما وهو يقول: فداك أبي وأمّي، فوالله يا شيخ من حين أقبلت إليَّ أقبلت إليَّ الرحمة، واستنار قلبي بنور الله، وإنّي آمنت بالله ورسوله، وأنّ لي مدّة عشرين سنة وأنا أحرث هذه الأرض، وكلّما أجريت الماء إلى قبر الحسين عليه السلام غار وحار واستدار، ولم يصل إلى قبر الحسين منه قطرة، وكأنّي كنت في سكر، وأفقت الآن ببركة قدومك إليَّ، فبكى زيد وتمثّل بهذه الأبيات:

تالله إن كانت أميّة قد أتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

إلى آخر الأبيات السابقة، فبكى الحارث وقال: يا زيد، قد أيقظتني من رقدتي، وأرشدتني من غفلتي، وها أنا الآن ماضٍ إلى المتوكّل بسرّ من رأى أعرّفه صورة الحال، إن شاء أن يقتلني وإن شاء أن يتركني، فقال له زيد: وأنا أيضاً أسير معك إليه وأساعدك على ذلك.

قال: فلمّا دخل الحارث إلى المتوكّل وخبّره بما شاهد من برهان قبر الحسين عليه السلام

استشاط غيظاً وازداد بغضاً لأهل بيت رسول الله ﷺ، فأمر بقتل الحارث، وأمر أن يشدّ في رجليه حبل ويسحب على وجهه في الأسواق، ثمّ يصلب في مجتمع النّاس ليكون عبرة لمن أعتبر، ولا يبقى أحد يذكر أهل البيت بخير أبداً.

وأما زيد المجنون فإنّه أزداد حزنه، واشتدّ عزاءه، وطال بكاءه، وصبر حتّى أنزلوه من الصلب وألقوه على مزبلة هناك، وبقي ثلاثة أيام لا يفارق قبره، وهو يتلو كتاب الله عنده، فبينما ذات يوم هو جالس إذ سمع صراخاً عالياً، ونوحاً شجيّاً، وبكاءً عظيماً، ونساءً بكثرة منشّرات الشعور، مشقّقات الجيوب، مسودّات الوجوه، ورجالاً بكثرة، يندبون بالويل والثبور، والنّاس كافّة في اضطراب شديد، وإذا بجنازة محمولة على أعناق الرجال، وقد نشرب لها الأعلام والرايات، والنّاس من حولها أفواجاً، قد انسدّت الطرق من الرجال والنساء.

قال زيد: فظننت أنّ المتوكل قد مات، فتقدّمت إلى رجل منهم وقلت له: من يكون هذا الميّت؟

فقال: هذه جنازة جارية المتوكّل، وهي جارية سوداء حبشيّة، وكان اسمها ريحانة، وكان يحبّها حبّاً شديداً، ثمّ إنّهم عملوا لها شأناً عظيماً، ودفنوها في قبر جديد، وفرشوا فيه الورد والرياحين والمسك والعنبر، وبنوا عليها قبّة عالية، فلمّا نظر زيد إلى ذلك ازدادت أشجانه، وتصاعدت نيرانه، وجعل يلطم وجهه، ويمزّق أطماره، ويحثي التراب على رأسه وهو يقول: واويلاه، وا أسفاه عليك يا حسين، أتقتل بالطفّ غريباً وحيداً ظمآناً شهيداً، وتُسبى نساؤك وبناتك وعيالك، وتذبح أطفالك، ولم يبكِ عليك أحد من النّاس، وتدفن بغير غسل ولا كفن، ويحرث بعد ذلك قبرك ليطفئوا نورك، وأنت ابن المرتضى، وابن فاطمة الزهراء، ويكون هذا الشأن العظيم لموت جارية سوداء؛ ولم يكن الحزن والبكاء لابن محمّد المصطفى.

قال: ولم يزل يبكي وينوح حتّى غُشي عليه، فلما أفاق من غشوته أنشد يقول:

أيحرث بالطف قبر الحسين ... ويعمر قبر بني الزانية
لعلّ الزمان بهم قد يعود ... ويأتي بدولتهم ثانية
ألا لعن الله أهل الفساد ... ومن يأمن الدنية الفانية

قال: إنّ زيد كتب هذه الأبيات في ورقة وسلّمها لبعض حجّاب المتوكّل.

قال فلمّا قرأها: اشتدّ غيظه، وأمر بإحضاره، فأحضر، وجرى بينه وبينه من الوعظ والتوبيخ ما أغاظه حتّى أمر بقتله.

فلمّا مثل بين يديه سأله عن أبي تراب من هو - استحقاراً له - ؟ فقال: والله إنّك عارف به وبفضله وشرفه وحسبه ونسبه، فوالله ما يجحد فضله إلاّ كلّ كافر مرتاب، ولا يبغضه إلاّ كلّ منافق كذّاب، وشرع يعدّه فضله ومناقبه، حتّى ذكر منها ما أغاظ المتوكّل، فأمر بحسبه فحُبِس، فلمّا أسدل الظلام وهجع، جاء إلى المتوكّل هاتف ورفسه برجله، وقال له: قم وأخرج زيداً من حبسه، وإلاّ أهلكك الله عاجلاً، فقام هو بنفسه وأخرج زيداً رحمه الله من حبسه، وخلع عليه خلعة سنيّة، وقال له: أطلب ما تريد؟ قال: أريد عمارة قبر الحسين عليه السلام، وأن لا يتعرّض أحد لزوّاره، فأمر له بذلك، فخرج من عنده فرحاً مسروراً، وجعل يدور في البلدان وهو يقول: من أراد زيارة الحسين فله الأمان طول الزمان.

وروى ابن قولويه في «الكامل»، والسيّد ابن طاووس، بإسناد معتبر عن الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي، قال: خرجت في آخر زمان بني مروان إلى قبر الحسين بن عليّ عليه السلام مستخفياً من أهل الشام، حتّى انتهيت إلى كربلاء، فاختفيت في ناحية القرية، حتّى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلت نحو القبر، فلمّا دنوت منه أقبل نحوي رجل فقال لي: انصرف مأجوراً، فإنّك لا تصل إليه، فرجعت فزعاً، حتّى إذا كاد يطلع الفجر أقبلت نحوه، حتّى إذا دنوت منه خرج إليَّ الرجل، فقال لي: يا هذا، إنّك لن تصل إليه.

فقلت له: عافاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته، فلا تحل بيني وبينه، عافاك الله وأنا خائف أن أصبح فيقتلني أهل الشام إن أدركوني هاهنا.

قال: فقال لي: اصبر قليلاً، فإنّ موسى بن عمران سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين عليه السلام فأذن له، فهبط من السماء في سبعين ألف ملك فهم بحضرته من أوّل الليل ينتظرون طلوع الفجر، ثمّ يعرجون إلى السماء.

قال: فقلت: فمن أنت عافاك الله؟

قال: أنا من الملائكة الذين أمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام، والاستغفار لزوّاره، فانصرفت وقد كاد أن يطير عقلي لما سمعت منه، قال: فأقبلت لمّا طلع الفجر نحوه، فلم يحل بيني وبينه أحد، فدنوت منه، فسلّمت عليه ودعوت الله على قتلته، وصلّيت الصبح، وأقبلت مسرعاً مخافة أهل الشام.

وروى الشيخ في «الأمالي» بإسناد معتبر عن موسى بن عبد العزيز، قال: لقيني يوحنّا بن سراقيون النصراني المتطبّب في شارع أبي أحمد فاستوقفني وقال لي: بحقّ نبيّك ودينك من هذا الذي يزور قبره قوم منكم بناحية قصر ابن هبيرة، من هو، من أصحاب نبيّكم؟

قلت: ليس هو من أصحابه، هو ابن بنته، فما دعاك إلى المسألة عنه؟

فقال: له عندي حديث طريف.

فقلت: حدّثني به.

فقال: وجّه إليّ سابور الكبير الخادم الرشيدي في الليل، فصرت إليه، فقال لي: تعال معي، فمضى وأنا معه حتّى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي، فوجدناه زائل العقل، متّكئاً على وسادة، وإذا بين يديه طشت فيه حشو جوفه، وكان الرشيد استحضره من الكوفة، فأقبل سابور على خادم كان من خاصّة موسى، فقال له: ويحك ما خبره؟

فقال له: أخبرك: إنّه كان من ساعة جالساً وحوله ندماؤه وهو من أصحّ النّاس جسماً، وأطيبهم نفساً، إذ جرى ذكر الحسين بن عليّ عليه السلام.

قال يوحنّا: هذا الذي سألتك عنه، فقال موسى: إنّ الرافضة ليغلون فيه حتّى أنهم - فيما عرفت - يجعلون تربته دواء يتداوون به؟ فقال له رجل من بني هاشم كان حاضراً: قد كانت بي علّة غليظة فتعالجت لها بكلّ علاج، فما نفعني حتّى وصف لي كاتبي أن آخذ من هذه التربة، فأخذتها فنفعني الله بها، وزال عنّي ما كنت أجده.

قال: فبقي عندك منها شيء؟

قال: نعم، فوجّه، فجاءه منها بقطعة، فناولها موسى بن عيسى، فأخذها موسى فاستدخلها دبره «لعنه الله» استهزاءً فيمن تداوي بها، واحتقاراً وتصغيراً لهذا الرجل الذي هي تربته - يعني الحسين عليه السلام - فما هو إلاّ أن استدخلها دبره حتّى صاح: النّار النّار، الطشت الطشت، فجئناه بالطشت فأخرج فيها ما ترى.

فانصرف الندماء وصار المجلس مأتماً، فأقبل عليَّ سابور فقال: انظر هل لك فيه حيلة، فدعوت بشمعة فنظرت، فإذا كبده وطحاله وريته وفؤاده خرج منه في الطشب، فنظرت إلى أمر عظيم، فقلت: ما لأحد في هذا صنع إلاّ أن يكون لعيسى عليه السلام الذي كان يحيى الموتى.

فقال لي سابور: صدقت، ولكن كن هاهنا في الدار إلى أن يتبيّن ما يكون من أمره، فبتُّ عندهم وهو بتلك الحال ما رفع رأسه، فمات في وقت السحر.

قال محمّد بن موسى: قال لي موسى بن سريع: كان يوحنّا يزور قبر الحسين عليه السلام وهو على دينه، ثمّ أسلم بعد هذا وحسن إسلامه.

وروى أيضاً عن الحسين بن محمّد أبو عبد الله الأزدي عن أبيه، قال: صلّيت في جامع المدينة وإلى جانبي رجلان، على أحدهما ثياب السفر، فقال أحدهما لصاحبه: يا فلان، أما علمت أنّ طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء؛ وذلك أنّه كان بي وجع الجوف فتعالجت

بكلّ دواء، فلم أجد فيه عافية، وخفت على نفسي، وأيست منها، وكان عندنا امرأة من أهل الكوفة، عجوز كبيرة، فدخلت عليّ وأنا في أشدّ ما بي من العلّة.

فقالت لي: يا سالم، ما أرى علّتك كلّ يوم إلاّ زائدة، فقلت: لها نعم.

فقالت: فهل لك أن أعالجك فتبرأ بإذن الله عز وجل؟ فقلت لها: ما أنا إلى شيء أحوج منّي إلى هذا، فسقتني ماء في قدح، فسكنت عنّي العلّة، وبرئت حتّى كأن لم يكن بي علّته قطّ، فلمّا كان بعد أشهر دخلت عليَّ العجوز فقلت لها: بالله عليك يا سلمة، وكان اسمها سلمة، بماذا داويتيني؟

فقالت: بواحدة ممّا في هذه السبحة، من سبحة كانت في يدها.

فقلت: وما هذه السبحة؟

فقالت: إنّها من طين قبر الحسين عليه السلام.

فقلت لها: يا رافضيّة داويتني بطين قبر الحسين عليه السلام، فخرجت من عندي مغضبة، ورجعت والله علّتي كأشدّ ما كانت، وأنا أقاسي منها الجهد والبلاء، وقد والله خشيت على نفسي، ثمّ أذّن المؤذن فقاما يصلّيان وغاباً عنّي».

الفصل الثالث والعشرون

في بيان عدد أولاده، وأزواجه عليه السلام، وبعض أحوالهم

قد ذكر الشيخ المفيد في «الإرشاد» وغيره: إنّه كان للحسين عليه السلام ستّة أولاد:

عليّ بن الحسين الأكبر، كنيته أبو محمّد، وأمّه شاه زنان بنت كسرى يزدجر، وقيل: إنّ اسمها شهربانوا.

وعليّ بن الحسين الأصغر، قتل مع أبيه بالطفّ، وقد تقدّم ذكره فيما سلف، وهو الذي يسمّونه النّاس علي الأكبر، وكان أكبريّته بالنسبة إلى أخيه الرضيع، وأمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّة.

وجعفر بن الحسين، لا بقيّة له، وأمّه قضاعيّة، وكانت وفاته في حياة الحسين عليه السلام.

وعبد الله بن الحسين، قُتل مع أبيه الحسين عليه السلام صغيراً، جاءه سهم وهو في حجر أبيه فذبحه، وقد تقدّم ذكره فيما مضى أيضاً.

وسكينة بنت الحسين، وأمّها الرباب بنت امرئ القيس بن عديّ، كلبيّة معديّة، وهي أمّ عبد الله بن الحسين.

وفاطمة بنت الحسين، وأمّها أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبد الله تميميّة، هذا كلام المفيد.

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: «ذكر صاحب كتاب «البدع»، وصاحب كتاب «شرح الأخبار»: إنّ عقِب الحسين عليه السلام من أبنه عليّ الأكبر، وأنّه هو الباقي بعد أبيه، وأنّ المقتول هو الأصغر منهما، وعليه نعوّل، فإنّ عليّ بن الحسين عليه السلام الباقي كان يوم كربلاء من أبناء ثلاثين سنة، وأنّ ابنه محمّد الباقر عليه السلام، كان يومئذٍ من أبناء خمسة عشر سنة، وكان لعليّ الأصغر المقتول نحو اثني عشرة سنة، ويقول الزيديّة في الأصغر أنّه كان في يوم كربلاء ابن سبع سنين، ومنهم من يقول: أربع سنين.

وقال عليّ بن عيسى في «كشف الغمّة»: «قال كمال الدين بن طلحة: كان له من الأولاد ذكوراً وإناثاً، عشرة؛ ستّة ذكور، وأربع إناث، فالذكور: عليّ الأكبر، وعليّ الأوسط وهو سيّد العابدين، وعليّ الأصغر، ومحمّد، وعبد الله، وجعفر.

فأمّا عليّ الأكبر فإنّه قاتل بين يدي أبيه حتّى قُتل شهيداً، وأمّا عليّ الأصغر فجاءه سهم وهو طفل فقتله، وقيل: إنّ عبد الله قتل أيضاً مع أبيه شهيداً.

وأمّا البنات: فزينب، وسكينة، وفاطمة، هذا قول مشهور، وقيل: كان له أربع بنين

وبنتان، والأوّل أشهر، وكان الذكر المخلّد والبناء المنضّد مخصوصاً من بين بنيه بعليّ الأوسط زين العابدين دون بقيّة الأولاد، انتهى.

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب»: أبناؤه عليه السلام: عليّ الأكبر الشهيد، أمّه مرّة بنت عروة بن مسعود الثقفي، وعليّ الإمام وهو عليّ الأوسط وعليّ الأصغر، وهما من شهربانو، ومحمّد وعبد الله الشهيد من الرباب بنت امرئ القيس، وجعفر، وأمّه قضاعيّة، وبناته: سكينة، أمّها الرباب، وفاطمة، أمّها أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبد الله، وزينب، وعقب الحسين عليه السلام من ابن واحد، وهو زين العابدين عليه السلام.

وفي «روضة الواعظين»: إنّه ولّى عليّ بن أبي طالب عليه السلام حريث بن جابر الجعفي جانباً من المشرق، فبعث إليه بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان منهما، فأولدها زين العابدين عليه السلام، وأنحل الأخرى محمّد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمّد بن أبي بكر، فهما أبناء خالة.

وفي «بصائر الدرجات» عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لمّا قدم بابنة يزدجرد على عمر وأدخلت المدينة، أشرف لها عذارى المدينة، وأشرق المسجد بضياء وجهها، فلمّا دخلت المسجد ورأت عمر، غطّت وجهها، وقالت: أفّ بيروج بادا هرمز، فقال: فغضب عمر وقال: تشتمني هذه، وهمّ بها.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس لك ذلك، أعرض عنها، إنّها تختار رجلاً من المسلمين، ثمّ احبسها بفيئه عليه، فقال عمر: اختاري.

قال: فجاءت حتّى وضعت يدها على رأس الحسين بن عليّ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟

فقالت: جهان شاء.

فقال عليه السلام: بل شهربانوبه.

ثمّ نظر إلى الحسين عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله، ليلدنّ لك منها غلام خير أهل الأرض.

أقول: أفّ: كلمة تضجّر، وقال بعض المحقّقين: بيروج معرّب بيروز، والمعنى اسودّ يوم هرمز، وأساء الدهر إليه، وانقلب الزمان عليه، حيث صار أولاده أسارى تحت حكم مثل هذا.

وفي «كشف الغمّة» و«المناقب»: إنّه كان يقال لعليّ بن الحسين عليه السلام: ابن الخيّرتين، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لله من عباده خيرتين، فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس، وأنشد أبو الأسود في ذلك:

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم ... لأكرم من نيطت عليه التمائم

الجزء الثالث

الباب السادس

في بيان أحوال

سيد الساجدين

وزين العابدين، وقبلة العارفين، وقدوة الموحّدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأولاده الطاهرين

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في بيان وقت ولادته عليه السلام
وأسمائه الشريفة وألقابه المنيفة، وكنيته، ونقش خاتمه

قال الشيخ في (المصباح) وابن طاووس في (الإقبال): «إنّ مولده عليه السلام كان في النصف من جمادى الأوّل سنة ستّة وثلاثين».

وكذا يحكى عن الشيخ المفيد رحمه الله.

وقال الكليني في (الكافي): «ولد عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين»، وكذا في (روضة الواعظين).

وقال الطبرسي في (إعلام الورى): «ولد عليه السلام بالمدينة يوم الجمعة، ويقال: يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة، وقيل: لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وقيل: سنة سبع وثلاثين».

وقال الشهيد رحمه الله في (الدروس): ولد عليه السلام بالمدينة يوم الأحد خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين.

وروى عليّ بن عيسى في (كشف الغمّة) عن الصادق عليه السلام، قال: «**ولد عليّ بن الحسين** عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة قبل وفاة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بسنتين، وأقام مع أمير المؤمنين سنتين، ومع أبي محمّد الحسن عليه السلام عشر سنين، وأقام مع أبي عبد الله عليه السلام عشر سنين، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة».

قال: وفي رواية أخرى: «**إنّه ولد سنة سبع وثلاثين، وقُبض وهو ابن سبع وخمسين، سنة أربع وتسعين، وكان بقاؤه بعد أبي عبد الله** عليه السلام **ثلاثاً وثلاثين سنة**، ويقال: في سنة خمس وتسعين»، انتهى.

والمشهور أنّ اسم أمه عليه السلام: شهربانويه بنت يزدجرد ملك فارس، وقيل: اسمها شاه زنان.

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام، قال: «**إن عبد الله بن عامر بن كريز لمّا افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان بن عفّان، فوهب إحداهما للحسن** عليه السلام **والأخرى للحسين** عليه السلام**، فماتتا عندهما**

نفساوين، وكانت صاحبة الحسين قد ولدت عليّاً، فكفل عليّاً بعض أمّهات ولد أبيه، فنشأ وهو لا يعرف أمّاً غيرها، ثم علم أنها مولاته، وكان الناس يسمّونها أمّه، وزعموا أنه زوج أمّه، ومعاذ الله إنما زوج هذه على ما ذكرناه، وكان سبب ذلك أنه واقع بعض نسائه ثم خرج يغتسل فلقيته أمه هذه، فقال لها: إن كان في نفسك من هذا الأمر شيء فاتّقي الله وأعلميني.

فقالت: نعم، فزوّجها، فقال ناس: زوّج عليّ بن الحسين أمّه».

أقول: في هذا الخبر مخالفة للخبر المتقدّم المروي عن البصائر من أنّ ذلك كان في خلافة عمر، وهو أشهر وأقوى، إذ لا ريب في أن تولّد علي بن الحسين عليه السلام قد كان في أيّام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

ويؤيّد هذه الرواية ما رواه القطب الراوندي في (الخرائج والجرائح) عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**لما قدمت ابنة يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس وخاتمهم على عمر، وأُدخلت المدينة استشرفت لها عذارى المدينة وأشرق المجلس بضوء وجهها، ورأت عمر فقالت: امروزان، فغضب عمر، وقال: شتمتني هذه العلجة وهمّ بها.**

فقال له عليّ عليه السلام: ليس لك إنكار على ما لا تعلمه، فأمر أن ينادى عليها.

فقال أمير المؤمنين عليه عليه السلام: لا يجوز بيع بنات الملوك وإن كنّ كافرات، ولكن اعرض عليها أن تختار رجلاً من المسلمين حتى تزوّج منه، وتحسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن.

فقال عمر: افعل، وعرض عليها أن تختار، فجاءت فوضعت يدها على منكب الحسين.

فقال عليه السلام: چه نام دارى أي كنيزك؟ - يعني ما اسمك يا صبيّة - قالت: جهان شاه، فقال: بل شهربانويه.

قالت: تلك أختي.

قال: راست گفتى - أي صدقت - ثمّ التفت إلى الحسين عليه السلام فقال: احتفظ بها وأحسن إليها فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك، وهي أم الأوصياء الذرية الطيّبة، فولدت عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام».

ويروى: «**أنها ماتت في نفاسها به، وإنّما اختارت الحسين لأنها رأت فاطمة** عليها السلام وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين، ولها قصّة، وهي أنها قالت: رأيت في المنام قبل ورود عسكر المسلمين كأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله دخل دارنا وقعد مع الحسين وخطبني له، وزوّجني منه، فلمّا أصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي، وما كان لي خاطر غير هذا، فلمّا كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله قد أتتني وعرضت عليَّ الإسلام، فأسلمت.

ثمّ قالت: إنّ الغلبة تكون للمسلمين، وأنك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد، قالت: وكان من الحال أني خرجت إلى المدينة ما مسّ يدي إنسان».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في (الإرشاد): «إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ولّى حريث بن جابر جانباً من المشرق، فبعث إليه بنتي يزدجرد بن شهريار، فنحل ابنه الحسين شاه زنان منهما، فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم بن محمّد بن أبي بكر، فهما ابنا خالة».

وأما كنيته: فقال المجلسي: «أشهرها أبو محمّد».

وقال عليّ بن عيسى في (كشف الغمّة): «المشهور: أبو الحسن، ويقال: أبو محمّد، وقيل: أبو بكر، قال: وأمّا لقبه فكان له ألقاب كثيرة كلّها تطلق عليه، أشهرها: زين العابدين، وسيّد العابدين، والزكيّ، والأمين، وذو الثفنات».

وأمّا نقش خاتمه: ففي (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: **كان في خاتم عليّ بن الحسين** عليه السلام: الحمد لله العليّ».

وروى أيضاً عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «**كان خاتم عليّ بن الحسين خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ**».

وروى الصدوق في (العلل) بإسناد معتبر عن جابر الجعفي، قال: «قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام: **إن أبي عليّ بن الحسين ما ذكر الله** عزّ وجلّ نعمة عليه إلاّ سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ فيها سجود إلاّ سجد، ولا دفع الله عزّ وجلّ عنه سوءاً يخشاه أو كيد كائد إلاّ سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلاّ سجد، ولا وفّق لإصلاح بين اثنين إلاّ سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، فسمّي السجّاد لذلك».

وروي أيضاً عن الباقر عليه السلام، قال: «**كان لأبي في موضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها في السنة مرّتين، في كل مرّة خمس ثفنات، فسمّي ذا الثفنات لذلك**».

وروي أيضاً عن عمران بن سليم، قال: «كان الزهري إذا حدّث عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: حدّثني زين العابدين عليّ بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولِمَ تقول زين العابدين؟

قال: لأني سمعت سعيد بن المسيّب يحدّث عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ: أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي عليّ بن الحسين يخطر بين الصفوف**».

وفي (كشف الغمّة) قيل: «كان سبب لقبه بزين العابدين أنّه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجّده، فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته، فلم يلتفت إليه، فجاء إلى إبهام

رجله فالتقمها، فلم يلتفت إليه، فآلمه فلم يقطع صلاته، فلمّا فرغ منها وقد كشف الله له فعلم أنّه شيطان فسبّه ولطمه، وقال: **اخسأ يا ملعون** فذهب، وقام إلى إتمام ورده، فسمع صوتاً ولا يرى قائله وهو يقول: أنت زين العابدين ثلاثاً، فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له عليه السلام».

ومنها: ما رواه في (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق الإمام أمر ملكاً فأخذ شربة من ماء تحت العرش فيسقيها إيّاه، فمن ذلك يخلق الإمام، فيمكث أربعين يوماً وليلة في بطن أمّه لا يسمع الصوت، ثمّ يسمع بعد ذلك الكلام، فإذا ولد بعث الله ذلك الملك فيكتب بين عينيه**: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]».

وفي رواية أخرى: «**إنّه يكتب ذلك على عضده الأيمن، فإذا قام بهذا الأمر رفع الله له في كلّ بلدة مناراً ينظر به إلى أعمال العباد**».

وبهذا المضمون أخبار كثيرة مرويّة في الكافي من باب مواليد الأئمّة.

الفصل الثاني

في بيان ما جرى عليه من الشدائد والأحزان في حياته إلى حال وفاته عليه الصلاة والسلام

روى ابن قولويه في (الكامل)، وابن شهرآشوب في (المناقب)، وغيرهما، عن الصادق عليه السلام: «**إنّ علي بن الحسين** عليه السلام بكى على أبيه عشرين سنة - وفي رواية: **أربعين سنة - وما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى، وما أُتي بشراب ليشربه إلاّ بكى حتى يتضاعف ذلك الماء حتّى قال له مولىً له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين؟**

قال عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني العبرة».

وفي رواية أنه قال: «**كيف لا أبكي وقد مُنع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش**».

وفي رواية: أنّه قيل له: إنّك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك ما زدت على هذا؟ فقال عليه السلام: **نفسي قتلتها وعليها أبكي**».

وروى ابن قولويه وابن شهرآشوب وغيرهما: «إنّه لمّا كثر بكاؤه، قال له مولى له: أما آن لحزنك أن ينقضي؟

فقال عليه السلام له: **ويحك! إنّ يعقوب النبيّ كان له اثنا عشر ابناً فغيّب الله واحداً منهم فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني**».

وروى في (الكامل): «إنّه عليه السلام كان يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما لك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟

فقال: **إنّي أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي** عليه السلام **فأرقّ لهم** عليه السلام».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) عن ابن شهاب الزهري، قال: «شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام فأثقله حديداً، ووكّل به حفّاظاً في عدّة وجمع، فاستأذنهم في التسليم عليه والتوديع له، فأذنوا، فدخلت عليه والأقياد في رجليه، والغلّ في يديه، فبكيت وقلت: وددت أنّي مكانك وأنت سالم.

فقال: **يا زهري، أوَتظن هذا بما ترى علَيَّ وفي عنقي يكربني، أما لو شئت ما كان، فإنه وإن بلغ بك ومن أمثالك ليذكّرني عذاب الله**، ثم أخرج يديه من الغلّ ورجليه من القيد، ثمّ قال: **يا زهريّ، لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة**.

قال: فما لبثنا إلاّ أربع ليالي حتّى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة، فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: أما تراه متبوعاً إنه لنازل ونحن حوله لا ننام، نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلاّ حديدة.

فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن عليّ بن الحسين، فأخبرته، فقال: إنّه قد جاءني في يوم فقده الأعوان، فدخل عليَّ فقال: **ما أنا وأنت؟** فقلت: أقم عندي، فقال: **لا أحبّ**، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة.

قال الزهري: فقلت: ليس عليّ بن الحسين عليه السلام حيث تظنّ، إنه مشغول بنفسه، فقال: حبّذا شغل مثله فنِعم ما شغل به».

وروى في (المناقب) قال: «سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيّب عن انتهاب المدينة، قال: نعم، شدّوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ورأيت الخيل حول القبر، وانتهبت المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعليّ بن الحسين نأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله فيتكلّم عليّ بن الحسين عليه السلام بكلام لم أقف عليه، فيحال ما بيننا وبين القوم، ونصلي ونرى القوم وهم لا يروننا، وقام رجل عليه حلل خضر على فرس محذوف أشهب، بيده حربة مع عليّ بن الحسين، فكان إذا أومى الرجل إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله يشير ذلك الفارس بالحربة نحوه فيموت من غير أن يصيبه، فلمّا أن كفّوا عن النهب دخل عليّ بن الحسين على النساء، فلم يترك قرطاً في أذن صبيّ ولا حلياً على امرأة ولا ثوباً إلاّ أخرجه إلى الفارس.

فقال له الفارس: يا بن رسول الله، إنّي ملك من الملائكة من شيعتك وشيعة أبيك، لمّا أن ظهر القوم بالمدينة استأذنت ربّي في نصرتكم آل محمد، فأذن لي لأن ادّخرها يداً عند الله تبارك وتعالى وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وعندكم أهل البيت إلى يوم القيامة».

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد حسن عن يزيد بن معاوية، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **إنّ يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحجّ، فبعث إلى رجل من قريش فأتاه، فقال له يزيد: أتقرّ لي أنك عبد لي، إن شئت بعتك وإن شئت استرققتك؟ فقال له الرجل: والله يا يزيد ما أنت بأكرم منّي في قريش حسباً، ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والإسلام، وما أنت بأفضل منّي في الدين ولا بخير منّي، فكيف أقرّ لك بما سألت؟**

فقال له يزيد: إن لم تقرّ لي والله قتلتك.

فقال له الرجل: ليس قتلك إيّاي بأعظم من قتلك الحسين بن عليّ ابن رسول الله ﷺ، فأمر به فقُتل.

ثمّ أرسل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال له مثل مقالته للقرشي، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: أرأيت إن لم أقرّ لك أليس تقتلني كما قتلت الرجل بالأمس؟

فقال له يزيد لعنه الله: بلى.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: قد أقررت لك بما سألت، أنا عبد مكره، فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع، فقال له يزيد: أوْلى لك، حقنت دمك ولم ينقصك ذلك من شرفك».

توضيح: في هذا الخبر إشكال؛ لأن المعروف بين أرباب السير والتواريخ أنّ هذا الملعون لم يأت المدينة بعد الخلافة، بل لم يخرج من الشام حتى مات، فلعلّ الراوي اشتبه بدل يزيد: عامل يزيد الذي أرسله لأخذ البيعة وهو مسلم بن عقبة.

وروى الصفّار في (بصائر الدرجات) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: **لمّا كانت الليلة التي وعدها عليّ بن الحسين قال لمحمّد: يا بنيّ، ائتني بوضوء، قال: فقمت فجئت بوضوء، فقال: لا ينبغي هذا، فإنّ فيه شيئاً ميتاً، قال: فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فارة ميتة، فجئته بوضوء غيره.**

قال: فقال: يا بنيّ، هذه الليلة التي وعدتها، فأوصى بناقته أن يحضر لها عصام، ويقام لها علف، فجعلت فيه، فلم تلبث أن خرجت حتّى أتت القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأتى محمد بن عليّ، فقيل له: إنّ الناقة قد خرجت فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأتاها فقال: مه الآن، قومي بارك الله فيك، فثارت ودخلت موضعها، فلم تلبث أن خرجت حتّى أتت القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأُتي محمّد بن عليّ فقيل له: إن الناقة قد خرجت، فأتاها فقال: مه الآن، قومي، فلم تفعل، قال: دعوها فإنّها مودّعة، فلم تلبث إلاّ ثلاثة حتى نفقت وإن كان ليخرج عليها إلى مكّة فيعلّق السوط بالرحل فما يقرعها قرعة حتّى يدخل المدينة».

وفي (الاختصاص) روي: «أنّه حجّ عليها أربعين حجّة».

وروى عليّ بن إبراهيم في (تفسيره) بإسناد حسن عن الرضا عليه السلام، قال: «**لمّا حضرت عليّ بن الحسين الوفاة أُغمي عليه ثلاث مرات، فقال في المرة الأخيرة:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٤]، ثم مات صلوات الله عليه».

وروى في (الكافي) في الحسن عن الرضا عليه السلام، قال: «**إن عليّ بن الحسين لمّا حضرته**

الوفاة أُغمي عليه، ثم فتح عينيه وقرأ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: ١]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ...﴾ [الزمر: ٧٤] الآية، ثم قبض من ساعته ولم يقل شيئاً».

وبإسناد معتبر عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**لمّا حضرت عليّ بن الحسين الوفاة ضمّني إلى صدره وقال: يا بنيّ، أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به، قال: يا بنيّ إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله**».

ويظهر من عموم بعض الأخبار أنه عليه السلام مات مسموماً، وذكر الكفعمي في الجدول: «إنّه سمّه هشام بن عبد الملك».

وفي (إقبال السيد ابن طاووس) في الصلاة الواردة في شهر رمضان: «وضاعف العذاب على من قتله» وهو الوليد.

وقال ابن طلحة في (الفصول): «ويقال: إنّ الذي سمّه الوليد بن عبد الملك».

وكذا حكي عن الصدوق.

وروى الكشّي في رجاله بإسناد معتبر عن عليّ بن زيد، قال: «قلت لسعيد بن المسيّب: إنك أخبرتني أنّ عليّ بن الحسين النفس الزكية، وأنّك لا تعرف له نظيراً؟

قال: كذلك، وما هو مجهول ما أقول فيه، والله ما رؤي مثله.

قال عليّ بن زيد: فقلت: والله إنّ هذه الحجّة الوكيدة عليك يا سعيد، فلِمَ لم تصلِّ على جنازته؟

فقال: إنّ القوم كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج عليّ بن الحسين عليه السلام، فخرجنا معه ألف راكب، فلمّا صرنا بالسقيا نزل فصلّى وسجد سجدة الشكر، فسبّح في سجوده، فلم يبق شجر ولا مدر إلاّ سبّحوا معه، ففزعنا، فرفع رأسه وقال: **يا سعيد، أفزعت؟**

قلت: نعم، يا بن رسول الله.

فقال: **هذا التسبيح الأعظم، حدّثني أبي، عن جدّي، عن رسول الله أنّه قال: لا تبقى الذنوب مع هذا التسبيح**».

وفي رواية أخرى، قال: «**يا سعيد، إنّ الله جلّ ذكره لمّا خلق جبرئيل ألهمه هذا التسبيح، فسبّحت السماوات ومن فيهنّ لتسبيحه الأعظم، وهو اسم الله عزّ وجلّ الأكبر.**

يا سعيد، أخبرني أبي الحسين، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن الله جلّ جلاله أنّه قال: ما من عبد من عبادي آمن بي، وصدّق بك، وصلى في مسجدك ركعتين على خلاء من النّاس إلاّ غفرت له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر»، فلم أرَ شاهداً أفضل من عليّ بن

الحسين، حيث حدّثني بهذا الحديث، فلمّا أن مات شهد جنازته البرّ والفاجر، وأثنى عليه الصالح والطالح، وانهال النّاس يتبعونه حتّى وضعت الجنازة، فقلت: إن أدركت الركعتين يوماً من الدهر، فاليوم هو ولم يبق إلاّ رجل وامرأة، ثمّ خرجا إلى الجنازة ووثبت لأصلي، فجاء تكبير من السماء، فأجابه تكبير من الأرض، ففزعت وسقطت على وجهي، فكبّر من في السماء سبعاً، ومن في الأرض سبعاً، وصُلّي على عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما، ودخل النّاس المسجد فلم أدرك الركعتين ولا الصلاة على عليّ بن الحسين، فقلت: يا سعيد، لو كنت أنا لم أختر إلاّ الصلاة على عليّ بن الحسين، إنّ هذا لهو الخسران المبين، فبكى سعيد ثمّ قال: ما أردت إلاّ الخير، ليتني كنت صلّيت عليه فإنّه ما رؤي مثله.

واعلم أنّه قد اختلف في يوم وفاته عليه السلام.

ففي (كشف الغمّة): «توفّي عليه السلام في ثامن عشر المحرّم من سنة أربع وتسعين، وقيل: خمس وتسعين».

وقال الشيخ الطوسي: «إنه كان في التاسع والعشرين من الشهر المذكور».

وقال الشيخ في (المصباح): «إنّه في الخامس والعشرين منه».

وكذا المفيد رضي الله عنه في (مسارّ الشيعة).

وروى في (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: **قبض عليّ بن الحسين وهو ابن سبع وخمسين سنة، في عام خمس وتسعين، وعاش بعد الحسين** عليه السلام خمساً وثلاثين سنة».

وقال ابن شهرآشوب: «إنّه توفّي في يوم السبت حادي عشر أو ثاني عشر محرّم سنة خمس وتسعين».

وقال الكفعمي: «إنّه في الثاني والعشرين من المحرّم».

واختلف أيضاً في مبلغ عمره عليه السلام، والأكثر على أنّه سبع وخمسون سنة، وقد تقدمت رواية الكليني في ذلك.

وروى في (كشف الغمّة) عن الصادق عليه السلام، قال: «**مات عليّ بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة**».

الفصل الثالث

في بيان ما وقع من الظلم من خلفاء الجور على شيعته عليه السلام

روي في (روضة الواعظين) عن الصادق عليه السلام، قال: «**إن سعيد بن جبير كان يأتمّ بعليّ بن الحسين** عليه السلام، فكان عليّ يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجّاج له إلاّ على هذا الأمر، وكان مستقيماً، وذكر أنّه لمّا دخل على الحجّاج بن يوسف قال له: أنت شقيّ بن كسير؟

قال: أمي كانت أعرف بي، سمّتني سعيد بن جبير.

قال: ما تقول في أبي بكر وعمر، في الجنّة أو في النار؟

قال: لو دخلت الجنّة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، ولو دخلت النار ورأيت أهلها لعلمت من فيها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل.

قال: أيّهم أحبّ إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي.

قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم.

قال: أبيت أن تصدقني، قال، بل لم أحب أن أكذّبك، ثم أمر اللعين بقتله».

وذكر اليافعي من علماء المخالفين: «إنّ الحجاج لم يبق بعد قتله سعيد بن جبير إلا أربعين يوماً، وكان يغمى عليه في مرضه، فإذا أفاق قال: ما تريد منّي يا سعيد بن جبير».

وفي رواية أخرى: «كان إذا نام رأى سعيداً قد أخذ بثيابه يقول: يا عدوّ الله لِمَ قتلتني».

وروى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن ابن بكير، قال: «أخذ الحجّاج موليين لعليّ عليه السلام فقال لأحدهما: ابرأ من عليّ، فقال: ما جزاؤه أن أبرأ منه.

فقال: قتلني الله إن لم أقتلك، فاختر لنفسك، قطع يديك أو رجليك؟ قال: فقال له الرجل: هو القصاص، فاختر لنفسك.

قال: تالله، إنّي لأرى لك لساناً، وما أظنّك تدري من خلقك، أين ربّك؟ قال: هو بالمرصاد لكلّ ظالم، فأمر بقطع يديه ورجليه وصلبه.

ثمّ قدّم صاحبه الآخر فقال: ما تقول؟ فقال: أنا على رأي صاحبي.

قال: فأمر أن يُضرب عنقه ويصلب».

وروى الكشّي في رجاله بإسناد معتبر عن العسكري عليه السلام، قال: «**إنّ قنبراً مولى أمير المؤمنين** عليه السلام دخل على الحجّاج بن يوسف فقال: ما الذي كنت تلي من عليّ بن أبي طالب؟

فقال: كنت أُوضّيه.

فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟

فقال: كان يتلو هذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

فقال الحجّاج: أظنه كان يتأوّلها علينا؟ قال: نعم.

قال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟ قال: إذاً أسعد وتشقى، فأمر به».

وروى المفيد وغيره: «إن الحجاج قال يوماً: أريد أن أتقرّب إلى الله بقتل رجل من أصحاب أبي تراب.

فقال له بعض جلسائه: ما أظنّ أحداً صحب أبا تراب أكثر من قنبر مولاه، فطلبه، فأُتي به، فقال له: أنت مولى عليّ بن أبي طالب؟

فقال: الله مولاي وعليٌّ ولي نعمتي.

فقال الحجّاج: ابرأ من دين عليّ؟

فقال: دلّني على دين خير من دينه حتّى أبرأ منه؟

فقال الحجاج: لا بد لي من قتلك، فاختر لنفسك أيّ قتلة تريد؟

فقال: بل أنت اختر.

فقال الحجّاج: ولِمَ ذلك؟

فقال: لأنك بأي نوع تقتلني اقتصّ منك في القيامة مثله، فاختر ما تحبّ، فإنّ أمير المؤمنين أخبرني أنك تذبحني كما تذبح الشاة، فأمر به، فذبح كذلك».

الباب السابع

في بيان أحوال

أبي جعفر محمد بن علي

باقر علوم الأولين والآخرين،
ومشيد شريعة سيد المرسلين،
صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين،

وفيه فصول

الفصل الأول

في بيان ولادته عليه السلام

قال الطبرسي في (إعلام الورى): «ولد عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة يوم الجمعة غرّة رجب، وقيل: الثالث من صفر».

وقال الشيخ في (المصباح): روى جابر الجعفي، قال: ولد الباقر عليه السلام يوم الجمعة غرّة رجب سنة سبع وخمسين».

وقال ابن شهرآشوب في (المناقب): «ولد عليه السلام بالمدينة يوم الثلاثاء، وقيل يوم الجمعة غرّة رجب، وقيل: الثالث من صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة».

وقال عليّ بن عيسى في (كشف الغمّة): «اسمه عليه السلام محمّد، وكنيته أبو جعفر، وله ثلاثة ألقاب: باقر العلم، والشاكر، والهادي، وأشهرها الباقر، وسمّي بذلك لبقره في العلم، وهو توسّعه فيه».

وروى الصدوق في (الأمالي) عن الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم لجابر: يا جابر، إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمّد بن عليّ بن الحسين المعروف في التوراة بالباقر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام»، الحديث.

وروى الشيخ في (التهذيب) عن الصادق عليه السلام، قال: «**كان نقش خاتم أبي: العزة لله جميعاً**».

وكذا في (الكافي) بدون «جميعاً».

وفي (عيون الأخبار) بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام، قال: «**كان على خاتم محمّد بن عليّ: ظنّي بالله حسن، وبالنبيّ المؤتمن، وبالوصيّ ذي المنن، وبالحسين والحسن**».

وفي (الأمالي) و (العيون) عن الرضا عليه السلام، قال: «**كان نقش خاتم الحسين** عليه السلام: إن الله بالغ أمره، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يتختّم بخاتم أبيه، وكان محمّد بن عليّ يتختم بخاتم الحسين عليه السلام».

وأمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسن عليه السلام، وهو عليه السلام نجيب الطرفين؛ لأن نسبه الشريف ينتهي إلى الحسن والحسين عليهما السلام، وهو أوّل علوي تولّد بين علويّين.

وقد ورد في الروايات المعتبرة، ومنها:

ما رواه في (الكافي) عن إسحاق بن جعفر عليه السلام، قال: «سمعت أبي يقول: الأوصياء إذا حملت بهم أمهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك، إن كان نهاراً، وليلتها إن كان ليلاً، ثم ترى في منامها رجلاً يبشرها بغلام عليم حليم، فتفرح لذلك ثم تنتبه من نومها فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير، وتصيرين إلى خير، وجئت بخير. أبشري بغلام حليم، وتجد خفّة في بدنها، ثمّ تجد بعد ذلك اتساعاً من جنبيها وبطنها، فإذا كان لتسع من شهرها سمعت في البيت حسّاً شديداً، فإذا كانت الليلة التي تلد فيها، ظهر لها في البيت نورٌ تراه لا يراه غيرها إلاّ أبوه، فإذا ولدته ولدته قاعداً، وتفتّحت له حتى يخرج متربعاً، ثم يستدير بعد وقوعه إلى الأرض فلا يخطىء القبلة حتى كانت بوجهه، ثم يعطس ثلاثاً يشير بإصبعه بالتحميد، ويقع مسروراً مختوناً ورباعيتاه من فوق وأسفل، وناباه وضاحكاه، ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور، ويقيم يومه وليلته تسيل يداه ذهباً، وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وإنما الأوصياء أعلاق من الأنبياء».

الفصل الثاني

في بيان ما جرى بينه عليه السلام وبين مخالفي أهل زمانه

روى ابن طاووس في كتاب (أمان الأخطار) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «**حجّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حجّ في تلك السنة محمّد بن عليّ الباقر وابنه جعفر بن محمد** عليه السلام.

فقال جعفر بن محمّد: الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفائه، فالسعيد من اتّبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا، ثمّ قال: فأخبر مسلمة أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل في المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي.

فلمّا وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً، ثمّ أذن لنا في اليوم الرابع، فدخلنا، وإذا قد قعد على سرير الملك وجنده خاصّة وقوف على أرجلهم سماطان متسلحان، وقد نصب البرجاس حذاه، وأشياخ قومه يرمون، فلمّا دخلنا وأبي أمامي وأنا خلفه، فنادى أبي وقال: يا محمّد، ارم مع أشياخ قومك الغرض؟

فقال له: إنّي قد كبرت عن الرمي، فهل رأيت أن تعفيني؟

فقال: وحقّ من أعزّنا بدينه وبنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله لا أعفيك، ثمّ أومأ إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك، فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ ثمّ تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس، ثمّ انتزع ورمى وسط الغرض، فنصبه فيه، ثمّ رمى فيه الثانية، فشقّ فواق سهمه إلى نصله، ثمّ تابع الرمي حتّى شقّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت أجدت يا أبا جعفر، أنت أرمى العرب والعجم، هلاّ زعمت أنّك كبرت عن الرمي، ثم أدركته ندامة على ما قال، وكان هشام لم يُكنِّ أحداً قبل أبي ولا بعده في خلافته، فهمّ به وأطرق إلى الأرض إطراقة يتروّى فيه، وأنا وأبي واقفان حذاءه مواجهين له، فلمّا طال وقوفنا غضب أبي فهمّ به، وكان أبي عليه السلام إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه.

فلمّا نظر هشام إلى ذلك من أبي قال له: إليَّ يا محمّد، فصعد أبي إلى السرير وأنا أتبعه، فلمّا دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه، ثمّ اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي، ثم

أقبل على أبي بوجهه فقال له: يا محمّد، لا تزال العرب والعجم يسودها قريش ما دام فيهم مثلك، لله درّك من علّمك هذا الرمي، وفي كم تعلّمته؟

فقال أبي: قد علمت أنّ أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيّام حداثتي ثمّ تركته، فلمّا أراد أمير المؤمنين منّي ذلك عدت فيه.

فقال له: ما رأيت مثل هذا الرمي قطّ مذ عقلت، وما ظننت أنّ في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي، أيرمي جعفر مثل رميك؟

فقال: إنا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيّه ﷺ في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والأرض لا تخلو ممّن يكمل هذه الأمور التي يقصر غيرنا عنها.

فلمّا سمع ذلك من أبي انقلبت عينه اليمنى فاحولّت، واحمرّ وجهه، وكان ذلك علامة غضب، ثمّ أطرق هنيئة ثمّ رفع رأسه فقال لأبي: ألسنا بني عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟

فقال أبي: نحن كذلك، ولكن الله جلّ ثناؤه اختصّنا من مكنون سرّه، وخالص علمه بما لم يخصّ به أحداً غيرنا.

فقال: أليس الله جلّ ثناؤه بعث محمّداً ﷺ من شجرة بني عبد مناف إلى الناس كافة، أبيضها وأسودها وأحمرها، من أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله ﷺ مبعوث إلى النّاس كافة وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] إلى آخر الآية، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد نبيّ، ولا أنتم أنبياء؟

فقال عليه السلام من قوله تبارك وتعالى لنبيّه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] الذي لم يحرّك به لسانه لغيرنا أمره الله أن يخصّنا به من دون غيرنا، فلذلك كان ناجى أخاه علياً من دون أصحابه، فأنزل الله بذلك قرآناً في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ، فلذلك قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة: علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، ففتح من كل باب ألف باب، خصّه رسول الله من مكنون سرّه بما يخصّ أمير المؤمنين أكرم الخلق عليه، فكما خص الله نبيّه خصّ نبيه ﷺ أخاه علياً من مكنون سرّه مما لم يخصّ به أحداً من قومه حتى صار إلينا فتوارثناه من دون أهلنا.

فقال هشام بن عبد الملك: إنّ عليّاً كان يدّعي علم الغيب، والله لم يطلع على غيبه أحداً، فمن أين ادّعى ذلك؟

فقال أبي عليه السلام: إن الله جلّ ذكره أنزل على نبيه ﷺ كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون إلى

يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وفي قوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وفي قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وأوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه وآله أن لا يبقي في غيبه وسرّه ومكنون علمه شيئاً إلاّ يناجي به علياً عليه السلام، فأمره أن يؤلّف القرآن من بعده، ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه، وقال لأصحابه: حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي، فإنه منّي وأنا منه، له ما لي، وعليه ما عَلَيَّ، وهو قاضي ديني، ومنجز وعدي، ثمّ قال لأصحابه: عليّ بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلاّ عند عليّ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ، أي هو قاضيكم، وقال عمر بن الخطّاب: لولا عليّ لهلك عمر يشهد له عمر ويجحده غيره.

فأطرق هشام طويلاً ثم رفع رأسه فقال: سل حاجتك؟

فقال: خلفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي.

فقال: قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم، ولا تقم، سر من يومك، فاعتنقه أبي ودعا له، وفعلت أنا كفعل أبي، ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه، وإذا ميدان ببابه وفي آخر الميدان أناس قعود عدد كثير، قال أبي: من هؤلاء؟

فقال الحجّاب: القسّيسون والرهبان، وهذا عالم لهم يقعد إليهم في كلّ سنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم، فلفّ أبي عند ذلك رأسه بفاضل ردائه، وفعلت أنا مثل فعل أبي، فأقبل نحوهم حتّى قعد نحوهم وقعدت وراء أبي، ورفع ذلك الخبر إلى هشام فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبي، فأقبل وأقبل عداد من المسلمين فأحاطوا بنا، وأقبل عالم النصارى قد شدّ حاجبه بحريرة صفراء حتّى توسّطنا، فقام إليه جميع القسيسين والرهبان مسلّمين عليه، فجاؤوا به إلى صدر المجلس فقعد فيه، وأحاط به أصحابه، وأبي وأنا بينهم، فأدار نظره ثم قال لأبي:

أمِنّا أم من هذه الأمّة المرحومة؟

فقال: بل من هذه الأمة المرحومة.

فقال: من أين أنت من علمائها أم من جهّالها؟

فقال له أبي: لست من جهّالها، فاضطرب اضطراباً شديداً، ثم قال له: أسألك؟

فقال له أبي: سل.

فقال: من أين ادّعيتم أن أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون وما الدليل فيما تدّعونه من مشاهد لا يجهل؟

فقال له أبي: دليل ما ندّعي من مشاهد لا يجهل؛ الجنين في بطن أمّه يطعم ولا يحدث.

قال: فاضطرب النصراني اضطراباً شديداً ثمّ قال: هلاّ زعمت أنك لست من علمائها؟

فقال له أبي: إنما قلت لك: لست من جهّالها، وأصحاب هشام يسمعون ذلك.

فقال لأبي: أسألك عن مسألة أخرى؟ فقال له أبي: سل.

فقال له: من أين ادّعيتم أن فاكهة الجنة أبداً غضّة طرية موجودة غير معدومة عند جميع أهل الجنّة، وما الدليل عليه من مشاهد لا يجهل؟

فقال له أبي: دليل ما ندّعي أنّ سراجنا أبداً يكون غضّاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع أهل الدنيا لا ينقطع، فاضطرب اضطراباً شديداً.

فقال: هلاّ زعمت أنك لست من علمائها؟

فقال له أبي: إنما قلت لك: لست من جهّالها.

فقال له: أسألك عن مسألة؟ فقال: سل.

فقال أخبرني عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار؟

فقال له أبي: هي الساعة التي بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يهدأ فيها المبتلى، ويرقد فيها الساهر، ويفيق فيها المغمى عليه، جعلها الله في الدنيا رغبة للراغبين، وفي الآخرة للعاملين لها دليلاً واضحاً، وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين التاركين لها.

قال: فصاح النصراني صيحة، ثم قال: بقيت مسألة واحدة، والله لأسألك عن مسألة لا تهتدي إلى الجواب عنها أبداً؟ قال له أبي: سل، فإنّك حانث في يمينك.

فقال: أخبرني عن مولودين ولدا في يوم وماتا في يوم، عمر أحدهما خمسون سنة وعمر الآخر مائة وخمسون سنة في دار الدنيا؟

فقال له أبي: ذلك عزير وعزيرة، ولدا في يوم واحد، فلمّا بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً مرّ عزيز على حماره راكباً على قرية انطاكية وهي خاوية على عروشها، فقال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها؟ وقد كان اصطفاه وهداه، فلمّا قال ذلك القول غضب الله عليه فأماته الله مائة عام سخطاً عليه بما قال، ثمّ بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه، وعاد إلى داره وعزيرة أخوه لا يعرفه، فاستضافه فأضافه، وبعث إليه ولد عزيرة وولد ولده وقد شاخوا، وعزير شاب في سنّ ابن خمس وعشرين سنة، فلم يزل عزير يذكر أخاه وولده وقد شاخوا وهم

يذكرون ما يذكّرهم ويقولون: ما أعلمك بأمر قد مضت عليه السنون والشهور؟ ويقول له عزيرة وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة: ما رأيت شاباً في سن خمس وعشرين سنة أعلم بما كان بيني وبين أخي عزير أيّام شبابي منك، فمن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض؟ فقال: يا عزيرة، أنا عزير، سخط الله عليَّ بقول قلته بعد أن اصطفاني وهداني فأماتني مائة سنة ثمّ بعثني لتزدادوا بذلك يقيناً، إنّ الله على كل شيء قدير، وها هو هذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان، فعندها أيقنوا، فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة، ثمّ قبضه الله وأخاه في يوم واحد.

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقام النصارى على أرجلهم، فقال لهم عالمهم: جئتموني بأعلم منّي، وأقعدتموه معكم حتّى هتكني وفضحني، وأعلم المسلمين بأنّ لهم من أحاط بعلومنا وعنده ما ليس عندنا، لا والله لا كلّمتكم من رأسي كلمة واحدة، ولا قعدت لكم إن عشت سنة، فتفرّقوا، وأبي قاعد مكانه وأنا معه».

وروى القطب الراوندي: «إن الديراني أسلم مع أصحابه على يديه عليه السلام».

«ورفع ذلك الخبر إلى هشام، فلمّا تفرّق الناس نهض أبي وانصرف إلى المنزل الذي كنّا فيه، فوافانا رسول هشام بالجائزة، وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس؛ لأنّ الناس ماجوا وخاضوا في ما دار بين أبي وبين عالم النصارى، فركبنا دوابّنا منصرفين».

وفي رواية: **أنّه أمر بحسبه** عليه السلام، فقالوا له: إن أهل الحبس قد تعلّقت قلوبهم بحبّه، فأرسلنا إلى المدينة، وقد سبقنا بريد من عند هشام إلى عامل مدين على طريقنا إلى المدينة أنّ ابني أبي تراب الساحرَين محمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد الكذّابَين فيما يظهران من الإسلام وردا عَلَيَّ، ولمّا صرفتهما إلى المدينة مالا إلى القسّيسين والرهبان من كفّار النصارى وأظهرا لهما دينهما ومرقا من الإسلام إلى الكفر ودين النصارى، وتقرّبا إليهم بالنصرانية، فكرهت أن أُنكّل بهما لقرابتهما، فإذا قرأت كتابي هذا فنادِ في الناس: برئت الذمّة ممّن يشاريهما أو يبايعهما أو يصافحهما أو يسلّم عليهما، فإنّهما قد ارتدّا عن الإسلام، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابّهما وغلمانهما ومن معهما شرّ قتلة.

قال: فورد البريد إلى مدينة مدين، فلمّا شارفنا مدينة مدين قدّم أبي غلمانه ليرتادوا لنا منزلاً ويشتروا لدوابّنا علفاً ولنا طعاماً، فلمّا قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب في وجوهنا وشتمونا وذكروا عليّ بن أبي طالب، فقالوا: لا نزول لكم عندنا ولا شراء ولا بيع، يا كفّار يا مشركين يا مرتدّين يا كذابين يا شرّ الخلائق أجمعين، فوقف غلماننا على الباب حتّى انتهينا إليهم، فكلّمهم أبي وليّن لهم القول وقال لهم:

اتّقوا الله ولا تغلظوا، فلسنا كما بلغكم، ولا نحن كما يقولون، فاسمعونا، فقال لهم:

فهبنا كما تقولون، افتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس.

فقالوا: أنتم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس؛ لأن هؤلاء يؤدّون الجزية وأنتم ما تؤدّون الجزية.

فقال لهم أبي: فافتحوا لنا الباب وأنزلونا وخذوا منّا الجزية كما تأخذون منهم؟

فقالوا: لا نفتح ولا كرامة لكم حتّى تموتوا على ظهور دوابّكم جياعاً نياعاً أو تموت دوابّكم تحتكم، فوعظهم أبي، فازدادوا عتوّاً ونشوزاً.

قال: فثنى أبي رجله عن سرجه ثمّ قال لي: مكانك يا جعفر لا تبرح. ثمّ صعد الجبل المطلّ على مدينة مدين، وأهل مدين ينظرون إليه ما يصنع، فلمّا صار في أعلاه استقبل بوجهه المدينة وحده ثمّ وضع إصبعيه في أذنه، ثم نادى بأعلى صوته: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ - إلى قوله: - ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]، نحن والله بقية الله في أرضه، فأمر الله ريحاً سوداء مظلمة فهبّت واحتملت صوت أبي فطرحته في أسماع الرجال والصبيان والنساء، فما بقي أحد من الرجال والصبيان والنساء إلاّ صعد السطوح وأبي مشرف عليهم، وصعد فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السنّ، فنظر إلى أبي على الجبل، فنادى بأعلى صوته: اتّقوا الله يا أهل مدين، فإنّه قد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب عليه السلام حين دعا على قومه، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من العذاب، وإني أخاف عليكم، وقد أعذر من أنذر، ففزعوا وفتحوا الباب فأنزلونا.

وكتب بجميع ذلك إلى هشام، فارتحلنا في اليوم الثاني، فكتب هشام إلى عامل مدين يأمره بأن يأخذ الشيخ فيقتله، وأخذوه فطمّوه رحمه الله».

وفي رواية: «إن هشام كتب إلى عامل مدين بحمل الشيخ إليه، فمات في الطريق وكتب إلى عامل مدينة الرسول أن يحتال في سمّ أبي في طعام أو شراب، فمضى هشام ولم يتهيأ له في أبي من ذلك شيء».

وروى الكليني في (الكافي) عن زرارة في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «رأيت كأنّي على رأس جبل والنّاس يصعدون إليه من كل جانب حتّى إذا كثروا عليه تطاول بهم في السماء، وجعل الناس يتساقطون عنه من كل جانب حتى لم يبقَ منهم أحد إلاّ عصابة يسيرة، ففعل ذلك خمس مرات، في كل ذلك يتساقط عنه النّاس، وتبقى تلك العصابة، أما إنّ قيس بن عبد الله بن عجلان في تلك العصابة، فما مكث بعد ذلك إلاّ نحو من خمس حتّى هلك».

بيان: كأنّه عليه السلام عبّر ذلك المنام بوفاته.

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) بإسناد معتبر عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«كان زيد بن الحسن يخاصم أبي في ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: أنا من ولد الحسن وأوْلى بذلك منك؛ لأني من ولد الأكبر، فقاسمني ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وادفعه إليَّ، فأتى أبي عليه السلام فخاصمه إلى القاضي، فكان زيد بن عليّ يختلف معه إلى القاضي، فبينما هم كذلك ذات يوم في خصومتهم إذ قال زيد بن الحسن لزيد بن عليّ: اسكت يا بن السنديّة.

فقال زيد بن عليّ: أفٍ لخصومة يذكر فيها الأمهات، والله لا كلّمتك بالفصيح من رأسي أبداً حتّى أموت، وانصرف إلى أبي، فقال: يا أخي، إنّي حلفت يميناً ثقة بك وعلمت أنّك لا تُكرهني، حلفت أن لا أكلم زيد بن الحسن ولا أخاصمه، وذكر ما كان بينهما، فأعفاه أبي واغتنمها زيد بن الحسن فقال: يلي خصومتي محمّد بن عليّ فأعيبه ويؤذيه فيعتدي عليَّ، فعدل على أبي فقال: بيني وبينك القاضي.

فقال: انطلق بنا.

فلما أخرجه قال أبي: يا زيد، إنّ معك سكينة قد أخفيتها، أرأيتك أن نطقت هذه السكينة التي تسترها منّي فشهدت أني أوْلى بالحقّ منك فتكفّ عنّي؟

قال: نعم، وحلف له بذلك.

فقال أبي: أيتها السكينة، انطقي بإذن الله، فوثبت السكينة من يد زيد بن الحسن على الأرض ثمّ قالت: يا زيد، أنت ظالم ومحمّد أحقّ منك وأوْلى، ولئن لم تكفّ لألّين قتلك، فخرّ زيد مغشياً عليه، فأخذ أبي بيده فأقامه.

ثم قال: يا زيد، إن نطقت الصخرة التي نحن عليها أتقبل؟

قال: نعم، فرجفت الصخرة التي ممّا يلي زيد حتّى كادت تفلق ولم ترجف ممّا يلي أبي، ثمّ قالت: يا زيد، أنت ظالم، ومحمد أوْلى بالأمر منك، فكفّ عنه وإلاّ أوليت قتلك، فخرّ زيد مغشياً عليه، فأخذ أبي بيده وأقامه ثمّ قال: يا زيد، أرأيت إن نطقت هذه الشجرة تكفّ؟

قال: نعم، فدعا أبي الشجرة فأقبلت تخدّ الأرض حتى أظلّتهم، ثمّ قالت: يا زيد، أنت ظالم، ومحمّد أحقّ بالأمر منك، فكفّ عنه وإلا قتلتك، فغشي على زيد، فأخذ أبي بيده، وانصرفت الشجرة إلى موضعها، فحلف زيد أن لا يعرض لأبي ولا يخاصمه، فانصرف وخرج زيد من يومه إلى عبد الملك بن مروان، فدخل عليه وقال: أتيتك من عند ساحر كذّاب لا يحلّ لك تركه، وقصّ عليه ما رأى.

وكتب عبد الملك إلى عامل المدينة: أن ابعث إليَّ محمّد بن عليّ مقيداً، وقال لزيد:

أرأيتك إن ولّيتك قتله قتلته؟ قال: نعم، فلمّا انتهى الكتاب إلى العامل، أجاب عبد الملك: ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أمير المؤمنين ولا أردّ أمرك، ولكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة لك وشفقة عليك، وأن الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ولا أزهد ولا أورع منه، وأنّه في محرابه، فتجتمع الطير والسباع تعجباً لصوته، وإنّ قراءته تشبه مزامير داود عليه السلام، وأنه من أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة، وكرهت لأمير المؤمنين التعرّض له، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم.

فلمّا ورد الكتاب على عبد الملك سُرّ بما أنهى إليه الوالي، وعلم أنه قد نصحه، فدعا بزيد بن الحسن فأقرأه الكتاب، فقال: أعطاه وأرضاه.

فقال عبد الملك: فهل تعرف أمراً غير هذا؟

قال: نعم، عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ودرعه وخاتمه وعصاه وتركته، فاكتب إليه فيه، فإن هو لم يبعث به فقد وجدت إلى قتله سبيلاً.

فكتب عبد الملك إلى العامل: أن احمل إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ ألف ألف درهم وليعطك ما عنده من ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله، فأتى العامل منزل أبي فأقرأه الكتاب، فقال: أجّلني أيّاماً، فقال: نعم، فهيّأ أبي متاعاً ثمّ حمله ودفعه إلى العامل، فبعث به إلى عبد الملك وسرّ به سروراً شديداً، فأرسل إلى زيد فعرض عليه، فقال زيد: والله ما بعث إليك من متاع رسول الله صلى الله عليه وآله قليلاً ولا كثيراً.

فكتب عبد الملك إلى أبي: إنّك أخذت مالنا ولم ترسل إلينا بما طلبنا.

فكتب إليه أبي: إنّي قد بعثت إليك بما قد رأيت، فإن شئت كان ما طلبت، وإن شئت لم يكن، فصدّقه عبد الملك وأظهر ذلك لأهل الشام، وقال: هذا متاع رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتيت به، ثمّ أخذ زيداً وقيّده وبعث به، وقال له: لولا أني أريد أن لا أُبتلى بدم أحد منكم لقتلتك، وكتب إلى أبي: بعثت إليك بابن عمّك فأحسن أدبه، فلمّا أُتي به أطلق عنه وكساه.

ثم إنّ زيداً ذهب إلى سرج فسمّه، ثمّ أتى به أبي فناشده: إلاّ ركبت هذا السرج.

قال أبي: ويحك يا زيد، ما أعظم ما تأتي به وما يجري على يديك، إنّي لأعرف الشجرة التي نحت السرج منها، ولكن هكذا قدّر فويل لمن أجرى الله على يديه الشر، فأُسرج له، فركب أبي ونزل متورّماً، فأمر بأكفان له، وكان فيه ثوب أبيض أحرم فيه، وقال: اجعلوه في أكفاني، وعاش ثلاثاً ثم مضى عليه السلام لسبيله، وذلك السرج عند آل محمد صلى الله عليه وآله معلّق، ثمّ إنّ زيد بن الحسن بقي بعده أيّاماً فعرض له داء فلم يزل يتخبّطه ويهوي وترك الصلاة حتى مات».

بيان: قال المجلسي في (البحار): «الظاهر أنّه سقط من آخر الخبر شيء، ويظهر منه أنّ

إهانة زيد وبعثه إلى الباقر عليه السلام إنّما كان على وجه المصلحة، وكان قد واطأه على أن يركبه عليه السلام على سرج مسموم بعث به إليه معه، فأظهر عليه السلام علمه بذلك حيث قال: **أعرف الشجرة التي نُحت السرج منها**، فكيف لا أعرف ما جعل فيه من السمّ، ولكن قدّر أن تكون شهادتي هكذا، فلذا قال عليه السلام: السرّج معلّق عندهم لئلاّ يقربه أحد، أو ليكون حاضراً يوم ينتقم من الكافر في الرجعة.

وقوله: يتخبّطه، أي يفسده الداء ويذهب عقله، ويهوي: أي ينزل في جسده، ولعلّه كان يهذي، من الهذيان، ثم إنّه يشكل بأنّه يخالف ما مرّ من التاريخ، وما سيأتي ولعلّه كان هشام بن عبد الملك فسقط من الرواة أو النسّاخ»، انتهى.

وفي (جلاء العيون) ترجم الحديث بهذا المضمون كما هي عادته.

وروى الكليني بإسناد معتبر عن عبد الحميد بن أبي جعفر الفرّاء، قال: «إنّ أبا جعفر عليه السلام انقلع ضرس من أضراسه فوضعه في كفّه، ثم قال: «**يا جعفر، إذا أنت دفنتني فادفنه معي**»، ثم مكث بعد حين ثمّ انقلع أيضاً آخر، فوضعه على كفّه ثم قال: «**الحمد لله يا جعفر إذا متّ فادفنه معي**».

وروى في (الكافي) و (بصائر الدرجات) وغيرهما، عن الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ أبي مرض مرضاً شديداً حتّى خفنا عليه، فبكى بعض أهله عند رأسه، فنظر إليه فقال: إنّي لست بميت من وجعي هذا، إنّه أتاني اثنان فأخبراني أني لست بميّت من وجعي هذا، قال: فبرىء ومكث ما شاء الله أن يمكث، فبينا هو صحيح ليس به بأس، قال: يا بنيّ، إن اللذين أتياني في وجعي ذاك أتياني فأخبراني أني ميّت يوم كذا وكذا. قال: فمات في ذلك اليوم**»، كذا في (البصائر).

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: «**كتب أبي في وصيّته أن أُكفّنه في ثلاثة أثواب: أحدها رداء له حبرة كان يصلي فيه يوم الجمعة، وثوب آخر وقميص.**

فقلت لأبي: لِمَ تكتب هذا؟

فقال: أخاف أن يغلبك النّاس، وإن قالوا: كفّنه في أربعة أو خمسة فلا تفعل، وعمّمني بعمامة، وليس تعدّ العمامة من الكفن، إنّما يعدّ ما يلف به الجسد».

وفي (الكافي) أيضاً عنه عليه السلام، قال: «**إن أبي** عليه السلام قال لي ذات يوم في مرضه: يا بني، أدخل عليَّ أناساً من قريش من أهل المدينة حتّى أشهدهم؟

قال: فأدخلت عليه أناساً منهم.

فقال: يا جعفر، إذا أنا متّ فغسّلني وكفّني وارفع قبري أربع أصابع، ورشّه بالماء، فلمّا

خرجوا قلت: يا أبتِ، لو أمرتني بهذا صنعته، ولم ترد أن أدخل عليك قوماً تشهدهم، فقال: يا بني، أردت أن لا تُنازع».

وفي (بصائر الدرجات) عن الصادق عليه السلام: «**إنّه أتى أبا جعفر ليلة قُبض** عليه السلام وهو عليه السلام يناجي، فأومأ إليه بيده أن تأخر، فتأخّر حتى فرغ من المناجاة، ثم أتاه فقال: يا بنيّ، إن هذه الليلة التي أُقبض فيها، وهي الليلة التي قُبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: وحدّثني أنّ أباه عليّ بن الحسين عليه السلام أتاه بشراب في الليلة التي قُبض فيها وقال: اشرب هذا، فقال: يا بنيّ، إنّ هذه الليلة التي وُعدت أن أُقبض فيها، فقبض فيها».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن هشام بن سالم، قال: «لمّا كنت الليلة التي قبض فيها أبو جعفر عليه السلام قال: **يا بنيّ هذه الليلة التي وعدتها**، وقد كان وضوؤه قريباً، قال: **أريقوه**، فظننّا أنه يقول من الحمّى.

فقال: **يا بنيّ، أرقه**، فأرقناه، فإذا فيه فأرة».

بيان: هذا الخبر رواه في (الجلاء) عن الصادق عليه السلام مع أنّه كما ترى، ولعلّه بنى ذلك على أنّ الخبر مضمر بقرينة أنّ هشاماً لم يلقَ الباقر عليه السلام، وحينئذٍ فالقائل أبو عبد الله عليه السلام بقرينة قول الباقر عليه السلام: «**يا بنيّ**»، ويكون نسبة الظنّ إلى نفسه مجازاً، أي ظنّ سائر الحاضرين.

وروى الكليني في الصحيح عن أبي بصير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنّ رجلاً كان على أميال من المدينة، فرأى في منامه، فقيل له: انطلق فصلِّ على أبي جعفر، فإن الملائكة تغسّله في البقيع، فجاء الرجل فوجد أبا جعفر** عليه السلام **قد توفّي**».

وعن زرارة في الحسن، قال: «أوصى أبو جعفر ثمانمائة درهم لمأتمه، وكان يرى ذلك من السنّة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **اتّخذوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا**».

وعن يونس بن يعقوب في الموثّق عن أبي عبد الله: «**قال لي أبي: يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى**».

والمشهور أن وفاته عليه السلام كانت في السنة الرابعة عشرة بعد المائة من الهجرة، كما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام، قال: «**قبض محمد بن عليّ الباقر** عليه السلام **وهو ابن سبع وخمسين سنة**».

وقيل: «في سنة مائة وثمانية عشر».

وفي (كشف الغمّة): «سنة ستّة عشر ومائة في سابع ذي الحجّة».

وفي (روضة الواعظين): «قُبض عليه السلام في ذي الحجّة، ويقال: في شهر ربيع الأوّل، ويقال: في شهر ربيع الآخر».

وقال الشهيد وغيره: «إن وفاته عليه السلام كانت في يوم الإثنين سابع ذي الحجّة».

والمشهور أنّ عمره الشريف في وقت وفاته سبعة وخمسون سنة، فعاش مع جدّه الحسين أربع سنين، ومع أبيه تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدّة إمامته ثمانية عشر سنة.

وقيل: «إنّ عمره الشريف ثمانية وخمسون سنة».

وروى في (كشف الغمّة) عن محمّد بن سنان، قال: ولد محمّد الباقر عليه السلام قبل مضيّ الحسين بن علي بثلاث سنين، وتوفّي وهو ابن سبع وخمسين سنة، سنة مائة وأربعة عشر من الهجرة، أقام مع أبيه عليّ بن الحسين خمساً وثلاثين سنة إلاّ شهرين، وأقام بعد مضيّ أبيه تسع عشر سنة، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة».

قال: «وفي رواية أخرى: قام أبو جعفر وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وكان مولده سنة ستّ وخمسين».

وقد تقدّمت رواية الكليني عن أبي بصير في ذلك.

وقد ذكر ابن بابويه وغيره: «إنّه قتل مسموماً بأمر إبراهيم بن الوليد».

وكذا في إقبال ابن طاووس.

وقال بعضهم: «بأمر من هشام بن عبد الملك».

وقد تقدّمت رواية (الخرائج) أنّ ذلك كان بأمر عبد الملك.

وتقدّم الكلام في توجيهها، وقبره بالبقيع من مدينة الرسول باتّفاق علماء الإسلام مع أبيه وجدّه الحسن.

وفي (الكافي) بإسناد معتبر عن عدّة من أصحابنا، قال: «لمّا قبض أبو جعفر أمر أبو عبد الله بالسراج في البيت الذي كان يسكنه حتّى قبض أبو عبد الله، ثمّ أمر أبو الحسن عليه السلام بمثل ذلك في بيت أبي عبد الله حتّى خرج به إلى العراق، ثمّ لا أدري ما كان».

الباب الثامن

في بيان تاريخ الإمام الهمام، والبحر القمقام، مظهر الأسرار والحقائق، وموضّح المسالك والطرائق، وعلم نور المغارب والمشارق، الإمام السادس

أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في بيان نسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه، وولادته، ووفاته عليه أفضل الصلاة والسلام

في (مناقب ابن شهرآشوب): «كان اسمه عليه السلام جعفر، ويكنّى أبا عبد الله، وأبا إسماعيل، والخاصّ أبو موسى، وألقابه: الصادق، والفاضل، والطاهر، والقائم، والكافل، والمنجي».

وفي (كشف الغمّة) و (الفصول المهمّة): «اسمه عليه السلام جعفر، وكنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو إسماعيل، وله ألقاب أشهرها: الصادق، ومنها: الصابر والفاضل والطاهر».

وروى الصدوق في (العلل) و (معاني الأخبار): «إنّه عليه السلام إنّما سمّي الصادق؛ لأنه سيكون في ولده سميّ له يدّعي الإمامة بغير حقّها، ويسمّى كذّاباً».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن أبي خالد، قال: «قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: من الإمام بعدك؟

قال: **محمّد ابني يبقر العلم بقراً، ومن بعد محمّد جعفر، اسمه عند أهل السماء الصادق.**

قلت: وكيف صار اسمه الصادق وكلّكم الصادقون؟

فقال: **حدّثني أبي عن أبيه: أنّ رسول الله** صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسمّوه الصادق، فإنّ الخامس الذي من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذّاب المفتري على الله.

ثمّ بكى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: **كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله والمغيّب في حفظ الله يعني القائم المنتظر**، فكان كما ذكر».

وقال ابن شهرآشوب في (المناقب): «كان عليه السلام رجلاً ربع القامة، أزهر الوجه، حالك الشعر، جعداً، أشمّ الأنف، أنزع رقيق البشرة، على خدّه خال أسود، وعلى جسده حبلان حمرة».

وروى الصدوق في (العيون) و (الأمالي) عن الرضا عليه السلام، قال: «**كان نقش خاتم جعفر بن محمّد: الله وليّي وعصمتي من خلقه**».

وفي (الكافي) عن البزنطي، قال: «كنت عند الرضا عليه السلام فأخرج إلينا خاتم أبي عبد الله، فإذا عليه: أنت ثقتي فاعصمني من النّاس».

وفي رواية أخرى: «أنت ثقتي فاعصمني من خلقك».

وفي رواية أخرى في (الكافي): «اللهمّ أنت ثقتي فقني شرّ خلقك».

وفي (الفصول المهمّة): «نقش خاتمه: ما شاء الله، لا قوّة إلاّ بالله، أستغفر الله».

وفي رواية: «الله عوني وعصمتي من النّاس».

وفي رواية أخرى: «ربّي عصمتي من خلقه».

وفي (الكافي): «ولد أبو عبد الله عليه السلام سنة ثلاث وثمانين، ومضى عليه السلام في شوّال من سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستّون سنة، ودفن بالبقيع، وأمه أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد، وأمّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر».

وقال الشهيد في (الدروس): «ولد عليه السلام بالمدينة يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين، وقُبض بها في شوّال، وقيل: في منتصف شهر رجب يوم الإثنين سنة ثمان وأربعين ومائة عن خمسة وستين سنة، أمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد، وقال الجعفي: اسمها فاطمة، وكنيتها أمّ فروة»، انتهى.

وقال في (كشف الغمّة): «ولد عليه السلام يوم الإثنين سابع عشر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين».

وقال في موضع آخر: «ولد عليه السلام في يوم الجمعة غرّة شهر رجب».

وقال المجلسي في (الجلاء): «لا يضر كون بعض آباء الأنبياء والأوصياء أو أمّهاتهم، كفاراً أو منافقين، بل ينبغي أن لا يكونوا في صلب كافر أو رحم كافرة».

قال: وروى الكليني بإسناد معتبر عنه عليه السلام: «إنّ القاسم بن محمّد كان من المعتمدين المخصوصين بعليّ بن الحسين عليه السلام، وقال عليه السلام: **«إنّ أمي كانت من المؤمنين المتّقين الخيّرين، وإن الله يحبّ الأخيار»**.

وروى الكليني في (الكافي) عن جميل، عن غير واحد أنه قال: «لا تتكلموا في الإمام، فإنّ الإمام يستمع الكلام وهو في بطن أمّه، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فإذا قام بالأمر رفع له في كلّ بلدة منار ينظر إلى أعمال العباد».

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**للإمام عشر علامات: يولد مطهّراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينيه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطّى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عليه وفقاً، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدّث إلى أن تنقضي أيّامه**».

الفصل الثاني

في بيان ما جرى بينه وبين خلفاء الجور الذين كانوا في عصره عليه أفضل الصلاة والسلام

قد وردت جملة من الأخبار المعتبرة أنّ أبا العبّاس السفّاح، الذي هو أوّل خلفاء بني العبّاس، قد استدعى عامله بالمدينة بإرسال الصادق عليه السلام إليه إلى العراق، ولمّا شاهد جملة من معجزاته الباهرة ومناقبه الظاهرة ومكارم أخلاقه عليه السلام لم يقدر على أذيّته وأكرمه، وأرسله إلى المدينة، ولمّا استولى أخوه اللص المنصور الدوانيقي واطّلع على أتباع الصادق عليه السلام وشيعته، استدعى بالصادق عليه السلام إلى العراق أيضاً، وأراد قتله خمس مرّات أو أكثر، ولم يتمكن من ذلك لما رأى من معجزاته الغريبة ومناقبه العجيبة.

وروى الصدوق في (العيون)، وابن شهرآشوب وغيرهما: «إنّه أرسل أبو جعفر الدوانيقي إلى جعفر بن محمّد عليه السلام ليقتله، وطرح له سيفاً ونطعاً، وقال: يا ربيع، إذا أنا كلّمته ثمّ ضربت بإحدى يدي على الأخرى فاضرب عنقه.

فلمّا دخل جعفر بن محمّد ونظر إليه من بعيد تحرّك أبو جعفر على فراشه، وقال: مرحباً وأهلاً بك يا أبا عبد الله، ما أرسلنا إليك إلاّ رجاء أن نقضي دينك ونقضي ذمامك، ثمّ ساءله مساءلة لطيفة عن أهل بيته، وقال: قد قضى الله حاجتك ودَينك وأخرج جائزتك. يا ربيع، لا تمضينّ ثلاثة أيّام حتّى ترجع جعفر إلى أهله.

فلمّا خرج قال له الربيع: يا أبا عبد الله، رأيت السيف إنّما كان وضع لك والنطع، فأي شيء رأيتك تحرّك به شفتيك؟

فقال عليه السلام: **نعم، يا ربيع لمّا رأيت الشرّ في وجهه قلت: حسبي الربّ من المربوبين، وحسبي الخالق من المخلوقين، وحسبي الرازق من المرزوقين، وحسبي الله رب العالمين، حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم**»، كذا في (العيون).

وفي رواية (المناقب) قال الربيع: «فلما خرج أبو عبد الله قلت له: يا أمير المؤمنين، لقد كنت من أشدّ الناس عليه غيظاً، فما الذي أرضاك عنه؟

قال: يا ربيع، لمّا حضرت الباب رأيت تنّيناً عظيماً يقرض بأنيابه، وهو يقول بألسنة

الآدميين: إن أنت أشكت ابن رسول الله ﷺ لأفصلنّ لحمك من عظمك، فأفزعني ذلك وفعلت به ما رأيت».

وروى السيد ابن طاووس رحمه الله في (المهج)، قال: لمّا نزل أبو جعفر المنصور الربذة وجعفر بن محمّد عليه السلام يومئذٍ بها، التفت إلى إبراهيم بن جبلة وقال: يا بن جبلة، قم إليه فضع في عنقه ثيابه، ثمّ ائتني به سحباً.

قال إبراهيم: فخرجت حتّى أتيت منزله فلم أصبه، فطلبته في مسجد أبي ذرّ، فوجدته في باب المسجد، قال: فاستحييت أن أفعل ما أُمرت به، فأخذت بكمّه فقلت له: أجب أمير المؤمنين.

فقال: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون، دعني حتّى أصلي ركعتين** - ثمّ بكى بكاءً شديداً وأنا أخلفه، ثم قال -: **اصنع ما أُمرت به.**

فقلت: والله لا أفعل ولو ظننت أنّي أُقتل، فأخذت بيده فذهبت به، لا والله لا أشك إلا أنّه يقتله.

قال: فلمّا انتهيت إلى باب الستر قال: **يا إله جبرئيل**... الدعاء.

ثم قال إبراهيم: فلمّا أدخلته عليه قال: فاستوى جالساً فقال: والله لأقتلنّك، فقال: **يا أمير المؤمنين، ما فعلت فارفق بي، فوالله لقلّما أصحبك.**

فقال أبو جعفر: انصرف، ثم التفت إلى عيسى بن عليّ فقال له: يا أبا العباس، الحقه فسله: أبي أم به؟

قال فخرج يشتدّ حتّى لحقه فقال: يا أبا عبد الله، إنّ أمير المؤمنين يقول لك: أبِكَ أم به؟ فقال: **لا، بل بي**، فقال أبو جعفر: صدق»، الحديث.

وروى السيّد في (المهج) أيضاً عن محمّد بن الربيع الحاجب، قال: «قعد المنصور يوماً في قصره في القبة الخضراء وكانت قبل قتل محمّد وإبراهيم تدعى الحمراء، وكان له يوم يقعد فيه يسمّى ذلك اليوم يوم الذبح، وقد كان أشخص جعفر بن محمّد عليه السلام من المدينة، فلم يزل في الحمراء نهاره كلّه حتّى جاء الليل ومضى أكثره.

قال: ثمّ دعا أبي الربيع فقال له: يا ربيع، إنّك تعرف موضعك منّي، وأنّي يكون الخبر، ولا تظهر عليه أمّهات الأولاد وتكون أنت المعالج له، فقال: قلت: يا أمير المؤمنين، ذلك من فضل اللهعليّ وفضل أمير المؤمنين، وما فوق النصح غاية.

قال: كذلك أنت، سر الساعة إلى جعفر بن محمّد ابن فاطمة فأتني به على الحال الذي تجده عليه، لا تغيّر شيئاً ممّا هو عليه، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هذا والله هو العطب،

إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله وذهبت الآخرة، وإن لم آتِ به وأوهنت في أمره قتلني وقتل نسلي وأخذ أموالي، فخيّرت بين الدنيا والآخرة، فمالت نفسي إلى الدنيا.

قال محمّد بن الربيع: فدعاني أبي وكنت أفظّ ولده وأغلظهم قلباً.

فقال لي: امض إلى جعفر بن محمّد بن عليّ فتسلّق على حائطه ولا تستفتح عليه باباً فيغيّر بعض ما هو عليه، ولكن أنزل عليه نزولاً، فأتت به على الحال التي هو فيها، قال: فأتيته وقد ذهب الليل إلاّ أقلّه، فأمرت بنصب السلاليم وتسلّقت عليه الحائط فنزلت عليه داره، فوجدته قائماً يصلّي وعليه قميص ومنديل قد ائتزر به، فلمّا سلّم من صلاته قلت له: أجب أمير المؤمنين.

فقال: **دعني أدعو وألبس ثيابي**، فقلت: ليس إلى تركك وذلك سبيل، قال: **فأدخل المغتسل فأتطهّر؟**

قلت: ليس إلى ذلك سبيل، فإني لا أدعك تغيّر شيئاً.

قال: فأخرجته حافياً حاسراً في قميصه ومنديله، وكان عليه السلام قد جاوز السبعين، فلمّا مضى بعض الطريق ضعف الشيخ فرحمته، فقلت له: اركب، فركب بغل شاكري معنا، ثم صرنا إلى الربيع فسمعته وهو يقول له: ويلك يا ربيع، قد أبطأ الرجل، وجعل يستحثه استحثاثاً شديداً، فلمّا أن وقعت عين الربيع على جعفر بن محمّد وهو بتلك الحالة بكى، وكان الربيع يتشيّع.

فقال له جعفر عليه السلام: **يا ربيع، أنا أعلم ميلك إلينا، فدعني أصلي ركعتين وأدعو**، قال: شأنك وما تشاء، فصلّى ركعتين خفّفهما، ثم دعا بعدهما بدعاء لم أفهمه إلاّ أنّه دعاء طويل، والمنصور في ذلك كلّه يستحثّ الربيع، فلمّا فرغ من دعائه على طوله أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور، فلمّا صار في صحن الأيوان وقف ثمّ حرّك شفتيه بشيء لم أدرِ ما هو، ثمّ أدخلته فوقف بين يديه.

فلمّا نظر إليه قال: وأنت يا جعفر، ما تدع حسدك وبغيك وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العبّاس، وما يزيدك الله بذلك إلاّ شدّة حسد ونكد ما تبلغ به ما تقدّره، فقال له: **والله يا أمير المؤمنين، ما فعلت شيئاً من هذا، ولقد كنت في ولاية بني أميّة وأنت تعلم أنّهم أعدى الخلق لنا ولكم، وأنهم لا حقّ لهم في هذا الأمر، فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عنّي شرّ مع جفائهم الذي كان بي، وكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا وأنت ابن عمّي وأمسّ الخلق بي رحماً وأكثرهم عطاءً وبرّاً، فكيف أفعل هذ؟!**

فأطرق المنصور ساعة وكان على لبد وعن يساره مرفقة جُرمقانيّة، وتحت لبده سيف ذو

فقار كان لا يفارقه إذا قعد في القبّة، قال: أبطلت وأثمت، ثمّ رفع ثني الوسادة فأخرج منها إضبارة كتب، فرمى بها إليه وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يبايعونك دوني.

فقال: **والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا أستحلّ ذلك، ولا هو من مذهبي، وإني لمن يعتقد طاعتك على كلّ حال، قد بلغت من السنّ ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته، فصيّرني في بعض حبوسك حتّى يأتيني الموت فهو منّي قريب.**

فقال: لا، ولا كرامة، ثمّ أطرق وضرب يده إلى السيف فسلّ منه مقدار شبر وأخذ بمقبضه، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ذهب والله الرجل، ثم ردّ السيف ثمّ قال: يا جعفر، أما تستحي مع هذه الشيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل وتشقّ عصا المسلمين تريد أن تريق الدماء، وتطرح الفتنة بين الرعيّة والأولياء؟

فقال: **لا والله يا أمير المؤمنين، ما فعلت، ولا هذه كتبي ولا خطّي ولا خاتمي**، فانتضى من السيف ذراعاً.

فقلت: إنّا لله، مضى الرجل وجعلت في نفسي بأنّه إن أمرني فيه بأمر أن أعصيه، لأنني ظننت أنّه يأمرني أن آخذ السيف فأضرب به جعفراً.

فقلت: إن أمرني ضربت المنصور وإن أتى ذلك عليّ وعلى وُلدي، وتبت إلى الله عزّ وجلّ ممّا كنت نويت فيه أوّلاً، فأقبل يعاتبه وجعفر يعتذر، ثم انتضى السيف كلّه إلا شيئاً يسيراً منه، فقلت: إنا لله، مضى والله الرجل، ثم أغمد السيف وأطرق ساعة، ثمّ رفع رأسه وقال له: أظنّك صادقاً.

يا ربيع، هات العيبة - من موضع كانت فيه في القبّة - فأتيته بها.

فقال: أدخل يدك فيها، فكانت مملوّة غالية فوضعها في لحيته وكانت بيضاء فاسودّت، وقال لي: احمله على فاره من دوابّي التي أركبها، وأعطه عشرة آلاف درهم، وشيّعه إلى منزله مكرّماً، وخيّره إذا أتيت به إلى المنزل بين المقام عندنا فنكرمه، والانصراف إلى مدينة جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله، فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرح بسلامة جعفر عليه السلام، ومتعجّب بما أراده المنصور وما صار إليه من أمره، فلمّا صرنا في الصحن قلت له: يا بن رسول الله، إني لأعجب ممّا عمد إليه هذا في بابك وما أصارك الله إليه من كفايته ودفاعه، ولأعجب من أمرك وقد سمعتك تدعو في عقيب الركعتين بدعاء لم أدرِ ما هو، إلاّ أنّه طويل، ورأيتك قد حرّكت شفتيك هٰهنا - أعني الصحن - بشيء لم أدرِ ما هو.

فقال لي: **أمّا الأوّل؛ فدعاء الكرب والشدائد لم أدعُ به على أحد قبل يومئذٍ، جعلته عوضاً من دعاء كثير أدعو به إذا قضيت صلواتي؛ لأنّي لم أترك أن أدعو ما كنت أدعو به.**

وأمّا الذي حركت به شفتي؛ فهو دعاء رسول الله ﷺ يوم الأحزاب - ثم ذكر الدعاء، ثم قال: - **لولا الخوف من أمير المؤمنين لدفعت إليك هذا المال، ولكن قد كنت طلبت منّي أرضي بالمدينة وأعطيتني بها عشرة آلاف دينار فلم أبعك، وقد وهبتها لك.**

قلت: يا بن رسول الله، إنّما رغبتي في الدعاء الأول والثاني، فإذا فعلت هذا فهو البرّ ولا حاجة لي الآن في الأرض.

فقال لي: **إنّا أهل بيت لا نرجع في معروفنا، نحن ننسخك الدعاء ونسلم إليك الأرض، صر معي إلى المنزل**، فصرت معه كما تقدّم المنصور، وكتب لي بعهدة الأرض، وأملى عَلَيَّ دعاء رسول الله ﷺ، وأملى عَلَيَّ الدعاء الذي هو بعد الركعتين.

قال: فقلت: يا بن رسول الله، لقد كثر استحثاث المنصور واستعجاله إيّاي، وأنت تدعو بهذا الدعاء الطويل متمهّلاً كأنّك لم تخشه؟

قال: فقال لي: **نعم، قد كنت أدعو به بعد صلاة الفجر بدعاء لا بدّ منه، فأمّا الركعتان فهما صلاة الغداة خفّفتهما ودعوت بذلك الدعاء بعدهما.**

فقلت له: أما خفت أبا جعفر وقد أعدّ لك ما أعدّ؟

فقال: **خيفة الله دون خيفته، وكان الله** عزّ وجلّ **في صدري أعظم منه.**

قال الربيع: كان في قلبي ما رأيت من المنصور ومن غضبه وحنقه على جعفر، ومن الجلالة له في ساعة ما لم أظنّه يكون في بشر، فلمّا وجدت منه خلوة وطيب نفس قلت: يا أمير المؤمنين، رأيت منك عجباً، قال: ما هو؟

قلت: يا أمير المؤمنين، رأيت غضبك على جعفر غضباً لم أرك غضبته على أحد قط، ولا على عبد الله بن الحسن، ولا على غيره من كلّ النّاس، حتّى بلغ بك الأمر أن تقتله بالسيف، وحتّى أنّك أخرجت من سيفك شبراً ثمّ أغمدته، ثمّ عاتبته، ثمّ أخرجت منه ذراعاً، ثم عاتبته، ثمّ أخرجته كلّه إلاّ شيئاً يسيراً، فلم أشكّ في قتلك له، ثمّ انجلى ذلك كلّه فعاد رضىً حتّى أمرتني فسوّدت لحيته بالغالية التي لا يتغلّف منها إلاّ أنت ولا يغلّف منها ولدك المهدي، ولا من ولّيته عهدك ولا عمومتك، وأجزته وحملته وأمرتني بتشييعه مكرّماً.

فقال: ويحك يا ربيع ليس هو كما ينبغي أن يحدث به، وستره أوْلى، ولا أحبّ أن يبلغ أحداً من ولد فاطمة فيفتخرون ويتباهون بذلك علينا، حسبنا ما نحن فيه، ولكن لا أكتمك شيئاً، انظر من في الدار فنحّهم.

قال: فنحّيت كلّ من في الدار، ثم قال لي: ارجع ولا تثق، ففعلت.

ثم قال لي: ليس إلاّ أنا وأنت، والله لئن سمعت ما ألقيته إليك من أحد لأقتلنّك وولدك وأهلك أجمعين، ولآخذنّ مالك.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أُعيذك بالله.

قال: يا ربيع، قد كنت مصرّاً على قتل جعفر، وأن لا أسمع له قولاً، ولا أقبل منه عذراً، وكان أمره - وإن كان ممّن لا يخرج بسيف - أغلظ عندي، وأهمّ عَلَيَّ من أمر عبد الله بن الحسن، وقد كنت أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أمية، فلمّا هممت به في المرّة الأولى تمثّل لي رسول الله ﷺ، فإذا هو حائل بيني وبينه، باسط كفّيه، حاسر عن ذراعيه، قد عبّس وقطّب في وجهي، فصرفت وجهي عنه، ثمّ هممت به في المرة الثانية وانتضيت من السيف أكثر ممّا انتضيت منه في المرة الأولى، فإذا أنا برسول الله ﷺ قد قرب منّي ودنا شديداً، وهمّ بي أن لو فعلت لفعل، فأمسكت، ثمّ تجاسرت وقلت: هذا بعض أفعال الرئيّ، ثم انتضيت السيف في الثالثة، فتمثّل لي رسول الله ﷺ باسطاً ذراعيه، قد تشمّر واحمرّ وعبّس وقطّب حتّى كاد أن يضع يده علَيَّ، فخفت والله لو فعلت لفعل فكان منّي ما رأيت، وهؤلاء من بني فاطمة لا يجهل حقّهم إلاّ جاهل لا حظّ له في الشريعة، فإيّاك أن يسمع هذا منك أحد.

قال محمد بن الربيع: فما حدّثني أبي به حتّى مات المنصور، وما حدّثت أنا به حتى مات المهدي وموسى وهارون وقتل محمّد.

وروى في (المهج) أيضاً بإسناده عن صفوان الجمّال، قال: «رفع رجل من قريش المدينة من بني مخزوم إلى أبي جعفر المنصور - وذلك بعد قتله لمحمّد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن - أنّ جعفر بن محمّد بعث مولاه المعلّى بن خنيس لجباية الأموال من شيعته، وأنه كان يمدّ بها محمّد بن عبد الله، فكاد المنصور أن يأكل كفّه على جعفر غيظاً، وكتب إلى عمّه داود بن عليّ وهو إذ ذاك أمير المدينة أن يسيّر إليه جعفر بن محمّد، ولا يرخّص له في التلوّم والمقام، فبعث إليه داود بكتاب المنصور وقال: اعمل في المسير إلى أمير المؤمنين في غد ولا تتأخر.

قال صفوان: وكنت بالمدينة يومئذٍ فأنفذ إليَّ جعفر عليه السلام فصرت إليه، فقال لي: **تعهّد راحلتنا فإنّا غادون في غد إن شاء الله إلى العراق**، ونهض من وقته وأنا معه إلى مسجد النبي ﷺ، وكان ذلك بين الأولى والعصر، فركع فيه ركعات، ثمّ رفع يديه فحفظت يومئذٍ من دعائه: يا من ليس له ابتداء - الدعاء.

قال صفوان: سألت أبا عبد الله عليه السلام بأن يعيد الدعاء عليّ فأعاده وكتبته، فلمّا أصبح أبو عبد الله عليه السلام رحّلت له الناقة وسار متوجهاً إلى العراق حتّى قدم مدينة أبي جعفر، وأقبل حتّى استأذن فأذن له.

قال صفوان: فأخبرني بعض من شهده عند أبي جعفر، قال: فلمّا رآه أبو جعفر قرّبه وأدناه، ثمّ استدعى قصّة الرافع على أبي عبد الله عليه السلام يقول في قصّته: إنّ معلّى بن خنيس مولى جعفر بن محمّد يجبي له الأموال من جميع الآفاق، وأنه مدّ بها محمّد بن عبد الله، فدفع إليه القصّة فقرأها أبو عبد الله عليه السلام، فأقبل عليه المنصور وقال: يا جعفر بن محمّد، ما هذه الأموال التي يجبيها لك معلّى بن خنيس؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: **معاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين.**

قال له: تحلف على براءتك من ذلك؟

قال: **نعم، أحلف بالله إنه ما كان من ذلك شيء.**

قال أبو جعفر: لا بل تحلف بالطلاق والعتاق.

فقال أبو عبد الله: **أما ترضى يميني بالله الذي لا إله إلاّ هو؟**

قال له أبو جعفر: فلا تتفقّه عليَّ.

فقال أبو عبد الله: **فأين يذهب بالفقه منّي يا أمير المؤمنين.**

قال له: دع عنك هذا فإنّي أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذي رفع عنك حتّى يواجهك، فأتوا بالرجل وسألوه بحضرة جعفر.

فقال: نعم، هذا صحيح، وهذا جعفر بن محمّد، والذي قلت فيه كما قلت.

فقال أبو عبد الله: **تحلف أيّها الرجل إنّ هذا الذي رفعته صحيح؟**

قال: نعم، ثمّ ابتدأ الرجل باليمين.

فقال: والله الذي لا إله إلاّ هو الطالب الغالب الحيّ القيّوم.

فقال له جعفر عليه السلام: **لا تعجل في يمينك، فإني أنا أستحلف.**

قال المنصور: وما أنكرت من هذه اليمين؟

قال: **إن الله تعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا أثنى عليه أن يعاجله بالعقوبة لمدحه له، ولكن قل يا أيّها الرجل: ابرأ إلى الله من حوله وقوّته، وألجأ إلى حولي وقوّتي إنّي لصادق برّ فيما أقول.** فقال المنصور للقرشي: احلف بما استحلفك به أبو عبد الله، فحلف الرجل بهذه اليمين، فلم يستتمّ الكلام حتى أجذم وخرّ ميتاً، فراع أبا جعفر ذلك وارتعدت فرائصه، فقال: يا أبا عبد الله، سرْ من غد إلى حرم جدّك إن اخترت ذلك، وإن اخترت المقام عندنا لم نأل في إكرامك وبرّك، فوالله لا قبلت عليك قول أحد بعدها أبداً».

وروى أيضاً عن محمّد بن عبيد الله الإسكندري أنّه قال: «كنت من جملة ندماء أمير

المؤمنين المنصور أبي جعفر وخواصّه، وكنت صاحب سرّه من بين الجميع، فدخلت عليه يوماً فرأيته مغتمّاً وهو يتنفس نفساً بارداً.

فقلت: ما هذه الفكرة يا أمير المؤمنين؟

فقال: يا محمّد، لقد هلك من أولاد فاطمة عليها السلام مقدار مائة وقد بقي سيّدهم وإمامهم.

فقلت له: من ذاك؟

قال: جعفر بن محمد الصادق.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنّه رجل أنحلته العبادة، واشتغل بالله عن طلبة الملك والخلافة.

فقال: يا محمد، وقد علمت أنّك تقول به وبإمامته، ولكنّ الملك عقيم، وقد آليت على نفسي أن لا أمسي عشيّتي هذه أو أفرغ منه.

قال محمّد: والله لقد ضاقت عليَّ الأرض برحبها، ثم دعا سيّافاً وقال له: إذا أنا أحضرت أبا عبد الله الصادق وشغلته بالحديث، ووضعت قلنسوتي عن رأسي فهو العلامة بيني وبينك، فاضرب عنقه، ثمّ أحضر أبا عبد الله عليه السلام في تلك الساعة ولحقته في الدار وهو يحرّك شفتيه، فلم أدرِ ما الذي قرأ، فرأيت القصر يموج كأنّه سفينة في لجج البحار، فرأيت أبا جعفر المنصور وهو يمشي بين يديه حافي القدمين، مكشوف الرأس، قد اصطكّت أسنانه، وارتعدت فرائصه، يحمرّ ساعة ويصفرّ أخرى، وأخذ بعضد أبي عبد الله الصادق عليه السلام وأجلسه على سرير ملكه، وجثا بين يديه كما يجثو العبد بين يدي مولاه، ثمّ قال له: يا بن رسول الله، ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟

قال: **جئتك يا أمير المؤمنين طاعة لله** عزّ وجلّ ولرسول الله ولأمير المؤمنين أدام الله عزّه.

قال: ما دعوتك، والغلط من الرسول، ثمّ قال: سل حاجتك.

فقال: **أسألك أن لا تدعوني لغير شغل.**

قال: لك ذلك، وغير ذلك، ثمّ انصرف أبو عبد الله عليه السلام سريعاً، وحمدت الله عزّ وجلّ كثيراً ودعا أبو جعفر المنصور بالدواويج ونام ولم ينتبه إلاّ في نصف الليل، فلمّا انتبه كنت عند رأسه جالساً، فسرّه ذلك وقال لي: لا تخرج حتّى أقضي ما فاتني من صلواتي فأحدثك بحديث، فلمّا قضى صلاته أقبل عليَّ وقال لي: لمّا أحضرت أبا عبد الله الصادق وهممت به ما هممت من السوء رأيت تنّيناً قد حوى بذنبه جميع داري وقصري، وقد وضع شفته العليا في أعلاها والسفلى في أسفلها، وهو يكلّمني بلسان طلق ذلق عربي مبيّن: يا منصور، إنّ الله تعالى جدّه قد بعثني إليك وأمرني إن أنت أحدثت في أبي عبد الله الصادق حدثاً فإني أبتلعك

ومن في دارك جميعاً، فطاش عقلي، وارتعدت فرائصي، واصطكت أسناني».

قال محمّد بن عبد الله الإسكندري: قلت له: ليس هذا بعجيب يا أمير المؤمنين، وعنده من الأسماء وسائر الدعوات التي لو قرأها على الليل لأنار، ولو قرأها على النهار لأظلم، ولو قرأها على الأمواج في البحور لسكنت.

قال محمّد: فقلت له بعد أيّام: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أخرج إلى زيارة أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فأجاب ولم يأب، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام وسلّمت وقلت له: أسألك يا مولاي بحقّ جدّك محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله أن تعلّمني الدعاء الذي كنت تقرأه عند دخولك إلى أبي جعفر المنصور، قال: **لك ذلك**، ثمّ علّمه عليه السلام الدعاء».

وروى أيضاً عن قيس بن الربيع، عن أبيه، قال: «دعاني المنصور يوماً وقال: أما ترى ما هو هذا يبلغني عن هذا الحبشي؟

قلت: ومن هو يا سيّدي؟

قال: جعفر بن محمّد، والله لأستأصلنّ شأفته، ثمّ دعا بقائد من قوّاده فقال: انطلق إلى المدينة في ألف رجل، فاهجم على جعفر بن محمّد، وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر في مسيرك، فخرج القائد من ساعته حتى قدم المدينة، وأخبر جعفر بن محمّد، فأمر فأُتي بناقتين فأوثقهما على باب البيت ودعا بأولاده موسى وإسماعيل ومحمّد وعبد الله، فجمعهم وقعد في المحراب، وجعل يهمهم.

قال أبو نصر: فحدّثني سيّدي موسى بن جعفر: **إن القائد هجم عليه، فرأيت أبي وقد همهم بالدعاء** فأقبل القائد وكلّ من كان معه فقال: خذوا رأسي هذين القائمين، فاحتزّوا رؤوسهما، ففعلوا وانطلقوا إلى المنصور، فلمّا دخلوا عليه اطّلع المنصور في المخلاة التي كان فيها الرأسان فإذا هما رأسا ناقتين.

فقال المنصور: وأي شيء هذا؟

قال: يا سيدي ما كان بأسرع من أنّي دخلت البيت الذي فيه جعفر بن محمّد، فدار رأسي ولم أنظر ما بين يدي، فرأيت شخصين قائمين خيّل إليَّ أنهما جعفر وموسى ابنه، فأخذت رأسيهما.

فقال المنصور: اكتم عليَّ، فما حدّثت به أحداً حتى مات.

قال الربيع: فسألت موسى بن جعفر عن الدعاء، فقال: **سألت أبي عن الدعاء فقال: هو دعاء الحجاب**، وذكر الدعاء».

الفصل الثالث

في بيان وقت شهادته عليه السلام

لا خلاف بين كافّة العلماء في أنّ وفاته عليه السلام كانت في السنة الثامنة والأربعين بعد المائة من الهجرة، والأشهر كون وفاته عليه السلام في شهر شوّال.

وقيل: «يوم الإثنين منتصف رجب، والأكثر على أنّ عمره كان خمساً وستّين سنة».

وقيل: «ثمانية وستّين سنة».

ونقل في (كشف الغمّة) عن محمّد بن سعيد: «أن عمره إحدى وسبعون سنة».

وقال ابن الخشّاب: «وبالإسناد الأوّل عن محمّد بن سنان: مضى أبو عبد الله عليه السلام وهو ابن خمس وستّين سنة».

ويقال: ثمان وستين سنة، في سنة مائة وثمان وأربعين.

وكان مولده سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، وكان مقامه مع جدّه عليّ بن الحسين عليه السلام اثني عشرة سنة وأيّاماً.

وفي الثانية: كان مقامه مع جدّه خمس عشرة سنة، وتوفّي أبو جعفر عليه السلام ولأبي عبد الله عليه السلام أربع وثلاثون سنة في إحدى الروايتين، وأقام بعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة، وكان عمره في إحدى الروايتين خمساً وستّين سنة، وفي الرواية الأخرى: ثمان وستّين سنة، والأولى هي الصحيحة»، انتهى.

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر عن أبي بصير، قال: قبض أبو عبد الله جعفر بن محمّد وهو ابن خمس وستّين سنة في عام ثمان وأربعين ومائة، وعاش بعد أبي جعفر عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة».

وقال الطبرسي في (إعلام الورى): «كان في أيام إمامته بقيّة ملك هشام بن عبد الملك، وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وملك يزيد بن الوليد الملقّب بالناقص، وملك إبراهيم بن الوليد، وملك مروان بن محمّد الحمار، ثمّ ثارت المسودّة من أهل خراسان مع أبي مسلم سنة اثنين وثلاثين ومائة، فملك أبو العبّاس عبد الله الملقّب بالسفّاح أربع سنين وثمانية أشهر.

ثم ملك أخوه أبو جعفر عبد الله الملقّب بالمنصور إحدى وعشرين سنة وأحدَ عشر شهراً، وتوفّي الصادق عليه السلام بعد عشر سنين من ملكه»، انتهى.

وقيل: «بعد مضي سنتين من ملك المنصور توفّي الصادق عليه السلام».

وقيل: «إن ابتداء إمامته عليه السلام في خلافة إبراهيم بن الوليد».

وقال ابن شهرآشوب في (المناقب): «قال أبو جعفر القمّي: سمّه المنصور ودفن في البقيع».

وفي (إقبال ابن طاووس): «وضاعف العذاب على من شرك في دمه، وهو المنصور».

وقيل: «إن اللعين جعل له السمّ في العنب».

وفي (الكافي) عن الكاظم عليه السلام، قال: «**لمّا حضر أبي الوفاة قال لي: يا بنيّ، إنّه لا تنال شفاعتنا من استخف بالصلاة**».

وفي (غيبة الطوسي) عن سالمة مولاة أبي عبد الله عليه السلام، قالت: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حين حضرته الوفاة، وأُغمي عليه، فلمّا أفاق قال: **أعطوا الحسن بن عليّ بن عليّ بن الحسين** عليه السلام، وهو الأفطس، **سبعين ديناراً، وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا**، فقلت: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك؟

فقال: **تريدين أن لا أكون من الذين قال الله** عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]. نعم يا سالمة إنّ الله خلق الجنة فطيّبها وطيّب ريحها، وأن ريحها ليوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم».

وروى الكليني في (الكافي) عن يونس بن يعقوب في الموثّق عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام، قال: «سمعته يقول: «**أنا كفّنت أبي في ثوبين شطوين، كان يحرم فيهما، وفي قميص من قمصه، وفي عمامة كانت لعليّ بن الحسين** عليه السلام، وفي برد اشتريته بأربعين ديناراً».

وعن عدة من أصحابنا قال: «لما قُبض أبو جعفر عليه السلام أمر أبو عبد الله عليه السلام بالسراج في البيت الذي كان يسكنه، حتّى قُبض أبو عبد الله عليه السلام، ثم أمر أبو الحسن عليه السلام بمثل ذلك في بيت أبي عبد الله، حتى خرج به إلى العراق، ثمّ ما أدري ما كان».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب)، والطبرسي في (إعلام الورى) عن الكليني والشيخ في غيبة الطوسي، عن أبي أيّوب الجزري، قال: «بعث إليَّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل، فدخلت عليه وهو جالس على كرسيّ وبين يديه شمعة، وفي يده كتاب، فلمّا سلّمت عليه رمى الكتاب إليَّ وهو يبكي، وقال: هذا كتاب محمّد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمد قد مات، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ثلاثاً، وأين مثل جعفر.

ثم قال لي: اكتب، فكتبت صدر الكتاب.

ثمّ قال: اكتب: إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه فرجع الجواب إليه: أنّه

قد أوصىٰ إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور ومحمّد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة، فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل».

بيان: إنّما فعل ذلك عليه السلام لعلمه عليه السلام بأنّه لو عيّن أحداً لقتلوه، ويرشد إلى ذلك ما رواه ابن شهرآشوب في (المناقب) عن داود بن كثير الرقّي، قال: «أتى أعرابي إلى أبي حمزة الثمالي فسأله خبراً.

فقال: توفّي جعفر الصادق عليه السلام، فشهق شهقة وأُغمي عليه، فلمّا أفاق قال: هل أوصى إلى أحد؟

قال: نعم أوصى إلى ابنه عبد الله وموسى وأبي جعفر المنصور، فضحك أبو حمزة وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى الهدى، وبيّن لنا عن الكبير، ودلّنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم، فسئل عن قوله: فقال: بيّن عيوب الكبير، ودلّ على الصغير؛ لإضافته إيّاه وكتم الوصيّة للمنصور، لأنه لو سئل المنصور عن الوصيّ لقيل: أنت».

الفصل الرابع

في بيان بعض ما جرى على أقربائه وشيعته من الظلم والجور في زمانه عليه السلام

روى الصدوق في (العيون): «إنّه لمّا بنى المنصور الأبنية ببغداد، وجعل يطلب العلويّة طلباً شديداً، ويجعل من ظفر به منهم في الاسطوانات المجوّفة المبنيَّة من الجصّ والآجر.

فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه، عليه شعر أسود، من ولد الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فسلّمه إلى البنّاء الذي كان يبني له، وأمره أن يجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه، ووكّل به من ثقاته من يرعى ذلك حتى يجعله في جوف اسطوانة بمشهده، فجعله البنّاء في جوف اسطوانة، فدخلته رقّة عليه ورحمة له، فترك في الاسطوانة فرجة يدخل منها الريح، وقال للغلام: لا بأس عليك، فاصبر فإنّي سأخرجك من جوف هذه الاسطوانة إذا جنّ الليل.

فلمّا جنّ الليل جاء البنّاء في ظلمته وأخرج ذلك العلويّ من جوف تلك الاسطوانة، وقال له: اتّق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغيّب شخصك، فإنّي إنما أخرجتك في ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الاسطوانة لأنّي خفت إن تركتك في جوفها أن يكون جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة خصمي بين يدي الله عزّ وجلّ، ثم أخذ شعره بآلات الجصّاصين ما أمكن وقال له: غيّب شخصك وانج بنفسك ولا ترجع إلى أمّك.

قال الغلام: فإن كان هذا هكذا فعرّف أمي أنّي قد نجوت وهربت، لتطيب نفسها ويقلّ جزعها وبكاؤها إن لم يكن لعودي إليها وجه، فهرب الغلام ولا يدرى أين قصد من أرض الله ولا إلى أي بلد وقع.

قال ذلك البنّاء: وقد كان الغلام عرّفني مكان أمّه، وأعطاني العلامة، فانتهيت إليها في الموضع الذي كان دلّني عليه، فسمعت دوياً كدويّ النحل من البكاء، فعلمت أنها أمّه، فدنوت منها وعرّفتها خبر ابنها، وأعطيتها شعره وانصرفت».

الباب التاسع

في بيان تاريخ الإمام العليم، والهمام الحليم، سيد البشر، وشافع يوم المحشر

أبي إبراهيم موسى بن جعفر

عليه وعلى آبائه وأبنائه التحية والسلام

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في بيان ولادته، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه السلام

اسمه عليه السلام: موسى، وكنيته: أبو الحسن، وأبو إبراهيم، وأبو عليّ، وأبو إسماعيل، وأشهرها: أبو الحسن.

وألقابه الشريفة: الكاظم، والصابر، والصالح، والأمين، وأشهرها الكاظم.

وأبوه: جعفر الصادق عليه السلام، وأمه: أم ولد يقال لها: حميدة البربريّة.

ويقال لها أيضاً: حميدة المصفّاة.

وقيل: «أندلسيّة».

وكان نقش خاتمه عليه السلام برواية (العيون) و (الأمالي) عن الرضا عليه السلام: «**حسبي الله**».

وفي (الفصول المهمّة) أنّه كان: «الملك لله وحده».

وولد عليه السلام بالأبواء، وهو منزل بين مكّة والمدينة، لسبع خلون من صفر.

والأشهر أنّ ولادته عليه السلام كانت في السنة التاسعة والعشرين بعد المائة، وكان ذلك يوم الأحد سابع عشر من صفر المظفّر.

وروى ثقة الإسلام في (الكافي) والقطب الراوندي وغيرهما عن عيسى بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: «دخل ابن عكاشة بن محصن الأسدي على أبي جعفر عليه السلام، فكان أبو عبد الله عليه السلام قائماً عنده، فقدّم إليه عنباً، فقال: **حبّة حبّة يأكله الشيخ الكبير أو الصبي الصغير، وثلاثة وأربعة من يظن أنّه لا يشبع، فكله حبّتين، فإنّه يستحب.**

فقال لأبي جعفر عليه السلام: لأيّ شيء لا تزوّج أبا عبد الله عليه السلام، فقد أدرك التزويج، وبين يديه صرّة مختومة.

فقال: **سيجيء نخّاس من بربر ينزل دار ميمون، فتشتري له بهذه الصرّة جارية.**

قال: فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يوماً على أبي جعفر عليه السلام فقال: **ألا أخبركم عن النخّاس الذي ذكرته لكم قد قدم فاذهبوا واشتروا بهذه الصرة منه جارية**، فأتينا النخّاس فقال: قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين إحداهما أمثل من الأخرى.

قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما، فأخرجهما.

فقلنا: بكم تبيع هذه الجارية المتماثلة؟

قال: بسبعين ديناراً.

قلنا: أحسن.

قال: لا أُنقص من سبعين ديناراً.

فقلنا: نشتريها منك بهذه الصرّة ما بلغت، وما ندري ما فيها، فكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية قال: فكّوا الخاتم وزنوا.

فقال النخّاس: لا تفكّوا فإنها إن نقصت حبّة من السبعين لم أبايعكم.

قال الشيخ: زنوا.

قال: فككنا ووزنّا الدنانير فإذا هي سبعون ديناراً لا تزيد ولا تنقص، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام وجعفر قائم عنده، فأخبرنا أبا جعفر عليه السلام بما كان، فحمد الله ثم قال لها: **ما اسمك؟**

قالت: حميدة.

فقال: **حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة، أخبريني عنك أبكر أم ثيّب؟**

قالت: بكر.

قال: وكيف، ولا يقع في يد النخّاسين شيء إلا أفسدوه؟

قالت: كان يجيئني فيقعد منّي مقعد الرجل من المرأة فيسلّط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية ولا يزال يلطمه حتّى يقوم عني، ففعل بي مراراً، ففعل الشيخ مراراً.

فقال عليه السلام: **يا جعفر خذها إليك**، فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر».

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قال: «**حميدة مصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتّى أُديّت إليَّ كرامة من الله لي، والحجّة من بعدي**».

وفي بعض الروايات: «أنّها رأت في المنام أنّ القمر نزل واستقرّ في حجرها قبل أن يشتريها».

وروى الكليني، والصفّار في (البصائر)، والبرقي في (المحاسن) وغيرهم، عن أبي بصير قال: «حججنا مع أبي عبد الله عليه السلام في السنة التي ولد فيها ابنه موسى عليه السلام، فلمّا نزلنا الأبواء وضع لنا الغداء، وكان إذا وضع الطعام لأصحابه أكثره وأطابه، قال: فبينا نحن نأكل إذ أتاه رسول حميدة فقال: إنّ حميدة تقول لك: إنّي قد أنكرت نفسي وقد وجدت ما كنت أجد إذا حضرتني ولادتي، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابني هذا.

فقام أبو عبد الله عليه السلام فرحاً مسروراً، فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنّه، فقلنا: أضحك الله سنّك، وأقرّ عينك، ما صنعت حميدة؟

فقال: وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأه الله في خلقه، وقد أخبرتني حميدة بخبر ظنّت أنّي لا أعرفه، ولقد كنت أعلم به منها.

فقلت: وما أخبرتك به حميدة؟

قال: ذكرت أنّه لما سقط من بطنها سقط واضعاً يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، فأخبرتها أنّ تلك أمارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارة الوصيّ من بعده.

فقلت: وما هذا من علامة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلامة الوصيّ من بعده؟

فقال: يا أبا محمد، إنه لما كان في الليلة التي علق بجدّي فيها، أتى آتٍ جدّ أبي وهو راقد فأتاه بكأس فيها شربة أرقّ من الماء وأبيض من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، وأبرد من الثلج، فسقاه إياه وأمره بالجماع، فقام فرحاً مسروراً فجامع فعلق بجدّي.

ولمّا كان في الليلة التي علق فيها بأبي، أتى آتٍ جدّي فسقاه كما سقى جدّ أبي وأمره بالجماع، فقام فرحاً مسروراً فجامع، فعلق بأبي.

ولمّا كان في الليلة التي علق فيها بي أتى آتٍ أبي فسقاه وأمره كما أمرهم، فقام فرحاً مسروراً فجامع فعلق بي.

ولمّا كان في الليلة التي علق فيها بابني هذا، أتاني آت كما أتى جدّ أبي وجدي وأبي فسقاني كما سقاهم، وأمرني كما أمرهم، فقمت فرحاً مسروراً بعلم الله بما وهب لي، فجامعت فعلق بابني هذا المولود، فدونكم، فهو والله صاحبكم من بعدي. إنّ نطفة الإمام ممّا أخبرتك، فإذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر وأنشأ فيها الروح بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكاً يقال له: حيوان، فكتب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فإذا وقع من بطن أمّه وقع واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، فإذا وضع يديه على الأرض، فإنّ منادياً يناديه من بطنان العرش من قِبل ربّ العزة من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه: يا فلان ابن فلان، اثبت ثلاثاً لعظيم خلقتك. أنت صفوتي من خلقي، وموضع سرّي، وعيبة علمي، وأميني على وحيي، وخليفتي في أرضي، ولمن تولاّك أوجبت رحمتي، ومنحت جنّاتي، وأحللت جواري، ثم وعزّتي لأصلينّ من عاداك أشد عذابي، وإن وسّعت عليهم في الدنيا رزقي.

قال: فإذا انقضى صوت المنادي أجابه هو وهو واضع يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء ويقول: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال: فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأوّل والعلم الآخر، واستحق زيارة الروح في ليلة

القدر، قلت: والروح ليس هو جبرئيل؟ قال: **لا، الروح خلق أعظم من جبرئيل. إنّ جبرئيل لمن الملائكة، والروح خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤]»**.

وروى البرقي في (المحاسن) بإسناد معتبر عن منهال القصّاب، قال: «خرجت من مكّة وأنا أريد المدينة، فمررت بالأبواء وقد ولد لأبي عبد الله عليه السلام فسبقته إلى المدينة ودخل بعدي بيوم، فأطعم النّاس ثلاثاً فكنت آكل فيمن يأكل، فما آكل شيئاً إلى الغد حتّى أعود فآكل، فكنت بذلك ثلاثاً أطعم حتّى ارتفق، ثم لا أُطعم شيئاً إلى الغد».

الفصل الثاني

في بيان تاريخ شهادته عليه السلام، وما وقع عليه من الظلم والجور من خلفاء الجور

قال الطبرسي في (إعلام الورى): «قُبض عليه السلام ببغداد في حبس السندي بن شاهك لخمس بقين من رجب، وقيل: لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وله يومئذٍ خمس وخمسون سنة.

وكانت مدّة إمامته عليه السلام خمساً وثلاثين سنة، وقام بالأمر وله عشرون سنة، وكانت في أيّام إمامته بقيّة ملك المنصور أبي جعفر، ثمّ ملك ابنه المهديّ عشر سنين وشهراً، ثم ملك ابنه الهادي موسى بن محمّد سنة وشهراً، ثم ملك هارون بن محمّد الملقّب بالرشيد، واستشهد بعد مضيّ خمس عشرة سنة من ملكه مسموماً في حبس السندي بن شاهك، ودفن بمدينة السلام في المقبرة المعروفة بمقابر قريش».

والذي يظهر من السير والأخبار أنّ المنصور لم يتعرّض ظاهراً لأذيّته، والمهدي طلبه إلى العراق وحبسه، ولمّا شاهد منه معجزات كثيرة لم يتعرّض له وردّه إلى المدينة، والهادي لم يتعرّض له ظاهراً، والرشيد قد سمّه في الحبس.

وأمّا السبب في حبس هارون له وسمّه عليه السلام فقد رواه الصدوق وغيره، عن صالح بن عليّ بن عطيّة وغيره، والحديث نقلناه ملفقاً كما صنعه المجلسي في (الجلاء)، قال: «كان السبب في وقوع موسى بن جعفر عليه السلام إلى بغداد أنّ هارون الرشيد أراد أن يعقد الأمر لابنه محمّد بن زبيدة، وكان له من البنين أربعة عشر ابناً، فاختار ثلاثة: محمد بن زبيدة، وجعله وليّ عهده، وعبد الله المأمون، وجعل الأمر له بعد ابن زبيدة، والقاسم المؤتمن وجعل الأمر له بعد المأمون، وكان الرشيد قد جعل ابنه الأمين في حجر جعفر بن محمّد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد البرمكي وقال: إن أفضيت الخلافة إليه زالت دولتي ودولة ولدي، وتحوّل الأمر إلى جعفر، فاحتال على جعفر بن محمّد - وكان يقول بالإمامة - حتّى داخله وأنس إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره، فيرفعه إلى الرشيد ويزيد عليه بما يقدح في قلبه ويقول: إنّه يبعث الخمس من كلّ ما يقع في يده إلى موسى بن جعفر، وكان الرشيد يرعى له موضعه وموضع أبيه من نصرة الخلافة، فكان يقدّم في أمره ويؤخر.

ثمّ إنّ الرشيد قال يوماً لبعض ثقاته: أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس واسع الحال يعرّفني ما أحتاج إليه، فدلّ على عليّ بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد. - وفي رواية أخرى:

محمّد بن إسماعيل - فحمل إليه يحيى بن خالد مالاً، وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأنس إليه ويصله، وربّما أفضى إليه بأسراره كلّها، فكتب ليشخص به، فأحسّ موسى عليه السلام بذلك، فدعاه فقال: **إلى أين يابن أخي؟**

قال: إلى بغداد.

قال: **وما تصنع؟**

قال: عليّ دين وأنا مملق.

قال: **فأنا أقضي دينك وأفعل بك وأصنع**، فلم يلتفت إلى ذلك.

فقال له: **انظر يا بن أخي، لا توتم أولادي**، وأمر له بثلثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فلمّا قام من بين يديه قال أبو الحسن موسى عليه السلام لمن حضره: **والله ليسعينّ في دمي، وليوتمنّ أولادي.**

فقالوا له: جعلنا الله فداك، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله؟

فقال لهم: **نعم، حدّثني أبي عن آبائه، عن رسول الله** صلى الله عليه وآله: إن الرحم إذا قطعت فوصلت قطعها الله، فخرج عليّ بن إسماعيل حتّى أتى إلى يحيى بن خالد فتعرّف منه خبر موسى بن جعفر ورفعه إلى الرشيد وزاد عليه».

وفي (العيون): «إنّه حين دخل على هارون سلّم عليه بالخلافة، ثم قال له: ما ظننت أنّ في الأرض خليفتين حتّى رأيت أخي موسى بن جعفر عليه السلام يسلّم عليه بالخلافة، وقال له: إنّ الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وأنّ له بيوت أموال، فأمر له بمائتي ألف درهم، فلمّا رجع إلى داره عرض له عارض في حلقه، فمات في تلك الليلة ولم ينتفع بتلك الدراهم التي باع بها آخرته - وفي رواية أخرى: أنّه دخل في بعض الأيّام إلى الخلاء فزحر زحرة خرجت منها أحشاؤه كلّها، فسقط وجهدوا في ردّها فلم يقدروا، فوقع لما به، وجاءه المال وهو ينازع، فقال: ما أصنع به وأنا في الموت، فردّوا الأموال إلى خزانة الخليفة -.

ثمّ إنّ الرشيد أراد أن يحكم الأمر لولده ويشهره شهرة يقف عليها الخاصّ والعامّ، فحجّ في سنة تسع وسبعين ومائة وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقرّاء والأمراء أن يحضروا مكّة أيّام الموسم ليأخذ البيعة لولده فأخذ هو طريق المدينة».

وروى الصدوق في (العيون) عن يعقوب بن داود، قال في الليلة التي أُخذ موسى بن جعفر عليه السلام في صبيحتها قال: «كنت عند الوزير الساعة - يعني يحيى بن خالد - فحدثني أنه سمع الرشيد يقول عند رسول الله صلى الله عليه وآله كالمخاطب له: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، إنّي أعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه، وإنّي أريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه لأنّي خشيت أن

يُلقي بين أُمتك حرباً يسفك فيها دماءهم، وأنا أحسب أنّه سيأخذه غداً، فلمّا كان من الغد أرسل إليه الفضل بن الربيع وهو قائم في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر بالقبض عليه وحبسه».

وروى في (العيون) أيضاً عن محمّد بن سليمان النوفلي، قال: «سمعت أبي يقول: لمّا قبض الرشيد على موسى بن جعفر قبض عليه وهو عند رأس النبي صلى الله عليه وآله قائماً يصلي، فقطع عليه صلاته، وحمل وهو يبكي ويقول: **إليك أشكو يا رسول الله ما ألقى**، وأقبل النّاس من كل جانب يبكون ويضجّون، فلمّا حمل إلى الرشيد شتمه وجفاه، فلمّا جنّ الليل أمر بقبّتين فهيّئتا له، فحمل موسى بن جعفر عليه السلام إلى إحداهما في خفاء، ودفعه إلى حسّان السروي وأمره أن يسير به في قبّة إلى البصرة فيسلّمه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر، وهو أميرها، ووجّه قبّة أخرى علانية نهاراً إلى الكوفة معها جماعة ليعمّي على النّاس أمر موسى بن جعفر، فقدم حسّان البصرة قبل التروية بيوم، فدفعه إلى عيسى بن جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك وشاع أمره، فحبسه عيسى في بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه، وأقفل عليه، وشغله عنه العيد، فكان لا يفتح عنه الباب إلاّ في حالتين: حال يخرج فيها إلى الطهور، وحال يُدخل إليه فيها الطعام.

قال أبي: فقال لي الفيض بن أبي صالح - وكان نصرانياً ثم أظهر الإسلام وكان زنديقاً، وكان يكتب لعيسى بن جعفر، وكان بي خاصّاً، فقال: - يا أبا عبد الله، لقد سمع هذا الرجل الصالح في أيّامه هذه في هذه الدار التي هو فيها من ضروب الفواحش والمناكير ما أعلم، ولا أشك أنّه لم يخطر بباله».

وفي (غيبة الطوسي): «إن عيسى بن جعفر حبسه عنده سنة ثمّ كتب إلى الرشيد: أن خذه مني وسلّمه إلى من شئت، وإلاّ خلّيت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجّة فما أقدر على ذلك، حتّى إني لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عَلَيَّ أو عليك، فما أسمعه يدعو إلاّ لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة».

وحكى بعض من كان موكّلاً بتفحّص أحواله عليه السلام من جواسيس عيسى، قال: «كنت كثيراً ما أسمع من موسى بن جعفر عليه السلام في تلك الأيّام التي هو في الحبس يقول: **اللهمّ إني كثيراً ما كنت أسألك أن توفّق لي خلوة وعزلة وفراغ خاطر لعبادتك وإطاعتك، فكيف أشكر هذه النعمة وقد استجبت لي دعائي، وبلّغتني مناي**، ثمّ إنّه لما بلغ الرشيد كتاب عيسى وجّه من تسلّمه منه وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد».

وروى الصدوق في (العيون) و (الأمالي) عن عبد الله الغروي، قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال: ادن منّي، فدنوت منه حتّى حاذيته، ثمّ قال لي: أشرف إلى البيت في الدار، فأشرفت، فقال: ما ترى؟

قلت: ثوباً مطروحاً.

فقال: أنظر حسناً، فتأملت ونظرت فتيقّنت.

فقلت: رجل ساجد.

فقال لي: تعرفه؟

قلت: لا.

قال: هذا مولاك.

قلت: ومن مولاي؟

فقال: تتجاهل عليَّ؟

فقلت: ما أتجاهل ولكنّي لا أعرف لي مولىً.

فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، إني أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلاّ على الحالة التي أُخبرك بها، إنه يصلّي الفجر فيعقّب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثمّ يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس، وقد وكّل من يترصد الزوال، فلست أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس إذ يثب فيبتدىء بالصلاة من غير أن يجدّد وضوءاً فأعلم أنه لم ينم في سجوده ولا غفا، فلا يزال كذلك حتّى يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلّى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة، فإذا صلّى العتمة أفطر على شويّ يؤتى به، ثمّ يجدد الوضوء ثم يسجد ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة، ثمّ يقوم فيجدد الوضوء فلا يزال يصلّي في جوف الليل حتّى يطلع الفجر، فلست أدري متى يقول الغلام: إن الفجر قد طلع، إذ قد هو لصلاة الفجر، فهذا دأبه منذ حوّل إلى الآن.

فقلت: اتّق الله ولا تحدثنّ في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءاً إلاّ كانت نعمته زائلة؟

فقال: قد أرسلوا إليّ في غير مرّة يأمروني بقتله فلم أُجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أني لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني»، الحديث.

وفي (العيون) أيضاً عن الفضل بن الربيع، قال: «كنت أحجب الرشيد، فأقبل عليَّ يوماً غضبان وبيده سيف يقلّبه، فقال لي: يا فضل، بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله لئن لم تأتني بابن عمّي لآخذنَّ الذي فيه عيناك، فقلت: بمن أجيئك؟

فقال: بهذا الحجازي.

قلت: وأيّ الحجازيّين؟

قال: موسى بن جعفر.

قال الفضل: فخفت من الله عزّ وجلّ إن جئت به إليه، ثمّ فكرت في النعمة فقلت له: أفعل، فقال: ائتني بسوطين وهنبازين وجلاّدين.

قال: فأتيته بذلك ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، فأتيت إلى خربة فيها كوخ من جرائد النخل، فإذا أنا بغلام أسود فقلت له: استأذن لي على مولاك يرحمك الله، فقال لي: لج ليس له حاجب ولا بوّاب، فولجت إليه، فإذا أنا بغلام أسود بيده مقصّ يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده، فقلت له: السلام عليك يا بن رسول الله، أجب الرشيد.

فقال: **ما للرشيد وما لي؟ أما تشغله نعمته عني**، ثم قام مسرعاً وهو يقول: **لولا أنّي سمعت في خبر عن جدّي رسول الله** صلى الله عليه وآله: إنّ طاعة السلطان للتقيّة واجبة، إذاً ما جئت، فقلت له: استعدّ للعقوبة يا أبا إبراهيم رحمك الله.

فقال عليه السلام: **أليس معي من يملك الدنيا والآخرة! ولن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله**. قال الفضل بن الربيع: فرأيته وقد أدار يده يلوّح بها على رأسه ثلاث مرّات، فدخلت إلى الرشيد فإذا هو كأنّه امرأة ثكلى قائم حيران، فلمّا رآني قال لي: يا فضل، فقلت: لبّيك.

فقال: جئتني بابن عمّي؟ قلت: نعم.

قال: لا تكون أزعجته؟ فقلت: لا.

قال: لا تكون أعلمته أنّي عليه غضبان، فإنّي قد هيّجت على نفسي ما لم أرده. ائذن له بالدخول، فأذنت له، فلمّا رآه وثب إليه قائماً وعانقه وقال له: مرحباً بابن عمّي وأخي ووارث نعمتي، ثمّ أجلسه على فخذه، وقال له: ما الذي قطعك عن زيارتنا؟

فقال له: **سعة ملكك، وحبّك للدنيا**.

فقال: ائتوني بحقّة الغالية، فأُتي بها، فغلّفه بيده، ثمّ أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان دنانير.

قال موسى بن جعفر عليه السلام: **والله لولا أني أرى من أُزوجه بها من عزّاب بني أبي طالب لئلا ينقطع تسله أبداً ما قبلتها**.

ثم خرج عليه السلام وهو يقول: **الحمد لله ربّ العالمين**.

فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، أردت أن تعاقبه فخلعت عليه وأكرمته؟

فقال لي: يا فضل، إنّك لمّا مضيت لتجيئني به رأيت أقواماً قد أحدقوا بداري، بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الدار يقولون: إن آذى ابن رسول الله خسفنا به، وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه»، الحديث.

وفي (العيون) أيضاً عن الثوباني، قال: «كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بضع عشرة سنة كلّ يوم سجدة بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال. قال: فكان هارون ربّما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي حبس فيه أبو الحسن عليه السلام، فكان يرى أبا الحسن ساجداً، فقال للربيع: يا ربيع، ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟

قال: يا أمير المؤمنين، ما ذاك بثوب وإنّما هو موسى بن جعفر، له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

قال الربيع: فقال لي هارون: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم.

قلت: فما لك فقد ضيّقت عليه في الحبس؟

قال: هيهات لا بدّ من ذلك».

وفي تتمة رواية عبد الله الغروي الأولى: «فلمّا كان بعد ذلك حوّل إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده أيّاماً، فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كل ليلة مائدة، ومنع أن يدخل إليه من عند غيره، فكان لا يأكل ولا يفطر إلاّ على المائدة التي يؤتى بها، حتّى مضى على تلك الحال ثلاثة أيام ولياليها، فلمّا كانت الليلة الرابعة قدّمت إليه مائدة الفضل بن يحيى، قال: ورفع يده إلى السماء فقال: **يا رب، إنّك تعلم أنّي لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي**.

قال: فأكل فمرض، فلمّا كان من الغد بعث إليه بالطبيب ليسأله عن العلّة، فقال له الطبيب: ما حالك، فتغافل عنه، فلمّا أكثر عليه أخرج إليه راحته فأراها الطبيب، ثمّ قال: **هذه علّتي**، وكانت خضرة وسط راحته، على أنّها سمّ، فاجتمع في ذلك الموضع، قال: فانصرف الطبيب إليهم وقال: والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم، ثمّ توفّي عليه السلام».

وفي تتمة رواية الشيخ المتقدّمة في (الغيبة): «إنّ الرشيد أمر الفضل بن يحيى بقتله عليه السلام مراراً فلم يقدم على ذلك، وبلغه أنّه عنده في رفاهية وسعة وهو حينئذٍ بالرقّة، فأنفذ مسرور الخادم إلى بغداد على البريد وأمره أن يدخل من فوره على موسى بن جعفر عليه السلام فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العبّاس بن محمّد، وأمره بامتثاله وأوصل كتاباً منه آخر إلى السندي بن شاهك (لعنه الله) يأمره بطاعة العبّاس، فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثمّ دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده على

ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العبّاس بن محمّد والسندي، فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث النّاس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتّى دخل على العبّاس فدعا بسياط وعقّابين، فوجّه ذلك إلى السندي، وأمر بالفضل فجرّد وضربه مائة سوط، وخرج متغيّر اللون خلاف ما دخل، فأُذهبت نخوته، فجعل يسلّم على النّاس يميناً وشمالاً، وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى إلى السندي بن شاهك، وجلس مجلساً حافلاً وقال: أيّها الناس، إنّ الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه فالعنوه، فلعنه النّاس من كلّ ناحية حتّى ارتجّ البيت والدار بلعنه، وبلغ يحيى بن خالد الخبر، فركب إلى الرشيد ودخل من غير الباب الذي يدخل النّاس منه حتّى جاءه من خلفه وهو لا يشعر. ثم قال: التفت إليَّ يا أمير المؤمنين، فأصغى إليه فزعاً.

قال: إنّ الفضل حدث، وأنا أكفيك ما تريد، فانطلق وجهه وسرّ، وأقبل على النّاس فقال: إنّ الفضل كان عصاني في شيء فلعنته، وقد تاب وأناب إلى طاعتي، فتولّوه، قالوا له: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وقد تولّيناه.

ثمّ خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتّى أتى بغداد فماج النّاس وأرجفوا بكلّ شيء، فأظهر أنّه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمّال وتشاغل ببعض ذلك ودعا السندي فأمره فيه بأمره فامتثله».

وفي رواية (العيون): «وسُلّم إلى السندي بن شاهك، فحبسه وضيّق عليه، ثمّ بعث إليه الرشيد بسمّ في رطب وأمره أن يقدّمه إليه، ويحتّم عليه في تناوله منه، ففعل، فمات صلوات الله عليه».

وروى الصدوق في (الأمالي) و(العيون) عن الحسن بن محمّد بن بشّار، قال: «حدّثني شيخ من أهل قطيعة الربيع من العامة ممّن كان يقبل قوله، قال: قال لي: قد رأيت بعض من يقرّون بفضله من أهل هذا البيت، فما رأيت مثله قطّ في نسكه وفضله.

قال: قلت: من وكيف رأيته؟

قال: جمعنا أيّام السندي بن شاهك ثمانين رجلاً من الوجوه ممّن ينسب إلى الخير، فأدخلنا على موسى بن جعفر عليه السلام، فقال لنا السندي: يا هؤلاء، انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث، فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فعل مكروه به، ويكثرون في ذلك، وهذا منزله وفرشه موسّع عليه غير مضيّق، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءاً، وإنّما ينتظره أن يقدم فيناظره أمير المؤمنين، وها هو ذا صحيح موسّع عليه في جميع أمره؟ فاسألوه: قال: ونحن ليس لنا همّ إلا النظر إلى الرجل وإلى فضله وسمته.

قال: **أمّا ما ذكره من التوسعة وما أشبه ذلك فهو على ما ذكر، غير أنّي أخبركم أيّها النفر أني قد سقيت السمّ في تسع تمرات، وإنّي أخضرّ غداً وبعد غد أموت.**

قال: فنظرت إلى السندي بن شاهك (لعنه الله) يرتعد ويضطرب مثل السعفة.

قال الحسن: وكان هذا الشيخ من خيار العامّة، شيخ صدّيق، مقبول القول، ثقة ثقة جداً عند الناس».

وفي رواية الشيخ في (الغيبة) المتقدّمة: «إنّه عليه السلام سأل السندي عند وفاته أن يحضر مولى له ينزل عند دار العبّاس بن محمّد في أصحاب القصب ليغسّله، ففعل ذلك، قال السندي: وسألته أن يأذن لي أن أكفّنه فأبى، وقال: **إنّا أهل بيت مهور نسائنا وحجُّ صرورتنا وأكفان موتانا من طهرة أموالنا، وعندي كفني**، فلما مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا إليه لا أثر به، وشهدوا على ذلك، وأُخرج فوضع على الجسر ببغداد، ونودي هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه، فجعل النّاس يتفرّسون في وجهه وهو ميّت.

قال: وحدّثني رجل من بعض الطالبيّين أنّه نودي عليه: هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت، فانظروا إليه».

وفي بعض الروايات: «إنّ السندي بن شاهك (لعنه الله) جمع بأمر هارون سبعين رجلاً من فقهاء بغداد وأعيانها وأشرافها، وكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر عليه السلام، فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه وليس به أثر جراحة ولا خنق، وكان في رجله عليه السلام أثر الحنّاء، فشهدوا كلهم بأنه قد مات حتف أنفه شهادة باطلة».

وروى الصدوق في (العيون) عن عمر بن واقد في جملة حديث قال فيه: «ثم إنّ سيدنا موسى عليه السلام دعا بالمسيّب، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام، وكان موكّلاً به، فقال له: **يا مسيّب.**

فقال: لبّيك يا مولاي.

قال: **إنّي ضاعن في هذه الليلة إلى مدينة جدّي رسول الله** صلى الله عليه وآله **لأعهد إلى عليّ ابني ما عهده إليَّ أبي، وأجعله وصيّي وخليفتي، وآمره بأمري.**

قال المسيّب: فقلت: مولاي، كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأقفالها والحرس معي على الأبواب؟

فقال: **يا مسيّب، ضعف يقينك في الله** عزّ وجلّ **وفينا؟**

فقلت: لا يا سيّدي.

قال: **فمه؟**

قلت: يا سيّدي، أُدعو الله أن يثبّتني.

فقال: **اللهمّ ثبّته**، ثمّ قال: **إنّي أدعو الله عزّ وجلّ باسمه العظيم الذي دعا به آصف حتّى جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه حتّى يجمع بيني وبين ابني عليّ بالمدينة.**

قال المسيّب: فسمعته عليه السلام يدعو، ففقدته عن مصلاّه، فلم أزل قائماً على قدمي حتّى رأيته قد عاد إلى مكانه، وأعاد الحديد إلى رجليه، فخررت لله ساجداً لوجهي شكراً على ما أنعم به عليَّ من معرفته، فقال لي: **ارفع رأسك يا مسيّب، واعلم أنّي راحل إلى الله عزّ وجلّ في ثالث هذا اليوم.**

قال: فبكيت، فقال لي: **لا تبكِ يا مسيّب، فإن عليّاً ابني هو إمامك ومولاك من بعدي، فاستمسك بولايته، فإنك لا تضلّ ما لزمته.**

فقلت: الحمد لله، قال: ثمّ إنّ سيدي عليه السلام دعاني في ليلة اليوم الثالث فقال لي:

إنّي على ما عرّفتك من الرحيل إلى الله عزّ وجلّ، فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني، واصفرّ لوني، واحمرّ واخضرّ وأتلوّن ألواناً فخبّر الطاغية بوفاتي، فإذا رأيت بي هذا الحدث فإياك أن تظهر عليه أحداً ولا على من عندي إلاّ بعد وفاتي.

قال المسيّب بن زهير: فلم أزل أرقب وعده حتّى دعا عليه السلام بالشربة فشربها، ثم دعاني فقال لي: **يا مسيّب، إنّ هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنّه يتولّى غسلي ودفني، وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرّجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبرّكوا به، فإنّ كلّ تربة لنا محرّمة إلاّ تربة جدّي الحسين بن عليّ عليه السلام**، فإن الله عزّ وجلّ جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا.

ثمّ قال: رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به عليه السلام جالساً إلى جنبه، وكان عهدي بسيّدي الرضا عليه السلام وهو غلام، فأردت سؤاله، فصاح بي سيّدي موسى عليه السلام وقال لي: **أليس قد نهيتك يا مسيّب؟** فلم أزل صابراً حتّى مضى وغاب الشخص، ثمّ أنهيت الخبر إلى الرشيد، فوافى السندي بن شاهك، فوالله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنّون أنهم يغسّلونه فلا تصل أيديهم إليه، ويظنّون أنّهم يحنّطونه ويكفّنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشخص يتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه.

فلمّا فرغ من أمره قال لي ذلك الشخص: **يا مسيّب، مهما شككت فيه فلا تشكّنّ فيَّ، فإني**

إمامك ومولاك وحجّة الله عليك بعد أبي. يا مسيّب، مثلي مثل يوسف الصدّيق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون، ثمّ حُمل عليه السلام حتّى دُفن في مقابر قريش ولم يرفع قبره أكثر ممّا أمر به، ثمّ رفعوا قبره بعد ذلك».

وروى الصدوق في (العيون) وغيره عن عبد الله الصيرفي، قال: «توفّي موسى بن جعفر عليه السلام في يدي السندي بن شاهك، فحُمل على نعش ونودي عليه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه، فلمّا أُتي به مجلس الشرطة أقام أربعة نفر فنادوا: ألا من أراد أن يرى الخبيث ابن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج، وخرج سليمان بن أبي جعفر عم هارون من قصره إلى الشطّ فسمع الصياح والضوضاء - أي أصوات الناس وغلبتهم - فقال لولده وغلمانه: ما هذا؟

قالوا: السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعش.

قال لولده وغلمانه: يوشك أن يفعل هذا به في الجانب الغربي، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فإن منعوكم فاضربوهم وخرّقوا ما عليهم من السواد.

فلمّا عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرّقوا عليهم سوادهم ووضعوه في مفرق أربعة طرق، وأقام المنادين ينادون: ألا من أراد أن يشهد الطيّب ابن الطيّب موسى بن جعفر فليخرج، وحضر الخلق وغسّل وحنّط بحنوط فاخر، وكفّنه بكفن فيه حبرة استعملت له بألفين وخمسمائة دينار عليها القرآن كلّه، واحتفى ومشى في جنازته متسلّباً، مشقوق الجيب إلى مقابر قريش، فدفنه عليه السلام هناك وكتب بخبره إلى الرشيد، فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر: وصلت رحم يا عمّ، وأحسن الله جزاك، والله ما فعل السندي بن شاهك ما فعله عن أمرنا».

وروى ثقة الإسلام في (الكافي) بإسناده عن مسافر، قال: «أمر أبو إبراهيم عليه السلام - حين أُخرج به - أبا الحسن عليه السلام أن ينام على بابه في كلّ ليلة أبداً ما كان حيّاً إلى أن يأتيه خبره.

قال: فكنّا في كل ليلة نفرش لأبي الحسن عليه السلام في الدهليز، ثمّ يأتي بعد العشاء فينام، فإذا أصبح انصرف إلى منزله، قال: فمكث على هذه الحال أربع سنين، فلمّا كان ليلة من الليالي أبطأ عنّا وفرش له فلم يأتِ كما كان يأتي، فاستوحش العيال وذعروا، ودخلنا أمر عظيم من إبطائه، فلمّا كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال وقصد إلى أُم أحمد فقال: **هاتي الذي أودعك أبي**، فصرخت ولطمت وجهها وشقّت جيبها وقالت: مات والله سيّدي، فكفّها وقال لها: **لا تتكلمي بشيء ولا تظهريه حتّى يجيء الخبر إلى الوالي**، فأخرجت إليه سفطاً وألفي دينار - أو أربعة آلاف دينار - فدفعت ذلك إليه أجمع دون غيره، وقالت: إنّه قال لي فيما بيني وبينه - وكانت أثيرة عنده -: **احتفظي بهذه الوديعة عندك، لا تُطلعي عليها أحداً حتى أموت، فإذا مضيت فمن أتاك من ولدي فطلبها فادفعيها إليه، واعلمي أني قد متّ**، وقد

جاءتني والله علامة سيّدي فقبض ذلك منها، وأمرهم بالإمساك جميعاً إلى أن ورد الخبر وانصرف، فلم يعد بشيء من المبيت كما كان يفعل، فما لبثنا إلاّ أياماً يسيرة حتّى جاءت الخريطة بنعيه، فعددنا الأيّام وتفقدنا الوقت، فإذا هو قد مات في الوقت الذي فعل أبو الحسن عليه السلام ما فعل من تخلّفه عن المبيت وقبضه لما قبض».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن عمر بن واقد، قال: «إنّ هارون الرشيد لمّا ضاق صدره ممّا كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليه السلام وما كان يبلغه عنه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم في السرّ إليه بالليل والنهار خشية على نفسه وملكه، ففكّر في قتله بالسمّ، فدعا برطب فأكل منه ثمّ أخذ صينية فوضع فيها عشرين رطبة، وأخذ سلكاً فعركه بالسمّ، وأدخله في سُمّ الخِياط، وأخذ رطبة من ذلك الرطب، فأقبل يردد ذلك السمّ بذلك الخيط حتّى علم أنّه قد حصل السمّ فيها، فاستكثر منه، ثم ردّها في ذلك الرطب وقال لخادم له: احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر، وقل له: إنّ أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب وتنغّص لك به، وهو يقسم عليك بحقّه لما أكلتها عن آخر رطبة، فإنّي اخترتها لك بيدي، ولا تتركه يبقي منها شيئاً، ولا يطعم منها أحداً.

فأتاه الخادم وأبلغه الرسالة، فقال له: آتيني بخلال، فناوله خلالاً، وقام بإزائه وهو يأكل من الرطب، وكانت للرشيد كلبة تعزّ عليه، فجذبت نفسها وخرجت تجرّ سلاسلها من ذهب وجوهر حتّى حاذت موسى بن جعفر، فبادر بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة، فأكلتها، فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض وعوت وتهرّى لحمها قطعة قطعة، واستوفى عليه السلام باقي الرطب وحمل الغلام الصينية حتى صار بها إلى الرشيد، فقال له: قد أكل الرطب عن آخره؟قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فكيف رأيته؟

قال: ما أنكرت منه شيئاً يا أمير المؤمنين.

قال: ثمّ ورد عليه خبر الكلبة وأنّها قد تهرّأت وماتت، فقلق الرشيد لذلك قلقاً شديداً، واستعظمه ووقف على الكلبة فوجدها مهترئة بالسمّ، فأحضر الخادم ودعا له بسيف ونطع وقال له: لتصدقني عن خبر الرطب أو لأقتلنّك؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي حملت الرطب إلى موسى بن جعفر وأبلغته سلامك، وقمت بإزائه، فطلب منّي خلالاً، فدفعته إليه، فأقبل يغرز في الرطبة بعد الرطبة ويأكلها، حتّى مرّت الكلبة فغرز الخلال في رطبة من ذلك الرطب، فرمى بها، فأكلتها الكلبة وأكل هو باقي الرطب، فكان ما ترى يا أمير المؤمنين.

فقال الرشيد: ما ربحنا من موسى إلّا أنّا أطعمناه جيّد الرطب وضيّعنا سمّنا وقتل كلبتنا، ما في موسى حيلة».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب): «إنّ هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر عليه السلام جارية حصيفة لها جمال ووضاءة لتخدمه في السجن، فقال عليه السلام: **قل له: بل أنتم بهديّتكم تفرحون لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها.**

قال: فاستطار هارون غضباً وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك أخذناك، واترك الجارية عنده وانصرف.

قال: فمضى ورجع ثمّ قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليستفحص عن حالها، فرآها ساجدة لربّها لا ترفع رأسها، تقول: قدّوس سبحانك سبحانك.

فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره، عَلَيَّ بها، فأُتي بها وهي ترعد شاخصة نحو السماء بصرها.

فقال: ما شأنك؟

قالت: شأني الشأن البديع، إنّي كنت عنده واقفة وهو قائم يصلّي ليله ونهاره، فلمّا انصرف عن صلاته بوجهه وهو يسبّح الله ويقدّسه قلت: يا سيّدي هل لك حاجة أعطيكها؟

قال: **وما حاجتي إليك!**

قلت: إني دخلت عليك لحوائجك؟

قال: **فما بال هؤلاء؟**

قالت: فالتفتّ، فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها بنظري، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج وعليها وصفاء ووصائف لم أرَ مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم، عليهم الحرير الأخضر والأكاليل والدرّ والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل ومن كلّ الطعام، فخررت ساجدة حتّى أقامني هذا الخادم، فرأيت نفسي حيث كنت.

قال: فقال هارون: يا خبيثة، لعلّك سجدت فنمتي فرأيت هذا في منامك؟

قالت: لا والله يا سيدي إلاّ قبل سجودي رأيت، فسجدت من أجل ذلك.

فقال الرشيد: اقبض هذه الخبيثة إليك فلا يسمع هذا منها أحد، فأقبلت في الصلاة، فإذا قيل لها في ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح، فسئلت عن قولها: فقالت: إنّي لمّا عاينت من الأمر نادتني الجواري: يا فلانة، ابعدي عن العبد الصالح حتّى ندخل عليه، فنحن له دونك، فما زالت كذلك حتّى ماتت، وذلك قبل موت موسى بأيّام يسيرة».

وفي بعض مؤلفات أصحابنا المعتبرة، قال: «روي أن الرشيد لمّا أراد أن يقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عرض قتله على سائر جنده وفرسانه، فلم يقبله أحد منهم، فأرسل إلى عمّاله في بلاد الإفرنج يقول لهم: التمسوا لي قوماً لا يعرفون الله ولا رسوله، فإنّي أريد أن أستعين بهم على أمر، فأرسلوا إليه قوماً لا يعرفون من الإسلام ولا من لغة العرب شيئاً، وكانوا خمسين رجلاً، فلمّا دخلوا إليه أكرمهم وسألهم: من ربّكم ومن نبيّكم؟

فقالوا: لا نعرف لنا ربّاً ولا نبيّاً أبداً، فأدخلهم البيت الذي فيه الإمام عليه السلام ليقتلوه، والرشيد ينظر إليهم من روزنة البيت.

فلمّا رأوه رموا أسلحتهم، وارتعدت فرائصهم، وخرّوا سجّداً يبكون رحمة له، فجعل الإمام عليه السلام يمرّ يده على رؤوسهم ويخاطبهم بلغتهم وهم يبكون، فلمّا رأى الرشيد، خشي الفتنة وصاح بوزيره: أخرجهم، فأخرجهم فخرجوا وهم يمشون القهقرى إجلالاً له، وركبوا خيولهم ومضوا نحو بلادهم من غير استئذان».

وروى ثقة الإسلام في (الكافي) عن عليّ بن سويد، قال: «كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب عَلَيَّ ثم أجابني بجواب هذه نسخته، ثمّ ذكر الحمد والثناء على الله تعالى وساق الحديث إلى أن قال:

كتبت تسألني عن أُمور كنت منها في تقيّة، ومن كتمانها في سعة، فلمّا انقضى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم رأيت أن أُفسّر لك ما سألتني عنه مخافة أن يدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قِبل جهالتهم.

فاتّق الله جلّ ذكره، وخصّ بذلك الأمر أهله واحذر أن تكون سبب بليّة الأوصياء أو حادثاً عليهم بإفشاء ما استودعتك، وإظهار ما استكتمتك، ولن تفعل إن شاء الله.

إنّ أوّل ما أُنهي إليك أنّي أنعي إليك نفسي في لياليّ هذه غير جازع ولا نادم ولا شاكّ فيما هو كائن ممّا قد قضى الله جلّ وعزّ وحتم، فاستمسك بعروة الدين آل محمّد والعروة الوثقى الوصيّ بعد الوصيّ والمسالمة لهم، والرضا بما قالوا، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبّنّ دينهم، فإنّهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم، ائتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه، ودلّوا على ولاة الأمر منهم، فانصرفوا عنهم فأذاقهم الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون»، الحديث.

وروى السيّد المرتضى في (عيون المعجزات)، قال: «في كتاب الوصايا لأبي الحسن عليّ ابن محمّد بن زياد الصيمري، وروي من جهات صحيحة: أنّ السنديّ بن شاهك حضر بعد ما

كان بين يديه السمّ في الرطب، وأنه عليه السلام أكل منها عشر رطبات، فقال له السنديّ: تزداد؟ فقال عليه السلام له: **حسبك، قد بلغت ما تحتاج إليه فيما أمرت به.**

ثمّ أحضر القضاة والعدول قبل وفاته بأيّام وأخرجه إليهم، وقال: إنّ الناس يقولون إنّ أبا الحسن موسى في ضنك وضرر، وها هو ذا، لا علّة ولا مرض ولا ضرّ.

فالتفت عليه السلام فقال لهم: **اشهدوا على أنّي مقتول بالسمّ منذ ثلاثة أيّام. اشهدوا أنّي صحيح الظاهر لكنّي مسموم، وسأحمرّ في آخر هذا اليوم حمرة شديدة منكرة، وأصفرّ غداً صفرة شديدة، وأبيضّ بعد غد، وأمضي إلى رحمة الله ورضوانه**، فمضى عليه السلام كما قال في آخر اليوم الثالث في سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة»، انتهى.

وابيضاضه عليه السلام أخيراً إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وروى الصفّار في (البصائر) بأسانيد معتبرة، وكذا في (الاختصاص) عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: «**قلت للرضا** عليه السلام: الإمام يعلم إذا مات؟

قال: **نعم، يعلم بالتعليم حتّى يتقدّم في الأمر.**

قلت: علم أبو الحسن بالرطب والريحان المسمومين اللذين بعثهما إليه يحيى بن خالد؟ قال: **نعم.**

قلت: فأكله وهو يعلم؟ قال: **أنساه لينفذ فيه الحكم**».

وفي رواية أخرى: «قال: قلت: الإمام يعلم متى يموت؟ قال: **نعم.**

قلت: حيث ما بعث إليه يحيى بن خالد برطب وريحان مسمومين علم به؟ قال: **نعم.**
قلت: فأكله وهو يعلم، فيكون معيناً على نفسه؟

فقال: **لا يعلم قبل ذلك ليتقدّم فيما يحتاج إليه، فإذا جاء الوقت ألقى الله على قلبه النسيان ليقضي فيه الحكم**».

وروى الكشّي في (رجاله) عن عبد الله بن طاووس، قال: «قلت للرضا عليه السلام: إنّ يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر عليه السلام؟ قال: **نعم، سمّه في ثلاثين رطبة.**

قلت له: فما كان يعلم أنّها مسمومة؟ قال: **غاب عنه المحدّث.**

قلت: ومن المحدّث؟ قال: **ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله** صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة وليس كلّما طلب وجد، ثمّ قال: **إنّك ستعمّر، فعاش مائة سنة**».

قال المجلسي رحمه الله - بعد ذكر الخبرين الأوّلين -: «ما ذكر في هذين الخبرين أحد الوجوه

في الجمع بين ما دلّ على علمهم بما يؤول إليه أمرهم بالأسباب التي يترتّب عليها هلاكهم مع تعرّضهم لها، وبين عدم جواز إلقاء النفس إلى التهلكة.

ويمكن أن يقال - مع قطع النظر عن الخبرين -: إنّ التحرّز عن أمثال تلك الأمور إنّما يكون فيمن لم يعلم جميع أسباب التقادير الحتميّة، وإلاّ فيلزم أن لا يجري عليهم شيء من التقديرات المكروهة، وهذا ممّا لا يكون.

والحاصل أنّ أحكامهم عليهم السلام الشرعية منوطة بالعلوم الظاهرة لا بالعلوم الإلهامية، وكما أن أحوالهم في كثير من الأمور مباينة لأحوالنا، فكذا تكاليفهم مغايرة لتكاليفنا، على أنّه يمكن أن يقال: لعلّهم علموا أنّهم لو لم يفعلوا ذلك لأهلكوهم بوجه أشنع من ذلك، فاختاروا أيسر الأمرين، والعلم بعصمتهم وجلالتهم، وكون أفعالهم جارية على قانون الحقّ والصواب كافٍ لعدم التعرّض لبيان الحكمة في خصوصيّات أحوالهم لأولي الألباب.

وقد تقدّم بعض الكلام في ذلك في باب شهادة أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام»، انتهى.

وقال في (جلاء العيون) ما حاصله: «إنّه يمكن ورود الأخبار المتقدّمة لتفهيم بعض الناس ووفقاً لعقولهم على أنّه يمكن أن يقال: إنه عليه السلام كان يجب عليه أن لا يأكل الرطب المسموم مع علمه به لو علم أنّه لو لم يأكله لم يقتل، وأمّا لو علم أنهم يقتلوه بوجه أقبح وأشنع، فاختار الأسهل، فلا ضير كما تقدّم في أحوال الحسين عليه السلام».

الفصل الثالث

في بيان بعض ما جرى من الجور على أقربائه وشيعته في زمانه عليه السلام

روى الصدوق في (العيون) بإسناده عن عبد الله البزّاز النيشابوري، وكان مسناً، قال: «كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيّام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعليَّ ثياب السفر لم أُغيّرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر.

فلمّا دخلت عليه رأيته في بيت يجري فيه الماء، فسلّمت عليه وجلست، فأُتي بطشت وإبريق فغسل يديه، ثمّ أمرني فغسلت يديّ، وأُحضرت المائدة، وذهب عنّي أني صائم وأنّي في شهر رمضان، ثمّ ذكرت، فأمسكت يدي، فقال لي حميد: ما لك لا تأكل؟

فقلت: أيّها الأمير، هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علّة توجب الإفطار، ولعلّ الأمير له عذر في ذلك أو علّة توجب الإفطار، وإنّي لصحيح البدن، ثمّ دمعت عيناه وبكى، قلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيّها الأمير؟

قال: أنفذ إليَّ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل: أن أجب، فلمّا دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتّقد وسيفاً أخضر مسلولاً، وبين يديه خادم واقف، فلما قمت بين يديه رفع رأسه إليَّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

فقلت: بالنفس والمال، فأطرق، ثم أذن لي بالانصراف.

فلم ألبث في منزلي حتّى عاد الرسول إليَّ وقال: أجب أمير المؤمنين.

فقلت في نفسي: أنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي، وإنّه لمّا رآني استحى منّي، فعدت بين يديه، فرفع رأسه إليَّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسّم ضاحكاً، ثم أذن لي بالانصراف.

فلمّا دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إليَّ فقال: أجب أمير المؤمنين، فحضرت بين يديه، وهو على حاله، فرفع رأسه إليَّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟

فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين، فضحك ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم.

قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه، وجاء بي إلى بيت مغلق ففتحه، فإذا فيه بئر في

وسطه، وثلاث بيوت أبوابها مغلقة، ففتح باب بيت منها فإذا فيها عشرون نفساً، عليهم الشعور والذوائب، شيوخ وكهول وشبّان مقيّدون، فقال لي: إنّ الأمير يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلّهم علويّة من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام، فجعل يُخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتّى أتيت على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر.

ثمّ فتح باب بيت آخر، فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلويّين من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيّدون، قال لي: إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يُخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتّى أتيت على آخرهم.

ثم فتح باب البيت الثالث، فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيّدون، وعليهم الشعور والذوائب، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضاً، فجعل يُخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر، فقال لي: تباً لك يا ميشوم، أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله وقد قتلت من أولاده ستّين نفساً قد ولدهم عليّ وفاطمة، فارتعشت يداي وارتعدت فرائصي، فنظر إليَّ الخادم مغضباً وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورمى به في تلك البئر، فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستّين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي، وأنا لا أشك أنّي مخلّد في النار».

الباب العاشر

في بيان تاريخ أحوال زبدة الأصفياء، وإمام الأتقياء، وملاذ الغرباء، الإمام الثامن الضامن

أبي الحسن الرضا

عليه الصلاة والتحية والثناء

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في بيان تاريخ ولادته، ونسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه الصلاة والسلام

اسمه عليه السلام عليّ، وقال في (كشف الغمّة): «كنيته أبو الحسن، وألقابه: الرضا، والصابر، والرضي، والوفي، وأشهرها: الرضا»، انتهى.

ويلقّب أيضاً بـ: الفاضل، وقرّة عين المؤمنين، وغيظ الملحدين.

وروى الصدوق في (العيون) و (العلل) عن البزنطي في الحسن، قال: «قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام: إنّ قوماً من مخاليفكم يزعمون أنّ أباك عليه السلام إنما سمّاه المأمون: الرضا، لما رضيه لولاية عهده؟

فقال عليه السلام: **كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سمّاه الرضا؛ لأنه** عليه السلام كان رضىً عزّ وجلّ في سمائه ورضىً لرسوله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده في أرضه.

قال: قلت له: ألم يكن كلّ واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضىً لله عزّ وجلّ ولرسوله والأئمة عليهم السلام بعده؟

فقال: بلى. فقلت: فلِمَ سمّي أبوك من بينهم الرضا؟

فقال: **لأنّه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به المؤمنون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه، فلذلك سمّي من بينهم الرضا** عليه السلام».

وروى في (العيون) أيضاً بإسناد معتبر عن سليمان بن حفص، قال: «كان موسى بن جعفر عليه السلام يسمّي ولده عليّاً الرضا، وكان يقول: **ادعوا لي ولدي الرضا**، و: **قلت لولدي الرضا**، و: **قال لي ولدي الرضا**، وإذا خاطبه قال: **يا أبا الحسن**، واعلم أنّ والده موسى بن جعفر عليه السلام وأمه أمّ ولد».

وفي (العيون): «وقد روى قوم أنّ أمّ الرضا تسمّى سكن النوبية، وسمّيت أروى، وسمّيت نجمة، وسمّيت سمان، وتكنّى أمّ البنين»، انتهى.

وقيل: «خيزران وصقر وشقر أيضاً».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن عليّ بن ميثم، قال: «اشترت حميدة المصفّاة وهي أُم أبي الحسن موسى بن جعفر، وكانت من أشراف العجم، جارية مولدة واسمها تكتم، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة المصفّاة، حتى أنها ما

جلست بين يديها منذ ملكتها، إجلالاً لها، فقالت لابنها موسى عليه السلام: يا بنيّ، إنّ تكتم جارية ما رأيت جارية قطّ أفضل منها، ولست أشكّ أنّ الله تعالى سيطهّر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوصِ خيراً بها، فلمّا ولدت له الرضا سمّاها الطاهرة، قال: وكان الرضا يرتضع كثيراً وكان تام الخلق، فقالت: أعينوني بمرضعة؟ فقيل لها أنقص الدرّ؟ فقالت: لا أكذب والله ما نقص، ولكن عَلَيَّ ورد من صلواتي وتسبيحي وقد نقص منذ ولدت».

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن ميثم، قال: «لمّا اشترت حميدة أُمّ موسى بن جعفر أُمّ الرضا نجمة ذكرت حميدة أنها رأت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: **يا حميدة، هبي نجمة لابنك موسى بن جعفر، فإنّه سيلد منها خير أهل الأرض فوهبتها، فلمّا ولدت له الرضا سمّاها الطاهرة، وكانت لها أسماء منها: نجمة، وأروى، وسكن، وسمان، وتكتم، وهو آخر أساميها.**

قال عليّ بن ميثم: سمعت أمي تقول: كانت نجمة بكراً لمّا اشترتها حميدة».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن هشام بن أحمد، قال: «قال لي أبو الحسن الأوّل عليه السلام: **هل علمت أحداً من أهل المغرب قَدِم؟** قلت: لا.

قال: **بلى، قد قدم رجل فانطلق بنا نركب إليه**، وركبنا معه حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق، فقال له: **اعرض علينا**، فعرض علينا تسع جوار كلّ ذلك يقول أبو الحسن: **لا حاجة لي فيها، ثمّ قال له: اعرض علينا؟**

قال: ما عندي شيء.

فقال: **بلى اعرض علينا.**

قال: لا والله ما عندي إلاّ جارية مريضة.

فقال له: **ما عليك أن تعرضها**، فأبى، ثمّ انصرف، ثمّ أرسلني من الغد إليه فقال لي: **قل له كم غايتك فيها، فإذا قال: كذا وكذا، فقل: أخذتها**، فأتيته.

قال: ما أُريد أن أنقصها من كذا وكذا، قلت: قد أخذتها وهو لك.

فقال: هي لك، ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس؟ فقلت: رجل من بني هاشم.

فقال: من أيّ بني هاشم؟ فقلت: ما عندي أكثر من هذا.

فقال: أُخبرك عن هذه الوصيفة أنّي اشتريتها من أقصى بلاد المغرب، فلقيتني امرأة من أهل الكتاب قالت: ما هذه الوصيفة معك؟ فقلت: اشتريتها لنفسي، فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه عند مثلك. إنّ هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فلا تلبث عنده إلاّ قليلاً

حتى تلد منه غلاماً يدين له شرق الأرض وغربها، قال: فأتيته بها، فلم تلبث عنده إلاّ قليلاً حتّى ولدت عليّاً عليه السلام».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن عليّ بن ميثم، عن أبيه، قال: «سمعت نجمة أمّ الرضا تقول: لمّا حملت بابني عليّ لم أشعر بثقل الحمل، وكنت أسمع في منامي تسبيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني، فيفزعني ذلك ويهولني، فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً، فلمّا وضعته وقع على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء يحرّك شفتيه وكأنه يتكلّم، فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليه السلام، فقال لي: **هنيئاً لك - يا نجمة - كرامة ربّك**، فناولته إيّاه في خرقة بيضاء فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنّكه به، ثم ردّه إليّ وقال: **خذيه فإنه بقية الله تعالى في أرضه**».

وروى الصدوق بإسناد معتبر عن محمّد بن زياد، قال: «سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: في اليوم الذي ولد فيه الرضا: **ولد ولدي مختوناً طاهراً مطهّراً وكذلك جميع الأئمة عليهم السلام، ولكنّا نمرّ الموس عليه لأجل السنّة**».

وقد اختلف في تاريخ ولادته عليه السلام، فقيل: «يوم الخميس، وقيل: يوم الجمعة».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن عتّاب بن أسيد، قال: «سمعت جماعة من أهل المدينة يقولون: ولد الرضا عليّ بن موسى عليه السلام بالمدينة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين ومائة من الهجرة بعد وفاة أبي عبد الله بخمس سنين».

وفي (إرشاد المفيد): «كان مولد الرضا عليه السلام بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة».

وقيل: في اليوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة مائة وثلاث وخمسين.

وقال الطبرسي في (إعلام الورى): «ولد عليه السلام بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، ويقال: إنّه ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة يوم الجمعة سنة ثلاث وخمسين ومائة بعد وفاة أبي عبد الله بخمس سنين، وقيل: يوم الخميس».

وروى الكليني وغيره بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام: «إنّه كان نقش خاتمه: ما شاء الله، لا قوّة إلاّ بالله».

وفي بعض الروايات: «حسبي الله».

وروى السيّد ابن طاووس في (المهج)، والإربلي في (كشف الغمّة) عن حكيمة بنت الرضا عليه السلام، قالت: «لمّا مات الرضا عليه السلام أتيت زوجته أُمّ عيسى بنت المأمون فعزّيتها، فوجدتها شديدة الحزن والجزع عليه، تقتل نفسها بالبكاء والعويل، فخفت عليها أن تتصدّع

مرارتها، فبينا نحن في حديثه وكرمه ووصف خُلقه وما أعطاه الله تعالى من الشرف والإخلاص ومنحه من العزّ والكرامة، إذ قالت أُمّ عيسى: ألا أُخبرك عنه بشيء عجيب، وأمر جليل فوق الوصف والمقدار؟

قلت: وما ذاك؟

قالت: كنت أغار عليه كثيراً، وأُراقبه أبداً، وربّما يسمعني الكلام فأشكو ذلك إلى أبي فيقول: يا بنيّة، احتمليه، فإنّه بضعة من رسول الله ﷺ، فبينا أنا جالسة ذات يوم إذ دخلت عليّ جارية فسلّمت عَلَيَّ.

فقلت: من أنتِ؟

فقالت: أنا جارية من ولد عمّار بن ياسر، وأنا زوجة أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام زوجك، فدخلني من الغيرة ما لا أقدر على احتمال ذلك، وهممت أن أخرج وأسيح في البلاد، وكاد الشيطان يحملني على الإساءة إليها، فكظمت غيظي، وأحسنت رفدها وكسوتها، فلمّا خرجت من عندي المرأة نهضت ودخلت على أبي وأخبرته بالخبر، وكان سكران لا يعقل، فقال: يا غلام، عَلَيَّ بالسيف، فأُتي به، فركب وقال: والله لأقتلنّه.

فلمّا رأيت ذلك قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ما صنعت بنفسي وبزوجي وجعلت ألطم حرّ وجهي، فدخل عليه والدي وما زال يضربه بالسيف حتّى قطّعه، ثم خرج من عنده وخرجت هاربة من خلفه، فلم أرقد ليلتي، فلمّا ارتفع النهار أتيت أبي فقلت: أتدري ما صنعت البارحة؟ قال: وما صنعت؟

قلت: قتلت ابن الرضا عليه السلام، فبرق عينه وغُشي عليه، ثمّ أفاق بعد حين وقال: ويلك ما تقولين؟

قلت: نعم والله يا أبتِ، دخلت عليه ولم تزل تضربه بالسيف حتى قتلته، فاضطرب من ذلك اضطراباً شديداً، وقال عَلَيَّ بياسر الخادم، فجاء ياسر فنظر إليه المأمون وقال: ويلك ما هذا الذي تقول هذه ابنتي؟ قال: صدقت يا أمير المؤمنين، فضرب بيده على صدره وخدّه، وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هلكنا بالله وعطبنا وافتضحنا إلى آخر الأبد، ويلك يا ياسر، فانظر ما الخبر والقصة، وعجل عَلَيَّ بالخبر، فإنّ نفسي تكاد أن تخرج الساعة.

فخرج ياسر وأنا ألطم حرّ وجهي، فما كان بأسرع من أن رجع ياسر، فقال: البشرى يا أمير المؤمنين.

قال: لك البشرى فما عندك؟

قال ياسر: دخلت عليه فإذا هو جالس وعليه قميص ودوّاج وهو يستاك فسلّمت عليه

وقلت: يا بن رسول الله، أُحب أن تهب لي قميصك هذا أُصلي فيه وأتبرّك به، وإنما أردت أن أنظر إليه وإلى جسده هل به أثر السيف، فوالله كأنّه العاج الذي مسّه صفرة ما به أثر، فبكى المأمون طويلاً وقال: ما بقي مع هذا شيء. إنّ هذا لعبرة للأوّلين والآخرين، وتقدّم إلى ابنتي وقل لها: يقول لك أبوك: والله لئن جئتني بعد هذا اليوم وشكوت منه أو خرجت بغير إذنه لأنتقمنّ له منك.

ثمّ سرْ إلى ابن الرضا عليه السلام وأبلغه عنّي السلام، واحمل إليه سيفي الذي كان بيدي البارحة والشهري الذي ركبته البارحة، ثمّ قدم المأمون على ابن الرضا عليه السلام فقام إليه وضمّه إلى صدره، ورحّب به، ونهاه عن شرب الخمر، وتاب على يده عليه السلام من شربها، وعلّمه الدعاء المشهور الذي أنقذه الله منه بسببه، وكان المأمون ببركة هذا الدعاء لم يصبه بلاء ما دام حياً، وفتح كثيراً من البلدان ببركة هذا الدعاء، وهو مسطور في (مهج الدعوات)».

الفصل الثاني

في بيان إخباره وإخبار آبائه بشهادته عليه السلام

روى الصدوق في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام: أنه قال له رجل من أهل خراسان: يا بن رسول الله، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يقول لي:

كيف أنتم إذا دُفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغيّب في ثراكم نجمي؟

فقال له الرضا عليه السلام: **أنا المدفون في أرضكم، وأنا البضعة من نبيّكم، وأنا الوديعة والنجم. ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقّي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنّا شفعاؤه يوم القيامة نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجنّ والإنس، ولقد حدّثني أبي عن جدي، عن أبيه عليهم السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني؛ لأنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وأنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوّة».**

وروى في (الأمالي) بإسناد معتبر عن الهروي، قال: «سمعت الرضا عليه السلام يقول: **والله ما منّا إلاّ مقتول شهيد.**

فقيل له: فمن يقتلك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: **شرّ خلق الله في زماني، يقتلني بالسمّ، ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غريبة. ألا فمن زارني في غربتي كتب الله عزّ وجلّ له أجر مائة ألف شهيد ومائة ألف صدّيق ومائة ألف حاجّ ومعتمر ومائة ألف مجاهد، وحُشر في زمرتنا، وجُعل في الدرجات العلى من الجنّة رفيقنا».**

وروي أيضاً في (العيون) بإسناد معتبر عن الحسن بن الجهم، قال: «حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام، وذكر أسئلة القوم والمأمون عليه عليه السلام وجواباته عليه السلام، وساق الحديث إلى أن قال: فلمّا قام الرضا عليه السلام تبعته، فانصرف إلى منزله، فدخلت عليه وقلت له: يا بن رسول الله، الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك، وقبوله لقولك.

فقال عليه السلام: **يا بن الجهم، لا يغرّنّك ما ألقيته عليه من إكرامي والاستماع منّي، فإنه سيقتلني بالسمّ وهو ظالم لي، أعرف بعهد معهود إليَّ من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فاكتم هذا عَلَيَّ ما دمت حياً».**

وروي في (العيون) أيضاً بإسناد معتبر عن جعفر بن محمّد النوفلي، عن الرضا عليه السلام أنّه قال له في طريق خراسان: «**إنّي ذاهب في وجه لا أرجع، بورك قبر بطوس وقبران ببغداد**، قال: قلت: جعلت فداك، عرفنا واحداً فما الثاني؟ قال: **ستعرفونه**، ثم قال عليه السلام: **قبري وقبر هارون هكذا**، وضمّ بإصبعيه».

وروي أيضاً في (العيون) و (الأمالي) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ستُدفن بضعة مني بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلاّ أوجب الله** عزّ وجلّ له الجنة، وحرّم جسده على النّار».

وروي في (العيون) أيضاً بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: **يخرج ولد من ابني موسى اسمه اسم أمير المؤمنين** عليه السلام، **يخرج إلى أرض طوس وهي بخراسان يُقتل فيها بالسمّ فيدفن فيها غريباً، من زاره عارفاً بحقّه أعطاه الله تعالى أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل**».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن النعمان بن سعيد، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: **سيُقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسمّ ظلماً، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم ابن عمران موسى. ألا من زاره** عليه السلام **في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخر، ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار**».

الفصل الثالث

في بيان كيفية شهادته عليه السلام وسببها

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «الذي يستفاد من الروايات المعتبرة أنّ المأمون (لعنه الله) لمّا استولى على أطراف العالم جعل وليّ أمره على عراق العرب للحسن بن سهل، وأقام المأمون في بلدة (مرو)، وحدث في أطراف الحجاز واليمن فتنة عظيمة وصار لبعض السادات طمع في الخلافة، ولمّا سمع المأمون بذلك استشار وزيره الفضل بن سهل ذي الرياستين، وبعد الفكر التامّ والتدبر البليغ استقرّ رأي المأمون أن يستدعي الرضا عليه السلام من المدينة ويجعله وليّ عهده حتّى تطيعه جميع السادات والأشراف، ولا يطمعون في أمر الخلافة، فأرسل رجاء بن الضحّاك مع جمع من خاصّته إلى المدينة ليرغّبوا الرضا عليه السلام في القدوم إلى خراسان، فامتنع عليه السلام في أوّل الأمر من إجابتهم، فأصرّوا على ذلك وبالغوا في الإلحاح عليه عليه السلام، فأجابهم إلى ذلك».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن الوشّاء، قال: «قال لي الرضا عليه السلام: **إنّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عَلَيَّ حتّى أسمع، ثم فرّقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثمّ قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً**».

وروي أيضاً بإسناد معتبر عن محول السجستاني، قال: «لمّا ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة، فدخل المسجد ليودّع رسول الله صلى الله عليه وآله فودّعه مراراً كلّ ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدمت إليه وسلّمت عليه، فردّ السلام وهنّأته، فقال: زدني، **فإني أخرج من جوار جدّي فأموت في غربة، وأُدفن في جنب هارون**.

قال: فخرجت متّبعاً لطريقه حتّى مات بطوس ودُفن إلى جنب هارون».

وروى عليّ بن عيسى في (كشف الغمّة) عن أمية بن عليّ، قال: «كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكّة في السنة التي حجّ فيها، ثم صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر، وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت، فلمّا قضى طوافه غدا إلى المقام فصلّى عنده، فصار أبو جعفر على عنق موفق - غلام له - يطوف به، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس فيه فأطال، فقال له موفق: قم جعلت فداك؟

فقال: **ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلاّ أن يشاء الله**، واستبان في وجهه الغمّ، فأتى موفّق

أبا الحسن عليه السلام فقال له: جعلت فداك، قد جلس أبو جعفر في الحجر وهو يأبى أن يقوم.

فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر عليه السلام فقال له: **قم يا حبيبي.**

فقال: **ما أريد أن أبرح من مكاني هذا.**

قال: **بلى يا حبيبي.** ثمّ قال: **كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا ترجع إليه.**

فقال: **قم يا حبيبي**، فقام معه».

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «كان توجّهه إلى خراسان في سنة مائتين بعد الهجرة، وفي ذلك الوقت كان عمر الجواد عليه السلام على المشهور ثمان سنين، ولمّا توجّه إلى خراسان ظهر منه عليه السلام في المنازل، وفي كل موضع، من الكرامات والمعجزات والأسرار ما لا يحصى، وبعضها إلى الآن موجودة».

وروى الصدوق في (العيون) عن الهروي: «إنّه لما دخل سناباد دخل دار حميد بن قحطبة الطائي ودخل القبّة التي فيها قبر هارون الرشيد، ثمّ خطّ بيده إلى جانبه ثمّ قال: **هذه تربتي وفيها أُدفن، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي. والله لا يزورني منهم زائر ولا يسلّم عَلَيَّ منهم مسلِّم إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت**، ثمّ استقبل القبلة وصلّى ركعات بدعوات، فلمّا فرغ سجد سجدة طال مكثه فيها، فأحصيت له فيها خمسمائة تسبيحة».

وفي (العلل) و (العيون) و (الأمالي) عن الهروي أيضاً، قال: «إنّ المأمون (لعنه الله) قال للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال الرضا عليه السلام: **بالعبوديّة لله عزّ وجلّ أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجلّ.**

فقال له المأمون: فإنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك.

فقال له الرضا عليه السلام: **إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.**

فقال له المأمون: يا بن رسول الله، لا بد لك من قبول هذا الأمر.

فقال: **لست أفعل ذلك طائعاً أبداً**، فما زال يجهد به أيّاماً حتى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحبّ مبايعتي لك، فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: **والله لقد حدّثني أبي عن آبائه، عن أمير المؤمنين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسمّ مظلوماً، تبكي عَلَيَّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأُدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد.**

فبكى المأمون ثمّ قال له: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟

فقال الرضا عليه السلام: **أما أنّي لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت.**

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول النّاس أنّك زاهد في الدنيا؟

فقال الرضا عليه السلام: **والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لأعلم ما تريد.**

فقال المأمون: وما أريد؟

قال: **الأمان على الصدق؟**

قال: لك الأمان.

قال: **تريد بذلك أن يقول الناس: إن عليّ بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه. ألا ترون كيف قَبِل ولاية العهد طمعاً في الخلافة.**

فغضب المأمون، ثم قال: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطواتي، فبالله أُقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلاّ أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك.

فقال الرضا عليه السلام: **قد نهاني الله عزّ وجلّ أن أُلقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أن لا أُولّي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقص رسماً ولا سنّة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً،** فرضي منه بذلك وجعله وليّ عهده على كراهة منه لذلك».

وفي (العيون) أيضاً، قال: «لمّا ولي الرضا عليه السلام العهد، رفع يديه إلى السماء وقال: **اللهمّ إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة، وقد أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده، وقد أُكرهت واضطررت كما اضطرّ يوسف ودانيال عليهما السلام؛ إذ قبل كلّ واحد منهما الولاية من طاغية زمانه. اللهمّ لا عهد إلاّ عهدك، ولا ولاية إلاّ من قِبلك، فوفّقني لإقامة دينك، وإحياء سنّة نبيّك صلى الله عليه وآله،** فإنّك أنت المولى والنصير، ونِعم المولى أنت ونِعم النصير.

ثم قبل عليه السلام ولاية العهد من المأمون وهو باك حزين».

وزاد المجلسي في تتمّة هذه الرواية: «وأظنّه أخذها من (إرشاد المفيد) ولفّق الحديث ما لفظه: ثمّ إنّ المأمون رتب في اليوم الآخر مجلساً عظيماً ونصب كرسياً للرضا عليه السلام بحذاء كرسيه، وجمع الأكابر والأشراف والسادات والعلماء، ثم أمر ابنه العبّاس فبايع له عليه السلام أوّل الناس، ثم بايعه سائر الناس، وأعطى الجوائز الكثيرة، وأعطى مواجب سنة لجنده، وأمر الخطباء والشعراء أن يذكروا فضل الرضا عليه السلام وينشدوا في مدحه الأشعار، وأعطاهم الجوائز الكثيرة، وأمر أن يذكر اسمه عليه السلام على المنابر والمنائر، وأن تُضرب الدراهم والدنانير باسمه، وأمر الناس أن يلبسوا عوض السواد اللباس الأخضر، وعقد للرضا عليه السلام على ابنته أمّ حبيبة، وسمّى للجواد عليه السلام ابنته أمّ الفضل، وتزوج هو بابنة الحسن بن سهل، ولمّا رأى ما يظهر من الرضا عليه السلام من غرائب العلوم والمعارف والكمال والرفعة والجلال، حسده وأضمر له السوء والتدبير في قتله عليه السلام».

كما روى الصدوق في (العيون) عن أحمد بن عليّ الأنصاري، قال: «سألت أبا الصلت الهروي فقلت: كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبّته له، وما جعل له من ولاية العهد بعده؟

فقال: إنّ المأمون إنّما كان يكرمه ويحبّه لمعرفته بفضله، وجعل له ولاية العهد من بعده ليرى النّاس أنّه راغب في الدنيا فيسقط من محلّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهر منه في ذلك للناس إلاّ ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم، جلب عليه المتكلّمين من البلدان طمعاً من أن يقطعه واحد منهم فيسقط محلّه من نفوسهم ويشتهر نقصه عند العامّة، فكان لا يكلّمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين والدهريّة وفرق المسلمين المخالفين له إلاّ قطعه وألزمه الحجّة، وكان النّاس يقولون: والله إنه أوْلى بالخلافة من المأمون، وكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك فيغتاظ من ذلك ويشتدّ حسده له، وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حقّ، وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له، فلمّا أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسمّ».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن هرثمة بن أعين، قال: «دخلت على سيّدي ومولاي - يعني الرضا عليه السلام - في دار المأمون، وكان قد اشتهر في دار المأمون أن الرضا عليه السلام قد توفّي ولم يصحّ هذا القول، فدخلت أُريد الإذن عليه، قال: وكان في بعض ثقاة خدم المأمون غلام يقال له: صبيح الديلمي، وكان يتولى سيّدي حقّ ولايته، وإذا صبيح قد خرج.

فلمّا رآني قال: يا هرثمة، ألستَ تعلم أنّي ثقة المأمون على سرّه وعلانيته؟ قلت: بلى.

قال: اعلم يا هرثمة أنّ المأمون دعاني وثلاثين غلاماً من ثقاته على سرّه وعلانيته في الثلث

الأوّل من الليل، فدخلت عليه وقد صار ليله نهاراً من كثرة الشموع، وبين يديه سيوف مسلولة مشحوذة مسمومة، فدعا بنا غلاماً غلاماً وأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه، وليس بحضرتنا أحد من خلق الله غيرنا، فقال لنا: هذا العهد لازم لكم، إنّكم تفعلون ما أمرتكم به ولا تخالفوا منه شيئاً.

قال: فحلفنا له، فقال: يأخذ كلّ واحد منكم سيفاً بيده وامضوا حتّى تدخلوا على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في حجرته، فإن وجدتموه قائماً أو قاعداً أو نائماً فلا تكلّموه، وضعوا أسيافكم عليه، اخلطوا لحمه ودمه وشعره وعظمه ومخّه، ثمّ اقلبوا عليه بساطه، وامسحوا أسيافكم به، وصيروا إليّ، وقد جعلت لكلّ واحد منكم على هذا الفعل وكتمانه عشر بدر دراهم، وعشر ضياع منتخبة، والحظوظ عندي ما حييت وبقيت.

قال: فأخذنا الأسياف بأيدينا ودخلنا عليه في حجرته، فوجدناه مضطجعاً يقلّب طرف يديه ويتكلم بكلام لا نعرفه، فبادر الغلمان إليه بالسيوف، ووضعت سيفي وأنا قائم أنظر إليه، وكأنّه قد كان علم بمصيرنا إليه، فلبس على بدنه ما لا تعمل فيه السيوف، فطووا عليه بساطه وخرجوا حتّى دخلوا على المأمون، قال: ما صنعتم؟

قالوا: فعلنا ما أمرتنا به يا أمير المؤمنين، قال: لا تعيدوا شيئاً مما كان، فلمّا كان عند تبلّج الفجر خرج المأمون فجلس مجلسه مكشوف الرأس، محلّل الأزرار، وأظهر وفاته، وقعد للتعزية، ثم قام حافياً فمشى لينظر إليه وأنا بين يديه، فلما دخل عليه حجرته سمع همهمة، فأرعد.

ثمّ قال: من عنده؟

قلنا: لا علم لنا يا أمير المؤمنين، فقال: أسرعوا وانظروا.

قال صبيح: فأسرعنا إلى البيت فإذا سيّدي عليه السلام جالس في محرابه يصلّي ويسبّح، فقلت: يا أمير المؤمنين، هو ذا نرى شخصاً في محرابه يصلّي، فانتفض المأمون وارتعد، ثمّ قال: غررتموني لعنكم الله، ثم التفت إليّ من بين الجماعة فقال لي: يا صبيح، أنت تعرفه، فانظر من المصلّي عنده؟

قال صبيح: فدخلت وتولّى المأمون راجعاً، فلمّا صرت عند عتبة الباب قال لي: يا صبيح.

قلت: لبّيك يا مولاي وقد سقطت لوجهي.

قال: قم يرحمك الله، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

قال: فرجعت إلى المأمون فوجدت وجهه كقطع الليل المظلم، فقال لي: يا صبيح، ما وراءك؟

قلت له: يا أمير المؤمنين، هو والله جالس في حجرته وقد ناداني وقال لي: كيت وكيت.

قال: فشدّ أزراره، وأمر بردّ أثوابه، وقال: قولوا إنّه غُشي عليه وأنّه قد أفاق.

قال هرثمة: فأكثرت لله عزّ وجلّ شكراً وحمداً، ثم دخلت على سيّدي الرضا عليه السلام، فلما رآني قال: **يا هرثمة، لا تحدّث بما حدّثك به صبيح أحداً إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان بمحبتنا وولايتنا**، فقلت: نعم يا سيدي، ثم قال لي عليه السلام: **يا هرثمة، والله لا يضرّنا كيدهم شيئاً حتى يبلغ الكتاب أجله**».

❁ ❁ ❁

وأمّا كيفية شهادته عليه السلام

فهي كما رواه الصدوق في (الأمالي) و(العيون) عن أبي الصلت الهروي، قال: «بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن عليه السلام إذ قال لي: **يا أبا الصلت، أُدخل هذه القبّة التي فيها هارون وائتني بتراب من أربعة جوانبها**، قال: فمضيت فأتيت به، فلمّا مثلت بين يديه قال لي: **ناولني هذا التراب**، وهو من عند الباب، فناولته فأخذه وشمّه ثمّ رمى به، ثمّ قال: **سيحفر لي هٰهنا فتظهر صخرة لو جمع عليها كلّ معول بخراسان لم يتهيأ قلعها** - ثم قال: - **في الذي عند الرِّجل والذي عند الرأس مثل ذلك** - ثم قال: - **ناولني هذا التراب فهو من تربتي** - ثم قال: - **سيحفر لي في هذا الموضع فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراقي إلى أسفل، وأن تشقّ لي ضريحة، فإن أبوا إلاّ أن يلحدوا فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً، فإن الله تعالى سيوسّعه ما يشاء، وإذا فعلوا ذلك فإنّك ترى عند رأسي نداوة، فتكلّم بالكلام الذي أُعلّمك، فإنه ينبع الماء حتى يمتلىء اللحد وترى فيه حيتاناً صغاراً، ففتّت لها الخبز الذي أعطيك فإنها تلتقطه، فإذا لم يبقى منه شيء خرجت منه حوتة كبيرة فالتقطت الحيتان الصغار حتّى لا يقى منها شيء، ثمّ يغيب، فإذا غابت فضع يدك على الماء ثمّ تكلم بالكلام الذي أُعلّمك فإنه ينضب الماء ولا يبقى منه شيء، ولا تفعل ذلك إلاّ بحضرة المأمون.**

ثم قال عليه السلام: **يا أبا الصلت، غداً أدخل على هذا الفاجر، فإن أنا خرجت مكشوف الرأس فتكلّم، أُكلّمك، وإن خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني.**

قال أبو الصلت: فلمّا أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس في محرابه فجعل ينتظر، فبينا هو كذلك، إذ دخل عليه غلام المأمون فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله ورداءه وقام ومشى وأنا أتبعه حتّى دخل على المأمون وبين يديه طبق عليه عنب، وأطباق فاكهة، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه.

فلمّا أبصر الرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه، وقبّل ما بين عينيه، وأجلسه معه، ثمّ ناوله العنقود وقال: يا بن رسول الله، ما رأيت عنباً أحسن من هذا.

فقال له الرضا عليه السلام: **ربّما كان عنباً حسناً يكون من الجنة.**

قال له: كُل منه.

فقال الرضا عليه السلام: **تعفيني عنه.**

فقال: لا بدّ من ذلك، وما يمنعك منه، لعلّك تتّهمنا بشيء؟ فتناول العنقود فأكل منه، ثمّ ناوله فأكل منه الرضا عليه السلام ثلاث حبّات، ثمّ رمى به وقام، فقال المأمون: إلى أين؟

فقال: **إلى حيث وجّهتني**، وخرج مغطّى الرأس، فلم أُكلّمه حتّى دخل الدار، فأمر أن يغلق الباب، فغلق ثمّ نام على فراشه، ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً فبينا أنا كذلك إذ دخل عَلَيَّ شاب حسن الوجه، قطط الشعر، أشبه الناس بالرضا عليه السلام، فبادرت إليه وقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟

فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق.

قلت له: ومن أنت؟

فقال لي: **أنا حجّة الله عليك يا أبا الصلت، أنا محمّد بن عليّ**، ثمّ مضى نحو أبيه عليه السلام فدخل وأمرني بالدخول معه، فلمّا نظر إليه الرضا وثب إليه فعانقه، وضمّه إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، ثمّ سحبه سحباً في فراشه وأكبّ عليه محمّد بن عليّ عليه السلام يقبّله ويسارّه بشيء لم أفهمه، ورأيت في شفتي الرضا عليه السلام زبداً أشدّ بياضاً من الثلج، ورأيت أبا جعفر يلحسه بلسانه، ثمّ أدخل يده بين ثوبه وصدره فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور فابتلعه أبو جعفر عليه السلام، ومضى الرضا عليه السلام.

فقال أبو جعفر: **يا أبا الصلت، قم ائتني بالمغتسل والماء من الخزانة.**

فقلت: ما في الخزانة مغتسل ولا ماء.

فقال لي: **انته إلى ما آمرك به**، فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء، فأخرجته وشمّرت ثيابي لأغسله معه، فقال: **تنحّ يا أبا الصلت، فإنّ لي من يعينني غيرك**، فغسّله، ثم قال لي: **ادخل الخزانة فأخرج لي السفط الذي فيه كفنه وحنوطه**، فدخلت فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة قطّ، فحملته إليه، فكفّنه وصلّى عليه، ثمّ قال: **ائتني بالتابوت.**

فقلت: أمضي إلى النجّار حتّى يصلح التابوت؟

قال: **قم، فإنّ في الخزانة تابوتاً**، فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قطّ، فأتيته به، فأخذ الرضا عليه السلام بعد ما صلّى عليه، فوضعه في التابوت وصفّ قدميه وصلّى ركعتين لم

يفرغ منهما حتّى علا التابوت فانشقّ السقف فخرج منه التابوت ومضى.

فقلت: يا بن رسول الله، الساعة يجيئنا المأمون ويطالبنا بالرضا عليه السلام فما تصنع؟ قال لي: **اسكت، فإنه سيعود يا أبا الصلت، ما من نبيّ يموت بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلا جمع الله تعالى بين أرواحهما وأجسادهما**، فما تمّ الحديث حتّى انشقّ السقف ونزل التابوت، فقام عليه السلام فاستخرج الرضا عليه السلام من التابوت ووضعه على فراشه كأنّه لم يغسّل ولم يكفّن، ثم قال لي: **يا أبا الصلت، قم فافتح الباب للمأمون**، ففتحت الباب فإذا المأمون والغلمان بالباب، فدخل باكياً حزيناً قد شقّ جيبه، ولطم رأسه، وهو يقول: يا سيّداه، فجعت بك يا سيّدي، ثمّ دخل وجلس عند رأسه، وقال: خذوا في تجهيزه، فأمر بحفر القبر فحفرت الموضع، فظهر كل شيء على ما وصفه الرضا عليه السلام.

فقال له بعض جلسائه: ألست تزعم أنّه إمام؟

قال: بلى، قال: لا يكون الإمام إلاّ مقدّم النّاس، فأمر أن يحفر له في القبلة.

فقلت: أمرني أن أحفر له سبع مراقي، وأن أشق له ضريحه.

فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، ولكن يحفر له ويلحد، فلمّا رأى ما ظهر من النداوة والحيتان وغير ذلك قال المأمون: لم يزل الرضا عليه السلام يرينا عجائبه في حياته حتّى أرانا بعد وفاته أيضاً.

فقال له وزير كان معه: أتدري ما أخبرك به الرضا عليه السلام؟

قال: لا، قال: إنّه أخبرك أنّ ملككم يا بني العبّاس مع كثرتكم وطول مدّتكم مثل هذه الحيتان حتّى إذا فنيت آجالكم، وانقطعت آثاركم، وذهبت دولتكم سلّط الله عليكم رجلاً منّا فأفناكم عن آخركم، قال له: صدقت، ثمّ قال لي: يا أبا الصلت، علّمني الكلام الذي تكلّمت به؟

قلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتي، وقد كنت صدقت، فأمر بحبسي، ودفن الرضا عليه السلام فحبست سنة، فضاق عليّ الحبس وسهرت ليلة ودعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمداً وآله صلى الله عليه وآله وسلم وسألت الله تعالى بحقّهم أن يفرّج عني، فلم أستتمّ الدعاء حتى دخل عليّ أبو جعفر محمّد بن عليّ، قال: **يا أبا الصلت، ضاق صدرك؟**

فقلت: إي والله.

قال: **قم**، فأخرجني، ثمّ ضرب يده إلى القيود التي كانت ففكّها، وأخذ بيدي فأخرجني من الدار والحرسة والغلمة يروني فلم يستطيعوا أن يكلّموني، وخرجت من باب الدار، ثم قال لي: **امضِ في ودائع الله، فإنّك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً**، قال أبو الصلت: فلم ألتق مع المأمون إلى هذا الوقت».

وروى الصدوق في (العيون)، والمفيد في (الإرشاد) بأسانيد مختلفة عن عليّ بن الحسين الكاتب: «إنّ الرضا عليه السلام حمّ فعزم على الفصد، فركب المأمون وقد كان قال لغلام له: فتّ هذا بيدك - لشيء أخرجه من برنية - ففتّه في صينية، ثمّ قال: كن معي ولا تغسل يدك، وركب إلى الرضا عليه السلام وجلس حتى فصد بين يديه».

وفي رواية المفيد عن عبد الله بن بشر، قال: «أمرني المأمون أن أُطوّل أظفاري على العادة ولا أُظهر ذلك لأحد، ففعلت، ثم استدعاني فأخرج إليَّ شيئاً يشبه التمر الهندي، فقال لي: اعجن هذا بيديك جميعاً، ففعلت، ثم قام وتركني ودخل على الرضا عليه السلام وقال له: ما خبرك؟

قال: **أرجو أن أكون صالحاً**.

قال له: أنا اليوم بحمد الله أيضاً صالح، فهل جاءك أحد من المترفقين في هذا اليوم؟

قال: **لا**، فغضب المأمون، وصاح على غلمانه، ثمّ قال: خذ ماء الرمان الساعة».

وفي رواية (العيون): «إنّه قال المأمون لذلك الغلام: هات من ذلك الرمّان، وكان الرمّان في شجرة في بستان في دار الرضا عليه السلام، فقطف منه، ثمّ قال: اجلس ففتّه، ففتّ منه في جام، فأمر بغسله، ثمّ قال للرضا عليه السلام: مصّ منه شيئاً.

فقال: **حتى يخرج أمير المؤمنين**.

فقال: لا والله إلاّ بحضرتي، ولولا خوفي أن يرطّب معدتي لمصصته معك، فمصّ منه ملاعق وخرج المأمون، فما صلّيت العصر حتّى قام الرضا عليه السلام خمسين مجلساً فوجّه إليه المأمون: قد علمت أنّ هذه آفة فثارت للفصد الذي في بدنك، وزاد الأمر في الليل فأصبح عليه السلام ميتاً، فكان آخر ما تكلم به عليه السلام: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وبكّر المأمون من الغد، فأمر بغسله وتكفينه ومشى خلف جنازته حافياً حاسراً يقول: يا أخي، لقد ثلم الإسلام بموتك وغلب القدر تدبيري فيك».

وفي رواية المفيد عن الهروي: «إنّه لمّا خرج المأمون من الرضا عليه السلام وسقاه السمّ دخلت عليه فقال لي: **يا أبا الصلت، قد فعلوها** وجعل يوحّد الله ويمجّده».

وروى الصفّار في (البصائر)، عن الوشّاء في الصحيح، عن الرضا عليه السلام: «إنّه قال لمسافر: **يا مسافر، هذه القناة فيها حيتان؟**

قال: نعم، جعلت فداك.

قال: **أما أنّي رأيت رسول الله** صلى الله عليه وآله البارحة وهو يقول: يا عليّ ما عندنا خير لك».

بيان: لعلّ ذكر الحيتان إشارة إلى ما ظهر في قبره منها، أو المعنى: أنّ علمي بموتي كعلمي بها.

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد حسن عن ياسر الخادم، قال: «لمّا كان بيننا وبين طوس سبعة منازل، اعتلّ أبو الحسن عليه السلام، فدخلنا طوس وقد اشتدّت به العلّة، فبقينا بطوس أيّاماً، فكان المأمون يأتيه في كلّ يوم مرّتين، فلمّا كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان ضعيفاً في ذلك اليوم، فقال لي بعد ما صلّى الظهر: **يا ياسر، أكل النّاس شيئاً؟**

قلت: يا سيّدي، من يأكل هٰهنا مع ما أنت فيه، فانتصب عليه السلام ثمّ قال: **هاتوا المائدة**، ولم يدع من حشمه أحداً إلاّ أقعده معه على المائدة يتفقّد واحداً واحداً، فلمّا أكلوا قال: **ابعثوا إلى النساء بالطعام**، فحمل الطعام إلى النساء، فلمّا فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف، فوقعت الصيحة وجاءت جواري المأمون ونساؤه حافيات حاسرات ووقعت الوجبة بطوس، وجاء المأمون حافياً حاسراً يضرب على رأسه ويقبض على لحيته ويتأسّف ويبكي وتسيل الدموع على خدّيه، فوقف على الرضا عليه السلام وقد أفاق فقال: يا سيّدي، والله ما أدري أيّ المصيبتين أعظم عَلَيَّ فقدي لك وفراقي إيّاك، أو تهمة النّاس لي أنّي اغتلتك وقتلتك.

قال: فرفع طرفه إليه ثمّ قال: **أحسن يا أمير المؤمنين معاشرة أبي جعفر، فإنّ عمره وعمرك هكذا**، وجمع بين سبّابتيه.

قال: فلمّا كان من تلك الليلة قضى عليه السلام بعد ما ذهب من الليل بعضه، فلمّا أصبح اجتمع الخلق وقالوا: هذا قتله واغتاله، يعني المأمون، وقالوا: قُتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكثروا القول والجلبة، وكان محمّد بن جعفر بن محمّد استأمره المأمون وجاء إلى خراسان، وكان عمّ أبي الحسن عليه السلام، فقال له المأمون: يا أبا جعفر، اخرج إلى النّاس وأعلمهم أنّ أبا الحسن عليه السلام لا يخرج اليوم، وكره أن يخرجه، فتقع الفتنة، فخرج محمّد بن جعفر إلى الناس فقال: أيّها الناس، تفرّقوا، فإنّ أبا الحسن لا يخرج اليوم، فتفرّق الناس وغسّل أبو الحسن عليه السلام في الليل ودفن عليه السلام».

وروى المفيد في (إرشاده)، قال: «لمّا توفّي الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوماً وليلة، ثمّ أنفذ إلى محمّد بن جعفر الصادق وجماعة آل أبي طالب الذين كانوا عنده، فلمّا حضروا نعاه إليهم وبكى، وأظهر حزناً شديداً، وتوجّع وأراهم إياه صحيح الجسد، وقال: يعزّ عليَّ يا أخي أن أراك في هذا الحال، قد كنت أُؤمّل أن اقدم قبلك، فأبى الله إلاّ ما أراد، ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه، وخرج مع جنازته فحملها حتّى أتى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن، فدفنه».

وروى الصدوق في (العيون) بإسناد معتبر عن هرثمة بن أعين، قال: «كنت ليلة بين يدي

المأمون حتّى مضى من الليل أربع ساعات، ثمّ أذن لي في الانصراف فانصرفت، فلمّا مضى من الليل نصفه، قرع قارع الباب فأجابه بعض غلماني، فقال له: قل لهرثمة: أجب سيّدك.

قال: فقمت مسرعاً وأخذت عَليَّ أثوابي وأسرعت إلى سيّدي الرضا عليه السلام فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه، فإذا أنا بسيّدي عليه السلام في صحن داره جالس، فقال: **يا هرثمة**، فقلت: لبّيك يا مولاي.

فقال لي: **اجلس** فجلست.

فقال لي: **اسمع وعِ يا هرثمة، هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدّي وآبائي** عليهم السلام، وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاغية على سمّي في عنب ورمّان مفروك، فأمّا العنب فإنّه يغمس السلك في السمّ ويجذبه بالخيط في العنب، وأمّا الرمان فإنه يطرح السمّ في كفّ بعض غلمانه ويفرك بيده ليلطّخ في ذلك السمّ، وأنّه سيدعوني في اليوم المقبل ويقرّب إليَّ الرمان والعنب ويسألني أكلهما فآكلهما، ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء، فإذا أنا متّ فيقول: أنا أغسّله بيدي، فإذا قال ذلك فقل له عنّي بينك وبينه: إنّه قال لي: لا تتعرّض لغسلي ولا لتكفيني ولا لدفني، فإنّك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أُخّر عنك، وحلّ بك أليم ما تحذر، فإنّه سينتهي.

قال: فقلت: نعم يا سيّدي، قال: **فإذا خلّى بينك وبين غسلي فسيجلس في علوّ من أبنيته مشرفاً على موضع غسلي لينظر، فلا تعرض يا هرثمة لشيء من غسلي حتّى ترى فسطاطاً أبيضاً قد ضرب في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه، ويكون من معك دونك، ولا تكشف عن الفسطاط حتّى تراني فتهلك، فإنّه سيشرف عليك ويقول لك: يا هرثمة، أليس زعمتم أنّ الإمام لا يغسّله إلاّ إمام مثله، فمن يغسّل أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا وابنه محمّد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس، فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنّا نقول: إنّ الإمام لا يجب أن يغسّله إلاّ إمام، فإن تعدّى متعدّ فغسّل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدّي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن عليّ بن موسى بالمدينة، لغسّله ابنه محمّد ظاهراً مكشوفاً ولا يغسّله الآن أيضاً، إلاّ هو من حيث يخفى.**

فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني، فضعني على نعش واحملني، فإذا أراد أن يحفر قبري فإنّه سيجعل قبر أبيه هارون الرشيد قبلة لقبري ولن يكون ذلك أبداً، فإذا ضُربت المعول نبت عن الأرض ولم ينحفر لهم منها شيء ولا مثل قلامة ظفر، فإذا اجتهدوا في ذلك وصعب عليهم، فقل له عنّي: إنّي أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيه هارون الرشيد، فإذا ضربت نفذ في الأرض إلى قبر محفور وضريح قائم، فإذا انفرج ذلك القبر

فلا تنزلني إليه حتى يفور من ضريحه الماء الأبيض فيمتلىء منه ذلك القبر، حتّى يصير الماء مع وجه الأرض، ثمّ يضطرب فيه حوت بطوله، فإذا اضطرب فلا تنزلني إلى القبر إلاّ إذا غاب الحوت وغار الماء، فأنزلني في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح، ولا تتركهم يأتوا بتراب يلقونه عَلَيَّ، فإنّ القبر ينطبق من نفسه ويمتلىء.

قال: قلت: نعم يا سيدي ثم قال: **احفظ ما عهدت إليك واعمل به ولا تخالف**، قلت: أعوذ بالله أن أُخالف لك أمراً يا سيّدي.

قال هرثمة: ثمّ خرجت باكياً حزيناً، فلم أزل كالحبة على المقلاة لا يعلم ما في نفسي إلاّ الله تعالى، ثمّ دعاني المأمون فدخلت عليه فلم أزل قائماً إلى ضحى النهار، ثم قال المأمون: امضِ يا هرثمة إلى أبي الحسن عليه السلام، فاقرأه منّي السلام، وقل له: تصير إلينا أو نصير إليك؟ فإن قال لك: بل نصير إليه، فتسأله عنّي أن يقدم ذلك.

قال: فجئته، فلما طلعت عليه قال لي: **يا هرثمة، أليس قد حفظت ما أوصيتك به؟** قلت: بلى.

قال: **قدّموا نعلي، فقد علمت ما أرسلك به.**

قال: قدّمت نعله ومشى إليه، فلمّا دخل المجلس قام إليه المأمون قائماً فعانقه وقبّل بين عينيه وأجلسه إلى جانبه على سريره وأقبل عليه يحادثه ساعة من النهار طويلة، ثمّ قال لبعض غلمانه: يؤتى بعنب ورمان.

قال هرثمة: فلمّا سمعت ذلك لم أستطع الصبر ورأيت النفظة قد عرضت بدني، فكرهت أن يتبيّن ذلك فيّ، فتراجعت القهقرى حتّى خرجت فرميت بنفسي في موضع من الدار، فلمّا قرب زوال الشمس، أحسست بسيّدي قد خرج من عنده ورجع إلى داره، ثمّ رأيت الأمر قد خرج من عند المأمون بإحضار الأطبّاء والمترفّقين، قلت: ما هذا؟

فقيل لي: علّة عرضت لأبي الحسن عليّ بن موسى عليه السلام، فكان النّاس في شكّ، وكنت على يقين لما أعرف منه.

قال: فلمّا كان في الثلث الثاني من الليل علا الصياح وسمعت الوجبة من الدار، فأسرعت فيمن أسرع، فإذا نحن بالمأمون مكشوف الرأس محلّل الأزرار قائماً على قدميه ينتحب ويبكي.

قال: فوقفت فيمن وقف وأنا أتنفس الصعداء، ثمّ أصبحت فجلس المأمون للتعزية، ثم قام فمشى إلى الموضع الذي فيه سيدنا عليه السلام، فقال: أصلحوا لنا موضعاً، فإنّي أريد أن أغسّله، فدنوت منه فقلت له ما قاله سيّدي بسبب الغسل والتكفين والدفن؟ فقال لي: لست أعرض لذلك.

ثمّ قال: شأنك يا هرثمة، فلم أزل قائماً حتّى رأيت الفسطاط قد ضُرب، فوقفت من ظاهره وكلّ من في الدار دوني وأنا أسمع التكبير والتهليل والتسبيح وتردّد الأواني وصبّ الماء وتضوّع الطيب الذي لم أشمّ أطيب منه.

قال: فإذا أنا بالمأمون قد أشرف عَلَيَّ من بعض علالي داره، فصاح بي: يا هرثمة، أليس زعمتم أنّ الإمام لا يغسّله إلا إمام مثله، فأين محمّد بن عليّ ابنه عنه، وهو بمدينة الرسول وهذا بطوس بخراسان؟

قال: قلت له: يا أمير المؤمنين، إنّا نقول: إنّ الإمام لا يجب أن يغسّله إلا إمام مثله، فإن تعدّى متعدّ فغسّل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدّي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غُلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن عليّ بن موسى عليه السلام بالمدينة، لغسّله ابنه محمّد ظاهراً ولا يغسّله الآن أيضاً، إلاّ هو من حيث يخفى.

قال: فسكت عنّي، ثم ارتفع الفسطاط فإذا بسيّدي عليه السلام مدرج في أكفانه، فوضعته على نعشه ثم حملناه، فصلّى عليه المأمون وجميع من حضر، ثم جئنا إلى موضع القبر فوجدتهم يضربون بالمعاول دون قبر هارون ليجعلوه قبلة لقبره عليه السلام والمعاول تنبو عنه لا تحفر ذرّة من تراب الأرض، فقال لي: ويحك يا هرثمة، أما ترى الأرض كيف تمتنع من حفر قبر له؟

فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنّه قد أمرني أن أضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أمير المؤمنين أبيك الرشيد ولا أضرب غيره.

قال: فإذا ضربت يا هرثمة يكون ماذا؟

قلت: إنّه أخبر أنه لا يجوز أن يكون قبر أبيك قبلة لقبره، فإن أنا ضربت هذا المعول الواحد نفذ إلى قبر محفور من غير يد تحفره، وبان ضريح في وسطه.

فقال المأمون: سبحان الله، ما أعجب هذا الكلام ولا عجب من أمر أبي الحسن عليه السلام فاضرب يا هرثمة حتّى نرى.

قال هرثمة: فأخذت المعول بيدي فضربت في قبلة هارون الرشيد فنفذ إلى قبر محفور، وبان ضريح في وسطه والنّاس ينظرون إليه، فقال: انزل إليه يا هرثمة؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ سيدي أمرني أن لا أنزل إليه حتى ينفجر من أرض هذا القبر ماء أبيض فيمتلىء منه القبر حتّى يكون الماء مع وجه الأرض ثمّ يضطرب فيه حوت بطول القبر، فإذا غاب الحوت وغار الماء وضعته على جانب قبره وخلّيت بينه وبين ملحده.

قال: فافعل يا هرثمة ما أُمرت به.

قال هرثمة: فانتظرت ظهور الماء والحوت فظهر ثمّ غاب، وغار الماء والنّاس ينظرون

إليه، ثمّ جعلت النعش إلى جانب قبره فغطّي قبره بثوب أبيض لم أبسطه، ثمّ أُنزل به إلى قبره بغير يدي ولا يد أحد ممّن حضر، فأشار المأمون إلى النّاس أن هاتوا التراب بأيديكم فاطرحوه فيه.

فقلت: لا تفعل يا أمير المؤمنين.

قال: فقال: ويحك فمن يملأه؟

فقلت: قد أمرني أن لا يُطرح عليه التراب، وأخبرني أنّ القبر يمتلىء من ذات نفسه، ثم ينطبق ويتربّع على وجه الأرض، فأشار المأمون إلى النّاس أن كفّوا، قال: فرموا ما في أيديهم من التراب، ثمّ امتلأ القبر وانطبق وتربّع على وجه الأرض، فانصرف المأمون وانصرفت، ودعاني المأمون وخلا بي، ثمّ قال: أسألك بالله يا هرثمة لما صدقتني عن أبي الحسن عليه السلام بما سمعته، فقلت: قد أخبرت أمير المؤمنين بما قال لي، فقال: بالله إلاّ ما صدقتني عمّا أخبرك به غير الذي قلت لي؟

قلت: يا أمير المؤمنين، فعمّا تسألني؟

قال: يا هرثمة، فهل أسرّ إليك شيئاً غير هذا؟

فقلت: نعم، قال: ما هو؟

قلت: خبر العنب والرمّان، قال: فأقبل المأمون يتلوّن ألواناً، يصفرّ مرّة ويحمرّ أُخرى، ويسودّ أُخرى، ثمّ تمدّد مغشياً عليه يقول في غشيته وهو يهجر: ويل للمأمون من الله، ويل له من رسول الله صلى الله عليه وآله، ويل له من عليّ، ويل للمأمون من فاطمة، ويل للمأمون من الحسن والحسين، ويل للمأمون من عليّ بن الحسين، ويل للمأمون من محمّد بن عليّ، ويل له من جعفر بن محمّد، ويل له من موسى بن جعفر، ويل له من عليّ بن موسى الرضا. هذا والله الخسران المبين، يقول هذا القول ويكرّره، فلما رأيته قد أطال ذلك ولّيت عنه فجلست في بعض نواحي الدار.

قال: فجلس ودعاني فدخلت إليه وهو جالس كالسكران، فقال: والله ما أنت أعزّ عَلَيَّ منه، ولا جميع من في الأرض والسماء. والله لئن بلغني أنّك أعدت - بعد ما سمعت ورأيت - شيئاً، ليكوننّ هلاكك فيه.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن ظهرت على شيء من ذلك منّي، فأنت في حلّ من دمي، قال: لا والله أو تعطيني عهداً وميثاقاً على كتمان هذا وترك إعادته، فأخذ عليَّ العهد والميثاق وأكّده عَلَيَّ، قال: فلمّا ولّيت عنه صفق بيديه وقال: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النّساء: ١٠٨]».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن الحسن بن عبّاد، وكان كاتب الرضا عليه السلام، قال: «دخلت عليه عليه السلام وقد عزم المأمون على المسير إلى بغداد، فقال: **يا بن عبّاد، ما تدخل العراق ولا تراه**، فبكيت وقلت: آيستني أن آتي أهلي وولدي.

قال عليه السلام: **أمّا أنت فتدخلها، وإنّما عنيت نفسي**، فاعتلّ وتوفّي بقرية من قرى طوس.

وقد كان تقدّم في وصيته أن يُحفر قبره ممّا يلي الحائط بينه وبين قبر هارون ثلاثة أذرع، وقد كانوا حفروا ذلك الموضع لهارون فكسرت المعاول والمساحي، فترك وحفروا حيث أمكن الحفر، فقال: **احفروا ذلك المكان فإنّه سيلين عليكم وتجدون صورة سمكة من نحاس وعليها كتابة بالعبرانية، فإذا حفرتم لحدي فعمّقوه وردّوها فيه ممّا يلي رجلي**، فحفرنا ذلك المكان حتّى وقع الحافر في الرمل اللين، ووجدنا السمكة مكتوباً عليها بالعبرانية: هذه روضة عليّ بن موسى عليه السلام، وتلك حفرة هارون الجبّار، فرددناها ودفناها في لحده عند موضع قاله».

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «يمكن الجمع بين أكثر هذه الروايات، وأنّ هذه المعجزات والغرائب كلّها ظهرت من بركته عليه السلام، وأن الرضا عليه السلام قد سُمّ بالعنب والرمان مراراً متعدّدة، والأشهر في تاريخ وفاته عليه السلام أنّه في شهر صفر في السنة الثالثة بعد المائتين من الهجرة، **وقيل**: في آخر شهر صفر، **وقيل**: في الرابع عشر منه».

وقال الكفعمي رحمه الله: «إنه في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر صفر».

وفي رواية محمّد بن سنان وغيره: «إنّه في السنة الثانية بعد المائتين من الهجرة.

وقيل: في سنة مائتين وواحدة بعد الهجرة.

وقيل: في سابع صفر.

وقيل: في غرّة شهر رمضان.

وقيل: في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة»، انتهى.

وروى الصدوق في (العيون): عن إبراهيم بن العبّاس، قال: «كانت البيعة للرضا عليه السلام لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وزوّجه ابنته أم حبيبة في أول سنة اثنتين ومائتين، وتوفّي سنة ثلاث ومائتين بطوس والمأمون متوجّه إلى العراق في رجب».

وروى في غيره: «إن الرضا عليه السلام توفّي وله تسع وأربعون سنة وستّة أشهر.

والصحيح أنه توفّي في شهر رمضان لتسع بقين منه يوم الجمعة سنة ثلاث ومائتين من هجرة النبي صلى الله عليه وآله»، إلى هنا كلام الصدوق في (العيون).

وروى في (العيون) أيضاً: «إنه بقي عليه السلام مع أبيه موسى بن جعفر عليه السلام تسعاً وعشرين سنة وشهرين، وبعد أبيه أيّام إمامته عشرين سنة وأربعة أشهر».

وروى في (العيون) أيضاً عن أبي عليّ: «إن الرضا عليه السلام توفّي في صفر سنة ثلاث ومائتين، وكان ابن اثنين وخمسين سنة، وقيل: ابن خمس وخمسين سنة».

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله بإسناد معتبر عن أُمية بن عليّ، قال: «كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وأبو الحسن عليه السلام بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلّمون عليه، فدعا يوماً الجارية فقال: **قولي لهم يتهيّأون للمأتم**، فلما تفرّقوا، قالوا: ألا سألناه مأتم من؟ فلمّا كان من الغد فعل مثل ذلك فقالوا: مأتم من؟ قال: **مأتم خير من على ظهرها**، فأتانا خبر أبي الحسن عليه السلام بعد ذلك بأيّام، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) وغيره بإسناد صحيح عن معمر بن خلاّد، قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: **يا معمّر، اركب**، قلت: إلى أين؟

قال: **اركب كما يقال لك**.

قال: فركبت فانتهيت إلى وادٍ أو إلى وهدة - الشكّ من الراوي - فقال لي: **قف هنا**، فوقفت، فأتاني فقلت له: جعلت فداك، أين كنت؟

قال: **دفنت أبي الساعة**، وكان بخراسان».

فائدة: قال العلاّمة المجلسي رحمه الله في (البحار) «اعلم أنّ أصحابنا والمخالفين اختلفوا في الرضا عليه السلام هل مات حتف أنفه أو مضى شهيداً بالسمّ؟ وعلى الأخير هل سمّه المأمون أو غيره؟ والأشهر بيننا أنه عليه السلام مضى شهيداً بسمّ المأمون».

وينسب إلى السيّد عليّ بن طاووس أنه أنكر ذلك.

وكذا أنكره الإربلي، وردّ ما ذكره المفيد رحمه الله وساق الكلام إلى أن قال: «فالحق ما اختاره المفيد والصدوق وغيرهما من أجلّة أصحابنا أنه عليه السلام مضى شهيداً بسمّ المأمون اللعين».

الباب الحادي عشر

في بيان تاريخ ولادة ووفاة الإمام التاسع،
والنور الساطع، النقي من الأرجاس،
والمطهّر من الأدناس، والمعصوم من الزلل،
والمفطوم من الخلل، حجة الله على جميع العباد،
وشافع يوم التناد

أبي جعفر محمد بن علي التقي الجواد

صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في بيان تاريخ ولادته، واسمه، ولقبه، وكنيته عليه السلام

اسمه الشريف محمّد، وكنيته المشهورة أبو جعفر، وربّما قيل: أبو عليّ، وهو متروك شاذّ، وأشهر ألقابه: التقيّ، والجواد، والمختار، والمنتجب، والمرتضى، والقانع، والعالم، ونسب إليه ألقاب أُخر أيضاً منها: المتوكّل، والمتّقي، والزكيّ.

ولد عليه السلام في السنة الخامسة بعد المائة وتسعين بعد الهجرة اتّفاقاً، والأشهر أنّه يوم الجمعة خامس عشر رمضان أو التاسع عشر منه.

وروى الشيخ في (المصباح) عن ابن عيّاش: «إنّه كان يوم العاشر من رجب مولده عليه السلام».

ويؤيّده ما رواه في (المصباح) أيضاً عن ابن عيّاش، قال: «خرج على يد الشيخ الكبير أبي القاسم رحمه الله: اللهمّ إني أسألك بالمولودين في رجب: محمّد بن عليّ الثاني، وابنه عليّ بن محمّد المنتجب... إلى آخر الدعاء.

ومكان ولادته عليه السلام المدينة الطيّبة اتفاقاً.

ووالده عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

وأُمه أُمّ ولد تدعى سبيكة، **وقيل**: خيزران، **وقيل**: ريحانة، **وقيل**: سكينة، **وقيل**: مريسة، **والأشهر** أنها كانت نوبية».

وذكر ابن شهرآشوب في (المناقب)، والإربلي في (كشف الغمّة): «إنّها كانت من أهل بيت مارية القبطيّة».

وقال الكليني في (الكافي) «وروي أنها كانت من أهل بيت مارية أُمّ إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب) عن حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر، قالت: «لمّا حضرت ولادة الخيزران أُمّ أبي جعفر دعاني الرضا عليه السلام فقال لي: **يا حكيمة، احضري ولادتها وادخلي وإيّاها والقابلة بيتاً**، ووضع لنا مصباحاً، وأغلق علينا الباب، فلمّا أخذها الطلق طفىء المصباح وبين يديها طشت، فاغتممت بطفي المصباح، فبينا نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطشت، وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتّى أضاء البيت، فأبصرناه، فأخذته فوضعته في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء، فجاء الرضا عليه السلام ففتح

الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه فوضعه في المهد وقال لي: **يا حكيمة، الزمي مهده.**

قالت: فلمّا كان اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم نظر يمينه ويساره، ثمّ قال: **أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله** ﷺ، فقمت ذعرة فزعة، فأتيت أبا الحسن عليه السلام فقلت له: لقد سمعت من هذا الصبي عجباً، قال: وما ذاك؟ فأخبرته الخبر، فقال: **يا حكيمة، ما ترون من عجائبه أكثر**».

وروى السيد المرتضى في (عيون المعجزات) بإسناد معتبر عن كليم بن عمران، قال: «قلت للرضا عليه السلام: ادع الله أن يرزقك ولداً، فقال عليه السلام: **إنّما أُرزق ولداً واحداً وهو يرثني**، فلمّا ولد أبو جعفر عليه السلام قال لأصحابه: **قد ولد لي شبيه موسى بن عمران، فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم، قدّست أُم ولدته، قد خلقت طاهرة مطهّرة.**

ثم قال الرضا عليه السلام: يُقتل غصباً، وتبكي له وعليه أهل السماء، ويغضب الله تعالى على عدوّه وظالمه، فلا يلبث إلاّ يسيراً حتّى يعجل الله به إلى عذابه الأليم وعقابه الشديد، وكان طول ليلته يناغيه في مهده».

وقال في (الفصول المهمّة): «صفته: أبيض، معتدل، نقش خاتمه: نِعْم القادر الله»، انتهى.

وقيل: «إنه أبيض».

الفصل الثاني

في بيان بعض أحواله، وبيان وفاته عليه السلام

أقول: قد ساق المجلسي رحمه الله كلاماً في (جلاء العيون) لم يسند إلى رواية، ولكنّه لفّقه من الروايات، وألّفه من روايات مذكورة في (رجال الكشّي) و (الكافي) و (الخرائج والجرائح) وغيرها، وها أنا آتي بما ألّفه رحمه الله جميعه مع ملاحظة ألفاظ الأخبار المؤلّف منها كلامه، مهما أمكن.

قال رحمه الله: «كان عمره في وقت وفاة والده تسع سنين، وقيل: سبع، واستشهد عليه السلام وهو في المدينة، وكان لبعض الشيعة توقّف في إمامته لصغر سنّه، حتّى توجّه أكابر الشيعة من العلماء والفضلاء والأشراف إلى الحجّ وتشرّفوا بلقائه بعد الفراغ من المناسك، وشاهدوا من بحار علومه، وأنوار معجزاته، وكراماته ما لا يعدّ ولا يحصى، فلم يبق لأحد منهم شبهة في إمامته عليه السلام.

كما روى الكليني والكشّي وغيرهما بإسناد حسن عن إبراهيم بن هاشم، قال: استأذن على أبي جعفر عليه السلام قوم من أهل النواحي فأذن لهم، فدخلوا فسألوه في مجلس واحد ثلاثين ألف مسألة، فأجاب، وله عشر سنين، ولمّا طعن الناس في المأمون بعد وفاة الرضا عليه السلام واتّهموه، أراد أن يبرّىء نفسه من ذلك.

فلمّا أتى من خراسان إلى بغداد كاتب الجواد عليه السلام إلى المدينة يستدعي قدومه عليه بالإعزاز والإكرام، فلمّا ورد بغداد [اتّفق أن المأمون قبل ملاقاته له عليه السلام خرج إلى الصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون والجواد عليه السلام واقف معهم، وكان عمره يومئذٍ إحدى عشرة سنة فما حولها، فلمّا أقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين ووقف أبو جعفر محمّد عليه السلام فلم يبرح مكانه، فقرب منه الخليفة فنظر إليه وكأن الله عزّ وجلّ قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة وقال له: يا غلام، ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟

فقال له محمّد عليه السلام مسرعاً: **يا أمير المؤمنين، لم يكن بالطريق ضيق لأوسّعه عليك بذهابي، ولم يكن لي جريمة فأخشاها، وظنّي بك حسن، إنّك لا تضرّ من لا ذنب له فوقفت**، فأعجبه كلامه ووجهه، فقال: ما اسمك؟ قال: **محمّد**.

قال: ابن مَن؟ قال: **يا أمير المؤمنين أنا ابن عليّ الرضا** عليه السلام، فترحّم على أبيه وساق جواده إلى وجهته، وكان معه بزاة، فلمّا بعد عن العمارة أخذ بازياً فأرسله على درّاجة، فغاب

عن عينه غيبة طويلة، ثمّ عاد من الجوّ وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فعجب الخليفة من ذلك غاية العجب، ثمّ أخذها في يده وعاد إلى داره في الطريق الذي أقبل منه، فلمّا وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم، فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة، وأبو جعفر عليه السلام لم ينصرف ووقف كما وقف أوّلاً، فلمّا دنا منه الخليفة قال: يا محمّد، قال: **لبّيك يا أمير المؤمنين.**

قال: ما في يدي، فألهمه الله عزّ وجلّ أن قال: **يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى خلق بمشيّته في بحر قدرته سمكاً صغاراً فتصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوة،** فلمّا سمع المأمون كلامه عجب منه، وجعل يطيل نظره إليه، وقال: أنت ابن الرضا حقاً، وضاعف إحسانه إليه]».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج)، قال: «لمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته أُمّ الفضل أبا جعفر محمّد بن عليّ بلغ ذلك العباسيّين، فغلظ عليهم واستنكروه منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا: ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا عليه السلام، فإنّا نخاف أن يخرج به عنّا أمر قد ملّكناه الله عزّ وجلّ، وينزع منّا عزّاً ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا عليه السلام ما عملت، فكفانا الله المهمّ من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: **أمّا** ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أوْلى منكم.

وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان منّي من استخلاف الرضا عليه السلام، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأمّا أبو جعفر عليه السلام فقد اخترته لتبريزه على كافّة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للنّاس ما قد عرفته منه، فيعلمون أن الرأي ما رأيت فيه.

فقالوا له: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنه صبيّ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدّب ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك.

قال لهم: ويحكم! إنّي أعرف بهذا الفتى منكم، وأنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى وموادّه وإلهامه، لم تزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت لكم من حاله.

قالوا: رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلِّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخّاصة والعامّة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم، فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم، وهو يومئذٍ قاضي الزمان، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون وسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك، فاجتمعوا في اليوم الذي اتّفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست، ويجعل فيه مسورتان، فخرج أبو جعفر عليه السلام فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام النّاس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متّصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة؟

قال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم قال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال عليه السلام: **سَلْ إن شئت**، فقال يحيى: ما تقول - جعلت فداك - في محرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: **قتله في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حراً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أو غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أو في النهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟**

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس عجزه. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه، ثمّ جرت الخطبة وعقد له المأمون على ابنته في ذلك المجلس، وخرجت الجوائز والنثارات ووضعت الموائد، ثمّ أجاب عليه السلام بعد ذلك عن جميع شقوق المسألة».

قال المجلسي رحمه الله: «وبقي ابن الرضا عليه السلام مدة عند المأمون معزّزاً مكرّماً، وكانت

زوجته أمّ الفضل لا توافقه في أخلاقها وأفعالها؛ وكانت لم تزل تشكوه عند أبيها المأمون، والمأمون لا يصغي إلى شكايتها لما صدر منه مع الرضا عليه السلام، ولم يتعرّض لأذيّته عليه السلام ولا لأحد من أهل البيت علماً بأنّ ذلك ليس فيه صلاح دنياه».

قال المجلسي رحمه الله: «وفي رواية المفيد وغيره: أن الجواد عليه السلام لمّا تنفّر من معاشرة المأمون استأذن منه أن يحجّ، فحجّ بيت الله وعاد إلى وطنه ومدينة جدّه، وفي السنة الثامنة عشرة بعد المائتين انتقل المأمون إلى عذاب الله، واستولى المعتصم بعده، واستقلّ بالخلافة ولم يزل يطرق سمعه معجزات الجواد عليه السلام وكراماته وعلومه حتّى عرض له من الحقد والعداوة ما لا يوصف، ولم يزل يبتغي له عليه السلام الغيلة حتّى استدعاه من المدينة إلى بغداد، ولمّا عزم عليه السلام على المسير إلى بغداد أوصى إلى ولده عليّ الهادي عليه السلام، وجعله الخليفة بعده، ونصّ عليه بالإمامة بمحضر أكابر الشيعة وثقاة الإمامية، ودفع إليه كتبه وسلاحه وآثار الأنبياء والأوصياء، وعزم على المسير من وطن جدّه وجواره مكرهاً، وودّع الأهل والأولاد وداع مفارق لا يعود، وورد إلى بغداد في اليوم الثامن والعشرين من المحرّم في السنة العشرين بعد المائتين من الهجرة، وسمّه الملعون المعتصم في تلك السنة».

وفي رواية الصدوق وغيره، وبه قال بعضهم: «إن الواثق بالله الذي استخلف بعد المعتصم سمّه عليه السلام كما نقله المسعودي في (مروج الذهب)».

❁ ❁ ❁

وأمّا كيفية شهادته عليه السلام

فقد رواها المرتضى رحمه الله في (عيون المعجزات)، قال: «لمّا خرج أبو جعفر عليه السلام وزوجته ابنة المأمون حاجّاً، وخرج أبو الحسن عليّ ابنه وهو صغير، فخلّفه في المدينة، وسلّم إليه المواريث والسلاح، ونصّ عليه بمشهد ثقاته وأصحابه، وانصرف إلى العراق ومعه زوجته ابنة المأمون، وكان خرج المأمون إلى بلاد الروم فمات بالبديرون في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، وذلك في ستة عشرة سنة من إمامة أبي جعفر عليه السلام، وبويع المعتصم في شعبان من سنة ثمان وعشرة ومائتين، ثمّ إنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام، وأشار على ابنة المأمون زوجته بأن تسمّه؛ لأنّه وقف على انحرافها عن أبي جعفر وشدّة غيرتها عليه لتفضيله أُمّ أبي الحسن عليه السلام ابنه عليها؛ ولأنّه لم يرزق منها ولد، فأجابته إلى ذلك، وجعلت سمّاً في عنب رازقيّ ووضعته بين يديه، فلمّا أكل منه ندمت وجعلت تبكي.

قال عليه السلام: **ما بكاؤكِ، والله ليضربنّك الله بعقر لا ينجبر، وبلاء لا ينستر**، فماتت بعلّة في

أغمض المواضع من جوارحها صارت ناسوراً، فأنفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلّة حتّى احتاجت إلى الاسترفاد».

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب): «إنّ امرأته عليه السلام أُم الفضل سمّته في فرجه بمنديل - يعني أنها (لعنها الله) لطخت المنديل الذي يمسح به الفرج بعد المواقعة بالسمّ - فلمّا أحسّ بذلك قال لها: **أبلاكِ الله بداء لا دواء له**، فوقعت الآكلة في فرجها، وكانت ترجع إلى الأطباء ويشيرون بالدواء عليها فلا ينفع ذلك حتّى ماتت من علّتها (لعنها الله)».

وروى في (المناقب) أيضاً، قال: «لمّا بويع المعتصم، جعل يتفقّد أحواله عليه السلام، فكتب إلى عبد الملك الزيّات أن ينفذ إليه التقيّ وأُمّ الفضل، فأنفذ الزيّات عليّ بن يقطين إليه، فتجهّز عليه السلام وخرج إلى بغداد، فأكرمه وعظّمه وأنفذ بالتحف إليه وإلى أُم الفضل ثم أنفذ إليه شراب حماض الأُترجّ تحت ختمه على يد أساس عبده وقال: إنّ أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي دواد وسعيد بن الخضيب وجماعة من المعروفين، ويأمرك أن تشرب منها بماء الثلج، وصنع له الثلج في الحال.

فقال عليه السلام: **أشربها بالليل**، وكأنه كان صائماً، فقال: **إنّها تنفع بارداً**، وقد ذاب الثلج وأصرّ على ذلك فشربها عالماً بفعلهم وكان فيها سمّ».

وروى العيّاشي في (تفسيره) عن زرقان صاحب ابن أبي داود وصديقه، قال: «رجع ابن داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمٌّ، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنّي قد متُّ منذ عشرين سنة.

قال: قلت له: ولِمَ ذاك؟

قال: لِما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين.

قال: قلت: وكيف كان ذلك؟

قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمّد بن عليّ، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع.

قال: فقلت: من الكرسوع.

قال: وما الحجّة في ذلك؟

قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع لقول الله في التيمّم: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣]، واتّفق معي على ذلك قوم، وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأن الله لمّا قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] في الغسل دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد إلى المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن عليّ فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال: **قد تكلّم القوم فيه يا أمير المؤمنين.**

قال: دعني ممّا تكلّموا به، أيّ شيء عندك؟

قال: **اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين.**

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه؟

فقال: **أمّا إذا أقسمت عَلَيَّ بالله، إني أقول: إنهم أخطأوا فيه السنّة، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ.**

قال: وما الحجّة في ذلك؟

قال: **قول رسول الله ﷺ**: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجنّ: ١٨] يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، وما كان لله لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.

قال ابن أبي داود: قامت قيامتي، وتمنّيت أني لم أك حياً.

قال زرقان: قال ابن أبي داود: صرت إلى المعتصم بعد ثالثة فقلت: إنّ نصيحة أمير المؤمنين عَلَيَّ واجبة، وأنا أُكلمه بما أعلم أني أدخل به النار، قال: وما هو؟

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيّته وعلماءهم لأمر واقع من أُمور الدين فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه وكتّابه، وقد تسامع النّاس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلّهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدّعون أنّه أوّلى منه بمقامه، ثمّ يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء!

قال: فتغيّر لونه وتنبّه لما نبّهته له.

وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً، قال: فأمر في اليوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه أن يدعوه إلى منزله، فدعاه فأبى أن يجيبه، وقال: **قد علمت أنّي لا أحضر مجالسكم**، فقال: إنّي

إنّما أدعوك إلى الطعام وأُحب أن تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرّك بذلك، فقد أحبّ فلان من وزراء الخليفة لقاءك، فصار إليه، فلمّا طعم منها أحسّ بالسمّ، فدعا بدابّته فسأله ربّ المنزل أن يقيم.

فقال: **خروجي من دارك خير لك**، فلم يزل يومه ذلك وليلته في قلق حتّى قبض عليه السلام».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن أبي مسافر، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام: «إنه قال في العشيّة التي توفي فيها: **إنّي ميّت الليلة**، ثم قال: **نحن معشر إذا لم يرض الله لأحدنا الدنيا نقلنا إليه**».

وروى الكليني في (الكافي) بإسناد معتبر عن هارون بن الفضل، قال: «رأيت أبا الحسن عليّ بن محمد عليه السلام في اليوم الذي توفّي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: **إنا لله وإنّا إليه راجعون مضى أبو جعفر**.

فقيل له: وكيف عرفت؟

قال: **لأنه تداخلني ذلّة لله لم أكن أعرفها**».

وفي (عيون المعجزات)، عن الوشّاء، قال: «جاء المولى أبو الحسن عليّ بن محمّد مذعوراً حتّى جلس في حجر أُمّ موسى وبكى، فقالت: ما لك؟

فقال لها: **مات أبي والله الساعة**.

فقالت: لا تقل هذا.

فقال: **هو والله كما أقول لك**، فكتب اليوم والوقت، فجاء بعد أيّام خبر وفاته عليه السلام وكان كما قال».

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله: «الأشهر في تاريخ وفاته عليه السلام أنّه آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة مائتين وعشرين من الهجرة.

وقيل: يوم السبت سادس ذي الحجّة الحرام.

وقيل: يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة، وكان عمره عليه السلام حينئذٍ خمساً وعشرين سنة وشهرين وبعض الأيام، ومدّة إمامته عليه السلام على المشهور سبعة عشرة سنة وكسر».

وقال ابن شهرآشوب في (المناقب): «ومدّة ولايته سبعة عشرة سنة، ويقال: أقام مع أبيه سبع سنين وأربعة أشهر ويومين، وبعده ثمانية عشرة سنة إلاّ عشرين يوماً».

وروى الإربلي في (كشف الغمّة) عن محمّد بن سعيد من المخالفين: «إنه عليه السلام توفّي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجّة».

وروي أيضاً عن محمّد بن سنان، قال: «مضى المرتضى أبو جعفر الثاني عليه السلام وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً في سنة مائتين وعشرين من الهجرة، وكان مولده سنة مائة وخمس وتسعين من الهجرة، وكان مقامه مع أبيه سبع سنين وثلاثة أشهر، وقبض في يوم الثلاثاء لستّ ليال خلون من ذي الحجّة سنة مائتين وعشرين، ثمّ قال: وفي رواية أُخرى: أنّه أقام مع أبيه تسع سنين وأشهر».

وروى أيضاً عن (دلائل الحميري) عن محمّد بن سنان، قال: «قبض أبو جعفر محمّد بن عليّ وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً في يوم الثلاثاء لستّ خلون من ذي الحجّة سنة عشرين ومائتين، وعاش بعد أبيه تسع عشرة سنة إلاّ خمسة وعشرين يوماً، ولا خلاف في أنه عليه السلام توفّي ببغداد، ودفن في مقابر قريش بحذاء جدّه موسى بن جعفر صلوات الله عليهما».

الباب الثاني عشر

في بيان ولادة ووفاة الإمام العاشر،
والنور الزاهر والبدر الباهر،
ذي الفضائل والفواضل والأيادي

علي بن محمد النقي الهادي

صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في بيان ولادته، ونسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه السلام

اسمه عليه السلام عليّ، وكنيته أبو الحسن لا غير، وأشهر ألقابه عليه السلام: التقيّ، والهادي، ويقال له أيضاً: النجيب، والمرتضى، والعالم، والفقيه، والأمين، والمؤتمن، والطيّب، والمتوكّل، والعسكري.

وفي (العلل) و (معاني الأخبار)، قال: «سمعت مشايخنا رحمهم الله يقولون: إنّ المحلّة التي يسكنها الإمامان عليّ بن محمّد والحسن بن عليّ عليهما السلام بسرّ من رأى كانت تسمّى عسكراً، فلذلك قيل لكلّ واحد منهما: العسكري»، والأشهر في سنة ولادته عليه السلام أنها سنة مائتين واثني عشرة من الهجرة».

وقال جمع كثير: «إنه في سنة مائتين وأربعة عشر».

«والمشهور أنه خامس عشر ذي الحجّة».

وقال الشيخ في (المصباح): «روي أنّ يوم السابع والعشرين من ذي الحجّة ولد أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام».

وقال في موضع آخر: «قال ابن عيّاش: خرج على يد الشيخ الكبير أبي القاسم هذا الدعاء: **اللّهُمَّ إنّي أسْأَلُكَ بِالْمَوْلُودَين في رَجَبٍ: مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الثّاني، وَابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ**».

ثم قال: «وذكر ابن عيّاش أنّه كان مولد أبي الحسن الثالث يوم الثاني من رجب، وذكر أيضاً أنه كان يوم الخامس».

قال: «وروى إبراهيم بن هاشم القمّي رحمه الله، قال: ولد أبو الحسن العسكري عليه السلام يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة أربع عشرة ومائتين»، انتهى.

وموضع ولادته عليه السلام في موضع حوالي المدينة، يقال له: صربا.

وروى الصفّار في (البصائر) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «**إن الله تعالى إذا أراد أن يخلق الإمام بعث ملكاً بسبع ورقات من الجنّة إلى أبيه، فيتناولها فتصير في صلبه، فإذا واقع انعقدت النطفة في الرحم من ذلك، وصار يسمع الكلام في بطن أمه، فإذا سقط من بطن**

أمه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة، وكتب الملك على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]».

ووالد عليّ الهادي محمّد الجواد، وأُمه أمّ ولد يقال لها: سمانة.

ونقش خاتمه على ما في (الفصول المهمّة): «الله ربي وهو عصمتي من خلقه».

وعلى ما في (كشف الغمّة): «حفظ العهود من أخلاق المعبود».

وفي (الفصول المهمّة): «إنّه كان أسمر اللون».

الفصل الثاني

في بيان بعض ما أصابه عليه السلام من أعداء الدين والمخالفين الفاسقين

استشهد عليه السلام في سنة مائتين وأربعة وخمسين بعد الهجرة اتّفاقاً، واختلف في يوم وفاته.

ففي رواية عليّ بن إبراهيم وابن عيّاش: «أنّها يوم الإثنين ثالث شهر رجب».

وفي رواية ابن الخشّاب: «إنها خامس وعشرين جمادى الآخر».

وفي رواية أخرى: «السابع والعشرين منه».

وفي رواية أخرى: «السادس والعشرين منه، وكان عمره عليه السلام حينئذٍ أربعين سنة في رواية».

وفي رواية أخرى: «إحدى وأربعين سنة وأشهر».

وفي (المناقب): «إنّه عليه السلام أقام مع أبيه ستّ سنين وخمسة أشهر، وبعده مدّة إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة، ويقال: وتسعة أشهر».

«ومدّة مقامه بسرّ من رأى عشرون سنة، وتوفّي فيها، وقبره في داره، وكان في سنين إمامته بقية مالك المعتصم، ثم الواثق والمتوكّل والمستنصر والمستعين والمعتزّ، وفي آخر ملك المعتمد استشهد مسموماً.

وقال ابن بابويه: وسمّه المعتمد»، انتهى.

ومدّة إقامته بالمدينة ثلاث عشرة سنة تقريباً، وحين توفّي عليه السلام لم يكن عنده سوى ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو الذي توجّه إلى تغسيله وتكفينه ودفنه.

وروى الكشّي وغيره بأسانيد عدّة، قال: «خرج أبو محمّد عليه السلام في جنازة أبي الحسن عليه السلام وقميصه مشقوق، فكتب إليه ابن عون الأبرش قرابة نجاح بن سلمة: من رأيت أو بلغك من الأئمّة شقّ ثوبه في مثل هذا؟

فكتب إليه أبو محمّد عليه السلام: **يا أحمق، وما يدريك ما هذا، قد شقّ موسى على هارون**».

وروى الشيخ المفيد رحمه الله في (الإرشاد)، قال: «كان سبب شخوص أبي الحسن عليه السلام من المدينة إلى سرّ من رأى أنّ عبد الله بن محمّد كان يتولّى الحرب والصلاة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، فسعى بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكّل، وكان يقصده بالأذى، وبلغ أبا الحسن عليه السلام سعايته به، فكتب إلى المتوكّل يذكر تحامل عبد الله بن محمّد عليه، وكذبه فيما

سعى به، فتقدّم المتوكل بإجابته عن كتابه ودعائه فيه إلى حضور العسكر على جميل من الفعل والقول، فخرجت نسخة الكتاب وهي:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أمّا بعد: فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك، راعٍ لقرابتك، موجب لحقّك، مؤثر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك وحالهم، ويثبّت به من عزّك وعزّهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم يبتغي بذلك رضا ربّه، وأداء ما فرض عليه فيك وفيهم، فقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمّد عمّا كان يتولّى من الحرب والصلاة بمدينة الرسول إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقّك، واستخفافه بقدرك وعندما قرفك به، ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه، وصدق نيّتك في برّك.

وقد ولّى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمّد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ونهيك، والتقرّب إلى الله تعالى وإلى أمير المؤمنين بذلك.

وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحبّ إحداث العهد بك، والنظر إلى وجهك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت شخصت، ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت، وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت، فإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون برحلك، ويسيرون بسيرك فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدّمنا إليه بطاعتك، فاستخر الله حتّى توافي أمير المؤمنين، فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصّته ألطف منك منزلة، ولا أحمد إثرة، ولا هو لهم أنظر، وعليهم أشفق، وبهم أبرّ، وإليهم أسكن منه إليك.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وكتب إبراهيم بن العبّاس في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين فلمّا وصل الكتاب إلى أبي الحسن عليه السلام تجهّز للرحيل وخرج معه يحيى بن هرثمة حتّى وصل سرّ من رأى، فلمّا وصل إليها تقدّم المتوكّل بأن يحجب عنه في يومه فنزل في خان يقال له خان الصعاليك، وأقام به يومه، ثمّ تقدم المتوكّل بإفراد دار له، فانتقل إليها».

وفي (عيون المعجزات): «إنّ بريحة العبّاسي كتب إلى المتوكّل: إن كان لك في الحرمين حاجة، فأخرج عليّ بن محمّد منها، فإنّه قد دعا الناس إلى نفسه، واتّبعه خلق كثير، ثمّ كتب إليه بهذا المعنى، فأنفذ يحيى بن هرثمة وكتب معه إلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً جيّداً يعرّفه أنّه قد اشتاق إليه، وسأله القدوم عليه، وأمر يحيى بالمسير إليه، وكتب إلى بريحة يعرّفه ذلك،

فقدم يحيى المدينة وبدأ ببريحة، وأوصل الكتاب إليه، ثم ركبا جميعاً إلى أبي الحسن عليه السلام، وأوصلا إليه كتاب المتوكّل، فاستأجلهما ثلاثة أيّام، فلمّا كان بعد ثلاث عادا إلى داره فوجدا الدوابّ مسرجة، والأثقال مشدودة قد فرغ منها، فخرج عليه السلام متوجّهاً إلى العراق ومعه يحيى ابن هرثمة».

وروى الكليني والصفّار في (البصائر)، والمفيد في (الإرشاد) عن صالح بن سعيد، قال: «دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقلت: جعلت فداك، في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك، والتقصير بك حتّى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك.

فقال: **هٰهنا أنت يا بن سعيد**، ثمّ أوما بيده، فقال: **انظر**، فنظرت فإذا بروضات أنقات، وروضات ناظرات فيهنّ خيرات عطرات، وولدان كأنّهنّ اللؤلؤ المكنون، وأطيار، وظباء، وأنهار تفور، فحار بصري والتمع، وحسرت عيني، فقال: **حيث كنّا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك**».

واعلم أنّ المتوكّل قد سعى في إطفاء نوره عليه السلام وإهلاكه، فأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره، ولم يزل يشاهد من معجزاته عليه السلام وكراماته ما لا يحصى ويزداد عناده وأذيّته حتّى هلك بدعاء الإمام عليه السلام عليه.

وروى السيّد ابن طاووس في (المهج) وغيره عن زراقة حاجب المتوكّل - وكان شيعيّاً - أنه قال: «كان المتوكل لحظوة الفتح بن خاقان عنده وقربه منه دون النّاس جميعاً ودون ولده وأهله، وأراد أن يبيّن موضعه عندهم، فأمر جميع مملكته من الأشراف من أهله وغيرهم والوزراء وسائر العساكر ووجوه النّاس أن يزيّنوا بأحسن التزيين، ويظهروا في أفخر عُددهم وذخائرهم، ويخرجوا مشاة بين يديه، وأن لا يركب أحد إلاّ هو والفتح بن خاقان خاصّة بسرّ من رأى، ومشى النّاس بين أيديهما على مراتبهم رجّالة، وكان يوماً قائضاً شديد الحرّ، وأخرجوا في جملة الأشراف عليّ بن محمّد عليه السلام، وشقّ عليه ما لقيه من الحرّ والزحمة، قال زراقة: فأقبلت إليه وقلت له: يا سيّدي، يعزّ والله عليَّ ما تلقى من هذه الطغاة، وما قد تكلّفته من المشقة، وأخذت بيده، فتوكأ عَلَيَّ وقال: **يا زراقة، ما ناقة صالح عند الله بأكرم منّي** - أو قال: **بأعظم قدراً منّي**».

وفي رواية أخرى أنّه عليه السلام قال: «**في هذا العالم مَن قلامة ظفره أكرم على الله من ناقة ثمود وفصيلها**».

قال زراقة: «ولم أزل أُسائله وأستفيد منه، وأُحادثه إلى أن نزل المتوكّل من الركوب، وأمر النّاس بالانصراف، فقدّمت إليهم دوابّهم، فركبوا إلى منازلهم، وقدّمت بغلة فركبها وركبت معه إلى داره، فنزل وودّعته وانصرفت إلى داري. ولولدي مؤدّب يتشيّع من أهل العلم

والفضل، وكانت لي عادة بإحضاره عند الطعام، فحضر عند ذلك، وتجارينا الحديث، وما جرى من ركوب المتوكّل والفتح ومشي الأشراف وذوي الأقدار بين أيديهما، وذكرت له ما شاهدته وسمعته من قوله عليه السلام، وكان المؤدّب يأكل معي، فرفع يده وقال: بالله إنّك سمعت هذا اللفظ منه؟ فقلت: والله إنّي سمعته يقوله.

فقال لي: اعلم أنّ المتوكّل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيّام ويهلك، فانظر في أمرك، واحرز ما تريد إحرازه، وتأهّب لأمرك كي لا يفجأكم هلاك هذا الرجل فتهلك أموالكم بحادثة تحدث، أو سبب يجري.

قالت له: من أين لك ذلك؟

فقال: أما قرأت القرآن في قصّة الناقة، وقوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، ولا يجوز أن يبطل قول الإمام.

قال زراقة: فوالله ما جاء اليوم الثالث حتّى هجم المنتصر ومعه بغاء ووصيف والأتراك على المتوكّل فقتلوه وقطّعوه والفتح بن خاقان جميعاً، قطعاً، حتّى لم يعرف أحدهما من الآخر، وأزال الله نعمته ومملكته، فلقيت الإمام أبا الحسن عليه السلام بعد ذلك وعرّفته ما جرى مع المؤدّب وما قاله، قال: **صدق، إنّه لمّا بلغ منّي الجهد رجعت إلى كنوز نتوارثها من آبائنا هي أعزّ من الحصون والسلاح والجنن، وهو دعاء المظلوم على الظالم، فدعوت به عليه، فأهلكه الله**».

وروى الصدوق في (العلل) و(الخصال) بإسناده عن صقر بن أبي دلف الكرخي، قال: «لمّا حمل المتوكّل سيّدنا أبا الحسن العسكري عليه السلام جئت أسأل عن خبره، فنظر إليَّ الزراقي، وكان حاجباً للمتوكّل، فأمر أن أدخل إليه، فأُدخلت إليه، قال: يا صقر، ما شأنك؟

قلت: خيراً أيّها الأستاذ.

فقال: اقعد، فأخذني ما تقدّم وما تأخر، وقلت: أخطأت في المجيء.

قال: فوجأ النّاس عنه ثمّ قال لي: ما شأنك وفيم جئت؟

قلت: لخير ما، فقال: لعلّك تسأل عن خبر مولاك؟

فقلت له: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين.

فقال: اسكت مولاك هو الحقّ، فلا تحتشمني فإني على مذهبك.

فقلت: الحمد لله، فقال: أتحب أن تراه؟

قلت: نعم، قال: اجلس حتّى يخرج صاحب البريد من عنده.

قال: فجلست، فلمّا خرج، قال لغلام له: خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلويّ المحبوس، وخلِّ بينه وبين الحجرة.

قال: فأدخلني إلى الحجرة وأومأ إلى بيت، فدخلت فإذا هو عليه السلام جالس على صدر حصير وبحذائه قبر محفور.

قال: فسلّمت عليه فردّ عَلَيَّ، ثم أمرني بالجلوس ثمّ قال لي: **يا صقر، ما أتى بك؟**

قلت: سيّدي جئت أتعرّف خبرك، قال: ثمّ نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر إليَّ فقال: **يا صقر، لا عليك، لن يصلوا إلينا بسوء الآن.**

فقلت: الحمد لله، ثم قلت: يا سيّدي - وذكر سؤالاً وجواباً إلى أن قال: - ثمّ قال عليه السلام: **ودّع واخرج فلا آمن عليك**».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن ابن أُورمة، قال: «خرجت أيّام المتوكّل إلى سرّ من رأى، فدخلت على سعيد الحاجب ودفع المتوكّل أبا الحسن عليه السلام إليه ليقتله، فلمّا دخلت عليه قال لي: أتحبّ أن تنظر إلى إلهك؟!

قلت: سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار.

فقال: هو الذي تزعمون أنّه إمامكم؟

قلت: ما أكره ذلك.

قال: قد أُمرت بقتله، وأنا فاعله غداً، وعنده صاحب البريد، فإذا خرج فادخل إليه، فلم ألبث أن خرج، فقال: ادخل، فدخلت الدار التي كان فيها عليه السلام محبوساً، فإذا بحياله قبر محفور، فدخلت وسلّمت وبكيت بكاءً شديداً.

فقال: **ما يبكيك؟**

قلت: لِما أرى.

قال: **لا تبك لذلك، لا يتمّ لهم ذلك**، فسكن ما كان بي، فقال: **إنّه لا يلبث أكثر من يومين حتّى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته.**

قال: فوالله ما مضى غير يومين حتّى قُتل».

وروى أيضاً بإسناد معتبر عن أبي سعيد العبّاس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب، ونحن في داره بسامرة، فجرى ذكر أبي الحسن عليه السلام فقال: «يا أبا سعيد، إنّي أُحدّثك بشيء حدّثني به أبي، قال: كنّا مع المعتزّ، وكان أبي كاتبه، فدخلنا الدار وإذا المتوكّل على سريره قاعد، فسلّم المعتزّ ووقف ووقفت خلفه، وكان عهدي به إذا دخل، رحّب به ويأمره بالقعود، فأطال القيام وجعل يرفع رجلاً ويضع أُخرى وهو لا يأذن له بالقعود، ونظرت إلى وجهه يتغيّر ساعة

بعد ساعة، ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول: هذا الذي تقول فيه ما تقول؟ ويردّد القول، والفتح مقبل عليه يسكّنه ويقول: مكذوب عليه يا أمير المؤمنين، وهو يتلظى ويقول: والله لأقتلنّ هذا المرائي الزنديق، وهو يدّعي الكذب ويطعن في دولتي، ثم قال: جئني بأربعة من الخزر، فجيء بهم، ودفع إليهم أربعة أسياف وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن عليه السلام، ويقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه وهو يقول: والله لأحرقنّه بعد القتل، وأنا منتصب قائم خلف المعتزّ من وراء الستر، فما علمت إلاّ بأبي الحسن عليه السلام قد دخل، وقد بادر النّاس قدّامه، وقالوا: قد جاء، والتفت فإذا به وشفتاه يتحرّكان وهو غير مكروب ولا جازع، فلمّا أبصر به المتوكّل رمى بنفسه من على السرير إليه وسبقه، وانكبّ عليه فقبّل بين عينيه ويده، وسيفه بيده وهو يقول: يا سيّدي، يا بن رسول الله، يا خير خلق الله، يا بن عمّي، يا مولاي يا أبا الحسن، وأبو الحسن عليه السلام يقول: **أُعيذك يا أمير المؤمنين بالله من هذا**، فقال: ما جاء بك يا سيّدي في هذا الوقت؟

قال: **جاءني رسولك فقال: المتوكّل يدعوك.**

فقال: كذب ابن الفاعلة، ارجع يا سيّدي من حيث شئت، يا فتح، يا عبيد الله، يا معتزّ، شيّعوا سيّدكم وسيّدي، فلمّا بصر به الخزر خرّوا سجّداً مذعنين.

فلمّا خرج دعاهم المتوكّل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون، ثم قال لهم: لِمَ لم تفعلوا ما أُمرتم؟

قالوا: شدّة هيبته، رأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأمّلهم، فمنعنا ذلك عمّا أمرت به، وامتلأت قلوبنا من ذلك.

فقال المتوكّل: يا فتح، هذا صاحبك، وضحك في وجه الفتح وضحك الفتح في وجهه، وقال: الحمد لله الذي بيّض وجهه وأنار حجّته».

وروى الكليني والمفيد في (الإرشاد)، والراوندي وغيرهم عن إبراهيم بن محمّد الطاطري، قال: «مرض المتوكّل من خراج به، فأشرف منه على التلف، فلا يجسر أحد أن يمسّه بحديدة، فنذرت أُمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام مالاً جليلاً من مالها، وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام - فسألته، فإنّه ربما كان عنده صفة شيء يفرّج الله به عنك، قال: ابعثوا إليه، فمضى الرسول ورجع، فقال: خذوا كسب الغنم فذيفوه بماء ورد وضعوه على الخراج، فإنّه نافع بإذن الله، فجعل من بحضرة المتوكّل يهزأ من قوله، فقال لهم الفتح: وما يضرّ من تجربة ما قال، فوالله إنّي لأرجو الصلاح به، فأحضر الكسب وذيف بماء الورد ووضع على الخراج، فانفتح وخرج ما كان فيه، وبشّرت أُمّ المتوكّل بعافيته.

فحملت إلى أبي الحسن عليه السلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها، فاستقلّ المتوكّل من علّته، فلمّا كان بعد أيّام سعى البطائحي بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكّل، فقال: عنده سلاح وأموال، فتقدّم المتوكّل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجد عنده من الأموال والسلاح ويُحمل إليه.

فقال إبراهيم بن محمّد: فقال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام بالليل ومعي سلّم فصعدت منه إلى السطح، نزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدرِ كيف أصل إلى الدار، فناداني أبو الحسن عليه السلام من الدار: **يا سعيد، مكانك حتّى يأتوك بشمعة**، فلم ألبث أن أتوني بشمعة، فنزلت فوجدت عليه جبّة من صوف وقلنسوة منها وسجّادته على حصير بين يديه، وهو مقبل على القبلة، فقال لي: **دونك البيوت**، فدخلتها وفتّشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدرة مختومة بخاتم أُمّ المتوكّل وكيساً مختوماً معها.

فقال أبو الحسن عليه السلام: **دونك المصلّى**، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبوس، فأخذت ذلك وصرت إليه، فلمّا نظر إلى خاتم أُمّه على البدرة فبعث إليها، فخرجت إليه فسألها عن البدرة، فأخبرني بعض خدم الخاصّة أنها قالت له: كنت نذرت في علّتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار، فحملتها إليه، وهذا خاتمي على الكيس ما حرّكها، وفتح الكيس الآخر وكان فيه أربعمائة دينار، فأمر أن يضمّ إلى البدرة بدرة أخرى، وقال لي: احمل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام، واردد عليه السيف والكيس بما فيه، فحملت ذلك إليه واستحييت منه، وقلت: يا سيّدي، عزّ عليَّ دخولي دارك بغير إذنك، ولكنّي مأمور به.

فقال لي: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وروى ابن شهرآشوب في (المناقب)، والقطب الراوندي وغيرهم بأسانيد عديدة عن جماعة كثيرين، قالوا: «كانت زينب الكذّابة تزعم أنّها ابنة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأحضرها المتوكّل وقال: اذكري نسبك؟

فقالت: أنا زينب ابنة عليّ، وأنها كانت حُملت إلى الشام فوقعت إلى بادية من بني كليب، فأقامت بين ظهرانيهم.

فقال لها المتوكّل: إنّ زينت بنت عليّ قديمة وأنتِ شابّة؟

فقالت: لحقتني دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يردّ شبابي في كلّ خمسين سنة، فدعا المتوكّل وجوه آل أبي طالب فقال: كيف يُعلم كذبها؟

فقال الفتح: لا يخبرك بهذا إلاّ ابن الرضا عليه السلام، فأمر بإحضاره وسأله.

فقال عليه السلام: **إنّ في وُلد عليّ** عليه السلام علامة.

قال: وما هي؟

قال: **لا تعرض لهم السباع، فألقها إلى السباع، فإن لم تعرض لها فهي صادقة.**

فقال لها: ما تقولين؟ قالت: إنّه يريد قتلي.

قال: **فهنا جماعة من ولد الحسن والحسين** عليهما السلام فأنزل من شئت منهم.

قال: فوالله لقد تغيّرت وجوه الجميع، فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره لِمَ لا يكون هو؟ فمال المتوكّل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع، فقال: يا أبا الحسن، لِمَ لا تكون أنت ذلك؟

قال: **ذاك إليك**، قال: فافعل، قال: **أفعل**.

فأُتي بسلّم وفتح على السباع وكانت ستّة من الأُسد، فنزل أبو الحسن عليه السلام إليها، فلمّا دخل إليها، وجلس صارت الأسود إليه، فرمت بأنفسها بين يديه، ومدّت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه، فجعل يمسح على رأس كلّ واحد منها ثمّ يشير إليه بيده إلى الاعتزال فيعتزل ناحية حتّى اعتزلت كلّها وقامت بإزائه، فقال له الوزير: ما هذا صواباً، فبادر بإخراجه من هناك قبل أن ينتشر خبره، فقال له: يا أبا الحسن، ما أردنا بك سوءاً، وإنّما أردنا أن نكون على يقين ممّا قلت، فأُحبّ أن تصعد.

فقام عليه السلام وصار إلى السلّم وهي حوله تتمسّح بثيابه، فلمّا وضع رجله على أوّل درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع، فرجعت، وصعد فقال: **كلّ من زعم أنّه من ولد فاطمة** عليها السلام فليجلس في ذلك المجلس.

فقال لها المتوكّل: انزلي، فقالت: الله الله ادّعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضرّ على ما قلت، فقال المتوكّل: ألقوها إلى السباع، فاستوهبتها والدته».

وفي رواية: «أنّها طرحت للسباع فأكلتها».

الباب الثالث عشر

في بيان تاريخ الإمام الحادي عشر،
وثمرة فؤاد سيّد البشر، والشافع المشفّع في المحشر،
ووالد القائم المنتظر، الرضي الزكي التقي

أبي محمد الحسن بن علي العسكري

عليه السلام

وفيه فصول

الفصل الأوّل

في تاريخ ولادته، وبيان نسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه السلام

اسمه الشريف: الحسن عليه السلام، وكنيته: أبو محمّد، وألقابه الشريفة: الزكيّ، والهادي، والعسكريّ، وزاد في (المناقب): «الصامت، والرفيق، والتقيّ»، وأُمّه أُم ولد.

وقال المرتضى في (عيون المعجزات): «اسمها - على ما رواه أصحاب الحديث - سليل رضي الله عنها، وقيل: حديث، والصحيح: سليل، وكانت من العارفات الصالحات»، انتهى.

والأشهر في تاريخ ولادته عليه السلام أنّها في السنة الثانية والثلاثين بعد المائتين من الهجرة.

وفي (عيون المعجزات): «روي أنّه عليه السلام ولد في سنة إحدى وثلاثين ومائتين».

والأشهر في يوم ولادته عليه السلام أنه يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني.

وقيل: «عاشره».

وقيل: «يوم السبت، رابعه».

وقال المفيد في (الإرشاد): «مولده بالمدينة في شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثين ومائتين»، انتهى.

وقيل: «إنّ مولده عليه السلام بسرّ من رأى».

وفي (الفصول المهمّة): «صفته عليه السلام بين السمرة والبياض، ونقش خاتمه: سبحان من له مقاليد السماوات والأرض».

وقال الكفعمي: «نقش خاتمه: أنا لله شهيد».

وروى الصفّار في (البصائر) بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «**إذا أراد الله أن يخلق الإمام أرسل قطرة من الماء الذي تحت العرش إلى الأرض فتسقط تلك القطرة على النبات أو المياه، فيتناوله الإمام، فتنعقد النطفة من ذلك الماء، فإذا انتقلت في الرحم أربعين يوماً وليلة في بطن أُمّه لا يسمع الصوت، ثمّ يسمع بعد ذلك الكلام، فإذا كمل له أربعة أشهر، كتب الملك على عضده الأيمن** ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فإذا سقط إلى الأرض ألهمه الله الحكمة وحلاّه بالعلم والوقار، وخلع عليه المهابة، وجعل الله له عموداً من نور يُبصر به أعمال العباد ويطّلع على سرائرهم».

الفصل الثاني

في بيان شهادته عليه السلام

روي الصدوق في (إكمال الدين) وغيره، عن رجل من أهل قم حضر مجلس أحمد بن عبيد الله بن خاقان، وهو عامل السلطان يومئذٍ على الخراج والضياع بكورة قم، وكان من أنصب خلق الله وأشدّهم عداوة له، فجرى ذكر المقيمين من آل أبي طالب بسرّ من رأى ومذاهبهم وصلاحهم وأقدارهم عند السلطان، فقال أحمد بن عبيد الله: ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرضا، ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذويّ السنّ منهم والخطر، وكذلك القوّاد والوزراء والكتّاب وعوامّ الناس، وإني كنت قائماً ذات يوم على رأس أبي وهو يوم مجلسه للنّاس؛ إذ دخل عليه حجّابه، فقالوا له: ابن الرضا على الباب.

فقال بصوت عالٍ: ائذنوا له.

فدخل رجل أسمر، أعين، حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، حدث السنّ، له جلالة وهيبة، فلمّا نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطوات، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم، ولا بالقوّاد ولا بأولياء العهد، فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه ومنكبيه، وأخذ بيده فأجلسه على مصلاّه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويكنّيه ويفديه بنفسه وأبويه، وأنا متعجّب ممّا أرى منه؛ إذ دخل عليه الحجّاب فقالوا: الموفّق قد جاء، وكان الموفّق إذا جاء ودخل على أبي، تقدّم حجّابه وخاصّة قوّاده فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً عليه يحدّثه حتّى نظر إلى غلمان الخاصّة، فقال حينئذٍ: إذا شئت فقم جعلني الله فداك يا أبا محمّد، وقال لغلمانه: خذوا به خلف سماطين لئلاّ يراه الأمير - يعني الموفّق - وقام أبي وعانقه وقبّل وجهه ومضى.

فقلت لحجّاب أبي وغلمانه: ويلكم مَن هذا الذي فعل به أبي هذا الذي فعل؟

فقالوا: هذا رجل من العلويّة يقال له: الحسن بن عليّ يُعرف بابن الرضا، فازددت تعجّباً، فلم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي، وما رأيت منه حتّى كان الليل، وكانت عادته أن يصلّي العتمة ثمّ يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه السلطان، فلمّا جلس جئت فجلست بين يديه، فقال: يا أحمد، ألك حاجة؟

قلت: نعم يا أبتِ، إن أذنت سألتك عنها.

فقال: قد أذنت لك يا بنيّ فقل ما أحببت.

فقلت: يا أبتِ، مَنِ الرجل الذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟

فقال: يا بنيّ، ذاك ابن الرضا، ذاك إمام الرافضة، فسكت ساعة فقال: يا بنيّ لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العبّاس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا، فإنّ هذا يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه، لرأيت رجلاً جليلاً خيّراً فاضلاً، فازددت قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي ممّا سمعته منه فيه، ولم يكن لي همّة بعد ذلك إلاّ السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألت عنه أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر النّاس إلاّ وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحلّ الرفيع والقول الجميل والتقديم له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم، وكلّ يقول: هو إمام الرافضة، فعظم قدره عندي إذ لم أرَ له وليّاً ولا عدوّاً إلاّ وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.

فقال له بعض أهل المجلس من الأشعريّين: يا أبا بكر، فما حال أخيه جعفر؟ فقال: ومن جعفر فيسأل عن خبره أو يقرن به؟ إنّ جعفراً معلن بالفسق، ماجن، شرّيب للخمور، أقلّ من رأيت من الرجال وأهتكهم لستره، مذمّ، خمّار، قليل في نفسه، خفيف والله، لقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن عليّ ما تعجّبت منه، وما ظننت أنّه يكون؛ وذلك أنّه لمّا اعتلّ بعث إلى أبي أنّ ابن الرضا قد اعتلّ، فركب من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة، ثمّ رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدم أمير المؤمنين كلّهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير الخادم، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن عليّ، وتعرّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطبّبين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده في صباح ومساء.

فلمّا كان بعد ذلك بيومين جاءه من أخبره أنّه قد ضعف، فركب حتّى بكّر إليه، ثمّ أمر المتطبّبين بلزومه، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممّن يوثق به في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم، فبعث بهم إلى دار الحسن عليه السلام فأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتّى توفّي عليه السلام لأيّام مضت من ربيع الأوّل من سنة ستّين ومائتين، فصارت سرّ من رأى ضجّةً واحدة: مات ابن الرضا عليه السلام، وبعث السلطان إلى داره من يفتّشها ويفتّش حجرها، وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده وجاؤوا بنساء يعرفن بالحبل، فدخلن على جواريه فنظرن إليهنّ، فذكر بعضهنّ أن هناك جارية بها حمل، فأمر بها، فجعلت في حجرة ووكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثمّ

أخذوا بعد ذلك في تهيئته، وعطّلت الأسواق، وركب أبي وبنو هاشم والقوّاد والكتّاب وسائر الناس إلى جنازته عليه السلام، فكانت سرّ من رأى يومئذٍ شبيهة بالقيامة.

فلمّا فرغوا من تهيئته، بعث السلطان إلى أبي عيسى ابن المتوكّل فأمره بالصلاة عليه، فلمّا وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منها، فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلويّة والعبّاسية والقوّاد والكتّاب والقضاة والفقهاء والمعدّلين، وقال: هذا الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه، حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن المتطبّبين فلان وفلان، ثمّ غطى وجهه وقام فصلّى عليه، وكبّر عليه خمساً، وأمر بحمله، وحُمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دُفن فيه أبوه عليه السلام.

فلمّا دُفن وتفرّق الناس، اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقّفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهّموا عليها الحبل ملازمين لها سنتين وأكثر حتّى تبيّن لهم بطلان الحبل، فقسّم ميراثه بين أُمّه وأخيه جعفر، وادّعت أُمّه وصيّته، وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده.

فجاء جعفر بعد قسمة الميراث إلى أبي وقال له: اجعل لي مرتبة أبي وأخي، وأُوصل إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي وأسمعه، وقال له: يا أحمق، إنّ السلطان جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمة ليردّهم عن ذلك، فلم يقدر عليه ولم يتهيأ له صرفهم عن هذا القول، وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتّبك مراتبهم ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بها، واستقلّه عند ذلك واستضعفه، وأمر أن يحجب عنه، فلم يأذن له بالدخول عليه حتّى مات أبي، والأمر على تلك الحال والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن عليّ حتّى اليوم».

وروى الصدوق في (الإكمال): أيضاً بإسناد معتبر عن أبي الأديان، قال: «كنت أخدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت إليه في علّته التي توفي فيها عليه السلام، فكتب معي كتباً وقال: **تمضي بها إلى المدائن، فإنّك ستغيب خمسة عشر يوماً، فتدخل سرّ من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري، وتجدني على المغتسل.**

قال أبو الأديان: فقلت: فإذا كان ذلك فمن؟

قال: **من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي.**

فقلت: زدني؟

فقال: **من يصلّي عَلَيَّ فهو القائم بعدي.**

فقلت: زدني؟

فقال: **من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي**، ثمّ منعتني هيبته أن أسأله ما في الهميان، وخرجت بالكتب إلى المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلت سرّ من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي عليه السلام، فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا أنا بجعفر بن عليّ أخيه بباب الدار والشيعة حوله يعزّونه ويهنّونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد حالت الإمامة، لأنّي كنت أعرفه بشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدّمت فعزّيت وهنّيت، فلم يسألني عن شيء، ثمّ خرج عقيد، فقال: يا سيّدي، قد كفّن أخوك فقم للصلاة عليه، فدخل جعفر بن عليّ والشيعة من حوله يقدمهم السمّان والحسن بن عليّ قتيل المعتصم المعروف بسلمة، فلمّا صرنا بالدار إذا نحن بالحسن بن عليّ عليه السلام على نعشه مكفّناً، فتقدم جعفر بن عليّ ليصلي على أخيه.

فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجذب رداء جعفر ابن عليّ وقال: **تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي**، فتأخّر جعفر وقد اربدّ وجهه، فتقدّم الصبي فصلّى عليه ودفن إلى جنب قبر أبيه.

ثمّ قال: **يا بصريّ، هات جوابات الكتب التي معك**، فدفعتها إليه، وقلت في نفسي: هذه اثنتان، بقي الهميان.

ثمّ خرجت إلى جعفر بن عليّ وهو يزفر، فقال له حاجز الوشّاء: يا سيّدي، من الصبيّ؟ ليقيم عليه الحجّة.

قال: والله ما رأيته قطّ، ولا عرفته، فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن عليّ عليه السلام فعرفوا موته، فقالوا: فمن؟ فأشار النّاس إلى جعفر بن عليّ، فسلّموا عليه وعزّوه وهنّوه، وقالوا: معنا كتب ومال، فتقول ممّن الكتب وكم المال، فقام ينفض أثوابه ويقول: يريدون أن نعلم الغيب.

قال: فخرج الغلام فقال: **معكم كتاب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار، عشرة دنانير منها مطليّة**، فدفعوا الكتب والمال، وقالوا: الذي وجّه بك لأجل ذلك هو الإمام، فدخل جعفر بن عليّ على المعتمد وكشف له ذلك، فوجّه المعتمد خدمه فقبضوا على الجارية وطالبوها بالصبيّ فأنكرته، وادّعت حملاً بها لتغطّي على حال الصبيّ، فسُلِّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت من أيديهم، والحمد لله ربّ العالمين، لا شريك له».

وروي أيضاً في (الإكمال)، قال: «وجدت مثبّتاً في بعض الكتب المصنّفة في التواريخ ولم أسمعه عن محمّد بن الحسين بن عبّاد أنّه قال: مات أبو محمّد عليه السلام يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة، وذلك في شهر ربيع الأوّل لثمان خلون سنة ستّين ومائتين للهجرة، ولم يحضره في ذلك الوقت إلا صيقل الجارية وعقيد الخادم ومن علم الله غيرهما.

قال عقيد: فدعا بماء قد أُغلي بالمصطكي، فجئنا به إليه، فقال: **أبدأ بالصلاة هيّئوني**، فجئنا به وبسطنا في حجره المنديل، وأخذ من صيقل الماء فغسل به وجهه وذراعيه مرّة مرّة، ومسح على رأسه وقدميه مسحاً، وصلّى صلاة الصبح على فراشه، وأخذ القدح ليشرب، فأقبل القدح يضرب ثناياه ويده ترعد، فأخذت صيقل القدح من يده، ومضى من ساعته صلوات الله عليه، ودفن في داره بسرّ من رأى إلى جنب أبيه عليه السلام، وصار إلى كرامة الله جلّ جلاله، وقد كمل عمره تسعاً وعشرين سنة».

واعلم أنّ وفاته عليه السلام باتّفاق أكثر المحدّثين والمؤرّخين، في ثامن شهر ربيع الأوّل سنة مائتين وستّين من الهجرة.

وقال الشيخ في (المصباح): «إنّه في أوّل الشهر المذكور».

والأكثر: أنّه كان يوم الجمعة.

وقيل: يوم الأربعاء.

وقيل: يوم الأحد.

وكان عمره الشريف حينئذٍ تسعاً وعشرين سنة.

وقيل: ثمانية وعشرون سنة.

ومدّة إمامته عليه السلام ما يقرب من ستّ سنين.

وقال ابن بابويه وغيره: «إنّ المعتمد أحد خلفاء بني العبّاس هو الذي سمّه».

وروى السيّد المرتضى رحمه الله في كتاب (عيون المعجزات) عن أحمد بن إسحاق بن مصقلة، قال: «دخلت على أبي محمّد عليه السلام فقال لي: **يا أحمد، ما كان حالكم فيما كان النّاس فيه من الشكّ والارتياب؟**

قلت: لمّا ورد الكتاب بخبر مولد سيّدنا عليه السلام لم يبق منا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلاّ قال بالحقّ، قال عليه السلام: **أما علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى**، ثمّ أمر أبو محمّد عليه السلام والدته بالحجّ في سنة تسع وخمسين ومائتين، وعرّفها ما يناله في سنة ستّين، ثم سلّم الاسم الأعظم والمواريث والسلاح إلى القائم الصاحب عليه السلام، وخرجت أُمّ أبي

محمّد عليه السلام إلى مكة، وقُبض عليه السلام في شهر ربيع الآخر سنة ستّين ومائتين، ودفن بسرّ من رأى إلى جانب أبيه عليه السلام، وكان من مولده إلى وقت مضيّه تسع وعشرون سنة».

إلى هنا كلام المرتضى في (عيون المعجزات).

تمّت أحواله عليه السلام، وتتلوه أحوال القائم عليه السلام.

الباب الرابع عشر

في بيان أحوال الإمام الثاني عشر،
والإمام المنتظر، والمهدي المظفّر،
نور الأنوار، وحجّة الجبّار، الغائب عن الأبصار،
والحاضر في قلوب الأخيار، حليف الإيمان،
وكاشف الأحزان، وخليفة الرحمن الحجة

ابن الحسن إمام الزمان

(عج)

وفيه فصول

في بيان ولادته عجل الله فرجه الشريف

«المشهور أنّ ولادته صلوات الله عليه في سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة».

وقيل: «سنة مائتين وثمانية وخمسين».

«والمشهور أنّ تولّده عليه السلام كان في ليلة الجمعة ليلة النصف من شعبان».

وقيل: «ثامن شهر شعبان».

وروي في (كشف الغمّة) عن بعض المخالفين: «أنّه كان في الثالث والعشرين من شهر رمضان».

وقد كانت ولادته في سرّ من رأى بالاتّفاق، واسمه وكنيته موافقان لاسم النبي صلى الله عليه وآله وكنيته.

وقد وردت جملة من الأخبار في النهي عن تسميته باسمه، وذهب إلى التحريم جمع من الأصحاب، وخفاء الحكمة في ذلك لا يدلّ على عدمها.

وألقابه الشريفة: المهديّ، والقائم، والمنتظر، والحجّة، وصاحب الأمر.

وروى الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) والصدوق، بأسانيد معتبرة عن بشر بن سليمان النخّاس، وهو من ولد أبي أيّوب الأنصاري، أحد موالي أبي الحسن وأبي محمّد عليهما السلام وجارهما بسرّ من رأى، قال: «أتاني كافور الخادم فقال: مولانا أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام يدعوك إليه، فأتيته، فلمّا جلست بين يديه قال لي: **يا بشر، إنّك من ولد الأنصار، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإنّي مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بها، وبسرّ أُطلعك عليه، وأُنفذك في ابتياع أمة.**

فكتب عليه السلام كتاباً لطيفاً بخطّ ولغة روميّة، وطبع عليه خاتمه، وأخرج شقّة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً، فقال: **خذها وتوجّه بها إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وترى الجواري فيها ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرين صفيقين، تمتنع من العرض، ولمس المعترض، والانقياد لمن يحاول لمسها، وتسمع صرخة روميّة من وراء ستر رقيق، فاعلم أنّها تقول: وا هتك ستراه، فيقول بعض: عَلَيَّ ثلثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول له بالعربيّة: لو برزت في زيّ سليمان بن**

داود على شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة، فأشفق على مالك، فيقول النخّاس: فما الحيلة ولا بدّ من بيعك، فتقول الجارية: وما العجلة، ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه، وإلى وفائه وأمانته، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له: إنّ معك كتاباً ملطّفة لبعض الأشراف بلغة روميّة وخطّ رومي ووصف فيه كرمه ووفاءه ونيله وسخاءه فناولها لتتأمّل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته، فأنا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً وقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة والمغلظة أنّه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت أُشاحّه في ثمنها حتّى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي عليه السلام من الدنانير، فاستوفاه وتسلّمت الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى الحجرة التي كنت آوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيبها وهي تلثمه، وتطبقه على جفنها، وتضعه على خدّيها، وتمسحه على بدنها.

فقلت تعجّباً منها: تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه؟

فقالت: أيّها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء، أعرني سمعك، وفرّغ لي قلبك، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأُمّي من ولد الحواريّين، تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون، أُنبئك بالعجب: إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسّيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أُمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهيّ ملكه عرشاً مصاغاً من أصناف الجوهر، ورفعه فوق أربعين مرقاة.

فلمّا صعد ابن أخيه وأحدقت الصلب وقامت الأساقفة عكّفاً، ونشرت أسفار الأناجيل، تسافلت الصلب من الأعلى فلصقت الأرض، وتقوّضت أعمدة العرش، فانهارت إلى القرار، وخرّ الصاعد من العرش مغشيّاً عليه، فتغيّرت ألوان الأساقفة، وارتعدت فرائصهم.

فقال كبيرهم لجدّي: أيها الملك، اعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدّالة على زوال هذا الدين المسيحيّ والمذهب الملكانيّ، فتطيّر جدي من ذلك تطيّراً شديداً، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة، وارفعوا الصلبان، وأحضروا أخا هذا المدبّر العاهر المنكوس جدّه لأزوّجه هذه الصبية، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، ولمّا فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأوّل، وتفرّق النّاس، وقام جدّي قيصر مغتماً، فدخل منزل النساء وأُرخيت الستور، وأُريت في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر

جدّي ونصبوا فيه منبراً من نور يباري السماء علواً وارتفاعاً في الموضع الذي كان نصب جدّي فيه عرشه، ودخل عليه محمّد ﷺ وختنه ووصيّه عليه السلام وعدّة من أبنائه عليهم السلام، فتقدّم المسيح إليه واعتنقه.

فقال له محمّد ﷺ: **يا روح الله، إنّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا**، وأومأ بيده إلى أبي محمّد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: قد أتاك الشرف، فصل رحمك برحم آل محمّد.

قال: قد فعلت فصعدوا ذلك المنبر فخطب محمّد ﷺ وزوّجني من ابنه، وشهد المسيح وشهد أبناء محمّد ﷺ والحواريّون.

فلمّا استيقظت أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل، فكنت أُسرّها في نفسي ولا أُبديها لهم، وضرب صدري بمحبّة أبي محمّد عليه السلام حتى امتنعت عن الطعام والشراب، فضعفت نفسي ودقّ شخصي، ومرضت مرضاً شديداً، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدّي وسأله عن دوائي، فلمّا برح به اليأس، قال: يا قرّة عيني، هل يخطر ببالك شهوة فأزوّدكيها في هذه الدنيا؟

فقلت: يا جدّي، أرى أبواب الفرج عَلَيَّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أُسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدّقت عليهم ومنّيتهم الخلاص، رجوت أن يهب المسيح وأُمه عافية، فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصحة من بدني قليلاً، وتناولت يسيراً من الطعام، فسرّ بذلك، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم.

فأُريت أيضاً بعد أربع عشرة ليلة كأنّ سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني ومعها مريم بنت عمران، وألف من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيّدة النساء أُمّ زوجك أبي محمّد عليه السلام فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد عليه السلام من زيارتي.

فقالت سيّدة النساء: **إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى، وهذه أُختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله من دينك، فإن مِلتِ إلى رضاء الله تعالى ورضا المسيح ومريم** عليهم السلام وزيارة أبي محمّد إيّاك فقولي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ أبي محمّداً ﷺ رسول الله.

فلمّا تكلّمت بهذه الكلمة ضمّتني إلى صدرها سيّدة نساء العالمين، وطيّبت نفسي، وقالت: **الآن توقّعي زيارة أبي محمّد** عليه السلام، وإنّي منفذته إليك، فانتبهت وأنا أقول: واشوقاه إلى لقيا أبي محمّد، وأتوقع لقاء أبي محمّد عليه السلام.

فلمّا كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمّد وكأنّي أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبّك.

فقال: **ما كان تأخيري عنك إلاّ لشركك، فقد أسلمت وأنا زائرك في كلّ ليلة إلى أن يجمع الله شملنا في العيان**، فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسارى؟

فقالت: أخبرني أبو محمّد عليه السلام ليلة من الليالي أنّ جدّك سيسيّر جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا، ثمّ يتبعهم، فعليك باللحاق بهم متنكرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا، فعلت ذلك فوقعت علينا طلائع المسلمين حتّى كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعر بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، وذلك بإطلاعي إيّاك عليه، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته، وقلت: نرجس، فقال: اسم الجواري، والعجب إنّك رومية ولسانك عربيّ.

قالت: نعم من ولوع جدّي وحمله إيّاي على تعلّم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة له، في الاختلاف إليّ، وكانت تقصدني صباحاً ومساءً، وتفيدني العربيّة حتّى استمرّ لساني عليها واستقام.

قال بشر: فلمّا انكفأت بها إلى سرّ من رأى، دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام فقال: **كيف أراكِ الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانيّة وشرف محمّد** صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام؟

قالت: كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به منّي.

قال: **فإنّي أحبّ أن أُكرمك، فأيّما أحبّ إليك عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد؟**

قالت: بشرى.

قال لها: **ابشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**، قالت: ممّن؟

قال: **ممّن خطبك رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم له ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا بالروميّة - قال لها: - **ممّن زوّجك المسيح** عليه السلام ووصيّه، قالت: من ابنك أبي محمّد؟

فقال: **هل تعرفينه؟** قالت: وهل خلت ليلة لم يزرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيّدة النساء عليها السلام، قال: فقال مولانا: يا كافور، ادع أُختي حكيمة رضي الله عنها فلما دخلت قال لها: **ها هي**، فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً.

قال لها أبو الحسن عليه السلام: **يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن، فإنّها زوجة أبي محمّد وأُمّ القائم (عج)**».

وروى الصدوق والشيخ المرتضى وغيرهما بأسانيد عديدة معتبرة عن محمّد بن عبد الله المطهّري، قال: «قصدت حكيمة بنت محمّد عليها السلام بعد مضيّ أبي محمّد عليه السلام أسألها عن الحجّة، وساق الحديث إلى أن قال:

فقلت: يا سيّدتي، حدّثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام؟

قالت: نعم، كانت لي جارية يقال لها: نرجس، فزارني ابن أخي عليه السلام وأقبل يحدّ النظر إليها.

فقلت له: يا سيّدي، لعلّك هويتها فأرسلها إليك.

فقال: **لا يا عمّة، لكني أتعجّب منها.**

فقلت: وما أعجبك؟

فقال عليه السلام: **سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجلّ، الذي يملأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.**

فقلت: فأرسلها إليك يا سيّدي.

فقال: **استأذني في ذلك أبي عليه السلام.**

قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام، فسلّمت وجلست، فبدأني عليه السلام وقال: **يا حكيمة، ابعثي بنرجس إلى ابني أبي محمّد.**

قالت: فقلت: يا سيّدي، على هذا قصدتك أن أستأذنك في ذلك.

فقال: **يا مباركة، إن الله تعالى أحبّ أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً.**

قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد، وجمعت بينه وبينها في منزلي، فأقام عندي أيّاماً ثم مضى إلى والده، ووجّهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمّد مكان والده، وكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّيَّ، وقالت: يا مولاتي، ناوليني خفّك.

فقلت: بل أنت سيّدتي ومولاتي، والله لا دفعت خفّي إليك لتخلعيه ولا خدمتيني، بل أخدمك على بصري، فسمع أبو محمّد عليه السلام ذلك فقال: **جزاك الله خيراً يا عمّة**، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف.

قال عليه السلام: **يا عمتاه، بيتي الليلة عندنا، فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ الذي يحيي به الله عزّ وجلّ الأرض بعد موتها.**

قلت: ممّن يا سيّدي، ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟

فقال: **من نرجس لا من غيرها**، قالت: فوثبت إلى نرجس فقلّبتها ظهراً لبطن، فلم أرَ بها أثراً من حبل، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت، فتبسّم ثم قال لي: **إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل؛ لأنّ مثلها مثل أُمّ موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها؛ لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى** عليه السلام وهذا نظير موسى».

وفي رواية أُخرى: «إنّه عليه السلام قال لها: **إنّا معاشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون، وإنّما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام، وإنّما نخرج من الفخذ الأيمن من أُمهاتنا؛ لأننا نور الله الذي لا تناله الدانسات.**

قالت حكيمة: فلمّا أن صلّيت المغرب والعشاء الآخرة أتيت المائدة فأفطرت أنا ونرجس، وباتيها في بيت فغفوت غفوة، ثم استيقظت فلم أزل مفكّرة فيما وعدني أبو محمّد عليه السلام من أمر وليّ الله عليه السلام، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كلّ ليلة فصلّيت صلاة الليل حتّى إذا بلغت إلى الوتر، فوثبت نرجس فزعة وخرجت وأسبغت الوضوء ثمّ عادت فصلّت صلاة الليل وبلغت إلى الوتر، فوقع في قلبي أنّ الفجر قد قرب، فقمت لأنظر فإذا أنا بالفجر الأوّل قد طلع، فتداخل قلبي الشكّ من وعد أبي محمّد عليه السلام، فناداني من حجرته: **لا تشكّي، وكأنّك بالأمر الساعة قد رأيتيه إن شاء الله.**

قالت حكيمة: فاستحييت من أبي محمّد عليه السلام ومما وقع في قلبي حتّى إذا كان وقت طلوع الفجر وثبت فزعة وضممتها إلى صدري، وسمّيت عليها، فصاح أبو محمّد عليه السلام: **اقرئي عليها**: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟

قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي، فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ، وسلّم عليَّ.

قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح أبو محمّد عليه السلام: **لا تعجبي من أمر الله** عزّ وجلّ. إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً ويجعلنا حجّة في أرضه كباراً، فلم يستتمّ الكلام حتّى غيّبت عنّي نرجس فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب، فعدوت نحو أبي محمّد عليه السلام وأنا صارخة، فقال لي: **ارجعي يا عمّة، فإنّك ستجدينها في مكانها.**

قالت: فرجعت فلم ألبث أن كُشف الحجاب بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بالصبيّ ساجداً على وجهه جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبّابتيه نحو السماء، وهو يقول: **أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ جدّي رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ أبي أمير المؤمنين عليه السلام. ثم عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه، فقال: عليه السلام: **اللهمّ أنجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري، وثبّت لي وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً**».

وفي رواية أُخرى: «قالت: لمّا ولد عليه السلام رأيت له نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاً تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثمّ تطير، فناداني أبو محمّد عليه السلام وهو يقول: **يا عمّتي، هاتي ابني إليَّ**، فتناولته وإذا هو نظيف مفروغ منه، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فأتيته به فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما، ثمّ أدخله في فيه فحنّكه ثمّ أدخله في أُذنيه وأجلسه في راحته اليسرى، فاستوى وليّ الله جالساً فمسح يده على رأسه، وقال له: **يا بنيّ، انطق بقدرة الله**، فاستعاذ ولي الله من الشيطان الرجيم واستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥،٦]، وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الأئمة واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه، ثمّ أتت الطيور ترفرف على رأسه عليه السلام، فصاح بطير منها فقال: **احمله واحفظه وردّه إلينا في كل أربعين يوماً**، فتناوله الطائر وطار به في جوّ السماء، واتّبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: **استودعك الذي استودعته أُم موسى** عليه السلام فبكت نرجس.

فقال لها: **اسكتي، فإنّ الرضاع محرّم عليه إلاّ من ثديك، وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمّه؛ وذلك قوله** عزّ وجلّ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: ١٣].

قالت حكيمة: فقلت: ما هذا الطائر؟

فقال: **هذا روح القدس الموكّل بالأئمة** عليهم السلام يوفّقهم ويسدّدهم ويزيّنهم بالعلم.

قالت حكيمة: فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ووجّه إليَّ ابن أخي فدعاني، فدخلت عليه، فإذا أنا بصبيّ متحرّك يمشي بين يديه.

فقلت: يا سيّدي، هذا ابن سنتين! فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: **إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمّة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وإنّ الصبيّ منّا إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة، وإنّ الصبيّ منا ليتكلّم في بطن أُمّه، ويقرأ القرآن، ويعبد ربه** عزّ وجلّ، **وعند الرضاع تطيعه الملائكة، وتنزل عليه صباحاً ومساءً**.

قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبّي كل أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً قبل مضيّ أبي محمّد عليه السلام بأيام قلائل، فلم أعرفه، فقلت لأبي محمّد عليه السلام: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟

فقال: **ابن نرجس، وهو خليفتي من بعدي، وعن قليل تفقدوني، فاسمعي له وأطيعي**.

قالت حكيمة: فمضى أبو محمّد عليه السلام بأيّام قلائل وافترق الناس كما ترى، ووالله إني لا لأراه صباحاً ومساءً، وإنّه لينبئني عمّا تسألونه عنه فأُخبركم، ووالله إنّي لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني به، وإنّه ليردّ عَلَيَّ الأمر، فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليَّ أيها الرجل السائل، وأمرني أن أُخبرك بالحقّ.

قال محمّد بن عبد الله: فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطّلع عليها أحد إلاّ الله عزّ وجلّ، فعلمت أنّ ذلك صدق وعدل من الله عزّ وجلّ، وأن الله عزّ وجلّ قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه».

وفي رواية أخرى: «إن حكيمة قالت: أتيت بعد ثلاثة أيّام وكنت مشتاقة إلى رؤيته عليه السلام، فقلت لأبي محمّد عليه السلام: يا سيّدي، أين مولاي؟

فقال: **أخذه من هو أحقّ منك ومنّا، فإذا كان اليوم السابع فتعالي إليَّ عندنا.**

فلمّا كان اليوم السابع أتيت، فالتفتّ إلى جانب البيت وإذا بمهد عليه أثواب خضر، فعدلت إلى المهد ورفعت عنه الأثواب فإذا أنا بوليّ الله نائم على قفاه غير محزوم ولا مقموط، ففتح عينيه وجعل يضحك ويناجيني بإصبعه، فتناولته وأدنيته إليَّ لأقبّله فشممت منه رائحة ما شممت قطّ أطيب منها، وناداني أبو محمّد عليه السلام: **يا عمّتي هلمّي فتاي إليَّ**، فتناوله».

وفي رواية أُخرى: «إنّه أدخل لسانه في فيه وأمرّ بيده على ظهره وسمعه ومفاصله، ثمّ قال له: **تكلّم يا بنيّ**.

فقال: **أشهد أن لا إله إلاّ الله**، وثنّى بالصلاة على محمد صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة، حتّى وقف على أبيه، ثم قرأ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ [القصص: ٥] الآية.

ثم قال عليه السلام: **يا بنيّ، اقرأ ممّا أنزل الله على أنبيائه ورسوله**، فابتدأ بصحف آدم عليه السلام فقرأها بالسريانيّة، وكتاب إدريس، وكتاب نوح، وكتاب هود، وكتاب صالح، وصحف إبراهيم عليه السلام، وتوراة موسى عليه السلام وزبور داود عليه السلام، وإنجيل عيسى عليه السلام، وفرقان جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثم قصّ قصص الأنبياء والمرسلين إلى عهده، إلى أن قال: ثم قال عليه السلام: **لمّا وهب ربّي مهديّ هذه الأمّة أرسل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش حتّى وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ، فقال له: مرحباً بك عبدي، أنت لنصرة ديني، وإظهار أمري، ومهديّ عبادي، آليت أنّي بك آخذ، وبك أعطي، بك أغفر، وبك أُعذّب، ارداه أيّها الملكان**

ردّاً رفيقاً وأبلغاه أنّه في ضماني وكنفي وبعيني إلى أن أحقّ به الحقّ، وأُزهق به الباطل، ويكون الدين لي واصباً».

أقول: إلى هنا انتهى كلام العلاّمة المجلسي رحمه الله في (جلاء العيون) في ترجمة ما ذكرناه من الأخبار والآثار، وأنا أحببت أن أذكر تتمّة أحوال القائم عجّل الله فرجه على نحو آبائه الطاهرين قضاءً لبعض ما يجب عَلَيَّ من حقوقه روحي له الفداء، ونفسي له الوقاء، لعلّ الله يجعلني في زمرته، ويدخلني في شفاعته، ويجعلني من أنصاره وأعوانه ومقوّية سلطانه، والذابّين عنه، والمستشهدين بين يديه، فأضفت إلى ذلك فصولاً:

الفصل الأوّل

في أسمائه وألقابه وكناه عليه السلام وعللها

روى الصدوق في (العلل) عن الثمالي، قال: «سألت الباقر عليه السلام: يا بن رسول الله، ألستم كلّكم قائمين بالحقّ؟

قال: بلى.

قلت: فلِمَ سمّي القائم قائماً؟

قال: **لمّا قتل جدّي الحسين** عليه السلام ضجّت الملائكة إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء عليه السلام والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: قرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقم منهم».

وفي (معاني الأخبار): «يسمّى القائم قائماً لأنّه يقوم بعد موت ذكره».

وفي (غيبة الشيخ) مرفوعاً، قال: قال أبو محمّد عليه السلام: «**حين ولد الحجّة زعم الظلمة أنّهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، فكيف رأوا قدرة الله، وسمّاه المؤمّل**».

وعن أبي سعيد الخراساني، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المهديّ والقائم واحد؟

فقال: نعم.

فقلت: لأيّ شيء يسمّى المهدي؟

قال: **لأنّه يهدي إلى كلّ أمر خفيّ، ويسمّى القائم لأنّه يقوم بعد ما يموت** - يعني ذكره - **إنّه يقوم بأمر عظيم**».

الفصل الثاني

في النهي عن التسمية

روى الصدوق في (العيون) عن أبي هاشم الجعفري، قال: «سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: **الخلف من بعدي الحسن ابني، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟**

قلت: ولِمَ جعلني الله فداك؟

فقال: **لأنكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه.**

قلت: فكيف نذكره؟

فقال: **قولوا: الحجّة من آل محمّد** عليهم السلام».

وروي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه قال في القائم: «**لا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**» - الخبر.

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**المهديّ من ولدي، الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحلّ لكم تسميته**».

وعن الكاظم عليه السلام أنّه قال عند ذكر القائم عليه السلام: «**يخفى على النّاس ولادته، ولا يحلّ لهم تسميته حتّى يظهره الله** عزّ وجلّ فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وعن أبي خالد الكابلي، قال: «لمّا مضى عليّ بن الحسين عليه السلام دخلت على الباقر عليه السلام فقلت: جعلت فداك، قد عرفت انقطاعي إلى أبيك، وأُنسي به ووحشتي من النّاس.

قال: **صدقت يا أبا خالد، فتريد ماذا؟**

فقلت: جعلت فداك، قد وصف لي أبوك صاحب هذا الأمر بصفة لو رأيته في بعض الطرق لأخذت بيده.

قال: **فتريد ماذا يا أبا خالد؟**

قلت: أُريد أن تسمّيه لي حتّى أعرفه باسمه؟

فقال: **سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد، ولقد سألتني بأمر لو كنت محدّثاً به أحداً لحدّثتك به، ولقد سألتني عن أمر لو أنّ بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطّعوه بضعة بضعة**».

وفي هذه الأخبار دلالة صريحة على عدم تخصيص ذلك بزمان الغيبة الصغرى كما صار إليه بعض الأصحاب.

وعن عليّ بن عاصم الكوفي، قال: «خرج في توقيعات صاحب الزمان: **ملعون ملعون من سمّاني في محفل من النّاس**».

وعن الحميري، قال: «كنت مع أحمد بن إسحاق عند العمري رضي الله عنه فقلت للعمري: إنّي أسألك عن مسألة قال الله عزّ وجلّ في قصّة إبراهيم: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] هل رأيت صاحبي؟

قال: نعم، وله عنق مثل ذي، وأشار بيديه جميعاً إلى عنقه.

قال: قلت: فالاسم؟

قال: إيّاك أن تبحث عن هذا، فإنّ عند القوم أنّ هذا النسل قد انقطع».

وعن ابن رئاب عن الصادق عليه السلام، قال: «**صاحب هذا الأمر رجل لا يسمّيه باسمه إلاّ كافر**».

وعن الريّان بن الصلت، قال: «سئل الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام، فقال: **لا يرى جسمه ولا يسمّى باسمه**».

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «سأل عمر أمير المؤمنين عليه السلام عن المهديّ، قال: يا بن أبي طالب، أخبرني عن المهديّ ما اسمه؟

قال: **أمّا اسمه فلا. إنّ حبيبي وخليلي عهد إليَّ أن لا أُحدّث باسمه حتّى يبعثه الله عزّ وجلّ، وهو ممّا استودع الله عزّ وجلّ رسوله** صلى الله عليه وآله وسلم **في علمه**».

وعن الصادق عليه السلام: «أنّه أشار إلى ابنه موسى فقال: **والخامس من ولده يغيّب شخصه، ولا يحلّ ذكره باسمه**».

الفصل الثالث

في صفاته وعلاماته ونسبه عليه السلام

في (العيون) عن الكاظم عليه السلام، قال: «**لا يكون القائم إلاّ إمام ابن إمام، ووصيّ ابن وصيّ**».

وروي عن أبي جعفر عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: «**قال أمير المؤمنين** عليه السلام على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض، مشرب حمرة، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم، مشاش المنكبين، بظهره شامتان؛ شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، له اسمان؛ اسم يخفى، واسم يعلن، فأمّا الذي يخفى فأحمد، وأمّا الذي يعلن فحمد، فإذا هزّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد، وأعطاه الله قوّة أربعين رجلاً، ولا يبقى ميّت إلاّ دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه وفي قبره، وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم عليه السلام».

وفي (إرشاد المفيد) و (غيبة الشيخ) عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **سأل عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين** عليه السلام فقال: أخبرني عن المهديّ ما اسمه؟

فقال: أمّا اسمه فإنّ حبيبي عهد إليَّ أن لا أحدّث به حتّى يبعثه الله.

فقال: فأخبرني عن صفته؟

قال: هو شابّ مربوع، حسن الوجه، حسن الشعر، يسيل شعره على منكبيه، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، بأبي ابن خيرة الإماء».

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «صاحب هذا الأمر هو الطريد الفريد الموتور بأبيه المكنّى بعمّه، المفرد من أهله، اسمه اسم نبيّ».

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **إذا توالت ثلاثة أسماء: محمّد وعلي والحسن كان رابعهم القائم**».

وعن داود الرقّي، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، قد طال هذا الأمر علينا حتّى ضاقت قلوبنا ومتنا كمداً؟

قال: **إنّ هذا الأمر أبين ما يكون وأشدّه غمّاً، ينادي منادٍ من السماء باسم القائم واسم أبيه.**

فقلت: جعلت فداك، ما اسمه؟

قال: **اسمه اسم نبيّ واسم أبيه اسم وصيّ».**

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «صاحب هذا الأمر أصغرنا سناً، وأخملنا شخصاً.

قلت: متى يكون؟

قال: **إذا سارت الركبان ببيعة الغلام، فعند ذلك يرفع كلّ دي صيصة لواء».**

وعن الصادق عليه السلام، قال: «يقوم القائم وليس في عنقه بيعة لأحد».

وفي رواية: «**وليس لأحد في عنقه عقد ولا عهد ولا بيعة».**

وعن شعيب [عن أبي حمزة]، قال: «دخلت على الصادق عليه السلام فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: **لا.**

قلت: فولدك؟ قال: **لا.**

قلت: فولد ولدك؟ قال: **لا.**

قلت: فولد ولد ولدك؟ قال: **لا.**

قلت: فمن هو؟

قال: **الذي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً، لعلى فترة من الأئمّة يأتي كما أنّ رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **بُعث على فترة».**

وعن الباقر عليه السلام، قال: «**الأمر في أصغرنا سنّاً، وأخملنا ذكراً».**

وقال صاحب (الفصول المهمّة): «صفته عليه السلام شابّ مربوع القامة، حسن الوجه، والشعر يسيل على منكبيه، أقنى الأنف، أجلى الجبهة.

قيل: إنّه غاب في السرداب والحرس عليه، وكان ذلك سنة ستّ وسبعين ومائتين».

الفصل الرابع

في بعض ما ظهر من معجزاته عليه السلام، وبعض أحواله، وأحوال سفرائه

روى الشيخ في (الغيبة) عن الحسين بن عليّ بن بابويه، قال: «حدّثني جماعة من أهل بلدنا القيّمين كانوا ببغداد في السنة التي خرجت القرامطة على الحاجّ، وهي سنة تناثر الكواكب، أنّ والدي رضي الله عنه كتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدّس الله روحه) يستأذن في الخروج إلى الحجّ، فخرج في الجواب: **لا تخرج في هذه السنة**.

فأعاد وقال: هو نذر واجب، أفيجوز لي القعود عنه؟

فخرج في الجواب: **إن كان لا بدّ، فكن في القافلة الأخيرة**، وكان في القافلة الأخيرة فسلم بنفسه وقتل من تقدّمه في القوافل الأخر».

وروى القطب الراوندي في (الخرائج) عن حكيمة، قالت: «دخلت على أبي محمّد عليه السلام بعد أربعين يوماً من ولادة نرجس، فإذا مولانا صاحب الزمان يمشي في الدار وهو يحدّث، فلم أرَ لغة أفصح من لغته، فتعجّبت، فتبسّم أبو محمّد عليه السلام فقال: **إنّا معاشر الأئمّة ننشأ في كلّ يوم كما ينشأ غيرنا في سنة**، قالت: ثمّ كنت بعد ذلك أسأل أبا محمّد عنه فيقول: **استودعناه الذي استودعت أمّ موسى ولدها**».

وعن محمّد بن هارون الهمداني، قال: «كان عَلَيَّ خمسمائة دينار، وضقت بها ذرعاً، ثمّ قلت في نفسي: لي حوانيت اشتريتها بخمسمائة دينار وثلاثين ديناراً قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار، ولا والله ما نطقت بذلك ولا قلت، فكتب عليه السلام - يعني القائم - إلى محمّد بن جعفر: **اقبض الحوانيت من محمّد بن هارون بخمسمائة دينار التي لنا عليه**».

وعن محمّد بن شاذان، قال: «اجتمع عندي خمسمائة درهم ناقصة عشرين فأتممتها من عندي وبعثت بها إلى محمّد بن أحمد القمّي، ولم أكتب كم لي فيها، فأنفذ إليَّ كتابه: **وصلت خمسمائة درهم لك فيها عشرون درهماً**».

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.

وقال الطبرسي رحمه الله في (الاحتجاج): «أمّا الأبواب المرضيّون، والسفراء الممدوحون، فأوّلهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، نصبه أوّلاً أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام، ثم ابنه أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام، فتولّى القيام بأمورهما

حال حياتهما، ثمّ بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان عليه السلام، وكانت توقيعاته عليه السلام وجواب المسائل، تخرج على يديه.

فلمّا مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه، وناب منابه في جميع ذلك.

فلمّا مضى قام بذلك أبو القاسم الحسين بن روح، من بني نوبخت.

فلمّا مضى قام مقامه أبو الحسن عليّ بن محمّد السمري، ولم يقم أحد منهم بذلك إلاّ بنصّ عليه من قِبل صاحب الزمان، ونصب صاحبه الذي تقدّم عليه، فلم تقبل الشيعة قولهم إلاّ بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كلّ واحد منهم من قِبل صاحب الأمر عليه السلام تدلّ على صدق مقالتهم، وصحّة نيابتهم.

فلمّا حان رحيل أبي الحسن السمري عن الدنيا وقرب أجله، قيل له: إلى من توصي؟ فأخرج توقيعاً إليهم نسخته:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا عليّ بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة. ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذّاب مفتر.

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه.

فقيل: مَن وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، وقضى، فهذا آخر كلام سُمع منه رضي الله عنه وأرضاه».

الفصل الخامس

في علّة الغيبة وكيفيّة انتفاع النّاس به عليه السلام في غيبته

روي في (الاحتجاج) عن الصادق عليه السلام، قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: لا بدّ للغلام من غيبة.

فقيل له: ولِمَ يا رسول الله؟

قال: يخاف القتل».

وروى الصدوق في (العلل) عن مروان الأنباري، قال: «خرج من أبي جعفر عليه السلام: **إنّ الله إذا كره لنا جوار قوم، نزعنا من بين أظهرهم**».

وعن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إنّ للقائم منّا غيبة يطول أمدها.**

فقلت له: ولِمَ ذلك يا بن رسول الله؟ قال: **إنّ الله** عزّ وجلّ **أبى إلاّ أن يجري فيه سنن الأنبياء في غيباتهم، وأنّه لا بد له - يا سدير - من استيفاء مدد غيباتهم. قال الله** عزّ وجلّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]، **أي سنناً على سنن من كان قبلكم**».

وعن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: «سمعت الصادق عليه السلام يقول: **إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل.**

فقلت له: ولِمَ جعلت فداك؟

قال: **لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم.**

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

فقال: **وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره. إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى** عليه السلام **إلاّ وقت افتراقهما.**

يا بن الفضل، إنّ هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا».

وعن زرارة، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**إن للقائم غيبة قبل ظهوره.**

قلت: ولِمَ؟

قال؛ **يخاف**، وأومأ بيده إلى بطنه.

قال زرارة: يعني القتل».

وفي (أمالي الصدوق) عن الأعمش، عن الصادق عليه السلام، قال: «**لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله.**

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع النّاس بالحجّة الغائب المستور؟

قال: **كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب**».

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن إسحاق بن يعقوب: «إنّه ورد عليه من الناحية المقدسّة على يد محمّد بن عثمان: **وأمّا علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١] أنّه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج حين أخرج، ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأمّا وجه الانتفاع في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن في ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى».

وروي عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام، قال: «**صاحب هذا الأمر تعمّى ولادته على الخلق لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج**».

وعن الحسن بن فضّال عن الرضا عليه السلام قال: «**كأنّي بالشيعة عند فقدانهم الرابع من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه.**

قلت له: ولِمَ ذاك يا بن رسول الله؟

قال: لأنّ إمامهم يغيب عنهم.

فقلت: ولِمَ؟

قال: **لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف**».

وعن زرارة عن الصادق عليه السلام، قال: «**للغلام غيبة قبل قيامه.**

قلت: ولِمَ؟

قال: **يخاف على نفسه الذبح**».

الفصل السادس

في أنّ غيبته عليه السلام ممحّصة، وفيها الامتحان العظيم والابتلاء الشديد، وأنّ التوقيت منهيّ عنه، وحصول البداء في ذلك

في (غيبة الشيخ) عن عليّ عليه السلام في القائم: «ثم قال: **ليغيبنّ عنهم حتّى يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد حاجة**».

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «**لتمخّضنّ يا معشر الشيعة، شيعة آل محمّد، كمخيض الكحل في العين؛ لأنّ صاحب الكحل يعلم متى يقع في العين ولا يعلم متى يذهب، فيصبح أحدكم وهو يرى أنّه على شريعة من أمرنا، فيمسي وقد خرج منها، ويمسي وهو على شريعة من أمرنا، فيصبح وقد خرج منها**».

وعن الربيع بن محمّد، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**والله لتكسّرنّ كسر الزجاج، وأنّ الزجاج يعاد فيعود كما كان، والله لتكسّرنّ كسر الفخار، وأنّ الفخار لا يعود كما كان، والله لتميّزنّ، والله لتمحّصنّ، والله لتغربلنّ كما يغربل الزوان من القمح**».

وعن الفضيل، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟

فقال: **كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون**».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**كذب الموقّتون ما وقّتنا فيما مضى ولا نوقّت فيما يستقبل**».

وعن عبد الرحمن بن كثير، قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم الأسدي، فقال: أخبرني جماعة جعلت فداك متى هذا الأمر الذي ينتظرونه، فقد طال؟

فقال: **يا مهزم، كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون، وإلينا يصيرون**».

وعن أبي بصير، قال: «قلت له: لهذا الأمر أمد نريح إليه أبداننا، وننتهي إليه؟ قال: **بلى، ولكنّكم أذعتم فزاد الله فيه**».

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام كان يقول: **إلى السبعين بلاء**، وكان يقول: **بعد البلاء رخاء، وقد مضت السبعون ولم نرَ رخاء؟**

فقال أبو جعفر عليه السلام: **يا ثابت، إنّ الله تعالى كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلمّا قتل الحسين** عليه السلام اشتدّ غضب الله على أهل الأرض، فأخّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدّثناكم

فأذعتم الحديث، وكشفتم قناع الستر، فأخّره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب.

قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام.

فقال: **قد كان ذاك**».

وفي (الاحتجاج) عن إسحاق بن يعقوب: «إنهِ خرج إليه على يد محمّد بن عثمان العمري: **أمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله، وكذب الوقّاتون**».

وفي (غيبة الشيخ) عن منصور، قال: «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة نتحدّث، فالتفت إلينا فقال: **في أيّ شيء أنتم، ايهات ايهات، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تميّزوا.**

لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلاّ بعد أياس، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى يشقى من شقي، ويسعد من سعد».

وعن البزنطي، قال: «قال أبو الحسن عليه السلام: «**أما والله لا يكون الذي تمدّون إليه أعينكم حتّى تميّزوا وتمحّصوا، وحتّى لا يبقى منكم إلاّ الأندر.**

ثم تلا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]»).

وعن محمّد بن مسلم وأبي بصير، قالا: «سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: **لا يكون هذا الأمر حتّى يذهب ثلثا النّاس.**

فقلنا: إذا ذهب ثلثا النّاس فمن يبقى؟

فقال: **أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي؟**».

وروي عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: **لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتّى يبرأ بعضكم من بعض، ويتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتّى يلعن بعضكم بعضاً، وحتى يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين**».

الفصل السابع

في فضل انتظار الفرج، ومدح الشيعة في زمان الغيبة

روى الصدوق في (العيون) بأسانيد معتبرة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أُمّتي انتظار فرج الله تعالى».

وفي (الاحتجاج) عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «**تمتد الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله** صلى الله عليه وآله والأئمّة من بعده.

يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره، أفضل أهل كلّ زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أُولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً»، وقال عليه السلام: «**انتظار الفرج من أعظم الفرج**».

وفي (البصائر) عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله **ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهمّ لقّني إخواني** مرّتين.

قال: من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟

فقال: **لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان بي آمنوا ولم يروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام نسائهم، لأحدهم أشدّ تقيّة على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أُولئك مصابيح الدُّجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة**».

وروي عن يحيى بن أبي القاسم، قال: «سألت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:١-٣].

فقال: **المتّقون شيعة عليّ** عليه السلام والغيب فهو الحجّة الغائب، وشاهد ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠]، فأخبر عزّ وجلّ أن الآية هي الغيب، والغيب هو الحجّة، وتصديق ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٠] يعني حجّة».

بيان: هذا الخبر مرويّ في (إكمال الدين)، والظاهر أنّ قوله: «وشاهد ذلك» كلام الصدوق.

وروي في (إكمال الدين) أيضاً عن الباقر، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: أفضل العبادة انتظار الفرج».

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام، قال: «**قال النبيّ** صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، واعلم أنّ أعظم النّاس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبيّ، وحجب عنهم الحجّة، فآمنوا بسواد في بياض».

وعن سيّد العابدين عليه السلام، قال: «**من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا، أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأُحد**».

الفصل الثامن

في ذكر أولاده، وبعض أحواله عليه السلام

قال العلاّمة المجلسي رحمه الله في (البحار): «وجدت رسالة مشتهرة بقصّة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض، أحببت إيرادها لاشتمالها على ذكر من رآه عليه السلام، ولما فيها من الغرائب، وإنّما أفردت لها باباً لأنّي لم أظفر بها في الأصول المعتبرة، ولنذكرها بعينها كما وجدتها:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لمعرفته، والشكر له على ما منحنا للاقتداء بسنن سيّد بريّته محمّد، الذي اصطفاه من بين خليقته، وخصّنا بمحبّة عليّ والأئمة المعصومين من ذريّته.

صلّى الله عليهم أجمعين الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد: فقد وجدت في خزانة أمير المؤمنين، وسيّد الوصيّين، وحجّة ربّ العالمين، وإمام المتّقين، عليّ بن أبي طالب عليه السلام بخطّ الشيخ الفاضل، والعالم العامل، الفضل بن يحيى بن عليّ الطبسي الكوفيّ «قدس سره» ما هذا صورته:

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم، وبعد: فيقول الفقير إلى عفو الله سبحانه وتعالى الفضل بن يحيى بن عليّ الطبسيّ الإماميّ الكوفيّ عفا الله عنه: قد كنت سمعت من الشيخين الفاضلين العالمَين العاملَين: الشيخ شمس الدين بن نجيح الحلّي، والشيخ جلال الدين بن عبد الله بن الحوام الحليّ قدّس الله روحيهما ونوّر ضريحهما، في مشهد سيّد الشهداء، وخامس أصحاب الكساء، مولانا وإمامنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام في النصف من شهر شعبان سنة تسع وتسعين وستمائة من الهجرة النبويّة على مشرّفها محمّد وآله أفضل الصلاة وأتمّ التحيّة، حكاية ما سمعناه من الشيخ الصالح التقيّ، والفاضل الورع الزكيّ زين الدين عليّ بن فاضل المازندراني المجاور بالغريّ على مشرّفيه السلام، حيث اجتمعنا به في مشهد الإمامين الزكيّين الطاهرين المعصومَين السعيدين عليهما السلام بسرّ من رأى، وحكى لهما حكاية ما شاهده ورآه في البحر الأبيض والجزيرة الخضراء من العجائب، فمرّ بي باعث الشوق إلى رؤياه، وسألت تيسير لقياه والاستماع لهذا الخبر من لقلقة فيه بإسقاط رواته، وعزمت على الانتقال إلى سرّ من رأى للاجتماع به، فاتّفق أنّ الشيخ زين الدين عليّ بن فاضل المازندراني انحدر من سرّ من رأى إلى الحلّة في أوائل شهر شوّال من السنة المذكورة ليمضي على جاري عادته، ويقيم في المشهد الغرويّ على مشرّفيه السلام.

فلمّا سمعت بدخوله إلى الحلّة، وكنت يومئذٍ بها أنتظر قدومه، فإذا أنا به وقد أقبل راكباً يريد دار السيّد الحسيب ذي النسب الرفيع، والحسب المنيع، السيّد فخرالدين الحسن بن عليّ الموسوي المازندراني نزيل الحلّة أطال الله بقاه، ولم أكن إذ ذاك الوقت أعرف الشيخ الصالح المذكور، ولكن خلج في خاطري أنّه هو.

فلمّا غاب عن عيني تبعته إلى دار السيّد المذكور، فلمّا وصلت إلى باب الدار رأيت السيّد فخرالدين واقفاً على باب داره مستبشراً.

فلمّا رآني مقبلاً ضحك في وجهي وعرّفني بحضوره، فاستطار قلبي فرحاً وسروراً، ولم أملك نفسي على الصبر على الدخول إليه في غير ذلك الوقت، فدخلت الدار مع السيّد فخرالدين فسلّمت عليه، وقبّلت يديه، فسأل السيّد عن حالي فقال له: هو الشيخ فضل ابن الشيخ يحيى الطبسي صديقكم، فنهض واقفاً وأقعدني في مجلسه، ورحّب بي، وأحفى السؤال عن حال أبي وأخي الشيخ صلاح الدين؛ لأنّه كان عارفاً بهما سابقاً، ولم أكن في تلك الأوقات حاضراً، بل كنت في بلدة واسط أشتغل في طلب العلم عند العالم العامل الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الواسطي الإمامي تغمّده الله برحمته، وحشره في زمرة أئمّته عليهم السلام، فتحادثت مع الشيخ الصالح المذكور متّع الله المؤمنين بطول بقاه، فرأيت في كلامه أمارات تدلّ على الفضل في أغلب العلوم من الفقه والحديث والعربيّة بأقسامها، وطلبت منه شرح ما حدّث به الرجلان الفاضلان العالمان العاملان: الشيخ شمس الدين والشيخ جلال الدين الحلّيان المذكوران سابقاً - عفا الله عنهما -، فقصّ لي القصّة من أوّلها إلى آخرها بحضور السيّد الجليل فخر الدين نزيل الحلّة صاحب الدار، وحضور جماعة من علماء الحلّة والأطراف قد كانوا أتوا لزيارة الشيخ المذكور وفّقه الله، وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر شوّال سنة تسع وتسعين وستمائة، وهذه صورة ما سمعته من لفظه أطال الله بقاه، وربّما وقع في الألفاظ التي نقلتها من لفظه تغيير، لكنّ المعاني واحدة.

قال حفظه الله تعالى: كنت مقيماً في دمشق الشام منذ سنين مشتغلاً بطلب العلم عند الشيخ الفاضل الشيخ عبد الرحيم الحنفي وفّقه الله لنور الهداية، في علمي الأصول والعربيّة، وعند الشيخ زين الدين علي المغربي الأندلسي المالكي في علم القراءة؛ لأنّه كان عالماً فاضلاً عارفاً بالقراءات السبع، وكان له معرفة في أغلب العلوم من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان والأصولين، وكان ليّن الطبع، لم تكن عنده معاندة في البحث ولا في المذهب، لحسن ذاته، فكان إذا جرى ذكر الشيعة يقول: قال علماء الإماميّة، بخلاف غيره من المدرّسين، فإنّهم كانوا يقولون عند ذكر الشيعة: قال علماء الرافضة، فاختصصت به وتركت التردّد إلى غيره، فأقمنا على ذلك برهة من الزمان أقرأ عليه في العلوم المذكورة.

فاتّفق له أنّه عزم على السفر من دمشق الشام يريد الديار المصرية، فلكثرة المحبّة التي كانت بيننا عزَّ عليَّ مفارقته وهو أيضاً كذلك، فآل الأمر إلى أنّه - هداه الله - صمّم العزم على صحبتي له إلى مصر، وكان عنده جماعة من الغرباء مثلي يقرأون عليه، فصحبه أكثرهم، فسرنا في صحبته إلى أن وصلنا مدينة بلاد مصر المعروفة بالقاهرة، وهي أكبر مدائن مصر كلّها، فأقام بالمسجد الأزهر مدّة يدرّس، فتسامع فضلاء مصر بقدومه فوردوا كلّهم لزيارته وللانتفاع بعلومه، فأقام في قاهرة مصر مدّة تسعة أشهر، ونحن معه على أحسن حال، وإذا بقافلة وردت من الأندلس، ومع رجل منها كتاب من والد شيخنا الفاضل المذكور يعرّفه فيه بمرض شديد قد عرض له، وأنّه يتمنى الاجتماع به قبل الممات، ويحثّه فيه على عدم التأخير.

فرَقّ الشيخ من كتاب أبيه، وصمّم العزم على المسير إلى جزيرة الأندلس، فعزم بعض التلامذة على صحبته، ومن الجملة أنا؛ لأنّه هداه الله قد كان أحبّني محبّة شديدة، وحسّن لي المسير معه.

فسافرت إلى الأندلس في صحبته، فحيث وصلنا إلى أوّل قرية من الجزيرة المذكورة، عرضت حمّى منعتني عن الحركة، وحين رآني الشيخ على تلك الحالة؛ رقّ لي وبكى، وقال: يعزّ عَلَيَّ مفارقتك، فأعطى خطيب تلك القرية التي وصلنا إليها عشرة دراهم وأمره أن يتعاهدني حتّى يكون منّي أحد الأمرين، وإن منّ الله بالعافية أتبعه إلى بلده، هكذا عهد إليَّ بذلك.

ثمّ مضى إلى بلد الأندلس ومسافة الطريق من ساحل البحر إلى بلده خمسة أيّام، فبقيت في تلك القرية ثلاثة أيّام لا أستطيع الحركة لشدّة ما أصابني من الحمّى، ففي آخر اليوم الثالث فارقتني الحمّى وخرجت أدور في سكك تلك القرية، فرأيت قفلاً قد وصل من جبال قريبة من شاطىء البحر الغربي يجلبون الصوف والسمن والأمتعة، فسألت عن حالهم، فقيل: إنّ هؤلاء يجيئون من جهة قريبة من أرض البربر، وهي قريبة من جزائر الرافضة، فحيث سمعت ذلك منهم ارتحت إليهم، وجذبني باعث الشوق إلى أرضهم، فقيل لي: إن المسافة خمسة وعشرون يوماً، منها يومان بغير عمارة ولا ماء، وبعد ذلك فالقرى متّصلة، فاكتريت معهم من رجل حماراً بمبلغ ثلاثة دراهم لقطع تلك المسافة التي لا عمارة فيها.

فلمّا قطعنا معهم تلك المسافة ووصلنا أرضهم العامرة تمشّيت راجلاً وتنقّلت على اختياري من قرية إلى أُخرى إلى أن وصلت إلى أوّل تلك الأماكن، فقيل لي: إنّ جزيرة الروافض قد بقي بينك وبينها ثلاثة أيّام، فمضيت ولم أتأخّر، فوصلت إلى جزيرة ذات أسوار أربعة، ولها أبراج محكمات شاهقات، وتلك الجزيرة بحصونها راكبة على شاطىء البحر، فدخلت من باب كبيرة يقال لها: باب البربر، فدرت في سككها أسأل عن مسجد البلد، فهديت عليه،

ودخلت إليه فرأيته جامعاً كبيراً معظّماً واقعاً على البحر من الجانب الغربي من البلد، فجلست في جانب المسجد لأستريح وإذا بالمؤذّن يؤذّن للظهر، ونادى بحيّ على خير العمل، ولمّا فرغ دعا بتعجيل الفرج للإمام صاحب الزمان (عج)، فأخذتني العبرة بالبكاء، فدخلت جماعة بعد جماعة إلى المسجد وشرعوا في الوضوء على عين ماء تحت شجرة في الجانب الشرقي من المسجد وأنا أنظر إليهم فرحاً مسروراً لما رأيته من وضوئهم المنقول عن أئمّة الهدى عليهم السلام.

فلمّا فرغوا من وضوئهم، وإذا برجل قد برز من بينهم بهيّ الصورة، عليه السكينة والوقار، فتقدّم إلى المحراب وأقام الصلاة، فاعتدلت الصفوف وراءه، وصلّى بهم إماماً وهم مأمومون صلاة كاملة بأركانها المنقولة عن أئمتنا عليهم السلام على الوجه المرضيّ فرضاً ونفلاً، وكذا التعقيب والتسبيح. ومن شدّة ما لقيته من وعثاء السفر وتعبي في الطريق لم يمكنّي أن أُصلّي معهم الظهر.

فلمّا فرغوا ورأوني، أنكروا عَلَيَّ عدم اقتدائي بهم، فتوجّهوا نحوي بأجمعهم وسألوني عن حالي، ومن أين أصلي، وما مذهبي، فشرحت لهم أحوالي، وأنّي عراقيّ الأصل، وأمّا مذهبي فإنّني رجل مسلم أقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الأديان كلّها ولو كره المشركون.

فقالوا لي: لم تنفعك هاتان الشهادتان إلاّ لحقن دمك في دار الدنيا لِمَ لا تقول الشهادة الأخرى لتدخل الجنّة بغير حساب؟

فقلت لهم: وما تلك الشهادة الأخرى، اهدوني إليها يرحمكم الله؟

فقال لي إمامهم: الشهادة الثالثة هي أن تشهد أنّ أمير المؤمنين ويعسوب المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين عليّ بن أبي طالب والأئمّة الأحد عشر من ولده أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفاؤه من بعده بلا فاصلة، قد أوجب الله عزّ وجلّ طاعتهم على عباده، وجعلهم أولياء أمره ونهيه، وحججاً على خلقه في أرضه، وأماناً لبريّته؛ لأنّ الصادق الأمين محمّداً رسول ربّ العالمين أخبر بهم عن الله تعالى مشافهة من نداء الله عز وجلّ له في ليلة معراجه إلى السماوات السبع، وقد صار من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، وسمّاهم له واحداً بعد واحد عليهم السلام.

فلمّا سمعت مقالتهم هذه حمدت الله سبحانه على ذلك، وحصل عندي أكمل السرور، وذهب عنّي تعب الطريق من الفرح، وعرّفتهم أنّي على مذهبهم، فتوجّهوا إليَّ إشفاقاً، وعيّنوا لي مكاناً في زوايا المسجد، وما زالوا يتعاهدوني بالعزّة والإكرام مدّة إقامتي عندهم، وصار إمام مسجدهم لا يفارقني ليلاً ونهاراً، فسألته عن ميرة أهل بلده من أين تأتي فإني لا أرى لهم أرضاً مزروعة؟

فقال: تأتي إليهم ميرتهم من الجزيرة الخضراء من البحر الأبيض من جزائر أولاد الإمام صاحب الأمر عليه السلام.

فقلت له: كم تأتيكم ميرتكم، في السنة مرّة؟

فقال: مرّتين، وقد أتت مرّة وبقيت الأخرى.

فقلت: كم بقي حتّى تأتيكم؟

قال: أربعة أشهر، فتأثّرت لطول المدّة ومكثت عندهم مقدار أربعين يوماً أدعو الله ليلاً نهاراً بتعجيل مجيئها وأنا عندهم في غاية الإعزاز والإكرام، ففي آخر يوم من الأربعين ضاق صدري لطول المدّة فخرجت إلى شاطىء البحر أنظر إلى جهة المغرب التي ذكر أهل البلد أنّ ميرتهم تأتي إليهم من تلك الجهة، فرأيت شبحاً من بعيد يتحرّك، فسألت عن ذلك الشبح أهل البلدة وقلت لهم: هل يكون في البحر طير أبيض؟

فقالوا لي: لا، فهل رأيت شيئاً؟

قلت: نعم، فاستبشروا وقالوا: هذه المراكب التي تأتي إلينا في كلّ سنة من بلاد أولاد الإمام عليه السلام، فما كان إلاّ قليل حتّى قدمت تلك المراكب، وعلى قولهم إنّ مجيئها كان في غير الميعاد، فقدم مركب كبير وتبعه آخر وآخر حتّى كملت سبعاً، فصعد من المركب الكبير شيخ مربوع القامة، بهيّ المنظر، حسن الزيّ، ودخل المسجد فتوضّأ الوضوء الكامل على الوجه المنقول عن أئمّة الهدى عليهم السلام وصلّى الظهرين.

فلمّا فرغ من صلاته التفت نحوي مسلّماً عَلَيَّ، فرددت عليه، فقال: ما اسمك؟ وأظنّ أنّ اسمك عليّ.

فقلت: صدقت، فحادثني بألسن محادثة من يعرفني، فقال: ما اسم أبيك، ويوشك أن يكون فاضلاً؟

قلت: نعم، ولم أكن أشكّ في أنّه قد كان في صحبتنا من دمشق الشام إلى مصر.

فقلت: أيّها الشيخ، ما أعرفك بي وبأبي، هل كنت معنا حين سافرنا من دمشق إلى مصر؟

فقال: لا، قلت: ولا من مصر إلى الأندلس؟

قال: لا، ومولاي صاحب العصر.

قلت له: ومن أين تعرفني باسمي واسم أبي؟

قال: اعلم أنّه قد تقدّم إليَّ وصفك وأصلك ومعرفة اسمك وشخصك وهيئتك واسم أبيك رحمه الله، وأنا أصحبك معي إلى الجزيرة الخضراء، فسررت بذلك حيث قد ذكرت ولي

عندهم اسم، وكان من عادته أنّه لا يقيم عندهم إلاّ ثلاثة أيّام، فأقام أُسبوعاً، وأوصل الميرة إلى أصحابها المقرّرة لهم.

فلمّا أخذ منهم خطوطهم بوصول المقرّر لهم عزم على السفر وحملني معه، وسرنا في البحر، فلمّا كان في السادس عشر من مسيرنا في البحر رأيت ماءً أبيضَ، فجعلت أُطيل النظر إليه، فقال لي الشيخ - واسمه محمّد -: ما لي أراك تطيل النظر إلى هذا الماء؟

فقلت له: إنّي أراه على غير لون ماء البحر.

فقال لي: هذا هو البحر الأبيض، وتلك الجزيرة الخضراء، وهذا الماء مستدير حولها مثل السور، من أي الجهات أتيته وجدته، وبحكمة الله تعالى أنّ مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت، وإن كانت محكمة، ببركة مولانا وإمامنا صاحب العصر، فاستعملته وشربت منه وإذا هو كماء الفرات.

ثمّ إنّا لمّا قطعنا ذلك الماء الأبيض ووصلنا إلى الجزيرة الخضراء لا زالت عامرة آهلة، ثمّ صعدنا من المركب الكبير إلى الجزيرة ودخلنا البلد، فرأيته محصّناً بقلاع وأبراج وأسوار سبعة واقعة على شاطىء البحر، ذات أنهار وأشجار مشتملة على أنواع الفواكه والأثمار المنوّعة، وفيها أسواق كثيرة وحمّامات عديدة، وأكثر عمارتها برخام شفّاف، وأهلها في أحسن الزيّ والبهاء، فاستطار قلبي سروراً لما رأيته.

ثمّ مضى بي رفيقي محمّد بعد ما استرحنا في منزله إلى الجامع المعظّم، فرأيت فيه جماعة كثيرة، وفي وسطهم شخص جالس عليه من المهابة والسكينة والوقار ما لا أقدر أصفه، والناس يخاطبونه بالسيّد شمس الدين محمّد العالم، ويقرأون عليه القرآن والفقه والعربيّة بأقسامها وأُصول الدين والفقه الذي يقرأونه عن صاحب الأمر عليه السلام مسألة مسألة، وقضيّة قضيّة، وحكماً حكماً، فلمّا مثلت بين يديه رحّب بي وأجلسني في القرب منه، وأحفى السؤال عن تعبي في الطريق، وعرّفني أنه قدّم إليه كلّ أحوالي، وأنّ الشيخ محمّد رفيقي إنّما جاء بي معه بأمر من السيد شمس الدين العالم أطال الله بقاه، ثمّ أمر لي بتخلية موضع منفرد في زاوية من زوايا المسجد، وقال لي: هذا يكون لك إذا أردت الخلوة والراحة، فنهضت ومضيت إلى ذلك الموضع، فاسترحت فيه إلى وقت العصر، وإذا أنا بالموكّل بي قد أتى إليَّ وقال: لا تبرح من مكانك حتّى يأتيك السيّد وأصحابه لأجل العشاء معك.

فقلت: سمعاً وطاعة، فما كان إلاّ قليل وإذا بالسيّد - سلّمه الله - قد أقبل ومعه أصحابه، فجلسوا ومدّت المائدة، فأكلنا ونهضنا إلى المسجد مع السيّد لأجل صلاة المغرب والعشاء.

فلمّا فرغنا من الصلاتين ذهب السيّد إلى منزله ورجعت إلى مكاني، وأقمت على هذه

الحال مدّة ثمانية عشر يوماً ونحن في صحبته أطال الله بقاءه، فأوّل جمعة صلّيتها معهم رأيت السيّد - سلّمه الله - صلّى الجمعة ركعتين فريضة واجبة، فلمّا انقضت الصلاة، قلت: يا سيّدي، قد رأيتكم صلّيتم الجمعة ركعتين فريضة واجبة؟

قال: نعم؛ لأنّ شروطها المعلومة قد حضرت فوجبت.

فقلت في نفسي: ربّما كان الإمام حاضراً، ثمّ في وقت آخر سألت منه في الخلوة: هل كان الإمام حاضراً؟

فقال: لا، ولكنّي أنا النائب الخاصّ بأمر صدر عنه عليه السلام.

فقلت: يا سيدي، وهل رأيت الإمام عليه السلام؟

قال: لا، ولكن حدّثني أبي رحمه الله أنّه سمع حديثه ولم يرَ شخصه، وأنّ جدّه رحمه الله سمع حديثه ورأى شخصه.

فقلت له: ولِمَ ذاك يا سيّدي يختصّ بذلك رجل دون آخر؟

فقال لي: يا أخي، إنّ الله سبحانه وتعالى يؤتي الفضل من يشاء من عباده الأنبياء والمرسلين والأوصياء المنتجبين، وجعلهم أعلاماً لخلقه، وحججاً على بريّته، ووسيلة بينهم وبينه ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، ولم يخل أرضه بغير حجّة على عباده للطفه بهم، ولا بدّ لكلّ حجّة من سفير يبلّغ عنه.

ثمّ إنّ السيّد سلّمه الله أخذ بيدي إلى خارج مدينتهم، وجعل يسير معي نحو البساتين، فرأيت فيها أنهاراً جارية، وبساتين كثيرة مشتملة على أنواع الفواكه العظيمة الحسن والحلاوة من العنب والرمّان والكمثرى وغيرها ما لم أرها في العراقين ولا في الشامات كلّها.

فبينا نحن نسير من بستان إلى آخر إذ مرّ بنا رجل بهيّ الصورة، مشتمل ببردتين من صوف أبيض، فلمّا قرب منّا سلّم علينا وانصرف عنّا، فأعجبتني هيئته، فقلت للسيّد سلّمه الله: من هذا الرجل؟

قال لي: أتنظر إلى هذا الجبل الشاهق؟

قلت: نعم، قال: إنّ في وسطه لمكاناً حسناً، وفيه عين جارية تحت شجرة ذات أغصان كثيرة، وعندها قبّة مبنيّة بالآجر، وإنّ هذا الرجل مع رفيق له خادمان لتلك القبّة، وأنا أمضي إلى هناك في كلّ صباح جمعة وأزور الإمام عليه السلام منها، وأُصلّي ركعتين، وأجد هناك ورقة مكتوباً فيها ما أحتاج إليه من المحاكمة بين المؤمنين، فمهما تضمّنته الورقة أعمل به، فينبغي لك أن تذهب إلى هناك وتزور الإمام عليه السلام من القبّة.

فذهبت إلى الجبل فرأيت القبّة على ما وصف لي سلّمه الله تعالى، ووجدت هناك خادمين، فرحّب بي الذي مرّ علينا وأنكرني الآخر، فقال له: لا تنكره، فإنّي رأيته في صحبة السيّد شمس الدين العالم، فتوجّه إليَّ ورحّب بي، وحادثاني وأتياني بخبز وعنب، فأكلت وشربت من ماء تلك العين التي عند تلك القبّة، وتوضأت وصلّيت ركعتين وسألت الخادمين عن رؤية الإمام.

فقالا لي: الرؤية غير ممكنة، وليس معنا إذن في إخبار أحد، فطلبت منهما الدعاء، فدعيا لي وانصرفت عنهما، ونزلت من ذلك الجبل إلى أن وصلت إلى المدينة.

فلمّا وصلت إليها ذهبت إلى دار السيّد شمس الدين العالم، فقيل لي: إنّه خرج في حاجة له، فذهبت إلى دار الشيخ محمّد الذي جئت معه في المركب، فاجتمعت به وحكيت له عن مسيري إلى الجبل واجتماعي بالخادمين، وإنكار الخادم عليَّ.

فقال: ليس لأحد رخصة في الصعود إلى ذلك المكان سوى السيّد شمس الدين وأمثاله، فلهذا وقع الإنكار منه لك، فسألته عن أحوال السيّد شمس الدين أدام الله إفضاله.

فقال: إنّه من أولاد أولاد الإمام عليه السلام، وإنّ بينه وبين الإمام عليه السلام خمسة آباء، وإنّه النائب الخاصّ عن أمر صدر منه عليه السلام.

قال الشيخ الصالح زين الدين عليّ بن فاضل المازندراني: استأذنت السيّد شمس الدين العالم - أطال الله بقاه - في نقل بعض المسائل التي يحتاج إليها عنه، وقراءة القرآن المجيد ومقابلة المواضع المشكلة من العلوم الدينية وغيرها، فأجاب إلى ذلك، وقال: إذا كان ولا بدّ من ذلك فابدأ أوّلاً بقراءة القرآن العظيم، فكان كلّما قرأت شيئاً فيه خلاف بين القرّاء أقول له: قرأ حمزة كذا وقرأ الكسائي كذا، وقرأ عاصم كذا، وأبو عمرو بن كثير كذا.

قال السيّد سلّمه الله: نحن لا نعرف هؤلاء، وإنّما القرآن نزل على سبعة أحرف قبل الهجرة من مكّة إلى المدينة، وبعدها لمّا حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع نزل عليه الروح الأمين جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمّد، اتل عَلَيَّ القرآن حتّى أُعرّفك أوائل السور وأواخرها، وشأن نزولها، فاجتمع إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وولداه الحسن والحسين وأُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وحسّان بن ثابت وجماعة من أصحابه رضي الله عنهم من المنتجبين منهم، فقرأ النبي صلى الله عليه وآله القرآن من أوّله إلى آخره، فكان كلّما مرّ بموضع فيه اختلاف بيّنه له جبرئيل عليه السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام يكتب ذلك في درج من أدم، فالجميع قراءة أمير المؤمنين عليه السلام ووصيّ رسول ربّ العالمين.

قال الشيخ الفاضل عليّ بن فاضل: ونقلت عن السيّد شمس الدين حفظه الله مسائل كثيرة

تنوف على تسعين مسألة، وهي عندي جمعتها في مجلّد وسمّيتها بالفوائد الشمسيّة، ولا أُطلع عليها إلاّ الخلّص من المؤمنين، وستراه إن شاء الله تعالى.

فلمّا كانت الجمعة الثانية وهي الوسطى من جُمع الشهر، وفرغنا من الصلاة جلس السيّد - سلّمه الله - في مجلس الإفادة للمؤمنين، وإذا أنا أسمع هرجاً ومرجاً وجزلة عظيمة خارج المسجد، فسألت من السيّد عمّا سمعته، فقال لي: إنّ أُمراء عسكرنا يركبون في كلّ جمعة من وسط كلّ شهر وينتظرون الفرج، واستأذنته في النظر إليهم، فأذن لي، فخرجت لرؤيتهم وإذا هم جمع كثير يسبّحون لله ويحمدونه ويهلّلونه جلّ وعزّ، ويدعون بالفرج للإمام القائم بأمر الله، والناصح لدين الله م ح م د بن الحسن المهديّ الخلف الصالح صاحب الزمان عليه السلام، ثم عدت إلى مسجد السيّد - سلّمه الله - فقال لي: رأيت العسكر؟

فقلت: نعم.

قال: فهل عددت أُمراءهم؟

قلت: لا.

قال: عدّتهم ثلاثمائة ناصر، وبقي ثلاثة عشر ناصراً، ويعجّل الله لوليّه الفرج بمشيّته سبحانه وتعالى، حتّى إنّه ربما كان الإمام لا يعرف ذلك، بل له علامات وأمارات تدلّ على خروجه، من جملتها أن ينطق ذو الفقار بأن يخرج من غلافه ويتكلّم بلسان عربي مبين: قم يا وليّ الله على اسم الله فاقتل بي أعداء الله، ومنها ثلاثة أصوات يسمعها الناس كلّهم:

الصوت الأوّل: أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين، والصوت الثاني: ألا لعنة الله على الظالمين لآل محمّد صلى الله عليه وآله، والثالث: بَدَن يظهر فيرى في قرن الشمس يقول: إنّ الله بعث صاحب الأمر عليه السلام م ح م د بن الحسن المهديّ، فاسمعوا له وأطيعوا.

فقلت: يا سيّدي، قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام أنّه قال لمّا أُمر بالغيبة الكبرى: **من رآني بعد غيبتي فقد كذب**، فكيف فيكم من يراه؟

فقال: صدقت إنّه عليه السلام قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته وغيرهم من فراعنة بني العبّاس، حتّى أنّ الشيعة يمنع بعضها بعضاً عن التحدّث بذكره، وفي هذا الزمان تطاولت المدّة وآيس منه الأعداء، وبلادنا نائية عنهم وعن ظلمهم وعنائهم، وببركته عليه السلام لا يقدر أحد من الأعداء على الوصول إلينا.

قلت: يا سيّدي، قد روت علماء الشيعة حديثاً عن الإمام عليه السلام: أنّه أباح الخمس لشيعته، فهل رويتم عنه ذلك؟

قال: نعم، إنه عليه السلام رخّص وأباح الخمس لشيعته من ولد عليّ، وقال: **هم في حلّ من ذلك**.

قلت: وهل رخّص للشيعة أن يشتروا الإماء والعبيد من سبي العامّة؟

قال: نعم، ومن سبي غيرهم؛ لأنّه عليه السلام قال: **عاملوهم بما عاملوا به أنفسهم**، وهاتان المسألتان زائدتان عن المسائل التي سمّيتها لك.

وقال السيّد - سلّمه الله تعالى -: إنّه عليه السلام يخرج من مكّة بين الركن والمقام في سنة وتر، فليرتقبها المؤمنون.

فقلت: يا سيّدي، قد أحببت المجاورة عندكم إلى أن يأذن الله بالفرج، فقال لي: اعلم يا أخي، إنّه تقدّم إليَّ كلام بعودك إلى وطنك، ولا يمكنني وإيّاك المخالفة؛ لأنك ذو عيال، وغبت عنهم مدّة مديدة، ولا يجوز لك التخلّف عنهم أكثر من هذا، فتأثّرت من ذلك وبكيت وقلت: يا مولاي، وهل تجوز المراجعة في أمري؟

قال: لا.

قلت: يا مولاي، وهل تأذن لي في أن أحكي كلّ ما قد رأيته وسمعته؟

قال: لا بأس أن تحكي للمؤمنين لتطمئنّ قلوبهم إلاّ كيت وكيت وعينّ ما لا أقوله.

فقلت: يا سيّدي، أما يمكن النظر إلى جماله وبهائه عليه السلام؟

قال: لا، ولكن اعلم يا أخي: إنّ كل مؤمن مخلص يمكن أن يرى الإمام ولا يعرفه.

فقلت: يا سيّدي، أنا من جملة عبيده المخلصين ولا رأيته؟

فقال: بل رأيته مرتين؛ مرّة منها لما أتيت إلى سرّ من رأى، وهي أوّل مرّة جئتها وسبقك أصحابك وتخلّفت عنهم حتّى وصلت إلى نهر لا ماء فيه، فحضر عندك فارس على فرس شهباء وبيده رمح طويل وله سنان دمشقيّ، فلمّا رأيته خفت على ثيابك، فلمّا وصل إليك قال لك: **لا تخف، اذهب إلى أصحابك فإنّهم ينتظرونك تحت تلك الشجرة**، فأذكرني والله ما كان.

فقلت: قد كان ذلك يا سيّدي.

قال: والمرّة الأخرى: حين خرجت من دمشق تريد مصر مع شيخك الأندلسيّ وانقطعت عن القافلة وخفت خوفاً شديداً، فعارضك فارس على فرس غرّاء محجّلة وبيده رمح أيضاً، وقال لك: **سِرْ ولا تخف إلى قرية على يمينك ونم عند أهلها الليلة، وأخبرهم بمذهبك الذي ولدت عليه، ولا تتّق منهم، فإنهم مع قرى عديدة جنوبي دمشق مؤمنون مخلصون يدينون بدين عليّ بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذرّيّته** عليهم السلام، أكان ذلك يا بن فاضل؟

قلت: نعم، وذهبت إلى أهل القرية ونمت عندهم فأعزّوني، وسألتهم عن مذهبهم، فقالوا لي من غير تقيّة منّي: نحن على مذهب أمير المؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين عليّ بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذريّته عليهم السلام.

فقلت لهم: من أين لكم هذا المذهب، ومن أوصله إليكم؟

قالوا: أبو ذرّ الغفاري رحمه الله حين نفاه عثمان إلى الشام، ونفاه معاوية إلى أرضنا هذه، فعمّتنا بركته، فلمّا أصبحت طلبت منهم اللحوق بالقافلة، فجهّزوا معي رجلين ألحقاني بها بعد أن صرّحت لهم بمذهبي.

فقلت له: يا سيّدي، هل يحجّ الإمام عليه السلام في كلّ مدّة بعد مدّة؟

قال لي: يا بن فاضل، الدنيا خطوة مؤمن، فكيف بمن لم تقم الدنيا إلاّ بوجوده ووجود آبائه عليهم السلام. نعم، يحجّ في كلّ عام ويزور آباءه في المدينة والعراق وطوس على مشرّفيها السلام، ويرجع إلى أرضنا هذه. ثمّ إنّ السيد شمس الدين حثّ عليَّ بعدم التأخير بالرجوع إلى العراق، وعدم الإقامة في بلاد المغرب، وذكر لي أنّ دراهمهم مكتوب عليها لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، عليّ ولي الله، م ح م د بن الحسن قائم بأمر الله، وأعطاني السيّد منها خمسة دراهم وهي محفوظة عندي للبركة، ثمّ إنّه - سلّمه الله - وجّهني مع المراكب التي أتيت معها إلى أن وصلنا إلى تلك البلدة التي أوّل ما دخلتها من أرض البربر، وكان قد أعطاني حنطة وشعيراً فبعتها في تلك البلدة بمائة وأربعين ديناراً ذهباً من معاملة بلاد المغرب، فتوجّهت بها إلى طرابلس من مدن المغرب، ولم أجعل طريقي على الأندلس امتثالاً لأمر السيّد شمس الدين العالم - أطال الله بقاه -، وسافرت منها مع الحجّ المغربي إلى مكّة - شرّفها الله تعالى - وحججت وجئت إلى العراق، وأُريد المجاورة في الغريّ على مشرّفه السلام حتى الممات.

قال الشيخ زين الدين عليّ بن فاضل المازندراني: ولم أرَ لعلماء الإماميّة عندهم ذكراً سوى خمسة: السيّد المرتضى الموسوي، والشيخ أبو جعفر الطوسي، ومحمّد بن يعقوب الكليني، وابن بابويه، والشيخ أبو القاسم جعفر بن الحسن الحلّي قدّس الله أرواحهم، وهذا آخر ما سمعته من الشيخ الصالح التقيّ، والفاضل الزكيّ عليّ بن فاضل المذكور أدام الله إفضاله، وكثّر من علماء الدهر وأتقيائه أمثاله، والحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلّى الله على خير خلقه سيّد البريّة محمّد وآله الطاهرين المعصومين وسلّم تسليماً كثيراً».

الفصل التاسع

في بيان بعض علامات ظهوره عليه السلام

روى الصدوق في (إكمال الدين) عن محمّد بن مسلم، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **القائم منصور بالرعب، مؤيّد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويُظهر الله** عزّ وجلّ به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلاّ عمّر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه.

فقلت له: يا بن رسول الله، متى يخرج قائمكم؟

قال: **إذا تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادات الزور، وردّت شهادات العدول، واستخفّ الناس بالدماء، وارتكاب الزنى، وأكل الربا، واتّقي الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمّد** صلى الله عليه وآله **بين الركن والمقام اسمه: محمّد بن الحسن النفس الزكيّة، وجاءت صيحة من السماء بأن الحقّ فيه وفي شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦]، ثم يقول: أنا بقية الله في أرضه، فإذا اجتمع إليه العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج، فلا يبقى في الأرض معبود دون الله** عزّ وجلّ **، من صنم وغيره إلاّ وقعت فيه نار واحترق، وذلك بعد غيبة طويلة، ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به**».

وعن النزّال بن سبرة، قال: «خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: **سلوني أيّها الناس قبل أن تفقدوني ثلاثاً**.

فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير المؤمنين، متى يخرج الدجّال؟

فقال له عليّ عليه السلام: **اقعد، فقد سمع الله كلامك، وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهنات يتبع بعضها بعضاً، كحذو النعل بالنعل، وإن شئت أنبأتك بها**.

قال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: **احفظ، فإن علامة ذلك: إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام،**

واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان، والإثم والطغيان، وحلّيت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوّلت المنابر، وأُكرم الأشرار، وازدحمت الصفوف، واختلفت الأهواء، ونقضت العقود، واقترب الموعود، وشارك النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفسّاق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُتقي الفاجر مخافة شرّه، وصدّق الكاذب، وائتمن الخائن، واتّخذ القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أوّلها، وركب ذوات الفروج السروج، وتشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وشهد الشاهد من غير أن يُستشهد، وشهد الآخر قضاء الذمام بغير حقّ عرفه وتفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف وأمرّ من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا، العجل العجل، خير المساكن يومئذٍ بيت المقدس، ليأتينّ على النّاس زمان يتمنى أحدهم أنّه من سكّانه.

فقام الأصبغ بن نباتة، فقال: يا أمير المؤمنين، من الدجّال؟ فقال: ألا إنّ الدجال صايد بن الصيد، فالشقيّ من صدّقه، والسعيد من كذّبه، يخرج من بلدة يقال لها: إصبهان من قرية تعرف باليهوديّة، عينه اليمنى ممسوحة، والأخرى في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح، فيها علقة كأنّها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب: كافر، يقرأه كلّ كاتب وأُمّي، يخوض البحار، وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى النّاس أنّه طعام يخرج في قحط شديد، تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، لا يمرّ بماء إلاّ غار إلى يوم القيامة، ينادي بأعلى صوته يُسمع ما بين الخافقين من الجنّ والإنس والشياطين يقول: إليَّ أوليائي، أنا الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، أنا ربّكم الأعلى، وكذب عدوّ الله، إنه الأعور، يطعم الطعام ويمشي في الأسواق، وإنّ ربّكم عزّ وجلّ ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول، ألا وإنّ أكثر أشياعه يومئذٍ أولاد الزنى، وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله عزّ وجلّ بالشام على عقبة تُعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يد من يصلّي المسيح عيسى بن مريم خلفه، ألا إنّ بعد ذلك الطامّة الكبرى.

قلنا: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: خروج دابة الأرض من عند الصفا، معها خاتم سليمان وعصا موسى، تضع الخاتم على وجه كلّ مؤمن فيطبع فيه: هذا مؤمن حقاً، وتضعه على وجه كلّ كافر فتكتب فيه: هذا كافر حقاً، حتى إنّ المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر، وإنّ الكافر ينادي: طوبى لك يا مؤمن، وددت اليوم أنّي مثلك فأفوز فوزاً عظيماً، ثمّ ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن

الله عَزَّوَجَلَّ بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل، ولا عمل يرفع، ولا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

ثمّ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تسألوني عمّا يكون بعد ذلك، فإنّه عهد إليَّ حبيبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن لا أُخبر به غير عترتي.

فقال النزّال بن سبرة لصعصعة بن صوحان: ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟

فقال صعصعة: يا بن سبرة، إنّ الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن والمقام، يطهّر الأرض ويضع ميزان العدل، فلا يظلم أحد أحداً، فأخبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن حبيبه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عهد إليه أن لا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

وفي (الإكمال) أيضاً عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «**خمس قبل قيام القائم، اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكيّة**».

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «**ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكيّة إلاّ خمس عشرة ليلة**».

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «**إنّ أمر السفياني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب**».

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «**الصيحة التي في شهر رمضان قد تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان**».

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «**يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري، وإذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان، وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان حتّى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها**».

وعن عبد الله بن أبي منصور، قال: «سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن اسم السفياني فقال: **وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كنوز الشام الخمس: دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقّعوا عند ذلك الفرج.**

قلت: يملك تسعة أشهر؟

قال: **لا، ولكن ثمانية أشهر لا يزيد يوماً**».

وعن المعلّى بن خنيس عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «**صوت جبرئيل من السماء، وصوت إبليس من الأرض، فاتّبعوا الصوت الأوّل، وإيّاكم والأخير أن تفتنوا به**».

وعن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «**آيتان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس، وخسوف**

الشمس لخمس عشرة، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك سقط حساب المنجّمين».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «قدّام القائم موتان، موت أحمر، وموت أبيض، حتّى يذهب من كلّ سبعة خمسة: الموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون».

وفي (غيبة الشيخ) عن الصادق عليه السلام قال: «لا يخرج القائم حتّى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلّهم يدعو إلى نفسه».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عشر قبل الساعة لا بدّ منها: السفياني، والدجّال، والدخان، والدابّة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر».

وعن جابر أنّه قال لأبي جعفر عليه السلام: «متى يكون هذا الأمر؟ فقال: أنى يكون ذلك يا جابر ولمّا يكثر القتلى بن الحيرة والكوفة».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «إذا هدم حائط مسجد الكوفة مؤخّره ممّا يلي دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك بني فلان، أما إنّ هادمه لا يبنيه».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «خروج الثلاثة، الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني؛ يهدي إلى الحقّ».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «بين يدي القائم موت أحمر، وموت أبيض، وجراد في حينه، وجراد في غير حينه أحمر كألوان الدم، فأمّا الموت الأحمر فالسيف، وأمّا الموت الأبيض فالطاعون».

وعن حذلم بن بشير، قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: صف لي خروج المهدي، وعرّفني دلائله وعلاماته؟

فقال: يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له: عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه بكويت، وقتله بمسجد دمشق، ثمّ يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثمّ يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس، وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان، فإذا ظهر السفياني اختفى المهدي ثمّ يخرج بعد ذلك».

وعن عليّ عليه السلام، قال: «إذا اختلف رمحان بالشام فهو آية من آيات الله تعالى.

قيل: ثمّ مه؟ قال: ثمّ رجعة تكون بالشام يهلك فيها مائة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب

والرايات الصفر تقبل من المغرب حتّى تحلّ بالشام، فإذا كان ذلك فانتظروا خسفاً بقرية من قرى الشام يقال لها خرشنا، فإذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الأكباد بوادي اليابس».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «عام - أو سنة - الفتح ينشقّ الفرات حتى يدخل أزقّة الكوفة».

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهدي بعث إليه بالبيعة».

وروي المجلسي في (البحار) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لحبّاب الراهب الذي بنى المسجد المشهور بمسجد براثا في حديث قال فيه: «يا حبّاب، ستبنى إلى جنب مسجدك هذا مدينة، وتكثر الجبابرة فيها، ويعظم البلاء حتّى إنه ليركب فيها كلّ ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سدّوا على مسجدك بفطوة، ثمّ وابنه بنين، ثمّ لا يهدمه إلاّ كافر، ثمّ يبنى، فإذا فعلوا ذلك منعوا الحجّ ثلاث سنين، واحترقت خضرهم، وسلّط الله عليهم رجلاً من أهل السفح، لا يدخل بلداً إلاّ أهلكه وأهلك أهله، ثمّ ليعد عليهم مرّة أُخرى، ثمّ يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتّى يبلغ بهم الجهد، ثمّ يعود عليهم، ثمّ يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلاّ سخطها وأهلكها وأسخط أهلها، وذلك إذا عمرت الخربة، وبني فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك البصرة، ثمّ يدخل مدينة بناها الحجّاج يقال لها: واسط فيفعل مثل ذلك، ثمّ يتوجّه نحو بغداد فيدخلها عفواً، ثم يلتجي الناس إلى الكوفة، ثمّ يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه فيتلقّاهما السفياني فيهزمهما، ثمّ يقتلهما، ويوجّه جيشاً نحو الكوفة فيستعبد بعض أهلها، ويجيء رجل من أهل الكوفة فيلجئهم إلى سور، فمن لجأ إليها أمن، ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة فلا يدعون أحداً إلاّ قتلوه، وإنّ الرجل منهم ليمرّ بالدرّة المطروحة العظيمة فلا يتعرّض لها، ويرى الصبيّ الصغير فيلحقه فيقتله، فعند ذلك - يا حبّاب - يتوقّع بعدها، هيهات هيهات، وأُمور عظام، وفتن كقطع الليل المظلم، فاحفظ عنّي ما أقول لك يا حبّاب.

قال في (البحار): إنّ النسخة كانت سقيمة، فأوردت الخبر كما وجدته».

وعن (غيبة النعماني) عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «يا جابر، الزم الأرض ولا تحرّك يداً ولا رجلاً حتّى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها: أوّلها: اختلاف بني العبّاس، وما أراك تدرك ذلك، ولكن حدّث به بعدي عنّي، ومنادٍ ينادي من السماء ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق بالفتح، وتخسف قرية من قرى الشام تسمّى الجابيّة، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وسيقبل إخوان الترك حتّى

ينزلوا الجزيرة، وستقبل مارقة الروم حتّى ينزلوا الرملة، فتلك السنة - يا جابر - اختلاف كثير في كلّ أرض من ناحية المغرب، فأوّل أرض المغرب تخرب أرض الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات:

راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني الأبقع فيقتتلون فيقتله السفياني ومن معه، ويقتل الأصهب، ثمّ لا يكون له همّة إلاّ الإقبال نحو العراق، ويمرّ جيشه بقرقيسا فيقتلون بها، فيقتل من الجبّارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدّتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً، فبينا هم كذلك إذ أقبلت رايات من قِبل خراسان تطوي المنازل طيّاً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثمّ يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء، فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفياني بعثاً إلى المدينة فيسفّر المهدي منها إلى مكّة، فيبلغ أمير جيش السفياني أنّ المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتّى يدخل مكّة خائفاً يترقّب على سنّة موسى بن عمران.

قال: وينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي منادٍ من السماء: يا بيداء، أبيدي القوم، فيخسف بهم، فلا يفلت منهم إلاّ ثلاثة نفر يحوّل الله وجوههم إلى أقفيتهم، وهم من كلب، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧] الآية.

قال: والقائم يومئذٍ بمكة وقد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به ينادي: يا أيّها الناس، إنّا نستنصر الله، ومن أجابنا من النّاس، وإنّا أهل بيت نبيّكم محمّد صلى الله عليه وآله، ونحن أوْلى الناس بالله ومحمّد صلى الله عليه وآله، فمن حاجّني في آدم فأنا أوْلى النّاس بآدم، ومن حاجّني في نوح فأنا أوْلى الناس بنوح، ومن حاجّني في إبراهيم فأنا أوْلى الناس بإبراهيم، ومن حاجّني في محمّد صلى الله عليه وآله فأنا أوْلى الناس بمحمّد، ومن حاجّني في النبيّين فأنا أوْلى الناس بالنبيّين. أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ [آل عمران، ٣٣،٣٤]، فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمّد صلى الله عليه وآله. ألا ومن حاجّني في كتاب الله فأنا أوْلى الناس بكتاب الله. ألا ومن حاجّني في سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فأنا أوْلى الناس بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأُنشد الله من سمع كلامي اليوم لمّا بلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحق الله ورسوله وبحقّي، فإنّ لي عليكم حقّ القربى من رسول الله إلا أعنتمونا ومنعتمونا ممّن يظلمنا، فقد أُخفنا وظلمنا وطردنا من ديارنا وأبنائنا، وبُغي علينا، ودُفعنا عن حقّنا، فأوتر أهل الباطل علينا. فالله الله فينا، لا تخذلونا وانصرونا ينصركم الله.

قال: **فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ويجمعهم الله على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف.**

يا جابر: الآية التي ذكرها الله في كتابه: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] فيبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد من رسول الله ﷺ قد توارثته الأبناء عن الآباء، والقائم عليه السلام رجل من ولد الحسين عليه السلام يصلح الله له أمره في ليلة، فما أشكل على النّاس من ذلك يا جابر فلا يشكل عليهم ولادته من رسول الله ﷺ ووراثته العلماء عالماً بعد عالم، فإن أشكل هذا كلّه عليهم، فإنّ الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه وأُمه».

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «**بينا النّاس وقوفاً بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعلبة يخبر بموت خليفة عند موته فرج آل محمّد ﷺ، وفرج النّاس جميعاً**».

وقال عليه السلام: «**إذا رأيتم علامة في السماء، ناراً عظيمة من قِبل المشرق تطلع ليالي فعندها فرج النّاس وهي قدّام القائم بقليل**».

الفصل العاشر

في يوم خروجه، وكيفيّته، ومدّة ملكه عليه السلام

في (الإكمال) عن الهروي، قال: «قلت للرضا عليه السلام: ما علامة القائم منكم إذا خرج؟ قال: **علامته أن يكون شيخ السنّ شاب المنظر حتّى إن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإنّ من علامته أن لا يهرم بمرور الأيّام والليالي عليه حتّى يأتي أجله**».

وفي (غيبة الشيخ) عن أبي بصير، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **إنّ القائم عليه السلام ينادى باسمه ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء يوم قُتل فيه الحسين بن عليّ عليه السلام**».

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**كأنّي بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام، بين يديه جبرئيل ينادي: البيعة لله، فيملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**خروج القائم من المحتوم**، قلت: وكيف يكون النداء؟ قال: **ينادي منادٍ من السماء أوّل النهار: ألا إنّ الحق في عليّ وشيعته، ثمّ ينادي إبليس في آخر النهار: ألا إنّ الحق في عثمان وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون**».

وعن محمّد بن مسلم، قال: «ينادي مناد من السماء باسم القائم، فيسمع ما بين المشرق إلى المغرب، فلا يبقى راقد إلاّ قام، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلاّ قام على رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**يملك القائم سبع سنين، تكون سبعين سنة من سنينكم هذه**».

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام، قال: «**لا يخرج القائم إلاّ في وتر من السنين، سنة إحدى، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع**».

الفصل الحادي عشر

في سيرته، وأخلاقه، وعدد أصحابه، وخصائص زمانه، وأحوال أصحابه عليه السلام

في (الخصال) عن عليّ عليه السلام، قال: «بنا يفتح الله، وبنا يختم، وبنا يمحو ما يشاء، وبنا يثبت، وبنا يدفع الله الزمان الكلب، وبنا ينزل الغيث، فلا يغرّنكم بالله الغرور. ما أنزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عزّ وجلّ ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهب الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلاّ على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه».

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «إذا قام قائمنا أذهب الله عزّ وجلّ عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوّة الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً، ويكونون حكّام الأرض وسنامها».

وفي (العيون) عن الصادق عليه السلام، قال: «أما إنّ قائمنا لو قد قام لقد أخذ من بني شيبة، وقطع أيديهم، وطاف بهم، وقال: هؤلاء سرّاق الله».

وفي (البصائر) عن الصادق عليه السلام، قال: «لن تذهب الدنيا حتّى يخرج رجل منّا أهل البيت يحكم بحكم داود عليه السلام لا يسأل الناس بيّنة».

وفي رواية أخرى: «يعطي كلّ نفس حكمها».

وفي (الإكمال) عن الريّان بن الصلت، قال: «قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا صاحب هذا الأمر، ولكني لست بالذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذاك على ما ترى من ضعف بدني، وأنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سنّ الشيوخ، ومنظر الشباب، قوياً في بدنه، حتى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدت صخورها، يكون معه عصا موسى عليه السلام، وخاتم سليمان، ذاك الرابع من ولدي يغيّبه الله في ستره ما شاء الله، ثمّ يظهره فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وعن أبي خالد الكابلي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «المفقودون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدّة أهل بدر، فيصبحون بمكّة، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]».

وعن أبي بصير، قال: «سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام، فإنّهم يقولون: إنّه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، قال: **ما يخرج إلاّ في أُولي قوّة، وما يكون أُولي القوّة أقلّ من عشرة آلاف**».

توضيح: المعنى أنّ أصحابه عليه السلام غير محصورين في الثلاثمائة والثلاثة عشر، بل هذا العدد هم الذين يجتمعون في ابتداء خروجه.

وعن أبي الجارود، قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: **إذا خرج القائم من مكّة ينادي مناديه: ألا لا يحمّلن أحد طعاماً ولا شراباً، وحمل معه حجر موسى بن عمران** عليه السلام، وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلاً إلاّ انفجرت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظمآناً روي ورويت دوابّهم حتّى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة».

وعن الثمالي، قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: **كأنّي أنظر إلى القائم** عليه السلام **قد ظهر على نجف الكوفة، فإذا ظهر على النجف نشر راية رسول الله** صلى الله عليه وآله **عمودها من عمد عرش الله تبارك وتعالى، وساترها من نصر الله جلّ جلاله، لا يهوي بها إلى أحد إلاّ أهلكه الله** عزّ وجلّ.

قال: قلت: تكون معه أو يؤتى بها؟

قال: **بل يؤتى بها، يأتيه بها جبرئيل** عليه السلام».

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**كأنّي بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين ليس من شيء إلاّ وهو مطيع لهم، حتّى سباع الأرض وسباع الطير، يطلب رضاهم كلّ شيء، حتّى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم** عليه السلام».

وعن أبي بصير، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **إنّه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى له كلّ منخفض من الأرض، وخفض له كلّ مرتفع حتّى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيّكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها!**».

وفي (غيبة الشيخ) عن الصادق عليه السلام، قال: «**لينصرنّ الله هذا الأمر بمن لا خلاق له، ولو قد جاء أمرنا لقد خرج منه من هو اليوم مقيم على عبادة الأوثان**».

وعن الباقر عليه السلام، قال: «**إذا دخل القائم الكوفة لم يبق مؤمن إلاّ وهو بها، أو يجيء إليها، وهو قول أمير المؤمنين** عليه السلام **إذ يقول لأصحابه: سيروا بنا إلى هذا الطاغية، فيسير إليه**».

بيان: لعلّ المراد بالطاغية السفياني، وقوله: «وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام» من كلام الباقر عليه السلام، والراوي يعني أنّ هذا القول صدر منه عليه السلام.

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى العباد**

عن ضوء الشمس، ويعمر الرجل في ملكه حتّى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أُنثى، ويبني في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، وتتّصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء وبالحيرة حتّى يخرج الرجل يوم الجمعة على بغلة سفواء يريد لجامه فلا يدركها».

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام، قال: «القائم يهدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله إلى أساسه، وردّ البيت إلى موضعه، وأقامه على أساسه، وقطع أيدي بني شيبة السرّاق وعلّقها على الكعبة».

وروى السيد عليّ بن عبد الحميد في كتاب (الغيبة) بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام، قال: «إذا ظهر قائمنا أهل البيت قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١]، خفتكم على نفسي وجئتكم لمّا أذن لي ربّي وأصلح لي أمري».

وعنه عليه السلام، قال: «إذا قام القائم ودخل الكوفة لم يبق مؤمن إلاّ وهو بها».

وعن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: «لموضع الرجل في الكوفة أحبّ إليَّ من داري في المدينة».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «من كانت له دار بالكوفة فليتمسّك بها».

وعن الباقر عليه السلام، قال: «يهزم المهديّ عليه السلام السفياني تحت شجرة أغصانها مدلاة في الحيرة، طويلة».

وعن بشير النبّال عن الصادق عليه السلام، قال: «هل تدري أوّل ما يبدأ به القائم؟

قلت: لا.

قال: يخرج هذين رطبَين غضّين فيحرقهما ويذرّيهما في الريح، ويكبّر المسجد، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عريش كعريش موسى، وذكر أنّ مقدّم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كان طيناً وجانبه جريد النخل».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «يملك القائم سبع سنين، تكون سبعين سنة من سنينكم هذه».

وعن الباقر عليه السلام، قال: «يملك القائم ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل النّاس حتّى لا يبقى إلاّ دين محمّد صلى الله عليه وآله، ويسير بسيرة سليمان بن داود عليه السلام، ويدعو الشمس والقمر فيجيبانه، وتطوى له الأرض، ويوحى إليه فيعمل بالوحي بأمر الله».

وعن الصادق عليه السلام، قال: «إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق».

تمّ الكتاب، وله الحمد

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الجزء الأول

الديباجة ٥
أما المقدّمة ٧

الباب الأول: أبي القاسم محمد بن عبد الله

الفصل الأوّل: في بيان نسبة الشريف، وأسمائه، وألقابه، وكناه ١١
الفصل الثاني: في ابتداء نوره الشريف ﷺ ١٥
الفصل الثالث: في بيان تأريخ ولادة خاتم النبيّين وسيّد المرسلين صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين ٣٨
الفصل الرابع: في بيان وصيّة النبي ﷺ وسائر الوقائع التي اتّفقت قبيل ارتحاله إلى عالم البقاء ٥٢
الفصل الخامس: في بيان وقوع المصيبة الكبرى، والداهية العظمى، أعني وفاة سيّد الأنبياء، وخاتم الرُّسل الأصفياء، وكيفية تغسيله، وتكفينه، ودفنه، والصلاة عليه، وبيان سائر الوقائع المقارنة لوفاته والواقعة بعدها ٧٤
الفصل السادس: في غرائب أحواله ﷺ بعد وفاته، وما ظهر عند ضريحه، وغرائب أحوال روحه ﷺ ٩١

الباب الثاني: سيدة نساء العالمين

الفصل الأول: في بيان ولادتها عليها السلام ٩٧
الفصل الثاني: في بيان أسمائها، وبعض فضائلها صلوات الله عليها ١٠١

الفصل الثالث: في بيان مناقبها الشريفة، وفضائلها المنيفة، وبعض أحوالها العجيبة، ومعجزاتها الغريبة صلوات الله عليها ١٠٦
الفصل الرابع: في بيان بعض سيرها ومكارم أخلاقها عليها السلام ١٢١
الفصل الخامس: في بيان تزويجها عليها السلام ١٢٥
الفصل السادس: في بيان شهادتها، وما جرى عليها من الظلم، وبكائها وحزنها وشكايتها في مرضها صلوات الله عليها ١٤٥
الفصل السابع: في بيان تظلّمها عليها السلام في القيامة وكيفية مجيئها إلى المحشر ١٨٠

الباب الثالث: علي بن أبي طالب

الفصل الأوّل: في بيان ولادته عليه السلام ١٨٧
الفصل الثاني: في بيان إخبار الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء بشهادته ووفاته عليه السلام ٢٠٠
الفصل الثالث: في كيفية شهادته عليه السلام ٢٠٥
الفصل الرابع: في بيان غسله وكفنه ودفنه، والوقائع التي حدثت بعد شهادته صلوات الله عليه ٢٢٦
الفصل الخامس: في بيان أحوال قاتله ابن ملجم (لعنه الله) ٢٣٥

الباب الرابع: الحسن المجتبى

الفصل الأول: في بياته ولادته عليه السلام ٢٤١
الفصل الثاني: في بيان بعض مناقبه وفضائله عليه السلام ٢٤٥
الفصل الثالث: في بيان بعض مكارم أخلاقه، ومحاسن آدابه، وإقرار المخالف والمؤالف بفضله عليه السلام ٢٥٦
الفصل الرابع: في بيان بعض النصوص عليه عليه السلام بالإمامة وبيان بعض معجزاته ومناقبه ٢٦٥
وأمّا معجزاته عليه السلام ٢٦٥
الفصل الخامس: في بيان بعض أحواله عليه السلام بعد شهادة أبيه عليه السلام وسبب صلحه مع معاوية ٢٧٣

الفصل السادس: في بيان كيفيّة شهادته ٢٩٤

الجزء الثاني

الباب الخامس: الحسين ابن أمير المؤمنين

الفصل الأوّل: في بيان ولادته عليه السلام ٣٠٧

الفصل الثاني: في بيان بعض فضائله ومناقبه عليه السلام ٣١٤

الفصل الثالث: في بيان بعض مكارم أخلاقه عليه السلام ٣٢٥

الفصل الرابع: في بيان بعض النصوص عليه بالخلافة، وبيان بعض معجزاته عليه السلام . ٣٣٤

الفصل الخامس: في ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام خصوصاً في يوم عاشوراء ... ٣٤٠

الفصل السادس: في بيان إخبار الله تعالى أنبيائه صلوات الله عليهم عن شهادة الحسين عليه السلام وما عوّضه الله به من الكرامة ٣٥٣

الفصل السابع: في ما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام الحسين عليه السلام بشهادته ٣٦٤

الفصل الثامن: في أنّ مصيبته عليه السلام أعظم المصائب، وبيان العلّة التي من أجلها لم يكفّ الله قتلة الأئمّة ومن ظلمهم عن قتلهم، وردّ قول من قال أنّه عليه السلام: «لم يُقتل، ولكن شبّه لهم» ٣٧١

الفصل التاسع: في بيان فضل الشهداء معه عليه السلام وعلّة عدم مبالاتهم بالقتل، وبيان أنّه كان فرحاً لا يبالي بما يجري عليه ٣٧٦

الفصل العاشر: في بيان كفر قاتليه، وثواب اللعن عليهم، وشدّة عذابهم، وما ينبغي أن يقال عند ذكره عليه السلام ٣٧٨

الفصل الحادي عشر: في بيان ما جرى على شيعته من الظلم والعدوان قبل دخوله عليه الصلاة والسلام ٣٨٤

الفصل الثاني عشر: في بيان توجّهه عليه السلام إلى مكّة المعظّمة، وما جرى عليه بعد بيعة النّاس ليزيد «لعنه الله» إلى وقت شهادته «صلوات الله عليه» ٣٩٢

الفصل الثالث عشر: في بيان إرساله عليه السلام ابن عمّه السيّد الجليل، والكهف النبيل، الشهيد القتيل، مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وبيان شهادته عليه السلام ٤٠٢

الفصل الرابع عشر: في بيان توجّه الحسين عليه السلام إلى العراق، وما جرى عليه من أهل الكفر والنفاق ٤٢٠

مقتل آل البيت عليهم السلام ٤٦٢

الفصل الخامس عشر: في بيان الوقائع المتأخّرة عن قتله عليه السلام إلى رجوع أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة ٤٨٧

رأس الحسين عليه السلام ٥٢٢

الفصل السادس عشر: في بيان ما ظهر من المعجزات والغرائب بعد شهادته عليه السلام من بكاء السماء والأرض عليه، وانكساف الشمس والقمر، وغير ذلك ٥٣٠

الفصل السابع عشر: في بيان بكاء الأنبياء والمرسلين والأوصياء والمقرّبين والملائكة الكروبيّين عليه عليه السلام وعلى مصيبته ٥٣٦

الفصل الثامن عشر: في بيان نوح الجنّ وبكائهم عليه عليه السلام ٥٤٢

الفصل التاسع عشر: في بيان العلّة التي من أجلها أخّر الله العذاب عن قتلته، والعلّة التي من أجلها يقتل القائم أولاد قتلته، وأنّ الله ينتقم له في زمن القائم عليه السلام .. ٥٤٦

الفصل العشرون: في بيان ما عجّل الله به قتلة الحسين عليه السلام من العذاب في الدنيا، وما ظهر من إعجازه واستجابة دعائه في ذلك عند الحرب وبعده ٥٤٩

الفصل الحادي والعشرون: في بيان بعض أحوال المختار، وما جرى على يديه وأيدي أوليائه من قتل قتلة الحسين عليه السلام ٥٥٧

الفصل الثاني والعشرون: في بيان جور الخلفاء الجائرين على اندراس قبره الشريف، وأبى الله تعالى إلاّ إظهاره وإتمام نوره، وبيان ما ظهر من المعجزات عند ضريحه، ومن تربته، وزيارته صلوات الله عليه ٥٦٩

الفصل الثالث والعشرون: في بيان عدد أولاده، وأزواجه عليه السلام، وبعض أحوالهم . ٥٨٤

الجزء الثالث

الباب السادس: سيد الساجدين وزين العابدين

الفصل الأوّل: في بيان وقت ولادته عليه السلام وأسمائه الشريفة وألقابه المنيفة، وكنيته، ونقش خاتمه ٥٩١

الفصل الثاني: في بيان ما جرى عليه من الشدائد والأحزان في حياته إلى حال وفاته عليه الصلاة والسلام ٥٩٥

الفصل الثالث: في بيان ما وقع من الظلم من خلفاء الجور على شيعته عليه السلام ٦٠٠

الباب السابع: أبي جعفر محمد بن علي

الفصل الأول: في بيان ولادته عليه السلام ٦٠٥

الفصل الثاني: في بيان ما جرى بينه عليه السلام وبين مخالفي أهل زمانه ٦٠٧

الباب الثامن: أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق

الفصل الأوّل: في بيان نسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه، وولادته، ووفاته عليه أفضل الصلاة والسلام ٦٢١

الفصل الثاني: في بيان ما جرى بينه وبين خلفاء الجور الذين كانوا في عصره عليه أفضل الصلاة والسلام ٦٢٣

الفصل الثالث: في بيان وقت شهادته عليه السلام ٦٣٢

الفصل الرابع: في بيان بعض ما جرى على أقربائه وشيعته من الظلم والجور في زمانه عليه السلام ٦٣٥

الباب التاسع: أبي إبراهيم موسى بن جعفر

الفصل الأوّل: في بيان ولادته، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه السلام ٦٣٩

الفصل الثاني: في بيان تاريخ شهادته عليه السلام، وما وقع عليه من الظلم والجور من خلفاء الجور ٦٤٣

الفصل الثالث: في بيان بعض ما جرى من الجور على أقربائه وشيعته في زمانه عليه السلام ٦٥٨

الباب العاشر: أبي الحسن الرضا

الفصل الأوّل: في بيان تاريخ ولادته، ونسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه الصلاة والسلام ٦٦٣

الفصل الثاني: في بيان إخباره وإخبار آبائه بشهادته عليه السلام ٦٦٨
الفصل الثالث: في بيان كيفية شهادته عليه السلام وسببها ٦٧٠
وأمّا كيفية شهادته عليه السلام ٦٧٥

الباب الحادي عشر: أبي جعفر محمد بن علي التقي الجواد

الفصل الأوّل: في بيان تاريخ ولادته، واسمه، ولقبه، وكنيته عليه السلام ٦٨٩
الفصل الثاني: في بيان بعض أحواله، وبيان وفاته عليه السلام ٦٩١
وأمّا كيفيّة شهادته عليه السلام ٦٩٤

الباب الثاني عشر: علي بن محمد النقي الهادي

الفصل الأوّل: في بيان ولادته، ونسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه السلام ٧٠١
الفصل الثاني: في بيان بعض ما أصابه عليه السلام من أعداء الدين والمخالفين الفاسقين . ٧٠٣

الباب الثالث عشر
الرضي الزكي التقي أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام

الفصل الأوّل: في تاريخ ولادته، وبيان نسبه، واسمه، وكنيته، ولقبه عليه السلام ٧١٣
الفصل الثاني: في بيان شهادته عليه السلام ٧١٤

الباب الرابع عشر: الحجة ابن الحسن إمام الزمان وفيه فصول

[في بيان ولادته عجل الله فرجه الشريف] ٧٢٣
الفصل الأوّل: في أسمائه وألقابه وكناه عليه السلام وعللها ٧٣٢
الفصل الثاني: في النهي عن التسمية ٧٣٣
الفصل الثالث: في صفاته وعلاماته ونسبه عليه السلام ٧٣٥
الفصل الرابع: في بعض ما ظهر من معجزاته عليه السلام، وبعض أحواله، وأحوال سفرائه ٧٣٧
الفصل الخامس: في علّة الغيبة وكيفيّة انتفاع النّاس به عليه السلام في غيبته ٧٣٩

الفصل السادس: في أنّ غيبته عليه السلام ممحّصة، وفيها الامتحان العظيم والابتلاء الشديد، وأنّ التوقيت منهيّ عنه، وحصول البداء في ذلك ٧٤١
الفصل السابع: في فضل انتظار الفرج، ومدح الشيعة في زمان الغيبة ٧٤٣
الفصل الثامن: في ذكر أولاده، وبعض أحواله عليه السلام ٧٤٥
الفصل التاسع: في بيان بعض علامات ظهوره عليه السلام ٧٥٦
الفصل العاشر: في يوم خروجه، وكيفيّته، ومدّة ملكه عليه السلام ٧٦٣
الفصل الحادي عشر: في سيرته، وأخلاقه، وعدد أصحابه، وخصائص زمانه، وأحوال أصحابه عليه السلام ٧٦٤
الفهرس ٧٦٧